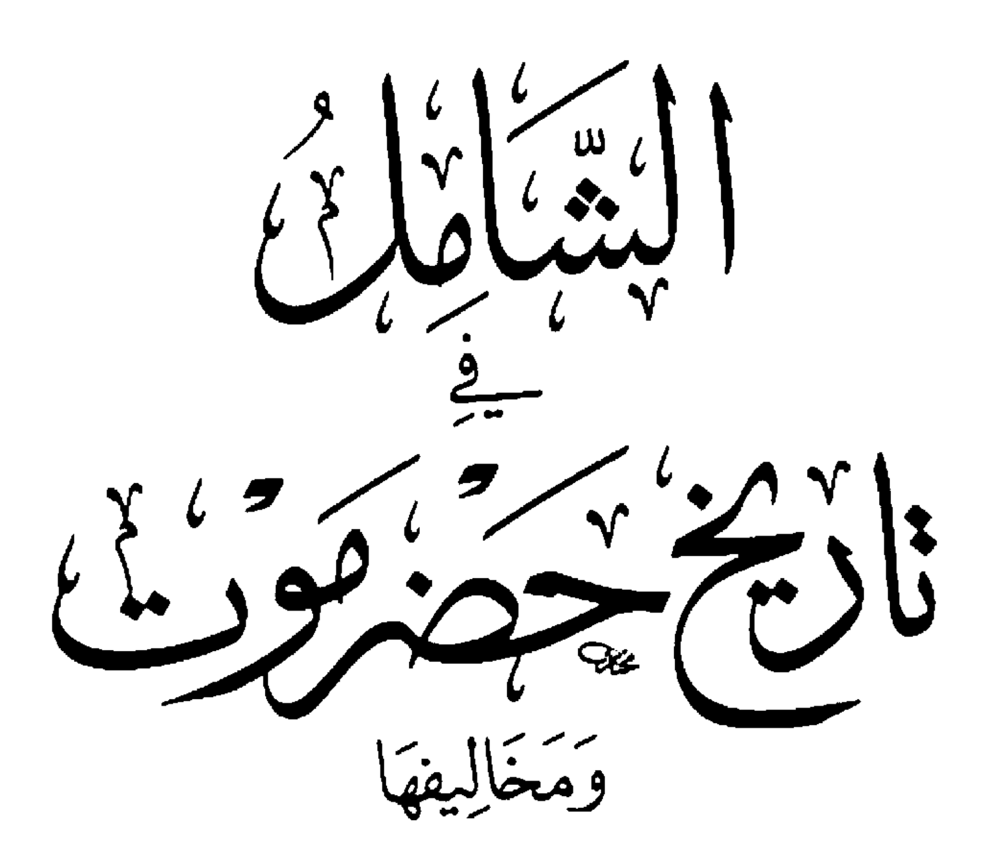


تأليف

الإمام الحجة العلامة المحقق الشهير والمؤرخ الثقة الكبير

السيد الشريف علوي بن طاهر بن عبد الله بن طه الحداد

العلوي الحسيني مفتي سلطنة جهور الملايو

١٣٠١ - ١٣٨٢ هـ

رحمه الله تعالى

اعتنى به وفهرسه وقدم له

الدكتور

محمد أبو بكر باذيب



دار الفتح
للدراسات والنشر



الشامل في تاريخ حضرموت ومخالفيها

العلامة السيد علوي بن طاهر بن عبد الله بن طاهر الحداد

اعتنى بطبعه ونشره نظار رباط العلم الشريف بقيدون. وهم:

السيد مصطفى بن عبد الله بن طاهر الحداد

السيد جعفر بن عبد الله بن طاهر الحداد (القائم بالتنفيذ)

السيد حسين بن أحمد بن حامد بن علوي بن طاهر الحداد

الطبعة الأولى : 1438 هـ - 2017 م

قياس القطع: 17 X 24

الرقم المعياري الدولي: ISBN: 978-9957-23-394-5

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية: 2016/6/2644



دار الفتح للدراسات والنشر

هاتف: 4646199 6 (00962)

فاكس: 4646188 6 (00962)

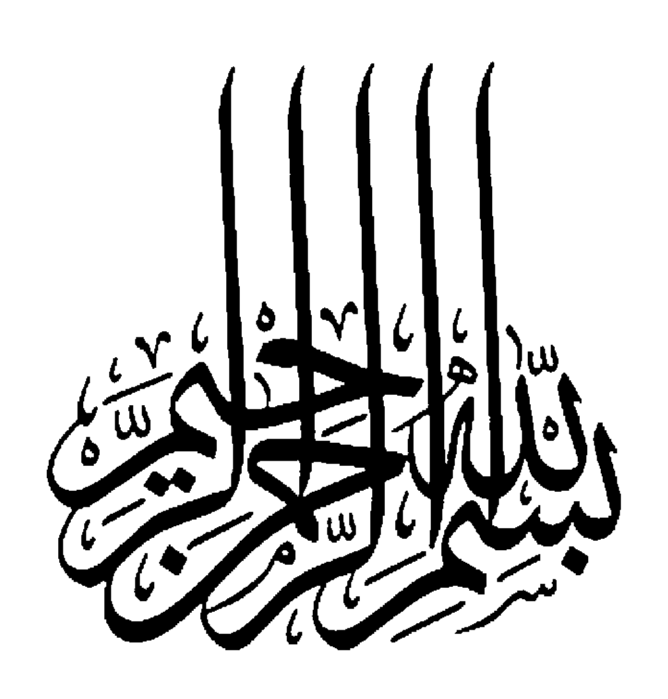
جوال: 777925467 (00962)

ص.ب: 183479 عمان 11118 الأردن

البريد الإلكتروني: info@daralfath.com

الموقع على الشبكة الإلكترونية: www.daralfath.com

- صورة الغلاف الأمامي: مئذنة مسجد رباط العلم الشريف بقيدون
- صورة الغلاف الخلفي: منظران للعتم الذي جرى فيه ماء غيل البويردة لسقي مدينة قيدون، انظر صفحة ٧٤٠.


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَصْدِيرٌ

احتل كتاب «الشامل» مكانة كبرى في المؤلفات التاريخية الحضرمية، لتعدد مزاياه، التي منها غزارة معلوماته، ودقة مؤلفه، وسعة اطلاعه، وتبوُّؤه مكانةً علمية لا تخفى بين معاصريه، واعتماد كل من أتى بعده على كتابه. تلك المزايا أشاد بها القريب والبعيد، من عرب ومستشرقين، ممن لهم اهتمام بتاريخ حضرموت، فلهذا لا ينفك باحثٌ في تاريخ حضرموت عن مطالعة هذا الكتاب العظيم النفع، والتنزه في رياضه، والتملي بمحاسنه.

هذا، ولي مع هذا الكتاب وغيره من مؤلفات السيد الإمام علوي بن طاهر الحداد، رحمه الله، ذكريات جميلة، بدءاً بالتحاقي بدروس ومجالس ابنه السيد العلامة القاضي الحبيب حامد بن علوي (ت بجدة ١٤١٥هـ) وخاله العلامة الداعية الحبيب أحمد مشهور الحداد (ت بجدة ١٤١٦هـ)، حيث درجت في منازلهم، واشتفى قلبي برؤيتهم والأخذ عنهم، وسماع الكثير من الأخبار عن مؤلف هذا الكتاب، ذلك السيد العظيم.

ولم يزل هاجس جمع مؤلفاته، والبحث عنها، يشغلني ويؤرقني، بعد أن أوصاني ابنه شيخي الحبيب حامد بن علوي، رحمه الله، أن أسعى لجمعها. فكانت تلك الوصيةُ قادحَ زنادِ العَزْم على ذلك السعي الطويل، ويسر المولى سبحانه وتعالى الوصول الى العديد من ذلك التراث المتناثر والمتفرق وجمع أشتات الكثير من أجزائه، والحمد لله.

وبخصوص هذا الكتاب «الشامل»، فقد كان من ضمن خطتي أن أقوم على إعادة طباعته وإخراجه بحلة عصرية جديدة، وعرضت الأمر على بقية بنيه وأحفاده وورثته، فرحبوا، وتشجع حفيده السيد المرحوم أحمد بن شيخنا الحبيب حامد بن علوي، رحمه الله، لذلك، وفوضني أن أقوم بجميع ما يلزم. ثم عاجلته منيته. وأتت شواغل وصوارف، ولا ريب أن الأمور مرهونة بأقدارها، وظل الكتاب في حيزه، لم يتحرك، حتى نهض للقيام بأعباء طباعته وخدمته، ابن أخي المؤلف، وأحد نظار رباط العلم الشريف بقيدون، السيد الفاضل المكرَّم، جعفر بن عبد الله بن طاهر الحداد، حفظه الله تعالى، ومتع بعافيته. فأتاح لي هذه الفرصة التاريخية، بالقيام بخدمة «الشامل»، والعمل على إخراجه في حلة بهية، تليق بمقام مؤلفه، وبموضوعه الحيوي المهم. فحمدت الله تعالى، أن ادّخر لي هذا الشرف، وتمم لي هذه النعمة، فإنَّ علويَّ بنَ طَاهرٍ ممن يتشرَّف المرءُ أن يعَدَّ خادماً له ولتراثه.

ولم آل جهداً في خدمة الكتاب، من صف، ومراجعة، ومقابلة، وتصحيح، وتوثيق للنصوص، وإعداد الفهارس العامة، وكتابة ترجمة ودراسة عن المؤلف والكتاب، بالقدر الذي يليق به حسب الاستطاعة والطاقة. لقد أكببتُ على الكتاب أسابيع بل شهوراً عديدة، كان خلالها سَميري في خلوتي في أرض الهند، التي طالت الى أكثر من ثلاثة أشهر، وجليسي في أرض جدة، قرأته قراءة فاحصة أكثر من مرة، فأتيح لي الوقوف على مزايا عديدة، وفوائد نادرة، معجبة مطربة، مكنتني من وضع مقدمة ودراسةٍ طويلة للكتاب.

لقد كنت، ولا أزال، معْجَباً ومنبهراً، بتلك الحافظة الكبيرة، وذلك الفتوح والهمة المباركة، التي مكنت السيد المؤلف رحمه الله، من تدوين وصياغة مادة هذا الكتاب

العظيم. أسأل الله تعالى أن يتغمده بواسع رحمته، وأن يجزيه عما قدمه للعلم والتاريخ والمعرفة، خير الجزاء. فدونكم أيها القراء هذا الكتاب الحافل مخدوماً مصححاً، رافلاً في حلل الطباعة البهية، فانهلوا من معينه، واقطِفُوا من بسَاتينه ما تشتهون.

كتبه: د. محمد أبو بكر باذيب

جدة؛ ٢٥ من ذي القعدة ١٤٣٥هـ

ترجمة مؤلف الكتاب
السيد العلامة علوي بن طاهر الحداد[1]
(١٣٠١-١٣٨٢هـ)

اسمه ونسبه: هو العلامة المحدث، الفقيه المفتي، المؤرخ المتقن، السيد الشريف، علوي بن طاهر بن عبد الله الهدار بن طه بن عبد الله بن طه بن عمر بن علوي بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد الحداد بن علوي بن أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمن بن علوي بن محمد صاحب مرباط بن علي خالع قسم ابن علوي بن محمد بن علوي بن عبيد الله بن المهاجر إلى الله أحمد بن عيسى بن محمد النقيب بن علي العريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن السبط الشهيد الحسين بن علي بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. وابن الزهراء فاطمة بنت رسول الله محمد ﷺ.

مولده ونشأته: اتفق مترجموه على أنه ولد في بلدة قيدون من وادي دوعن بحضرموت، سنة ١٣٠١هـ كما سمعوه منه مباشرةً، قال الشيخ حسن المشاط المكي: «وسألتُ السيدَ عن عام ولادته، فأفادني بأنه عام ١٣٠١هـ ألف وثلاثمئة وواحد». وهذا التاريخ الذي ذكره الشيخ المشاط هو المطابق لما وجدته بخط صاحب الترجمة.

---

(١) أهم مصادر ترجمته: الحبشي، الدليل المشير: ص ٢٣٥-٢٦٩؛ المشاط، الثبت الكبير: ص ١٨٢؛ ابن حفيظ، منحة الإله: ص ٤٠٣؛ الجنيد، العقود الجاهزة: ص ٢٣٤؛ المشهور، شمس الظهيرة، بتعليقات ضياء شهاب: ٢/ ٥٥٦؛ المؤلف، نور الأبصار، مع ذيله: ص ١١٦-١٢٢. وبقية المراجع ستذكر في موضعها.

زاد العلامة أبو بكر الحبشي تاريخ مولده تحديداً بأنه كان في «يوم الجمعة، وقت صلاة الجمعة، أو بعد صلاتها، سادس عشر شوال»[1]. وعند ولادته لم تكتحل برؤيته عينا والده، إذ كان قد غادر البلاد، وسار باتجاه شرق آسيا متطلباً إقامة الأسباب المعاشية، ولم يلبث أن وافته منيته في مدينة سورابايا وعمر ابنه المترجم لم يجاوز السنة، فنشأ في حجر والدته يتيم الأب، وعاش في كنف أخواله السادة آل عيسى الحبشي، وكانوا من أعيان بلدة قيدون، وكانت الفتيا والقضاء في بيتهم. كما غمره، وأخاه عبد الله، الذي يكبره بخمسة أعوام، شيخُ البلدِ، وعينُ أعيانها السيدُ العلامة طاهر بن عمر الحداد، وابنُه العلامة محمد ابن طاهر، بالعناية التامة، والرعاية الصادقة الكاملة، فلم يشعرا باليتم والحرمان. وعُوِّض الغلامان عن أبيهما بآباء أحسنوا تربيتهما وحدبوا عليهما.

طلبه العلم:

وحبب إلى صاحب الترجمة العلم من صغره، ورزقه الله تعالى من مواهبه العظيمة ذهناً صافياً، وعقلا واعياً، وحافظة نادرة، فأقبل على المتون العلمية الدراسية فحفظها وأتقن حفظها، حتى أنه حفظ القرآن الكريم، ومعه «ألفية ابن مالك» في ظرف ثلاثة أشهر فقط! وطالع الكتاب العظيم «إحياء علوم الدين» وهو لم يجاوز الثانية عشرة من عمره.

وكان طلبه للعلم وهو دون البلوغ في بلده قيدون، مسقط رأسه، وفي بلد حوطة أحمد بن زين المعروفة تاريخياً بخلع راشد، حيث أخوالُ أبيه السادة آل أحمد بن زين

---

(١) الدليل المشير: ص ٢٣٥. وعليه؛ فقول مؤلف «تشنيف الأسماع»: أنه ولد سنة ١٣٠٠هـ تقريباً؛ قولٌ غير صحيح، والصوابُ ما تقدم. وأغرب منه ما ذهب إليه السيد طاهر بن علوي، ابن المترجم له، حيث أرخ مولد أبيه بسنة ١٢٩٠هـ، وورد هذا التاريخ في (ص ٣) من الترجمة التي كتبها السيد طاهر لأبيه في مقدمة الطبعة الأولى من كتابه «المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى»، الصادرة عن دار الفكر الحديث بالقاهرة، سنة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م. ينظر: باذيب، أضواء على حركة طباعة التراث: ص ٩١، ٩٢ الهامش ١.

الحبشي، وهناك أدرك جده، خال أبيه، والقائم بمنصب آبائه، العلامة قاضي شبام، الحبيب عبد الله بن محمد بن أحمد بن جعفر بن أحمد بن زين الحبشي، وجماعة من أقرانه ومعاصريه، وتسنى له التردد على بلدة الغرفة، فأدرك بها مسند حضرموت، الإمام الجليل، عيدروس بن عمر الحبشي. ثم عاد الى قيدون وأكمل اشتغاله على الشيخ الفقيه عبد الله ابن أبي بكر الخطيب باراسين، المعروف بالمرحُم، وعلى الشيخ عمر بن سعيد الخطيب، والشيخ العلامة أبي بكر بن أحمد الخطيب التريمي، الذي استقدمه الحبيب طاهر بن عمر الحداد الى قيدون لتدريس أبنائهم، وكان شيخه الحبيب طاهر يشجعه باستمرار، ويأمره بالتصدر للتدريس في مسجد الشيخ سعيد العمودي.

المؤلف يتحدث عن بداية طلبه العلم:

قال رحمه الله: «ومنذ صِغري إلى أن بلغتُ الحادية عشرة من السنين، ما أذكر أني رأيت طالب علمٍ يحملُ كتاباً ليذهبَ به إلى مدْرس. ولما خرجتُ سنة ١٣١٢ إلى خلع راشد، وأنا غلامٌ، لزيارة جدتي وأعمامي، رأيتُ الغلمانَ من أترابي عندَهم حركة لطلب العلم، فغِرتُ منهم، وابتدأتُ في قراءة المختصرات الصغيرة عند الحبيبِ العلامة عبد الله ابن محمد بن أحمد الحبشي، والحبيب العلامة عبد الرحمن بن حسَن الحبشي، وغيرهما.

فلما رجعتُ عدت إلى اللعبِ مع غلمان أهل البلد، ثم مررتُ مرةً بالمسجد، فرأيت كتاباً موضُوعاً عند المطاهِر، على محل مرتفع، ففتحتُه، وأخذتُ أقرأ طرته، فصاح بي صاحبه، وهو يتطهّر في أحد بيوتها. ثم خرج، فسألتُه: هل يقرأ درساً فيه؟ وأين يقرأه؟

فدلّني على المسجدِ، المسمّى بمسجد العموديين، وأنّ فيه الشيخ عبد الله بن أبي بكر المرحُم الخطيب. فبكرتُ إليه اليوم الثاني، فوجدتُه قد فرغَ من الدرس، فسألني عن نسبي وعن حاجتي. فأخبرته أني أريد التعلم، فأشرقَ وجهه وتهلل، وأخذ يمدح لي العلم، ويذكُر لي الآيات والأحاديث الواردة في فضله.

وذكر لي: أنه كان يطالع مع والدي إلى هدأة من الليل، وقتما كانا يقرآنِ عند الحبيب العلامة أحمد بن عبد الله بن علوي باعقيل. وعلى هذا الشيخ قرأتُ المختصراتِ، وما فوقها، إلى أن ختمتُ «المنهاج»، وحفظت عليه المتون.

وكنت أرى نحو ثلاثة نفر يأتونَ إليه للقراءة، فكانوا يخبئون كتبهم مخافةَ التعيير. ولقد لقيتُ من أترابي ومن هو أسنُّ منهم من التعيير القاذع، والتنقيب، ما يوهنُ أشدَّ الهمم. وكان المتحذلقُ منهم يقول لي: ماذا تريدُ من طلب العلم؟ إنه سيكونُ عليكَ إثمه إذا لم تعمل به، وأنا قد كنتُ من قبلُ مواظباً على السنن، فخيرٌ لك أن لا تطلبه حتى لا تتركَ الطلب فيما بعد. وقد ألحوا عليّ حتى عفتُ مجالسهم واللعبَ معهم أوقاتَ الفراغ، وصرفَ الله همتي إلى التشاغل بالمطالعة.

حتى عاد شيخُنا الحبيب محمد بن طاهر من بعض أسفاره، ومعَه أخي، وأقام الدروسَ في الكتب الكبيرة، في التفسير، والحديث، والتصوف، ولنا في الفقه، واستقدم شيخَنا، الشيخ العلامة، الفقيه النحوي الصوفيَّ، أبا بكر بن الشيخ العلامة أحمد بن عبد الله الخطيب التريميَّ، ليقيم لنا الدروس، ففقَأنا عيونَ المعيِّرين والمغيِّرين، بحمل الكتب والتجوّل بها من درسٍ إلى درسٍ»[١].

وقال في سياق ترجمة شيخه طاهر بن عمر الحداد (ت ١٣١٩هـ): «.. إذا خرج إلى صلاة الظهر، جلس في المسجد لأداء أورادِه، من صلاةٍ وذكرٍ، فلا يعود إلى البيتِ إلا بعد الساعة الحادية عشرة قبل الغروب، وهي الخامسةُ عند من يعُدُّ الساعةَ من الزوالِ.... وكنا نأتي إليه الساعةَ الرابعة نهاراً، أي قبلَ الزوال، فنقرأ في محفوظاتنا، وفي بعض المختصرات. وقرأتُ عليه في «المقدمة الحضرمية»، مع «رسالة المريد». وكنت أقرأ علَيه في مرض مَوته في «مكاتبات» جده الحبيب عبد الله الحداد»[٢].

---

(١) الشامل: ص ٧٩٠.

(٢) المصدر السابق: ص ٨٧١.

وقال في ترجمة شيخه محمد بن طاهر الحداد (ت ١٣١٦هـ): «.. واشترى شيخُنا المذكور داراً ببلدة صُبَيخ،... وكنا نقرأ عنده في «الإقناع» وغيره، أنا وأخي عبد الله، وابنه علوي. وسار مرة إلى حضرموت وأمرنا بالبقاء هناك إلى رجوعه»(١). وقال: «.. وبجانبه مسجدٌ ينسب إليه، وبه غرفة واسعة، كنا نطالع فيها ليلا أيامَ صحبتنا لشيخِنا الحبيب محمد ابن طاهر، الآنف الذكر.

أخبر السيدُ الصالح أحمد بن محمد الصافي الجفري، الحادي، وكان كثير التردد إلى شيخنا الحبيب محمد، ويمكث عنده أياماً يحدُو له، قال: أشرفَ الحبيب محمد بن طاهر ليلاً من داره بصُبَيخ، وأنا عنده، فرأى السراج في غرفة المسجد.

فقال: هذا علوي يطالع، وسيكون عالم قيدون.

فلما دخلتُ جاوة، واجتمعت بالحبيب محمد بن أحمد المحضار، السابقة ترجمته عند ذكر القويرة، قال لي بعدما واجهته: بلغَني أن الحبيب محمد بن طاهر قالَ كذا وكذا، وقلتُ أنا: إنه عالم حضرموت كلّها، لا قيدون وحدَها. فنسألُ الله أن يحقِّقَ لنا ما تفرَّسُوا، وينفعَنا بما علّموا وغرَسُوا»(٢).

وتحدث عن المجالس العلمية التي حضرها في صغره، فقال في ترجمة شيخه طاهر بن عمر الحداد: «... لما مات ابنُه الحبيب محمد، وكان قد ترك دَيناً كثيراً، أرسل إلى شيخنا الحبيب أحمد، وإلى الحبيب حسين بن محمد البار، فجاءوا إلى الرِّشِه، محل نخله، ليشاورَهم. وكان خرج إليها للتخرُّف. ووافق ذلك مجيءُ السيد البقية حسن بن محمد بن إبراهيم بلفقيه، والحبيب العلامة محمد بن سالم السري، ومعهم حاشيةٌ وأبناء، ومكثوا مدةَ نحو نصف شهرٍ. وكنت قارئَ القوم، وكلما احتاجوا إلى بحثِ مسئلةٍ، أرسلوني،

---

(١) الشامل: ص ٩٧٧.

(٢) المصدر السابق: ص ٦٨٥.

فجئتُ بالكتاب المطلوب من البلدِ، من خزانة شيخنا الحبيب محمد، وانعقدت مجالسُ زاهيةٌ زاهرة، بأولئك الشيوخ، ذوي التقى والرسوخ، في تلك الأيام، سقى الله عهدها»[1].

تصدره للتدريس:

ولم يلبث أن قام بالوعظ والإرشاد وهو بعد في سن العشرين. ففي هذه البيئة العلمية الصافية النقية، كانت النشأة، وكانت التربية، وكان صقل المواهب.

قال رحمه الله في شرح حاله في تلك السن المبكرة: «وابتدأنا في إلقاء الدرس بعد صلاة الظهر إلى العشاء، إلى الساعة الرابعة (العاشرة) ليلا، وذلك في حدود سنة ١٣١٧هـ. وسُرَّ بذلك شيخنا الحبيب طاهر بن عمر، وأجرى للدرسِ الليلي قهوةً يصنعها أحدُ الحاضرين». ثم ساق بعض الحوادث والأذايا التي قاساها في مهمته التعليمية، وما تبع ذلك من أمور ألجأته إلى السعي في بناء رباط للعلم في بلده، مما سيأتي ذكر بعضه.

شيوخه: يمكننا تقسيم شيوخه إلى طبقتين:

الطبقة الأولى: طبقة شيوخ التخريج والاستفادة والتربية.

الطبقة الثانية: طبقة شيوخ الإجازة العامة.

شيوخ الطبقة الأولى:

فأما أهل الطبقة الأولى، فهم الشيوخ الذين درس عليهم في بلده قيدون، وعاش ودرج بينهم، وتكونت معارفه الواسعة في رحابهم وأكنافهم. وقد فصّل ذكرهم وأخذه عنهم في كتابه «الخلاصة الشافية»، ولخصه وزاد عليه من لفظه تلميذه العلامة أبو بكر الحبشي في «الدليل المشير»، فهما مصدر ما يأتي.

---

(١) الشامل: ص ٨٧٥.

[١] أولهم الإمام العابد الزاهد، الراكع السجّاد، الحبيب طاهر بن عمر بن أبي بكر الحداد، الذي اعتنى بتربيته وتربية أخيه العلامة عبد الله بن طاهر من صغرهما، فألزمهما دخول المكتب لتعلم القرآن وتعلم الكتابة ولزوم الجماعات، وحضور الحزوب والأوراد والرواتب، ومنعهما من الاختلاط بالأضداد، وألزمهما في أيام صغرهما أن لا يتجاوزا في لعبهما بيتّه وما حوله، والمسجد. عرَض عليه محفوظه من المتون، وقرأ عليه «المختصَر الصغير»، و«المقدمة الحضرمية»، و«رسالة المريد» للإمام الحداد، ونحو نصف «المكاتبات» له، وألبسه وأجازه لفظاً وخطاً بأسانيده، ولازمه إلى وفاته سنة ١٣١٩هـ.

[٢] ومنهم ابن المتقدم، السيد العلامة الجواد، الذي تضرب بجوده الأمثال، محمد ابن طاهر الحداد (ت ١٣١٦هـ). لازمه مدة طويلة، وقرأ عليه في «الإقناع»، وحضر قراءته لصحيح البخاري، وحصصاً من «سنن الترمذي»، و«الإحياء»، وبعض كتب التصوف كـ«السلسلة القدوسية»، وغيرها. وليست له منه إجازة.

[٣] ومنهم عمه الحبيب صالح بن عبد الله بن طه الحداد (ت ١٣٥٢هـ)؛ أجازه عامةً، وانتفع به وصحبه في قيدون مسقط رأسه، وفي بلدة نصاب بلد هجرته وإقامته.

[٤] ومنهم الشيخ الصالح الفقيه عبد الله بن أبي بكر باراسين، الخطيب القيدوني، المعروف بالمرحِّم، قرأ عليه في كتب الفقه من المختصرات إلى المطولات كالمنهاج، وفي النحو: من «الآجرومية» إلى «المتممة»، وهو من شيوخ تخريجه.

[٥] ومنهم الشيخ العلامة عمر بن سعيد باراسين الخطيب القيدوني، قرأ عليه علم الفرائض، و«المتممة» في النحو، و«الألفية» إلى باب الاستثناء، وحضر محاوراته ومباحثاته.

[٦] ومنهم الشيخ العلامة المفتي المدقق، أبو بكر بن أحمد بن عبد الله الخطيب التريمي (ت ١٣٥٦هـ). اشتغل عليه بالطلب ليلاً ونهاراً مدّة سنتين، في علمي الفقه

والنحو، وسمع منه بقراءته على الحبيب الإمام طاهر بن عمر الحداد: «الشمائل النبوية»، لأبي عيسى الترمذي، ومجموع كلام الإمام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط. قال عنه شيخه المذكور: «قرأ على العبد الفقير في صِغره طرفاً صالحاً في مبادئ العلوم، أيام زيارتي وعكوفي في حضرة سيدي الإمام الجليل، القانت الخاشع، والناسك الخاضع المتواضع، أعبد أهل زمانه، باتفاق أهل قطره وأوانه، شيخنا كعبة القصاد، طاهر بن عمر ابن أبي بكر الحداد، وابنه السيد العارف الأمجد، محمد بن طاهر الحداد».

[٧] وأجلّ شيوخه بعد من تقدم، السيد الإمام الجامع المتفنن، الحبيب العلامة أحمد بن حسن العطاس (ت ١٣٣٤هـ). قرأ عليه الكثير الطيب في مختلف الفنون في الفقه والحديث والتفسير والتاريخ والتصوف. منها: «تفسير ابن كثير»، والصحاح الستة، و«رياض الصالحين»، و«بلوغ المرام»، و«الجامع الصغير» للسيوطي، وبعضاً من «شرح العيني على البخاري»، و«الشفا» للقاضي عياض، و«المدونة» للإمام مالك في ثمانية مجلدات، و«زاد المعاد» لابن القيم، و«حصر الشارد في أسانيد الشيخ محمد عابد» بأكمله، وكتاب «السمط المجيد» للقشاشي المدني، وجميع مسلسلات الكتاب المسمى «الضوابط الجلية في الأسانيد العلية» للشيخ عبدالله الفرغلي، و«معجم البلدان» لياقوت الحموي بأكمله، وكتاب «النخبة الأزهرية في علم الجغرافية».

أجازه شيخه المذكور مراتٍ متعددة، وأخذ عنه الإلباس، والمصافحة، والمشابكة، ومناولة السبحة، وغير ذلك. وكان يقدمه على العام والخاص.

شيوخ الطبقة الثانية:

فممن انتفع بهم في صغره، وتردد عليهم، من أهل وادي دوعن:

[٨] الشيخ الفقيه المعمر عمر بن محمد بن عثمان (ت ١٣٢٥هـ تقريباً)، ساكن

هدون. زاره سنة ١٣١٨هـ وكان عالي الإسناد، روى عن الشيخ عمر العطار المكي، وعبد الرحمن بن محمد الكزبري الحفيد، والسيد عبد الرحمن بن سليمان الأهدل.

[٩] والسيد الولي الصالح عبد الرحمن بن محمد الخرد (ت ١٣٣٨هـ)، تردد عليه، وأجازه، وكتب له الإجازة بيده، وألبسه.

[١٠] ومنهم: العلامة السيد حسين بن محمد بن عبد الله البار (ت ١٣٣٠هـ)، أخذ عنه إجازةً عامةً.

[١١] ومنهم: العالم الداعي إلى الله السيد زين بن أحمد خرد، قرأ عليه تبركاً، وأجازه.

* وللمترجم رحلات علمية، للأخذ عن علماء وشيوخ وادي حضرموت الكبير، فزار تريم وسيون، وشبام، وله فيها أخبار، وشيوخ، منهم:

[١٢] العلامة مفتي الشافعية بمكة، السيد حسين بن محمد بن حسين الحبشي (ت ١٣٣٠هـ)، اجتمع به مراتٍ متعددة، منها لقاؤه به في دوعن سنة ١٣١٨هـ فحدثه بالحديث المسلسل بالأولية، وكتب له إجازةً ووصية. وقرأ عليه المترجم رسالة «الأوائل العجلونية»، وأجازه بها. واستمع لبعض محفوظاته، وأمره بالتوسع في العربية، ولما زار قيدون كان الشيخ أبو بكر بن أحمد الخطيب التريمي وقتَها موجوداً للتدريس، فحَثه على الاعتناء به.

[١٣] ومنهم أخو المتقدم، السيد الجليل الحبيب علي بن محمد بن حسين الحبشي (ت ١٣٣٣هـ). حضر مجالسه وسمع مواعظه، وألبسه مرتين أو أكثر، وكتب له ولأخيه عبد الله بن طاهر إجازة مطولة، وتردد على مجالسه، وكتب عنه بعض ما سمعه في بعض مقيداته، ومما رواه عنه: الحديث المسلسل بالمصافحة، والحديث المسلسل بإني أحبك.

[١٤] ومنهم السيد الفقيه العلامة المسندالحبيب محمد بن سالم السري التريمي (ت ١٣٤٦هـ)، زاره مع أخيه عبد الله بن طاهر، فأسمعهم الحديث المسلسل بالأولية،

والمسلسل بسورة الصف، وبأني أحبك، وبآخر سورة الحشر، وأكثر مسلسلات شيخه العلامة الشيخ محمد علي ظاهر الوتري المدني. وأجازهما عامة.

[١٥] ومنهم الشيخ الفقيه الخاشع أحمد بن عبد الله الخطيب التريمي (ت ١٣٣١هـ)، والد شيخه الشيخ أبي بكر الخطيب.

* كما لقي بعض الأشياخ في رحلاته وأسفاره خارج حضرموت، منهم من لقيه في مدينة عدن، ومنهم من لقيه في الحرمين الشريفين، فمنهم:

[١٦] السيد العلامة علوي بن أحمد السقاف المكي (ت ١٣٣٥هـ)، لقيه أيام نزوله في مدينة عدن، وأطلعه على بعض منظوماته، وحثه على حفظ بعضها، وأجازه عامة.

[١٧] ومنهماالسيد الجليل عيدروس بن حسين العيدروس (ت ١٣٤٦هـ)، اجتمع به في عدن، وأجازه عامة، وألبسه.

[١٨] ومنهم الشيخ العلامة المفتي محمد سعيد بابصيل المكي (ت ١٣٣٠هـ)، أجازه إجازة خطية في سنة ١٣٢٤ هـ باستدعاء أخيه العلامة السيد عبد الله بن طاهر.

* ومنهم جماعة استجاز منهم عبر المكاتبة، من أجلهم:

[١٩] السيد العلامة أبو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب الدين (ت ١٣٤١هـ).

[٢٠] العلامة السيدأحمد إدريسي بن محمد بن سليمان الأهدل (ت ١٣٥١هـ).

[٢١] العلامة السيد داود بن محمد بن عبدالله المرزوقي الزَّبيدي (ت ١٣٥٦هـ). أجازه عن شيخه السيد داود حجر القُدَيمي الزبيدي، بأسانيده.

[٢٢] المسند المعمر الشيخ العلامة الحسين بن علي العَمري الصّنعاني (ت ١٣٦١هـ). أجازه وأولاده عامةً.

[٢٣] إمام اليمن، المتوكل على الله، يحيى بن محمد حميد الدين (ت ١٣٦٨هـ).

[٢٤] العلامة السيد محمد بن الصديق البطاح الأهدل (ت ١٣٧٥هـ).

[٢٥] العلامة الشيخ محمد زاهد ابن الشيخ حسن بن علي الكوثري (ت ١٣٧١هـ). أجازه مكاتبة إجازة عامة، وأجاز أخاه عبد الله، وأولادهم وأحفادهم وأسباطهم.

[٢٦] العلامة السيد محمد عبد الحي الكتاني (ت ١٣٨٢هـ)، كاتبه وأجازه وأولاده.

[٢٧] الشيخ العلامة محمد راغب الطباخ الحلبي (ت ١٣٨٣هـ)، أجازه عامة وأولاده، وأخاه عبد الله.

شيوخ ذكرهم في «الشامل»:

[٢٨] السيد عمر بن أحمد الجيلاني، في الخريبة (ت ١٣٢٩هـ): «ومن أهل الصلاح والعبادة، والاستغراق في الله، والذهول عما سواه: الحبيب الصالح، العابد الزاهد العالم، عمر بن أحمد الجيلاني. كان من تلاميذ الشيخ عبد الله باسودان، وابنه الشيخ محمد، وكان رفيقَ شيخنا الحبيب طاهر بن عمر الحداد في الطلب... وضعَ مرةً يده على قلبي، إبّان الصغر، يدعو لي، فأحسستُ لها برداً دخل قلبي، وانتشر في سائر بدني»[1].

[٢٩] السيد عبد القادر بافقيه في قيدون: «لقيتُه مرةً في صغَري، فسألتُه أن يدعوَ لي بأن يفتحَ الله عليَّ في القرآن العظيم، وذلك حين ابتدأتُ في تعلمه، فكان كلما لقيني بعد ذلكَ يقول لي: «الله يفتح عليك في القرآن العظيم». وكان على وجهه أثر النور، وسيما العبادة والنسك، ووقار التقوى، رحمه الله تعالى، ولا أذكر سنة وفاته، ولكنها بعد العَشْر الأوّل من هذا القرن»[2].

---

(١) الشامل: ص ٥٨٧.

(٢) المصدر السابق: ص ٨٣٦.

[٣٠] خاله القاضي عبد الرحمن بن عيسى الحبشي: «بلغ الثمانين من عمره أو جاوزها، وهو حادّ الذهن. عرضَتْ لنا في قراءتنا عنده مسئلةٌ في الفرائض متعلقةٌ بعلم الجبر والمقابلة، فحلّها لنا من غير معرفةٍ له بهذا العلم. وقد أخذنا عنه، واستجزنا منه»(١).

[٣١] السيد محمد بن أحمد باعقيل (ت ١٣٢٧هـ)، قال عنه: «.. كنتُ آلفُه، وأحضر معه كثيراً على المطالعة، وأستعير بعض كتبه، وكان منعزلاً في بيته، لا يخالط أهل بلده، لتباين الطريقَة، فإن همَّه العلمُ، وهمهم الحرْثُ والبداوة، فيا بُعْدَ ما بينهما!»(٢).

هؤلاء أشهر شيوخه، وله شيوخ آخرون، لا نطيل بذكرهم، ولم أقصد استيعابهم هنا، وهم مضمّنون في كتابه «الخلاصة الشافية»، وفيه كفاية، يسر الله نشره.

براعته في العلوم:

قال فيه شيخُه العلامة أبو بكر بن أحمد الخطيب، في تقريظه على رسالته «ضوء القريحة»: «كيف لا ومؤلفها السيد السنَد، والكهف المعتمد، ذو الفهم الثاقب، والرأي الصائب، رضيع ألبان العلوم، الجامع للمنطوق والمفهوم، الكوكب الوقاد المشرقة شمس علوم في الحاضر والباد الداعي إلى طريق الرشاد.... ولقد كان عهدي بهذا السيد في عنفون شبابه وأبان طلبه عاكفاً على طلب العلم وتحصيله ومدمناً على مطالعة الكتب في بكره وأصيله... ثم جدَّ، أعني السيدَ علوي المذكور، بَعْدُ في الطلب، حتى نال غاية الأرب؛ فلذلك أظهره الله الآن بدراً مشرقاً وجعله طود علم محققاً لا سيما في الدعوة إلى الله وإلى سلوك سبيل خاصته وأوليائه فسبحان الله من منحه على صغر سنه ما تقدم به على أذكياء عصره، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»(٣).

---

(١) الشامل: ص ٨٥٦.

(٢) المصدر السابق: ص ٨٥٨.

(٣) نور الأبصار: ص ١١٦.

وقال فيه عصريه السيد العلامة عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف (ت ١٣٧٥هـ): «العلامة الجليل، علوي بن طاهر. علَمُ علومٍ، ونبراس فهومٍ.

ويُكْنَى باسْمِهِ عن فضلِ علْمٍ   وكل اسـمٍ كنايتُـه فـلانُ

فهو الخطيب المصقع والفقيه المحقق والمحدث النقاد وله في التفسير الفهم الوقاد، ومؤلفاته شاهدة وآثاره ناطقة». وقال السيد العلامة سالم بن حفيظ (ت ١٣٧٨هـ): «العلامة النحرير، والمناضل عن أهل البيت النبوي، والسائر في المنهج العلوي، والمتسع في كثير من العلوم، والقائم بوظيفة الفتوى في جُهور»[1].

وقال المؤرخ الأستاذ محمد ضياء شهاب: «هو السيد العلامة شيخ الإسلام...، الكاتب البليغ، والمؤرخ البحاثة، إذا خطب في موضوع جمع أطرافه، وعززه بالأدلة العقلية والنقلية. كان غيوراً على الإسلام مدافعاً عنه وعن آل بيت رسول الله ﷺ، متصلاً برجال العلم في كل مكان في العالم الإسلامي، مترفّعاً عن الاختلافات المذهبية». ووصفه مؤلف «تشنيف الأسماع» بقوله: «الشريف الحسيني، البحر الزاهر، ذو المكارم والمفاخر، الأستاذ الراوية المسند، الواعية الفقيه النحرير، الواعظ البليغ، المؤرخ الأديب الشاعر الكاتب، مفتي جوهور». ووصفه العلامة شهاب الدين المرعشي النجفي بقوله: «العلامة الفقيه، المحدث المتكلم البارع، الموالي لأجداده، النسابة المؤرخ»[2].

وجاء في ترجمته في كتاب «نور الأبصار»: «الإمام شيخ الإسلام خاتمة المحققين وبقية العلماء العاملين المدافع عن الدين والمنافح عن سنة سيد المرسلين، والسيف الصارم على المبتدعة والملاحدة والمجددين المنتحلين الحافظ المحدث المؤرخ العلامة المتفنن. حبّبَ الله للمترجم له المطالعة والقراءة، فكان يطالع المجلد الضخم في يوم،

(١) السقاف، إدام القوت: ص ٤٠٣.

(٢) المرعشي، الإجازة الكبيرة: ص ٢٥١-٢٥٨.

وكان الفجر يطلع وهو محتضن كتابه لا يدري أن الفجر قد حانَ، لاستغراقه واستعذابه. ووهبَ الله له من المواهب من الذكاء اللامع، والفهم الثاقب، والذهن المتوقد، والحفظ السريع، والفطرة الزكية، ما هيأه لما صار إليه من الإمامة في الدين، وطول الباع في العلوم، مع الاستقامة التامة، والورع والتقوى، وما جبل عليه من علو النفس، وكبر الهمة، وغيرها من الصفات والفضائلِ التي لا يتسمُ بمثلها إلا عظامُ الرجال، والأعلام المتقدمون.

برع رضي الله عنه في سائر العلوم والتفسير والحديث والفقه والتصوف والأصلين والأدب والتاريخ وعلوم الفلك والفلسفة، وجمع منها ما فاز بها على الأقران. وله في كل ذلك آثار دالة على بلوغه فيها الغاية، مع حسن الأسلوب، وجمال التعبير، وبلاغة الكلام، وقوة الحجة، ودقة الملاحظة، وقوة الإدراكِ، والاطلاع الواسع».

رحلاته ومآثره ووظائفه:

سافر رحمه الله ورحل إلى السواحل والحبشة واليمن والحرمين الشريفين وجَاوَا، فكان في رحلاته داعياً إلى الله ناشراً للعلم حاثاً على إظهار شعار الدين، ومساهماً في كل ما فيه نفع وصلاح للإسلام والمسلمين. واشتغل بالتدريسِ في المكلا وزنجبار وجاوا وغيرها. كان دخوله إلى بلاد الحبشة سنة ١٣٢٨هـ وسعى في بناء جامع (دِرْدَوَه) الشهير، وجامع آخر في أديس أبابا. كما وكان من الداعين إلى إقامة مدرسة بازرعة المعروفة في عدن.

ثم دخل جاوة سنة ١٣٣٦هـ زائراً، ثم عاد إلى حضرموت ودرس في رباط العلم الشريف الذي أسسه بمعونة أخيه في قيدون. ولما رأى الأمور والمضايقات تشتد عليه، هاجر من حضرموت إلى إندونيسيا، وكانت مغادرته النهائية في سنة ١٣٤١هـ، وقام بوظيفة الدعوة والتدريس في جزيرة جاوا. وكان أحد مؤسسي جمعية خير، ومدرسة دار الأيتام، بجاكرتا، وقد أسندت إليه زعامة الرابطة العلوية بها، وله مقالات نفيسة في مجلتها التي كانت تصدر كل شهرين، من عام ١٣٤٦هـ الى ١٣٥١هـ.

وفي سنة ١٣٥٣هـ أسندت إليه وظيفة الإفتاء في ولاية جُهور الشهيرة،من ولايات بلاد ملايا (ماليزيا)، بتولية من سلطانها إبراهيم ابن السلطان أبي بكر، سلطان جهور. ولقي من السلطان المذكور محبة ومبرة. فاستقرّ فيها، حتى أدركته المنية.

حجّ المترجم عدة مرات، منها سنة ١٣٣٩هـ وحجة أخرى سنة ١٣٦٨، هاتان الحجّتان ذكرهما السيد أبو بكر الحبشي في «الدليل المشير»، وله حجة ثالثة لم يذكرها، كانت سنة ١٣٧٤هـ وهي التي لقيه فيها العلامة حسن المشّاط، وفيها توفي السيد أبو بكر الحبشي رحمه الله.

مأثرة بناء رباط العلم الشريف بقيدون:

لعل أعظم مآثر المؤلف رحمه الله، مشاركته لأخيه العلامة عبد الله بن طاهر، في تشييد رباط العلم الشريف بقيدون، وكان قد تحدث في سياقه تاريخ (قيدون) التي ولد وترعرع فيها، حالتها العلمية التي آلت إليها في عصره، وتأسّف على تناقص طلبة العلم والفقهاء فيها. ولكنه لم يكتف بالتأسف والأسى، بل شمر عن ساعده، وجد في سبيل خدمة البلاد والوطن. في سياق تاريخ مدينة قيدون العلمي، توسع المؤلف رحمه الله، في ذكر أخبار عمارة رباط العلم الشريف، الذي سعى هو وأخوه العلامة السيد عبد الله في بنائه وتعميره، وتحدث عن المصاعب والأذايا التي اعترضتهم في سبيل البناء.

فتحدث أولاً عن الأربطة التي شيدت في حضرموت في القرن الرابع عشر الهجري، وهي: رباط تريم، ورباط سيون. وذكر أن شيخه العلامة السيد محمد بن طاهر الحداد (ت ١٣١٦هـ) كان عنده عزم على بناء رباط في قيدون، ولكن المنية لم تمهله، فتوفي قبل أن يبرز ذلك العزم. ثم تحدث بعض السادة آل باعقيل في شأن بناء رباط في قيدون، ولم يتم لهم ذلك أيضاً.

وشرح المؤلف رحمه الله، الأسباب الداعية لإنشاء رباط في بلدة قيدون، ومن أهمها وأبرزها: غلبة الجهل على البوادي المحيطة بقيدون، بل وانتشار الجهل حتى في أبناء البيوت العلمية الفاضلة، بسبب قلة المذكرين، وانتشار التعيير بطلب العلم، حتى أصبح طلاب العلم يتحاشون أن يظهروا أمام الناس وهم يحملون كتبهم، خشية أن يعيروهم ويتضاحكوا عليهم. وتقدم عند ذكر بدء طلبه العلم، بعض الأخبار التي يعلم من سياقها الحالة المزرية التي كانت سائدة في بلدة قيدون آنذاك.

ومن ذلكَ: أنه كان يمر ببعض العامة وهو يحمل كتب شيخه الحبيب محمد بن طاهر، فيسمعونه ما يؤذيه، قال رحمه الله: «مررتُ بمقعدٍ فيه جماعةٌ في طريقي إلى العَرْض، موضعِ الدرس، عشيةً، أحملُ الكتب التي يقرؤها شيخُنا الحبيب محمد، فما حاذيتُ هؤلاء، قال لي أحدهم بوجه عابسٍ: ما رأينا خيراً من يوم (منذ) رأينا كتبكم هذه. فقال لنَا الرجلُ ما قالته الأممُ لأنبيائها صلواتُ الله عليهم، لما تطيَّروا لما جاؤوهم به من الدين». ثم ساق أخباراً أخرى، مما قاساه هو في سبيل تعليم أبناء البلدة، وسعيه في استخراج الأوقاف التي أوقفت منذ القديم على طلاب العلم.

قال رحمه الله: «وكانت حولَ المسجد غرفٌ خالية، استحوذَ على أقاليدها رجالٌ ليسُوا بطالبي علم فيحتاجون إليها لوضْع كتبهم، ومطالعة دروسهم، ونسخ الفوائد، وانتظار أوقات درسٍ أو جماعة، وربما مرَّ على أحدهم عشرُ سنين فأكثر لا يطرق فيها الغرفة، ولكنّا تحصلنا إبانَ الطلب على إحداهن، ثم نقلنَا إلى أخرى. ثم أردنَا إلقاء درس لبعض الطالبين، فطلبنا مفتاح أكبر الغرف، فتحصلنا عليه بعد وسائط، وأقمنا فيها خزانةً بمساعدة بعض رفقائنا من آل العمودي، وابتدأنا في إلقاء الدرس بعد صلاة الظهر إلى العشاء، إلى الساعة الرابعة (العاشرة) ليلا، وذلك في حدود سنة ١٣١٧هـ».

انقطع المؤلف عن سرد أخباره بين عامي ١٣١٩هـ، و١٣٢٢هـ، حيثُ كان مسافراً حينها إلى شرق أفريقيا، وأقام قرابة الخمس سنوات متنقلاً بين بلدان الحبشة، والصومال، وجزيرة زنجبار عاصمة جزر القمر.

عاد بعدها إلى بلده ومسقط رأسه قيدون. واستأنف عقب عودته إلقاء الدروس في المسجد الجامع، ولكن الأذايا زادت هذه المرة، قال رحمه الله: «ولما ابتدأتُ في إلقاء الدروس بالمسجد، أوذيتُ، وأوذيَ طلبةُ العلم بما يطولُ شرحه. وكنت قد اعتنيت بجمعهم وتألفهم، وجلبتُ لهم ما يسرُّهم من الدفاتر والأُزُر، وساعدَني على ذلك السيدان النجيبان، الكريمان الفاضلان، القمرانِ النيران، حامد بن علوي البار، وحسنُ بن عبد الله الكاف. فكان بعضُ المخذولين الصَّادّين، يجمع أبناء المكتب (العُلمة) ويعلمهم أراجيزَ، ويقيمُهم حولنا يرتجزون، فعطّل علينا الدرس، وشغلَ الطلبة عن الاستماع للتقرير، ثم كان يعترضُهم، ويتهددهم بالإيقاع بهم إن لم يمتنعوا من حضور الدرس، ومن لم يمتنعْ منهم تهدّد أباه، ومن لم يمكنه أن يهدّد أباه سلطَ عليه بعضَ أقرانه من غوغاء البلدِ ليؤذُوه ويعيّروه».

أقام المؤلف في بلدته ست سنوات. ثم نزعت نفسه إلى معاودة الأسفار، فسافر صحبة أخيه السيد العلامة عبد الله بن طاهر، سنة ١٣٢٨هـ، إلى جاوا، وأقام المؤلف في مدينة سربايه مدة، نشط خلالها في السعي لبناء وتأسيس مدرسة لأبناء المهاجرين العرب، وهي (المدرسة الخيرية بسربايه)، ونجح في مساعيه، وأثمرت جهوده تلك إنشاء المدرسة، التي أصبحت فيما بعد، منارة من منارات الهدى والنهوض في شرق آسيا.

قال رحمه الله، بعد أن ساق شيئاً من تاريخ تلك المدرسة: «والمقصود؛ أن نجاحَ السعيِ في إنشاء تلك المدرسة قوّى العزمَ على أن نبني الرباط بقيدون، ويضافُ إلى ذلك ما يخالج قلوبَنا من السعي في نشر العلم، والدعوة إلى الخير، بما نتلوهُ من الآيات والأحاديث في فضْل ذلك، وبما غرسَه الأشياخُ في قلوبنا من الترغيب في ذلك والحثّ عليه».

مباشرة المؤلف وأخيه السعي في بناء الرباط:

نترك الكلام للمؤلف رحمه الله، يحدثنا عن حيثيات سعيه لبناء رباط العلم الشريف بقيدون، فيقول: «رجعنا من سَفرنا إلى جاوة أنا وأخي ختامَ سنة ١٣٢٩، ووصلنا بندر المكلا مفتتحَ سنة ١٣٣٠، وكان العزمُ قوياً عندنا على إنشاء رباط العلم الشريف. وفي أواسط شوال من تلك السنة، عزَمنا لزيارة حريضة، ومن بوادي ابن راشد من السَلف أحياء وأمواتاً، وفي نيتنا الاستشارةُ في ذلك.

وكان معنا الحبيب عبد الرحمن بن محمد الحداد، فمكثنا في حريضَة ثلاثة أيام، في بيت شيخِنا الإمام المؤتمن، شهاب الدين أحمد بن الحسن بن عبد الله العطاس، وعرَضْنا عليه الأمر. فقال: همة مباركة، ونية صالحة. وأشار بالاستشارة، وعرْضِ الأمر أيضاً على العارف بالله الإمام الحبيب علي بن محمد الحبشي.

ولما تكلمتُ معه في ذلك بحضرة أخي، والحبيب عبد الرحمن، والحبيب عمر بن محمد مولى خيله، تهلّل وجهه، واستبشَر، ودعا وبشر، ونطق بكلماتٍ في ذلك كالدر المنظوم، قوَّى بها العزم، وحثَّ على النهوض، والقيامِ في ذلك. وخص بالدعاء وعمّ.

ورجَعنا من حضرموت عازمين على ابتداء العمل، وأصْعد اخي إلى دوعن، فاجتمع بالحبيب الزكيِّ السريرة، والمسارع إلى الخير على بصيرة، حامد بن علوي بن عبد الله البار، فتبرعَ بألفِ ريال، بعد أن عرضَ أن يقوم ببناء الرباط، والقيام بأوقاف له ونفقاتٍ، على أن يكون ببلد الخريبة، وننقلَ معاً إليها من قيدون، فاعتذر إليه أخي بما اعتذر. وكان الحبيب المذكور مفتاحاً من مفاتيح الخير، وسنَّ بعمله سنةَ الخير، فكان له بذلك أجرُ من عمل بهــا إلى يــوم الدين. ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد ٢١، الجمعة ٤].

المتحصَّل من التبرعات للرباط:

ثم تحدث، رحمه الله، عن التبرعات التي أعقبت تبرع السيد حامد البار، رحمه الله، مما نتج عنه توفر مبلغ لا بأس به، أمكنهم وقتذاك من شراء ثلاثة بيوت ووقفها على الرباط، فقال: «ثم تبرع بعد ذلك عدد جمّ من الناسِ الراغبين في الخير، بالقليل والكثير، تقبلَ الله منهم أجمعين. فمِن ذلك ما دخل في عمارة الرباط، وهو نحو خمسة آلاف، ومنها ما دخل في شراء بيتين له في سنقفورة، وبيتٍ له في بتاوي. وليس عندي الآن قائمةُ الاكتتابِ لسنقفورة وجاوه، لأثبتها هنا، ولكني أذكر هنا ما تحصل من غيرها، على ما أتذكر الآن:

١ـ تبرع الحبيبُ حسن بن عبد الله الكاف بألف ريال، ثم بأربعمئةٍ لإصلاح المطاهر.

٢ـ والشيخ عمر بن سعيد بن أحمد آل دحمان بازرعة وإخوانه بألف روبية، ثم بخمسمئة ريال في بناء المسجد.

٣ـ والشيخ محمد بن عمر بازرعة بألف روبية.

٤ـ والشيخ محمد باصهي بأربعمئة روبية.

٥ـ والسيد محمد بن عمر بن علوي باعقيل بخمسمئة روبية جاوية، أو خمسمئة ريال.

٦ـ وتبرع السلطان الكريم عبد الكريم بن فضل العبدلي بألف روبية.

وغير هؤلاء، كما هو مذكورٌ في قوائم الرباط، وحساباتها».

شراء بيوت ووقفها لصالح الرباط:

قال: «وكان المتحصلُ من المتبرعين بسنقفورة: ٤٥٠٠ ريال، والمتحصَّل من سربايه وبتاوي وغيرهما على يد أخي، والحبيب علوي بن محمد الحداد: ٨١٦٠ روبية. والمحوَّل به إليهم من عندي عندما كنتُ بعدن: ١٧٤٢ روبية جاوية، ثم ٤٤٠٠ روبية

يدخل فيها أكثرُ ما فصلته آنفاً». وتحدث عن شراء البيوت، قائلاً: «اشترَى الحبيبُ الفاضل، ذو النية الصالحة، والسرة الحسنة والمبرات، عيسى بن عبد القادر بن أحمد الحداد بيتين في سنقفورَه باسم الرباط، كان ثمنهما ٦٦٠٠ ريال بوروم، من جملةِ ما ذُكر، وما بقي جعل في بيت بتاوي، الذي اشتراه الشيخ الراغبُ في الخير، والساعي إليه، أحمد بن عبد الله بن سعيد باسلامة».

الشروع في عمارة الرباط:

قال رحمه الله: «كان الابتداءُ في ذلك يوم الخميس، لثلاث من شهر محرم فاتحة سنة ١٣٣١»، وذكر أن الشيخ صالح بن عبد الله بن صالح بن مطهر العمودي، منصب آل العمودي في بضه، قدم إلى قيدون لزيارة جدّه، مع حاشيته، أثناء تلك السنة، وكان قد تمت تسوية ساحة الرباط، وتعديلها، فحضر ومَن معه عشيةً، وجلسَ فيها متهلّلاً وجهه. وأخذ يصبّرنا على ما نلاقي، وقال: لا تحزنُوا لما تسمعونه من هؤلاء. يعني: المؤذين والمشاغبين. ثم تحدث عن زيارة شيخه العلامة الإمام أحمد بن حسن العطاس، والحبيب مصطفى بن أحمد المحضار، قائلا: «ثم جاء شيخُنا معه جماعة من السادة، والحبيب بدر النادي، وصدر الوادي، مصطفى بن أحمد المحضار، فنادى في أهل البلد بالاجتماع آخر النهار إلى ساحة الرباط، وجاء إليها ومن معه بعد العصر.

واجتمع الناس من أهل البلد وغيرهم من الغرباء، فقرأ شيخنا قصّة المولد، وفي أثنائه وعظَ الناس موعظة عظيمة، ونوّه بالرباط، وقال: «من أعان على هذه العمارة عاونه الله، ومن أصلح أصلحه الله، ومن غير غيَّر الله عليه». وأمرَني، فقمت فوعظتُ وبينتُ المقصودَ من بناء هذا المعهد، من نشْر العلم، وتبليغ دعوة سيد المرسلين، وإقامة شعائر الإسلام، وكل ذلك فرضٌ واجبٌ على عامة المسلمين، وحثثتُ على التعَاون في ذلك. ثم قرأ شيخُنا الدعاء، وألحقه بدعواتٍ عظيمة، خاصة وعامة. وقام فطاف في الساحة، وتتبع

قواعدها، وأساسها، وهو يتلو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[البقرة: ١٢٧]، تبركاً بهذه الآية، وبما فيها من الدعاء إلى الله، بتقبُّلِ ذلك العمل، وكرَّر تلاوتها، وكنا نتلوها معه».

معاناة جديدة:

في سنة ١٣٣٣هـ عرضت لهم قضية مع بعض المناوئين، بسبب نيتهم «شراءَ ساحاتٍ أخرى قريباً من الساحة الأولى»، وتيسر لهم ذلك بسعي وجهد بذله أخوه العلامة السيد عبد الله بن طاهر، «فاشترى أمكنةً أوسعَ من الساحة المتنازع عليها». وختم الحديث عن تلك الأحداث بقوله: «ثم نقصت تلك الأعمالُ، بعدَ سنة ١٣٣٤ نقصاً عظيماً، بعد مجيء الحمَّى الشديدة تلك السنة، فإنها أخذتْ أكثر رؤوس البلد من أهلِ الشر، وقدموا إلى الله بأعمالهم، وأصيب عدد من حزبه بأمورٍ أوهنَتْهُم، وشغلتهم، وذلك من عناية الله بالضعفاء من عباده المؤمنين به، والدفاع عنهم، وهو يتولى الصالحين، جعلنا الله منهم، آمين». وبعد أن استتبت الأمور، وانتظم الطلاب في الرباط، وأقبلوا عليه، ظلت أمور تشغيله والصرف عليه، والقيام بما يلزم للطلاب والمدرسين، الشغل الشاغل للمؤلف ولأخيه، فتحركا في سبيل إيجاد أوقاف تدر عليه دخلا يتناسب مع وظيفته العظيمة، فسار المؤلف إلى مدينة عدن، وجمع من بعض التجار هناك ما تيسر، كما قام أخوه السيد عبد الله، والسيد علوي بن محمد الحداد، في جاوة، بجمع ما تيسر لهم هناك.حتى توفر بأيديهم مبلغ مكنهم من شراء بيوت في سنقفورة وجاكرتا، كما تقدم في كلام المؤلف، قال: «اشتُرِيَتْ هذه البيوتُ سنة ١٣٣٧، عندما ارتفعتْ أثمان البيوت بتلك البلاد، ثم نزل الحاصلُ منها، ولا سيما الأكبر الذي ببتاوي، حتى لم يعُدْ حاصله يكفي ما للحكومَة. وظهر أنه لا يحصُل للرباط من ذلك إلا شيء يسير، غير كافٍ لحاجيٍّ ولا ضروريٍّ».

ثم بعد هجرة المؤلف الأخيرة إلى بلاد جاوة، سنة ١٣٤١هـ طلب منه أخوه العلامة عبد الله أن يكف عن السعي في شأن الرباط، « ولم أسع بعد ذلك مدة مقامي الطويل بالجهاتِ الجاوية في شَأنه، لأن أخي أمتعَ الله به كان قد أمرَني، لأمرٍ رآه، أن أُقصِرَ، فأقْصَرْتُ. وشغلَ هو في سفره مرةً بشأن إجراء ماء الغيل، كما تقدّم، فالله يفتح له باباً من أبواب فضله، وييسّر له من يتصدقُ عليه بما يقوم به، ويتمّ به ما أنشئ من أجله»[1]. ولعل ذلك أنه، أي: السيد عبد الله، رحمه الله، كان قد استقر به المقام في قيدون، وانقطع للتدريس فيه، وتربية الأبناء، مع قيامه بالمشروع العظيم لسقي قيدون، بجلب الماء إليها من بعض الشعاب القريبة، حسبما سيأتي تفصيله في الكتاب.

نبذة عن نشاط الرباط إلى سنة ١٣٦٧هـ(*):

خلال المدة التي أعقبت هجرة السيد المؤلف، رحمه الله، بين سنة ١٣٤١هـ وهي سنة هجرة المؤلف من حضرموت ومغادرته إياها، وسنة ١٣٦٧هـ وهي سنة وفاة أخيه العلامة السيد عبد الله بن طاهر، وهي ٢٦ عاماً، كان التدريس في الرباط قائماً على قدم وساق، يتولاه الحبيب عبد الله بن طاهر، ولما كثرت مشاغله، استقدم من الحوطة بعض أقربائه، وهو السيد العلامة محسن بن علي الحداد، وأوكل إليه تعليم أبنائه، وأبناء أخيه، المؤلف، الذين تركهم في البلاد، قبل أن يطلبهم للقدوم عليه. كما كان في الرباط طلبة قدموا من بلاد جاوة، منهم أبناء السيدين الكريمين: علوي وحسين ابني محمد بن طاهر الحداد، وبعض أبناء العرب المهاجرين، من آل بن سنكر، وآل باشميل، وغيرهم. كما كان عدد من آل العمودي وآل بافقيه وآل الحبشي يترددون على حلقات الدروس.

---

(١) الشامل: ص ٢٢١-٢٢٢.

(*) هذه النبذة كتبها/ السيد جعفر بن عبد الله بن طاهر الحداد.

فكان الرباط يؤدي دوره بانتظام، ولم يحدث في الأجواء ما يعكر الصفو، إلا اخترام المنية لكبير الرباط، وأحد مؤسسيه، السيد العلامة الحبيب عبد الله بن طاهر الحداد، سنة ١٣٦٧هـ وبوفاته فقدت قيدون ركنا ركيناً من رجالاتها، وعيناً من أعيانها. ولكن الرباط استمر مفتوحاً يؤدي دوره، وخلف الفقيدَ الكبير ابنُه السيدُ مصطفى، وعاونه بعض إخوته، كما كان للسيد العلامة عبد الله بن عبد الرحمن باعقيل، والشيخ أحمد المرحّم الخطيب، دور في الحفاظ على بقاء الحلقات، وتوليا التدريس مدة إلى وفاتهما.

وظلت الحلقات بين مد وجزر، إلى أن قامت الثورة على حكم السلاطين في الجنوب العربي، سنة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م. ودخلت حضرموت وبقية مناطق الجنوب في نفق مظلم، وغلب على الحكم النظام الشيوعي الملحد، فتم إغلاق الرباط وغيره من المعاهد والمدارس الدينية.

وضع الرباط بين ١٣٨٧هـ و١٤١٠هـ:

خلال هذه الحقبة الزمنية، التي امتدت ٢٣ عاماً، أي قرابة ربع قرن من الزمان، كان الرباط مغلقاً، ولم يقم بالتدريس فيه أحد، خوفاً من بطش الشيوعيين، الذين طالت أيديهم مبنى الرباط، واتخذوه مدرسة حكومية لتعليم البنات والبنين. وخلال هذه الحقبة العصيبة، كان نظار الرباط على صلة بأهلهم في قيدون، يتابعون أخباره، ويرقبون ما يجري من بعيد. ولم تنم أعينهم عن ملاحظته، والاهتمام بشأنه، مع الدعاء بالفرج وكشف الغمة، حتى أذن الله بزوالها. لقد حفظَ الله مبنى الرباط من أي تغيير أو هدم، وظل البناء قائماً على حالته الأولى التي أسسه عليها مؤسسوه، إلى أن قامت الوحدة اليمنية بين شطري اليمن الجنوبي والشمالي، وتخلصت البلاد من الحكم الشيوعي.

وضع الرباط ما بعد سنة ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م:

كان السيد المؤلف، رحمه الله تعالى، قد أودع وصيّته المتضمنة إقامة أولاده نظاراً على الرباط من بعده، وهي مؤرخة في جمادى الأولى سنة ١٣٦٩هـ/ مارس ١٩٥٠م، ومسجلة برقم (٤٠١٣) في المحكمة الابتدائية بالمكلا. ولكن تلك الوصية كانت غائبة عن الورثة، لتفرقهم في بلاد شتى، نظراً للظروف الصعبة التي عاشها المؤلف وأسرته عقب الحرب العالمية الثانية، حيث قام بنقل أفراد أسرته من بلاد الملايو إلى شمال اليمن، ثم انتقل بعضهم إلى عدن ولحج بعد ذلك، وذلك قدر من أقدار الله.

كان أبناء السيد المؤلف، المعينون بالنظارة على الرباط، هم: طاهر، وحامد، وعبدالله. وهم الذين كانو موجودين قبل زمن تحرير الوصية، وكان السيد طاهر قد عاش في عدن، وتوفي بها، سنة ١٣٩٤هـ فانحصرت النظارة في الأخوين حامد وعبدالله، والأخير عاجلته منيته في جدة سنة ١٤١٠هـ، ثم كانت وفاة أخيهم العلامة السيد حامد في جدة أيضاً سنة ١٤١٥هـ رحمهم الله أجمعين.

وكان أبناء عمهم العلامة الحبيب عبد الله بن طاهر، على صلة بهم في بلاد المهجر، خصوصاً السيدان مصطفى وجعفر، اللذين عاشا في كنفه في قيدون، كما التقيا بعمهما المؤلف، رحمه الله، ولهما إدراك لأكثر الشئون المختصة بالأب والعم، فطلب السيد حامد بن علوي، منهما الدخول في النظارة، فوافق السيد مصطفى، واعتذر السيد جعفر لانشغاله بأعماله. ثم أوصى السيد حامد بالنظارة لابنه السيد أحمد وابن عمه السيد مصطفى، وأرسلوا الوصية إلى المكلا بعد أن جددوها من السفارة، ولكنهم في المكلا طلبوا الوثيقة الأصل.

مساعدة السيد جعفر الحداد في شؤون الرباط:

في سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠؛ قام السيد جعفر بن عبدالله بن طاهر الحداد، برحلة

إلى شرق آسيا، زار خلالها جزيرة سنقفورة، وتوجه منها إلى جاكرتا. وقبل سفره، أخبر ابن عمه السيد العلامة حامد بن علوي بن طاهر، أحد نظار الرباط، بخبر سفره، فطلب منه أن يقوم بالبحث عن متعلقات الرباط من أوقاف وبيوت في تلك الجهات، وحمله له رسالة لذلك الغرض إلى وكيل أبيه، وتلميذه، مفتي سنقفورة الشيخ الفقيه، عمر بن عبد الله الخطيب (ت ١٤٢٦هـ). كان السيد جعفر بن عبد الله، حريصاً في زيارته على القيام بشيء يؤدي به بعض حقوق أبيه وعمه وأياديهما في خدمة العلم والدين، وكان حريصاً على الحث عن مؤلفات عمه الإمام، وإحضارها إلى البلاد العربية لنشرها وطباعتها، ثم أضيفَت إليه مهمة البحث عن دخل بيوت الرباط وحساباته لدى الوكلاء.

ثم عقب وصول السيد جعفر إلى سنقفورة، وتواصله مع الشيخ عمر الخطيب، توجه إلى مكتب السيد علي رضا السقاف، للاطلاع على وثائق الرباط التي كان الشيخ الخطيب قد أودعها لديهم، بعد أن كبرت سنه، وخشي ضياعها، فوجدها محفوظة، فأخذ عنها نسخة وسلمها عقب عودته إلى ابن عمه، الناظر، مع كشف حساب متعلقات الرباط. فاستبشر الناظر، السيد العلامة حامد بن علوي، بما تحقق على يد ابن عمه السيد جعفر، فطلب منه الانضمام الى مجلس النظارة، لكنه كان يعتذر بمشاغله الخاصة. ثم بعد وفاة السيد حامد بن علوي، سنة ١٤١٥هـ، رحمه الله، انتقلت النظارة، بوصية منه، إلى ابنه السيد أحمد بن حامد، وابن عمه السيد مصطفى بن عبد الله.

توثيق النظارة والوصية:

بعد استلامهما النظارة، أرسل السيدان مصطفى بن عبد الله وأحمد بن حامد الوصية المذكورة، بعد تصديقها من السفارة اليمنية بجدة، إلى المكلا للمصادقة والتوثيق، فرفضت الجهات المعنية التصدق إلا بعد إحضار الوثيقة الأصل. فلم يتم ذلك إلا عقب انضمام السيد جعفر بن عبد الله الى مجلس النظارة.

السيد حسين بن أحمد باعقيل، سبط العلامة علوي بن طاهر الحداد، ومن خريجي رباط قيدون، كان هو الآخَر، يقوم بتقديم مساعدات عينية للرباط، بين حينٍ وآخر، بِرًا بأجداده، ووفاءً لذلك المعهد الذي ترعرعَ بين جدرانه. ونظراً لما تربطه بالسيد جعفر من صلة قربى، فقد كرّر عليه طلبَ الانضمام الى نظارة الرباط، بعد وفاة خاله السيد حامد بن علوي، فتمَّ ذلك، واكتمل العقد، اللهم اجعل كل ما قام به هذا السيد حسين، في ميزان حسناته، وجازه عنا وعن أهله وأجداده خير الجزاء.

وكان من ضمن الوثائق التي تسلمها السيدُ مصطفى من المرحُوم السيد حامد بن علوي، وثيقةُ تأسيس الرباط، مصدَّقة وموثقةً لدى الجهات الرسمية بجاكرتا. واستعان بالسيد عيسى بن علوي الحداد، جزاه الله خيراً، الذي قام بإعادة تثبيت المصادقة مجدداً على الوجه الأكمل. وكان المرحوم السيد حامد قد طلب منه أن يقوم بالاطلاع على أوقاف الرباط التي في جاكرتا لدى الوكلاء، فبذل جهده ووقته وقام بتوثيقها وحفظها من الضياع. وليس بغريب على مثله القيام بتلك الأعمال الخيرية، والشيء من معدنه لا يستغرب، تقبل الله ذلك وجعله في ميزان حسناته.

وشرع السيد جعفر في البحث عن وصية عمه العلامة علوي بن طاهر، في محكمة المكلا، فعثر عليها واستخرجها بعد جهد كبير. وعقد مجلس للنظار بعد أن تمت تلك الخطوة. وتم إرسال صور من كافة الوثائق المتوفرة مع صورة وثيقة التأسيس الى صنعاء، وقام السيد عبد الرحمن بن عبد الله الحداد بمصادقتها في رئاسة الجمهورية اليمنية، وقام بواجبه أتم قيام، جزاه الله خير الجزاء.

مشروع ترميم الرباط
وتجديد البُنيّة التحتيّة في عهد النظّار، وهم: مصطفى عبد الله الحداد، وجعفر عبد الله الحداد، وأحمد حامد بن علوي الحداد:

بعد الانتهاء من التوثيقات وتثبيت النظارة بطرق رسمية صحيحة، توجه النظار الى إعادة إحياء وإعمار الرباط، بعد أن ظل مغلقاً ومهملا قرابة ٤٢ سنة.

وكانت البداية في سنة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، فاتفق الناظران جعفر بن عبد الله وأحمد بن حامد على الخروج إلى قيدون لتفقد الرباط، ثم حالت ظروف صحية دون خروج جعفر، وخرج أحمد بن حامد، وقام بإصلاح الدرج، وترميم الجدران الداخلية للرباط والمسجد، بكسوتها بالسيراميك، في نصفها التحتاني، وأنشأ غرفة جديدة خصصها للمكتبة، وجلب لها خزائن حديدية لحفظ كتب الرباط وذخائره. وقام بنقل كتب جده العلامة علوي بن طاهر الحداد من بيته الآيل للسقوط، الى خزائن الرباط، وكان الأخ محمد أبو بكر باذيب، الذي كان طالباً حينذاك في كلية الشريعة بجامعة الأحقاف، بتريم، ممن باشر وأشرف على عملية النقل والتخزين، التي استغرقت عدة أيام.

وفي عام ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م: خرج الناظر السيد جعفر إلى قيدون، بعد غياب ٤٢ سنة عن مسقط رأسه، فزار والده، وتفقد الرباط، واهتم بإعادة بناء مسجد الرباط، وتم قشع السقف بالكامل واستبدال خشبه القديم المتهالك بكمرات حديدة، واستبدلت الدعائم الكبيرة بدعامات أصغر، لتتسع الصفوف للمصلين، وأدخلت البركة (الجابية) القديمة ضمن المسجد فزادت مساحته أكثر من ٤٠م٢، وسقفت بحيث يستفاد منها كمخزن.

واستبدلت النوافذ القديمة بأخرى جديدة. واستحدث مطبخ للرباط، تم تزويده بكافة ما يحتاجه طلاب ونزلاء الرباط. بالإضافة الى تهيئة مغسلة للموتى، جهزت بالكامل، وقام بترميم أسقف المدارس العلوية، ومحضرة بن هادون، وإبدال الطيق المتهالكة القديمة بأخرى حديد مع الأبواب. كما تم رصف وسفلتة الشوارع أمام الرباط، وقام الناظر السيد مصطفى بالاتصال بحسن عبد الله الحداد، ودعمه بالماده للقيام برصف الشوارع أمام مدخل الرباط بالأسفلت.

وقف (طَاقِ السقاف) على الرباط:

بعد تمام الترميم، وإعادة تأهيل مبنى الرباط، رأى السيد جعفر عند وجوده بقيدون أن غرف الرباط لا تكفي لسكنى الطلاب الوافدين، وكانت هناك دار قريبة من الرباط، تعرف بطاق السقاف، وهو السيد أحمد بن عبد القادر بن محمد السقاف، وتلك الدار (الطاق) قد آلت بالإرث إلى ابنه السيد حسين بن أحمد بن عبد القادر السقاف وكريمته زوجة المرحوم السيد عمر بن حسين باعقيل. فتواصل السيد جعفر مع السيد محمد بن صالح بن علي باعقيل، الذي تربطه علاقات متينة بالمذكورين، وطلب منه القيام بعرض الأمر عليهم ليساعدوا الرباط بأي طريقة يرونها مناسبة. فتحرك السيد محمد باعقيل، واتصل بالورثة المذكورين، وقاموا بوقف تلك الدار (طاق السقاف) على رباط العلم الشريف، والمتبرعون هم الأبناء البررة: السيد سقاف والسيد مصطفى وإخوانهم وأخواتهم أبناء المرحوم السيد حسين السقاف، وورثة عمتهم، أبناء المرحوم السيد عمر باعقيل. وتسلم السيد جعفر وثيقة الوقف مصدقة من الجهات الرسمية، تقبل الله منهم ومن السيد محمد صالح باعقيل تلك الصدقة، وجعلها جارية لهم ولأجدادهم ووالديهم، حفظهم الله، وبارك فيهم، وجعل ذلك في ميزان حسناتهم، وفقهم الله لما يحبه ويرضاه.

وقام السيد جعفر بهدم الدار القديمة، وأقام مكانها مبنى حديث، من ثلاثة طوابق، بُنيت على الطراز الحديث، وجعل لها مدخلان، وتم تزويده بكافة ما يحتاجه النزلاء، وأصبح مهيئاً لسكن المدرسين والطلاب، وجُعل الدور الأول مسكن للمدير العلمي، والدور الثاني لدورس وتعليم الطالبات، والحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات.

وقد استقبل الرباط أعداداً من الطلاب من أبناء قيدون، ومن الوافدين عليها، بالتنسيق مع بعض الهيئات التعليمية، وأصبح تقام فيه حلقات لتعليم القرآن الكريم، وتدريس الفقه. وما تبقى في الرباط جدران المسجد من جهة الضاحي، وقد أرسلنا للابن حسن بن عبد الله الحداد المواصفات والتكاليف اللازمة، وكسونا الجدران بالرخام بارتفاع متر وستين سنتمتر، وتجديد الجدران كاملة، واستكملت ولله الحمد، وبهذا العمل يكون قد تم استكمال البُنية التحتية للرباط كاملاً. وعما قريبٍ، بإذن الله تعالى، سنقوم بكسوة جدران الرباط الخارجية بالرُّخام والنورة كاملاً، نسأل من الله المعونة والتيسير[1].

***

الآخذون عن المؤلف:

قال مؤلف «تشنيف الأسماع»: «تخرج بالمترجم خلائقُ لا يحصَون، وكان عليه الزحامُ شديداً وعند حضُوره للحرمين الشريفين يلتفّ حوله العلماء والطلاب للاستفادة والاستجازة. وممن استفاد منه، وروى عنه: السيد العلامة علوي بن شيخ بِلْفقيه العلوي، والعلامة حسن بن محمد المشاط المكي، والعلامة عمر حمدان المحرسي، والسيد

(١) انتهت النبذة.

العلامة علوي بن عباس المالكي، والعلامة السيد سالم آل جندان، مسند اندونيسيا، والعلامة السيد أبو بكر الحبشي، والعلامة مسند مكة الشيخ محمد ياسين عيسى الفاداني، والسيد العلامة محمد بن أحمد الحداد، والسيد عبد الله بن عبد القادر بلفقيه، وغيرهم».

ومن كبار الآخذين عنه وأخصهم به: السيد العلامة الحبيب أحمد مشهور الحداد.
وقد وقفت على إجازة بخط المؤلف يجيز فيها أهل عصره، كما أنه أجاز لأهل المدينة المنورة خاصة، فقد جاء في «إجازته» للشيخ أحمد بن عمر بازرعة، والعلامة إبراهيم الختني: «أجزتُ (فلاناً) ومن أراد ذلك من أهل المدينة». وممن أخذ عنه أيضاً: مفتي تعز العلامة إبراهيم بن عمر بن عقيل ابن يحيى، ومفتي سنغافُورا الشيخ عمر بن عبد الله الخطيب التريمي، والسيد البحاثة عبد اللاه بن حسن بلفقيه التريمي، والسيد المحدّث علي بن محمد ابن يحيى، والحبيب المسند سالم بن حفيظ، والسيد علي بن محمد باعبود، والسيد العلامة محمد بن أحمد الشاطري، والسيد الأديب محمد بن أحمد بن سميط نزيل القاهرة، والعلامة السيد حامد بن عبد الهادي الجيلاني، والحبيب محمد رشاد البيتي السقاف، وكثيرون غيرهم، وليس هذا مجال استقصائهم.

المدائح التي قيلت فيه:

قيلت في المؤلف رحمه الله العديد من المدائح الشعرية، منها قصيدة رائعة لتلميذه العلامة أحمد مشهور الحداد (ت ١٤١٦هـ) وهي مدرجة في هذا الكتاب، نظمها بمناسبة وصول الماء إلى قيدون سنة ١٣٤٦هـ ستأتي. ومنها رائعة الأديب صالح بن علي الحامد (ت ١٣٨٩هـ)، التي أنشأها بمناسبة تولي المترجَم منصب الإفتاء في جوهور، سنة ١٣٥٣هـ وبيت قصيدها قوله:

هذا الذي لو سما شعبٌ يباهِلُنا ... بعبقريٍّ به جئنا نباهلُهُ

وللسيد العلامة حامد السري (ت ١٣٩٦هـ) مديحة فيه، توجد في «ديوانه»[١]. وقصائد أخرى لبعض معاصريه وتلاميذه، لا يتسع المجال لذكرها.

وفاته:

توفي السيد المؤلف، رحمه الله، في مدينة جوهور، سنة ١٣٨٢هـ، في شهر جمادى الأولى كما ورد في «نور الأبصار»، أو في شهر جمادى الآخرة كما في «ثبت المشاط» و«تشنيف الأسماع»[٢]، وحددها الشيخ المشاط في يوم الخميس الموافق ١٩ جمادى الآخرة، والذي على شاهد قبره أنه توفي في شهر رجب، وليس قبل. ومما يؤكد وقوع وفاته في شهر رجب ما ورد في نبذة كتبها السيد حسين بن محمد بن هادي السقاف، حفظه الله، قال في خاتمتها: «انتقل إلى الدار الآخرة، ودفن بماليزيا، وذلك في شهر رجب من عام ١٣٨٢هـ ولم يكن بين وفاته ووفاة سيدي الوالد محمد إلا حوالي أسبوعين»[٣].

ومن المراثي فيه، قول السيد عبد الرحمن بن حامد السري (ت ١٤٠٢هـ)، رحمه الله:

هل الدهر في تسياره أخطأ المجرى ... أم ازورَّ فاستعدَى على الكعبة الغرَّا

بلى كعبةُ العلمِ البعيدِ منالُه ... أغارَ عليها فهو يهدمُها جهْرا[٤]

ذريته:

خلف المترجم رحمه الله ثمانيةً من البنين، ومثلهم من الإناث، فأما البنون فهم:

[١] السيد العلامة طاهر: ولد بقيدون في ٢٩ ذي الحجة آخر سنة ١٣٢٨هـ وتوفي في مدينة عدن سنة ١٣٩٤هـ عن ٦٦ عاماً، وله عقب.

---

(١) السري، الغصن الطري: ص ٢٧٣.

(٢) وهَمَ مؤلف «تشنيف الأسماع» بقوله: إنه توفي في جاكرتا.

(٣) السقاف، حسين بن محمد، نبذة عن العلامة علوي بن طاهر الحداد، غير منشورة.

(٤) «ديوانه»: ص ٨٢.

[٢] السيد العلامة حامد: ولد في قيدون حوالي سنة ١٣٣٣هـ وتوفي بمدينة جدة في ٢١ ذي الحجة سنة ١٤١٥هـ وله عقب.

[٣] محمد الأكبر: مات شاباً بلا عقب في حضرموت سنة ١٣٣٤هـ أيام الحمى الشهيرة، ولا عقب له.

[٤] عبد الله: ولد في إندونيسيا، وتوفي بمدينة جدة سنة ١٤١٠هـ وله عقب.

[٥] حسين الأكبر: ولد في جوهور سنة، وتوفي بقيدون سنة ١٣٥٦هـ شاباً، ولا عقب له.

[٦] علي: ولد في جوهور سنة ١٣٥٥هـ وتوفي بمدينة الحديدة سنة ١٤٢٥هـ ولا عقب له.

[٧] حسين الأصغر: ولد في جوهور سنة ١٣٦٥هـ وتوفي بمدينة الحديدة قريباً من سنة وفاة أخيه علي، سنة ١٤٢٦هـ. ولا عقب له.

[٨] محمد الأصغر: ولد في جوهور سنة ١٣٧٨هـ يسكن في مدينة الدمام.

* * *

مؤلفاته

اشتهر السيد المؤلف، رحمه الله، بسعة اطلاعه، وسرعة وقوفه على المظان، وبقدرته الباهرة على التصنيف، ساعده على ذلك ذكاؤه وحافظته القوية. فكان التأليف سهلاً عليه، إضافة إلى سرعته في الكتابة. وتنوعت كتاباته إلى مؤلفات في فنون ومواضيع متخصصة، وإلى مقالات نشرت في الصحف، عالجَ فيها قضايا وقته، وكثيراً من مشكلات مجتمعه الحضرمي، خصوصاً في مهجره الإندونيسي قبل توليه وظيفة الإفتاء في جوهور. وشملت مؤلفاته الشؤون الاجتماعية والسياسية والعقيدة والتاريخ، إضافة إلى تحريره الفتاوى الدينية في دائرة الإفتاء. وطالما خطب وحاضر في المجتمعات العامة.

بلغ تعداد مؤلفاته بحسب مصادر ترجمته: في «نور الأبصار»: ٦٠ مؤلفاً، سُمّيَ منها تسعة مؤلفات. وعدّد منها في «الدليل المشير»: ١٣ عنواناً، وبلغت عند السيد ضياء شهاب: ٤٨ عنواناً[١]، وفي موضع آخر ٢٠ عنواناً[٢]. والحاصل: أنه تجمع عندي بعد البحث والتقصي ٥٨ عنواناً، فيما يلي بيانها، مقسمةً حسب الفنون:

أولاً: مؤلفاته في العقيدة:

[١] رسالة في التوحيد: وقفتُ على ذكرها في الرحلة المسماة: «الطرف الشهية المستفادة من الرحلة إلى الديار المصرية والحجازية»، للسيد حسن بن عبد الله الكاف (ت ١٣٤٦هـ)، قال: «واطلعنا على «رسالة في التوحيد» للسيد علوي، وهي فريدة في بابها، غنيمة لطلابها، ومهد السبيل إلى فهمها ألطفَ تمهيد، يوصل إلى فهم معانيها كل بليد»[٣]. ولم أقف عليها.

---

(١) في تعليقاته على كتاب «شمس الظهيرة»، ونقلها عنه منير بازهير، ولم يزد عليها.

(٢) في ترجمته للمؤلف في مقدمة كتاب «المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى»، ط. الشروق.

(٣) ص ٧٥؛ حرر تلك «الرحلة» الشيخ محمد بن عوض بافضل.

[٢] **أمالي في علوم التوحيد**: ذكرها الحبشي في «الدليل المشير» بهذا العنوان، وسماها ضياء شهاب «الأمالي في التوحيد»، ووصفها بأنها غير تامة. ولا أدري هل هي الرسالة السابقة نفسها أم غيرها؟

هذا، وللمؤلف نفع الله به، مقالات في باب العقائد، منثرة في مؤلفاته، منها ما وردَ في هذا الكتاب، وأخرى وردت في كتابه «عقود الألماس»، كما تنضح مقالاتُه بمناقشة العديد من القضايا العقدية، مما يشكل بمجموعه بحثاً قيماً، سيما إذا أضيف إليه مقدمته الرائعة لمجموع عقائد الإمام الحداد، الذي طبع في بوقور بإندونيسيا حوالي سنة ١٣٤٧هـ وكان مقرراً لطلاب المدارس التابعة لجمعية خير، في إندونيسيا[١].

ثانياً؛ مؤلفاته في علوم القرآن:

[٣] **الكلمات الجامعة في تفسير سورة الواقعة**: ابتدأ في نشره في مجلة «الرابطة» ابتداء من العدد الثاني من المجلد الثاني، بتاريخ ذي الحجة ١٣٤٧هـ ولم يكمله. وهذا الجزء المنشور من هذا التفسير موجود ضمن أعداد المجلة المذكورة.

[٤] **غاية التحرير والإتقان فيما ورد في التكبير آخر القرآن**: رسالة لطيفة، وقفت على نسختها الوحيدة بقلم مصنفها رحمه الله في مكتبة رباط قيدون، وهي مسودة فيما يبدو، غير مرتبة أو مرقمة الصفحات على خلاف عادته في مسوداته، والموجود منها ١٨ صفحة، من القطع الصغير.

[٥] **أمالي في علوم التفسير**: تفرد بذكرها الحبشي في الدليل المشير. لم أقف عليها.

[٦] **الأمالي في علوم القرآن**: ذكرها ضياء شهاب في تعليقاته على شمس الظهيرة،

---

(١) ينظر: محمد باذيب، أضواء على حركة نشر التراث الحضرمي: ص ١٣٨.

ووصفها بأنها في نحو كراسين، وتابعه في هذه التسمية الأستاذ السيد حامد مشهور الحداد رحمه الله. لم أقف عليها، ولعلها الأمالي السابقة نفسها.

[٧] **رسالة في حكم عدم جواز ترجمة القرآن**: ذكرها السيد ضياء في التعليقات، ووصفها بأنها في «عدة كراسات»، وهي مفقودة. قلت: ولتلميذ المترجم السيد العلامة أحمد مشهور الحداد (ت ١٤١٦هـ) رحمه الله بحث في هذا الموضوع المهم، دونه في كتابه «مفتاح الجنة»[(١)].

ثالثاً: مؤلفاته في علوم الحديث:

حول عنايته بعلم الحديث، جاء في ترجمته في «نور الأبصار»: «وعني المترجم له بالحديث وفنونه بحيث أصبح المشار إليه في آل أبي علوي»[(٢)]. وأكبر شاهد على براعته في هذا الفن كتابه «القول الفصل»، وقد أوردته ضمن مؤلفاته في الردود، وسيأتي ذكره.

[٨] **الزهر الفائح في تخريج أحاديث النصائح**: وهو تخريج موسع لأحاديث كتاب «النصائح الدينية والوصايا الإيمانية» للإمام المجدد عبد الله بن علوي الحداد. ورد ذكره من غير تسميةٍ في مكاتبة منه للسيد علوي بن محمد مؤرخة في ٩ صفر سنة ١٣٥٥هـ لمناسبة ذكره «النصائح»، قال فيها: «والتخريج جاري العمل في إتمامه بمعاونة الأولاد». وذكره الشيخ محمد جبران الشبامي فيما قيده عصر الخميس ١٩ ربيع الثاني عام ١٣٨٧هـ من رحلة شيخه العلامة عمر بن أحمد بن سميط[(٣)]، نقلًا عن السيد علي بن محمد باعبود،

---

(١) ص ٩٩ وما بعدها، طبعة دار الحاوي، ١٤١٩هـ/ ٢٠٠٠م؛ كما للعلامة السيد أحمد مشهور الحداد رسالة مفردة في الموضوع نفسه، رد فيها على بعض معاصريه القائلين بجواز ترجمة القرآن الحرفية (من ملاحظات السيد عدنان الحداد).

(٢) نور الأبصار: ص ١١٦.

(٣) ابن سميط، الرحلة السميطية: ص ٦١.

نزيل مصر. وسمعت السيد عمر بن حامد الجيلاني، نزيل مكة المكرمة يذكر أن والده السيد العلامة حامد بن عبد الهادي (ت ١٤١٤هـ) كان ممن يعاون السيد صاحب الترجمة في تأليف كتابه هذا، وكان من بين المشاركين: ابناه السيدان العالمان طاهر، وحامد.

منه نسخة مصورة لدى السيد عدنان الحداد.

[٩] **أمالي في قواعد مصطلح الحديث وفوائد من علم الجرح والتعديل**: كذا وجدته بخط المصنف رحمه الله على مسودتها، وسماها الحبشي «**أمالي في علوم الحديث**»، ومثله السيد ضياء في التعليقات على شمس الظهيرة، وفي تشنيف الأسماع: «**كتاب في مصطلح الحديث**»، وتابعه المرعشلي. اطلعتُ على مصورة من مسودة الكتاب تقع في ٩٩ صفحة، وهي ناقصة غير مكتملة، تنتهي عند عنوان: (الحامل على الوضع). منها نسخة مصورة لدى السيد عدنان الحداد.

[١٠] **الخلاصة الشافية في الأسانيد العالية**: كذا سُمِّيت في نور الأبصار والدليل المشير و«الجامع» لبامطرف، وصَفها الحبشي بأنها رسالة، ووصفها بامطرف بأنها كتاب، وزاد بامطرف: «ذكر فيها تراجم شيوخه»، وذكرها صاحب تشنيف الأسماع مختصراً العنوان. ووهم ضياء شهاب فسماها: «**الخلاصة النافعة في الأسانيد العالية**»، وسماها المرعشلي في «نثر الجوهر»: «**الخلاصة الوفية**». وفي معجم المعاجم له: «**الخلاصة الوافية**»، وكل ذلك وهم وخطأ.

والنقل عن «الخلاصة» بل وتضمينها في مؤلفات المتأخرين، من تلاميذه وغيرهم متوافر، فنقلها الحبشي في «الدليل المشير»، والفاداني في «نهج السلامة»، والمرعشي في «المسلسلات» وأشار إلى ذلك في «الإجازة الكبرى» فقال: «كتب لنا إجازةً مفصلة حاوية لطرقه، وسماها بالخلاصة الشافية بالأسانيد العالية، وهي من نفائس الإجازات من

حيث احتوائها لأمهات الطرق والسبل لديهم، ويروي فيه من عدة كثيرة»[١]. وقال عند تفريعه الأسانيد إلى المتقدمين: «... إلى غير ذلك من الطرق التي أودعها الحداد العلامة المعاصر في إجازته لنا، التي سماها «بالخلاصة الشافية»، وقد نقلتها بعينها في كتابي «المسلسلات»، فليراجع»[٢].

ونسخ الكتاب متوافرة، وحقق في رسالة علمية (ماجستير) نوقشت في إحدى جامعات السودان.تنبيه: ذكر في «تشنيف الأسماع» كتاباً للمؤلف سماه «معجم الشيوخ»، ولا يعرف للمؤلف تصنيفٌ بهذا العنوان!

[١١] مختصر عقد اللآل: ذكره السيد ضياء في التعليقات على شمس الظهيرة متفرداً به. ووقفتُ على ذكره في رسالة شخصية من المؤلف مؤرخة في ٧ جمادى الأولى ١٣٥٧هـ[٣]، يذكر أنه لخص كتاباً (لم يسمه) من مؤلفات شيخه عيدروس بن عمر الحبشي رآه مع حفيده السيد علي بن محمد، عند وروده عليهم في جوهور ماليزيا. وكان قد سمى قبله مؤلفاً آخر في الأسانيد لشيخه الحبشي وهو «منحة الفتاح الفاطر»، وبما أنه يكثر من الاستشهاد والنقل عن «عقد اليواقيت الجوهرية»، فلم يبق من مؤلفات شيخه الحبشي إلا «عقود اللآل في أسانيد الرجال»، فعله هو الكتاب الذي لم يسمه في الرسالة.

رابعاً: مؤلفاته الفقهية:

[١٢] الفتاوى: ذكرها معظم من ترجم له، السيد محمد ضياء شهاب وقال إنها «تبلغ اثنتي عشر ألف مسألة»، وذكرها في موضع آخر من تعليقاته وكتبها رقماً (١٣ ألف)، ولعل في الموضع الثاني خطأ مطبعي، والصواب الأول لموافقته ما وردَ في «نور الأبصار»،

---

(١) المرعشي: ص ٢٥١-٢٥٨.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٥١-٢٥٨.

(٣) الحداد، بهجة الخاطر وسرور الفؤاد: ٢/ ٨٧٣.

وقد استدرك ابن المؤلف، العلامة حامد بن علوي بقوله: «والموجود منها الآن ٤٩٠٠ أربعة آلاف وتسعمئة مسألة»، ولما سألت السيد عدنان الحداد عن ذلك، أجاب: بأنه قصَد الموجود لدى حكومة جوهور، حسْبَ علمِه، ولا شك أن صاحب البيت أدرى بالذي فيه. وخالفَ الجميعَ بامطرف في «الجامع»، فوصفها بأنها « فتاوى، صغيرة!».

يوجد منها باللغة العربية كراسان بقلم ابن المفتي، السيد طاهر بن علوي، فيهما (١٩١ فتوى)، وثلاثة أجزاء باللغة الملايوية نشرتها إدارة الأوقاف في جوهور الأول سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، والجزآن الآخران سنة ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، تشتمل الثلاثة التي بالملايوية على ٥٧٦ فتوى، يسر الله ترجمتها إلى العربية[١].

[١٣] **ضوء القريحة ونور البراهين الصحيحة في رد ما غلط فيه مؤلف النصيحة:** وهو رد على فتوى لمعاصره القاضي عبد الله بن سعيد باجنيد، في مسألة في الشفعة كانت واقعة حال في وادي دوعن، فرغ من تحريرها فاتحة رجب ١٣٣٨هـ. وذكر مقتصراً على أول العنوان في «نور الأبصار»، وكذا في تعليقات السيد ضياء على الشمس. وأورد المؤلف في كتابه هذا «الشامل» جل نصوص التقاريظ التي كتبها علماء حضرموت على رده هذا وتأييدهم له، ذكرها ضمن ترجمة العلامة القاضي عبد الرحمن بن أحمد باشيخ، في سياق تاريخ بلدة (هدون)[٢].

منها نسختان خطيتان لدى السيد عدنان بن علي مشهور الحداد.

[١٤] **رسالة في تحريم لحوم القصاع:** ذكرها السيد الحبشي في الدليل متفرداً. واسمها مطابق لما ورد في نسخها الخطية. وهي عبارة عن فتوى حول حكم تناول اللحوم المعلّبة، المستوردة من بلاد أوربّا ونحوها، رد فيها على فتوى لمفتي (پهنغ = بهانغ)

---

(١) للمزيد: باذيب، جهود فقهاء حضرموت: ٢/ ١٢٣٤-١٢٣٦.
(٢) المصدر السابق: ٢/ ١٢٣٦-١٢٣٩.

اعتمدها كاتبٌ اسمه (حج عباس) نشر مقالاً في صحيفة تدعى (أتوسن ملايو بيلاغن) العدد (١٠٤) لعام ١٩٤٦م.

وكان مفتي (ڤهڠ = بهانغ) حينذاك هو السيد يوسف بن أحمد الزواوي الحسَني، من علماء مكة المكرمة النازحين، استقر به المقام في تلك البلاد، ذهبَ فيها إلى إباحة تناول اللحوم المعلبة بذريعة أنها من طعَام أهل الكتاب الذي أبيح لنا تناوله. ثم تراجع الكاتب (عباس) في نفس الصحيفة العدد (١٠٦) عما سبق في مقاله الأول من تعميم، واستدرك بقوله: إن من عرف أن الذبح غير شرعي لا يحل له أن يأكل من المعلبات اتباعا للقاعدة الشرعية. وفي الرسالة تحذير من الاغترار بما ينشر في صفحات «مجلة الأزهر»، قال فيه: «واحذروا أيها المسلمون من مجلة الأزهر، فلا قيمة لفتاويها مع مخالفتها لكتب الأئمة، والفتاوى التي فيها إنما هي لأناس من المتعلمين لم ينضجوا، وفتاويهم بلا دليل»!

توجد منها نسختان خطيتان، واحدة بقلم السيد طاهر بن علوي، والأخرى بقلم السيد محمد بن أحمد مشهور الحداد[1].

[١٥] **إقامة الدليل على استحباب التقبيل**: رسالة ذكرها الحبشي في الدليل المشير، وعنه مؤلف تشنيف الأسماع. فرغ من تبييضها في ١٤ ربيع الثاني سنة ١٣٤١هـ في منزله بقيدون. ورد في خاتمة كتاب «القول الفصل» (٢/ ٤٩٧) عند ذكره لبعض مضامين الجزء الثالث الموعود به: «وبابٌ في الرد على من زعم أن تقبيلَ يد العالم لعلمِه، والصالحِ لصلاحه، والشريفِ، توقيراً لجدّه ﷺ ومحبةً فيه: حرامٌ، وشركٌ! وفيه من الأحاديث والآثار ما يناهز المئة، مع إيراد كلام الأئمة وكبار أصحابهم في ذلك»، وقد فرغ من تبييض «القول الفصل» عام ١٣٤٤هـ في بلد (بوقور) من بلاد جاوة، وواضح من عبارته: أنه كان ينوي تضمينه هذه الرسالة كتابَه «القولَ الفصل». وقفتُ على نسخة المؤلف بقلمه

---

(١) باذيب، جهود فقهاء حضرموت: ٢/ ١٢٤٠.

رحمه الله في (٥٩ صفحة)، وفيها فوائد وتعليقات على صفحة العنوان والصفحة الأخيرة، كما تحتوي هوامش النسخة على العديد من الإلحاقات والإضافات، مما يدل على أن المؤلف كان يسرح النظر فيها ويضيف ما استجد له من فوائد[1].

[١٦] **إعانة الناهض في علم الفرائض**: كذا سماها الحبشي في الدليل، وذكرها إجمالا المشاط ولم يسمها، وسماها ضياء شهاب: «إعانة الناهض في علم الفرائض»، ومثله السيد سالم بن حفيظ. وهذا هو الصحيح في تسميتها، وهو ما عليه النسخ الخطية والمطبوعة. وأخطأ صاحب التشنيف فسماها: «دليلُ الخائض في علم الفرائض»، وتابعه المرعشلي.

توجد من هذه الرسالة في رباط قيدون عدة نسخ خطية، كتبها بعض أبناء السيد المؤلف وأبناء أخيه، وبعض طلبة الرباط، ولم أجد نسخة جيدة يمكن وصفها بالنسخة الكاملة. وصدرت طبعتها الأولى في بوقور، على نفقة السيد عبد الرحمن بن شيخ الكاف، بتاريخ السابع من رمضان سنة ١٣٤٢هـ، في ٥٧ صفحة، ثم أعيد طبعها وصدرت عن دار الحاوي بيروت، ١٤١٢هـ في ٤٨ صفحة[2].

[١٧] **الرد على ابن نعمان في رفع الزكاة إلى السلطان**: تفرد بذكره السيد ضياء شهاب، ولم أقف عليه. لكني وجدتُ كلاماً عنه في رسالة شخصية منه، مؤرخة في ٨ محرم سنة ١٣٥٣هـ، جاء فيها:

«ومما أريد أسرارَه إليكم من عجائب الزمان وأهله: أن المدعوّ سالمين بن نعمان، الأعمى، المعروفَ لنا ولكم في سنغافورة، أدخلَ أوراقْ يزعُم فيها اعتراضاتٍ على بعضِ فتاوَى لي، وأني أخطأتُ فيها، مع إتْباع ذلك بتهييج وسعايةٍ إلى جلالة السلطان، سلطان جوهُر. والسلطانُ أرسلَ هذه الأوراق إلى رئيس إدارة الشؤون الدينية، (داتُوْ عبد الله بن

---

(١) باذيب، جهود فقهاء حضرموت: ٢/ ١٢٣٩-١٢٤٠.

(٢) المصدر السابق: ٢/ ١٢٣٦.

عبد الرحمن)، والمذكور أرسلها إليَّ، فلما اطلعتُ عليها وقفَ شعَري من تجرّي هذا الرجل على الكَذب والافتراء، وقد استأذنتُ في ردّ افتراءاته. وهو والحمدُ لله قد وقع على أمّ رأسه، وفتاويَّ، والحمدُلله، صوابٌ على مقتضى المعتمَد في مذهب الإمام الشافعي. فإن أذنَ لنا، فسترونَ من النصوص والبيان ما يسرّكم ويسرُّ كلَّ محبٌ للحق، وكأنه أرسَلها للسلطان على وجْه السعاية! اللهم إنا نعُوذ بك من شرورهم، وندرأُ بك في نحورهم، يا مالكَ يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين. وسأطبع هذا الردّ بالملايو والعربية، وباينشر، فالحمدُلله على ذلك»[1].

* **يلاحظ**: أن الرد على ابن نعمان صدرَ في وقت قياسي عقب توليه منصب الإفتاء، إذ كان وصوله إلى جوهور أواخر شهر ذي القعدة سنة ١٣٥٢هـ/ مارس ١٩٣٤م[2]، وهذا الردّ أكمل كتابته في شهر محرم ١٣٥٣هـ/ أواخر أبريل ٣٤م، كما يعلم من الرسالة السابقة، فيبدو أن هناك من كان يترصد له ليشوه سمعته عند سلطان جوهور، ولكن باءت مكائدهم بالفشل.

[١٨] **الرد على ابن نعمان أيضاً في مسألة أخرى**: ذكره السيد محمد ضياء شهاب بترقيم مغاير للسابق، ولم يحدد أي مسألة هذه الأخرى!.

[١٩] **كتاب في أحكام الأنكحة والقضاء**: ألفه بلغة الملايو، تفرد بذكره السيد ضياء شهاب، وقال إنه طبع في جزأين. ولم أقف عليه.

[٢٠] **رسالة في حكم المال الضائع**: تفرد بذكره السيد ضياء شهاب، ولم أقف عليه.

---

(١) الحداد، بهجة الخاطر: ٢/ ٨٤٣-٨٤٤.

(٢) المصدر السابق: ٢/ ٨٣٩.

خامساً: مؤلفاته في السير والتاريخ:

قال مؤلف تشنيف الأسماع: «كان رحمه الله له جانب عظيم في معرفة علم التاريخ وطبقات الرجال وأيام العرب والعجم، وكان يؤرخ لحضرموت والمهجر، ويحفظ من أنساب العرب القاطنين بوادي حضرموت ما لا يحفظها غيره، لا سيما منازل العلويين». وسيأتي التفصيل تحت عنوان (العلامة علوي بن طاهر الحداد مؤرخاً).

*** فمن مصنفاته في هذا الفن:**

[٢١] **دروس السيرة النبوية**: ذكرها الحبشي بهذا العنوان، وأشار إليها المشاط ولم يسمها، وضياء شهاب ووصفها بأنها «في جزأين صغيرين»، وهو الصواب. أما قول صاحب تشنيف الأسماع بأنه «كتاب السيرة النبوية الشريفة في عدة أجزاء»، وتابعه عليه صاحب«نثر الجوهر»: فمبالغة وقول غير صحيح. صدرت لهذه الدروس طبعة في إندونيسيا، لم أقف عليها. وصدرت طبعة حديثة عن دار الحاوي، بيروت، سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، في ١٢٣ صفحة[١].

[٢٢] **الشامل في تاريخ حضرموت**: وهو هذا الكتاب، وسيأتي الحديث عنه مفصلاً.

[٢٣] **عقود الألماس بمناقب الإمام العارف بالله الحبيب أحمد بن الحسن العطاس**: ذُكِر في نور الأبصار، وعند المشاط، وضياء شهاب، ووصفه بقوله: «طبع منه جزآن»، وذكره بامطرف في جامعه، والمرعشلي في «معجم المعاجم».

وعنوان الكتاب المثبت مأخوذ من مقدمة المؤلف، بينما الذي أغلفة طبعاته الثلاث زيادة: «.. في مناقب شيخ الطريقة وإمام الحقيقة العارف بالله مربي السالكين ومرشد الطالبين الحبيب...» إلخ. صدرت للكتاب ثلاث طبعات:

---

(١) باذيب، أضواء على حركة طباعة التراث: ص ١٣٥.

الأولى: في المطبعة الأحمدية بسنغافورا، سنة ١٣٦٨هـ = ١٩٤٩م، على نفقة السيد محمد بن سالم بن أحمد بن حسن العطاس، في جزأين منفصلين.

والثانية: في مطبعة دار المدني للطباعة والنشر، بالقاهرة، سنة ١٣٨٨هـ = ١٩٦٨م، في مجلد واحد حوَى الجزأين معاً: ١٢٣ صفحة + ١٧٢ صفحة.

والثالثة: في سنغافورا للمرة الثانية، سنة ١٤١٢هـ، بعناية السيد حسن بن محمد بن سالم العطاس، وتم ضم الجزأين ولم يفصل بينهما بفاصل، وجاءت هذه الطبعة في ٢٩٩ صفحة + ٤ صفحات[١].

[٢٤] **المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى**: كذا وردت تسمية الكتاب على النسخة المطبوعة الصادرة عن دار الشروق بجدة. ووردت تسميته في «نور الأبصار»، وغيره من مصادر الترجمة بزيادة ونقص لا يؤثر كثيراً. لكن الملفت للنظر هو ما ورد في «الثبت الكبير» للعلامة المشاط المكي، وهو وصفه الكتاب بأنه في ٤ أجزاء! وهذا غير صحيح. طبع هذا الكتاب مرتين، الأولى: سنة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، عن مطبعة دار الفكر الحديث، بالقاهرة، على نفقة مؤسسة المحضار التضامنية، في ١٧٥ صفحة، بأولها مقدمة تتضمن ترجمة المؤلف بقلم ابنه السيد طاهر. والثانية: سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، في ٤٤٦ صفحة، مع تعليقات ضافية بقلم السيد محمد ضياء شهاب (ت ١٤٠٦هـ). ومما لاحظته أن هذه الطبعة الأخيرة حذفها منها قرار مجلس المشاورة الإندونيسي القاضي بأن السادة بني علوي الحضارمة هم أوَّل من أدخل الإسلام إلى بلادهم، واكتفى المحقق ضياء شهاب بالإشارة إلى هذا القرار في هامش الصفحة ٢٠٤، وهو أمر غريب!

[٢٥] **تاريخ دخول الإسلام بجاوا وسومترا والفلبين**: ذكره ضياء شهاب في تعليقاته، واصفاً إياه بأنه يقع في نحو ٤٠٠ صفحة، كما ذكر عنوانه بامطرف في «الجامع».

---

(١) باذيب، أضواء على حركة طباعة التراث: ص ٢٢٨، ٢٨٤.

وتشير بعض الرسائل الشخصية أنه كان يجمع مادة هذا الكتاب سنة ١٣٥٣هـ ففي رسالة منه لصديقه الحميم السيد علوي بن محمد الحداد، كتب يقول: «... «تاريخ الفلبين» عندي الآن، وقد أمرتُ من يترجِمُ منه المواضعَ المهمة، وقد وجدْنا الذين أدخلوا الإسلام إلى جزائِرهم: السادةُ العلويون.

وأول من دخل منهم: محمدُ ابن السيد حسَن بن علي، من آل عم الفقيه، من أولاد مولى عيديد، ووجَدْنا نسبه موافق في الشجرات، والحمد لله.

وفي «تاريخ الفلبين» المذكور: نسبتُه إلى علي ابن أبي طالب، والنسبةُ النبوية إلى آدم، وحكايةُ دخولهم إلى هناك، وأول ما دخل السيدُ حسن إلى ملاكَ، وكان السلطان (اسكندر شاه)، فزوجَه بأخته الصغرى المسماة بـ(روح العاشقين)، وأتت له بهذا الولَد، وكبر وتزوج، وجاءهُ في ملاكَ ابنٌ وبنتٌ، ثم أرسلَه والده إلى جزائر فلبّين لوجودِ عمٍّ للسيد حسن، وله ذريةٌ هناك.

وسار هذا الولدُ إلى هناكَ في أسطولٍ مع عدَدٍ من الملايو، ولما وصل إلى تلكَ الجزائر، رسَا بجزيرةٍ تعرف باسم (بُوايان)[1]، وكلما جاء أحدٌ من الأهالي لم يعرفُوا كلامه، فهربوا حتى جاءَه الملك نفسُه، وطلبَ منه النزول من القرية، فأبى إلا أن يسلم، فأسلم الملك، ثم ذهبَ معه يستقري القرَى قريةً قرية، وهم يدخلون في الإسْلام أفواجاً، إلى آخر ما ذكرَه من انتشار الإسلام في بقية الجزائر، واحدةً بعد أخرى. وقد صاروا أولادُه ملوكاً فيها، ولهم سلاسِلُ مذكورةٌ هنا.وقال مؤلفُ الكتاب: أن سلسلةَ نسبهم الأصلي

---

(١) ينسب إلى هذه الجزيرة عدد من الأعلام المنتقلين منها إلى مكة المكرمة، ويعرفون محلياً بلقب: بُوْيان. منهم الشيخ الفاضل المقرئ المسند زيني بن عبد الله بويان المكي (ت ١٤٣١هـ) رحمه الله، من أهل الرواية والإسناد، كان شديد التواضع، صحب السيد المعمر عبد القادر بن محمد السقاف (ت ١٣٦٧هـ) وجمع من درر كلامه ووعظه وطرائفه مجموعاً لطيفاً، وزار حضرموت صحبة السيد محمد بن حسن فدعق، وجماعة من المكيين، سنة ١٣٧٠هـ تقريباً.

المذكورُ فيهَا نسبهُم إلى سيدنا أحمد بن عيسى فأعلى، واحداً فواحد، مكتوبةٌ كتابةً عربية، محفوظةٌ متقنة، يراعونها غايةَ المراعاة»[1]. أقولُ: سمعت أستاذي السيد حامد مشهور الحداد رحمه الله يذكر غير مرة، أنه اطلع على نسخة نادرة مطبوعة من تاريخ الإسلام في الفلبين هذا عند زيارته لماليزيا سنة ١٤٢٥هـ، ووعده مالك النسخة بتصويره، ولكنها كانت وعوداً فارغة.

[٢٦] **نور الأبصار بمناقب الحبيب عبد الله بن طه الهدار**: ذكره ضياء شهاب وسماه «ترجمة جده عبد الله بن طه الهدار الحداد»، وهو ترجمة موسعة لحياة جده الأدنى السيد عبد الله الملقب (الهدار) بن طه بن عبد الله الحداد (ت ١٢٩٤هـ). وقد ذكر السيد ضياء رحمه الله: أن الكتاب يقع« في نحو خمسين كراسة»، وهذه مبالغة منه رحمه الله، فإنه بعد صف حروفه لم تزد صفحاته عن ١٠١ صفحة.

وفي سنة ١٤١٢هـ برز عزم السيد الفقيه عدنان بن علي مشهور الحداد حفظه الله، بمعونة ابن المؤلف سيدي العلامة حامد بن علوي، وحَثٍّ وملاحظة من العلامة الإمام أحمد مشهور الحداد، رحمهما الله، إلى إخراج الكتاب بعد العثور على نسخته الخطية الأم في مدينة الحديدة، فقام بتنضيد حروفه، وأكملَ ما ابتدأه المؤلف من ترجمة أبناء وأحفاد صاحب المناقب، واكتمل الكتاب في ١٤١ صفحة، وحررت المقدمة المشتركَة بين الحبيب حامد والسيد عدنان، في ٤ جمادى الثانية سنة ١٤١٢هـ بمدينة جدة.

[٢٧] **الأطراف من أخبار الأشراف**: ذكرها بامطرف متفرداً بها عن غيره من المؤرخين، وسماها: «تاريخ آل عبد الملك بن علوي وأنسابهم»، ووصفها بأنها «رسالة». والاسم الذي أثبته هنا مأخوذ من نسخة المؤلف الوحيدة التي وقفت عليها. وفيها: أنه أتم تصنيفه وتشجيره في مدينة بوقور، في الثامن من رجب سنة ١٣٥٢هـ. وهذه النسخة

---

(١) الحداد، بهجة الخاطر: ٢/ ٨٤٤-٨٤٥.

محفوظة في مكتبة رباط قيدون، تقع في (٨٥ صفحة)، كتب معظمُها بقلم المؤلف، وباقيها بأقلام متغايرة. سرد في ٢٠ صفحة من أوله تاريخهم سرداً، ثم شرع في التشجير من الصفحة ٢١ إلى آخره، مع الترجمة للمشاهير منهم تحت أسمائهم في المشجر، على طريقة الشجرة العلوية الكبرى.

[٢٨] جنى[1] الشماريخ في جواب أسئلة في التاريخ: ذكره الحبشي وضياء شهاب وبامطرف. وتوجد نسخة خطية منه بمكتبة الأحقاف بتريم رقمها (٢٠٣٤ مجاميع)، تقع في (١٧ ورقة)، كتبت بقلم أخضر اللون أعتقد أنه قلم ابنه السيد طاهر، وتوجد تعقيبات وحواشي بلون أسود، أما خاتمتها فهي بخط المؤلف بلا شك ولا ريب، وكتب في الصفحة الداخلية للكتاب، أمين المكتبة الأسبق، الشيخ علي بن سالم بكيِّر باغيثان، ما نصه:

«هذه النسخة من «جنَى الشماريخ»، مع «تتميم وتعقيب»، و«تفنيد المزاعم»، أهداها السيد المؤلف العلامة علوي بن طاهر الحداد لفضيلة البحاثة المؤرخ السيد عبدالله بن حسن بلفقيه، وهو أهداها لمكتبة المخطوطات بتريم، بتاريخ ١٠ محرم الحرام سنة ١٣٩٨هـ.

كتبه: علي بن سالم سعيد بكيِّر باغيثان

أمين المخطوطات بتريم».

---

(١) سماه الحبشي في الدليل «جنا» بألف ممدودة، وعند ضياء شهاب وبامطرف: «جَنْيُ الشماريخ» بالياء. والذي سمعته من السيد حسن بن محمد العطاس في سنغافورا ينقلُه عن الشيخ الفقيه عمر بن عبدالله الخطيب (ت ١٤٢٦هـ) عن السيد المؤلف: أنها: «جَنَى» بالمقصورة. وكذلك سمعت أخي الشيخ عمر باذيب، نزيل المدينة المنورة، يحكي الكلامَ نفسه عن العلامة الأستاذ محمد الشاطري عن المؤلف، ويصدّق كلام الخطيب والشاطري ما دونه المؤلف بقلمه على الأصل.

وله طبعة لا تتوفر عليها أي معلومات وظني أنه طبعَ في سنغافورا، بدلالة الشبه بين أحرفه وأحرف كتاب «الشامل». كما أن النسخة المصورة التي لديَّ حصلتُ عليها من سيدي الحبيب حامد بن علوي، رحمه الله، وكان المذكور قد أهدى أصْلَها إلى السيد هاشم بن شيخان السقاف، وكتب في ركن الصفحة الأولى أعلى اليسار: «هدية للعم الجليل هاشم بن شيخان السقاف، من ولده حامد بن علوي الحداد»، وطبع السقاف المذكور ختماً تحت عنوان الكتاب نصه: «بحوزة مكتبة السيد هاشم بن محمد بن شيخان السقاف، قرسي، أندونيسيا، هدية من السيد حامد بن علوي الحداد ابن المؤلف بجوهور»، ثم ختمٌ آخر إلى جوار الأول، نصه: «المدينة المنورة، من محتويات مكتبة علي بن حسين الحداد».

من تلك الإهداءات يتبين لنا: أن الكتاب طبع قديماً قبل هجرة سيدي الحامد إلى البلاد العربية، أي قبل زمن الحرب العالمية الثانية ١٣٦٠هـ/ ١٩٣٩م، حيث غادر سيدي حامد وبقية أفراد أسرته من دون والدهم إلى أرض اليمن.

عدد صفحات هذه الطبعة (٤٨ صفحة)، من القطع الصغير، يتلوها فهرس الكتاب (ص ٤٩-٥٠)، ثم ثلاث صفحات بها جداول تصويبات لأخطاء مطبعية وقعت في الكتاب، مما يدل على مراجعته من قبل مؤلفه.

فائدة للتاريخ:

وقفتُ على رسالة مؤرخة في غرة جمادى الأولى سنة ١٣٨٨هـ من سيدي الحامد بن علوي إلى أستاذنا السيد حامد بن أحمد مشهور الحداد، بعثها من المكلا إلى جدة، وفيها ما يظهر اهتمام أبناء السيد علوي من بعد وفاته بطبع ونشر تراثه بحسب السبل الممكنة، وعلى أيدي الثقات من الناس، جاء في هذه الرسالة: «إلى حضرة الأخ المهذب النبيل، السيد حامد بن أحمد مشهور الحداد،... وقد أخبرتك في كتابي الأول عن وجود

رسالة «جني الشماريخ» من تواليف الوالد رحمه الله، وهي جاهزة، القسم الأول والثاني الذي لم يطبع، مضمومة الأول إلى الثاني.

وكذلك رسالتان في علم الفلك، والثالث: الجزء الأول من تاريخ حضرموت «الشامل».. ورجوتُك أم تسأل الشيخَ بالعمش: إذا كان يحب أن يطبعها لحسَاب مكتبته؟ أرجو اهتمامك، خدمةً للوالد»، انتهى المقصود منها.

بالعَمَش المشار إليه: هو الشيخ سالم بن عبود بالعمش، صاحب مكتبة الإرشاد بجدة، توفي سنة ١٣٩٦هـ رحمه الله. كان محبًّا ومعظِّماً لشيخه السيد المؤلف، إذ كان قد درس عليه في رباط قيدون، قبل هجرته الى السواحل الإفريقية ثم جدة.

[٢٩] **رسالة أخرى في جواب أسئلة في التاريخ:** ذكرها ضياء شهاب، ولم أقف عليها. وأظن أنها الجزء الثاني من «جنى الشماريخ»، الذي ذكر في الرسالة الآنفة الذكر، في الكتاب السابق.

[٣٠] **تعليقات على كتاب الروض الجلي لمرتضى الزبيدي:** لم يذكرها أحد قبلي. وقفتُ على ذكرها في رسالة منه للسيد علوي بن محمد بتاريخ ٨ محرم ١٣٥٣هـ قال فيها بعد أن ذكر الكتاب: «..ونحن عازمون على طبعِه، ولهذا أريدُ من مكارمكم غايةَ المبادرة بالإسْراع في إرسالِ نقْل ترجمة السيدِ محمد مرتضى الحسيني الزبيدي؛ وترجمتُه موجودةٌ عندَكم في كتاب «النفَس اليماني»، وأرغبُ أن أقدِّم ترجمته أمامَ الكتاب، وسألحقُ به تعليقاً يشير إلى من تفرّق في الأقطارِ منهم، ولا سيما في البلاد الشرقية».

أقول: وقع في بالي أن السيد المؤلف رحمه الله بعد أن شرع في وضع تلك التعليقات على رسالة الزبيدي، وجدَها طالت كثيراً، فخطر له أن يفردها في كتاب، ويتوسع في ترجمة الأعلام، فنتجَ من تلك الفكرة كتاب «الطبقات»، وهو ما استقرأته من تواريخ

الرسائل المتبادلة بخصوص الكتابين، فإنه كان شرع في «تعليقاته على رسالة الزبيدي» سنة ١٣٥٣هـ وابتداءُ تأليف كتاب «الطبقات» سنة ١٣٥٥هـ كما سيأتي.

[٣١] **الطبقات العلوية**؛ كذا وردت تسميته في نور الأبصار، وفي تعليقات ضياء شهاب، وسماه مؤلف تشنيف الأسماع: «طبقات العلويين»، وتفرّد بوصفه أنه في عشرة مجلدات؛ فبالغ في الوصف، وتابعه في ذلك المرعشلي في نثر الجوهر.

بينما سماه المؤلف في «الشامل»: «خلاصة الطبقات»، وسماه في رسالة شخصية سيأتي نصها: «الكتاب الجامع لتراجم السادة بني علوي». جاء في ترجمته للعلامة محمد بن أحمد المحضار (ت ١٣٤٤هـ) في سياق تاريخ (القويرة) من «الشامل» قوله: «أجملت ترجمته في كتاب «خلاصة الطبقات»، الذي لم يتم إلى الآن»[1]، قال هذا في سنة ١٣٥٩هـ.

لقد كان تأليف كتاب في «طبقات العلويين» يشغل ذهن المؤلف، فنجده يشير في سياق عرضه لمصادر التراجم التي ينقل عنها، إلى ما يصلح منها أن يكون مصدراً لمن يريد وضع كتاب في هذا الباب. فيقول في سياق تاريخ القرين، في ترجمة السيد أحمد بن عبد الله البار (ت ١٣١١هـ): «.. ذكرها تلميذُه ابن أخيه السيد الشريف الحبيب حسين بن محمد بن عبد الله، ابن أخيه، في «ترجمته» له، وأبسَط من ذلك في «مناقب الحبيب عمر البار»، فقد شنف مؤلفه السيد الشريف، محمد بن عبد الله، بفضائله المسامعَ. وأتى فيها بما يروق المطالع والسامع، وترجمه شقيقي في خاتمة «قرة النواظر»، وفي هذه المراجع كفاية لمن أراد تأليف طبقاتٍ»[2].

---

(١) الشامل: ص ٦١١.

(٢) المصدر السابق: ص ٦٠٣.

وفي رسالة صادرة منه، مؤرخة في الثامن من محرم ١٣٥٥هـ تحدث فيها عن هذا الكتاب قائلاً: «وعندي هذه الأيام تعلقٌ بإنجازِ الكتابِ الجامع لتراجِم السادة بني علوي، ولا سيما أنّ الأيام طالتْ على إنجازِه، وإلى متَى؟! وقد تعبنا عليه. إلا أني وددتُ أن يكون بسيطاً لائق بتراجِم المتأخرين، أهلِ القرن الثاني عشر، والثالثِ عشر، ممن لم يترجَم لهم في «المشْرَع»، أو ترجمه ويحتاجُ إلى زيادة. ومن المؤسِف أننا لم نجدِ المراجعَ الكافية لأفاضِل آل الحداد، وهم ليسُوا بقليلٍ مثلِ السيد علوي بن علوي وغيرهم، ممن رأينَا أسماءهم. والبسْطُ موجودٌ في «المواهب والمنن»، فهل هناك بصيرةٌ أو مدخَل على أولاد العمّ عبد الله بن علي، راجعُوا وتكلّموا. أو نكتب لمحمد ونشرحُ له القضية؟ لأنا لا نحبّ أن يخرُجَ هذا الكتابُ وفيه بسطٌ لتراجِم الناس، إلا آلَ الحداد، وإن كان ما يردُ في الحبيبِ عبد الله كافٍ، ولكن المقامَ مقامُ تفصيلٍ وتعديد، وبابُ ﴿وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ﴾، فالله يجعل إلى هذا الصعبِ طريقاً سهلة، آمين»[1].

أقولُ: هذا الكتاب بحثتُ عنه كما بحث عنه غيري، ولم نجد له أثراً، وهناك إشاراتٌ قوية وقريبة تشير إلى احتمال وجوده ضمن ما تبقى من تراث السيد المؤلف لدى أحفاده في عدن، وكان العلامة الحبيب عبد القادر السقاف (ت ١٤٣٢هـ) رحمه الله قد اطلع عليها عند السيد طاهر بن علوي، ابن المؤلف، في مدينة عدن. نقل ذلك عنه السيد أبو بكر المشهور، حفظه الله، فيما جمعه من منثور كلامه في مجالسه الخاصة والعامة، الذي سماه «رشف السلاف»[2]. جاء فيه: إن السيد علي بن محمد باعبود، نزيل مصر قال له: «إن الوالد علوي بن طاهر الحداد، رحمه الله، كتبَ تسعمئة ترجمة، جعلها طبقات»، فعقب عليه بقوله: «فوجدتها عند طاهر ولده لما سافرتُ إلى عدن»[3].

---

(١) الحداد، بهجة الخاطر: ٢/ ٨٥٩.

(٢) اسمه تاماً: «رشف السلاف من كلام وتعليقات خليفة الأسلاف سيدي الحبيب القطب عبد القادر بن أحمد السقاف».

(٣) المشهور، رشف السلاف (نسخة غير منشورة): ص ٣٩. زودني بهذا النص: السيد أحمد عمر الكاف.

وجاء في «رشف السلاف» (باللهجة الدارجة):

«**وسُئلَ**: [أي: الحبيب عبد القادر السقاف] نفع الله به عن هذه التراجم المذكورة: هل هي مطبوعة؟ أم لا زالت من غير طبع بالآلة؟

فقال نفع الله به: لا! هذه التراجم عادّها (أي: لا زالت) قلم (أي لم تطبع)، على طريقة عمكم علوي، وقلمه السيال الزين. وجعلها مرتبة على قبائل السادة، مثلاً: آل العيدروس، سبّربهم (أي بدأ بهم)، من العيدروس إلى المتأخرين ممن عرفهم، وآل شهاب من علي ابن أبي بكر السكران إلى من عرفَه من المتأخرين، وآل الشيخ أبو بكر كذلك، وآل السقاف كذلك، وآل الحداد، وآل العطاس، على هذه الطريقة فجاء كتاب عجيب! وقد قلتُ لطاهر رحمه الله: بانكمّله أنا وأنت، قال لي: إن شاء الله با اطلع به الحج؛ ولكنه توفي رحمه الله، وبغينا الكتاب حد يحفظه»[1].

يوجد نموذج من تراجم هذا الكتاب في «الشامل»، في سياق تاريخ القويرة، وهي ترجمة العلامة السيد محمد بن أحمد المحضار (ت ١٣٤٤هـ)، كما سبق الإشارة إليها، وهناك نموذج آخر وقفت عليه في مقدمة كتاب «مفتاح الإمداد في الصلوات والأوراد»، لجامعه السيد محمد بن سالم العطاس (ت ١٣٩٦هـ)، وهي ترجمة لشيخ المؤلف السيد الإمام أحمد بن حسن العطاس (ت ١٣٣٤هـ)، نشرت في مقدمة الكتاب المذكور: في مدينة بيناغ الماليزية (فلفلان سابقاً)، سنة ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م[2].

[٣٢] **الرحلة الدوعنية**: وهي أحداث رحلة شيخه الحبيب أحمد بن حسن العطاس إلى دوعن للصلح بين أفراد وقبائل متنازعة، في شهر جمادى الأولى سنة ١٣٢٦هـ[3]،

---

(١) المشهور، رشف السلاف (نسخة غير منشورة): ص ٣٩.

(٢) باذيب، أضواء على حركة طباعة التراث: ص ٢٣٢.

(٣) جاء عند الباحث منير بازهير: أنها سنة ١٣٢٩هـ وهو غير صحيح.

ذكرها ضياء شهاب. توجد لها نسختان، الأولى: في مكتبة رباط قيدون، بقلم أخيه العلامة عبد الله بن طاهر، فرغ من نقلها وتحريرها في ١٠ ذي القعدة سنة ١٣٢٧هـ، وتقع في (٢٧ صفحة). ونسخة أخرى كتبت في جاوا، بقلم السيد سالم بن عمر بن شيخان الحبشي، فرغ من نسخها سنة ١٣٧٠هـ.

[٣٣] الرحلة التريمية: وهي رحلة شيخه العلامة أحمد بن حسن العطاس إلى تريم وشعب نبي الله هود عليه السلام، جرت أحداثها في شعبان سنة ١٣٢٦هـ. ذكرها ضياء شهاب في تعليقاته. وتوجد منها ثلاث نسخ، اثنتان منهما بقلم المؤلف. **النسخة الأولى**: في حريضة، فرغ من نسخها بتاريخ ٢٠ شوال سنة ١٣٢٦هـ في قيدون، وقابلها على المسودة الأم، تقع في ٤٩ صفحة. وعليها طبقة سماع على صاحب الرحلة، بقلم السيد أحمد بن حسن الكاف، في شهر ذي الحجة سنة ١٣٣١هـ. **النسخة الثانية**: في رباط قيدون، فرغ من نسخها يوم الثلاثاء فاتحة شهر القعدة سنة ١٣٢٦هـ ببلده قيدون أيضا، وتقع في (٤١ صفحة) أيضاً، قابلها مع أخيه عبد الله. **النسخة الثالثة**: بقلم السيد محسن ابن سالم العطاس نقلها عن النسخة الأولى، وفرغ منها بتاريخ الثلاثاء ٢٠ جمادى الأولى ١٤٢٠هـ وابتكر لها اسماً من عندِه، هو «بشاير وطوالع سعود؛ رحلة إلى هود»[1]، وتقع في ٧٨ صفحة. وقد زاد السيد محسن بعض التحسينات على نص الكتاب كإيراده النصوص الكاملة للقصائد التي يورد المؤلف أوائلها عند ذكر إنشادها أو عروض مناسبة لها، مما زاد من حجم الرحلة.

[٣٤] تعقيب وتنقيب عن الملقب بالنفاط من آل النقيب: ذكرها ضياء شهاب في تعليقاته، رسالة لطيفة تقع في صفحات معدودة، طبعت في إندونيسيا، عقب بها على رسالة لتلميذه السيد عبد اللاه بن حسن بلفقيه (ت ١٣٩٩هـ) عنوانها «نقاش وتمحيص وتنقيب عن حقيقة الملقب بالنفاط في بني عيسى النقيب».

---

(١) اعتمد الباحث منير بازهير هذا العنوان في ترجمته للمؤلف: ص ٥٢. وينبغي العدول عنه.

[٣٥] مختصر تاريخ حسان: ذكره ضياء شهاب متفرداً به.

[٣٦] أمالي في التاريخ: ذكرها بهذا العنوان السيد أبو بكر الحبشي في الدليل المشير، وسماها ضياء شهاب «نقولٌ علمية وتاريخية»، ووصفها بأنها في عدة أجزاء. ثم ذكرها مرةً أخرى بعنوان «الأمالي في تاريخ الإسلام»، ووصفها بأنها غير تامة.

[٣٧] تراجم بعض العموديين: لم يذكره أحدٌ ممن ترجم له قبلي. ذكره في «الشامل»، قائلاً في سياق ترجمة الفقيه عبد الله باجماح العمودي، في تاريخ بلدة (فيل): «وكنت قد ترجمته فيما جمعتُه من تراجم لبعض العموديين، فأخبرني أخي: أنه قرأها عليه، فجعل يبكي»[١].

[٣٨] مختصر ثبت جده المسمى «بريق المشارق»: ذكره في كتاب الشامل، عند سياقه تحليل اسم (حضرموت)، قائلاً: «.. وقد خطر ببالي تحليل آخر، أشرت إليه آنفاً، وهو جدير بالبحث. وكان أول ما خطر ببالي عند اختصاري «معجم» جدي العلامة الفقيه الصالح العابد الزاهد، المستجاب الدعوة، المعتقد، عبد الله بن طه بن عبد الله بن طه الحداد، السيد الشريف باعلوي الحسيني، سماه «بريق المشارق» ذكر فيه مشايخه، وذكر رحلته إلى بلاد المهرة،..»[٢].

[٣٩] نبذة في أنساب السادة بني علوي: أدرجها كاملة السيد حسين الرفاعي (ت ١٣٧٦هـ) في كتابه «نور الأنوار في فضائل وتراجم وتواريخ ومناقب ومزارات آل البيت الأطهار» الذي طبع بالقاهرة سنة ١٣٥٦هـ ملحقاً بكتاب «بحر الأنساب». وسماها «كنز ثمين من بحور الأنساب»، وجاءت في ١٦ صفحة، من ص ٣٣ إلى ص ٤٨.

---

(١) الشامل: ص ٧٢٨.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٦٧.

قال في أولها: «أرسل لنا حضرة صاحب الفضيلة، العلامة السيد علوي بن طاهر ابن عبد الله بن عمر[1] الحداد العلوي، مفتي المسلمين ببلاد جوهور بارو الإسلامية، بجوار سنغافوره، وهي عاصمة بلاد الملايو، هذا البحر الفياض في أنساب وذرية السادة الحضارمة، الذين انتشروا في بلاد الدنيا شرقا وغرباً»[2]، إلى آخر كلامه.

وجاء في خاتمة تلك النبذة، قول المؤلف: «تنبيه: تركنا كثيراً من القبائل والبيوت المنقرضة، تفادياً من التطويل، فعلى من أراد الكشف عن اسم أحد من علمائهم المشهورين أن يراجع الكتب المبسوطة الخاصة بهذا النسب»[3].

سادساً: مؤلفاته في الردود العلمية:

[٤٠] القول الفصل فيما لبني هاشم وقريش والعرب من الفضل: أهم مؤلفات العلامة الحداد على الإطلاق. قال في كتاب «تشنيف الأسماع» عن المترجَم: «وله مواقف مشهورة مشكورَة مع الشيخ أحمد بن محمد السُّرْكَتي السوداني، زعيم الطائفة الإرشادية بجاوا، وقد ألف كتاباً في الرّد عليه في مجلدين سماه «القول الفصل»، إلخ. والصَّواب: أن هذا الكتاب ردٌّ على رسالة لتلميذ السوركتي، واسمه محمد العاقب، الذي كان قد نشر رسالةً بعنوان «المسائل الثلاث»، ذكر فيها مسائل خلافية، فكان هذا الكتاب رداً على ما فيها من تخبطات وأوهام.

ثناء العلماء عليه: قال العلامة السيد محمد بن عقيل بن يحيى (ت ١٣٥٠هـ) عن هذا الكتاب: إنه لم يؤلف مثله منذ أربعة أو خمسة قرون[4]. ومن رسالة من شيخ رباط تريم،

---

(١) هكذا جاء في المطبوع، وهو خطأ طباعي لاشك فيه، لأنه ساق نسبه مرة أخرى صحيحاً. وصواب الاسم: ابن طه، وليس ابن عمر.

(٢) الرفاعي، نور الأنوار: ص ٣٣.

(٣) المصدر السابق: ص ٤٨.

(٤) الحداد، نور الأبصار: ص ١١٦؛ بن سميط، الرحلة السميطية: ص ٦٠.

العلامة السيد عبد الله بن عمر الشاطري (ت ١٣٦١هـ) مؤرخة في ٢١ محرم ١٣٦٠هـ: «.. مثل ما انتفعوا بكتبكم السابقة: «القول الفصل»، وغيره من كتبكم المؤلَّفة..»[١]. وقال السيد صالح بن علي الحامد (ت ١٣٨٧هـ): «.. يدل على سعة اطلاعه وطول باعه في فن الحديث، حتى قال بعض علماء الغرب [أي: المغرب]: ما كنت أظن أن يوجد في الشرق عالم متبحر في الحديث يستطيع تأليف مثل هذا الكتاب، فحين رأيته حمدتُ الله»[٢].

وقال العلامة شهاب الدين المرعَشي النجفي (ت ١٤١١هـ): «كتابٌ ينبئ عن مزيد الإطلاع والتبحر في أحاديث القوم وتفسيرهم»[٣]. وعنوان الكتاب هو كما أثبتُّه، ولكن سقطت كلمة (وقريش) من «الدليل المشير»، واقتصر المرعشي على عبارة (بني هاشم) دون قريش والعرب!

تأليف الكتاب ونشره: اشتغل السيد المؤلف رحمه الله بتأليف هذا الكتاب سنوات عدة، فمن رسالةٍ صادرة من بوڤور بتاريخ ١٧ شوال ١٣٤٢ من السيد علوي بن محمد الحداد، إلى السيد عبد الله بن طاهر الحداد، أخي المؤلف، اعتذر له فيها عن تأخر سفر أخيه (المؤلف) إلى حضرموت، بقوله: «.. لأنا عزمنا على طبع كتابه «الرد على السوداني»، ولا بد من جلوسه لأجل التصْحيح»[٤].

وكان من المساعدين في الجمع والتصحيح والمقابلة، العلامة السيد أحمد مشهور الحداد (ت ١٤١٦هـ)، كاتب تلك الرسالة ومدبجها بخطه الجميل.

طبع الكتاب في جزأين، وصدر عن مطبعة أرشيفل دركري، في مدينة بوقور

---

(١) من أرشيف السيد المؤلف رحمه الله.

(٢) الحامد، رحلة جاوا الجميلة (مطبوعة بالآلة الكاتبة): ص ٥٦.

(٣) المرعشي: ص ٢٥١-٢٥٨.

(٤) الحداد، بهجة الخاطر: ٢/ ٦٧٣.

الإندونيسية، مطلع شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٣م، جاء في خاتمة الجزء الثاني: أن المؤلف فرغ من تبييضه ليلة الاثنين ٢٨ جمادى الأولى ١٣٤٤هـ. يقع الجزء الأول في ٥٠٢ صفحات + ١٢ صفحة. والجزء الثاني في ٥٠٨ صفحات + ٨ صفحات[١]. قرظه: السيد أحمد بن عبد الله السقاف، نثراً، والشيخ محمد بن عوض بافضل، نظماً، طبعا في خاتمة الجزء الثاني. ولبافضل قصيدة تقريظ أخرى وقفت عليها في ديوانه المخطوط، ولأخي المؤلف، العلامة السيد عبد الله، قصيدة فيه أيضاً توجد في ديوانه المخطوط.

أين الجزء الثالث من القول الفصل؟

هناك جزء ثالث لهذا الكتاب النفيس، اشتمل على مباحث ومواضيع غاية في الأهمية، تم الإفصاح عنها في خاتمة الجزء الثاني (ص ٤٩٥-٤٩٨). كما أعلن في الصفحة الأخيرة منه عن قرب صدروه حيث كتب ما نصه: «تنبيه: سيتلو هذا الجزء جزءٌ ثالث ضمناه بقية مباحث هذا التأليف، وقد فصلنا ما اشتمل عليه من الأبواب والمباحث المفيدة المهمة في آخر هذا الجزء». تلا ذلك عبارة تقول: «اعتذار: نعتذر إلى العلماء والفضلاء الذين أتحفونا بتقريظاتهم، ولم يسع هذا الجزء لإدراجها، وموعدنا بها الجزء الثالث إن شاء الله تعالى». يضاف إلى ذلك، ما ورد في رسالة شخصية من السيد علوي بن محمد الحداد إلى السيد عبد الله بن طاهر الحداد في قيدون، مؤرخة في غرة رمضان ١٣٤٤هـ قال فيها: «والأخ علوي [بن طاهر] بعافيةٍ ومبسُوط، و«الجزء الثالث» الهمةُ بارزةٌ لطَبعه، وعسَى الله يسهل أسبابه، ويفتح بابه»[٢].

ولكن هذا الجزء لم يظهر للعيان، ولم يتم العثور عليه في مكتبة السيد المؤلف رحمه الله. نعم، هناك مبحث عن حكم الشرع في تقبيل أيدي العلماء والأشراف، ذكر

---

(١) باذيب، أضواء على حركة طباعة التراث: ص ٢٩٩، الهامش ٤.

(٢) الحداد، بهجة الخاطر: ٢/ ٦٩١.

في (٢/ ٤٩٧) وقد أفرد المؤلف لهذه المسألة رسالة تقدم ذكرها بعنوان «إقامة الدليل»، يمكن التعلل بها كمبحث من مباحث الجزء المفقود. ووقفت في إضبارات المؤلف في مكتبة الحديدة التي نقلت إلى رباط قيدون على كراس فيه كلام على مسألة الكفاءة، وهي من مباحث الجزء الثالث أيضاً. يسر الله العثور عليه بمنه وكرمه.

[٤١] **أنوار القرآن الماحية لظلمات دجال قاديان**: ألفه باللغة الملايوية. كذا ورد اسمه على غلاف النسخ المطبوعة، وسماه ضياء شهاب: «... في الرد على دجال قاديان»، ووصفه بأنه في جزأين؛ والصواب: أنه في أربعة أجزاء. ولعل السيد ضياء لم يطلع على الجزأين الآخرين، مع أن الأجزاء الأربعة طبعت كلها في سنة واحدة ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م، يبلغ مجموع صفحاتها قرابة ٢٠٠ صفحة. ثم أورد عنواناً آخر نفسه ذكر «مقالاته في الرد على القاديانية»، فعد المقالات مؤلفاً مستقلاً. وظنّي: أنها هي نفسها «أنوار القرآن». فإن كتاب أنوار القرآن نشر أولاً كمقالات في الصحف، ثم جمع وطبع في أربعة أجزاء صغيرة، وليسَ في جزأين فقط. وهذه الأجزاء الأربعة قيد الترجمة، يسر الله إتمامها. ووجدتُ في إضبارات السيد المؤلف رحمه الله مقالا بالعربية في الموضوع نفسه، كما وجدت رسالةً بقلمه عنوانها «حقيقة الميرزائيين» من تأليف العلامة عبد العليم الصديقي الهندي (ت ١٣٧٣هـ) رحمه الله.

وعن جهوده واهتماماته بالرد على الفرق المنحرفة، ألفَ طالب ماليزي، يدعى محمد جسمي بن عبد الرحمن، رسالةً في ١٧٩ صفحةً، نال بها درجة الماجستير من كلية العلوم الاجتماعية والبشرية، قسم التاريخ، الجامعة الوطنية، سلانغور، ماليزيا:

Jabatan Sejarah

Fakulti Sains Kemasyarakatan Dan Kemanusiaan

Universiti Kebagsaan Malaysia

1992/93

بعنوان:

«Syed Alwe B. Tahir Al-Hadad: Perlhidmtan‹ Sumbangan Dan» Peranannya Membsmi Ajaran Sesat Di Nrgeri Johor **1934-1961,**

وهو ما تعريبه: «**السيد علوي بن طاهر الحداد؛ خدماتُه وجهوده ودوره في هدم الفرق الضالة بجوهور**»، وقد كلفت بتعريبها أحد الإخوةمن ماليزيا(١)، وأعدت النظر في صياغتها بالعربية، يسر الله نشرها.

[٤٢] **إقامة الدليل على أغلاط الحلبي في نقده للعتب الجميل**: ذكره ضياء شهاب، وتم العثور عليه في مكتبته التي نقلت من الحديدة إلى قيدون. ونشر ملحقاً بكتاب «العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل» للعلامة محمد بن عقيل بن يحيى (ت ١٣٥٠هـ)، في طبعة حديثة صدرت عن تريم للدراسات والنشر، سنة ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م. من ص ٢٧٩ إلى ص ٣٠٢. وأصله في ٩ ورقات بقلم المؤلف.

رد فيها على مقالة كتبها الأديب عبد العزيز الحلبي في مجلته «المكتبة» التي كانت تعنى بشئون المطبوعات الحديثة، في عددها الخامس الصادر في ربيع الأول سنة ١٣٤٣هـ: ص ١٤١ – ١٤٥.

[٤٣] **الرد على ابن خلدون في قاعدته في النسب ونقضها**: ذكره السيد محمد ضياء شهاب، وقال: «يوجد منه كراسان». لم أقف عليه. وسمعت السيد الفاضل سالم بن علي العطاس يذكرُ أنه اطلع على مكاتبة من السيد المؤلف، لعمه السيد محمد بن سالم العطاس (ت ١٣٩٦هـ): يخبره فيها أنه أهدى نسخةً من هذا الرد للمستشرق البريطاني سارجنت. وللعلامة السيد عبد الله بن حسن بلفقيه رسالة في الموضوع نفسه، مطبوعة بعنوان «**الشواهد الجلية في نقض القاعدة الخلدونية**»، ذكر فيها أنه كتب رسالة إلى السيد

(١) هو الأخ الفاضل السيد توفيق جمل الليل، من بني عمومة حكام ولاية پرليس، ماليزيا.

المؤلف يسأله الكتابة في هذا الباب وأن يخرج للناس كتاباً حافلاً في نقض تلك القاعدة التي جعلها البعض منطلقاً لهم في الطعن في الأنساب، ولكن التوقيت لم يكن مناسباً، لأنه كتب إليه سنة ١٣٦٦هـ فور تنفس الناس الصعداء من جراء الحرب العالمية، ولما لم يتحصل على جواب منه، بادر السيد بلفقيه بكتابة رسالته ليسد ثغرة في الباب.

[٤٤] **إثمد البصائر بالبحث في مذهب المهاجر**: ذكره بامطرف، وضياء شهاب ولم يذكرا كلمة (بالبحث)، زاد ضياء قوله: «كتبَ منه أربعة كراريس، لم يتم»، وهو كذلك. وقفتُ على نسخة خطية منه بقلم حديث غير قلم المؤلف، وعلى نسخة أخرى صفت حروفها على الآلة الكاتبة، تقع في ٢٠ صفحة من القطع الكبير، وعليها تصويبات تدل على مقابلةٍ، وانتهى الكتاب أثناء مبحث بعنوان «تصوف مسلّح وغير مسلح»، وكان البحثُ لا يزال في عنفوانه.

سبب التأليف: وقفت على كلام للسيد سالم ابن جندان في كتابه «الخلاصة الكافية» في سياق ترجمته لشيخه المؤلف، حيث قال: «وله مباحث في مذهب الإمام أحمد المهاجر، وأنكر إماميّته، فرد عليه السيد عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف وطال بينهما النزاع وكل واحد منهما يكتب الرد على صاحبه». **أقول**: هذه الكلمة الوجيزة لا تبعد كثيراً من الحقيقة، ولكن هناك تفاصيل أرى من واجبي أن أبينها للقارئ الكريم، خدمة للعلم والتاريخ، وللابتعاد عن رجم الغيب بالظن. فإننا بالنظر في مقدمة السيد المؤلف لإثمده، يتبين لنا أنّ أول باعثٍ للخوض في هذا البحث هو السيد عبد الله بلفقيه، الذي كتب رسالة عنوانها «صبح الدياجر عن حياة الإمام المهاجر»[1]، فتباحث معه عالمان كبيران من

---

(١) وسماها السيد المؤلف في مقدمة «الإثمد»: «صبح الدياجر في تاريخ الإمام أحمد المهاجر». ورسالة بلفقيه المشار إليها لم تتم، قال الشيخ علي سالم بكيِّر في ترجمته لشيخه بلفقيه: «في رأيي: أن أهم مؤلفاته هو كتابه عن حياة الإمام المهاجر، أحمد بن عيسى الحسيني، أصل دوحة السادة العلويين الأشراف في حضرموت». ثم قال: «وعندما سألتُ السيد عبد الله عن سبب عدم إكماله =

علماء حضرموت، هما السيد المفتي عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، والسيد الأديب صالح بن علي الحامد، اللذان وصفهما العلامة الحداد في مقدمة «الإثمد» بأنهما «من بدور المحاضر، وليوث المنابر، وحتوف المناظر»، وعقب تلك المناقشة، بعث السيد صالح الحامد رسالة ضمنها سؤالا في الموضوع، إلى العلامة علوي بن طاهر الحداد، فوصلته إبان اشتعال الحرب العالمية الثانية، التي انقطعت على إثرها المواصلات والاتصالات بين الشرق الأقصى والبلاد العربية.

فأجابه إجابة مستعجلة وصفها بقوله: «فأجبته بما حضَر، مودة له ولمن ذكر من الأحباب، ومشاركة لهم في مواردهم العذاب، وتطفلا على موائدهم الخصبة الجناب،

= كتابه عن الإمام المهاجر، أبدى أسفه الشديد، لعدم تمكنه من ذلك، وقال: إن السبب الأول هو عدم توفر المراجع التي يمكن الرجوع إليها».

قال الشيخ علي بكير: «ولو أن هذا الكتاب تم ونشر، لسد فراغاً كبيراً، وغطى حلقة لا تزال مفقودة في تاريخنا الحضرمي». وهذه عناوين مباحثها وفصولها: المقدمة: في ذكر أسباب هجرة الإمام وعن حياته في البصرة وحياته في حضرموت. فصل: في نسبه. فصل: في منشأ النقابة الطالبية، وبيت العريضي ودورهم في نقابة البصرة. فصل: في مذهب المهاجر. ذكرها بهذا الوصف الشيخ علي بكيِّر.

وعن مذهب المهاجر، قال الشيخ علي بكيِّر معلقاً على الفصل الأخير من رسالة شيخه بلفقيه: «أثار الجدل حوله بعض المؤرخين المعاصرين، فبينما يؤكد المؤلف أن سيدنا المهاجر كان سني العقيدة، شافعي المذهب في الفروع، يذهب العلامة ابن عبيد الله السقاف والسيد الأديب صالح بن علي الحامد إلى أنه كان إمامي المذهب، غير أنهما لا يستندان إلى دليل وثيق فيما زعماه، وقد سئل عن ذلك شيخ العترة، العلامة المرجع، علوي بن طاهر الحداد، فكتب مؤلفاً ضافي الذيول أسماه «إثمد البصائر في البحث عن مذهب الإمام المهاجر»، انتصر فيه لرأي السيد بلفقيه، وبين الأدلة القاطعة فيما تأييد ما ذهب إليه». انتهى كلام الشيخ علي بكير.

أقول: إنه لمن المؤسف أن القطعة التي كتبها العلامة بلفقيه من بحثه المذكور لم يتم تضمينها المجموع الذي طبع حديثاً والذي اشتمل على جميع مؤلفاته ورسائله، فليت القائمين على الكتاب يستدركون هذا الأمر فينشرونه في طبعة قادمة، والله الموفق.

ولم يواتِني البحثُ كما أحبُّ، بَل! ولا كما يجبُ، لبقاء عقابيل الحرب وعراقيلها». ويبدو من هذه العبارة: أن العلامة المؤلف، بعث بجواب سريع مختصر إلى السيد الحامد، ولكنه لم يكن راضياً عنه.

والظن الغالب: أن السيد السقاف اطلع على ذلك الجواب، فكتب رسالة سماها «نسيم حاجر في تأييد قولي عن مذهب المهاجر»، ويشتم من ذكر التأييد والقول في العنوان، ومن عبارات وردت في رسالته المذكورة[1]: أنه كان قد كتب مبحثاً مطولاً في كتابه «بضائع التابوت» في هذه القضية، قرر فيه إمامية المهاجر وبنيه، وهو الأمر الذي جعله ينبري لرسالة السيد بلفقيه، ويستقوي عليه بمؤازرة السيد صالح الحامد. ثم لما جاء جواب المؤلف على سؤال الحامد، على غير ما يشتهي الحامد والسقاف، كان بروز «النسيم» الذي يحمل «التأييد» لقوله السابق، أي: الذي حرره في «البضائع». قال السقاف في مقدمة «نسيمه» بقوله: «تلك نتيجة ما جرنا إليه الأخ العلامة علوي بن طاهر»[2].

فرغ السقاف من تحرير «نسيمه» في ربيع الثاني ١٣٦٧هـ وطبع في ٢٧ صفحة، بمدينة عدن بمطبعة النهضة اليمانية سنة ١٣٦٨هـ = ١٩٤٨م، عن نسخة بيضها القاضي مبارك عمير باحريش في ١١ رمضان ١٣٦٧هـ.

السيد طاهر بن علوي بن طاهر، ابن المؤلف، حرر ردًّا على ما ورد في «نسيم حاجر»، عقب وصوله إلى يد أبيه، الذي كان منشغلاً بواجباته الوظيفية عن خوض تلك المعركة الكلامية، فكلف ابنه بالمتابعة، وقد وجدت من هذا الرد ٩ صفحات بقلم منشئها، لكنها ناقصة مع الأسف، والمتحصل منها مرقم بأرقام تسلسلية من صفحة ٢٩ إلى صفحة ٣٥. تناول السيد طاهر في رده هذا تخبط العلامة السقاف في تعريف الإمامة، والمقصود منها عند أهلها.

---

(١) السقاف، نسيم حاجر: ص ٣.

(٢) المصدر السابق: ص ٧.

ولكن بحث السيد طاهر لم يكمل، وظل السقاف يترقب وصول ذلك الرد[1]، الذي امتلأت الأسماع أخباراً عن قرب صدوره أو إرساله إلى حضرموت. فلما طال الأمد، قام العلامة السقاف، فاستل من كتابه «إدام القوت»، الذي كان قد أنهى تبييضه أواخر سنة ١٣٦٧هـ المبحثَ الثالث الذي ذكره في سياق تاريخ (الحسيسة)، وهي الموضع الذي دفن فيه السيد الإمام المهاجر، وأطلق على ذلك المبحث عنوان «سَمُوم نَاجِر لمن يعترض نسيمَ حاجر». ودفع بذلك المبحث إلى ابنه السيد حسن، فأكمل عمل أبيه، وأضاف إليه مقدمة وخاتمة، في ٦٣ صفحة، من القطع المتوسط، ولكنه لم يطبعه، مراعاة لمآلِ رد العلامة الحداد، وكأنه استرْوَح من تأخره: رغبته في التوقف في قضية أشغلتهم عن أمور أكثر أهمية.

وبهبوب تلك السَّموم كان انتهاء تلك الجولات، وأصبحت تاريخاً يروى،فتحدث عنها ولخص مجرياتها الأستاذ سعيد باوزير في كتابه «صفحات من التاريخ الحضرمي» الذي طبع في مصر سنة ١٣٧٦هـ، والسيد محمد الشاطري في كتابه «أدوار التاريخ الحضرمي» الذي أكمل تأليفه سنة ١٣٨٦هـ وطبع في تلك السنة، والسيد صالح الحامد في كتابه «تاريخ حضرموت» الذي طبع سنة ١٣٨٧هـ[2].

[٤٥] **الرد على دجّال يافع أحمد بن عطاء الحرازي**: هكذا سماه السيد ضياء، وتفرد بذكره، وأفاد أنه: «لم يتم». **أقول**: الذي في المصادر تسمية ذلك الرجل بحسن هارون الضالعي، ولا أدري على أي شيء اعتمد السيد ضياء في تسميته إياه باسم مغاير لما هو مشهور. وللسيد المؤلف رحمه الله، كلامٌ مشبع حولَ أفكار ذلك الرجل في كتابه «عقود

---

(١) جاء في مقدمة «سموم ناجر» بقلم السيد حسن بن عبد الرحمن السقاف: «.. فقد اشتهر بين الخاص والعام أن العلامة السيد علوي بن طاهر الحداد يكتب ردا على نسيم حاجر، ويحب أن لا ينسب إليه، وأنه لا يزال من سنة ١٣٦٧ إلى اليوم يضم ويتابع ما يؤلف من ذلك بالبريد إلى ولده، ليكون على لسانه، ولكنه أبطأ في المخاض، وتلبثت به السنون،..»، إلخ.

(٢) قمت بتلخيص الخلاف حول مذهب المهاجر، في كتابي المسمى «جهود فقهاء حضرموت في خدمة المذهب الشافعي»: ٢/ ٢٥٧-٢٧٩.

الألماس»، وموضوعه متشعب، وقد صنف علماء حضرموت عدة مصنفات في الرد عليه، منها: رد للعلامة سالم بن عبد الرحمن باصهي (ت ١٣٣٦هـ)، وآخر للشيخ عبد الله المسدس باعباد (ت ١٣٤٤هـ)، وفتاوى صدرت بحقه من علماء الساحل الحضرمي، كالقاضي الروَّاف النجْدي، الذي كان مقيماً في المكلا في النصف الأول من القرن الماضي، ومفتي تريم الشيخ أبي بكر الخطيب، وغير ذلك. وقد جمعت تلك الأشتات وقمت بتحقيق نصوصها، يسر الله نشرها في عافية.

سابعاً: مؤلفاته في علوم العربية:

[٤٦] **الفرائد اللؤلؤية في القواعد النحوية**: هكذا سماها المؤلف، وطبعت بهذا العنوان في حياته. بينما سماها الحبشي في الدليل «الفرائد اللؤلؤية في النحو»، وذكرها المشاط ولم يسمها، وسماها ضياء شهاب: «الفوائد»، ومثله في «منحة الإله» لابن حفيظ، ولعله خطأ طباعي أو سبق قلم.

صدرت طبعتها الأولى في سورابايا بمطبعة بمطبعة أرشفيل دركري، في بوقور، بإندونيسيا، أواسط شعبان سنة ١٣٤٢هـ في ٨٣ صفحة. أشرف على طبعها العلامة أحمد مشهور الحداد، ووضع خاتمةً للطبع على طريقة المصريين في ذلك العصر، وهي أشبه بتقريظ منها بخاتمة، جاء فيها قوله نظماً:

عقودمن النحو مختارةٌ ... يواقيتها حشْوَ أبوابِهِ
فوائدُ يعرفهَا أهلها ... وكل فتًى حاذقٍ نابهِ
كما يعرفُ الدرَّ ملاكُه ... وينفَقُ في سوقِ أربَابِهِ
فيا حبذا النحْوُ من مطلبٍ ... تعالى به قدْرُ طلابهِ
كأنّ العلومَ له عسكرٌ ... وقوفٌ خضُوعٌ على بابِهِ

ثم أعيد طبعها في دار الحاوي، بيروت، سنة ١٤١٣هـ في ٧٦ صفحة + الفهرس[1].

ومؤخراً؛ نشرتها دار مصرية، تدعى دار الفضيلة، بالقاهرة، وغيرت اسمها إلى «مرشد الطلاب إلى النحو والإعراب»، ووضعت الاسم الصحيح أسفل ذلك العنوان المبتكر، ووضع على الغلاف عبارة «قرأه وعلق عليه أحمد عبد التواب عوض، المدرس المساعد بجامعة عين شمس». وخلا الكتاب عن سنة النشر، إلا أن رقم الإيداع في دار الكتب المصرية مؤرخ بسنة ١٩٩٦م، وجاء الكتاب في ١٢٦ صفحة من القطع المعتاد. وهذه سرقة وإغارة من إغارات تجار الكتب، اقترنت بتزوير عنوان الكتاب، ووضع العنوان الأصلي في غير موضعه.

[٤٧] ديوان شعره: ذكره السيد ضياء واصفاً إياه بأنه ديوان صغير، فيه «ما بقي من شعره». ومعلوم أن السيد المؤلف رحمه الله، لم يكن من المكثرين في قول الشعر، على أنه لم يخل من قول بعض القصائد في مناسبات مختلفة.

ومع أني لم أقف على هذا «الديوان الصغير»، الذي ذكره السيد ضياء، إلا أني جمعتُ من شعره ما تسنى لي الوقوف عليه من مجاميع أوراق متفرقة، منها قصيدة له نشرها في مقدمة الجزء الثاني من «القول الفصل»، مطلعها:

ألم تر أني ذدتُ عن مجدِ هاشمٍ ... وبيتِ رسُول الله بالقَول ذي الفصْلِ
وفنـدت آراء الشـعوبي إذ غدَتْ ... على العرب العرباء أحقاده تغلي

إلى آخرها.

[٤٨] رسالة في استبدال الحروف العربية بالحرف اللاتيني: تفرّد بذكرها السيد ضياء شهاب.

---

(١) باذيب، أضواء على حركة طباعة التراث: ص ٣٤٢.

ثامناً: مؤلفاته في التصوف:

[٤٩] **نبذة من كلام الحبيب أحمد بن حسن العطاس**: ذكره السيد ضياء شهاب، ووصفه بأنه «في كراريس»، وحدّدت في مخطوط «تنوير الأغلاس» بـ(١١ كراسا)، ابتدأ في جمعه في شهر جمادى الثانية ١٣٢٦هـ وآخر مجلس فيه بتاريخ ١٧ ربيع الثاني ١٣٢٧هـ. هذه «النبذة» ضمنها الشيخ محمد بن عوض بافضل في المجموع الكبير الذي سماه «تنوير الأغلاس». وتوجد منه نسخ مفردة.

منها نسخةٌ مضبوطة جميلة الخط، قرئت على السيد المؤلف، رحمه الله، كتبها السيد هارون بن حسن بن عبد الرحمن الجنيد جمل الليل، في سنغفورة، فرغ من نسخها ظهر الاثنين ٣ رمضان سنة ١٣٦١هـ تقع في ٩٨ صفحة. أخبرني ابنه السيد جنيد بن هارون، عند زيارتي له في سنغافورة في جمادى الآخرة سنة ١٤٣٠هـ: أن والدَه كتب هذه النسخة إبان الحرب العالمية الثانية، وقتَ قصف الطائرات الحربية اليابانية جزيرةَ سنغافورة بالقنابل والصواريخ، وكان معتكفا في بيته، ولم يغادر الجزيرة كغيره.ثم بعد أربع سنوات شدادٍ، التقى الجنيد بشيخه العلامة المؤلف، فاستجازه في مروياته، وشرعَ يقرأ عليه في هذه «النبذة»، وكتبَ ما نصه: «ابتدأت في قراءة هذا المجموع على الحبيب علوي بن طاهر الحداد بسنقافورة يوم الربوع فاتحة محرم سنة ١٣٦٥هـ».

[٥٠] **الرد على بعض المتصوفة في تلاعبهم بلفظ الجلالة**: وهي من أوائل مصنفاته، كتبها سنة ١٣٣٣هـ توجد مبيضتها في ١٢ صفحة، بقلم المؤلف، في رباط قيدون، ناقصة الآخر، كتب على طرة غلافها الخارجي عبارة: «يطالع في ذلك، عبده: أحمد بن طاهر الحداد، حرر ١٢ شعبان ١٣٣٣».

[٥١] **شرح على قصيدة لشيخه الحبيب محمد بن طاهر الحداد**: ذكره السيد حسن

ابن عبد الله الكاف في رحلته[١] قائلًا عنه: «شرحٌ غريب، بلسان أهل المحبة والتقريب، شرحَ به قصيدة السيد العارف بالله محمد بن طاهر الحداد، التي أولها:

صفا الوقتُ فاسمع ما يقال لك البقا وبالباب حُطَّ الرحْلَ واستصْحبِ التقى

أوله بعد البسملة: «الحمد لله الذي أظهر من مكنونات الأسرار دراري الأنوار، قذفتها أمواج الغيوب إلى سواحل القلوب، فتلقتها الآذان، من سمسار اللسان، فخرقت كل سمع إلى منتهى اللب، وأدركت من كل فؤاد غاية الرضَا والحب»، إلى آخر كلامه. وقد سردنا منه جملة جميلة، فشفى ذلك الكلام من القلب عليله، وقد تكلم على الروح ولطائفها بكلام عزيز، كأنه ماء فضة في سبائك الإبريز، ووشحه بفرائد وفوائد، من كلام إمام العصر، سيدي أحمد بن حسن العطاس، وغيره من الأئمة الأكياس». وقفتُ على مسودتين له في مكتبة رباط قيدون.

تاسعاً: مؤلفاته في علم الفلك:

[٥٢] مجموعة من علوم الفلك: ذكرها ضياء شهاب، ووصفها بأنها «في مجلد ضخم». وهي كذلك، وقد اطلعت على نسختها لدى السيد الأكرم عدنان بن علي مشهور الحداد، حفظه الله ونفع به. وهي تشتمل على جداول ذات أرقام فلكية، وحسابات لوغارتمية، تدل على تمكن واقتدار من أصول هذا العلم. وفيها فوائد كثيرة ملخصة من كتاب «النخبة الأزهرية في علم الجغرافية»، الذي كان يقرأه على شيخه العلامة أحمد بن حسن العطاس، كما سبق.

[٥٣، ٥٤] رسالتان في علم الفلك: ذكرها ابنه العلامة حامد بن علوي، في رسالته المؤرخة سنة ١٣٨٨هـ إلى السيد حامد مشهور الحداد، من الحديدة إلى جدة، السابق ذكرها. ولم أقف عليهما.

---

(١) الشامل: ص ٤٠٣.

عاشراً: مجاميع مقالاته ومحاضراته وخطبه:

هذه المجاميع التالية، ذكرها كلها السيد محمد ضياء شهاب، في تعليقاته، أسردها كما ذكرها هو، مع اعتقادي أن بعضها يمكن ضمه ودرجه مع البعض الآخر:

[٥٥] **مجموع مقالاته**: وللسيد المؤلف رحمه الله، عدة مجاميع ضمت فيها مقالاته الكثيرة التي حررها طيلة فترة إقامته في شرق آسيا، ونشرت في صحفها العربية السيارة، في ذلك الحين. وقد قسمها السيد محمد ضياء شهاب إلى أربعة أقسام، وزدت عليه قسماً خامساً، وهي كالتالي:

مقالات نشرتها مجلة الرابطة: نشرت بين سنتي ١٣٤٦ و١٣٥١هـ وهذه يمكن جمعها بسهولة، لتوافر أعداد مجلة الرابطة كلها، وهذا من فضل الله.

مقالات نشرت في الصحف العربية الإندونيسية: خصوصاً منها الصحف الثلاث: «صحيفة حضرموت»، و«صحيفة العرب»، و«صحيفة النهضة الحضرمية»: ذكر السيد ضياء أنها «في أربعة أجزاء». **أقول**: كثيراً ما سمعت خبر تلك المقالات من لفظ ابنه، سيدي العلامة الحامد بن علوي، رحمه الله. وقال لي: إن والده كلفه وأخاه السيد طاهر بجمعها من الصحف السيارة، خوفاً عليها من الضياع، أو تلف أوراق تلك الصحف. وبعد وفاة شيخنا المذكور، وقعت في يد السيد عدنان مشهور الحداد مجموعة من تلك الكراريس، أثناء زيارته لأحفاد المؤلف المقيمين في مدينة عدن، كما أن المتوافر من أعداد الصحف المذكورة يغري بمقابلة ما في الكراريس بما هو منشور على صفحاتها، والظن أنها شبه مكتملة، لوفرة المكتوب.

مقالات كتبها خلال تقلده وظيفة الإفتاء بجهور: ذكرها السيد ضياء، وأنها «في عدة أجزاء». وهذه المقالات لم أقف عليها. لكن أعلم أن منها: «**مقالاته في الرد على**

القاديانية». وهذه المقالات ذكرها السيد ضياء شهاب، عاداً إياها عنواناً مستقلاً عن مقالاته في جوهور، وعن الكتاب المتقدم في الردود بعنوان «أنوار القرآن»، وقد وقفت على بعض الأوراق بقلمه في الرد عليهم، كتبها باللغة العربية، لا الملايوية، مما يدل على صحة التغاير الذي ذهب إليه السيد ضياء.

مقالاته في الرد على القاديانية: تقدم ذكرها ضمن ما قبلها.

مقالاتٌ في تراجم بعض معاصريه: وهذه زدتها من عندي، فهناك مقالات له ترجم فيها لعدد من الأعلام الذين عرفهم، منها ما نشر في مجلة الرابطة كترجمته التي كتبها في تأبين العلامة السيد محمد بن عقيل بن يحيى (ت ١٣٥٠هـ). أو ما نشر في مقدمة بعض مصنفات المترجَم لهم، كترجمته للسيد العلامة أحمد بن عبد الله السقاف (ت ١٣٦٩هـ) التي نشر ملخصها ملحقاً بديوانه المطبوع[١]، ومنها ما ضمن في بعض مؤلفات معاصريه، كترجمته للسيد عبد القادر السقاف (ت ١٣٦٧هـ) التي ضمن نصها العلامة أبو بكر بن أحمد الحبشي في كتابه «الدليل المشير»[٢] في سياق ترجمة المذكور. ومنها: «**مقال عن حسين القدري**»: ذكره بامطرف في «الجامع» في سياق ترجمته للسيد حسين القدري، وأشار إلى أنه نشر في «صحيفة النهضة الحضرمية»: العدد ٨، الصادر في أغسطس ١٩٣٣م، وغير ذلك.

[٥٦] مجموع محاضراته: ومنهامحاضرة شهيرة عنوانها «**الخطبة الجامعة الغراء**»، قال السيد ضياء في وصفها: «ألقاها في جمعية الشباب المسلمين، وظهرت مطبوعةً باللغتين العربية والإندونيسية». ولم أقف على شيء من الطبعتين المشار إليهما، غير أن سيدي العلامة الحامد بن علوي (ت ١٤١٥هـ)، رحمه الله، ناولني[٣] مصورة عن

---

(١) السقاف، ديوان شعر: ص ٢١٧-٢٢٠.

(٢) الحبشي، الدليل المشير: ص ١٩٠-١٩٢.

(٣) بتاريخ السابع من صفر سنة ١٤١٤هـ.

نسخة خطية، تقع في (٢٢ صفحة)، غير مؤرخة، ولم يسم كاتبها، جاء على طرة غلافها: أن السيد المؤلف ألقاها يوم الخميس ٤ شعبان سنة ١٣٤٩هـ ٢٥ ديسمبر ١٩٣٠م ببتاوي (جاكرتا) في جمعية العلماء المسلمين، التي سماها السيد ضياء «جمعية الشباب المسلمين». ونشرت على صفحات مجلة «الرابطة».

[٥٧] **مجموع مكاتباته:** وصفها السيد ضياء بأنها «ذات الفوائد العلمية والتاريخية»، جارٍ جمعها لتنشَر في كتاب يضم الأعمال الكاملة للسيد المؤلف رحمه الله، وبعضٌ منها مضمّنٌ في كتاب «بهجة الخاطر وسرور الفؤاد في جمع مآثر علوي بن محمد بن طاهر الحداد»[١].

[٥٨] **مجموع خُطَبه:** ذكرها السيد ضياء. ولم أقف عليها.

حادي عشر، تعليقاته على بعض الكتب:

وإذا أضفنا الى ما سبق، ما وجدناه من تعليقات على بعض المؤلفات والمشجرات في الأنساب، لزدنا التالي:

[٥٩] تعليقاته وتتماته على «شجرة بني علوي الكبرى»، فقد مشى قلمه على نسخة منها وصلته الى بلاد الملايو، إهداء من السيد عبد الرحمن بن شيخ الكاف، وملاحظاته التي دونها في غاية الأهمية، لا يستغني عنها باحث في تلك الشجرة. وقد كانت هذه الشجرة من مصادره في كتابه هذا [ص ٤١ من الأصل].

[٦٠] تعليقاته على كتاب «شمس الظهيرة» للعلامة مفتي حضرموت عبد الرحمن المشهور (ت ١٣٢٠هـ). فقد وقفت على نسخة من هذا الكتاب، ملحقاً بكتاب «الشجرة» السابق ذكره، بقلم الشيخ سالم بن أحمد حسان، وعليه تعليقات مهمة بقلم المؤلف، وقد أدرجت تلك التعليقات والاستدراكات في مواضعها من تحقيقي للشمس.

---

(١) الحداد، بهجة الخاطر: ٢/ ٧٨٣-٩٣٧.

[٦١] وضعه لمشجرة لأنساب آل الحداد، وهي مشجرة لطيفة، استلها بقلمه من «الشجرة الكبرى»، وأضاف عليها بعض الإضافات. وهي في قيدون، غير مؤرخة.

هذا ما تيسر الوقوف عليه، من كتب وأعمال السيد المؤلف، رحمه الله، وكنت عددتها في موضعٍ آخر غير هذا، فوصلت إلى ٥٥ عنواناً، ولولا أنه تم دمج المقالات (وهي أربعة أنواع)، تحت رقم واحد؛ لأصبح العدد ٦٤ عنواناً.

شعر المؤلف:

للمؤلف، رحمه الله تعالى، مشاركات أدبية، وله بعض القصائد الشعرية، جمعها بعض المعتنين، وسوف تدرج في ترجمته الكبرى التي أنا بصدد جمعها وتحرير مادتها، إن شاء الله، فمنها مدائح في بعض شيوخه، ومنها مراثي في بعضهم، وغير ذلك.

* * *

علوي بن طاهر الحداد مؤرخاً

يلاحظ المطالع لسيرة العلامة علوي بن طاهر الحداد، رحمه الله، ذلك الشغف الكبير الذي يمتلكه تجاه علم التاريخ، حتى ليخيَّل للناظر إلى قائمة مؤلفاته أنه قصَر عمْرَه وحياتَه لخدمة هذا الفن، فبالنظر الى قائمة مؤلفاته، واستخلاص المؤلفات التاريخية منها، نجدها تشكل الثلث من مجموع مؤلفاته. إن لمعان اسمه، وريادته في الكتابة عن تاريخ العرب والمسلمين في شرق آسيا، وتفرده زمناً طويلا بالكتابة في ذلك الاتجاه بكتابه الفريد في بابه «المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى»، تكمن وراءها أسباب خفية، أفصح هو عن بعضها في مؤلفاته تلك المباركة النافعة.

قال في معرض حديثه عن تاريخ الدعاة من آل عبد الملك بن علوي، في شرق آسيا، في كتابه «عقود الألماس»: «ثم إن ذكري طرفاً من تاريخ أولئك الدعاة الأبرار، الذين غامروا في ولوج أثباج البحار، وصارعوا هائلات الأخطار، هو حق من حقوقهم اللازمة علينا، بل ومن حقوق دين الإسلام، بل من حق محمد رسول الله ﷺ الذي أمر بالتبليغ والدعوة.

وهناك أمرٌ آخر فيه طمأنينة لقلبي، لما كنت أشعر به من التأثير في اعتنائي بهذه الأبحاث، لما كان يعاملني به صاحب المناقب، شيخنا، قدس الله سره،[هو العلامة السيد أحمد بن حسن العطاس]، ويدربني عليه. فقد كان يأمرني بتقييد ما يمر بنا في قراءتي من نوادر التاريخ، ويلح علي في ذلك، حتى لقد استوهب لي مرةً دفتراً من القرطاس ضخماً، لا تكاد تقله اليد من ضخامته، فأمرني أن أعده لتقييد ما يمر بي من شوارد التاريخ ونوادره.

فلما اكتشفت تاريخ الذين أدخلوا الإسلام إلى جهة الشرق، وهو ما كان يسميه سلفنا (الهند الأقصى)، أي: من سمطرا وبلاد الملايو إلى برنيو وجاوه وسليبس إلى فوافوا

(غينيا الجديدة)، فهمتُ أن شيخنا رحمه الله تعالى، كان يشعر أنه سيخرج على يدي إلى عالم الظهور غرائب من التاريخ مكنونة، ونفائس في خزائنها مصونة. وأني سأكشف حجاب الكتم واللبس الذي أحاط بتاريخ الدعاة حتى جهل عن غفلة أو عمد»[1].

أعقب ذلك بالقول: إنه «أول من بحث عن تاريخ دعاة الإسلام في جزائر القمر، وما وإلى مدغشكر موزامبيق، الذين حاربهم البرتغال». وأضاف: «بل كنتُ أولَ من عرف أن من السادة العلويين من بلغ إلى جزائر تحت الريح قبل أن يعرفها البرتغال، وهي جزائر في بحر أميريكا، والحمد لله في ذلك الفضل»[2].

إن الكتابة عن السيد العلامة الحداد، مؤرخاً، وباحثاً سابراً أغوار المجهول من تاريخ الإسلام والعرب، أمر تطول الكتابة فيه، والحديث فيه حديث عذب لا يمل. ولكني مضطر إلى الاكتفاء بما تقدم، فالإطالة هنا ستخرجنا عن مقصود التقديم لكتاب «الشامل». غير أني لن أغادر قبل أن أنقل رأي مستشرق شهير ممن خدموا تاريخ حضرموت، وتاريخ اليمن بالعموم، وكانت له شهرة وصيت في عالم التراث والبحث العلمي في جنوب الجزيرة العربية، وهو الدكتور سارجنت.

بين سارجنت والحداد:

سارجنت كما ذكرتُ آنفاً، كان مبعوثاً إنجليزياً من وزارة المستعمرات البريطانية إلى الجنوب العربي، أقام في أرض الجنوب سنواتٍ منقباً وباحثاً ومؤرخاً لعاداتها وتراثها الشعبي، ومصادر تاريخها المحلي. وقد كتبت عنه فصلاً مفيداً في كتابي «أضواء على حركة طباعة التراث الحضرمي في المهجر»[3]. وبطبيعة الحال، فقد كانت بينه وبين

---

(١) عقود الألماس: ص ٢٥٣-٢٥٤.

(٢) السابق: ص ٢٥٤.

(٣) باذيب، أضواء على حركة طباعة التراث: ص ٣٧٢-٣٧٧.

العلامة الحداد علاقة وتعارف في باب البحث عن تاريخ حضرموت، واستفاد مما كتبه العلامة الحداد، بل كان يراسله ويسأله عن بعض ما يشكل عليه. كتب سارجنت عن العلامة الحداد كلاماً رائقاً في بحث له بعنوان «المؤرخون وكتابة التاريخ الحضرمي»[١]، الذي عربه د. سعيد النوبان، ونشرته جامعة عدن مع بحثين آخرين له عن حضرموت.

قال سارجنت، تحت عنوان جانبي: «**المؤرخون من السادة**»[٢]:

«إن عميد المؤرخين هو السيد علوي بن طاهر الحداد، المولود في قيدون بوداي دوعن. وقد تركها على عجلٍ في باكورة شبابه[٣]، تحت سحابة سياسية، وأخذ معه أحمالاً من الكتب، ثم أصبح بعدئذ مفتي جُهور، لكن عرفتُ مؤخراً أنه قد اعتزلها [٤]. لقد زار حضرموت فترة قصيرةً قبل سبع سنوات.

إن علوي بن طاهر عالم وناقد جيد، ولقد قيل لي: إن ذاكرته خارقة، ويستطيع أن يتذكر محتويات كتابٍ بأكمله كلمةً كلمة، بعد قراءته، ويتذكر إضافة إلى ذلك الصفحات التي يرجع إليها. وللمذكور مؤلفات عدة خاصة حول تاريخ العلويين، وله تعاطف شديد مع العلويين، لكن ليس إلى الحد الذي يؤثر على أحكامه.

إن كتابه «الشامل في تاريخ حضرموت» قد قدِّم إلى المطبعة حين استولى اليابانيون

---

(١) سارجنت، المؤرخون وكتابة التاريخ الحضرمي، تعريب سعيد النوبان، (عدن: مطابع جامعة عدن، د.ت): ص ٧٧-١٠٥. مع التنويه إلى أن التعليقات على المقال هي للكاتب نفسه، وقد ميزتها بحرف (س).

(٢) بعض هؤلاء المؤرخين، ومنهم صلاح البكري، قد تمت الإشارة إليهم في مقالي: «نشوء المؤرخين الحضرميين في المجتمع العربي»: لندن؛ العدد ١١، ٩/ ١٩٥٠م: ص ٨-٩. (س).

(٣) كلام غير صحيح، وقد تقدم في ترجمته ما يغني عن تصديق كلام سارجنت هذا.

(٤) هذه المعلومة غير صحيحة أيضاً، فقد ظل المؤلف على رأس وظيفته، رغم المحن والشدائد التي قاساها أثناء الحرب العالمية الثانية، وبقي في جوهور الى وفاته.

على سنغافورة، لكنه ضاع. لكني علمتُ أن له تاريخاً بديلاً في طريقه إلى المطبعة. وله كتاب مختصر هو «جنَى الشماريخ».

وقد بدأ يكتب ما يمكن أن يسمى ترجمة للسيد أحمد بن حسن بن عبد الله العطاس، مولى حريضة، وأسماه «عقود ألماس» (سنغافورة: ١٩٤٩ - ٥٠). والواقع أن كتاب «عقود الألماس» يحوي مادة جمة حول تاريخ السادة، وبحثاً عن أجدادهم، وقد استخدم فيه مجموعة من المصادر[١] العربية الكلاسيكية، بعضها غير معروف لبروكِلمَن.

وكان السادة العلويين يعتمدون على هبة مالية من سلطان مراكش في عام ١١٩٩ - ١٧٨٥ [٢]. ولدهشتي! فعندما أشرتُ إلى ذلك للعلماء بمراكش اتضح أن الحادثة معروفة ومسجلة في تواريخهم. وهناك مسائل أخرى ذات فائدة عن التاريخ الحضرمي، كان الحداد قد ناقشها في أعماله.

إن «عقود الألماس»، قيم جداً، وفيه مسح واسع لمصادر تاريخ حضرموت عامة. وهناك عمل أقدم منه وهو «القول الفصل فيما لبني هاشم وقريش من فضل»، وقد نشر في بوقور Bogor عام ١٣٤٤ / ٦ - ١٩٢٥. أي: حين كان النزاع العلوي الإرشادي على أشده.

---

(١) لم تناقش هذه المصادر هنا من بين تلك الأعمال «النفحة العنبرية في أنساب خير البرية»، والتي توجد منها نسخة واحدة فقط في بتافيا بحوزة علي بن جعفر السقاف. وفي عدد ١٢٣٠ من «النهضة الحضرمية»: أشير أنه مازال يكتب التاريخ، وتمتد معلومات إلى المهرة إذ نشر مقالاً في «الرابطة العلوية»: ٢ - ص ٩٧. (س).

(٢) عقود الألماس: ١/ ٢٨، ٣٢، ٤٤. وأثناء كتابتي هذا المقال سعدت باستلام رسالة من وزير التربية المغربي بالرباط، ومدّني بالمعلومات التالية من مخطوطة «حوالات حبسية» في مراكش: «تنص سجلات الأوقاف المغربية التي ترجع لأوائل الدولة العلوية الحاكمة سواء منها ما هو مخطوط أيام المولى إسماعيل أو محمد الثالث على أن التزامات المغرب سنويا نحو الحرمين الشريفين، وأهل الحجاز ومصر وحضرموت كذلك كانت تقدر بالآف الدنانير .. وأنه ينوب منها أهل البيت باعلوي باليمن وحضرموت مئة دينار». (س).

وقد علمتُ أن علوي بن طاهر يطبع في سنغافورة كتاباً موسعاً عن تاريخ حضرموت، وسيكون المرجع الأول حولَ الموضوع»[١].

هذا ما كتبه سارجنت، ولا يزال الحديث عن المؤلف مؤرخاً، وعن أسلوبه في الكتابة التاريخية موضوعاً بكراً، يمكن أن تكتب فيه رسالة علمية في إحدى جامعاتنا المحلية والوطنية.

***

وهنا سؤال يفرض نفسه، تعقيباً على الفقرة الأخيرة في كلام سارجنت:

هل وضع المؤلفُ عن حضرموت كتاباً آخر غير الشامل ؟

وقفتُ على نصٍّ يعضد ما ذهب إليه، أو خمنه، أو سمعه سارجنت، يفيد أن المؤلف رحمه الله، كان يعتزم الكتابة عن حضرموت بصورة أكثر توسعاً مما هو عليه الحال في الشامل، ولعل ذلك خطر على باله بعد أن رأى كتابه يتبدد أمام ناظريه، بسبب الحرب العالمية الثانية، التي لم تبق ولم تذر. ورد ذلك في رسالة من ابن المؤلف، السيد طاهر ابن علوي، لابن خاله السيد حامد مشهور الحداد، قال فيها، عقبَ كلامٍ عن الشامل: «**وأما التاريخ المفصَّل فلما يُقدَّر كتابتُه**». فيمكننا من هنا، أن نذهبَ الى القول بصحة التخمين الوارد في كلام الدكتور سارجنت.

***

(١) كان على اتصال بعلماء كثير. (س).

هذا الكتاب

تسمية الكتاب: الصحيح في تسمية الكتاب: «**الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها**» كما هو مزبور على غلاف الطبعة الأصلية، وكما أثبته معظم مترجميه مختصراً باسم «الشامل» أو مطولا كما هنا. وأغرب تسمية وردت في كتاب «تشنيف الأسماع»، حيث سمى المؤلف الكتاب: «عقد الياقوت في تاريخ حضرموت»، وتابعه المرعشلي، وأغرب الحبشي في قوله إنه يقع في مجلدين. وفي «العقود الجاهزة»: «الشامل في تاريخ حضرموت، في ثلاثة أجزاء، مختصَراً من تاريخه الكبير لحضرموت»[1].

أسباب التأليف: تتلخص في سببين رئيسين:

السبب الأول: الدافع الذاتي. الذي عبر عنه بقوله: «فإنه مما كان يخطر ببالي، وتتعلق به أمانيَّ وآمالي، أن يكون لحضرموت ومخاليفها تاريخاً شاملاً يجمع ما أسأرته يد الإهمال، مشيراً إلى ما تداوله من الدول وحالَّ به من الأحوال، وما بادت به من الأمم وانجالت عنه من الأجيال، ومنبئاً بمن تقل إليه من النواقل وتمّ فيه من الاستبدال، وطالما منّتني نفسي أن أكون أنا القائمُ بهذا المهم المهمَل، ويصرفني عن ذلك علمي بثقلِ ما أتجشّمه من ذلك وأتحمل، فإن الموضوعَ مهامِهُ لم تُدمِنها الخطَى، ومشارعُ بمعاميَ لا تهتدي إليه القطا، لا سيما وعلمُ التاريخ من علومِ النقلِ، يرجع فيه إلى الرواية لا الرويّة، وليس بعلمِ نظرٍ أو تجربةٍ يؤخذُ فيه بمدرك النظر ونتيجة القضية»[2].

---

(١) الجنيد، العقود الجاهزة: ص ٢٣٤.

(٢) الشامل: ص ٢١٢.

السبب الثاني: حماية جانب الحقائق التاريخية من عبث العابثين. فإنه قد شاهد سطو بعض الناس على ما نشره من مقالات تاريخية، في صفحات مجلة «الرابطة العلوية» في أعدادها الصادرة بين عامي ١٣٤٦، و ١٣٥١هـ وقد تحدث عن ذلك الأمر المؤسف قائلاً:

«وكنتُ إذا ظفرتُ بشواردَ قيدتها، وسوانح أسرعتُ اليها فاقتنصتها، حتى اجتمع من ذلك ما إذا أُلِّفَ صلُحَ أن يُطلقَ عليه اسمُ التاريخِ على نقصٍ وانقطاعٍ، وخفاءِ أمور لا يكتفى فيها بدُون الرواية والسماع، وتأنّيتُ بإبرازه الفرصَ لتسنح، والأيامَ لتسعد وتمنح. وسمحتُ مع ذلك لمجلةِ «الرابطة العلوية»، وغيرها، بنشر نتفٍ منه إثارةً للهمم، وتنبيهاً للقيام بهذا الواجبِ الأهمّ.

فاختطفَها بعضُ مسترقي السمعِ من الأغبياء الجاهلين، فمزَجها بأكاذيبَ روَّجها لا تقدر على مثلها الشياطين، مع خبطٍ لا يدانيه خبطُ معتسِّفِ الظلماءِ، وخلْطٍ لا يشبهه خلطُ أعتهٍ أعمى. وشابَ ذلك بأقاصيصَ اخترعها، ودعاوي كاذبةٍ هو زوّقَها وابتدعها، وأخبارٍ مفتراةٍ قد افتجَرها ووضعَها، ثم قال لأشباهه من العوامّ: هذا تاريخُ حضرموت!. فقبِل ذلك منه طوائفُ من الصمِّ والبكم، وصدّقه في قوله من لا عقلَ عنده ولا علم. فكانَ ذلك مما حملني على البدار بإبرازِ ما اجتمع لديَّ»[1].

السبب الثالث: إلحاح الكثيرين من محبيه وتلاميذه عليه في نشر ما جمعه من تاريخ حضرموت. كما ذكر هو في مقدمة الكتاب.

---

(١) الشامل: ص ٢١٢ - ٢١٣.

طريقة تأليف وطباعة الشامل:

بعد هجرته من حضرموت سنة ١٣٤٤هـ إلى إندونيسيا، وتفرغه للتدريس والتأليف أثناء إقامته بين جاكرتا وبوقور، أكب المؤلف على جمع ما توفر لديه من المصادر التي قرأها ولخصها، أو استجلبها معه إلى مهجره، فكتب عدداً من المقالات التاريخية الرائعة التي لم يسبق إليها، ونشرها على صفحات المجلات العربية الصادرة في المهجر المذكور.

وكانت جُلّ مقالاته في تلك الآونة يصدر على صفحات مجلة «الرابطة العلوية»، ومنها استقى بعض معاصريه مادةَ كتابٍ زعم أنه تاريخ لحضرموت، مع إغفال مصدر معلوماته التي لم تكن سوى تلك المقالات. فلما اطلع المؤلف على ما حدث، علم أن تأخير نشره كتاباً يضم أشتات المعلومات النادرة التي اجتمعت له عن حضرموت، سينتج عنه أمرٌ غير محمود. قال رحمه الله: «فكانَ ذلك مما حملني على البدار بإبرازِ ما اجتمع لديَّ مكتفياً ببعض ما اجتمعَ، لئلا يطولَ الكتاب،..»[١].

الصعوبات التي واجهت المؤلف:

١ـ **الفترات المجهولة في تاريخ حضرموت**: أكبر العوائق كان عدم أو قلة توفر المصادر التي تتحدث عن بعض الحقب الزمنية، ومع أن المؤلف كان قد حاول أن يسد تلك الثغرات ما استطاع إلى ذلك سبيلا، لكنه لم يجد بُدًّا من التصريح في مقدمة كتابه قوله: «.. على أنّ في التاريخ الحضرمي فصُولاً، لا يزال أمرُها مجهولاً، وخفايَا لم نجدْ في كشفِها سبيلاَ»[٢].

٢ـ **بعده عن مكتبته في حضرموت**: كان بعده عن مكتبته في قيدون، المشتملة على

(١) الشامل: ص ٢١٢ - ٢١٣.

(٢) المصدر السابق: ص ٢١٢ - ٢١٣.

المصادر النادرة التي جمعها في شبابه، يجعله يتحسر على عدم توفرها بين يديه، ولكنه لم يكن يستطيع أن يتأخر عن دفع ملازم الكتاب إلى المطبعة أولا بأول، لذا نجده كثيراً ما يعتذر للقراء عن بعض القصور الذي قد يجدونه في الكتاب.

من ذلك قوله: «وعندي رسالة في ترجمة أحَد فقهاء المشايخ أهل الرباط، وأحسبها من تأليف الشيخ أحمد بن عمر، أو غيره من عشيرته. وهي غير حاضرةٍ الآن. فإنَّا حرزْنَا هذا التاريخ بالبلاد الملايوية، أيام حرب الأُمَم الكبير، فبعُدَ عنا كثيرٌ من المظانّ، والفوائد التاريخية، التي يحسُن إلحاقها بهذا المجموع»[1].

وقوله: «وأحسب أن عندي شيئاً من ترجمة هذا الشيخ، ولكنها غير حاضرةٍ الآن، وقد سبق اعتذارنا عن فقد أمثالِ ذلك»[2]. وقوله: «وعندي له في بعضِ مجاميعي: «ترجمة» حافلة، ولا يمكن استحضَارها، ولا نقلُ شيء منها، مع حدوث هذه الحرب، وكوننا نبيّضُ هذا التاريخ مع الطبع، فلا يمكن الانتظار، مع طول المسافة، وإبطاء الكتب ذهاباً ورجوعاً، وفيما ذكرنا كفايةٌ»[3]. وقوله: «ولم يحضرني الآن تاريخُ ذلك بالتفصيل، ولا اسم باشميلة، والقائم بمنصب الشيخ في ذلك الوقت، وهو في مجموعِ مسوَّداتٍ في البلد، لم يمكنني الإتيان بها،..»[4].

متى شرع المؤلف في كتابة الشامل؟

من سبب التأليف الذي تقدم نقله من مقدمة الكتاب، نستطيع الجزم بأن فكرة تأليف كتاب شامل عن حضرموت كانت تدور في ذهن العلامة الحداد من أيام تحريره المقالات

---

(١) الشامل: ٥٧٨.

(٢) المصدر السابق: ص ٦٩٨.

(٣) المصدر السابق: ص ٧٠٠.

(٤) المصدر السابق: ص ٨١٨.

في مجلة «الرابطة»، أي من منتصف الأربعينات الهجرية. وباعتباره محرراً لكثير من مواد المجلة، فقد أخذ ذلك من وقته الكثير، إضافةً إلى مشاغله الاجتماعية الأخرى من تدريس ودعوة واجتماعات، كل ذلك حال دون تفرغه.

أضف إلى أن المؤلف بعد تعثّر صدور الرابطة، تلاه توقفها التام سنة ١٣٥١هـ لم يلبث إلا يسيراً حتى تم تعيينه مفتياً في سلطنة جوهور، في سنة ١٣٥٣هـ. وبالتالي؛ فلم يتوفر الوقت الكافي لإتمام التأليف إلا بعد استقراره في جوهور، في وظيفته الجديدة، حيث تسنى له أن ينظم وقته، ويقتنص من أوقات عمله ما يكفيه لتأليف عمل عظيم كهذا. ومن النصوص التي وقفت عليها، في هذا الصدد، رسالة من السيد المؤلف لقريبه السيد علوي بن محمد،بعث بها من جوهور إلى بوقور، بتاريخ ٧ جمادى الأولى ١٣٥٧هـ يقول فيها:

«كما أريدُ منكم أن تكلفوا خاطِركم في البحْث عن كتب الأخ عبد الله ابن طاهر التي تصِلكم من البلاد، ومنها بغَينا معرفة متى كان الابتداء في شُغل عَثم الغَيل، ومتى وصَل إلى البلاد، بادِرُوا بتاريخ الابتداء والانتهاء، لأن الطبعَ الآن وصَل إلى ذكر بلد (قيدون).

وأخبروني من هيَ التي أوصَت بالدراهم للغيل؟ وكمْ كانَ القدْر؟ وكم بذل الشيخ أحمد باسلامة؟ ولو بالتقريب.

والطبعُ الآن في البَاب الذي هو تحت عنوان: (وصف بلدان حضرموت ووديانها). وقد ذكرنا الجبال والأودية، من القُرْحَة، وإذا وصلنا إلى بلدٍ ذكَرنا أهلَها ومن كان فيها من أهل الفضْل، وشيء من تاريخها إذا وُجِد، كلّ ذلك باختصار.

وقد تمّ وادي دَوعن والأيسر إلى قيدون. ونحن الآن في قَيدُون، وسيكون الكلام فيه أطولَ ما يكُون. بانذكر طوله والعرض وآباره وقلة ماه وكريفه، وبانذكُر الغيل، ومن قام في عمارته وتقريب مَاه إلى قيدون. والرّباط ما بانساه، وعُلماء وأولياء قيدون السابقين واللاحقين..»[1].

اهتمام الحضارمة بطبع الشامل:

قال السيد أبو بكر بن شهاب في الرحلة ص ٢٢٠ ضمن مجريات أحداث يوم الجمعة ٢٢ شوال سنة ١٣٥٨هـ: «ثم سعينا في جمع مال لطبع التاريخ الذي صنفه الأخ علوي بن طاهر الحداد، والذي حصل:

١ـ من الأخ سالم بن بصري: خمسين ربية، ٥٠.

٢ـ ومن الأخ سالم الجفري: خمسين ربية، ٥٠.

٣ـ ومن آل العيدروس؛ شهاب: خمسين ربية.

الجملة: مئة وخمسين ربية، ١٥٠.

٤ـ ومن الفقير: ١٥٠ ربية.

٥ـ ومن الأخ عبد الله أبو بكر الحبشي: ١٥٠ ربية.

٦ـ ومن الأخ حسين بن أحمد بن شهاب: ١٠٠ ربية.

٧ـ ومن الأخ هاشم بن محمد بن شيخان السقاف: ١٠٠ ربية.

وأما غيرهم يوعدون فقط، لكن بحمدالله، الذي جمعت من بتاوي وغيرها وسنقافورا ليس بالقليل. أما آل حضرموت؛ فالذي حصَل من تريم: **ألف وسبعمئة، ١٧٠٠ ريال فرانصة**».

(١) سرور الفؤاد: ٨٧١/ ٢ - ٨٧٢.

مصاعب تزامنت مع طباعة الشامل:

ولم تكن مصاعبُ توفرِ المصادر، التي قدمنا ذكرها، هي الوحيدة، بل كانت هناك مصاعبُ أخر تنتظر الكتابَ والكاتبَ عقب انتهاء التأليف، كانت تلك المصاعب هي الأشد إيلاماً، لأنها تسببت في ضياع مسودات الكتاب إلى الأبد، فقد التهمتها نيرانُ الحرب العالمية الثانية!. وأخبرني اثنان ممن عاشا مع المؤلف زمن تأليفه كتابه الشامل، **أولهما**: ابنه سيدي العلامة حامد بن علوي، **وثانيهما**: الأستاذ السيد أحمد عمر بافقيه: أن المؤلف رحمه الله كان ينتهز أوقات فراغه من عمله الحكومي في دائرة الإفتاء في جوهور، ليجمع مادة تاريخه هذا، وكان وقته يضيق عن أن يؤلف الكتاب كله دفعة واحدة[١].

ونظراً لوجود مطابع ذات حروف عربية بجواره في سنغافورة، فقد يسر له ذلك الأمر أن يرسل بين الفينة والأخرى ملازم أو صفحات مما يتم تحريره وكتابته، فتطبع في المطبعة، ثم تعود إليه فيصحح مسوداتها، ويعيدها إلى المطبعة مرة أخرى فتدرج التصويبات في مواضعها. وهو ما صدّقته لي بعض المسودات من الصفحات الأخيرة من الكتاب التي وقعت تحت أيدينا، كما سيأتي في صور النماذج المرفقة.

سألتُ الأستاذ بافقيه: بما أن المطبعة كانت قد احترقت، فكيف تم إنقاذ الجزء المتوفر من الكتاب؟. **فأجابني**: كانت المطبعة ترسل للمؤلف الصفحات التي يفرغون من تصحيحها وتنفيذ ملاحظاته على مسوداتها، فإذا أقرها، طبعوا منها كمية مناسبة، وهكذا إلى أن تجمع من الكتاب هذا القدر (٢٦٠ صفحة)، ولما اشتد القصف، واقترب من المطبعة، تحركت أنا وبعض الإخوة وقمنا بشحن تلك الملازم المطبوعة في سيارة شحن، ونقلناها بعيداً عن المطبعة، التي ما لبثت أن اشتعلت فيها النيران!

---

(١) رحلة الأسفار؛ باذيب، السيد أحمد بن عمر بافقيه: ص ١٦٩، الهامش. العقود الجاهزة: ص ٢٣٤.

أصداء طباعة الشامل:

طبع في سنة ١٣٥٩هـ بالمطبعة الأحمدية (أحمد برس) في سنغافورا، وهي المطبعة الشهيرة بها آنذاك، وفيها كانت تطبع مجلة «العرب» التي كان يديرها الأستاذ أحمد عمر بافقيه. وكان موقعها في شارع الملكة فكتوريا.

قال السيد أبو بكر بن شهاب في رحلته:

«وقد طبع التاريخ في سنقافورا، المسمى بالشامل، إلى صفحة ٢٣٢، والآن بقي متوقف من عدم البياض، وتطور الوقت، ربنا يتممه على أحسن حال، لأنه با يقيد كثير، لم يسبق مثله في تاريخ حضرموت، والذين هم أكثر المساعدين لهذا العمل: السيد الهمام إبراهيم بن عمر السقاف، والولد النشيط عبد الله بن أحمد بن يحيى، ومن بعدهم كثير من العلويين».

تفاعل الناس وتفاءلوا بطبع هذا الكتاب النافع، وجاءت الرسائل من الأقطار للتهنئة، فمن رسالة مؤرخة في ٢١ محرم ١٣٦٠هـ من الحبيب عبد الله الشاطري إلى السيد علوي ابن طاهر:

«وبلغنا أنكم جمعتم تاريخ حضرموت، وأنكم عزمتم على طبعه، ربَّنا يأخذ بأيديكم، ويقيض من يساعدكم على طبعه، حتى ينتشر في الآفاق، وينتفعون به الناسُ، مثل ما انتفعوا بكتبكم السابقة: «القول الفصل»، وغيره من كتبكم المؤلَّفة، ربنا يمتع بكم في عافية، لينتفع بكم الخاص والعام، ويهدي بكم كافة أهل الإسلام».

أين بقية أجزاء الشامل؟

ترسخ عند المطلعين على هذا الكتاب في طبعته الأولى، أنه مؤلف في عدة أجزاء، وشاع على الألسن أن المؤلف وضعه في ٣ أجزاء. وذلك الأمر الشائع ليس بالغريب، وليس من الرجم بالغيب، فقد ورد في ثنايا الكتاب عبارات تصرح بأن هناك جزء ثالث كان المؤلف قد شرع في وضع ملامحه العامة.

من ذلك قوله: «.. وهذا استطرادٌ مختصر، جرّه ذكر طريق السيارات، وموضع ذكر ذلك، بأبسطَ مما ذُكر، في الجزء الثالث، الذي نرجو من الله الإعانةَ عليه، بفضله ومنّه، آمين»[1]. وقوله: «... فإنّا حررْنَا هذا التاريخ بالبلاد الملايوية، أيام حرب الأُمَم الكبير، فبعُدَ عنا كثيرٌ من المظانّ، والفوائد التاريخية، التي يحسُن إلحاقها بهذا المجموع، فعسى أن يعينَ الله على إلحاقنا لها بالجزء الثالث»[2].

ومن النصوص التي تصلح أن تكون دليلاً وخيطاً للباحثين، وحافزاً على مواصلة البحث عن بقية مسودات هذا الكتاب، ما جاء عند السيد الجليل علي بن حسين العطاس (ت ١٣٩٦هـ) دفين جاكرتا رحمه الله، في كتابه القيم «تاج الأعراس»، حيث قال بعد أن نقل قصة اليهودي الهندي المعمر، الذي لقيه السيد عيدروس بن حسين، في سياحته في بلاد الهند، وسمعها منه عدد من أقرانه والآخذين عنه، وهي طويلة، قال عقبها: «وقد روى هذه الحكايةَ أيضاً: الأخ العلامة المحقق علوي بن طاهر الحداد، في (الجزء الأول) من كتابه «الشامل في تاريخ حضرموت». ذلك النص غير موجود فيما بين أيدينا من «الشامل»، وهو الجزء الماثل بين يدي القارئ الكريم، ففي هذا دلالة كبيرة على وجود مسودات أو أجزاء منسوخة من الكتاب تقبع في شيء من المكتبات الخاصة بجاكرتا.

---

(١) الشامل: ص ٥٢٩.

(٢) المصدر السابق: ٥٨٧.

مزايا كتاب «الشامل»

طالما بحثت عن كلمة أو وصفٍ يوفيه حقه، فعييتُ. إلى أن وقفت على رسالة شخصية من ابنه السيد العلامة طاهر بن علوي، إلى صهره، الأستاذ الراحل السيد حامد مشهور الحداد (ت ١٤٣٤هـ)، رحمهما الله، يقول فيها:

«.. وهو [أي: الشامل] لا يزالُ في مقدمته، بلغَ فيه إلى قيدون، وأسهب في تاريخها، والمقدّمةُ، في أسلوبها وطريقتها، أشبه بـ«صفة جزيرة العرب» للهمْداني».

ولعل قائلاً يقول بعد أن يعقد مقارنة بين الشامل والصفة: إنه قد فاق الهمداني في دقة الوصف والرصد والتتبع، بتعقبه على من سبقه من المؤرخين والجغرافيين والرحالة العرب وغير العرب. ولن أطيل في الوصف، فالكتاب ماثل للعيان، ولكني وجدت من المفيد أن أورد هنا تلك المزايا التي تفرد بها هذا الكتاب دون غيره، والخصائص التي جعلت منه كتاباً فريداً، ومرجعاً عديم النظير، إضافة إلى نقل شيء من نصوص الكتاب وفوائده التي تبرز طريقة عمل المؤلف ومنهجيته في تأليف الكتاب.

[١] اشتماله على خلاصات جغرافية وفلكية:

تقدم في ترجمة المؤلف أنه كان من ضمن اهتماماته اشتغاله بالقراءة في علم الفلك والجغرافيا، وكان شيخه العلامة العطاس يحثه على المثابرة في التحصيل، وجعل من مقروءاته عليه بعض المصنفات في هذين العلمين. ومن هنا، فإننا نجد أثر تلك الدراسة وذلك التحصيل واضحاً جلياً فيما سطره في هذا الكتاب، فنرى اهتمام المؤلف بذكر الحدود وخطوط الطول والعرض للمدن والقرى الكبيرة التي تحدث عنها في كتابه.

كما نجد في ثنايا الكتاب خلاصات مهمة مفيدة لمن أمعن النظر فيها. كشرحه

طريقة تقسيم الجغرافيين الأرض اليابسة إلى قارات، حتى ليخال القارئ أن الكتاب كتاب جغرافيا حديثة.

١ـ من ذلك تنزله في تعريف القراء ببعض المصطلحات الحديثة، كخطوط الطول والعرض، وحقيقتها عند الجغرافيين المعاصرين، بقوله: «ونشأت، بواسطة الخطوطِ الموازية لخطّ نصف النهار وخَط الاستواء؛ شبكةٌ من الخطوط متقاطعةً متداخلةً، حدث عن تقاطعها مربعاتٌ صغيرة، فبواسطتها يعرف سمتُ القبلة، ومواقع البلدان، ويعرف ما هو منها شرقيٌّ عن المحلّ الذي أنت فيه، أو غربي، أو شمالي، أو جنوبي... وبهذا تعلمُ أن الدرج التي قسّمت إليها الأرض غير متساويةٍ في الحقيقة، بل بينهما تفاوتٌ يصعب ضبطُه، لأن كروية الأرضِ ليست تامةً، بل فيها امتدادٌ وانبساط، كلما بعُدتَ عن خط الاستواء إلى ناحيتي القطبين»[1].

٢ـ قال بعد أن ذكر خطوط الطول والعرض لبعض القرى والمدن الحضرمية: «كتَبْنا هذا لينتفعَ به أهل الجهة الحضرميةِ في تعيين الزّمَن على وجه الإجمال، وأما على وجه التفصيل والتحقيق؛ فله أعمالٌ أخرى، تطلب من المؤلفات الخاصة»[2].

٣ـ وقال ذاكراً تصوره العام عن تكون وادي حضرموت: «اعلم أن هذه الأجوال (الصحاري) الممتدّة غربيَّ كَور سَيْبان وشماليَّه: هي التي فتقَ الله بمائها الجبالَ الصُّمّ، فشقَّ واديي الأيمَن والأيسر، ثم اجتمعا، فكانا أصلاً لوادي حضرموت، ثم اجتمعَ معهما وادي العينِ، ثم وادي عَمْد، فانفسحَ الوادي وعَرُضَ، وتباعد جانباه، ويبلغ مساحة هذه الصّحاري التي تسيلُ إلى هذه الأودية الأربعة: نحو ألفي ميلٍ مربّع»[3].

---

(١) الشامل: ص ٢٨٧.

(٢) المصدر السابق: ص ٥٧٩ - ٥٨٠.

(٣) المصدر السابق: ص ٤٥٣.

[٢] آراؤه في النقوش والرسوم الصخرية القديمة:

نثر المؤلف رحمه الله في كتابه آراءه الخاصة عن النقوش والرسوم التي توجد في بعض الصخور، والراجعة إلى عصور تاريخية قديمة، وذلك من خلال استقراءه ما وقف عليه منها، وما قرأه في كتابات الرحالة والمستكشفين الأوربيين الذين زاروا حضرموت في تلك الآونة. نقل أول الكتاب عند تعريفه بوادي حضرموت الكبير، وحدوده، عن شيخه العلامة العطاس قوله: «وهو مشتمل على مدن وقرى وحصون ومزارع ونخيل وذبور، وبه آثار قديمة مبنية، وكتابات في بعض الأماكن بالكتابة القديمة، منقوشة في الحجارة،.. توجد في أماكن كثيرة»[١].

وقال في أول الكتاب عند ذكره محافد شبوة: «وقد استفدنا هذا من النقوش المسنَدية التي نقلها المستر عبد الله فلبي، وهي تنطق بوجود محافدٍ لهم، أي ضَرائح، على قاعدتهم في الزمن الأول»[٢]. وقال: «وغربيَّ أعلى وادي مِخْبَض: تأتي نشوزٌ وتلولٌ، تمتد معه مسافةً طويلة، فيها آثارٌ، وفيها قريَة هجَر القديمة، ذات الآثار والأساطين الباقية على أمد الدهر، والحجارة المنجورة، والكتابة المسندية»[٣].

وعند كلامه عن إحدى العقاب في وادي قيدون، قال: «وقد تُرِكت هذه العقبة من أزمنةٍ متطاولة، ولا شك أنها كانت منذ زمن الدولة الحميرية، بل لعلها من زمن عادٍ، أو دولة حضرموت، التي هي أقدم من عادٍ. فإنا وجدنا حَيْد الجبل (جدارَه) مملوءً بالكتابات الحميرية. وقد ظننت أن تلك الكتابات لا أهميةَ لها، لأني قرأتُ بعضها فإذا هو (مَرْ مزرد). وفي المواضع المتسعة منه، فوق قيدون شرقاً، جنوباً عنها، بناياتٌ صغيرة مطلية بالنورة،

---

(١) الشامل: ص ٢٦٦.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٥٤.

(٣) المصدر السابق: ص ٥٥٠.

كالتي تسمى السّقايات، وليست بها، وعليها كتابات. وبجانبها كتابة بالمسند كالطغراء ليس على القاعدة المعروفة وقد قرأت بعضها ولم نفهم المقصود منه إلا لفظ (ورمت)، وهي بالحميرية، بمعنى: وقفت، أي: الوقف المشهور، كما هو في «القاموس» و«شرحه»، وربما أنها مأخوذة من الإرم. ووضعت يدي داخلَها، فإذا هي مملوءةٌ طيناً دقيقاً ناعماً، ولم نبحث عما وراء ذلك. وغلبَ على ظننا: أن البناياتِ هذه هي من الآياتِ التي كان نبي الله هود عليه الصلاة والسلام قد نعَاها على قومه، كما حكى الله عنه بقوله: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴾[الشعراء: ١٢٨]. ولما بحثْنا، وجدنا لها أمثالاً في مثلِ هذا الموضع في بعض جبال الجزْع، فوق الصّفا، قريباً من قيدون. وقيل لنا: إنها موجودة في بعض الجبال، في أواسط الوادي بحضرموت، والله ولي العلم.

وأما الكتابة؛ فتبادر إلى فهمي: أن المسافرين من الأمَم القديمة، إذا وصلوا هناك بعد صعود العقبة، جلسوا يستريحون في ظل الجبل، منتظرين وصول الجمال، فإنهم أسرع منها في الصعود. ويُمضون ذلك الوقت في النقش والكتابة، فيكتبون أسماءَهم وما شاكلَ ذلك، مما لا يهمّ. وتوجد كتابات في الأحجار في الطريق الذي يمر شراقيَّ ريدة الدين، ذاهباً إلى حَجْر، في الجول، ولا أحسبه إلا نظير ما ذكرنا»[1]. وقال: «وقد رأيتُ في بعض الكهوف كتابات بالمغْرَة (وهي طينةٌ حمراء كانوا يكتبونَ بها المسنَد)، وكذلك توجد كتاباتٌ منقوشة على الأحجار، بالطريق التي تمرّ بالشراقي، الآتية من الشمال من وادي قيدون وما والاه، وأحسبها لكتَّاب القوافل في الزمن القديم الحمْيَري، ولا أظنّ أن لها قيمة»[2].

مناقشة رأي المؤلف في النقوش الأثرية:

لعل بعض القراء يذهبون إلى أن المؤلف يقلل من أهمية تلك النقوش، ويذهب إلى

(١) الشامل: ص ٧٣٠.

(٢) المصدر السابق: ص ٤٥٩.

تفسيرها بما ذكر، من أنها مجرد كتابات مسافرين مروا في الطريق، ولا يرى أن تعار اهتماماً كبيراً في الاستدلال على تاريخ المنطقة بواسطتها. وأن رأيه هذا يخالف ما عليه المستشرقين وعلماء الآثار اليوم، فإنهم يولون تلك النقوش أهمية كبرى، كما لا يخفى على المطلعين.

ولكني أرى أن رأي المؤلف في كلامه الأخير لا يتفق مع ما أورده في أول الكتاب، من كلام شيخه العطاس الذي نوه بتلك الكتابات المنقوشة على الحجارة، وأنها كثيرة في حضرموت. وما نوه المؤلف نفسه به أيضاً من كونه استفاد من كتاب فلبي. وأرى أن كلامه الأخير، يتجه إلى حيثيات خاصة، من واقع وجود تلك الأحجار ومضمون ما نقش عليها، لأن بعض ما اطلع عليها كان تافهاً في قيمته العلمية، ولكن في المقابل فإن بعض النقوش مفيدة جداً في التعرف على أحوال وعادات الأمم القديمة. ولا أظن المؤلف رحمه الله قصد التقليل من تلك الأهمية، وهو من هو في دقة البحث، والله أعلم.

[٣] تنبيهاته على الأوهام والأخطاء ونقده بعض المؤرخين:

كما حفل الكتاب أيضاً بتوجيه النقد الهادف البناء إلى عدد من المؤرخين القدماء والمعاصرين، من المسلمين وغيرهم من المستشرقين الغربيين، الذين كتبوا عن حضرموت، فخلطوا وتخبطوا. وهذا من عظيم مزايا هذا الكتاب الجليل، وفيما يلي نماذج من ذلك:

فمن نقده للمؤرخين العرب والمسلمين:

١ـ انتقاده عنوان كتاب الهمداني «صفة جزيرة العرب»، لقصره العرب على سكان هذه الرقعة الجغرافية المحصورة، مع وجود عرب كثير وقبائل ناقلة في ما جاورها وما أحاط بها، بل وما بعد عنها كبلاد المغرب العربي[١].

---

(١) الشامل: ص ٢٩٠.

٢ـ تنبيهه على وهمٍ في «مرآة الحرمين» للواء رفعت باشا، بعد أن نقل عنه قوله: «وأما الشاطئ الشرقي، (أي: شاطئ الخليج، الداخل إلى البصرة، والفاصل بين: بلاد العرب، والسند، وفارس. ويقال له: الخليج الفارسي)، الممتد من رأس الحد إلى الكويت، فرمليٌّ قريبُ الغور، وتقع قريباً منه جزائر البحرين الشهيرة. هذا، ويبلغ طول الشواطئ العربية من السويس إلى مصب الفرات: نحو ألف ميل».

فتعقبه بقوله: «**أقول**: هكذا قال اللواء رفعت باشا، وقال: «إن هذا الفصل بقلَم حضرة عبد الحميد أفندي العبّادي، أستاذ التاريخ والجغرافيا بمدرسة القضَاء الشرعي».
وأحسب أن ما ذكره سبقُ قلم،أو غلطٌ مطبعي، فإن الشواطئ العربية على البحر الأحمر، وهو غربي الجزيرة العربية، وعلى البحر الهندي، وهو جنوبيها، وعلى الخليج الفارسي، وهو شرقيها: يبلغُ مقدار أربعين درجةً، فإذا ضربناها في ستين ميلاً، مقدار الدرجة، كان الحاصل: ألفين وأربعمئة ميلٍ»[١].

٣ـ تحذيره من أوهام البتنوني في رحلته الحجازية، عن حضرموت، لأنه كتب ما كتب عن سماعٍ، لا عن تحقيق، فقال رحمه الله: «وقد ذكر محمد لبيب البتنُوني في «الرحلة الحجازية» كلاماً عن حضرموت في غايةِ البعدِ عن الحقيقة، فليُحذَر من الاعتماد عليه»[٢].

نقده للمستشرقين المعاصرين:

وكان نقده لهم متوازناً، فهو يعترف بأن بعضهم يورد تفسيراتٍ قد يكون لها وجه من الصحة، ولكنه يوجه إلى الحذر من التسليم المطلق لهم فيها، كقوله عند شرحه لأحاديث خروج النار من قعر عدن: «وهذه النارُ الموعودة نارٌ تخرج بغتةً من الأرض، إما من موضعٍ واحدٍ، أو من مواضعَ متعددةٍ، وقد رأى السائحون من الإفرنج في أطراف رمالٍ وَبار آثاراً

(١) الشامل: ص ٢٩٥.
(٢) المصدر السابق: ص ٢٦٤.

يحتمل أن تكون من وقوعِ رجومٍ، أو من آثار أطماتٍ (براكين) كانت ثائرةً ثم خمدت. ونفَى بعضُهم أن يكون الغارُ العظيمُ بوادي برْهُوتَ كان من منافِسِ أطمةٍ نارية، ولكن لا ينبغي أن نسارع إلى تصديق أمثالِ هذا النفي المطلقِ، فإنَّ فوقَ كل ذي علمٍ عليمٌ»[1].

كما لفت النظر إلى وقوع الناقلين عن الكتب الأجنبية في أخطاء الترجمة الحرفية، وتحدث شارحاً أسباب وقوعهم في تلك الأخطاء، من ناحية اللغة، فقال: «.. فقد يشتبه شيءٌ مما كتبوه، لأنهم يكتبونه بحروفهم، وليس لها إلا (٢٦ صورةً)، فيضطر بعضُهم إلى تركيب الحرفين والثلاثةِ، لتدل على الحرْفِ العربي المفقُود في لغتهم وكتاباتهم. وبعضُهم يهمل ذلك، فلا يفرّق بين الحاء، والهاءِ، والخاء، ولا بين الألفِ والعينِ، ولا بين الجيم والقاف، ولا بين السّين والصاد. وهم غير متّفقِين في قاعدة التركيب، وبعضُهم يكتب الجيمَ هكذا: (J)، وبعضهم يكتبه هكذا: (DJ) وبعضهم يكتبه هكذا: (DSCE)، ومنهم من يكتب الشين هكذا: (CH)، ومنهم من يكتبه كذا: (SCH)، وليس مرادَنا استقصاءُ قواعدِهم المختلفة، وإنما أردنا إيرادَ مثالٍ لذلك، لننبه على عُذْرنا في التحرّي»[2].

وفي مواضع أخرى، نراه يشتد عليهم في عسفهم وليِّهم أعناق الكلمات لتوافق فلسفةً خاصة بهم، كقوله: «ورامَ بعض الإفرنج لهذا العهْد أن يتفلسفَ في قول أهل حضرموت (حَذْرا)، يعنون أسفل الوادي، فظن أنه باقٍ من الاسم المذكور في التوراة، وذلك خطأ، فإن كل أسفل وادٍ يقولون فيه (حَذْرا)، مقابل (عَلْوا)، لا وادي حضرموت فقط، ويقولون: حدَّر يحدّر، بتشديد الدال، مقابلاً صعد يصعد. وتفلسفَ آخر في (سيحُوت)، فتوهّم أن أصله (ساح هُود)! ولا أدري بماذا يتفلسف في بقية الأسماء التي ذكرناها على هذا الوزن»[3].

---

(١) الشامل: ص ٢٤٩.

(٢) المصدر السابق: ص ٣١٤.

(٣) المصدر السابق: ص ٢٦٨.

[٤] اشتماله على فوائد في علم الاجتماع:

لم يكن كتاب الشامل مجرد كتاب تراجم أو سرد أحداث كعادة المؤرخين التقليديين، بل تميز بسير مؤلفه على نهج العلامة الشهير ابن خلدون[١]، الذي يعد المنظر الأول لعلم الاجتماع البشري، والذي اشتهرت مقدمة تاريخه أيما اشتهار. فمزج العلامة مؤلف الكتاب سرده للأحداث التاريخية في حضرموت وربطها بقواعد علم الاجتماع، ونواميس السنن البشرية التي سارت عليها الأمم والأقوام والشعوب الأخرى.

١ـ فمن تلك الفوائد، ما ساقه عقب حديثه عن وقائع تاريخ وادي دوعن التي عاصرها وعايش أحداثها، فقال: «.. وكانت هذه عاقبة الحرب التي نهاهم عنها السادة الأشراف، فعادوهم واتهموهم بموالاة القعيطي، وكنا من جملة المتَّهمِينَ عندهم، ولقد كنا نشعرُ بما سيجرّونه من البلاء على الرعيّة، وأنهم يفتحونَ بحركتهم تلك باباً لا يقدرون على سدّه. ذلك بما علمناهُ من التجربة والخبرة، وما ذكره ابن خلدون في «مقدمته»: أن البوادي لا تقدر على مقاومة الدُّوَل الثابتة، ذات الموارد والعساكر، وأن البدويَّ لا يقدر على الثبات في الحصون، ولا المطاولة في الحرب، وقصارى همّه: الرجوع إلى باديته وصُرُومِه، ومراعي إبله وغنمه، وما يسببه استيلاؤهم من انتشار الفوضى، لأنهم غالباً لا يحسنونَ إقامة النظام، ولا إعادة الأمن، ولا تدبير الدولة. وقد رأينا تلك الأيام: ضُعفاءَ القبائل الذين لا يقدرون على الدفاع عن أنفسهم، يهاجمون أهالي القرَى في بيوتهم، ويتهددونَهم، لينتزعوا منهم شيئاً من المال، ولا ينهاهم أحدٌ، وكان كل من حملَ بندقاً فهو حاكمٌ بأمره، وليس هناك مصدر حلٍّ ولا عقْدٍ، ولا من يسمع أمراً ولا نهياً، ولا يجد المظلومُ له مشتكى.

---

(١) وتاريخ ابن خلدون من المراجع التي ذكرها في مقدمة الكتاب. ومن الشواهد التي نقلها عنه، قوله: «وفي التوراة ذكر اسم حضرموت بلفظ (هادرموت)، وقيل: هادرميت، وهذا من تحريفِ العبرانيين ولُكْنة ألسنتهم، فإنهم كما قال ابن خلدون: «يحرفون الأسماء تحريفاً شديداً»، ومثلهم في ذلك الإفرنج، والمصريون لهذا العهد، لأخذهم أسماء البلاد العربية عن كتب الإفرنج». الشامل: ص ٢٦٨.

وبالجملة؛ فشر الحكومات، حكومَةُ البوادي الفوضوية»[1].

٢ـ كما تحدث عن أحوال الولاة من واقع ما رآه في ولاة بلاده، فقال: «وقد أطلتُ النظر في حال هؤلاء الولاة والأمراء، فوجدتهم لا يفهَمُون من معنى الإمارة الحقيقيّ شيئاً، ولا يرون أنفسهم مكلَّفين بإزالة الظلم، وإقامة العدلِ، ولا يعتقدون أن الله أوجب عليهم واجباتٍ وكلّفهم بها، وسيسألهم عنها، وإنما محطّ نظَرِ أحدهم، وغايتُه: ما يتحصل عليه من الرعية، بأي وجهٍ، ولو أيدَ الباطلَ، وخذل الحقّ، وأعان المفسدَ في الأرض، فإنا لله وإنا إليه راجعونَ على انطماسِ معالم الدينِ، ومراسم العدل»[2]. وقال: «وما وقعَ له معهم من الإقبال ثم الملل والإعراض؛ هو من طباع العامّة أينما كانوا، فإذا حل بينهم صاحبُ العلم والفضلِ أقبلوا عليه برهةً، وتركوا أشغالهم، ثم لا يلبثُون أن يملوا، ويعودوا لديدنهم القديم، وقلَّ من يثبتُ منهم»[3].

٣ـ وهو يلتفت بين الحين والآخر إلى حضارمة المهجر الذين عاشوا في نعيم الحضارة الحديثة، ونسوا معاناة أجدادهم في معيشتهم في وادي حضرموت، ويتجلى ذلك في حديثه عن جلب الماء العذب إلى بلده قيدون، وشرحه المعاناة العظيمة التي كان عليها أهل البلد قبل وصول الماء إلى كريف البلد، وأورد في ذلك أدبيات وأحداث تاريخية فيها عبر كثيرة[4].

٤ـ ولا يفوته وهو يتحدث عن مآثر الحضارمة في بلادهم ومهاجرهم المختلفة، أن ينكر ما حقه أن ينكر، من انتشار بعض المعاملات الفاسدة، والأخلاق غير الحميدة، التي سرت إليهم من بعض الشعوب الأخرى، أو سوغها لهم ضعف الوازع الديني لدى بعض

---

(١) الشامل: ص ٧١٠ – ٧١١.

(٢) المصدر السابق: ص ٧٦٨.

(٣) المصدر السابق: ص ٧٧٥.

(٤) المصدر السابق: ص ٧٣٣ – ٧٥٦.

رؤسائهم، فحملهم ذلك على تقليدهم والسير خلفهم. فقال: «.. وتكاثر القادمون من العرَب الحضَارم، الباقينَ في خشونة البادية، فعاملوا الأهالي بالرّبا، وأغلظوا معاشرتهم، فنفرت القلوب عنهم، وصاروا مضغةً في الأفواه، واتخذهم أصحاب الصحُف هزؤًا، وحبروا فيهم المقالةَ بعد المقالة، وانبعثت بينهم الفتنة، فأخذوا يبذلونَ مئات الألوف للمحترفينَ الذين يحسنون الهجاء والسبِّ، فملأوا الجوّ سباباً، فاحتقرهم ماحولهم من أخلاط الأمم، وسقطوا سقوطاً مهولاً، ولم يزل الحال بهم مستمراً إلى النهاية التي لا يذكرُهم بعدَها إنسان، ولا يشار إليهم بكف ولا بنانٍ، والله ولي المتقين»[١].

وقال في سياق أحداث تاريخ قيدون التي عاصرها: «وقد انتشرت شهادة الزور في البلد بعْدَ هذه القضية، وصارت عملةً نافقة، وجرت في ذلك وقائعُ مشهورة للبعض ولغيره، ثم نشرها المسافرون منهم في جاوة، بسرباية، وما حواليها، واقتدى بهم غيرهم، وصار هناك أناسٌ لا عملَ لهم ولا كسبَ إلا انتظار من يستأجرهم لشهادة الزور! وأُخِذت بشهود الزور أموالُ الناس، وحقوقُهم، ونالهم ضيمٌ عظيم»[٢]. وقال في السياق نفسه: «ومن تردد منهُم إلى جاوة، وأصيب بداء البدعة، وهي مخلوطةٌ باستخفاف بالدين، وسب لأئمته، واحتقارٍ لهم، وطعنٍ فيهم، تحولَ هذا الاعتقادُ الباطلُ الذي كانوا يعتقدونه في الحلفِ، إلى هاويةٍ أخرى، وهي استحلالُ شهادة الزور، بل التكالُبُ عليها. ومنهم: من لا عملَ له إلا انتظارُ من يؤجره لذلك، حتى ضجّت محاكم هولندة، بسربابة ونواحيها، منهم. وصرح بعضُ حكّامهم: بأنا لا نعتمدُ الآن على شهادات هؤلاء العرب، وإنما نعتمد في الفصل بينهم القرائنَ، وما ينتجه البحث. ووقعت دعاوَى بين بعض الناس، وامتدت وتعددت، فكان أحد هؤلاء الشهود يجيءُ فيشهد عند الحاكم في كل قضيةٍ، حتى قال له الحاكم ما

---

(١) الشامل: ص ٢٧٣.

(٢) المصدر السابق: ص ٨٠٤.

معناه: هل أنتَ في كل وقتٍ عند هؤلاء الناس! فلا تغيبُ عنكَ شاذة ولا فاذّة! ولهم هناك قريةٌ معروفةٌ عندهم، أنها مملوءةٌ بشهود الزور، يقصدُهم لذلك من لا دينَ له»[1].

[٥] تفسيره بعض الظواهر الاجتماعية المعاصرة وربطها بالتاريخ القديم:

ويتجلى ذلك في كلامه عن ظهور الخوارج في حضرموت في سالف الزمان، والمقصود بهم الطائفة الأباضية، التي هي فرع من فروع الخوارج، لها أفكارها ومذهبها وعقائدها، التي هي أقرب إلى الاعتزال، وقد انتقلوا إلى عمان، وصفت بلدان حضرموت لأهل السنة. ولكن التاريخ يعيد نفسه، فإن الأفكار الخارجية تتجدد في كل عصر، وتظهر بألبسة متنوعة. وهو ما رصده العلامة الحداد، وتحدث عنه من واقع عصره ومصره.

فقال في سياق تاريخ الخريبة: عند ذكره قبيلة الصدف: «وكان منهم رجالٌ اشتهروا في فتوح الإسلام، واشتهر منهم عدد غير قليلٍ في صدر الإسلام، وكان فيهم عدَدٌ، ولهم بطونٌ مشهورة. مثل: بطن أبوذ. وبطن حُرَيم، بضم ففتح فسكون. وبطن الأُجْذوم، بضم فسكون. وبطن أيدَعان بن حُرَيم. وبطن جشم. وبطن وُعَيل، وغيرهم. فلما دخَلت عليهم نحلة الإباضية، والعياذ بالله، انطفأت أنوارهم، واندرست أخبارهم، وخملُوا وذلُّوا وقلوا، ولم تبقَ منهم إلا بقايا قليلةٌ، لا تعرِفُ لها نسباً ولا حسباً. وقد كانت منازلهم من نواحي سَدْبَة، ومَنْوَب، وفي قرى دوعن، والحيق، فذهبَ ذلك كله، والله وارثُ الأرضِ ومن عليها»[2].

وقال في سياق تاريخ الدوفة: «على أن نِحْلةَ الخوارج عادَتْ إلى الظهور في بلدة الدُّوفَة وغيرها من بلدان الوادي الأيسر، جاءوا بها من جاوَة (كفَى الله الأمةَ شرُورَهم، آمين)، كما وعدها ذلك على لسان نبيه محمد ﷺ: أنهم «لا يزالون يخرجون في الأمة قرنا بعد

---

(١) الشامل: ص ٨٠٤- ٨٠٥.

(٢) المصدر السابق: ص ٥٨٢.

قرن كلما خرج قرن منهم»، أي: من الخوارج، «**قطع**»، أي: دمر من أصلِه، «**وأهْلِكَ**»، كرَّر ذلك ﷺ نحو عشرين مرةً، «**حتى يخرج آخر قرن منها مع المسيح الدجال**». وأهل العلم يتخوّفون أن يكونوا هؤلاء الخوارجُ الذين ظهروا في جاوةَ وحضرموت هُم قرن الخوارجِ الأخير، الذي يكون معه، لتقاربِ الأمور، واضطراب الأحوال، وعموم الحروب العظيمةِ التي يغلُب على الظن أنها أوائلُ الحروبِ والملاحم التي تكون قبل خروجِ الدجّال، على أن بعضهم قد تبعَ مسيح الهندِ بعد أن صار خارجيًا، ولكن مسيح الهند ليس هو الدجَّال الأكبر الأخير، والدجالون الذين يخرجون قبلَ الساعة كثير عدَدُهم، فنسأل الله أن يحفظَنا وجميعَ أمةَ محمد ﷺ من شرُور الخوارجِ والدجَّالين، وفتنَتِهم، وشُبَهِهم، وشكوكهم، وأن يثبِّتَنا على الإيمان والإسلام، ربنا لا تزِغْ قلوبنا بعدَ إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب»[١].

وعندما تحدث عن المشايخ آل العمودي، قال في سياق تراجم أعلامهم في بضه، في ذكر أعلام مناصبهم، عقب ذكر الشيخ صالح بن عبد الله العمودي: «**وتولى بعده: ابنُه الشيخ عبد الله بن صالح. وقد بلغنا عنه أنه لم يزلْ على مذهب أهل السنة والجماعة، وطريقة سلفه، في مجانبة أهل البدع، مع شدة محاولة الخوارج والنواصِب لتغيير عقيدته، فما قدروا على صرفه عن طريقته، ولا إدخال كدَرٍ في عقيدته، ثبتنا الله جميعاً على الحق، وجعلنا من أهله في الدنيا والآخرة، آمين**»[٢]. وقال في سياق تاريخ (صبيخ): «**وقد بلغَنا أن بعض القادمينَ من أهل البلد من جَاوة، كان قد أصيب بمرَضِ الخارجية والبدعة، وأعانه بعضُ كبراء هذه النحلة، فشرع ينشُرها في هذه البلدِ، وينجّسُها بأقذارها، وتعليم صغارها، وقاهم الله شرَّها، وثبتهم على السنة والجماعة، إنه قريب مجيب**»[٣].

---

(١) الشامل: ص ٦٣٨.

(٢) المصدر السابق: ص ٦٥٢.

(٣) المصدر السابق: ص ٦٩٢.

وفي ترجمة الشيخ الفقيه عبد الله بن عمر باجماح العمودي (ت ١٣٥٤هـ)، في سياق تاريخ (فيل)، قال: «وكان يتردد إلى جاوة، وتزوجَ فيها، ووُلد له أولاد، ثم لما حدثت فتنة المبتدعة فيها، اضطرب حاله، فجعل يعرِفُ وينكِر، ويلتوي ثم يستوي، ومعارفه من المبتدعة يُسمِعونه ما يقارب مزاجَه، مع معاندة دهره له، واحتياجه إليهم. فكان لسانُ حاله ينشد قولَ الإمام الشافعي، رحمه الله تعالى:

وأنـزلني طُـولُ النـوَى دارَ غربَةٍ ... إذا شئتُ صاحبتُ امرأً لا أشاكِلُهْ

أحَـامِقُـه حتـى يـقَالُ: سـجيةٌ ... ولـو كان ذا عقْـلٍ لكنـت أعاقِلُـهْ

وقول أبي الطيب:

ومن نكد الدنيا على المرء أن يرى ... عَـدُوًّا لـه مـا مِـنْ صـداقتـه بُـدُّ

وعقّب عليه بعضُ السادة الأشراف، وعرَف بعضُهم عذرَه وأحب له النجاة، فلما كان آخر دخولٍ له إلى جاوة، سمع منهم ما لم يبقَ له صبراً. فقد مرَّ بنا مع رجوعه، فجرى حديثٌ معه، لوحتُ له ببعضِ ما يقولونه، فقال: إنهم يقولون أعظمَ من هذا، إنهم يتكلمون في الشيخ ابن حجرٍ، وفلان، وفلان، وجعل يعظّمُ ذلك القولَ الذي صدر منهم. ففهمتُ من ذلك: أنهم لم يكونوا يظهرون له من عقائدهم إلا ما يحتمِلُه، ولم يكشفوا له عيبة سرّهم كلها»[1].

فهذه العبارات الصريحة، دعاه إلى كتابتها وتدوينها في كتابه ما شاهده وعاينه من تحول الناس إلى تلك المذاهب غير المحمودة، مما هو مخالف لمسيرة التاريخ الذي سرده وحبره، ولكن: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠] صدق الله العظيم.

(١) الشامل: ص ٧٢٢ - ٧٢٣.

[٦] ذكره قواعد مهمة في التاريخ والأنساب:

لن يفوت العلامة الحداد، وهو يحبر تاريخه العظيم لوادي حضرموت، أن يتعدى الكلام على الأنساب ويحقق ما وقف عليه منها، وما تحصل عنده من مطالعاته الكثيرة الواسعة. فنجده يحقق في هجرات القبائل الناقلة، وفي أنساب بعض البيوت الحضرمية، ما لا يوجد في كتاب آخر. فمن ذلك:

١ـ كلامه عن حقيقة هجرة القبائل الحضرمية إلى نجد، قال رحمه الله: «والمقصودُ: أن تعلم أن تلك القبائلِ الثلاث: كندة، ثم السَّكون، ثم تجيب، كانوا بحضرموت إلى ما بعد الإسلام بقرونٍ، ولم يرحلُوا عنها قبله إلى نجد، كما ظنّه بعض من لم يتأمل، وإنما نقلَ إليه أفخاذٌ منهم خاصةً، سنذكرهم إن شاء الله»[١].

٢ـ ظهور ألقاب القبائل بسبب شهرة بعض الجدود، قال رحمه الله: «ومما ينبغي أن يفطن له: أنّ بعض تلك الأفْخُذ، المذكورة آنفاً، لم تُعرَف بآبائهم، وإنما عرفت بأسماء بعضِ رؤسائها، فإنه يذكر من اسمِ الفخِذ رجلاً، ويعطف عليه عشيرته، ولعلها من آباء متعددين، وهذا هو بعض الأسبابِ التي اختلطت بها أنسابُ قبائل العرب، وقد تفطّن لهذا صاحب كتاب «قلب جزيرة العرب»، وسترى ذلك بيّناً فيما سننقله عن «طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب»، لأبي حفصٍ، عمر بن يوسف، الملك الرسولي، عندما ذكر القبائلَ الناقلة إلى حضرموت»[٢].

٣ـ تفسيره أسباب اختلاط أنساب القبائل، قال في سياق تاريخ قبائل البادية: «ويساكن الكَرَب: المرادِعة، من نهد. والمرادعة لهم بوادي برمالٍ بيحَان وحَرِيب، فلا ندري أهم

---

(١) الشامل: ص ٢٢٩.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٩٧.

من نهْد مَذْحِج، أم من نهدِ قضاعة!. ولنهد مَذْحج: مخلافٌ باليمن، وقد اختلطت أنسابُ قبائل بسبب تشابه الأسماء، ولذلك قال أبو محمد، الحسنُ بن أحمد الهمدَاني في كتابه «صفة جزيرة العرب»: «وكذلك سبيلُ كل قبيلةٍ من البادية تضَاهي باسمها اسمَ قبيلةٍ أشهرَ منها، فإنها تكاد أن تتحصّل نحوها، وتنسبَ إليها، رأينا ذلك كثيراً»[١].

٤ـ ذكره منهجيته في ترجمة الأعلام في كتابه، قال رحمه الله: «ولا محل للإطالة في التراجم، لأن كتابنا هذا تاريخا شاملا، يجدُ فيه المطالع تراجمَ الذين أنعم الله عليهم من أهل الدين، والعلم والعمل والتقوى، وأخبار المحرومين من أهل الجهل والظلم، والقتل والإفساد في الأرض، ففيه ذكر أهل الجنة وأهل النار، ولو شاء الله لجعلهم أمةً واحدة، ولكن يدخل من يشاء في رحمته، والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير»[٢].
وقال في ترجمة العلامة حامد بن علوي البار في سياق تاريخ الخريبة: «وأخباره كلها جميلةٌ مستحسنةٌ، ولولا أنه لا تستحسَنُ الإطالة في ترجمة الحيّ، لبسطتُ القول في ذلك»[٣].

٥ـ تنبيهه على خطر تكرار الأسماء في الأبناء والأحفاد، قال في ترجمة بعض الأعلام: «والموجود من ذريته ببضَهْ الآن: بينهما أربعة آباء، وهو عمر بن عبد الله بن محمد ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر، إلى آخر ما تقدم تكرر فيه عبد الله بن عمر، ثلاث مرات. وهذا الصنيع في التسمية غير مستحسنٍ، ولا محمودِ العاقبة، فإنه مؤدٍّ إلى الاختلاط والإسقاط، فليُحذَر منه»[٤].

---

(١) الشامل: ص ٥٤٥.
(٢) المصدر السابق: ص ٦٠٣ - ٦٠٤.
(٣) المصدر السابق: ص ٥٨٨.
(٤) المصدر السابق: ص ٨٥٢.

[٧] اشتماله على مسائل فقهية وحديثية:

ولأن مؤلف الكتاب، علامة متفنن، فإن كتابه لم يخل من التعرض لتلك الفوائد الجليلة، فنجده يطعم بعض تراجم الفقهاء بما يناسب المقام، وقد يطيل في سرد بعض الأحداث التي نتجت عن وقائع قضائية، كما هو الحال في كلامه عن مسألة الشفعة، التي أفاض فيها، أثناء سياق تاريخ (هدون)، في ترجمة الشيخ القاضي عبد الرحمن باشيخ. وكذلك في مسألة الهلال، في سياق تاريخ قيدون، في ترجمة شيخه العلامة طاهر بن عمر الحداد.

أما تمحيص الأسانيد، وغربلة الأحاديث المقبولة من غيرها، فيجد القارئ جملة وافرة منها في مقدمة الكتاب، عند سرده الأحاديث التي ورد فيها ذكر حضرموت، أو قبائلها، وما يتعلق بذلك.

كما نجده يعرج في بعض تراجم كبار الأعلام، على ذكر طرق الأسانيد الموصلة إليهم، كما هو الحال في ترجمة شيخه طاهر بن عمر الحداد (ت ١٣١٩هـ)[1]. ونراه في موضع آخر يمحص بعض الأسانيد التي ساقها خاتمة الحفاظ، السيد العلامة محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) شارح القاموس والإحياء، فحررها إلى الغاية، ويكشف عن أوهام العلامة الزبيدي في كتاب مخطوط له، كان من مقروءاته على شيخه العلامة العطاس[2].

[٨] اهتمامه بشرح المفردات الغريبة:

قلما تمر كلمة غريبة، أو اسم موضع، أو بلد، أو قرية، أو جبل، أو وادٍ، إلا ونجد العلامة الحداد يضبطها ضبطاً تاماً، مما لا يبقي عند القارئ أي لبس أو إشكال، وقلما تند بعض الكلمات فلا تضبط، فيتركها لفهم القارئ، أو لشكه في ضبطها.

١ـ خذ منها مثالاً، قوله عند ذكره جزيرة بريم: «يسمّيها عربُ عدن: مَيُّون، بفتح

---

(١) الشامل: ص ٨٨١.
(٢) المصدر السابق: ص ٨٢٧.

الميم وتشديد الياء المضمومة»[١]. وقوله: «البَلْعِجَم، بكسر العين وفتح الجيم، أصله: آل أبي الأعْجَم، وعلى هذا فِقِسْ كل ما شابهه»[٢].وقوله في شرح مفردات أبيات دارجة وردت لمناسبة: «و«العَدَيْن»: جمع عَدانة، أو عدينة، وهي الأكوام التي تجمع مما يلقيه أهل البلد من الكُناسَة والزبْل، وأصله: عدَائن، قصرَه على قاعده العامة»[٣].

٢ـ كما لم يفته أن يدون رأيه في الشعر الدارج (الشعبي)، فقال: «.. وهذه الأبيات من الشعر الملحون على لسان العامة، ويقال له: الحميني، وسماه الشيخ المؤرخ محمد الطيب بامخرمة «المكسّر»، وأهل نجدٍ يسمونه: النبَطي، نسبةً إلى النبَط، جيلٌ كان بالعراق فسدَتْ لغته... وهذا الشعر العامي يأتي فيه أكثر ما أتى في شعر العربِ الفصيح المعرَب،من الاستعارة، والكناية، والتشبيه، والمجاز، وأبيات المعاني، وأثر قواعد علم البيان، وعلم المعاني المعنوية، وبعض اللفظية، وإنما يعرف ذلك من تأمّله وألِفَه»[٤].

٣ـ ونجده يتوقف عند بعض المصطلحات الدخيلة، مما ذكره المؤرخون، ولا وجود له في لغة العرب، فإنه لما وقف على كلمة (الواحة) لم يجد لها ذكراً في القواميس العربية القديمة، ولم يقف على تفسير لها عند المعاصرين، فاجتهد اجتهاداً قارب الصحة المطلقة فيه، فقال رحمه الله معقباً على كلام للواء رفعت باشا: «وقوله: «الواحة»! هذه كلمة لم نرَها في شيء من كتب اللغة، ولعلها قبطية أو مصرية، ويظهر أن مرادَه بها: الموضعَ الذي به عمارةٌ، وماء، ونخل، وما أشبه ذلكَ، في بطن صحراء. وأهل حضرموت يسمونها غَيْضَة، جمعها غياضٌ، إن كانت فيها عيونُ ماء، وإلا فهي رَيدَة، وهي كلمة يمنية. وكل واد فيه نخلٌ، وماء، وقُـرَى، يطلق عليه العرب: العَرْض، كما في «القاموس». وكانت

(١) الشامل: ص ٣٠٢.

(٢) المصدر السابق: ص ٤٦١.

(٣) المصدر السابق: ص ٣١٥ - ٣١٦.

(٤) المصدر السابق: ص ٣١٥.

العرب تطلق على مساكنها بالوادي: (ماء كذا، وماء كذا)، إذا كان بها ماءٌ، من أحساءٍ، أو عيون، أو بئر، وقد يسمّونها بالحفر، والحفير، بالحاء المهملة، والجفْر، بالجيم، وسكون الفاء، وغير ذلك»[١].

[٩] آراؤه الدينية:

كأي مؤرخ ناقد بصير، وعالم فقيه متشرع، لم يدع المؤلف العلامة رحمه الله، أي مناسبة تواتيه ليعلق على بعض العادات الدينية التي كان لها انتشار ووجود في المنطقة التي يؤرخ لها، إلا وعلق عليها بما يناسبها، مدحاً أو قدحاً.

١ـ فنجده يشدد النكير على بعض عادات البدو، مما لا يوافق الشرع. مثل عادة عقد النسب، التي كان يفعلها بعض القبائل، فقال عنها: «هذه العادة موجودة في وادي حبان وأحور وما والاهما، فيأتي من كان اسم ابنه (سعيد)، مثلاً،إلى قبيلي آخر، (القبيلي: هو أحد أفراد القبيلة ذات العصبية والسلاح)، عنده ابن اسمه (سعيد)أيضاً، ويقول له: إني جئت مناسباً لك، ونريد عقد النسب بيننا على وَلدي وولدك، اللذين يسمّى كل منها بسعيد، ويلزم هذا أن يقبل هذا العرض والطلب، وأن يعقد بينه وبين الطالب عقد النسب، ويلزمه حينئذ القتالُ معه، والدخول معه في الحرب والسلم. وقد لعبَ بعضُ الولاة ونحوهم على ناس من الرعايا بهذه العادة، فاستهلكوا أموالهم، وحكيَتْ لنا عن ذلك حكايات مؤلمة، ولا توجد هذه العادة عند قبائل حضرموت»[٢].

٢ـ كلامه عن نصب المشاهد في مواضع ليست هي بالمقابر، وإنما هي أعلام يطلق عليها اسم شخص مدفون في موضع بعيد عنها، ليتذكروه ويترحموا عليه. فقال عند سياق تاريخ قرية الباقحوم: «وقرية الباقُحُوم؛ فيها الباقحوم، وعندها علَمٌ مشيد بالنّورة، وهم

---

(١) الشامل: ص ٣٠٢.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٧٠.

يسمونه: مشهد الحبيب عبد الله الهدار. والمراد به: جدّي..، وكان في بدايته، بل وفي نهايته، يتردد إلى الأودية الخالية والشعاب، للخلوة والتفرغ للعبادة والذكر. فكان إذا أصعَد إلى الشعب مرَّ بقريتهم، وقد ينزل عندهم. فلما توفي أقاموا له ذلك العلَم ليتذكروه فيقرؤوا له الفاتحة.

ولم أر من تكلَّم على حكم مثلِ هذه الأعلام من فقهاء الشافعيةِ، ومن المقطوع به: أنه إن ترتَّبَ عليها ما يخلُّ بالإيمان، من اعتقاد ضرٍّ، أو نفعٍ، لغير الله تعالى، فلا شكَّ في حرمة إقامتها. وسوف يتعِبُ نفسه من أراد أن يجد لها أصلاً من كتابٍ أو سنةٍ، أو يجعلَها من قسم البدع المطلوبة»[1].

ما أشد ثباته رحمه الله في هذا الموضع، حيث لم تأخذه العاطفة، ولم يجامل أو يحاب، أو يتكلف أن يأتي بدليل للمشهد الذي أقيم لجده، أبي أبيه، وهذا دليل على عظم تدينه، ووقوفه عند الحدود الشرعية، وعدم خلطه العاطفة بالدين.

٣ـ كلامه عن قبور الأنبياء في حضرموت؛ قال في سياق حديثه عن وادي النبي، الواقع في دوعن: «وهناك صورة قبرٍ، يقال: إنه قبر نبي. وهذه المواضعُ كالتي بوادي فَيْل، وفي ناحية بَوْر، وفي وادي عشَنَب، يوجد نظيرُها في البلاد الإسلاميةِ، كالمغرب، ومصر، وأكثرُها في الشام. ولا توجد أحاديثُ مرويةٌ في ذلك، ولا أخبار صحيحةٌ، وأكثر العلماءِ ينكر صحةَ ذلك.

وقد ذكر السيد الشريف، يوسف بن عابد الحسني، في «رحلته»: أنه وصلَ في طريقه إلى قريةٍ فيها شباكٌ من حديد، وقال أهلُ هذه القرية: هذا قبرٌ قديم، ولرُبّما قالوا: هذا قبر النبي خالد بن سنان، الذي بعث لقومه بعد عيسى ابن مريم، على نبينا وعليهم الصلاة والسلام. ووقعت فيه مراجعة بيني وبين علماء المكان، إلى أن قلتُ لهم: إنني سمعتُ ممن أخذنا عنهم العلمَ في مدينة فاس: أن الأنبياء عليهم السلام قبورُهم غير

---

(١) الشامل: ص ٥٧٣.

ظاهرةِ الأثر، إلا قبر نبينا محمد عليه الصلاة والسلام»، إلى آخر ما ذكره، وللحفاظ: ابن حجر، والسيوطي، وابن تيمية، في هذه المسئلة كلامٌ مشهور»[١].

٤ـ **إنكاره الحلف بغير الله وخطره على العقيدة**. قال في سياق تاريخ صيف: «وفي إحدى تُربها: الشيخ أحمد باعثمان العمودي، لا نعلم له ترجمةً، ولكن أهل قيدون وصيف وما والاهما، يحلِفُون على قبره، وإذا حكَمتْ لهم طواغيتهم بحكمٍ فيه يمينٌ، وأرادوا تغليظَها، جعلوها على قبرِه، وصيغتها عندهم هكذا: والله، وهذا ولي الله. والحلف بغير الله حرام، فإن قصدَ تعظيمه كتعظيمِ الله كان كفراً بَواحاً، كما هو معلومٌ حتى للمبتدئين في طلب العلم، وهم يعتقدون: أن الحلفَ به وعلى قبره يسرِعُ بهلاك الكاذب. وكذلك عقيدتهم في الحلفِ بغَيره من الصالحين. ومنهم: من لو طلبتَ منه يميناً بالله، لأعطاك ما شئتَ من يمينٍ غمُوسٍ، تغمسه في نار جهنم، ولا تهتز له شعرةٌ. ولو طالبتَه بيمينٍ على هذا القبر، لامتنع، لأنه يخافُ أن ينتقم منه. وهم يصرّحون بهذا، من غير مواربةٍ، ولا مجازٍ، ولا تأويل»[٢].

٥ـ **كلامه عن تأثير الخرافة على الناس**، قال في سياق تاريخ قيدون: «وما ذكرتُه من جريان الأمر على الموافقة والاجتماعِ من أهل البلد، لم يكن مانعاً من حصول التهويش من كثير منهم بالأذى بالكلام. فمنهم من يقولُ: هذا أمرٌ لن يتمَّ، واحلقوا لحيتي هذه إن تمَّ.... وقال الآخر: إن الناس يتعبون على تحصيل الماءِ، ولهم بذلك ثوابٌ، والآن سينقطع! وقال آخر، وكان سميناً عظيم البطن، كالجرّة العظيمة: إن صلحَ هذا فابقرُوا بطني، وخذوا شحمها فادهنوا به العَتَم، أي مجرى الماء... وشُهِر بعضُهم بتولي كِبْر الأمر وتكثيره، وتوشيته وتكريره، فكان الذمّ والنكير هِجِّيراهُ أينما حلّ، وحيثما ارتحل، يقسم بالله جهْدَ

---

(١) الشامل: ص ٦٦٩.

(٢) المصدر السابق: ص ٧٢٤.

يمينه: إن هذا الأمرَ لن يكون، ولن يتمّ. متألّياً على الله، ومتجرئا على غيبه. قائلًا: إن الشيخ سعيد لا يريدُه، ولا الصالحون، فلن يكون أبداً. ويعني بالشيخ سعيد: الشيخَ سعيد بن عيسى العموديَّ، الصالحَ المشهور المقبور بقيدون. وهذا الكلام عظيمُ الخطر، إذا صدَّقه أهل ذلك المحل، فإنه يدعو إلى إسراعِهم فيما يدَّعون إليه من الإضرار والأذى»[1].

٦ـ إنكاره أحوال الجبت والطاغوت الواقع على العامة من المتسلطين، قال بعد أن نقل كلاماً شديد التأثير عن مؤرخ حبان السيد سالم المحضار: «وما ذكره هنا، يوجد ما يقاربه في الجهات الحضرمية الأخرى، على اختلاف في عوائدهم الجبتية، وأحوالهم الطاغوتية الجاهلية، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾، ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾»[2].

٧ـ إنكاره الاختلاط في الزيارات العامة، منها ما شرحه وفصله حول ما يجري في زيارة الشيخ سعيد بن عيسى العمودي السنوية في (قيدون)، فقال: «ويدخل العبيد ضحْوةَ يوم الجمعة في زفّتهم، وقد أحاط بهم الغوغاءُ، فيصِلُون قبة الشيخ سعيد، والإمام يخطب، فتمتلئ جوانب المسجد بضجيجِ مزاميرهم، ونفْرِهم وطبـولهم، ولغَطِهم برطَانتهم، وضرْبهم التوابيتَ، فلا يسمعُ خطبةَ الخطيبِ، ولا قراءةَ الإمامِ، إلا مَن دنا. وتمتلئ شوارع السوق بالنساء والرجال، في زحامٍ، يتضاغطون، يموج بعضهم في بعضٍ، ويصدر عن ذلك أمورٌ ينْدَى لها الجبين، وتضحك لها الشياطين. والنساءُ مزيناتٌ، يستترون بشقّة وبرْقُع، تبدو منه المحَاجر، وترْمَى منها النصالُ وتسَلّ الخناجِر، ويظهر المتبرجاتُ منهنّ، وهن الأكثر، من أعناقهنّ، ونحُورهنّ، وأذرعتهن، وأسْوُقهنّ، ما يستجلبْنَ به نظر الرجال إليهنّ، وتتبع الفساقِ لهنّ، ويقع مع شدة الزحام، وتضاغط الأجسام، ما لا يعبَّر عنه.

---

(١) الشامل: ص ٧٤٥.

(٢) المصدر السابق: ص ٨٤٦ - ٨٤٩.

وهذا المنكر الذي يغضَبُ الله على فاعله، إنما حدثَ منذ سبعين سنةً، أو نحوها. وما كان النساءُ يأتينَ لهذه الزيارة، ولا يخرجْنَ إلى الأسواق بهذه الصفة. وقد قام في منعه شيخُنا الحبيب الطاهر بن عمر الحداد، فعُورِضَ من بعضهم، وكاد الأمر يفضي إلى تعب شديدٍ. وذوو العقائدِ الزائغة من الجهلاء والحمقَى، يعتقدون أن بحْرَ الشيخ سعيد يحمِلُ إثمهم، ويسكتُ لهم على ذلك، موهماً لهم صحتَه: من يبيعُ دينه بعرَضٍ من الدنيا قليل. ويسعى في بقاء الحالِ على ما هو عليه: من اجتمع له الجاهُ ونفوذ الكلمة، والجهل والبعدُ عن الدين، والجفاء عن الإسلام.

وعندهم: أن بحره ينسخُ الشريعة الإسلامية، ويمحو حكم القرآن، ويرد نهيَ الله، ويحل ما حرمَ الله. ومن صدَّق قول الله، ورسوله ﷺ، وكتابَه العزيزَ، في حرْمة الزّنا والفسقِ هنالكَ، فهو زائغ العقيدة. فهل سمعْتَ بجهلٍ أغلظَ من هذا الجهل؟ وهل كانت الجاهلية التي كان عليها العربُ قبل الإسلام إلا دونَ هذه الجاهلية! لأن أولئك لم يكن عندهم دينٌ محفوظ، ولا قرآنٌ يتلى، وإنما كانوا في فترةٍ من الرسُل، بخلاف هؤلاء. وليعلم كلُّ من وقف على كتابنا هذا: أنّ من كذب بحرف واحدٍ من القرآن كفَر، فكيف بمن يكذّبُ بآياتٍ منه كثيرةٍ، وقد أخبرنا الله فيه: أنه لا يغفِرُ أحدٌ الذنوبَ إلا الله تعالى: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾»[1].

٨ـ إنكاره ما يجري من الذبح عند القبور تقرباً إلى الأموات مع الاستغاثة بهم، قال رحمه الله في سياق تاريخ قيدون: «... تأتي هذه القبائل يتلو بعضها بعضاً، زائرةً للشيخ سعيد، تطلب الغيْثَ لبلادها. والعادة: أنهم / يصِلُون إلى رأس الجبل المشرِف على قيدون، عشية الخميس، فإذا أشرفوا عليها هلّلُوا، يقولون: عمُوم! عمُوم! يا شيخ سعيد! يا شيخ سعيد! ثم ينزلون العقَبة يزمّلون، بالزاي المعجمة، أي: يرتجزون. قال في «شرح [١٤/أ]

(١) الشامل: ص ٧٨٢.

القاموس»: «والزَّمَل، محرّكةً: الرَّجَز. وسمعتُ ثقيفاً وهُذَيلاً يتزاملون، أي: يتراجزون».
اهـ. ويقال له: الزَّمْل، والزامِل. ولهم في زَملهم أشطرٌ رصينة، يصِفُون فيها سيرهم، وبُعد شُقّتهم، وأنهم جاءوا إليك أيها الشيخُ سعيد يبتغون السيلَ والغيثَ، فبلادُهم مسْنِتة، وعارٌ عليكَ إذا رجعنا بلا كرامةٍ. وأشعارُهم تدورُ حول هذا المعنى.

وكل طائفةٍ منهم تحرص على أن يكون معها شاعرٌ ينظم لها الزوامل، فيذهبون إلى ضريح الشيخ سعيد، ويدورون بتابوتِه، وبما عنده من التوابيت، وهم يزمّلون. ومنهم من يأتي بآنية السمْن، ويسمّونها: صُمْرة، واحدها: صُمار، فيصبّونها على التابوت. وقد يثبُ أحدُهم إلى أعلاه، ليتمكن من صبّه. وأما ما يأتون به من النذور، من غنمٍ، أو نقدٍ، أو حبوبٍ، فإنهم يسلمونها للخطيب، أي: القائم من قبيلة آل باراسين، وهم خطباءُ مسجدِ الجامع، وإليهم تساق النذور. ويذهبُ منهم رسلٌ، يبعثهم القائم المذكور إلى البوادي، فيجمعون له حصةً من العَشُور، أي الزكاة، وما لديهم من نذور، فإذا قضَوا الزيارة، دخلوا إلى المسجد، وهم يزمّلون، وطلعوا منارته، فإذا علَوها، صاحُوا بقولهم: عَمُوم! عمُوم! يا شيخ سعيد! ولا يزالون على هذا الدّيْدَن طولَ ليلة الجمعةِ ويومها، قلما يرقُدون أو يستريحون، ويعودون إلى بلادِهم يوم السبت، والخطيبُ القائمُ المذكور، يضيّفُهم ليلةَ ورُودهم.

وإذا مرّتْ لهم سنين ولم يغاثوا، أو توهّموا أن الشيخ سعيد عاتبٌ عليهم، فإنهم يأتون بعقيرةٍ. والمراد بها: بقرة، أو جمل. يأتون بها يزفّونها بزاملهم، حتى إذا وصَلوا إلى الباب الموصِل إلى ضريح الشيخ، عقروها، ونحروها، وهم يصيحُون باسم الشيخ سعيد، قائلين: يا شيخ سعيد! بَخْرَك! مع نحْرِها أو ذبحها. ويعنون بقولهم: بخْرَك! نطلبُ بخْرك. وبخْرَك، معناه عندهم: بخْرُ برهانِه، والبرهانُ: هو التصرفُ، والتأثير، والكرامات. ثم يتركونها، فيتكالبُ عليها من ضَرِيَ بأكلها، فيجرُّونها إلى بعض الدور، ويوصدون الباب، ثم يعملون فيها شِفَارهم بسرعةٍ، يبادر بعضهم بعضاً، مع ضجّةٍ وتهديدٍ وهريرٍ، ثم يخرجون

ركضاً، منهم المسرورُ لأنه أخذ منها قطعةً جزلةً، ومنهم المتبرّمُ، والغاضب، والمحروم. والنصيبُ الأكبر لبعضِ كبراء أهل البلد، وإذا كثر، طبخُوه وجفَّفُوه، وكنزوه للأيام المقبلة. وقد يأتي القبائلُ بعدةٍ من العقائر. وهم يقولون: العَقَير، بفتحتين على التخفيف. والمراد بها: تلك القرابينُ. كما فعلَ ذلك قبيلة الزّي، حين غُلبوا مراراً في حربهم مع الحالكة، وقد تقدمت الإشارة إليه، فإنهم جاءوا بعدّةٍ منها، يطلبون بها النصْرَ من الشيخ سعيدٍ على أعدائهم! وهذه العقَائر (القرابين)، مما أهلَّ به لغير الله، فهي ميتةٌ، حرام أكلُها، والانتفاعُ بها، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾[المائدة: ٣، النحل: ١١٥]، ونصَّ على ذلك العلماءُ في كتب الفقه، لا يخفى على طالب علمٍ»[١].

[١٠] جمع كلامه عن المكتبات في حضرموت:

تحدث السيد المؤلف رحمه الله في عدة مواضع من الكتاب عن أحوال المكتبات الخاصة في حضرموت، وذكر بعض المواقف التي جرت معه شخصياً في سبيل الاطلاع على بعض ذخائرها، وما آلت إليه تلك المكتبات من تشتت وضياع.

فمن المكتبات القديمة:

١ـ مكتبة الشيخ عبد الله العمودي الذماري (ت ٩٤٠هـ):

وكانت في قيدون، قال عنها: «وترك آل العمودي، أهلُ قيدون، خزانة الشيخ عبد الله ابن محمد الذَّماري العمودي عشراتِ السنين، لا يدخلُها منهم داخلٌ، حتى أكلتها الأرَضَةُ والفيران، واتخذتها مسكناً، وبالت وذرقَتْ عليها، فلبّدتْ ما بقي من الكراريس، ولصق بعضُها ببعضٍ، من تركم أبوالها عليها»[٢].

---

(١) الشامل: ص ٧٧٨ - ٧٧٩.

(٢) المصدر السابق: ص ٧١٣.

٢ـ مكتبة آل العمودي في الشعبة:

والشعبة بلدة في وادي عمد، قال عنها رحمه الله: «وترك آل العمودي، أهل الشُّعْبة، خزائن الشيخ عمر بن أحمد العمودي حتى أكلتها الأرضة، وعاثَتْ فيها الفيران، ولم يبق منها إلا كراريسُ، وبعض مجلداتٍ من كتب ناقصةٍ»[١].

وقال في موضع آخر: «وأما كتبهم؛ فبقيت في الشُّعْبة، في موضع يسمى الخزانة. ولهم تنافسٌ مبنيٌّ على التسامي بينهم، وعلى اعتقادٍ غير صحيح. وقد عاثَتْ الأرضَةُ في تلك الكتب حتى أتلفتها. ولما جئتُ إلى الشُّعْبة سنة ١٣٢٦، أو ١٣٢٧: فتحُوها لي، وقام منهم ثلاثةٌ متقاطرون، يأخذ أحدهم الكتابَ فيناوله الآخر، ثمّ يناولنيه الثالثُ. ومما رأيتُه: «حُسن النجوى فيما لأهل اليمن من الفتوى»، جمعه الشيخ عبد الرحمن، الآتية ترجمته. و: كتابٌ في الأذكار. و«شرح البهجة»، بخط جميل، وعليه «تقريراتُ» الشيخ عبد الله بن الحاج بافضل. و«شرح الدميري على المنهاج»، ولعل الأرضة قد أتلفتْ بعض أجزائه، وهو الذي يقال: إن الشيخَة العالمة الفقيهة، خديجة، بنته، قد نسخته، وقالت في آخره: «ليعذُرْني من وجد فيه سقطاً أو غلطاً، فإني نسخته وأنا مرضعٌ»، أو كما قالت»[٢].

٣ـ مكتبة الشيخ أحمد بن عبد الرحيم العمودي:

كانت في بلدة الدوفة، في مسجدقديم، ينسب للشيخ سعيد بن عيسى العمودي، بموضع يقال له (غيل المسمَّرة)، وكانت الى جانب المسجد غرفة للشيخ أحمد المذكور، بها مكتبته.

تحدث عنها قائلاً: «وكان به الشيخ العلامة، الصوفي العابد الزاهد، أحمد بن عبد الرحيم العمودي. كان متجرداً للتعليم، والاشتغال بالعبادة، مع تلامذته، فيه، وفي غرفةٍ

---

(١) الشامل: ص ٧١٤.

(٢) المصدر السابق: ص ٨٢٨.

بجانبه. ولم أقف على سلسلة نسبه. وكان ذا جدٍّ وإقبالٍ تام، وتحصيلٍ للكتب، وكان ينسخُها بيده، وقد وقفتُ على بعضها، وقلما ينقطُ كتابه، ولكنه واضحٌ لمن كان متمرِّناً على قراءة الكتابِ الغير منقوط، وقد استولت الأَرَضةُ على كتبه، وتفرق الأكثر منها بأيدي الناس. ورأيتُ بقلمه: «الإحياء» المختصر، في أربعة أجزاءٍ بقلمه، فلا أدري أهو اختصره، أم هو لغيره نسخه؟

ولم نقف على ترجمةٍ مطولة للشيخ أحمد بن عبد الرحيم، ولا شيوخه، ولا للآخذين عنه، مع كثرتهم، وربما كان في كتُبه التي تقاسمتها الأيدي ما يفيدُ ذلكَ، وعسى الله أن يأذن بنشرها، وكشف سرِّها، إلا أنه مشهورٌ عنه كثرة ما نسخَ من الكتب، وكلما نسخَ كتاباً قرأه مع تلامذته، حتى لقد قيلَ: إنه نسخَ من «التحفة» أربعين نسخةً، وقرأها مع تلامذته أربعين مرةً»[1].

٤ـ مكتبة الشيخ عبد الله بن عثمان العمودي (ت ١١٤٣هـ):

كانت في بلدة الدوفة، بوادي دوعن الأيسر، قال في ترجمة صاحبها: «كان متصدراً للتدريس في بلده الدوفة، ويختلف إلى قيدون، وكان حسنَ الخط، قليل الغلط، نسخ كتباً عدةً، وعندي بعض الرسائل بخطه. وكان متفنّناً في العلوم، وقد نسخ «التحفة» ثم ذهب إلى قيدون فقرأها هناك، وقابلها، مما يدل على أنه كان في زمَنه من يعتني بذلك فيها[2]. «ورأيتُ بقلمه في آخر بعض الرسائل ما لفظه: «فرغ من خط هذه النبذة المباركة يوم الثلاثاء، سادس عشر رجب الحرام، أحد شهور العام الثامن وثمانين بعد الألف، من هجرة الحبيب ﷺ، وكان ذلك بمسجد الشيخ عبد الله بن طاهر بالدُّوفة، عمر الله ربوعها بالإسلام»[3].

(١) الشامل: ص ٦٩٦.

(٢) المصدر السابق: ص ٦٩٧.

(٣) المصدر السابق: ص ٦٩٨.

٥ـ مكتبة الشيخ سعيد بن عبد الله العمودي:

وهو من علماء قيدون أيضاً، قال في ترجمته: «.. نسخ من الرسائل والمنظوماتِ مختلفَ الفنون، من نحوٍ، وصرف، ومعانٍ، وبيانٍ، وبديعٍ، وتاريخٍ، ومنطقٍ، ومساحةٍ، وحسابٍ، وجبرٍ ومقابلة، وذلك ما لا يعرف الناس اليوم حتى اسمها. وكان عندي مجموعٌ له ضخمٌ بقلمه، وكنت ضنيناً به، ثم عاثت فيه الأرَضة لغفلةٍ من القيِّم الذي وضعناه على كتب الرباط، حتى لقد أكلت جزأ من «الإمداد شرح الإرشاد»، والجزء الثاني من «الروضة»، وهما من الكتب الضنينة، التي تكاد أن تكون معدومةً. وعندي الآن: «مجموع مؤلفات الحبيب عبد الله الحداد»، أكثره بقلمه، وقلم والده. ووقفتُ إبان الصِّغَر على «مجموعٍ» له آخر، ذكر فيه بعضَ ما قرأه على الحبيب عبد الله الحداد»[1]. تلك كانت مجموعة من المكتبـات القديـمة، التي سمع عنها المؤلف، أو اطلع على بعض محفوظاتها من الكتب القيمة، كما مر.

أما ما وقف عليه بنفسه من المكتبات لمعاصريه، فمنها:

٦ـ مكتبة القاضي الشيخ عبد الرحمن باشيخ:

وهو من علماء بلدة هدون، في وادي دوعن. قال عنها في سياق ترجمته لصاحبها: «وعنده مجموعةٌ من الكتب القلمية، عديمة النظير، فيها عددٌ من فتاوَى فقهاء حضرموت واليمن، كـ«فتاوى بامخرمة»، و«باشراحيل»، و«بايزيد»، و«الحبّاني»، وغيرهم.

وقد استعارها بعضُهم من ابنه الفاضل الشيخ أحمد، ثم أنكرَه فيها، وكتب إليَّ وأنا بجاوة، يشكو إليَّ عملَه، وبلغني بعد ذلك أنه وقعَتْ بينهما دعوَى عند والي دوعن، ولم أدر هل ردَّها إليه أم لا؟ وكان من الصّدَف الغريبة: أن ذلك المستعيرَ، أو المغير، أخبرني،

(١) الشامل: ص ٦٩٩ - ٧٠٠.

وقد اجتمعتُ به في جاوة: أن لديه ثمانياً وعشرين مجلداً من فتاوى العلماء، فعجبتُ كيف وصلتْ إليه؟ ثم لم يطُلِ الزمنُ حتى وصل إليَّ كتابُ الشيخ أحمد يشكُوه، ويطلب مني مراجعته! والزمانُ أبو العجائب»[١].

٧ـ مكتبة الشيخ أحمد بن قاسم العمودي:

وهو من علماء بلدة صبيخ، بوادي دوعن الأيسر، قال في ترجمته: «وأوصى بكتبه لرباط العلم الشريف، الذي أنشأناه ببلد قيدون، فعبث الوصي بها، وأخذ يبيعها، ثم علمنا وتداركنا ما بقيَ، فحملناه إلى خزائن الرباط، نفع الله به المستفيدين، وأجرى أجره له دائماً إلى يوم الدين»[٢].

٨ـ مكتبات بلدة الدوفة:

تحدث عنها إجمالاً في سياق حديثه عن تاريخ الدوفة، وذكر مأساتها، فقال: «وقد بلغَنا أن بعض أهلِ الدُّوفة كان يخرج في الحين بعد الحينِ، الزنبيلَ بعد الزنبيل، من أوراق الكتب الخطية، التي قد عاثَتْ فيها الأرضَةُ والفأر، فيضعها فوق كومِ الزبْل، وهم يسمونها: عَدانة الدِّمان، حتى فنيت الخزائنُ التي صارت إليه. وقد تداركنا من عند بعض العجائز بها جزءاً من «شرح التنبيه» لأبي بكر الأزْرَق، وكراريس أخرى»[٣].

٩ـ مكتبة السادة آل بن يحيى بالمسيلة:

وهي مسيلة آل شيخ، منطقة قريبة من مدينة تريم، شرقي وادي حضرموت الكبير، ذكرها في معرض حديثه عن مآسي المكتبات في حضرموت، قائلاً: «وترك السادة الأشراف آل يحيى مكتبتهم بالمسيلة، مدةً غير طويلة، ولكنها كانت كافية لعبَث

---

(١) الشامل: ص ٦١٩.

(٢) المصدر السابق: ٦٨٦ - ٦٨٧.

(٣) المصدر السابق: ص ٧١٤.

[/ ١٨٩] الأَرَضة فيها / ، وفُقِدت منها كتب جليلة. وقد كنت كتبتُ للمرحوم، السيد الشريف، محمد بن عقيل بن يحيى: أن يُعنَى بها، ويوصي من عشيرته من يقوم بحفظها. وأخبرتُه: أن الأرضة ابتدأت تعيثُ فيها، فكتب إليَّ ينكر إضاعتها، ثم بعد أشهرٍ، بعدَما تحقق لديه الأمر، كتب إليَّ يصدقّني، ويظهر أسفه لما جرَى»[1].

١٠ـ مكتبة السيد عبد الله بن علوي العطاس بحريضة:

والسيد العطاس توفي سنة ١٣٣٤هـ، قال عنها، في معرض حديثه عن مآسي المكتبات: «وترك أوصياءُ الحبيب عبد الله بن علوي بن حسن العطاس، السيد الشريف، صاحب حريضة، كتبه، حتى عاثتْ فيها الأرَضَة. جئنا مرةً إلى حريضة للزيارة ومعاهَدة الإخوان، وزرنا مدرسَته في بعض العشَايا، وفي أثناء المجلس قمتُ، فأخذتُ بعض الكتب من الرفّ، فلما فتحته تناثر عليَّ دوداً»[2].

١١ـ مكتبة رباط قيدون:

وهي المكتبة التي أسسها المؤلف وأخوه رحمهما الله، تحدث عما جرى لها، قائلاً: «وتركْنا مرةً بعض المراقبين على رباط العلم الشريف، فغفِلَ عن تفقّد بعض الكتب، فلم يشعر إلا بعد ما أتَتْ على بعض الكتُب الخطية المهمة»[3].

[١١] حديثه عن ضياع الكتب النادرة:

علاوة على ما تقدم ذكره من مآسي المكتبات، ومآل كثير منها، لم يفت المؤلف رحمه الله أن يلفت النظر إلى بعض المصادر المهمة النادرة. التي نقل عنها في كتابه هذا، أو سمع بها، منها ما وصفه بالواسطة، ومنها ما وقف عليه بنفسه.

---

(١) الشامل: ص ٧١٤.

(٢) المصدر السابق: ص ٧١٤.

(٣) المصدر السابق: ص ٧١٤.

*** فمن الكتب النادرة المفقودة التي نقل عنها بالواسطة:**

١ـ الدلائل والأخبار في خصائص ظفار: تأليف «العالم الصوفي، عبد الله بن عمر ابن جعفر المرهون الكثيري». نقل عنه بواسطة كتاب «تاريخ حضرموت» للشيخ سالم بن حميد. كما في مقدمة «الشامل».

٢ـ تاريخ الشيخ أحمد بن محمد بن عمر بن أحمد عباس باعباد: نقل عنه أيضاً بواسطة «تاريخ حضرموت» لابن حميد، كما في المقدمة.

٣ـ الفرج بعد الشدة في إثبات فروع كندة: رسالة جمعهاالشيخ عوض بن أحمد بن عوض بن عبد الله بن عمر الجرُو، ساكن غرفة الشيخ باعباد. كان أديباً، صاحب فضيلةٍ، وله شعرٌ حسَن. وأمّه بنت الشيخ محمد بن عمر بحرق.

وهي رسالة نادرة، فقدت، قال في وصفها: «.. هذه الرسالة لم تصل إلينا بتمامها، وإنما وقَفْنا على مقتطفاتٍ منها»[1]. ذكر ذلك في المقدمة. ثم أدرج عنوانها ضمن قائمة مصادره، ولولا أنه نبه أن نقله عنها إنما كان بواسطة خط الشيخ ابن حميد التريسي، لجزمنا أنها كانت من مصادره المباشرة.

قال رحمه الله عقب ذكر الشيخ الجرو، مؤلف الرسالة المذكورة: «ورسالته هذه ذاتُ فوائد يرحل إليها،إلا أنا لم نقف عليهَا، وإنما وقفنا على نتفٍ منها، منقولة من خطّ المؤرخ الشيخ الفاضل، سالم بن محمد بن سالم بن حميد، نقله من خطّ الفقيه العلامة شهاب الدين أحمد بن محمد مؤذّن باجمّال الأصبحي، وهونقله من «تأليف» عوض بن أحمد الجرو، وقد ترك في نقله مواضع مهمة.

وقد أخبرني من أثق به: أن هذه الرسالة موجودةٌ عند بعض أهل شبام، وقرئت على

(١) ص ٦.

سيدي وشيخي أحمد بن حسن العطاس، الإمام الجامع، العارف بالله، العلوي الحسيني، وكان فيها أنساب عدد من قبائلِ المشايخ وغيرهم، على غير المشهور بين الناس، فكأنّ ذلك هو الداعي إلى إخفائها، فكأن الناقل ترك نقلَ ما أشرنا إليه، والله أعلم بالحقيقة»[1]، وتحدث عنها أيضاً في «جنى الشماريخ».

ومن كتب التاريخ المفقودة التي نوّه بها ولم ينقل عنها:

٤ـ تاريخ ابن عقبة:

تاريخ مشهور، يذكر في مصادر تاريخ حضرموت، خمن المؤلف أنه للشيخ أحمد ابن علي بن عقبة. وقال عنه: «وقد رأيتُ نسبه مرفوعاً منقولاً من خط الشيخ عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن أحمد بن أبي بكر بن إسرائيل، وهو نقلها من قلم جده عبد القادر ابن أحمد، وقال: «إنه صحّحه من نسب آل أبي عُقبة»، ذكرَه كذلك فيما كتبه أحمد بن علي ابن عقبة، هكذا قال، ولم ينقل عبارة أبي عقبة.

ولعل له كتاباً في أنساب القبائل الحضرمية، فقد كان برباط تريم كتابٌ في الأنسابِ، ذكر فيه قبائل العرب بأسمائها المعروفة اليوم، وهو من كتب خزانة السادة الأشراف آل الجنيد،أهل تريم، ثم اختُلس هذا الكتاب من رباط تريم، فلم يزل يتأسّف على فقده مدير الرباط ومدرّسه وناظره، الحبيب العلامة، الداعي إلى الله، الصالح، عبد الله بن عمر بن أحمد[2]، السيد الشريف العلوي الحسيني. ولم يزل شيخنا[3]، رحمه الله تعالى، يذكر «تاريخ ابن عقبة»، ولكن رأيتُ فيما جمع من كلامه اسمَه واسم أبيه موافقاً لاسم الهمداني،

---

(١) الشامل: ص ٢٦٥.

(٢) هو الشاطري، شيخ رباط تريم، المتوفى سنة ١٣٦١هـ.

(٣) المقصود به: الحبيب أحمد بن حسن العطاس، رحمه الله.

صاحب «صفة الجزيرة العرب»، والصواب: أن صاحب «صفة جزيرة العرب» غير ابن عقبة»[١].

٥- رسالة في تاريخ فقهاء بلدة رباط باعشن:

قال عنها: «وعندي رسالة في ترجمة أحَد فقهاء المشايخ أهل الرباط، وأحسبها من تأليف الشيخ أحمد بن عمر، أو غيره من عشيرته. وهي غير حاضرةٍ الآن.

فإنَّا حررْنَا هذا التاريخ بالبلاد الملايوية، أيام حرب الأُمَم الكبير، فبعُدَ عنا كثيرٌ من المظانّ، والفوائد التاريخية، التي يحسُن إلحاقها بهذا المجموع، فعسى أن يعينَ الله على إلحاقنا لها بالجزء الثالث، إنه ولي ذلك والقادر عليه»[٢].

٦- تاريخ الشيخ أحمد بازرعه:

وهو من كبار فقهاء حضرموت، من بلدة الرشيد في وادي دوعن الأيمن. قال عنه: «وممن بلغنا خبره من أهل الرشيد: الشيخ الفقيه العلامة أحمد بن عبد الله بازرعة، أحسبه من أهل القرن العاشر له مختصر فتاوي الشيخ ابن حجر، سماه «سمط الدرر»، وله غيره. وله: «التاريخ» الذي بلغنا خبرَه ولم نرَه.

أخبرني شيخنا: أنه يوجد عند بعض المشايخ آل العمودي من آل باداهية، سكان بلد قيدون، وقد التمستُ إعارته من صاحبه الذي سمّاه. وكانت بيننا معرفةٌ ومجالسة، فرأيته امتعَضَ حين ذكرتُه له، وأنكَر وجوده بصورةٍ من لم يعجِبْه علمي بذلك. ثم لما عدتُ إلى شيخنا بحريضة؛ أخبرته بجوابِه، فسكتَ. ثم قال: بلى؛ إنه عنده. إنا قد جئنا إلى بيتِه، وأبوه لا يزال حيًّا، أنا والأخ حامد بن الحبيب أحمد المحضار، وأحضَروا التاريخ المذكور، وقُرِئَ لنا منه حصّة.

ومرّت سنين بعد ذلك؛ فلما كنتُ ببلاد جاوه، أخبرني الشيخُ الفاضل محمد باياسين

---

(١) الشامل: ص ٣٣٦.

(٢) المصدر السابق: ص ٥٧٨.

العمودي: أن فلاناً، من صغار بيت ذلك الرجل، قال: إن عندنا «تاريخ بازرعة»، وإن الحبيب علوي بن طاهر أرادَ أن يستعيره من جدّي فلان، ولكنا حوّلناه من دارِه إلى دار جدّي فلان! فكان ذلك تصديقاً لما أخبرني به شيخُنا!

وكنا نسمع ذوي الأسنان من آل العمودي، يذكرون أخباراً عن أبي دجَانة وبلْحُمار، وهم يقولون: بلحُمَير، وباعَشْرة، قبائل كانت تناوئهم. ولا مصدرَ لها إلا هذا التاريخُ وشبهه، لقدم العهدِ، وغلبة الأمية، ولولا خوفُ التحريف والزيادة والنقص، لأثبتنا بعضَ ذلك، وكأن ذلكَ «التاريخ» فيه بسطٌ وتفصيلٌ عن حوادث وادي دوعن، والله ولي العلم»[١].

٧ـ المناقب الكبرى للشيخ سعيد العمودي:

وهي مناقب مفقودة، لا يعلم مؤلفها، وإنما وصله خبرها من طريق السماع، قال عنها: «ووقفتُ على مناقب له ألفها أحدُ آل باعكابه، ذكر فيها كراماتٍ له، ولم يتعرض لما سوى ذلك، وخالف من تقدّمه في نقطةٍ لم يذكر لها مستنداً. وبلغَنا عن «مناقب كبرى» للشيخ سعيد، كانت نسخةٌ منها موجودةٌ عند صاحب المقام ببضَه، وفيها غرائب، وحكاياتٌ لا توافق مشرب الذين صاروا نواصبَ وخوارجَ في زمننا هذا من آل العمودي»[٢].

٨ـ معجم قرى حضرموت، للعطاس:

كتاب نادر مفقود، من مؤلفات العلامة السيد الشريف علي بن حسن العطاس (ت ١١٧٢هـ)، قال عنه: «ولانعلم أحداً من أهل حضرموت صنعَ مثل صنيعِهم في الاستقصاء، إلا مابلغنا: أن العالم العارفَ الصالح، علي بن حسن العطاس، السيد الشريف، المار ذكره آنفاً، ألّف «معجماً»، ذكر فيه قرَى حضرموت، ولو وجدنا هذا الكتابَ لكان عظيمَ الغَناء، كثير الفائدة لنا، ولقراء كتابنا هذا، ولكن الله يفعل ما يشاء»[٣].

---

(١) الشامل: ص ٥٩٥ - ٥٩٦.
(٢) المصدر السابق: ص ٨١٤.
(٣) المصدر السابق: ص ٣١٤.

ضرورة الاعتبار بمآسي المخطوطات:

اختتم المؤلف رحمه الله ذكره لتلك الأمثلة المأساوية لأوضاع الكتب والمكتبات الخاصة في حضرموت، بنصيحة عامة، قال رحمه الله: «وإنما تفقدُ المؤلفات إذا استولى عليها أحدُ البخلاء بها، وهو غير متأهلٍ لحفظها، ولا نسْخِها، فإذا ماتَ أهملها خلَفُه، وتركوها للأرضَة»(١).

وقال: «**وبالجملة**؛ فالحرب الضروسُ قائمةٌ بين الكتب والأرضَة، يعاون هذه الجاهلون من الناس، والغافلون والباخلون بالكتُب، ولولا أن الله أظهَر صناعة الطبع في هذه الزمان، لذهبت البقية الباقية من كتب الإسلامِ طعاماً لها.

ولا سبيلَ إلى حفظ الكتب المهمّة، إلا تكثير نُسَخها، وتفريقها في خزائن متعددةٍ، فإذا تلفتْ نسخة وُجدَتْ أخرى، وينبغي لكل من كان لدَيه كتبٌ ألفَها أسلافُه، أن لا يبخلَ بها ويسجنها في بيته، فإن ذلك سبيلٌ إلى تلفها. بل يبادر إلى نشرها، بتكثير نُسَخها، وتسييرها في الآفاقِ، إلى أهل العلم، وبذلها لمن أراد نَسْخها، فذلك هو السببُ الوثيق لبقائها، بإذن الله.

ومازلت أعجبُ من بعض الناس، الذين يكتمون مؤلفات سلفهِم عن الناس، مع أنها فخرٌ لهم في الدنيا، وأجر لهم في الآخرة، إذا انتفع بها الناس، ومَا كُتم فقد عُدِم، والكتْمُ أخو العُدْم. وكان شيخنا يقول: إن العلماء السابقينَ كانوا ينشرون كتبهم بإرسالها إلى الآفاق، وإهدائها للراغبين فيها، أو كما قال»(٢).

❊ ❊ ❊

(١) الشامل: ص ٧١٣.
(٢) المصدر السابق: ص ٧١٤ - ٧١٥.

مصادر الشامل

عدَّد المؤلف رحمه الله في مقدمة الكتاب ٥٧ مصدراً ومرجعاً، منها المخطوط ومنها المطبوع، وأضاف أثناء التأليف أسماء مصادر أخرى نقل عنها عند توافر الدواعي لذلك، وكان قد أشار في المقدمة إلى أن ذلك سيحدث معه، فقال: «بقيت مصادر أخرى، ستراها مصرَّحاً بها عند العزو إليها»[1].

بلغت المصادر كلها، بحسب تتبعي لها: ٩١ مصدراً ومرجعاً. ونظراً إلى أهمية التعريف بمصادر الكتاب، لمعرفة التنوع الذي تميز به المؤلف وكتابه، وسعة الاطلاع التي أتاحت له النقل عن كتب قل من نقل عنها من أهل عصره ومصره، فقد قمت بالآتي:

١ـ تتبعتُ كافة المصادر التي وردت في الكتاب، سواء المذكورة في المقدمة أو المذكورة في ثنايا الكتاب.

٢ـ ميزتُ بين ما كان منها مخطوطاً، وما كان مطبوعاً في زمن المؤلف، مع التعريف بطبعاته التي كانت متوافرة بين يدي المؤلف.

٣ـ ذكرتُ اسم الكتاب بحسب ما سماه المؤلف إن وافق اسمه الذي سماه به مؤلفه إن كان مخطوطاً، فإن لم يوافق التسمية ذكرت أحد الاسمين وأشرت إلى الاسم الصحيح، أما إذا كان مطبوعاً فأذكر اسمه الذي طبع به.

٤ـ أوردتُ وصف المؤلف لتلك المصادر ومؤلفيها.

٥ـ أوردتُ وصف طبعات المصادر المطبوعة كلها، سواء ما نشر في حياته، ونقل عنه، أو ما نشر منها بعد وفاته.

---

(١) الشامل: ص ٢٢٢.

والفائدة المتحصلة من ذلك: أن يتسنى لنا التعرف على الجهد الذي بذله المؤلف رحمه الله في تأليف كتابه هذا، ونوعية الكتب التي اعتمد عليها، والتميز بين مخطوطها ومطبوعها، وفي ذلك من الفوائد والعوائد ما لا يحصى كثرة. كما نتمكن من خلاله التعرف على السبل التي كانت متاحة في ذلك الزمن للتواصل العلمي بين الدول العربية ودول شرق آسيا، وتوفر المطبوعات المصرية وغيرها من المطبوعات الأوربية، مع بعد الشقة وصعوبة الأسفار.

أولاً: المصادر المخطوطة التي نقل عنها المؤلف

[أ] المصادر المخطوطة المختصة بحضرموت:

١ـ تاريخ الشحر لبافقيه: سماه المؤلف «تاريخ حضرموت المرتب على السنين»، وقال عنه: «جمع محمد بن عمر الطيب بافقيه، السيد الشريف العلوي الحسيني، وهو من سنة ٩٣٥، مع ملحقٍ له،إلى سنة ١٢٢٤»(١).

طبع هذا الكتاب بعنوان «تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر»، بعناية السيد عبد الله الحبشي، وصدر عن عالم الكتب، بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، في ٥٢٠ صفحة مع الفهارس، اعتمد في نشره على نسختين(٢). ولكن هذه النسخة التي وصفها المؤلفُ، نسخة نفيسةٌ، لوجود ملحقٍ لها إلى سنة ١٢٢٤هـ لم يقف عليه محققُ الكتاب، فينبغي الوقوف عليها لمن أراد أن يخرج الكتاب من جديد.

٢ـ تاريخ شنبل: قال عنه: «النصف الأخير من «تاريخ» شهاب الدين، أحمد بن عبد الله بن علوي، الشهير بشنبل، المؤرخ العالم، السيد الشريف العلوي الحسيني، وهو

(١) الشامل: ص ٢١٨.
(٢) ينظر: باذيب، أضواء على حركة طباعة التراث: ص ٣٨٨-٣٨٩.

من سنة إحدى وخمسمئة إلى سنة تسعمئة وعشرين، وفيها توفي، يوم الخميس وأربع وعشرين من رجب»[١].

طبع هذا الكتاب بعنوان «تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل»، بعناية السيد عبدالله الحبشي، وصدرت طبعته الأولى على نفقة الوجيه محفوظ شماخ الشبامي (ت ١٤٢٩هـ)، والثانية عن مكتبة في صنعاء[٢].

٣ـ العقد الثمين الفاخر من أوائل القرن العاشر: كذا سماه المؤلف، وقال عنه: «تاريخ الفقيه عبدالله بن أحمد بن محمد باسَنْجله الشحري، ألفه بأمر الشيخ محمد بن عبدالرحمن العمودي،... مختصٌّ بما بعد التسعمئة من السنين إلى عامِ سبع وسبعين، وعندي منهما نسختانِ، بكلٍّ منهما قطعٌ، كتبت لاسْمِ الصّدر الأجلّ علي بن أحمد بن عيسى بن محمد عبدالودود بن عبدالله بن جعفر الكثيري، وفرغَ الناسخ من كتابة«تاريخ شنبل» في يوم الخميس الخامس والعشرين من ذي القعدة الحرام، سنة ١٠٣٢»[٣].

طبع هذا الكتاب بعنوان: «تاريخ الشحر المسمَّى العقد الثمين الفاخر في تاريخ القرن العاشر»، بعناية السيد عبدالله محمد الحبشي، وصدر عن مكتبة الإرشاد بصنعاء، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م[٤]وتسمية الكتاب عند العلامة الحداد أضبط من التسمية التي طبع بها، لأنها مستقاة من مقدمة مؤلفه.

٤ـ نشر النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية: ويعرف أيضاً بعنوان «تاريخ الشحر لباحسن»، قال عنه: «جمع الفاضل الألمعيّ المحصّل، عبدالله بن محمد بن عبدالله ابن أبي بكر باحسن جمل الليل، السيد الشريف العلوي الحسيني، وهو في جزأين».

---

(١) الشامل: ص ٢١٩.

(٢) ينظر: باذيب، أضواء على حركة طباعة التراث: ص ٣٨٧-٣٨٨.

(٣) الشامل: ص ٢١٩.

(٤) باذيب، أضواء على حركة طباعة التراث: ص ٣٩١.

توجد من هذا التاريخ نسختان، إحداهما في مكتبة الأحقاف بتريم، وهي بخط مؤلفه. ونسخة أخرى كانت في حوزة السيد المؤلف، وقفت على الجزء الثاني منها، وعليها تقريظان، واحد بقلمه، والآخر بقلم الشيخ محمد بن عوض بافضل.

صدرت لتاريخ الشحر لباحسن، طبعة مستعجلة، عن مركز تريم للدراسات والنشر، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٥ـ الروض الجلي في أنساب بني علوي: «للمحدث المسند الحافظ اللغوي المؤرخ، بقية أئمة الحديث والإسناد، محمد بن محمد الزبيدي الحسيني، الشهير بمرتضى». توفي السيد الزبيدي سنة ١٢٠٥هـ بالقاهرة. وتقدم في ترجمة المؤلف، أن له تعليقات ضافية الذيول على هذا الكتاب.

توجد من هذا الكتاب نسخة خطية في مكتبة الأحقاف، وأخرى في مكتبة المؤلف. وصدرت له طبعة حديثة تجارية، غير محققة.

٦ـ تاريخ حضرموت (لابن حميد): «للشيخ الفاضل سالم بن محمد بن سالم بن حُميد، نقَل فيه عن تواريخ: الشلي، وشنبل، والطيب، وعن «النور السافر» للسيد الشريف عبد القادر العيدروس، وعن «الدلائل والأخبار في خصائص ظفار»، للعالم الصوفي، عبد الله ابن عمر بن جعفر المرهون الكثيري، وتواريخ: باسنجلة، والعلامة عمر بن محمد الصافي السقاف[1]، السيد الشريف، والشيخ أحمد بن محمد بن عمر بن أحمد عباس باعباد. وبقيته مما وقع في أيامِه إلى سنة ١٣٠٨ وكانت ولادته: ١٢١٧، وتوفي سنة ١٣١٦».

---

(١) لم يفصح المؤلف عن اسم كتاب السيد السقاف، وهو له كتابان في التاريخ: أحدهما: مناقب جده لأمه الحبيب علي بن عبد الله السقاف يسمى «موارد الألطاف»، ونسخه متوافرة. والآخر: مختصر تاريخ بافقيه، وهو مفقود، وإن كان الحبشي قد أشار إلى وجود نسخة منه في مكتبة الأحقاف، فإنها إما فقدت أو لعله وهم في ذلك. فالراجح: أن المؤلف إنما يقصد الكتاب الأول. ينظر: الحبشي، مصادر الفكر الإسلامي في اليمن: ص ٥١٢.

صدر عن مكتبة الإرشاد بصنعاء، سنة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، بعناية السيد عبد الله محمد الحبشي، في مجلدين، بالاعتماد على ٣ نسخ خطية. ثم صدرت له نشرة حديثة، للناشر نفسه، سنة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م[١].

٧ـ رسالة في أنساب سكان حضرموت: «البقية السلف، وبركة الخلف، العالم الرباني، والعارف الصمداني، شيخنا أحمد بن الحسن بن عبد الله العطاس، الشريف العلوي الحسيني».

توجد لها نسخ خطية متعددة، ونشرها المؤرخ حمد الجاسر، في صفحات مجلة «العرب» الصادرة من الرياض، على حلقتين، نشرتا في عددين صدرا في السنة ٣٤ من عمر المجلة، الأول: في الجزأين ٥-٦ لشهري ذي القعدة والحجة ١٤١٩هـ والثاني: في الجزأين ٧-٨ لشهري محرم وصفر سنة ١٤٢٠هـ.

٨ـ رحلة بلفقيه: وهي رحلة دوَّن مجرياتها «العلامة المسند، الصالح العابد، الإمام وابن الأئمة، محمد بن إبراهيم بن عيدروس بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بلفقيه، السيد الشريف العلوي الحسيني»، توفي بلفقيه سنة ١٣٠٧هـ.

مخطوطة لم نقف عليها، نقل عنها المؤلف في موضع من هذا الكتاب، وتحدث عنها في «مجلة الرابطة» التي كانت تصدر عن (الرابطة العلوية) بجاكرتا بتاريخ جمادى الأولى سنة ١٣٤٩هـ وعن «مجلة الرابطة» نقل السيد محمد ضياء شهاب في تعليقاته على شمس الظهيرة (١/ ٣٩٣).

٩ـ ملتقطاتٌ من تاريخ السيد سالم بن أحمد بن علي بن عمر المحضار الحباني (ت ١٣٣٠هـ). وصفَها بأنها تتحدث «عن المشايخ آل محمد بن عمر، أهل حبّان، والروضة، ودولة آل عبد الواحد، وابن سدة».

---

(١) باذيب، أضواء على حركة طباعة التراث: ص ٣٨٦-٣٨٧.

لم يسم المؤلفُ الكتابَ، وعنوانه بحسب النسخة الخطية التي وقفتُ عليها: «**الكوكب المنير الأزهر في مناقب المشايخ آل محمد بن عمر**». وعرف به في وسط الكتاب عندما نقل عنه في سياق تاريخ حبان، قائلاً: «جمعه العالم الفاضل، سالم بن أحمد بن علي عمر المحضار، السيد الشريف العلوي الحسيني، من تاريخ المشايخ آل محمد بن عمر الخولاني المالكي، ومنهم: آل الشبلي، وآل إسرائيل بالروضة، وآل الفقيه علي بحوطته. وقد اجتمعتُ به في داره بحبَّان، سنة ١٣٢٢، ونقلتُ من «مجموعه» عدة صفحات. وهو قد وجدَ بعض ذلك في تعاليقَ مفرقةٍ، من خط الفقيه محمد بن عبد العليم الشبلي المتوفى سنة ١١٢٤»[١]. وهو مخطوط لم ينشر بعد، توجد منه نسخ مصورة.

١٠ـ **ملتقطاتٌ من تاريخ بو نجمة**: عرّفها بأنها منقولة من «خط الفقيه محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الملك المخْرَمي، المكنى بو نَجْمه النافعي، بانافع». وأضاف: «وصل إليَّ ذلك من يد الشيخ الفاضل المحصّل، علي بن محمد الشبلي»[٢].

هذه الملتقطات مأخوذة من «مجموع في الأنساب والتاريخ» للشيخ بو نجمة با نافع المذكور، والبعض يسميها «الضياء الشارق في نسب العوالق»، وقفت على متفرقات منسوخة منها، ونشر الكثير من مضامين هذا «المجموع» السيد أبو بكر بن علي المشهور، في كتابه «الطرف الأحور في تاريخ مخلاف أحور»، الصادر حديثاً في مجلد فاخر.

١١ـ **شجرة أنساب السادة آل أبي علوي**: وصفها المؤلف بقوله: «وهي في سبعة أجزاء، تحرير العلامة الفقيه الصالح العابد، عبد الرحمن بن محمد المشهور، السيد الشريف العلوي الحسيني». انتهى. وقد كانت لدى السيد المؤلف نسخة منها، قوبلت بنظر العلامة السيد علي بن عبد الرحمن المشهور (ت ١٣٤٤هـ). وصلت إليه من طريق السيد عبد الرحمن بن شيخ الكاف، الذي اشتراها من ناسخها، ثم أهداها إلى المؤلف.

---

(١) الشامل: ص ٣١٦.

(٢) المصدر السابق: ص ٣١٦.

اطلعتُ عليها لدى فضيلة السيد عدنان بن علي مشهور الحداد، وفيها إضافاتٌ وتحريرات نفيسة. ونقولاته عنها كثيرة، منها على سبيل المثال: في ترجمة أحمد البار (ت ١٣١١هـ)[١]، وترجمة أحمد المحضار (ت ١٣٠٤هـ)[٢].

* * *

* مصادر مخطوطة وردت في ثنايا الكتاب، منها:

١٢ ـ تاريخ عدن؛ لبامخرمة: نقلَ عنه، قائلاً: «... في النسخة التي لديَّ من «تاريخ عدن» للفقيه المسند المحقق المؤرخ، محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن أبي مخرمة»[٣]، إلخ. نسخة المؤلف تلك رأيتها، وهي محفوظة في مكتبة رباط قيدون، وقد قام بعمل فهرس إجمالي لمحتويات المخطوطة في خاتمتها. وهناك نسخة أخرى في مكتبة شيخه العطاس في حريضة، ذكرها الحبشي في «فهارس المكتبات الخاصة في اليمن»، اطلعت عليها أيضاً والحمد لله.

صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب النفيس، في مدينة ليدن بهولندا، بتحقيق الهولندي أوسكار لوفغرين، سنة ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م، أي في الوقت الذي كان فيه المؤلف يحرر ويطبع فيه كتابه هذا «الشامل»، فلم يطلع عليها. واستنسخت عن تلك الطبعة طبعات تجارية غير شرعية[٤]. وقد قمت بصفه، رجاء إعادة نشره وتصحيحه وضبط نصوصه، والله الموفق.

---

(١) الشامل، ص ٦٠٢ - ٦٠٣

(٢) المصدر السابق: ص ٦٠٩ - ٦١٠.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٤١.

(٤) باذيب، أضواء على حركة طباعة التراث: ص ٣٨٠-٣٨١.

١٣ ـ بريق المشَارق: لجده، السيد عبد الله بن طه الحداد (ت ١٢٩٤هـ)، وقد أطنب في وصفه، قائلاً عنه: «العلامة الفقيه الصالح العابد الزاهد، المستجاب الدعوة، المعتقد، عبد الله بن طه بن عبد الله بن طه الحداد، السيد الشريف باعلوي الحسيني». قال في وصفه: «ذكر فيه مشايخه، وذكر رحلته إلى بلاد المهرة، ونشره الدعوة إلى الله وإلى دينه بينهم». ذكره في عدة مواضع، تارة باسمه هذا، وتارة يطلق عليه «المعجم»[١]، وللمؤلف تلخيص لهذا المعجم، ذكرته في قائمة مؤلفاته.

نقل عن هذا الكتاب، ولخصه، في كتابه الآخر الذي سماه «نور الأبصار»، الذي ضمنه مناقب جده وأعلام ذريته، كما تقدم في مؤلفاته.

١٤ ـ مجموعة شيخه أحمد بن حسن العطاس: نقل عنها نصاً مهماً في تحديد بعض المواضع نقلا عن العلامة الحبيب هادون بن هود العطاس (ت ١٢٥١هـ)[٢]. كما نقل بواسطتها معلومات عن بعض القبائل والبيوت الحضرمية، نقلاً عما وُجدَ في خزانة الشيخ عبد الله باعفيف، بوادي حجْر[٣].

١٥ ـ نبذة الشيخ محمد بن ياسين باقيس: المتوفى سنة ١١٨٣هـ. وهي نبذة تاريخية في غاية في الأهمية، اشتملت على تراجم أعيان علماء دوعن، وخصوصاً من ارتبط منهم بالإمام الحداد. تحدث عنها أثناء سياق ترجمة بعض فقهاء دوعن قائلاً: «.. قد ترجمه الشيخ المعمر، الفقيه الصوفي المسند، محمد بن ياسين باقيس، تلميذ الحبيب الإمام، علم الأعلام، وركن الإسلام، عبد الله بن علوي بن محمد الحداد، العلوي الحسيني، في «نبذَة» كتبها بطلبٍ من جدّنا طه ابن عمر، وذكر فيها عدداً من فقهاء آل العمودي وصلحائهم،

---

(١) الشامل: ص ٢٦٧، ٤٠٧، وص ٥٨٤.

(٢) المصدر السابق: ص ٤٢٤.

(٣) المصدر السابق: ص ٣٩٥.

ممن أخذ عنه، ولو كملت لكانت من أحسن الطبقَات لأهل ذلك العصر»[١].

وقال عنها أيضاً: «... لو تمت لظهر بها كثير من الشئون التي لم يذكرها الحبيب محمد بن زين بن سميط في كتابه «غاية القصد والمراد في مناقب القطب الحبيب عبد الله الحداد»، وكتابِه «بهجة الفؤاد».. وقد ترجم في أول «النبذة» المذكورة لجدنا طه»[٢]. وقال أيضاً في سياق تاريخ بلدة (الرشيد): «ويحتمل أنه كان في بلد الرشيد فقهاءُ لم تدوّن أخبارُهم، فإن دوعن كان يسمَّى وادي الفقهاء، وقد ذكر الشيخ محمد بن ياسين باقيس في «نبذته» المشار إليها، عدداً من فقهاء آل العمودي، الذين أخذوا عن الحبيب عبد الله الحداد، فكيف بمن سبقَ منهم، أو من غيرهم،..»[٣].

وقال: «ولما جاء الحبيب عبد الله الحداد لزيارة دوعن، ثم جاء إلى بضه، نزل عند السيد عمر المذكور، بالدار المذكورة، ذكر ذلك الشيخ العارف بالله محمد بن ياسين باقيس، في «نبذته» التي كتبها بالتماس من جدّنا الحبيب العالم العامل، طه بن عمر الحداد.... »[٤]. هذه النصوص تشير الى أن المؤلف رحمه الله نقل عن تلك الرسالة أو النبذة مباشرة، كما هو واضح من احتفاله بها، وتكرار ذكرها، ويبدو من كلامه أنه لخص معظمها، وهي وإن لم نعثر عليها تامة، فإن عزاءنا فيها ما نقله عنها المؤلف هنا في كتابه «الشامل».

١٦ـ جواهر الأنفاس وذخائر الأرْمَاس بذكر زواهر الإيناس من مناقب القطب الحبيب علي بن حسن العطاس: «تأليف الشيخ الإمام، عفيف الدين والإسلام، وبركة الأنام، يعسوب العلوم، المنطوق منها والمفهوم، عبد الله بن أحمد باسودان الكندي»[٥]، المتوفى سنة ١٢٦٦هـ. نقل عنه في موضع واحد.

---

(١) الشامل: ص ٥٧٨.

(٢) المصدر السابق: ص ٦١٥.

(٣) المصدر السابق: ص ٥٩٧.

(٤) المصدر السابق: ص ٦٤١.

(٥) المصدر السابق: ص ٣١١.

كتاب مخطوط، لم يطبع. له نسخ متعددة في حضرموت.

١٧ـ **حدائق الأرواح**: واسمه تاماً «حدائق الأرواح في بيان طرق أهل الهدى والصلاح»، تأليف الشيخ عبد الله باسودان، سابق الذكر، أيضاً.

مخطوط في مجلد متوسط، منه نسخ خطية، لم يطبع. نقل عنه في ثلاثة مواضع.

١٨ـ **فيض الأسرار**: واسمه تاماً «فيض الأسرار واقتباس الأنوار بشرح سلسلة شيخنا الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار». وصفه في سياق ترجمته للسيد عمر البار الجلاجلي (ت ١٢١٢هـ) قائلاً: «.. أطال في ترجمته تلميذُه الشيخ عبد الله بن أحمد باسودان الكندي، في «فيض الأسرار»، وهو في مجلدين، شرح به أسانيد شيخِه، وترجمَ فأجاد وأطاب، وأورد من مناقبه العجب العجاب»[١].

الكتاب مخطوط، منه نسخ متعددة، جدير بالتهذيب والنشر.

١٩ـ **مناقب الحبيب عمر البار الكبير**: كذا سماه في المقدمة، وسماه في أثناء الكتاب: «المناقب كبرى»[٢]. وهو من تأليف «الحبيب محمد بن عبد الله بن محمد البار»، المتوفى سنة ١٣٤٨هـ قال عنه: «كان ذا فضلٍ وعلم، وسيرة وسمت، وله شعرٌ وإنشاء، وخط حسن، وبيننا وبينه مشاعراتٌ»[٣]. «ترجم فيها لفضلاء ذريته»[٤]. ويسمى «معادن الأسرار والأنوار» كما في «تاريخ الشعراء الحضرميين»[٥]، وكما هو مدون على نسخته الخطية.

٢٠ـ **ترجمة الحبيب أحمد بن عبد الله البار**: المتوفى سنة ١٣١١هـ. أشار إليها في

(١) الشامل: ص ٦٠٣.
(٢) المصدر السابق: ص ٦٠٤.
(٣) المصدر السابق: ص ٦٠٥.
(٤) المصدر السابق: ص ٦٠٥.
(٥) السقاف، تاريخ الشعراء الحضرميين: ٥/ ١٢٣.

ترجمته في سياق تاريخ (القرين)، قائلا: «وأما علومُه وأعماله وفضائله، فقد ذكرها تلميذُه ابن أخيه السيد الشريف الحبيب حسين بن محمد بن عبد الله، ابن أخيه، في «ترجمته» له»[١].

وهي نبذة لطيفة، في بضع صفحات،لكنها مفيدة. طبعت بالقاهرة، سنة ١٣٥٨هـ تقريباً، بعناية السيد عبد الله بن حامد البار (ت ١٤١٨هـ)[٢].

٢١ـ مناقب الشيخ سعيد العمودي: تأليف معاصره، الشيخ عبد الله بن عمر باجماح العمودي (ت ١٣٥٤هـ)، وصفها بقوله: «..من معاصرينا: الفقيه الصالح، الشيخ عبد الله ابن عمر بن عبد الله باجماح العمودي، في «المناقب» التي ألفها للشيخ سعيد بن عيسى العمودي. وقد بلغني: أن بعضَ الخلفِ الطالح، عاتبه، وحملَه على حذفها منها»[٣]، يقصد شيئاً من الكرامات.

٢٢ـ رحلة السيد يوسف بن عابد الحسني الفاسي: المتوفى بحضرموت سنة ١٠٤٨هـ. نقل عنها في مواضع عديدة، ولا يصفها عند ذكرها إلا بـ«الرحلة الصغيرة»[٤]. صدرت عن دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م بعناية إبراهيم السامرائي، وعبد الله محمد الحبشي.

٢٣ـ القرطاس: واسمه تاماً «القرطاس في مناقب الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس»، تأليف السيد علي بن حسن العطاس (ت ١١٧٢هـ). نقل عنه في مواضع متعددة، وهو كتاب حافل بالقصص والأخبار، ويعد مصدراً ثرياً لمن يريد معرفة المجتمع الحضرمي الدوعني في عصر مؤلفه[٥]. نسخه متوافرة.

---

(١) الشامل: ص ٦٠٣.

(٢) باذيب، أضواء على حركة طباعة التراث: ص ٢٩٠.

(٣) الشامل: ص ٦٤٨.

(٤) المصدر السابق: ص ٦٥١ وص ٧٧٠.

(٥) المصدر السابق: ص ٦٩٩، ومواضع أخرى.

٢٤ـ بهجة الفؤاد: واسمه تاماً «بهجة الفؤاد وبغية المرتاد في مناقب شيخ العباد الحبيب عبد الله بن علوي بن محمد الحداد»، كذا وجدته مكتوباً على نسخة كتبت سنة ١٣٢٧هـ وهو مختصر لكتابه الكبير المسمى «غاية القصد والمراد» المطبوع في مجلدين كبيرين. ولا يزال هذا المختصر مخطوطاً.

تحدث المؤلف عن هذا الكتاب وعن أصله، أثناء حديثه عن «نبذة باقيس» التي تقدم ذكرها، فقال: «قد ألف الشيخُ محمد «نبذةً» بطلبه، في مناقب الحبيب عبد الله الحداد، لو تمت لظهر بها كثير من الشئون التي لم يذكرها الحبيب محمد بن زين بن سميط في كتابه «غاية القصد والمراد في مناقب القطب الحبيب عبد الله الحداد»، وكتابِه «بهجة الفؤاد». وقد ترك كثيراً ممن أخذَ عن الحبيب عبد الله الحداد، كالشيخ محمد بن يس باقيس، لأنه لم يذكر إلا من ماتَ منهم، هكذا قال الحبيبُ علوي بن أحمد بن الحسن بن عبد الله الحداد. قال: «إنه جمع فيه (أي: «بهجة الفؤاد») أسماءَ البعض ممن ماتَ وقد أخذ عن سيدنا القطب الغوث الشيخ عبد الله بن علوي الحداد علوي، ومَنهُم في الحياة حالَ التأليف لم يذكرْهم». اهـ.

وهذا اعتذار حسن، ولكن ترتّب على ذلك أن اندرست أخبارُهم، وجُهل أمرهم، إلا من شاء الله منهم، وربما غاب عنه بعضُ من قد ماتَ منهم، لأنه اتصل بالحبيب عبد الله آخر عمره، ومع ذلك فقد حفِظَ وجمع ما لم يأتِ أحدٌ بمثله، فجزاه الله خير الجزاء»[١].

٢٥ـ تراجم الآخذين عن الحبيب عبد الله الحداد: كذا سماه المؤلف[٢]. بينما العنوان المثبت على النسخة المطبوعة في مصر، الصادرة عن مطبعة عيسى البابي الحلبي: «بهجة الزمان وسلوة الأحزان في ذكر طائفة من الأعيان والأصحاب والأقران». طبع بمصر،

---

(١) الشامل: ص ٦١٥.

(٢) المصدر السابق: ص ٨٤٢.

حوالي سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، بعناية السيد علي بن عيسى الحداد[١]. وقد اهتم المؤلف بتحصيل نسخة خطية هذا الكتاب، حتى أنه استدرك عليه، في ترجمة الشيخ عبد الله بن عثمان العمودي، بقوله: «ولم أر له ذكراً فيمن جمعَهم الحبيب محمد بن زين بن سميط من الآخذين عن الحبيب عبد الله الحداد، فهو مستدرَكٌ عليه»[٢].

٢٦ـ **مكاتبات الحبيب عبد الله الحداد**: نقل المؤلف عنها في مواضع متعددة، لا سيما في تراجم المشايخ الفقهاء الأعلام من آل العمودي، رحمهم الله[٣].

طبعت في القاهرة في مجلدين، سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، بعناية السيد علي بن عيسى الحداد[٤]، ثم طبعت طبعة جديدة فاخرة بعناية السيد الفاضل عبد القادر بن سالم ابن علوي خرد، نزيل جدة.

٢٧ـ **قرة النواظر بمناقب العارف بالله الحبيب محمد بن طاهر**: كذا سماه في مواضع متعددة من كتابه[٥]، وسماه في بعضها «قرة الناظر»[٦]. نقل عنه بعض الحوادث في سياقه تاريخ (قيدون) بالخصوص، وفي تراجم بعض الأعلام.

وهو من تأليف أخيه الشقيق السيد عبد الله، الذي حلاه بقوله: «شقيقي، العلامة الفقيه الصوفي، الشاعر الناثر، الواعظ الناصح، والساعي في منافع الخلق والمصالح»[٧]. وقال عن كتابه إنه «قد جمع فيها وأوعَى». ووضعه في قائمة الكتب التي يوصي بالاطلاع عليها لمن أراد أن يؤلف طبقات لعلماء حضرموت[٨].

---

(١) باذيب، أضواء على حركة طباعة التراث: ص ٣١٠.
(٢) الشامل: ص ٨٤٢.
(٣) ينظر: الشامل: ص ٦١٧، وص ٧٦٦، وص ٧٧١.
(٤) باذيب، أضواء على حركة طباعة التراث: ص ٣١٠.
(٥) الشامل: ص ٦٠٣، وص ٦١٠، ومواضع أخرى.
(٦) المصدر السابق: ص ٧٥٢.
(٧) المصدر السابق: ص ٦١٠.
(٨) المصدر السابق: ص ٦٠٧.

وفي ثنايا كلام المؤلف عبارات تشير إلى أن بعض ما دوَّنه في شبابه من وقائعَ أحوال جرت في قيدون، باتَت مضمَّنةً في كتاب أخيه هذا، كقوله: «وكنت قد كتبتُ بعض ما وقع له، رضي الله عنه، من الوقائع قديماً، وضمّنها أخي كتابه «قرة النواظر»، وأسوقها الآن بالمعنى لا باللفظ»[١].

كما لم يفته أن يستدركَ عليه في سياق بعض الأحداث والنزاعات التي عايشها المؤلف وابتلي هو وأخوه بها، بعد بناء رباط العلم الشريف بقيدون، فقال: «وقد رأيتُ أخي في «قرة النواظر» قال كالمعتذر عنهم: «وبلغ الحالُ ببعض الحاسدين المعارضينَ، إلى أن استغلَّ الناظرَ لوقفِ المحلِّ المستأجَر، على أن يؤجِّره المحلَّ ثانياً، وأشهد على ذلك أناساً لا علم لهم بما بينَنا وبين الناظر من الإجارة. وحاكى إجارتَنا في كل شيءٍ، وقدَّم تاريخ إجارته على إجارتنا، وجعلنا شركاء في الإجارة، وادّعى أننا أنكرناه من الاشتراك معَنا بغياً عليه». انتهى كلامه في «قرة الناظر».

فكتب المؤلف يقول: «ولا شك في بطلان الاعتذار عن شهود الزور بقَوله: «لا علم لهم بما بيننا وبين الناظر من الإجارة». من وجوهٍ عديدةٍ،منها: كيف يشهدون بإجارةٍ من الناظر لنَا، مؤرخةٍ بذلك التاريخ، ولم نستأجر ولم نحضُر ولم نوكّل؟.ومنها: كيف يشهدون بتلك الإجارة في ذلك الزمن المتقدم! وما كان أحدٌ يدري بأن الرباط سيكون في ذلك الموضع؟ وما كنا نحنُ في ذلك الوقت ناوينَ بناءَه هناك! وما كنا عالمين أنه موقوفٌ على مصالح البئر! وإنما كنا نحاولُ شراء دارٍ بجانب المسجد الجامع!»[٢].

وقال في موضع آخر: «وذكر أخي في «قرة النواظر»: «أن ذلك التنازلَ كان مقابل دراهمٍ أعطَيتُ للبعض». وهو ولا شكّ صادقٌ فيما أخبر به، ولكني لم أطلع على ذلك،

(١) الشامل: ص ٨٩١.

(٢) المصدر السابق: ص ٨٠٣.

فقد أخفَى عني ذلك، وكان خيراً»[١]. وهناك استدراك ثالث عليه في بعض شيوخ السيد عبد الله بن علوي باعقيل، أثناء ترجمته[٢].

طبع هذا الكتاب في مجلدين كبيرين، بعنوان «قرة الناظر بمناقب الحبيب القطب محمد ابن طاهر بن عمر الحداد»، ومعه تذييل في مجلد ثالث ضم نفائس من المراسلات والتراجم التي لم ترد في الكتاب الأصل، وصدر عن دار التراث، بتريم، حضرموت، ١٤٣٠هـ.

٢٨ـ ترجمة حياة الشيخ أحمد باشميل: ترجمة ذاتية كتبها باشميل لنفسه، ذكرها المؤلف في سياق تاريخ أعلام الخريبة، مما يدل على وقوفه عليها[٣].

٢٩ـ شرح مرثية العطاس، لباشميل: قال عنها في سياق ترجمة السيد جعفر بن محمد العطاس في (صبيخ): «وقد أفردَ ترجمته بالتصنيف، العلامة الزاهد الفقيه، أحمد ابن محمد باشميل، في «شرح المرثية» التي رثاه بها الحبيب علي بن حسن العطاس، وهو من الآخذينَ عنه، وقد كاد يستوعب ذكرَهم الشيخ أحمد المذكور في «شرحه»..»[٤]. وهذا الكلام يفيد وقوفه على هذا الشرح.

❊ ❊ ❊

٣٠ـ نقله عن التعليقات التي على طرر بعض المخطوطات: من ذلك فائدة مهمة نقلها عن خط العلامة أحمد بن عبد الله البار (ت ١٣١١هـ)، فيما كتبه على ظهر نسخته من كتاب«الرسالة العجلونية»،حيث أورد أسماء الذين اشتركوا معه في الأخذ عن مفتي

---

(١) الشامل: ص ٧٠٨.

(٢) المصدر السابق: ص ٨٣٩.

(٣) المصدر السابق: ص ٥٨٤.

(٤) المصدر السابق: ص ٦٩٧ - ٦٩٨.

دمشق، العلامة عبد الرحمن الكُزْبَري (ت ١٢٦٢هـ)[١]. وهذا نموذج واحد فقط، وفي الكتاب أمثلة أخرى يمكن أن يجمعها من تتبعها.

* * *

*** نقله عن مؤلفاته الأخرى:**

٣١ـ الخلاصة الشافية بالأسانيد العالية: نقل عنه في أكثر من موضع، منها في ترجمة السيد أحمد بن عبد الله بن عيدروس البار (ت ١٣١١هـ)، قال: «ذكرتُه في «الخلاصة الشافية بالأسانيد العالية»، عند ذكر مشايخ شيخِنا الحبيب أحمد بن الحسن العطاس»[٢]، ثم ساق نص كلامه فيها. وفي ترجمة الشيخ أحمد بن محمد العمودي، من شيوخ جده السيد عبد الله الحداد، قال: «وقد ذكرته في «الخلاصة الشافية»، في سياق ذكر أشياخ الحبيب طاهر»[٣].

٣٢ـ خلاصة الطبقات العلوية: وهو من مؤلفاته المفقودة، كما سبق ذكره. نقل عنه في موضع وحيد، في ترجمة السيد محمد بن أحمد المحضار (ت ١٣٤٤هـ)، فقال: «أجملتُ ترجمته في كتاب «خلاصة الطبقات» الذي لم يتمَّ إلى الآن»[٤]، وساق ترجمته نقلا عنها، وينظر باقي الكلام على هذا الكتاب فيما تقدم.

* * *

(١) الشامل: ص ٦١٨.

(٢) المصدر السابق: ص ٦٠٢.

(٣) المصدر السابق: ص ٦٨٦.

(٤) المصدر السابق: ص ٦١١.

* **مصادر حضرمية نقل عنها بالواسطة:**

[..] **الغُرر**: وهو كتاب «غرر البهاء الضوي» للسيد محمد بن علي الخرد (ت ٩٦٠هـ). ذكره في موضع وحيد[١]، ولا أتيقن كونه من مصادره المباشرة، فلعله نقل عنه بواسطة الشجرة العلوية أو غيرها، لأنه لو توفر بين يديه لنقل عنه كثيراً، كما هي عادته في الاحتفال بالمصادر الحضرمية القديمة، وللكتاب طبعتان[٢].

[..] **النفثات الرحمانية**: تأليف العلامة عبد الله بن أحمد بلفقيه (ت ١١١١هـ). كتاب نادر في علم الكلام، شرح به مؤلفُه منظومةً له.

ذكره المؤلف في سياق تاريخ (قيدون)، في ترجمة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن العمودي (ت ١٠٧٢هـ): «وترجَمهُ الإمام المسند، المحدث الصوفي الفقيه، السيد الشريف، عبد الله بن أحمد بلفقيه، العلوي الحسيني، في شرح منظومته في العقائد المسماة «النفثات الرحمانية»، عند ذكر مشايخه»[٣]. وهذا النص برمته منقول عن «عقد اليواقيت»[٤]، فدلّ هذا على أنه لم ينقل عنه مباشرة، والكتاب طبع حديثاً، في هذه السنة ١٤٣٧هـ.

***

[ب] المصادر التاريخية العامة، المخطوطة:

٣٣ـ العطايا السنية: «للملك أبي حفْصٍ عمر بن يوسف بن عمر بن علي بن رسُول، ملك اليمن». تمام اسم الكتاب كما في «هدية العارفين»: «العطايا السنية والمواهب

---

(١) الشامل: ص ٦٥٥.

(٢) باذيب، أضواء على حركة طباعة التراث: ص ٩٣-٩٤، ٢٩٢.

(٣) الشامل: ص ٦٥٠.

(٤) الحبشي، عيدروس بن عمر، عقد اليواقيت: ٢/ ٩١٢.

الهنية في المناقب اليمنية»، وهو من مؤلفات الملك الأفضل عباس[1] بن علي بن داود ابن رسول (ت ٧٧٨هـ). نشر حديثاً عن نسخة دار الكتب المصرية، بتحقيق عبد الواحد الخامري، وصدر عن جامعة صنعاء، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٣٤ـ طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب: عزاه إلى المؤلف السابق، أي: الملك عمر ابن يوسف. والصواب: أنه من مؤلفات الملك الأشرف علي بن عمر بن رسول (ت ٦٩٦هـ).

منه نسخ متعددة في مكتبات العالم. ونشر بتحقيق المستشرق الإنجليزي سترستين، ضمن مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م، مصدّراً بمقدمة في ٤٠ صفحةً للأستاذ صلاح الدين المنجد[2].

٣٥ـ النسبة إلى المواضع والبلدان: وهو من تأليف الطيب بن عبد الله بن أحمد بامخرمة (ت ٩٤٧هـ) مؤلف «تاريخ عدن»، السابق ذكره.

ولم يصف المؤلف نسخته من هذا الكتاب، وهناك نسخ خطية منه موزعة في عموم بلاد اليمن، ومنها في صنعاء، لعله اطلع عليها في بعض رحلاته.

وطبع حديثاً عن مركز الوثائق والبحوث، بأبو ظبي، سنة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، مقابلاً على ثلاث نسخ خطية، بعناية السيد عبد الله الحبشي[3].

٣٦ـ السيرة المتوكلية: تأليف مطهر بن محمد بن أحمد الجرموزي (ت ١٠٧٧هـ)، واسم كتابه: «تحفة الأسماع والأبصار بما في السيرة المتوكلية من غرائب الأخبار»، وصفها بقوله: «وهي في مجلد ضخم، وهي سيرة الإمام إسماعيل المتوكل على الله، المتوفى سنة ١٠٨٧».

(١) وليس كما ذكر المؤلف، أنه للملك عمر بن يوسف، ولعله سبق قلم منه رحمه الله.
(٢) الحبشي، عبد الله بن محمد، مصادر الفكر الإسلامي في اليمن: ص ٦١٦.
(٣) باذيب، أضواء على حركة طباعة التراث: ص ٣٩٠-٣٩١.

هذه السيرة من توجد منها عدة نسخ خطية، منها نسخة خزائنية جيدة بمكتبة الشعب بالمكلا، ذكرها الحبشي في «مصادره»[١]. وتلك المكتبة نقلت في السبعينات إلى تريم، وضمت الى مكتبة الأحقاف للمخطوطات. طبع الكتاب في مجلدين، عن مؤسسة الإمام زيد، بعناية عبد الحكيم الهجري[٢].

٣٧ـ اللآليء المضيّة: للعلامة أحمد بن محمد بن صلاح بن محمد بن صلاح بن أحمد، الشرفي الحسني اليمني، المتوفّى ليلة الأربعاء، الثالث والعشرين من ذي القعدة، سنةَ خمسٍ وخمسينَ وألفٍ.وعنوان الكتاب تاماً: «**اللآلي المضيّة الملتقطة من اللَّواحِق الندية في أخبار أئمة الزيدية**».

وصف المؤلف نسخته من ذلك الكتاب بقوله: «عندي منه الجزء الثالث، في ألف وثمانمئة صفحة، في الصفحة ثلاثة وثلاثون سطراً، في القطع الكامل. قال في أوله: «أما بعد؛ فقد ذكرنا في الجزأين الأولينِ من الثالثِ، ما عرض ذكرُه من حوادث الزمان، وتقلب الدهربصنوف الامتحان، ولما انتهَى شرحُ ما ذكره السيد العلامة إبراهيم بن محمد، رحمه الله، في «البسّامة»، وذكر ما سنحَ من الحوادث إلى زمانه وزمانِ مصنف «الشرح»، وهو الفقيه العالم محمد بن علي الزُّحَيف الصّعْدي، ألحق بعد ذلك في الحوادثِ المتأخرة السيدُ العلمُ العلامة، داود بن الهادي بن أحمد بن المهدي بن أمير المؤمنين عز الدين بن أمير المؤمنين علي بن المؤيد، عليه السلام،أبياتاً ضمّنها ذكرَ بعضِ الحوادث المتأخرة، وشرحَها بما وقف عليه من الاخبار»،إلخ.وهذا الجزء الثالث تضمَّن أخبار ستةٍ من الأئمة، من أوائل التسعمئة إلى سنة اثنين وخمسينَ وألفٍ»[٣].

---

(١) الحبشي، مصادر الفكر الإسلامي في اليمن: ص ٤٩٧.

(٢) وهناك كتاب آخر في سيرة المتوكل الزيدي، تأليف محمد بن المفضل (ت ١٠٨٥هـ)،عنوانه «السلوك الذهبية في خلاصة السيرة المتوكلية»، طبع حديثاً سنة ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م، عن ثلاث نسخ، بتحقيق زيد ابن علي الفضيل شريف الدين. ينظر: الزركلي، الأعلام: ٧/ ١٠٧؛ الحبشي، مراجع تاريخ اليمن: ١٨١.

(٣) الشامل: ص ٢١٩ - ٢٢٠.

وقد تسنى لي، بفضل الله، الاطلاع على ذلك الجزء الذي تملكه المؤلف، في مكتبه عندما كانت في الحديدة. وهو محفوظ الآن في مكتبة رباط قيدون. وهو جزء من ثلاثة أجزاء كبار. ومن نسخه الخطية: نسخة في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء، وأخرى في مكتبة الأمبروزيانا بإيطاليا، وتوجد نسخة من الجزء الثاني بمكتبة الجامعة الأمريكية ببيروت[١].

٣٨ـ **روضة الألباب بمعرفة الأنساب**: للسيد النسابة الشهير أبي علامة، محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين بن الإمام عزّ الدين بن الحسَن المؤيِّدي، الحسيني اليمني. فرغ من تحريره وتنقيحه غرّةَ شهر رجب سنةَ ١٠٣٠ ثلاثين وألف للهجرة النبوية». توفي أبو علامة بصعدة سنة ١٠٤٤هـ. وتمام اسم كتابه: «روضة الألباب وتحفة الأحباب وبغية الطلاب ونخبة الأحساب في معرفة الأنساب»، ويعرف بعنوان آخر شهير، هو «مشجر أبي علامة». قال الحبشي: «كان المعتمد عليه في الأنساب عند أهل اليمن»[٢].

تتوفر منه نسخ خطية عديدة، وأفاد الحبشي أنه «طبع مصوراً في طهران»[٣].

٣٩ـ **اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية**: تأليف السيد محمد بن إسماعيل ابن محمد الكبسي، السيد الشريف الحسني (ت ١٣٠٨هـ) بصنعاء. وهو من كتب التاريخ المختصرة، انتهى فيه إلى سنة ١٣٠٥هـ، رتبه على حوادث السنين. طبع أخيراً بمصر سنة ١٤٠٤هـ[٤]. ثم أعيد نشره من جديد في صنعاء اليمن، وصدر عن مكتبة الجيل الجديد في طبعة تجارية خالية من مظاهر التحقيق العلمي.

٤٠ـ **أبواب السعادة وسلاسل السيادة**: تأليف السيد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) الذي وصفه بأنه «السيد العلامة، المتفنن المتبحر، الفقيه النحوي، اللغوي»[٥]. نقل عنه

---

(١) الزركلي، الأعلام: ١/ ٢٣٨؛ الحبشي، مراجع تاريخ اليمن: ص ٢٧٠؛ مصادر الفكر: ص ٤٩٥.
(٢) الحبشي، مصادر الفكر الإسلامي في اليمن: ص ٤٩٤.
(٣) الحبشي، المصدر السابق، المرجع نفسه.
(٤) الحبشي، السابق: ص ٥٢٣-٥٢٤.
(٥) الشامل: ص ٨١٦ وما بعدها.

بعض الأسانيد، منها سند الخرقة العمودية، وانتقدبعض الأخطاء التاريخية والإسنادية التي وقعت فيه[١]. مخطوط، توجد منه نسخة في مكتبة شيخ المؤلف، العلامة أحمد بن حسن العطاس بحريضة[٢]. وهي النسخة التي قرأها عليه المؤلف، كما توجد نسخة أخرى في المكتبة الآصفية بحيدرآباد، الهند.

ثانياً: المصادر المطبوعة التي نقل عنها:

نبدأ منها بكتب التاريخ الحضرمي، ونثني بكتب التاريخ اليمني، فالتاريخ الإسلامي العام من سير وتراجم ورحلات وبلدان وغيرها، فبقية المصادر في شتى الفنون:

[أ] فمن الكتب المطبوعة في تاريخ حضرموت:

٤١ـ عقد اليواقيت الجوهرية: تأليف العلامة عيدروس بن عمر بن عيدروس الحبشي (ت ١٣١٤هـ)، وصفه بأنه «الحبيب الإمام، ركن الإسلام، الفقيه المسند الصوفي، العارف بالله، السيد الشريف، شيخنا وشيخ مشايخنا..»[٣].

ذكره في عدة مواضع، وقد صدرت طبعته الأولى في القاهرة، عن المطبعة الشرفية، سنة ١٣١٧هـ في جزأين[٤]. ثم صدر حديثاً بعناية كاتب السطور، عن دار الفتح، الأردن، ١٤٣٠هـ في مجلدين، مزوداً بالفهارس الشاملة[٥].

٤٢ـ تاريخ الشعراء الحضرميين: للعلامة المؤرخ، عبد الله بن محمد بن حامد السقاف، السيد الشريف، العلوي الحسيني. نقل عنه في مواضع.

---

(١) الشامل: ص ٨١٦.

(٢) الحبشي، فهرس بعض المكتبات الخاصة: ص ١٥٥.

(٣) الشامل: ص ٥٨٥.

(٤) باذيب، الأضواء على حركة طباعة التراث: ص ٦٦-٦٧.

(٥) الشامل: ص ٦٥٢.

والكتاب المذكور طبع في خمسة أجزاء بالإسكندرية، في سنوات متباينة، فصدر الجزء الأول سنة ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م، والثاني سنة ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م، والثالث سنة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م، والرابع والخامس خلّيا عن بيانات النشر[١].

* * *

ومما ورد منها في أثناء الكتاب:

٤٣ـ تعليقات السقاف على رحلة الشيخ عبد الله باكثير الكندي: والسقاف هو عبد الله ابن محمد، مؤلف «تاريخ الشعراء الحضرميين»، السابق.

ذكرها في آخر الكتاب، في سياق ترجمة شيخه العلامة طاهر بن عمر الحداد (ت ١٣١٩هـ)، قائلا: «ومن أراد زيادةً على ما ذكرناه، فليرجع إلى «قرة الناظر»، فقد ترجمه أخي هناكَ في أكثر من عشر ورقاتٍ. وترجمه السيد الشريف، العلامة المؤرخ المنقّب، عبد الله بن محمد بن حامد بن عمر السقاف، العلوي الحسيني، في تعليقاته على «الأشواق القلبية إلى مواطن السادة العلوية»، وهي رحلةٌ للعلامة الشيخ عبد الله بن محمد بن سالم باكثير، الكندي الزنجباري، إلى حضرموت، طبعت بمصر سنة ١٣٥٨»[٢].

وفي ضمن رسائل المؤلف الشخصية، إلى العلامة علوي بن محمد الحداد، رسالة بعثها من جوهور الى بوقور، في شوال ١٣٥٩هـ[٣]، يحثه فيها على إرسال نسخته من رحلة باكثير، فبعث بها السيد علوي بن محمد من بوقور إليه.

---

(١) باذيب، الأضواء على حركة طباعة التراث: ص ٣٢٧

(٢) الشامل: ص ٨٨٢.

(٣) الحداد، بهجة الخاطر: ٢/ ٢٩٤.

فكتب إليه المؤلف بتاريخ ٢٤ ذي الحجة من العام نفسه، يقول واصفاً ومتحدثاً عن رأيه في تعليقات السقاف: «.. وتعليق الأخ عبد الله بن محمد السقاف كما ذكرتم، وقد دخلت عليه ألفاظ جرائدية بعيدة عن المألوف. ومن كلام أهل البيان والأدب: أنه ينبغي لكل مؤلف أن يستعمل في كل فن اصطلاحات أهل ذلك الفن وألفاظهم، فوصف الصوفي بالنطاسي المجرب، لا يليق. كوصف الطبيب بالمستغرق في الله، المصطلم في حبه. ولك أهل فن عباراتٌ وتراكيب خاصة، والفائدة غير مدفوعة فيما كتبه، وإنما الكلام فيما هو الأولى والأليق»[1].

٤٤ـ كتاب عبد الله[2] فلبي: ذكره مرتين، الأولى عند ذكره نقوش العقلة في شبوة، قال: «وبالعُقْلة وُجِدت الكتابات المسندية، المذكورة فيها أسماءُ ملوك حضرموت، وهي في كتاب الرحّالة عبد الله فلبي»[3]. والثانية في موضع قريب من السابق، قال: «وقد استندنا هذا من النقوش المسنَدية التي نقلها المستر عبد الله فلبي، وهي تنطق بوجود محافِد لهم، أي ضَرائح، على قاعدتهم في الزمن الأول»[4].

لم يحدد المؤلف عن أي كتب فلبي يتحدث، وبتتبع المعلومات التي نقلها، وجدنا أنها وردت في كتابه الذي صدرت طبعته الإنجليزية في لندن، سنة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٩م. بعنوان «Sheba's daughters; being a record of travel in Southern Arabia». ثم صدرله تعريب حديث، ونشرته مكتبة العبيكان، السعودية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، بعنوان «بنات سبأ، رحلة في جنوب الجزيرة العربية».

***

---

(١) الحداد، بهجة الخاطر: ٢/ ٢٩٥.

(٢) اسمه الحقيقي: هاري سانت جون فيلبي.

(٣) الشامل: ص ٥٥٥.

(٤) المصدر السابق: ص ٢٥٤.

[ب] ومن الكتب المطبوعة في تاريخ اليمن:

٤٥ـ صفة جزيرة العرب: تأليف «أبي محمد، الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود الهمْدَاني اليمني، المتوفّى سنة ٣٣٤». لم يصف المؤلف نسخته من هذا الكتاب. وكان الجزء الثاني منه قد طبع باعتناء المستشرق هنريك ملر، في ليدن بهولندا، سنة ١٣٠١هـ/ ١٨٨٤م[١].

ثم صدر عن مطبعة السعادة بالقاهرة، سنة ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م، بعناية المؤرخ البلداني عبد الله بن بليهد، معتمداً على الطبعة الهولندية، وعلى نسخة يمنية[٢]، ثم قام بإعادة تحقيقه المؤرخ اليمني القاضي محمد بن علي الأكوع الحوالي، وصدر في مجلد كبير عن دار اليمامة، الرياض، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م[٣].

٤٦ـ الإكليل في أخبار اليمن الجليل: للهمداني، سابق الذكر. والمقصود بالذكر هنا هو الجزء الثامن منه، طبع هذا الجزء الثامن طبعته الأولى في بغداد سنة ١٣٤٩هـ/ ١٩٣١م بتحقيق أنستاس الكرملي، ثم في برنستن بأمريكا، سنة ١٣٥٨هـ/ ١٩٤٠م بتحقيق نبيه أمين فارس[٤].

٤٧ـ تاريخ الخزرجي اليمني: المقصود هو كتاب «العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية»، تأليف المؤرخ الشيخ علي بن الحسن الخزرجي (ت ٨١٢هـ)، «أرخ فيه للدولة الرسولية، وانتهى إلى سنة ٨٠٣، بموت الملك الأشرف»[٥].

---

(١) سركيس، معجم المطبوعات: ١/ ٧٣؛ الهمداني، صفة جزيرة العرب (ط. الأكوع): ص ٣١-٣٢.
(٢) الهمداني، السابق: المقدمة، ص ٣٢.
(٣) الهمداني، السابق: ص ٣٢.
(٤) الهمداني، السابق: ص ٢٣.
(٥) الحبشي، مصادر الفكر الإسلامي في اليمن: ص ٤٧٣.

طبع في مجلدين، في مصر، «الجزء الأول بمطبعة الهلال، على نفقة لجنة جيب، بلندن، بتصحيح الشيخ محمد بسيوني عسل، سنة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م، وطبع الجزء الثاني منه سنة ١٣٣٦هـ/ ١٩١٨م، وبآخره فهرس أسماء الرجال والنساء»[١]. ثم صدر حديثاً بعناية الأستاذ عبد الله الحبشي.

٤٨ـ تاريخ الشيخ ابن أسعد اليافعي: المقصود هو كتاب «مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان»، تأليف الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي نزيل مكة (ت ٧٦٨هـ)، طبع في دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدّكن، الهند، سنة ١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م، في أربعة مجلدات، ولا يزال يصور عنها، وحقق مجلد منه في دمشق.

٤٩ـ نثر الدر المكنون من فضائل اليمن الميمون: تأليف محمد بن علي الأهدلي الحسيني، اليمني الأزهري. وقد أطلق عليه ثناءات منها: «حضرة العالم البحاثة المنقِّب، السيد..»، وأرخ وفاته الزركلي نقلاً عن الأستاذ أحمد خيري بسنة ١٣٧١هـ[٢]، وكتابه المذكور طبع في مصر، مطبعة زهران، سنة ١٣٥٠هـ على نفقة الشيخ محمد بن أحمد باسندوة. وقرظه عدد من الأعلام، منهم العلامة محمد زاهد الكوثري، والشيخ الدجوي، والشيخ حبيب الله الشنقيطي، وغيرهم. وأعادت طباعته ونشره الدار اليمنية للنشر والتوزيع.

❋ ❋ ❋

[ج] ومن الكتب المطبوعة في التاريخ العام:

٥٠ـ تاريخ الإمام محمد بن جرير الطبري: كذا ذكره، وتحقيق اسمه «تاريخ الأمم والملوك»، طبع لأول مرة في ليدن بهولندا بعناية المستشرق دي خويه، في ١٣ مجلداً،

---

(١) سركيس، معجم المطبوعات: ١/ ٨٢٢.

(٢) الزركلي، الأعلام: ٦/ ٣٠٦.

صدرت تباعاً من سنة ١٢٩٢هـ/ ١٨٧٦م، إلى سنة ١٣١٨هـ/ ١٩٠١م[١]، ثم طبع في القاهرة، بالمطبعة الحسينية سنة ١٣٣٦هـ/ ١٩١٨م، باعتناء يوسف بك محمد الحنفي ومحمد أفندي عبد اللطيف، في ١١ جزءاً، ومعه «صلته» للقرطبي، ومنتخبات تاريخية.

٥١ـ ذيل تاريخ الطبري: كذا سماه المؤلف، واسمه حسب المطبوع «صِلة تاريخ الطبري»، وهو من تأليف عريب بن سعد، الكاتب القرطبي، ذيل فيه على تاريخ ابن جرير الطبري، إلى سنة ٣٦٥هـ وطبع الأصل والذيل في ليدن، بهولندا، سنة ١٣١٤هـ/ ١٨٩٧م، ثم طبع في مصر سنة ١٣٢٧هـ[٢].

٥٢ـ التاريخ الكامل لابن الأثير: تأليف أبي الحسن، عز الدين، علي بن محمد الشيباني الجزري، المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٠هـ). ويسمى «تاريخ الكامل»، أو: «كامل التواريخ»، أو: «الكامل في التاريخ». ابتدأ فيه من أول الزمان وانتهى إلى سنة ٦٢٨هـ.

طبع لأول مرة في ليدن بهولندا، في ١٢ جزءاً، على امتداد ٢٠ عاماً، من سنة ١٢٦٧هـ/ ١٨٥١م، إلى سنة ١٢٨٧هـ/ ١٨٧١م، ووضع له المستشرق كارلوس ترنبرج، فهرستاً للمحتويات، في جزئين آخرين، صدرًا على التوالي في ليدن، بين سنتي ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٤م، و ١٢٩٢هـ/ ١٨٧٦م. ثم طبع في مطبعة بولاق بالقاهرة، في ١٢ جزءاً، سنة ١٢٩٠هـ ووضعَ بهامشه ثلاثة كتب، هي: «أخبار الدول وآثار الأول»، للقرماني من ج١ إلى ج٦، وكتاب «روضة المناظر في أخبار الأوائل والأواخر»، لأبي الوليد بن الشحنة، من ج٧ إلى ج٩، و«تاريخ العتبي»، من ج١٠ إلى الأخير. وطبعته بعد ذلك مطبعتان مصريتان أخريان، هما: المطبعة الأزهرية، سنة ١٣٠٢هـ ومطبعة محمد أفندي مصطفى، سنة ١٣٠٣هـ في ١٢ جزءاً، ونهجتا نهج بولاق في الاستفادة من الهامش[٣].

---

(١) سركيس، معجم المطبوعات: ٢/ ١٢٣٠.

(٢) المصدر السابق: ١/ ٨٢٢؛ و: ٢/ ١٥٠٤.

(٣) المصدر السابق: ١ / ٣٧.

٥٣ـ تاريخ ابن خلدون: تأليف أبي زيد، ولي الدين، عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون التونسي الحضرمي (ت ٨٠٨هـ)، فرغ من تدوينه سنة ٧٩٧ هـ وسماه «العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاهدهم من ذوي السلطان الأكبر».

صدرت له طبعة تامة في ٧ أجزاء، عن مطبعة بولاق، سنة ١٢٨٤هـ وطبعت أجزاء منتخبة منه في باريس وأوبسالا، في سنوات متفاوتة، أقدمها نشرة باريس سنة ١٢٥٦هـ/ ١٨٤١م[1]. وصدرت له طبعة حديثة محققة، بعناية الأستاذ إبراهيم شبوح، في ذكرى مرور ٧٠٠ سنة على مولد ابن خلدون.

٥٤ـ تاريخ أبي الفداء: وهو تاريخ شهير، ألفه سلطان حماه، الملك المؤيد، عماد الدين، أبو الفداء، إسماعيل بن علي الأيوبي الشافعي (ت ٧٣٢هـ)، واسمه «المختصر في أخبار البشر»، انتهى فيه إلى سنة ٧٢١ هـ. وعليه ذيل يسمى «تتمة المختصر» كتبه الشيخ عمر بن المظفر، المعروف بابن الوردي (ت ٧٥٠هـ) انتهى إلى سنة ٧٤٩هـ.

طبع هذا الكتاب لأول مرة في كوبنهاجن على امتداد خمس سنوات، بين سنتي ١٢٠٣هـ/ ١٧٨٩م، و١٢٠٨هـ/ ١٧٩٤م، وسمي «أخبار الاسلام»، مع ترجمته إلى اللغة اللاتينية، باعتناء المستشرقين جاكوب ريسكي و: إدلر. ثم طبع في الآستانة سنة ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م، في ٤ أجزاء، مع تتمته، بالاعتماد على طبعة أوربا المذكورة. ثم صدرت الطبعة المصرية الأولى، عن المطبعة الحسينية، سنة ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م، في ٤ أجزاء[2].

٥٥ـ تاريخ الجبرتي: تأليف المؤرخ عبد الرحمن بن حسن الجبرتي العقيلي الحنفي المصري (ت ١١٨٦هـ). واسم تاريخه «عجائب الآثار في التراجم والاخبار»، جمع فيه حوادث اخر القرن الثاني عشر الهجري، وأوائل القرن الثالث عشر، انتهى إلى سنة ١٢٣٦هـ.

---

(١) سركيس، معجم المطبوعات: ١ / ٩٦.

(٢) المصدر السابق: ١ / ٣٣٣-٣٣٥.

صدرت طبعته الأولى التامة في بولاق، سنة ١٢٩٧هـ في ٤ أجزاء. وطبعة ثانية صدرت عن المطبعة الشرفية، سنة ١٣٢٣هـ. وصدر أجزاء مختارة منه في سنوات مختلفة. كما طبع بهامش تاريخ الكامل، لابن الأثير، سنة ١٣٠٢هـ. وطبعت ترجمته الفرنسية في مصر في ٩ أجزاء، سنة ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٨م[١].

٥٦ـ ما طبع من «تاريخ دمشق» للحافظ ابن عساكر: هو أبو القاسم، علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر الشافعي الدمشقي (ت ٥٧١هـ). صدر من كتابه الشهير «تاريخ دمشق» خمسة أجزاء كبيرة، باشر نشرها وترتيبها وتصحيحها، محذوف التكرار والأسانيد، الشيخ عبد القادر بدران، وسماه «تهذيب تاريخ ابن عساكر»، صدر عن مطبعة روضة الشام بدمشق، من سنة ١٣٢٩هـ إلى سنة١٣٣٢هـ وتوفي الشيخ عبد القادر بدران ولم يكمل طبع الكتاب[٢]. وصدرت له طبعات تجارية حديثة.

٥٧ـ الإنباه على قبائل الرواة: تأليف الحافظ أبي عمر، يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ). وكتابه هذا عبارة عن «رسالة»، طبعت مع كتابه الآخر: «القصدُ والأمَم»[٣].

٥٨ـ الأَمَم في أنساب الأمم: للحافظ ابن عبد البر، سابق الذكر. وسماه الحاج خليفة: «القصدُ والأمَم إلى أنساب العرب والعجم»، والمثبت على غلاف المطبوع: «القصدُ

---

(١) سركيس، معجم المطبوعات: ١ / ٦٧٦.

(٢) سركيس، السابق: ١ / ١٨٢.

(٣) تنبيه: ذكر المؤلف اسم هذا الكتاب مختصراً، فسماه «إنباه الرواة»، والصواب ما تقدم إثباته، وقد مكثت طويلا أبحث عن هذا الكتاب، لاشتباهه بكتاب علي بن يوسف القفطي الصعيدي الشافعي (ت ٦٤٦هـ): «إنباه الرواة على أنباه النحاة»، المطبوع في دار الكتب المصرية بين سنتي: ١٣٦٩ - ١٣٧٤هـ في ثلاثة أجزاء.

وبالتأكيد ليس هذا مقصود المؤلف، لأنه طبع بعد صدور كتابه «الشامل»؛ فليعلم.

والأمَم في التعريف بأصُول أنساب العرب والعجم». الكتابان طبعَا معاً في مطبعة السعادة، وصدرا عن المكتبة القدسية، القاهرة، لصاحبها الأستاذ حسام القدسي، سنة ١٣٥٠هـ.

٥٩ـ معجم ياقوت الحموي: والمقصود هو «معجم البلدان في معرفة المدن والقرى والخراب والعمار والسهل والوعر من كل مكان»، تأليف المؤرخ البلداني الشهير ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٧هـ)، فرغ من تأليفه في ٢٠ من شهر صفر سنة ٦٢١هـ بثغر حلب. طبع لأول مرة بعناية المستشرق ووستنفلد الألماني، وصدر في ٦ أجزاء، في مدينة لايبسك بألمانيا، على امتداد ٨ سنوات، من سنة ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٦م، إلى سنة ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٣م[١]. ثم طبعته مطبعة السعادة، بالقاهرة، في ٤ أجزاء، سنة ١٣٢٣هـ بعناية السيد أمين الخانجي[٢].

٦٠ـ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: لشمس الدين،أبي عبد الله، محمد بن أحمد ابن أبي بكر البنّاء، الشامي المقدسي، المعروف بالبِشّاري، ألفه سنة ٣٧٥.

طبع هذا الكتاب لأول مرة في مدينة لَيدِن بهولندا، من سنة ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٧م، إلى سنة ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٥م، ضمن سلسلة المكتبة الجغرافية العربية، باعتناء المستشرق دي خويه. وطبع ثانية مع ترجمة فرنسية، وشروح وتعليقات، باعتناء المستشرق دوزي، ودي خويه، في ليدن أيضاً، سنة ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٦م، في ٥٢٥ صفحة. كما طبع الجزء الأول منه فقط، في كلكتّا، شرق الهند، مع ترجمة انكليزية للباحثين: رنكلين، وآزو، استمر العمل فيها ٤ سنوات، من ١٣١٤هـ/ ١٨٩٧م، إلى ١٣١٨هـ/ ١٩٠١م[٣].

٦١ـ «الجزء المطبوع من كتاب «المسالك والممالك» لابن حَوقل»: وابن حوقل

---

(١) فنديك، اكتفاء القنوع: ٥٦-٥٨.

(٢) سركيس، معجم المطبوعات: ٢ / ١٩٤٢.

(٣) فنديك، السابق: ص ٥٠؛ سركيس، السابق: ٢ / ١٧٧٣.

هو: أبو القاسم، محمد بن حوقل البغدادي الموصلي. طاف الدنيا نحو ٢٨ سنة و ذلك في القرن الرابع للهجرة أي: من ٣٣١هـ/ ٩٤٢م، إلى سنة ٣٥٩هـ/ ٩٧٠م. ألف في رحلته كتابه «المسالك و الممالك و المفاوز والمهالك». طبع منه جزء منتخب في ليدن بهولندا سنة ١٢٣٧هـ/ ١٨٢٢م بعنوان «صورة بلاد عراق العجم من كتاب المسالك والممالك»، ومعه ترجمة لاتينية. ومنتخب آخر في بون بألمانيا، سنة ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٨م بعنوان «ذكر بلاد السند»، ومعه ترجمة لاتينية. وفي باريس سنة ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٥م القسم المختص بوصف عاصمة جزيرة صقلية، ومعه ترجمة فرنسية[1].

٦٢ـ **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**: تأليف شمس الدين، أبي عبد الله، محمد ابن أبي طالب الأنصاري الدمشقي، المعروف بشيخ الربوة (ت ٧٢٧هـ)، وكان مولده في مدينة صفد. اعتنى بطبعه المستشرقان الروسيان: فراين، ومهرني، في بطرسبرج، سنة ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٦م[2].

٦٣ـ **المسالك والممالك**: لأبي القاسم، عبيد الله بن عبد الله[3] بن خُرْدَاذْبه، مولى أمير المؤمنين. توفي نحو سنة ٢٨٠هـ وقيل: ٣٠٠هـ. فارسي الأصل، بغدادي. كان جده مجوسياً، أسلم على يد البرامكة. واتصل هو بالخليفة المعتمد العباسي، فنادمه، وولاه البريد. ضمّن كتابه إحصاء جباية المملكة العباسية.

طبعه المستشرق دي خويه، في مدينة ليدن بهولندا، سنة ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٩م، ضمن مجموعة (Bibliotheca Geographorum Arabum)، أي: المكتبة الجغرافية العربية. في الجزء السادس منها، ومعه مقدمة باللغة الفرنسية[4].

---

(١) فنديك، اكتفاء القنوع: ٥٠؛ سركيس، معجم المطبوعات: ١ / ٩١.

(٢) كذا تاريخ نشر الكتاب عند سركيس؛ وعند الزركلي: ١٨٦٥م؛ وعند فنديك: ١٨٨٦م. ينظر: سركيس: ١ / ٨٨١، الأعلام: ٨ / ٣٤٥؛ فنديك: ٥٣، و٣٦٨.

(٣) واسمه عند الزركلي: عبيد الله بن أحمد، وعند سركيس: عبيد الله بن عبد الله بن أحمد.

(٤) فنديك، اكتفاء القنوع: ٤٨؛ سركيس، معجم المطبوعات: ١/ ٩٢؛ الأعلام: ٤ / ١٩٠.

٦٤ـ مختصر كتاب البلدان:تأليف أبي بكر،أحمد بن محمد الهمَذاني، المعروف بابن الفقيه. توفي نحو ٣٤٠ هـ. اختصره من كتاب له كبير في البلدان، في نحو ألف ورقة، وألفه بعد موت الخليفة المعتضد (ت ٢٧٩هـ).

طبع هذا المختصر في ليدن بهولندا، سنة ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٥م، باعتناء الأستاذ دي خويه، وعليه تعليقات بالعربي واللاتيني، مع فهرست[(١)].

٦٥ـ «المجلد السابع من كتاب «الأعلاق النفيسة»، تصنيف أبي علي،أحمد بن عمر ابن رَسْته»:وهو مؤرخ شهير، فارسي الأصل، من أهل أصفهان، ألف كتابه سنة ٢٩٠هـ بعد رحلته للحج. طبع الجزء السابع من كتابه المذكور، مع كتاب «البلدان» لأحمد بن أبي يعقوب بن واضح، بعناية دي خويه الألماني، ضمن المكتبة الجغرافية، في الجزء السابع، ليدن، هولندا، سنة ١٣٠٩هـ/ ١٨٩٢م[(٢)].

٦٦ـ معجم ما استعجم: تأليف أبي عبيد، عبد الله بن عبد العزيز، الوزير البكري (ت ٤٨٧هـ). اعتنى بطبعه العلامة ووسْتِنفِلْد في جزأين، في مدينة غوتنغن بألمانيا، سنة ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٧م. وهي الطبعة التي اطلع عليها المؤلف[(٣)]. ثم أعيد نشره سنة ١٣٦٤هـ بتحقيق مصطفى السقا.

٦٧ـ الأنساب، للحافظ السمعاني: وهو الحافظ أبو سعد، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي (ت ٥٦٢هـ)، مولده ووفاته بمرو. وكتابه المذكور منه نسخ متعددة. عُنِيَت لجنة (تذكار جيبْ) في ليدن بهولندا، بطبعه بالزنكوغراف بحسَب نسخة المتحف البريطاني، التي تقع في مجلد ضخم عدد أوراقه ٦٠٨ ورقات، أو ١٢١٦

---

(١) سركيس: ١ / ٢٠٦؛ الأعلام: ١ / ٢٠٨، و: ٨ / ٣٣٥.
(٢) سركيس: ١ / ١٠٧؛ الأعلام: ١ / ١٨٥.
(٣) سركيس: ١/ ٥٧٩.

صفحةً كبيرة، بخط دقيق. وفي صدره مقدمة باللغة الإنكليزية للمستشرق مرجليوث، عن المؤلف وكتابه(١).

٦٨ـ طبقات ابن سعد: وتعرف بـ«كتاب الطبقات الكبير»، أو «الطبقات الكبرى»، أو: «طبقات الصحابةوالتابعين». ومؤلفها هو أبو عبد الله، محمد بن سعد بن منيع الزهري، مولاهم (ت ٢٣٠هـ)، ولد في البصرة، ومات في بغداد، صحب الواقدي زماناً، فكتب له وعرف بكاتب الواقدي.

قال المؤرخ فنديك (ت ١٣١٣هـ) متحدثاً عن الطبقات، ونسخها الخطية ومشروع طباعتها: «تدخل الطبقات هذه في خمسة عشر مجلداً متفرقة في عدة مكاتب، وموجود خمسة أجزاء منها في مكتبة بوثا في أواسط ألمانيا، وجزء واحد في القاهرة، وما بقي متفرق في مكاتب أخرى، لم يطبع منها شيء قبل الآن، إلا إن الجمعية العلمية الشرقية الألمانية في برلين خصصت خمسة آلاف جنيه لطبعها،وكلفت العلامة أدوَرْد ساخاو، ناظر المدرسة الشرقية في برلين باستنساخها من المكاتب، والوقوف على طبعها، وتصحيح الكراريس. فباشر العمل سنة [١٣١١هـ] ١٨٩٤م. وتوالى صدور الكتاب لمدة ١٧ سنة، من سنة ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٥م، إلى ١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م، وجاء في ٩مجلدات، بأربعة عشر قسماً.

اشترك في الوقوف على طبعه وتصحيحه المستشرقون: سْخَاو، وهوروفتش، وليبرت، وستراستين، وبروكلمن. كما صدرت قطعة منه، في طبعة حجرية في الهند، في مدينة آكرا Agra(٢).

٦٩ـ سيرة ابن سيّد الناس: محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الرَّبَعي، أبو الفتح (ت ٧٣٤هـ). أصله من إشبيلية، مولده ووفاته في القاهرة.

---

(١) فنديك: ٧٢-٧٣، ٨٧، ٣٨٣؛ سركيس: ١/ ١٠٤٩؛ الأعلام: ٤/ ٥٥.

(٢) فنديك: ص ١٦٦؛ سركيس: ١/ ١١٦؛ الأعلام: ٦/ ١٣٦.

اشتهر بكتابه «عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير»، واختصره في «نور العيون في تلخيص سير الأمين المأمون». طبع قسم منه في السند سنة ١٢٢٩هـ/ ١٨١٥م، باعتناء كوزغرتن. ثم طبع تاماً في مصر سنة ١٣٥٦هـ[١].

٧٠ـ سيرة ابن هشام: تأليف أبي محمد، جمال الدين، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، (ت ٢١٣هـ)، ولد ونشأ في البصرة، وتوفي بمصر.

طبعت لأول مرة بعناية وستنفلد الألماني، مع ملحوظات باللغة الألمانية، في غوتنغن، سنة ١٢٧٥هـ/ ١٨٥٩م، ثم طبعت مرة أخرى في ٣ أجزاء، في مدينة ليبزيك بين سنتي ١٣١٦-١٣١٧هـ/ ١٨٩٩-١٩٠٠م. كما طبعت في مطبعة بولاق، في مجلدين، سنة ١٢٩٥هـ وفي مدينة كانبور الهندية، سنة ١٢٩٨هـ بهامش كتاب «زاد المعاد» لابن القيم، وفي مصر أيضاً سنة ١٣٢٤هـ، وبالمطبعة الخيرية بالقاهرة سنة ١٣٢٩هـ ومعها تعليقات للشيخ محمد الطهطاوي، وبهامش «الروض الأنف» للسهيلي، بمصر، سنة ١٣٣١هـ وبهامش «زاد المعاد» أيضاً مرة أخرى بمصر سنة ١٣٣٣هـ[٢].

٧١ـ قضاة مصر: تأليف أبي عمر، محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي (ت بعد سنة ٣٥٥هـ). كان من أعلم الناس بتاريخ مصر وأهلها وأعمالها وثغورها.

طبع بعنوان «كتاب الولاة وكتاب القضاة» على نفقة تذكار (لجنة جيب)، باعتناء الإنجليزي ريهون گست، بالاشتراك بين جامعة ليدن بهولندا، وجامعة لندن، وتم الطبع بمطبعة الآباء اليسوعيين، ببيروت، سنة ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٨م، ومعه مقدمة باللغة الإنكليزية وفهارس شاملة. كما طبع في روما في السنة نفسها، بعنوان: «كتاب القضاة الذين وَلُوا قضاء مصر»، مع ذيله لابن برد، ومعه مقدمة باللغة الإنجليزية للأستاذ ريشار غوتيل.

---

(١) سركيس: ١/ ١٢٦؛ الأعلام: ٧/ ٣٤، و: ٨/ ٣٢٤.

(٢) سركيس: ١/ ٢٢٤، و: ٢٧٧؛ الأعلام: ٤/ ١٦٦.

وطبع طبعة ثالثة في السنة نفسها، في نيويورك، الجزء الأول منه، بعنوان «تسمية ولاة مصر وكتاب تاريخ القضاة»، باعتناء الأستاذ كونيغ[١].

٧٢ـ ذيل قضاة مصر: لأبي الحسن،أحمد بن عبد الرحمن بن بُرْد. ذكره السيد المؤلف ولم يسم مؤلفه، واستفدناه من طبعة بيروت، التي صدرت بعنايةالمستشرق كِنْست، ملحقاً بأصله للكندي، وهو يقع بين صفحتي: ٤٧٧ و٤٩٤، وينتهي بذكر ولاية ابن حيّون سنة ٣٦٦هـ.

تنبيه: وهم الزركلي في ترجمة الحسن بن إبراهيم، الشهير بابن زولاق (ت ٣٨٧ هـ) فذكرهذا الذيل ضمن مؤلفاته، وسماه «أخبار قضاة مصر»، وقال: «جعله ذيلاً لكتاب الكندي»[٢]، فليحرر.

٧٣ـمروج الذهب: لأبي الحسن، علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت٣٤٦هـ). خرج إلى النور في طبعته الأولى، باعتناء المستشرقين: دي ماينار، ودي كورتل، في ١٤ جزءاً، في باريس، على امتداد ١٦ سنة، من سنة ١٢٧٧هـ/ ١٨٦١م، إلى سنة ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٧م[٣]، مع ترجمة فرنسية. وجاء في ترجمة المستشرق الفرنسي جبرايل فيران (ت ١٣٥٤هـ): أنه أعاد طبع «مروج الذهب»[٤]. ثم طبعته مطبعة بولاق، في مجلدين، سنة ١٢٨٣هـ وسنة ١٢٩٠هـ. فمطبعة محمد أفندي مصطفى، سنة ١٣٠٣هـ بهامش الأجزاء العشرة الأولى من كتاب«تاريخ الكامل» لابن الأثير. ثم طبع بين سنتي ١٣٠٢هـ و١٣٠٤هـ على هامش الأجزاء الثلاثة الأولى من «نفح الطيب» بعناية محمد قاسم الحسيني[٥].

---

(١) سركيس: ٢/ ١٥٧٢؛ الأعلام: ٨/ ٣٤٩، و: ٧/ ١٤٨.

(٢) سركيس: ٢/ ١٥٧٢؛ الأعلام: ٢/ ١٧٨.

(٣) سركيس في معجمه (٢/ ١٧٤٤) فصل هذه التواريخ، فذكر أن الكتاب طبع في باريس، في ٩ أجزاء بين سنتي: ١٨٦١، و١٨٧١م. طبع فهرسته بين سنتي: ١٨٦٩، و١٨٨٧م.

(٤) الأعلام: ٢/ ١١١.

(٥) فنديك: ص ٤٨، ٧٠، ٧٢؛ سركيس: ١/ ٣٧، و: ٢/ ١٧٤٤؛ الأعلام: ٢/ ١١١.

٧٤ـ التنبيه والإشراف: للمؤلف السابق. طبع باعتناء دي خويه (ضمن المكتبة الجغرافية، السابق ذكرها)، ليدن، هولندا، ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م. نقله إلى اللغة الفرنسية الأستاذ كارادي فو. ثم طبع بمصر سنة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م[١].

٧٥ـ فتوح مصر وأخبارها: تأليف أبي القاسم، عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ابن أعين القرشي المصري (ت ٢٥٧هـ). اشتهر بتاريخه هذا، ومعه «فتوح المغرب». طبع ما يخص فتوح مصر، في ليدن، بهولندا، باعتناء شارل توراي، أستاذ اللغات السامية في كلية ريال الأميركية. ومعه ترجمة باللاتينية، سنة ١٢٧٤هـ/ ١٨٥٨م. وطبعت قطعة منه في مصر، بمطبعة المجمع العلمي الفرنسي، باعتناء هنري ماسه، سنة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م، في ٨٢ صفحة[٢].

٧٦ـ بحر الأنساب: وهو المسمّى بالمشجّر الكشاف لأصول السادة الأشراف، قال عنه: «تأليف الشيخ الإمام الحبر البحر الهمام، السيد محمد بن أحمد بن عميد الدين علي الحسيني النجفي، النسابة. بتحرير الشريف الحسيني، السيد حسين محمد الرفاعي المصري، وهو الذي قام بطبعه ونشره». انتهى. أما السيد النجَفي فتوفي سنة ٤٣٣هـ وأما السيد حسين الرفاعي فتوفي سنة ١٣٧٦هـ أحد موظفي دار الكتب المصرية، قام بنشر الكتاب مصوراً عن خط يده سنة ١٣٥٦هـ، وهو نقله من نسخة بخط العلامة محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) محفوظة بدار الكتب المصرية، عليها تعليقات له. فقول الزركلي في ترجمة الرفاعي: إن الكتاب طبع طبعة حجرية، ليس بدقيق[٣].

وكانت للسيد مؤلف «الشامل»، صلة بالرفاعي، وجرت بينهما المراسلات العلمية، وقام المؤلف بتزويد الرفاعي بملخص وافٍ عن أنساب السادة آل باعلوي، نشرها الأخير

---

(١) سركيس: ٢/ ١٧٤٤، و: ١/ ٩٠٥؛ الأعلام: ٨/ ٢٩٧.

(٢) سركيس: ١/ ١٦٢؛ و: جامع التصانيف الحديثة (١/ ٢٣)؛ الأعلام: ٣/ ٣١٣، و: ٨/ ٣٢٦.

(٣) الأعلام: ٨/ ٢٨٥.

في كتابه الذي سماه «**نور الأنوار في فضائل وتراجم وتواريخ ومناقب ومزارات آل البيت الأطهار**»، نشر ملحقاً بكتاب «بحر الأنساب»، في ١٦ صفحة، من ص ٣٣ إلى ص ٤٨.

كتب الرفاعي تحت عنوان: «**كنز ثمين من بحُور الأنساب**»، يقول: «أرسل لنا حضرة صاحب الفضيلة، العلامة السيد علوي بن طاهر بن عبدالله بن عمر[1] الحداد العلوي، مفتي المسلمين ببلاد جوهور بارو الإسلامية، بجوار سنغافوره، وهي عاصمة بلاد الملايو، هذا البحر الفياض في أنساب وذرية السادة الحضارمة، الذين انتشروا في بلاد الدنيا شرقاً وغرباً،...»[2]، إلى آخر كلامه.

٧٧ـ **قلب جزيرة العرب**: للمؤرخ فؤاد حمزة. وهو فؤاد بن أمين بن علي حمزة (ت١٣٧١هـ)[3]. طبع في المطبعة السلفية، بالقاهرة، سنة ١٣٥١هـ/ ١٩٣٣م[4].

نقل عنه المؤلف في موضع واحد من كتابه، عند ذكره بعض النقوش في وصف الطريق إلى وادي حمم: «نوَّه بها وَيسْمان الهولندي، ونقل عنه ذلك صاحب «قلب جزيرة العرب»، وهي لا تستحقّ شيئاً من التنويه، لحقارة المحلّ، وعدم أهليته لأن يكون موضعَ مدينةٍ، ولا أمة غنية قوية»[5].

٧٨ـ **فهرس الفهارس والأثبات**: للحافظ المحدث المسند، السيد الشريف، عبد الحي الكتاني الإدريسي الفاسي. وقد أطنب في الثناء عليه في «الخلاصة الشافية»، وأطال في ذلك. نقل عنه في بضعة مواضع. والكتاني من معاصريه، وبينهما صلة علمية،

---

(١) هكذا جاء في المطبوع، وهو خطأ طباعي لاشك فيه، لأنه ساق نسبه مرة أخرى صحيحاً. وصواب الاسم: بن طه، وليس ابن عمر.

(٢) الرفاعي، نور الأنوار: ص ٣٣.

(٣) الأعلام: ٥/ ١٥٩.

(٤) الطاهر، علي جواد، معجم المطبوعات في السعودية: ٢/ ١٠٣٦.

(٥) الشامل: ص ٤٤٥.

وقد استجاز المؤلف لنفسه ولأولاده منه، توفي الكتاني بفرنسا سنة ١٣٨٢هـ سنة توفي المؤلف. صدرت طبعته الأولى في فاس، المغرب، سنة ١٣٤٦-١٣٤٧هـ في مجلدين[١]، والأخيرة في بيروت عن دار الغرب الإسلامي، بعناية د. إحسان عباس، في مجلدين، والثالث للفهارس الشاملة المتنوعة.

٧٩ـ معجم الشيوخ: تأليف العلامة عبد الحفيظ الفهري الفاسي (ت ١٣٨٣هـ)، وصفه المؤلف بالحافظ، وهو ممن أجاز المؤلف بطريق المكاتبة. كما في «الخلاصة الشافية». وكتابه هذا له عنوانان آخران غير ما ذكر، الأول «رياض الجنة في شيوخ السنة»، و«المدهش المطرب بأخبار من لقيت أو كاتبني بالمشرق أو بالمغرب»، طبع في جزأين، بفاس، سنة ١٣٥٠هـ[٢].

* * *

[د] بقية المصادر المطبوعة من كتب اللغة والأدب العربي:

٨٠ ـ الأغاني للأصفهاني: وهو أبو الفرج، علي بن الحسين المرواني الأموي (ت ٣٥٦هـ)، ولد في أصبهان، ونشأ وتوفي ببغداد. طبع كتابه هذا في عشرين جزءاً، في مطبعة بولاق، سنة ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م، و كانت ناقصة جزءاً فتممها الأستاذ رودلف برونو، وطبع ذلك الجزء في ليدن،بهولندا، سنة ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٨م، كما أصدر له فهرسةً وُسِم بـ«بجداول الأغاني الكبير». ونشرت أجزاء متفرقة منه باعتناء أشخاص مختلفين. ثم طبع في دار الكتب المصرية، سنة ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م، على نفقة السيد محمود الساسي التونسي، في ٢١ جزءاً، ومعها ٤ أجزاء للفهارس[٣].

---

(١) الأحدب، التصنيف في السنة النبوية: ١/ ٨٧.

(٢) الأحدب، السابق: ١/ ٨٧.

(٣) فنديك: ص ٣٢، ٤٠، ٣٣٥، ٤٧٢؛ سركيس: ١/ ٣٣٨؛ الأعلام: ٨/ ٢٨١، و: ٤ / ٢٧٨.

٨١ ـ نيل[1] الأرب، للنويري: وهو شهاب الدين، أحمد بن عبد الوهاب البكري التيمي، المعروف بالنويري (ت ٧٣٣هـ). اشتهر بكتابه « نهاية الأرب في فنون العرب»، قال الزركلي ناقلاً عن أحد المستشرقين قوله: «إن نهاية الأرب على الرغم من تأخر عصره؛ يحوي أخباراً خطيرةً عن صقلية، نقلها عن مؤرخين قدماء، لم تصل إلينا كتبهم». طبعت منتخبات منه في أماكن مختلفة، منها «ذكر أخبار ملوك الشام من ملوك قحطان» في غوتنغن بألمانية سنة ١١٨٨هـ/ ١٧٧٥م. و«أخبارصقلية في مجموعة ملوك العرب» سنة ١٢٠٤هـ/ ١٧٩٠م. و«أيام العرب ووقائعها في الجاهلية»، باعتناء الأستاذ راسموسن، بغوتنغن أيضاً، على امتداد ٥ سنوات، من سنة ١٢٣٢هـ/ ١٨١٧م، إلى سنة ١٢٣٧هـ/ ١٨٢١م. وجزء في إسبانيا (غرناطة) مع ترجمة إسبانية، سنة ١٣٣٥هـ/ ١٩١٧م. ثم شرعوا في دار الكتب المصرية في طباعته مكتملا، فصدر الجزء الأول سنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م، وصدر الجزء ١٨ سنة سنة ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م[2].

٨٢ ـ القاموس، للفيروزآبادي: وهو أبو طاهر، محمد بن يعقوب الشيرازي الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، ولد بشيراز ثم استقر بعد ترحال طويل بزبيد، سنة ٧٩٦هـ، وتوفي بها. اشتهر بكتابه «القاموس المحيط والقابوس الوسيط الجامع لما ذهب من كلام العرب شماطيط»، قال في آخره: «قد يسر الله إتمامه على الصفا بمكة المشرفة، تجاه الكعبة المعظمة». صدرت له أول طبعة، في كلكتا بالهند، باعتناء الأستاذ ماتيو لمسدن، وتصحيح بعض المشايخ منهم الشيخ أحمد الشرواني اليمني، في أربعة أجزاء كبيرة من سنة ١٢٣٠ إلى ١٢٣٢هـ. كما له طبعة على الحجر في بُمبَي سنة ١٢٧٢هـ وصدر في العام نفسه عن مطبعة بولاق، ثم فيها أيضاً سنة ١٢٨٩هـ، بتحقيق الشيخ نصر الهوريني، وثالثة فيها سنة ١٣٠١هـ، ثم في لكنو بالهند أيضاً سنة ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٥م، ثم في مطبعة البحرية، بالآستانة العلية سنة

(١) الصواب: نهاية الأرب. ولعل سبق قلم.

(٢) سركيس: ٢ / ١٨٨٤؛ الأعلام: ٨ / ٣٤٧.

١٣٠٤هـ، ثم في مصر أيضاً سنة ١٣١٩هـ، وفي المطبعة الحسينية سنة ١٣٣٠هـ[1].

٨٣ ـ تاج العروس شرح القاموس: للسيد محمد مرتضى الزبيدي الحسيني (ت ١٢٠٥هـ)، سبق ذكره. سماه مؤلفه «تاج العروس من شرح جواهر القاموس»، أو «تاج العروس من درر القاموس». طبع أول مرة طبعة ناقصة في خمسة مجلدات، تنتهي إلى آخر حرف العين، بالمطبعة الوهبية، بالقاهرة، سنة ١٢٨٦هـ، ثم طبع كاملاً في عشرة أجزاء، بالمطبعة الخيرية، بالقاهرة أيضاً، سنة ١٣٠٦هـ[2].

٨٤ ـ النقائض، لأبي عبيد: وهو أبو عبيد، معمر بن المثنى التيمي بالولاء، البصري (ت ٢٠٩هـ)، اشتهر بكتاب «النقائض»، أو: «نقائض جرير والفرزدق». يقع في ٣ أجزاء. نشر في ليدن باعتناء المستشرق الإنجليزي أنتوني آشلي بيفان (ت ١٣٥٣هـ)[3]، على امتداد ٨ سنوات، من سنة ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٥م، إلى سنة ١٣٢٩هـ/ ١٩١٢م[4].

* * *

[هـ] مصادر جغرافية وفلكية وردت في أثناء الكتاب:

علاوة على ما تقدم فهناك مصادر وكتب أخرى ذكرت عرضاً في ثنايا الكتاب، وخصصت هذا الموضع لذكر الكتب المتخصصة في علم الفلك، أو الأخرى التي نقل عنها المؤلف معلومات فلكية أو جغرافية، بالخصوص. فمن ذلك:

---

(١) سركيس: ٢/ ١٤٧٠؛ الأعلام: ٧/ ١٤٦.

(٢) فنديك: ص ٩٧، ١٤٧، ٣٢٥، ٣٢٦؛ سركيس: ٢/ ١٧٢٧.

(٣) من تلاميذ (وليم رايت). ومن لطيف ما يذكر عن اهتمامه بالعربية أن صديقه المستشرق (إدورد براون) العالم بالفارسية رآه مرة وعلى وجهه أمارات الاكتئاب فاستعلم عما أصابه، فعلم أنه وجد في (النقائض) بعد نشره شيئا من الخلل في وزن بيت من الشعر. الأعلام: ٢/ ٢٤.

(٤) سركيس: ١/ ٣٢٣؛ الأعلام: ٨/ ٣٤٦، و: ٧/ ٢٧٢.

٨٥ ـ الدرر التوفيقية في تقريب علم الفلك والشيوديزية: تأليف العلامة إسماعيل باشا مصطفى الفلكي (ت ١٣١٨هـ)، التركي الأصل، تخرج في باريس في علم الفلك، منشئ وناظر المرصد الفلكي في العباسية بالقاهرة، له مؤلفات، و«تقاويم فلكية»[١]، منها هذا الكتاب الشهير، رجع إليه المؤلف في تحديد عدد من المواقع والإحداثيات الحضرمية على خريطة العالم[٢].

طبع على نفقة نظارة المعارف بولاق، في مجلدين، سنة ١٣٠٢هـ. «وهو مطوّل في علم الهيئة، و شرْح العِدَد و الآلات المستعملة للأرصاد، وجداول تحويل الزمن النجمي إلى الدرَج القوسي، و فيه أشكال، أي: صور عديدة»[٣]. وفصل سركيس في الوصف، فذكر أنه الجزء الأول: يشتمل على ثمانية أبواب ومقدمة، في ٥٧٩ صفحة + ٢٧. والجزء الثاني: يشتمل على ٦ جداول و ٢٣٤ شكلًا[٤].

ومصطلح (الشيوديزية) يعني: الجيوديسيا (GEODESY): وهو فرع من الرياضيات التطبيقية، ومن أغراضها: المسح الجيولوجي الجغرافي (Geoditic Surveying = المسح الجيوديسي)، الذي يستخدم في مسح الأسطح الكبيرة جداً، كالقارات، والدول والأقاليم، مع الأخذ بكروية الأرض في الاعتبار.

٨٦ـ رياض المختار ومرآة الميقات والأدوار: تأليف الغازي أحمد مختار باشا البروسوي (ت ١٣٣٧هـ/ ١٩١٩م)، كان وزيراً، ثم والياً على اليمن وغيرها، تولى منصب الصدر الأعظم سنة ١٩١٣م[٥]. كتابه المذكور ألفه بالتركية سنة ١٣٠٢هـ ونقله

---

(١) الأعلام: ١ / ٣٢٧.

(٢) الشامل: ص ٣٢، ٨٨.

(٣) فنديك: ص ٤٦١.

(٤) سركيس: ١/ ٤٤٥.

(٥) الزركلي، الأعلام: ١/ ٢٥٥.

إلى اللغة العربية الأستاذ شفيق بك منصور يكن (ت ١٣٠٩هـ)، وطبع في مطبعة بولاق سنة ١٣٠٦هـ[١].

٨٧ـ دليل المسافر: تمامه «دليل المسافر في بيان ما اختصَّ هُو به من العبادة صلاةً وصوماً وما يتعلق بذلك». تأليف العلامة أحمد الحسيني بك المصري (ت ١٣٣١هـ). طبع في حياة مؤلفه في مطبعة بولاق سنة ١٣١٩هـ[٢].

٨٨ ـ بغية المسترشدين: تمامه «في تلخيص فتاوى بعض الأئمة من العلماء المتأخرين»، قال عنه «جمع العلامة الفقيه الصالح، عبد الرحمن بن محمد المشهور، السيد الشريف العلوي الحسيني»[٣]، المتوفى سنة ١٣٢٠هـ. طبع في مصر طبعات متعددة، لعل أولها طبعة في القاهرة سنة ١٣٠٣هـ[٤].

٨٩ـ ونقل المؤلف فائدةً عن السيد أحمد بن أبي بكر بن سميط (ت ١٣٤٢هـ)، الذي وصفه بـ«العلامة المحقق، السيد الشريف العلوي الحسيني»[٥]. ولم يحدد مصدر النقل[٦].

❊ ❊ ❊

[و] الأطالس التي رجع إليها:

٩٠ـ «الخريطة الكبرى» التي صُنِعت سنة ١٩٠٨ غربي، للجيش الإنكليزي.

---

(١) البغدادي، إيضاح المكنون: ١/ ٦٠٣؛ فنديك، اكتفاء القنوع: ص ٢٥١، ٤٥٨.

(٢) سركيس: ١/ ٣٨٤؛ الأعلام: ١/ ٩٤.

(٣) الشامل، ص ٢٧١.

(٤) باذيب، جهود فقهاء حضرموت: ٢/ ١٠٢٦. باذيب، أضواء: ص ١٠٤.

(٥) الشامل، ص ٢٧٢.

(٦) أفاد السيد عدنان الحداد ضمن ملاحظاته على هذه الترجمة: أن نقل السيد المؤلف كان من كتاب «تحفة اللبيب على لامية الحبيب»، للعلامة السيد أحمد بن أبي بكر بن سميط.

٩١ـ «الخريطة» التي ألحقها الرحالة المستر بروترام توماس الإنكليزي، في كتابه الذي نشره عن رحلته في قسمٍ من وَبار (الربع الخالي) وسماه «عربية فلكيس».

٩٢ـ أطلس السيد عثمان: تأليف العلامة عثمان بن عبد الله بن عقيل بن يحيى، السيد الشريف العلوي الحسيني، (ت ١٣٣٣هـ). طبعه في مطبعته الخاصة، توجد منه نسخة في مكتبة الأحقاف للمطبوعات، بتريم، طالعتها قبل سنين.

* * *

[ب] مصادر شفوية:

وأبرز الشخصيات التي استمد منها المؤلف في هذا الكتاب، ونقل عنهم مباشرة، وصرح بأسمائهم:

١ـ شيخه السيد العلامة الإمام أحمد بن حسن العطاس (ت ١٣٣٤هـ). نقل عنه في عدة مواضع، منها قوله: «وقد سمعتُ من شيخنا: أن أوديةَ حضرموت حتى وادي عِدِم وما والاه، كانت كلها تصب في وادي العَبر إلى شبوة، أي: ثم تغيرت هيئةُ الأرض بزلزالٍ أو نحوه. وسيأتي عند ذكر منازلِ عادٍ، ما يقرِّبُ هذا القول من فهمك»[1].

٢ـ السيد محمد بن عقيل بن عمر بن يحيى، ذكره في ٤ مواضع من هذا الكتاب. ووصفه بـ« المرحوم، المحقق البحاثة»[2].

٣ـ الشيخ أحمد بن عمر بن مبارك بن سالم بن عبد الله بن عبد القادر بن سالم بن محمد العزَب، الحباني. وصفه بأنه «العلامة الفقيه، بدر محبّي آل الرسول، وثيق النسبة

(١) الشامل: ص ٥٥٢.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٧٢.

بذرية حيدرة الكرار والزهراء البتول»[١]. أفاد عنه في وصف وصف الأودية والقرَى والقبائل في وادي حبان.

٤ـ السيد حسين بن محمد المحضار، من أهل حبان. أفاد عنه في وصف وصف الأودية والقرَى والقبائل في وادي حبان. ووصفه بأنه «الفاضل المحصّل»[٢].

٥ـ الشيخ محسن بن فريد العولقي، أفاد عنه في وصف وصف الأودية والقرَى والقبائل في وادي حبان. ووصفه بأنه «الرئيس العاقل، رئيس العوالق»[٣].

٦ـ السيد المبجل، علوي (الكبير) بن أبي بكر بن محمد بن أحمد بن الحسن ابن الإمام عبد الله بن علوي بن محمد الحداد. أفاد عنه في وصف وصف الأودية والقرَى والقبائل في وادي حبان. ووصفه بأنه « الشهم الماجد المعمّر »، قال: «وهو القائمُ بمَنصِب أبناء عمومتنا بنصاب، وله جاه واحترام عند العوالق أجمع»[٤].

٧ـ عمه السيد الجليل، صالح بن عبد الله بن طه الحداد. أفاد عنه في وصف وصف الأودية والقرَى والقبائل في وادي حبان[٥]. ووصفه بأنه « العالم العامل، الزاهد العابد، الذاكر المستقيم، المستجاب الدعوة»، قال: «وله الجاه العظيم، والصيت الشهير في تلك النواحي، يحترمه أهلها أجمع، حتى لقد كانوا يقفون عند إشارته، ويتقارعون على السبق إلى إنزاله، ويتلقّونه بالمواكب إذا مرَّ ببلدانهم»[٦]، ذكره أكثر من خمس مرات.

---

(١) الشامل: ص ٣١٦.

(٢) المصدر السابق: ص ٣١٦.

(٣) المصدر السابق: ص ٣١٦.

(٤) المصدر السابق: ص ٣١٧.

(٥) منها قوله: «وفي هذه المواضع تكثر السّهوب، الحزُوم، التي تكثر بها الحجارةُ الشديدة السواد، أخبرني بذلك عمّي رحمه الله تعالى». الشامل: ص ٣١٨.

(٦) الشامل: ص ٣١٧.

٨ـ السيد الوزير حسين بن حامد بن أحمد المحضار (ت ١٣٤٥هـ). وصفه بأنه كان «وزير السلطان عمر»، أي: القعيطي (ت ١٣٥٤هـ)، ذكره أكثر من ١٠ مرات[١].

٩ـ السيد علي بن أبي بكر الجفري، من رباط باعشن، نقل عنه في موضع واحد[٢].

وغيرهم كثيرون، وهؤلاء نماذج، ومن لم يصرح بذكرهم أضعافهم.

*** ومنها مصادر شفوية عن شخصيات اعتبارية:**

ـ **كإدارة المساحة بمحروسة جُهور بهارُو:** استفاد منهم معرفة مقدار الدرجة المستخدمة في قياس الأطوال في الخرائط والمسطحات الجغرافية.

* * *

[ج] مشاهداته ورحلاته الشخصية:

فقد حفل الكتاب بذكر مشاهدات المؤلف ومرئياته في تطوافه على قرى وبلدات ووديان حضرموت على اختلافها وترامي أطرافها، من ذلك قوله في سياق حديثه عن آثار وادي شبوة: «.. وقد صارت ضجةٌ عظيمة للعثور عل محافِد هَجَر بمَرْخة، وحصل أهلها على ذهبٍ كثير، وحُليّ، وآنية، وصور، بعضُها من ذهبٍ، وأكثرها من رُخَام، وذلك سنة ١٣٣٥،... وماوصلَ إلينا وشاهدناهُ من آثارها»[٣]. وقال في سياق تعداد مصادر الكتاب: «.. ومنها ماعلمته من زمن رحلتي من عدن إلى أبين، فدثينة، فنصاب، فحبّان، فالحوطة،

(١) الشامل: ص ٤١٦.
(٢) المصدر السابق: ص ٥٧٣.
(٣) المصدر السابق: ص ٢٥٤.

فجبال نعمان، إلى يبْعِث، فَرَيدة الديِّن، إلى وادي قيدون»[١]. وكانت رحلته تلك سنة ١٣٣٥هـ كما تقدم في النص السابق.

* * *

(١) ص ٣١٦.

هذه الطبعة

لقد ظل الشامل محط أنظار الباحثين في مختلف الأزمان والبلدان، ولم تزل تراودهم فكرة إخراجه بصورة تقربه للباحثين، ويوماً بعد يوم، وسنة بعد سنة، تتزايد تلك الاهتمامات، ولكن النقص الكبير الذي احتوش صفحاته كان يقف عائقاً أمام إعادة نشره. أما أبناء المؤلف وورثته، فكانوا حريصين أيضاً على إعادة نشره، ولكن الظروف التي عاشوها بعد وفاته، لم تكن مشجعة ولا مناسبةً للتصدي والقيام بذلك الأمر، وتطالعنا في مراسلاتهم الشخصية عبارات تفيد وجود العزم عندهم، مع قيام الموانع.

من ذلك ما ورد في رسالة من السيد طاهر بن علوي (ت ١٤٠٧هـ)، لابن خاله السيد المرحوم حامد بن أحمد مشهور الحداد (ت ١٤٣٤هـ)، مؤرخة في ٢١ جمادى الأولى سنة ١٣٩٣هـ بعث بها من عدن إلى جدة، قال في خاتمتها:

«والشامل الموجود المطبوع فقط، وهو ٢٥٠ صفحة بالقطع الكبير، وهو لا يزال في مقدمته، بلغ فيه إلى قيدون وأسهب في تاريخها، والمقدمة في أسلوبها وطريقتها أشبه بصفة جزيرة العرب للهمداني، وأما التاريخ المفصل فلما يقدر كتابته، وأين مثله في اطلاعه، ذلك عزيز الوجود، ولو تطلبت المواد الموجودة في جلود الكتب بدائرة الإفتاء لجاءت مجلدات، لكن يجب حفظ الموجود وإلا ضاع انتظاراً للترجمة»[1].

وظلت تلك الرغبة، وذلك العزم، يترددان في الصدور، حتى برز في نية ابن أخيه السيد جعفر بن عبد الله بن طاهر الحداد، الذي أوكل إلى العاجز القيام بهذه المهمة العظيمة، فحملني أمانة، أسأل الله أن يعينني على القيام بها، وأدائها كما ينبغي.

(١) تلك الرسالة أطلعني عليها أستاذنا السيد حامد، رحمه الله تعالى.

وصف النسخة المعتمدة:

سبق أن تحدثنا عن طبعة الشامل والمتاعب التي واجهت المؤلف في تأليفه ونشره، وما تلا ذلك من ضياع العديد من أوراق الجزء الأول الذي خرج من المطبعة، وتبعثرها، مما نتج عنه خسارة علمية وتاريخية فادحة. وظل الشامل وحتى وقت قريب يتداول عن طريق التصوير الضوئي، وتقع القطعة المتداولة في ٢٣٢ صفحة، التي ينتهي الحديث فيها في تاريخ قيدون، حول علاقة آل العمودي بالسادة بني علوي. وهو مطابق للرقم الذي ورد في «رحلة الأسفار»، حيث قال مؤلفها السيد أبو بكر بن علي بن شهاب الدين: «وقد طبع التاريخ في سنقافورا، المسمى بالشامل، إلى صفحة ٢٣٢. والآن بقي متوقف من عدم البياض، وتطور الوقت، ربنا يتممه على أحسن حال».

ولكن، وكما سبق في كلام السيد طاهر بن علوي، ابن المؤلف، قوله من رسالة شخصية إلى السيد حامد مشهور الحداد مؤرخة في ١٣٩٣هـ: أن الموجود من الشامل هو ٢٥٠ صفحة. مما يفيد القطع بوجود صفحات فيها تتمة للكتاب، تزيد على ما ذكره ابن شهاب بنحو عشرين صفحة. ولكن: أين يمكن أن تكون تلك التتمة؟

العثور على تتمة من المطبوع:

ظل الأمر على ما هو عليه، إلى أن قام أحد أسباط السيد المؤلف، وهو السيد العالم الفقيه عدنان بن علي بن أحمد مشهور الحداد، بزيارة إلى مدينة الحديدة، سنة ١٤١٨هـ تقريباً، حيث كان يقيم اثنان من أبناء السيد المؤلف، وهما علي وحسين، رحمهما الله. وكانت عندهما ذخيرة من تراث أبيهما، عثر فيها على قرابة ٢٥ صفحةً ذوات الأرقام: من صفحة ٢٣٦ إلى ٢٥١، ومن صفحة ٢٦٠ إلى ٢٦٧.

ثم قُدِّر لي زيارة إلى نفس المكتبة، سنة ١٤٢٠هـ تقريباً، في حياة السيدين المذكورين، فوقعت تحت يدي بعض الصفحات الناقصة الجديدة، بأرقام متسلسلة من

صفحة ٢٥٢ إلى صفحة ٢٥٩. فتم بهذا وما قبله العثور على ٣٢ صفحة من الشامل، لم تكن متداولة من قبل. ثم قبل أن نشرع في الطباعة والإخراج النهائي للكتاب، وجدت الأخ الباحث منير بازهير نقل في ترجمته المطبوعة للسيد المؤلف نصاً مفيداً بل مهماً عن بداياته في طلب العلم، وبعد التواصل معه تبين أنه عثر على أوراق من الشامل أثناء عمله في مركز النور الذي أشرف على نقل مكتبة السيد المؤلف من الحديدة إلى قيدون قبل سنوات، وتلك الأوراق هي للصفحات من ٢١٧ إلى ٢٢٤، فالحمد لله على فضله.

أوراق من مسودة المؤلف:

كما وقفت على ٣٥ صفحة من مسودات الكتاب بخط المؤلف رحمه الله، تبتدئ من صفحة ١٩٥ وتقابلها في المطبوع صفحة ٢٢٩، وتنتهي في صفحة ٢٢٩ التي تقابلها في المطبوع صفحة ٢٦٦. ولم أجد فروقاً تذكر بين الأصل الخطي والمطبوع، وحتى الاستطرادات والإلحاقات التي في هامش المسودة الخطية تم إدراجها في مواضعها من المطبوع، والحمد لله على تيسيره.



نماذج
من الأصول المعتمدة في التحقيق

(١) نموذج لصفحة من الشامل بقلم المؤلف رحمه الله

فارجع من حيث جئت. فاستطرد قائلا: امالك يا حبيب عند شي حتما. فما اذعن وحكم وسلم العرابين من البنادق المشهورة فيها سلطان ارسل الحبيب محمد لقوم الذين اتهم الى بلادهم. فقضوا حاجاتهم وعادوا. وانفتحت افواه المسلمين لهم دهشا لهذا الحادث وعلموا انهم انما كانوا من امرهم في تيه وغرور، وكان فيهم سلان عدهما يحسى بن الزرع ابيض اشقر جسيما وثاني يهايرين سويد قصيرا اسود وكانا من اسرق الناس وابطشهم عملوا اعمالا شنيعة حتى لقد تسوروا ليلة على احد السادة ال الصافي بالرباط حين خلا بعروسه فاخذوا آنية النحاس المزركشة بالطبال مملوءة حليا من ذهب ولفضة ولها قصص غير ذلك. وقد رايتهما حين استقدمهما الحبيب الى ليدون في رابعة واشتد نكيره على قومهما فلم يطل الامر حتى هجموا عليهما فقتلوهما فاراحوا منهما البلاد والعباد. كنا معه وقد اصعد لزيارة الشيخ عمر مولا خضم وعرج الى حوفة فاصلح بعض الامور وانحدر فلما جاوز بلد شري جاء اليه الجيران فلانا من ال بامخر من الخالكة يخرج الاخدام الذين يعملون في ساقية الجدفرة وقد سبق ذكرها فغضب شيدي لذلك وطلب رسولا ليأتي بجند وجاء على اثر ذلك ونحن نسير المقدم عمر محمد بقشان ولد علم بالامر فاقبل ليتدرك الغضبة فسمع الحبيب يطلب ان يؤتى بالرسول. فقال له: لا يا حبيب لقد جئت مرضيا لك فيا لله فلان وهذا بندقي مربوطة (وهم يطولون عدالة وكانت العرب تقول: رقبتي وتضرب ابليهم جانب التي رهنا عند كبري على الوفاء بان العرب لا يغدرون في الوفاء ووفى بذلك) ماعرض عنه ولد مرسه ولكن المقدم اسرع فاعترضنا وعرض بندقه امامنا مرددا لكلامه، ولع هذا مرات ورأى الحبيب صدقه واحتياله فقبل منه وطل بندقه لحمله بعض الحاشية وما رأيت من رئيس قوم احتمالا وبعد نظر مثل الذي رأيته من المقدم عمر محمد وما زلت اعرف له ذلك من يومئذ. ولقد رأيت بعد ذلك الرجل الذي حرج الاخدام يظل قائما على اهل العمل في الساقية كالحارس كان ذلك كانكم من جملة تأديبه. ولقد راود قبيلة ائته على ان يهدموا حصن العشاوق لا ينال الناس من اذاه واعطاهم على ذلك مبلغا من المال كبيرا فلما اخذوا المال نكثوا عن هدمه وحانت وفاته الاخير الذي مات فيه فلم يتأت له استرجاع الاسم مع ضيق الوقت ولكنه قال: انه سيهدم كما قال ذلك من قبل شيخه الحبيب احمد المحضار في قضية سبق ذكرها وحقق الله قولهما فتم هدمه على يد بعض السادة بعد وفاة المترجم قدس سره بسنة في شهر رمضان سنة ١٣١٧ وكان قبل سفره المشار اليه قد جمع اهل دوعن جميعا من سادة ومشائخ وقبائل وغيرهم وحثهم حثا شديدا على صلاح الوادي وتأسيس امر تجتمع فيه الكلمة ويلتئم الشمل وتحسم الفوضى وكان قد رأى انها ستؤدي بالوادي الى الخراب وبأهله الى الشتات فحكمته ال العمودي وقبائلهم في ذلك فاقام لهم الشيخ علي بن منصر العمودي واليا على الخريبة وقبلوا ذلك وتعهدوا برعايته والمحافظة عليه واقام حشدا حافلا لهم في محل يسمى بالريو تحت بلد الخريبة ووعظهم موعظة بليغة تهتز لها القلوب وتذوب الجلمود. وحض ذوي الشوكة من المشائخ والقبائل من الظلم والعسف وخوفهم من عواقب البغي وحذرهم ان ينتقم الله منهم باخراب المنازل. وكسر الشوكة وذهاب العزة وقال لهم: اني ارى ما لا ترون فقال بعض سفهائهم: ماذا يرى؟ انما يرى النساء امامه. ولكن كانت عاقبة امرهم خسرا.

فانهم اختلفوا وخرج بعضهم عن طاعة القائم وخالف هو بعض ما التزم به واتسعت شقة الخلاف والشقاق ورفع القائم شكواه الى السلطان غالب بن عوض القعيطي في حديث سيأتي ذكره فانتهى الحادث بخروج جيش الحكومة القعيطية واستيلائها على دوعن قرية بعد اخرى ثم اقام المقدم عمر بن احمد با ... كان من خبره ان سيدي مات بعد تمام ذلك المشروع الذي قرره كما ذكرنا لمخرج المقدم مع سيدي الحبيب محمد مودعا له ماسكا بركابه في عقبة الجبل وهو يحادثه ويأمره وينهاه فلما عاد قال سيدي لاصحابه: اني التبت الى هذا الرجل

(٢) نموذج لتصحيح مسودات الكتاب بقلم المؤلف رحمه الله

الشامل
في
تاريخ حضرموت ومخاليفها

'Alawi ibn Tahir al-Haddad.

al-Shamil fi tarikh Hadramawt wa-makhalifaha.

تأليف

الإمام الحجة العلامة المحقق الشهير والمؤرخ الثقة الكبير

علوي بن طاهر بن عبدالله بن طه الحداد

السيد الشريف العلوي الحسيني

المفتي الحالي لسلطنة جهور

ببلاد الملايو

عفى الله

عنه

٢٠

طبع بسنغافورا عام ١٣٥٩ هجرية — ١٩٤٠ ميلادية

بمطبعة احمد المعروف في سنغافورا بأحمد برس

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

صفحة غلاف الكتاب في طبعته الأولى

(٢٣٦)

الى الشيخ عثمان المذكور عن طريق مسند حضرموت الامام العارف بالله الحبيب عيدروس كما ذكره في سلاسل الاتصال بسنده الى الامام المتقن السيد الشريف محمد بن ابي بكر الشلي صاحب المشرع والجواهر والدرر وغيرها من المؤلفات النافعة بحق اخذه عن السيد الامام عقيل بن عمر بن عبدالله الشهير بعمران باخذه عن الشيخين الجليلين الامامين العلامتين زين العابدين وشيخ ابن عبدالله بن شيخ العيدروس باخذهما عن الشيخ الامام محمد بن عبدالرحمن سراج الدين باجمال وله اجازة اجازها السيد الشريف زين العابدين المذكور ذكر فيها الشيخ عثمان صاحب الترجمة نثرا ونظما فنقتطف منها ما يأتي ليكون تكملة لترجمته قال:

وبعد فان العلم بحر زخار لا يدرك له قرار، وطود شامخ لا يسلك الى قلته ولا يبار، وهو مفتاح خزائن العوارف ومصباح ارواح المعارف. لوامع المطالب فيه مجملة، والسام المقاصد فيه مفصلة. وهو العلم بالاحكام الشرعية، والعبادات القالبية والقلبية. وفائدته امتثال الاوامر واجتناب النواهي وغايته انتظام امر المعاش والمعاد. وقد ورد فيه من الاثار والاخبار. ما يحمل من له ادنى نظر الى كمال وفخار. على استفراغ الوسع في تحصيله مع الاخلاص فيه. لكن لا يوجد كماله. ولم يحط بجلاله وتجلي جماله. الا من حضرات الوارثين. وحي العارفين. لاسيما علماء اهل البيت الاطهر. وحائزوا سر بضعته الاكبر. المتوجهون منه بما تقصر الالسنة عن بلوغ مداه، وتعجز العقول عن ادراك غايته وعلاه. واذ هم العلماء ثقوم الرواسخ. وغيابتهم الطامع. اذ قرنهم الحق بالكتاب الاكبر. وجعل في التمسك بهم والقيام بـ [illegible] انتظام شمل الدين ولا فخر. وكان دوحة تلك الشجرة الطيبة وتاج الطائفة العلوية. ورأس العصابة الحميدة ومن فاق اقرانه علما وزهدا. وحالا ومقاما ورشدا واخلاقا حكمية. اخلاقه اخلاق ابائه الكرام [illegible] السيد السند الولد المولى زين العابدين علي بن الشيخ القطب الجامع ركن الدين. وغياث الملهوفين [illegible] بن عبدالله بن شيخ بن الشيخ عبدالله العيدروس قدس الله روحه وارواح بنيه. وابائه وذويه. فشرف الله [illegible] الطرفي والفرناظري. بقراءته علي جميع كتاب الارشاد للامام شرف الدين اسمعيل بن ابي بكر المقري رحمه الله تعالى واكثر شرح النووي نفع الله به وبعض منظومتي التي سميتها هداية العباد بنظم الارشاد وشرح منظومتي في النكاح مع البحث والتحقيق بمراجعة الكتب المفيدة وطلب مني الاجازة في ذلك. وفي سائر مقرواتي واجازاتي مما تجوز لي روايته فاجزته في جميع ذلك. لعلمي باهليته لما هنالك. بشرطه المعتبر عند اهله. بحق روايتي له عن الشيخ العلامة الولي العارف باجماع علماء زمنه شيخي والدي رحمه الله ونفع به وعن شيخنا الفقيه الحبر المحقق علي بن علي بايزيد رحمه الله وهما اخذا عن جماعة من العلماء المعتبرين من اجلهم الشيخ الصالح عمدة حضرموت عثمان بن عبد [illegible] العمودي عن شيخ مشائخ حضرموت الفقيه عبدالله بلحاج بافضل عن عمر الفتى عن الشيخ المصنف اسماعيل المقري رحمهم الله ونفع بهم. فعددت ذلك من اعظم نعم الله تعالى علي اذ ساقني لاقراء هذا السند واكون على بال. فباحظى بعين اقباله. ادام الله تعالى علينا خوارق محبتهم. التي بسببها ان شاء الله تعالى ينظمني في سلكهم. ويحشرني في زمرتهم — الى ان قال — وكل ما حصل لي ان كان شيء من علم وعمل انما هو في بركاتهم. وامدادهم ولحظاتهم ثم قال في القصيدة التي انشأها عند ختم الكتاب المتقدم ذكره في عاشر رمضان المعظم سنة ١٠٠٦ بعد ان اثنى على السيد زين بنحو ما تقدم قال:

وقد اجزتك في كل العلوم وما * قرأت عندي تحصيلا وما يتلا

جميع الارشاد للمقري واكثر شرح النواوي ومنظومي الذي فصلا

كما قرأت على شيخي الفقيه روا[illegible] * لدى الفقيه الامام العارف البطلا

وشيخنا ابن يزيد [illegible] * عن العمودي عثمان الولي البدلا

صورة من وسط الكتاب بعد تمام التصحيح والطباعة

منهج العمل في خدمة هذا الكتاب

١ـ قمتُ بصفِّ الكتاب معتمداً على الطبعة الأولى الموصُوفة سابقاً.

٢ـ قمتُ بالتصحيح ووضع علامات الترقيم المناسبة في مواضعها.

٣ـ قمتُ بضبطِ الكلمات الغريبة، والألفاظ والمصطلحات المحلية.

٤ـ وضعتُ عناوين جانبية ميزتُها بوضعها بين قوسين [..].

٥ـ أبقيت العناوين التي وضعَها المؤلف سواء الرئيسية أو الجانبية (الفرعية) كما كانت عليه في الطبعة الأم، مع التميز بقدر الإمكان بين العنوان الجانبي والرئيس.

٦ـ قدمت للكتاب، وترجمت للمؤلف ترجمة وافية إن شاء الله.

٧ـ عقدت فصولاً واسعة في المقدمة أشرت فيها إلى أهم مزايا الكتاب.

٨ـ تحدثت عن المؤلف مؤرخاً ونقلت كلام معاصريه فيه.

٩ـ أشبعت القول في وصف مصادر المؤلف، وجمعتُ كلامَه في وصفها أو وصف مؤلفيها، وعرفت بطبعاتها (للمطبوع) أو مواضع حفظها (للمخطوط).

١٠ـ عزوت الآيات القرآنية الكريمة إلى سورها.

١١ـ عزوت الأحاديث النبوية الشريفة إلى مصادرها. وذلك بتوثيق المراجع بين معكوفين، هكذا: [٢/ ٤٥] عقب ذكر المصدر مباشرةً ولم أضعها في الهوامش حتى لا أثقل الكتاب بكثرتها.

١٢ـ وفعلت الأمر نفسه مع بقية مصادر المؤلف، بوضع رقم الجزء والصفحة بين معكوفين عقب ذكر المصدر مباشرة.

١٣ـ بعض المصادر رجعت الى ما ينوب عنها ويقوم مقامها، كالشجرة العلوية الكبرى، فإني رجعت الى كتاب «الفرائد الجوهرية مجموع تراجم رجال الشجرة العلوية»، للعلامة السيد عمر بن علوي الكاف (ت ١٤١٢هـ) رحمه الله، فقد جمع تلك التراجم ورتبها فأغنى عن الرجوع للمشجرات الكبيرة. ومثله كتاب «أزهار العروش في أخبار الحبوش» للسيوطي، ينوب عنه «رفع شان الحبشان» له أيضاً.

١٤ـ وكذلك بعض المصادر المخطوطة التي رجع إليها المؤلف، ككتاب «بهجة الفؤاد» للعلامة محمد بن زين بن سميط، يوجد له كتاب مماثل مطبوع بعنوان «بهجة الزمان»، اشتمل على ما في المخطوط وزاد عليه، فتم العزو للكتابين ما أمكن.

١٥ـ عرفت بالمصادر والمراجع في موضعها آخر الكتاب. وإذا كان للكتاب طبعتان فأكثر، وتم الاعتماد على أكثر من طبعة واحدة، بينت ذلك في موضعه.

١٦ـ وضعت فهارس متنوعة خادمة للباحثين والقراء ملحقة في آخر الكتاب.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

جدة في الرابع من شهر شعبان
سنة ١٤٣٤هـ
الموافق ١٥ يونيو ٢٠١٣م

كتبه:
محمد أبو بكر باذيب

ترجمةٌ موجزةٌ

لشَقيق المؤلفِ، العلامَة السيِّد الشّريف

عبد الله بن طاهر الحداد

(١٢٩٦-١٣٦٧هـ)

تنويه

[وبعد؛ فقد أشار علي بعمل هذه الترجمة، وإدراجها في «الشامل»، الأخ الفاضل عطاس ابن محمد بن سالم بن حفيظ. كما قدّم لي ابنه سالم عطاس، كلّ عونٍ ومساعدة، جزاهما الله خير الجزاء، والله يجمعنا وإياهم على البر والتقوى، ومن العمل ما يرضى (جعفر الحداد)].

ترجمة موجزة للوالد العلامة السيد الشريف عبد الله بن طاهر الحداد العلوي الحسيني[1]

بقلم ابنه/ جعفر عبد الله الحداد

نسبه: العلامة السيد الشريف عبد الله بن طاهر بن عبد الله المشهور بالهدار (لكثرة لهجِه بالأذكار) ابن طه بن عبد الله بن طه بن عمر بن علوي بن محمد بن أحمد بن عبد الله ابن محمد الحداد بن علوي بن أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمن بن علوي بن محمد صاحب مرباط بن علي خالع قسم بن علوي بن محمد بن علوي بن عبيد الله بن المهاجر إلى الله أحمد بن عيسى بن محمد النقيب بن علي العريضي ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ.

وقد نظمَ، رحمه الله، نسبَه، فقال:

الحمدُلله على الفضلِ العميمْ	حمداً به يلحَقُ بالحمد القديمْ
أسأله إذ منّ عليّ الانتسابْ	إلى الحبيبِ المصطفى عالي الجنابْ

---

(١) تنبيه: لقد أوردنا هذه الترجمة للسيد العلامة عبد الله بن طاهر الحداد، الأخ الشقيق لمؤلف الكتاب، رحمهما الله. حيث كانا متعاونين على نشر العلم، وأعمال البر والخير. وقد ذكر المؤلف أخاه عبد الله في مواضع متعددة، وخصوصاً عن ذكر المأثرة العظيمة، وهي عمارة رباط العلم بقيدون (ينظر: ص ٢٣). ثم عند جلب ماء غيل بويردة (ينظر: ص ٧٤٠). فقد كان العلامة السيد عبد الله هو صاحب الفكرة والعزم، والقيام بذلك العمل بنفسه، وبلسانه، وهمته، وتعب عليه. نرجو من الله العلي القدير أن يغفر للأخوين الكريمين، ومن عاونهما، ومن كتب هذا، وذريته وإخوانه، وأصولهم وفروعهم، إنه سميع الدعاء. (جعفر بن عبد الله الحداد).

بأن يصَلي ويسلم كل حينْ   عليه مع أصحابه والتابعينْ
وأن يحقّق انتسابي باطناً   ويتوفّاني عليه مؤمنَا
وبعد فالمقصود يا ضنيني   في هذه الأبيات بالتبيين
نسبةُ راجي الفضل والإمدادِ   من ربّه البر اللطيفِ الهادي
عبد الله العبْد الفقير المقْترفْ   ومَن بسُوء ما جنَاه معترفْ
ابنٌ لطاهرِ ابنِ عبد الله بِنْ   طه بن عبد الله بن طه الفطِنْ
ابن عُمَر الإمام ذي الإسعادِ   أخي العفيف القطب ذي الإرشادِ
ابن علَويّ الغوث أستاذ الملأ   ابن محمّد أحمد تَلا
عبد الله ابن محمد الجوادِ   بن علوي بن أحمد الحدادِ
ابن أبي بكر طويل الباعِ   بن أحمدَ بن محمّد المطاعِ
ابن لعبد الله سيدنا النبيه   بن أحمد الحبر الملقب الفقيه
ابن عبد الرحمن بن علوي الأعظمِ   عم الفقيه المجتبى المقدّمِ
ابن محمّد الإمام الجامعِ   ابن علي المشتهر بالخالعِ
ابن علوي بن الجمال ذي البهّاء   بن علوي للعلويّة منتهى
ابن عبيد الله ذي المفاخر   بن أحمد إمامنا المهاجر
ابن لعيسى بن محمد النقيب   ابن علي العريضي المنيب
ابن جعفر بحر العلوم الزاخر   ابن محمد الإمام الباقر
ابن الفتى علي زين العابدين   ابن الحسين المحسن السبط الحسين
ابن أمير المؤمنين المرتضى   من لقلوب أهل النفاق أرضا
وابن سيدة نساء العالمينْ   بنت الحبيب الصادق الهادي الأمينْ
أولاء آباءي فجئني يا فتَى   من ما أتى فيمَن سواه هل أتى

صلى عليـهم ربـنـا وسـلمـا ... مـا دارت الأفلاك في أفق السما

بحقـهـم يـا رب ألحـقـنـا بـهـم ... فضـلاً وأنظِمنا بهم في سـلكهم

ولد في ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٢٩٦هـ ببلد قيدون، بوادي دوعن، وبها بدأ تعليمه وأخذ عن مشايخ في حضرموت والحرمين وجاوة والهند.

خرَج الى حوطة أحمد بن زين، فقرأ بها القرآن على الشيخ عمر بن محمد بن غانم، وحضر دروس خال والده العلامة السيد الشريف عبد الله بن محمد الحبشي.

ثم رجع الى قيدون وأخذ بها على مشايخه: العلامة الحبيب طاهر بن عمر الحداد، وابنه السيد الشريف العلامة محمد بن طاهر بن عمر الحداد، وعمه العلامة السيد صالح ابن عبد الله الحداد، وعن السيد أحمد بن حسن الحداد، والشيخ العلامة عبد الله المرحُم الخطيب، وعلى الشيخ الفقيه عمر بن عثمان باعثمان العمودي. وخاله العلامة عبد الرحمن ابن عيسى الحبشي.

وفي إندونيسيا: أخذ عن العلامة محمد بن أحمد المحضار، والعلامة السيد أحمد بن عبد الله العطاس، والسيد أبو بكر بن عمر بن يحيى، والعلامة محمد بن عيدروس الحبشي، والعلامة أحمد بن عبد الله بن طالب العطاس، والعلامة علي بن عبد الرحمن الحبشي.

هؤلاء بعض من شيوخه، وغيرهم كثيرون. سجلوا في مؤلفه قرة الناظر في مناقب شيخه محمد بن طاهر طبع منه جزأين ـ وكذلك سجلوا في ديوانه الذي سيطبع عن قريب.

وعندما سافر مع شيخه العلامة محمد بن طاهر الحداد، أخذ عن كثير من العلماء الأفاضل من السادة وغيرهم. كما أجازَه كثير من العلماء وكان يطلب من أجازه إجازة عامة له ولأولاده ولأخيه العلامة علوي وأولاده وأجازوا منهم وتلاميذه العلامة أحمد المشهور ابن طه بن علي وأولاده، كما كان أخوه علوي يطلب الإجازة له ولأخيه وأولادهم.

مؤلفاته:

١ـ قرة الناظر بمناقب شيخه العلامة محمد بن طاهر جزأين مطبوعه، وقد وفق الله الابن الكريم البار الدكتور محمد بن حسين بن حامد بن أحمد بن العلامة الجليل الإمام طاهر بن عمر الحداد، بالاهتمام والاعتناء بتراث أجداده جميعهم، فقد قام بطبع «قرة الناظر» في جزأين، وطلب منا القيام بطبع الديوان، وكان ذلك منه بدون طلبٍ أو رجاء من أحد، بل صلةً للرّحم، وبدافع المحبة والتقدير لكل أجداده، وإحياء تراثهم، وطلب الجزاء والثواب من الله، نرجو من الله أن يجعل ذلك في ميزان حسناته، ويوفقه لما يحب ويرضى، ويجعلنا وإياه جميعاً متعاونين على البر والتقوى، والعَمل بما يرضى، إنه سميع الدعاء.

٢ـ ديوان شعر، ذكره في تاريخ الشعراء الحضرميين، السقاف. وترجم له.

٣ـ حلية الطلاب بجواهر الآداب.

٤ـ رسالة في مناقب شيخه العلامة طاهر بن عمر الحداد.

٥ـ مجموع من كلام شيخه العلامة أحمد بن حسن العطاس.

٦ـ مجموع من كلام شيخه عبد الله بن محسن العطاس.

٧ـ وقرة عين في مناقب شيخه محمد بن عيدروس الحبشي.

٨ـ مختصر في مناقب عمر بن عبد الرحمن الحبشي، للشّيخ أحمد باشميل.

أولاده: له من الأولاد والإناث ٢٤ منهم اثنا عشر ولد واثنا عشر بنت. وكلهم انتقلوا الى رحمة الله وعلى قيد الحياة: مصطفى بن عبد الله، وأخوه جعفر، وهم النظار الحالين على رباط العلم الشريف بقيدون، وكَرِيف وعتم الشِّفِهْ بقيدون. وكذلك من الباقين: عبد الرحمن بن عبد الله الحداد بصنعاء، وبنتان شقيقتان لعبد الرحمن.

* * *

الذين ترجموا للوالد رحمه الله:

هنا نذكر من ترجم له من العلماء الأفاضل، تراجم موجزة، وأما الترجمة المستفيضة فسوف تكون في ديوانه الذي سيطبع قريباً، إن شاء الله.

(١) فمن كتاب «الدليل المشير إلى فلك أسانيد الاتصال بالحبيب البشير» للعلامة القاضي السيد أبي بكر بن أحمد الحبشي (ت ١٣٧٤هـ)

قال رحمه الله: «هو الإمام العلامة، والداعي إلى الله تعالى بحاله ومقاله، الحبيب عبد الله بن طاهر بن عبد الله المشهور الهدار ـ لكثرة لهجه بالأذكار ـ ابن طه بن عبد الله بن طه ابن عمر بن علوي بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد الحداد بن علوي بن أحمد ابن أبي بكر بن أحمد بن محمد بن عبد الله ين أحمد بن عبد الرحمن بن علوي بن محمد صاحب مرباط بن علي خالع قسم بن علوي بن محمد بن علوي بن عبيد الله بن المهاجر إلى الله أحمد بن عيسى إلى آخر النسب المشهور.

ولد شيخنا المترجم في قيدون في عشرين من جمادى الأولى سنة ١٢٩٦. وكانت وفاة شيخنا المترجم بمدينة قيدون في يوم الجمعة قبل تمام الساعة الثانية عشر بنحو ثلث ساعة الموافق الثالث والعشرين من جمادى الأولى سنة ١٣٦٧ سبع وستين وثلاثمئة وألف، تغمده الله برحمته ورضوانه وأسكنه فسيح جنانه آمين.

أخذي عنه:

اجتمعت بشيخنا المترجم بمكة المكرمة، وحضرت كثيراً من مجالسه الجليلة، وقد حدثني في يوم الجمعة سادس ذي الحجة الحرام سنة ١٣٦٢ اثنين وستين وثلاثمئة وألف بالحديث المسلسل بالأولية عن سيدي الجد الحبيب حسين بن محمد الحبشي بسنده كما في «عقد اليواقيت الجوهرية»، وغيره وهو أول حديث سمعه منه، وكان سماعه

المذكور بحضرموت، وأجازني في كل ما أجازه فيه مشايخه من قول وعمل ونية وتفسير وحديث وأوراد وتصوف وآلات وغير ذلك إجازة عامة، وكذلك أجاز أولادي بمثل ما أجازني، وألبسني الخرقة كما ألبسه إياها مشايخه، وصافحني وشابكني كما صافحه وشابكه مشايخه، وصافحني أيضاً خاصة كما صافحة الحبيب أحمد بن حسن العطاس عن النبي ﷺ.

وفي يوم السبت الحادي والعشرين من ذي الحجة الحرام من السنة المذكورة لقننا الذكر شيخنا المترجم وهو (لا إله إلا الله (ثلاثاً) محمد رسول ﷺ) قالها كذلك ثم قلناها مع التقابض وذلك بسنده مع مشايخه. وكذل حدثنا بالمسلسل بالمحبة بأسانيده عن مشايخه وقال: إني أحبكم فقولوا دبر كل صلاة: «اللهم أعنِّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك».

ومما أفادني به شيخنا المترجم في يوم الأحد الثاني والعشرين من الشهر المذكور أنه يمكن الرواية عن الشخص بأغلبية الظن، وذكر هنا أن للعلويين ميزة وهو شدة امتزاج بعضهم البعض حتى أن التلميذ يسير وهو لا يدري من شيخ فتحه إلى حين وصوله. اهـ.

وطلبت من شيخنا المترجم إجازة خطية فأعطاني إجازة خطية مشتركة بيني وبين العلماء الأفاضل الأجلاء شيخنا الحبيب محمد بن سالم الحبشي، والأخ السيد محمد أمين الكتبي، والأخ الشيخ محمد ياسين الفاداني المكي، وكتب شيخُنا المترجم اسمه في آخرها بخطه.

وهذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل القبول ثمرة الإقبال، وجعل الحصول على المأمول نتيجة الاتصال بكمال الرجال، الذين صفت لهم المشارب في حضرة الوصال، وبعدَ أن أشرقت لهم المناهج بنور الإتباع في

الأقوال والأفعال، لحبيبِ الرب المتعال، مظهر الجلال والجمال، سيدنا ومولانا محمد ﷺ الواسطة العظمى في كل نعيم وإفضال، صلى الله عليه وآله وصحبه خير صحب وآل.

وبعد؛

فقد حصل الاجتماعُ، المقرونُ إن شاء الله بالانتفاع، بالإخوان الكرام: السيد الخاشع المتواضع محمد بن سالم الحبشي، والسيد اللوذعي الأريب أبي بكر بن أحمد بن شيخنا الحسين بن محمد الحبشي، والسيد العلامة محمد أمين الكتبي، والشيخ الأديب الأريب محمد يس بن عيسى الفاداني المكي.

ودعاهم حسنُ ظنهم إلى طلب الإجازة مني، ظناً منهم أن ذلك من فني، وحيثُ أن حسن الظن عنوان الفوز بالمنن، كما قال بعض العارفين: ما خاب صاحب حسن ظن وإن أخطأ ظنه اليقين، وأجبتُهم إلى ما طلبوا مساعدةً لهم فيما فيه رغبوا. **فأقول:**

أجزتُ إخواني المذكورين، في كل ما تصح لي الإجازة فيه، من كل ما يقرب إلى الله، من قول وعمل ونية واعتقاد، ونفع وانتفاع وتعليم، ودعوة إلى الله السميع العليم، وفي قراءة القرآن الكريم والأذكار والأوراد والأدعية النبوية، والأحزاب والرواتب المروية عن صالحي البرية، وفي رواية علوم الكتاب والسنة تفسيراً وحديثاً وفقهاً وتصوفاً وآلاتها.

كما أجازني في ذلك مشايخي الأئمة الأعلام مصابيح الظلام ونجوم الإسلام، من أجلهم: الإمام محيي السنَن منوِّر الأغلاس، المعروف

بجلالة القدر بين الجنة والناس، الشارب من حميا المعروفة بأوسع كاس، شهاب الدين، وطود العلم واليقين، الحبيب العارف بالله أحمد ابن حسن بن عبد الله العطاس.

ومنهم: الشيخ الإمام نور الدين، وقبلة الموحدين، وساقي كؤوس العرفان على منصة التمكين، الحبيب العارف بالله علي بن محمد بن حسين الحبشي.

ومنهم: الشيخ الإمام مفتي الحرمين، ومجمع البحرين، وشيخ الفريقين، بدر الدين الحبيب العارف بالله الحسين بن محمد الحبشي.

ومنهم: الشيخ الإمام زين العابدين وبقية المجتهدين في العكوف على عبادة رب العالمين، في كل حين، الحبيب العارف بالله طاهر بن عمر الحداد.

ومنهم: ابنه الشيخ الإمام تاج الأكابر، وجامع المفاخر، بقية الكرام الأجواد، الحبيب العارف بالله محمد بن طاهر بن عمر الحداد.

ومنهم: أعمامي الكرام، بدور التمام، وأنموذج السلف الصالح في الإقدام والإحجام: الحبيب العارف بالله محمد، والحبيب العارف بالله الحسن، والحبيب العارف بالله صالح بني الجد إمام الأبرار الحبيب العارف بالله عبد الله بن طه المشهور بالهدار الحداد.

ومنهم: الشيخ الإمام معدن الأسرار، وبركة الإسلام والمسلمين، العارف بالله أبو بكر بن عمر بن عبد الله بن عمر (صاحب البقرة) ابن يحيى.

ومنهم: الشيخ الإمام مفتي الجهات الحضرمية، وزعيم السادة العلوية، وجيه الدين الحبيب العارف بالله عبد الرحمن بن محمد المشهور.

ومنهم: الشيخ الإمام عفيف الدين، ويتيمة عقد المتقين، الحبيب العارف بالله عبد الله بن علي بن حسن الحداد.

ومنهم: الشيخ الإمام محيي النفوس، الحبيب العارف بالله محمد بن عيدروس بن محمد الحبشي.

ومنهم: سيدنا العلامة النحرير، شيخ السادة العلوية بمكة المحمية، علوي بن أحمد السقاف. وغيرهم ممن يطول عدهم ويعسر حصرهم، من علويين وغيرهم من حضرميين ويمنيين ومغاربة وحجازيين.

وقد أجزتُ إخواني المذكورين وأولادَهم، بما أجازني به مشايخي إجازةً عامة، وأجزتهم بأوراد سيدي القطب الشيخِ قطب الدعوة والإرشادِ الحبيب عبد الله بن علوي الحداد، وراتبه وكتبه، إجازةً خاصة لا سيما كتاب «النصائح الدينية»، و«رسالة المعاونة».

ووصيتي لإخواني ونفسي بتقوى الله، التي لا يدخل عليه أحد إلا من بابها، ولا يفوز برضاه إلا من تمسك بأسبابها، وقد حوى الكتابان المشار إليهما حقيقة التقوى ولبابها، فعليكم أيها الإخوان بهما مطالعة ودرساً وفهماً وعلماً وعملاً، فالصيد كل الصيد في جوف الفرا.

وأما أسانيد أشياخي المذكورين فلا يتّسع الوقت لتحريرها، وكلهم يرجعون في الأخذ والإسناد إلى الشيخ القطب الجامع عفيف الدين عبد الله العيدروس بن عمر بن عيدروس الحبشي، وقد شرح أسانيدَ الطريق بأتمّ تحقيق في كتابه «عقد اليواقيت الجوهرية»، وهو أجمع كتاب ألف في أسانيد الطريقة العلوية، وقد تشرفتُ بزيارة هذا الإمام في صِغَري مرات، وأجازَني وألبسني بحمد الله، فأنا أروي عنه بغير واسطة.

وأسألُ الله أن يوفقني وإخواني المستجيزين لما يحبه ويرضاه، ويمدَّنا من عين العناية بتصحيح الدراية، لنرقى بفضل الله ورحمته إلى أعلى غاية، ولا يجعل حظَّنا مجرد الرواية، ويحقق لنا كمال الاتصال بأهل الكمال، ولا يخيب لنا الآمال إنه الكبير المتعال.

وأطلب من إخواني أن لا ينسوني من صالح دعاهم، كما إني إن شاء الله لا أنساهم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

كتبه خَجِلاً عَجِلاً أفقر العباد إلى رحمة الرب الجواد:

عبد الله بن طاهر بن عبد الله الهدار الحداد

في ١٧ ذي الحجة الحرام سنة ١٣٦٢ بمكة المكرمة».

انتهى المكتوبُ بخط شيخنا بيده من قوله: «كتبه خجلاً»، إلى «سنة ١٣٦٢»، رحمه الله تعالى آمين». انتهى من الدليل المشير.

(٢) ومن كتاب «إتحاف المستفيد فيمن أخذ عنهم وواخاهم السيد محمد بن حسن عيديد (ت ١٣٦١هـ)»

قال رحمه الله، وقد عده الشيخ الثلاثين (٣٠) من شيوخه: «اتصلت به، واجتمعت به مرارا في تريم، ودخل هو والحبيب حامد البار تريم شهر ربيع الأول سنة ١٣٥١هـ وحصلت لي بحمد الله معه مجالس متعددة، وأجازني وألبسني في ذلك المجلس الحبيبُ أحمدُ بن عبد الرحمن السقاف. وتردد إلى بيتنا، وزار الوالدة، وألبسني وأجازني ولقنني الذكر، وأنا كذلك. وكان الإلباس هذا مني ومنه، بالقُبع الذي فيه كوافي بعض مشايخي، وكان عالماً عاملاً، متواضعاً، باذلا نفسه لنفع الخاص والعام، نفع الله به، وأطال عمره، وكثَّر في المسلمين أمثاله». انتهى.

(٣) ومن كتاب «منحة الإله في الاتصال ببعض أولياء»
للعلامة السيد الشريف سالم بن حفيظ ابن الشيخ أبي بكر بن سالم

وقد عده الشيخ السادس والسبعين (٧٦) من شيوخه، وقال عنه: «اتصلت به وعرفته وجالسته وصاحبته في السفر، وانتفعت بصحبته، وفي ٩ ذي القعدة سنة ١٣٥٣ أجازني في الأذكار والأحزاب والأوراد وغير ذلك مما يقربني إلى الله تعالى كما أجازه مشايخه، ولقّمني بيده الكريمة وذلك بـ(تريم الغنّاء)، ثم طلب مني الإجازة والإلباس فأسعفته بذلك.

وفي أوائل ذي الحجة الحرام سنة ١٣٥٦ هـ حصل لي منه الإلباس والتلقيم والمصافحة والمشابكة، وذلك بـ(مكة المكرمة) في بيت الشيخ حسن بن سعيد بن محمد اليماني، وقرأتُ عليه مع مرافقتي له في المركب الهندي وهو عازم إلى الجهة الحضرمية نحوَ الربع من «سنن الترمذي».

وفي جمادى الأولى سنة ١٣٦١ هـ اجتمعتُ به رضي الله عنه بـ(المكلا)، وأجازني والحاضرين في قول: (اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وآله وصحبه وسلم)، ثم: (اللهم صل وسلم عليه)، خمس مئة (٥٠٠) مرة كل يوم، كما أجازه في ذلك الحبيب محمد بن عيدروس الحبشي، وأجازني أيضاً كما أجازه المذكور في هذه الصلاة بعد صلاتي المغرب والصبح. وأجازني أيضاً لكلِّ مهمٍّ في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ [النجم: ٥٨]، أربع مئة وأربعة وأربعين مرة (٤٤٤)، يبتدئ بالعدد الأول أربعاً، ثم الأربعين، ثم الأربع مئة، كما أجازه في ذلك: الشيخ أحمد بن عبد الله البكري الخطيب التريمي».

(٤) ومن كتاب «العقود الجاهزة في تراجم بعض الشخصيات البارزة» للعلامة السيد عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد (ت ١٤٢٧هـ)

قال رحمه الله: «الإمام العظيم، أحد أطواد الشريعة والحقيقة، والحائز لأسرار القوم الجليلة والدقيقة، أحد أراكين الرجال، من شهد بفضله الأعيان أهل الكمال، من هو ملتحف بجلباب الوقار والجلال، الداعي إلى سبيل الله بالحسنى، والمرتوي من شراب أهله بالكاس الأهنى. ولد ببلد قيدون سنة ١٢٩٦هـ وتوفي والده وهو صبي، فرباه الحبيب محمد بن طاهر الحداد، وذهب إلى حوطة الحبيب أحمد بن زين الحبشي خلع راشد وعمره عشر سنوات تقريباً، فدرس القرآن هناك وأخذ عمن أدركه بالحوطة وغيرها كالحبيب عبد الله ابن محمد الحبشي، والإمام الأبر عيدروس بن عمر.

ثم عاد إلى قيدون وواصل الدراسة وأخذ عمن بها كالحبيب طاهر بن عمر وغيره ثم رحل إلى حضرموت فأخذ عن رجال سيؤون وتريم كالحبيب شيخان بن محمد الحبشي والحبيب علي بن محمد الحبشي والحبيب علي بن حسن الحداد والشيخ أحمد بكري الخطيب وابنه أبي بكر. ثم سافر إلى الهند صحبة الحبيب محمد بن طاهر الحداد ودخل جاوى اندونيسيا، وأخذ عمن بها من الرجال على كثرتهم، ثم عاد إلى حضرموت ولازم الحبيب أحمد بن حسن العطاس وانطرح بكليته عليه، وصار من المقربين عنده ومن تلاميذه ومحبيه.

وبالجملة فله مشايخ كثيرون جداً، ثم سعى هو وأخوه علوي في بناية رباط قيدون وفي جلب الماء إليها من مسافة بعيدة، فتم ذلك على أيديهما نفع الله بهما.

[أخذه عن صاحب الترجمة]

أجازني إجازة عامة برباط تريم عندما زار تريماً في شهر القعدة سنة ١٣٦٥هـ وقد

حرصت كل الحرص على حضور مجالسه بتريم في زيارته هذه، وهي الزيارة الأخيرة له لتريم، وكتبت وقيدت بعض ما سمعته منه في بعض تلك المجالس.

فمما سمعته منه رضي الله عنه بتاريخ ٢٠ القعدة سنة ١٣٦٥هـ بمنزل العلامة الشيخ محمد بن عوض بافضل، بحضور رجال الوادي وأعيان النادي، الحبيب علوي بن عبد الله ابن شهاب، والحبيب سالم بن حفيظ، والحبيب حسين بن عبد الله الحبشي، والحبيب حامد ابن علوي البار، والحبيب أبو بكر بن محمد السري، والحبيب زين بن حسن بلفقيه، وذلك بعد أن أنشد المنشد بقصيدة الحبيب عبد الله بن علوي الحداد التي مطلعها:

لـجيـران لنـا بالأبطحيـة بعثت مع النسيمات التحية»

إلى أن قال: «وقال رضي الله عنه ليلة الجمعة ٢٣ القعدة سنة ١٣٦٥هـ بعد العشاءين بمسجد جامع تريم من أثناء مذاكرة بعد أن حذّر من الاستحسانات التي يستحسنوها أهل العصر، قال: «قال الوالد أحمد بن حسن العطاس أعاد الله علينا من بركاته: شو الاستحسانات التي تستحسنوها يا أولادي مثل الجنابة لكم شفوا المرأة إذا قدها حائضة هل زوجها يطردها من داره ويفارقها ؟ لا لكن يجتنبها مدة الحيض فقط حتى تطهر فإذا طهرت قاربها، وأهلكم وسلفكم ما دمتم مستحسنين هذه الأشياء سلفكم ما يقطعونكم، لا، ولكن يجانبونكم ويجفونكم حتى تتطهروا من حيضكم وجنابتكم فإذا تطهرتم قاربوكم وأمدوكم وأتحفوكم.

وقال رضي الله عنه: قال لي الوالد أحمد بن حسن العطاس وللأخ علوي: لما زاد عليكم الذكاء يا أولادي رجع بايغيركم، وشو كم لو وقعتم علماء مثل ابن حجر أو الخطيب الشربيني ما بأفرح منكم، وما بأفرح منكم إلا إذا وقعتم مثل أحد أسلافكم العلويين الحضرميين.

وقال رضي الله عنه: لو اهتممنا بالأخلاق كاهتمامنا بالأرزاق التي ضمن بها الخلاق لبلغنا مقاماً راق.

وليلة السبت ٢٤ القعدة سنة ١٣٦٥هـ عقدت جلسة برباط تريم بمناسبة قدوم سيدي عبد الله المذكور حضرها أعيان البلد وطلبة العلم كما حضرها السادة سالم بن حفيظ وحسين بن عبد الله الحبشي، وحامد بن علوي البار، فتكلم سيدي عبد الله بكلام رائق لكل ذائق، وفي ختام الجلسة طلب الحاضرون من سيدي عبد الله الإجازة فتكلم بكلام اعتذار.

ثم قال أخبرني أخي علوي بن طاهر حفظه الله قال: مرة جئنا إلى ثبي أنا والأخ حامد بن علوي البار ودخلنا عند الحبيب عبد الله بن علوي الحبشي، فطلبنا منه الإجازة، فلما طلبنا منه الإجازة انفعل الحبيب وغير هيئته، وقال: يهوين عليكم، راحوا عليكم الشيبان، وقدكم إلا جئتم إلى عبد الله الحبشي تطلبون الإجازة منه! سيبتوا شيبانكم، قال سيدي عبد الله بن طاهر: هذا عبد الله الحبشي، وأنتم إلا، تطلبون الإجازة من عبد الله ابن طاهر، وأيه عبد الله بن طاهر، وما يكون عند عبد الله الحبشي، وبكى سيدي وأبكى الحاضرين، ثم أجازهم إجازة عامة، كما أجازهم أيضاً السيدان سالم بن حفيظ، وحسين ابن عبد الله الحبشي، وقد استمرت الجلسة من الساعة العاشرة بعد العصر إلى الساعة الثانية بعد العشاء.

ولسيدي عبد الله بن طاهر المترجم له: مؤلف في ترجمة شيخه الحبيب محمد ابن طاهر الحداد يسمى «قرة الناظر» في مجلدين. كما له منظومة في الآداب والأخلاق، طبعت. توفي سيدي عبد الله بقيدون سنة ١٣٦٧هـ رحمه الله تعالى».

(٥) ومن كتاب «تاريخ الشعراء الحضرميين» للسيد عبد الله بن محمد السقاف

قال رحمه الله: «علامة عظيم ذو نسك ومن الأصفياء ذو التصوف والخشوع والعقيدة الطيبة ميلاده بمدينة قيدون سنة [(١)] ١٢٩٨ من الهجرة وبموطنه مواصلة الطفولة وتدرجها المفهوم إلى منتهاها المعلوم ولما انقشع غيم الصبا وظهر وجه التمييز مسفراً عن إمكان قبوله للعليم القرآني واللياقة لفهم آيات فمن حينئذ أخذت الصفة القرآنية مأخذها في معلوماته متطورة في اللوح إلى السور القصير ثم الكبيرة.

وهل من ريب في مستداره من المجال الختامي إلى المجالي العلمي بصفة طالب علم قضى مجموعة من السنين بمثابة حدث في ممتزج الطلبة الدائبين بقيدون قبل سواها وكيف لا تكون المحصولات باهرة في زمن وجيز والمستقى من بحور علمية زاخرة على أن الأطماع وغير الأطماع الذاتية والخارجية لها دوافعها في انتشار تلقياته وتوسيع مغروساته بأنواع المغروسات كالفقه والحديث والنحو والتصوف وهكذا من هناك وهنالك.

وإلى جانب نبوغه في علوم الشريعة وما يدخل في دوائرها قد كان للتصوف وشؤنه المكانة الأولى في مجرى حياته كصوفي عامل بعلمه وعندما يصوب المصوبون مناظر الاستكشاف في خصوص التطلع إلى شيوخه الذين لهم اليد الطولى في فيضانه علمياً وصوفياً يتراءون لهم مبثوثين في دوعن بجهتيه اليمنى واليسرى وعمد وشرقي حضرموت والحجاز وجاوة. وقد ذكروا تفصيلا في ديوانه الذي سيطبع قريباً.

ولئن كنا قد أبدينا منظورات خاطفات من ظواهره فقد تبقى مظهره بقيدون وكيف يخفى وهو متجرد للتعليم وبارز للتدريس ومتفرغ لنشر العلم والدين والتصوف بإذن مشايخه المعروضين وغيرهم في إجازاتهم ووصاياهم باللفظ وبالكتابة.

---

(١) الصواب: أن مولده سنة ١٢٩٦هـ.

ومن الذي لا يدري الرباط الذي قام ببنائه وعمارته بالعلم والدين متعاوناً مع أخيه العلامة السيد علوي بن طاهر وكانت فيه دروسه ومتدفقات علومه على تلاميذه من أهل الرباط وغيرهم من كل قاص ودان على اختلاف أعمارهم وجهاتهم وأمكنتهم في الهيئة الاجتماعية.

والحقيقة أنه عاش في حرمة ومحبة عند الناس أجمعين من كل قريب وبعيد متعلمهم ومتوسطهم وجاهلهم إلى الاعتقاد التام من مريديه وغيرهم وحيثما كان تجده معظماً ومكرماً لعلمه وتقواه واستقامته وجميل أخلاقه وهدوء طباعه وسكينته إلى قلة كلامه وكثرة صمته كصفة من صفات الأبرار عن معرفة شخصيته به في جاوة بهيئة العلوية وقامته المعتدلة وسحنته الحضرمية ولحيته الخفيفة المتصلة بأذنيه.

ومن أشعاره قصيدة مناجاة يا قريب من الفؤاد:

يا مجلّي القمَر بالنّور ... اجلِ قلبي من الكدَرْ

واقضِ لي كل حَاجتي ... بالنبي سيد البشرْ

يا قريباً من الفُؤادْ ... يا بعيداً عن النظرْ

يا سميعاً لمن دعا ... عن أسَرَّ وإن جهرْ

يا مجيباً إذا دعا ... عبده جاد بالوطرْ

يا غفُوراً إذا عصى ... عبدُه أو جنى غفرْ

يا حليماً إذا رأى ... العيب من عبده سترْ

يا جواداً بجوده ... يسره يدفع العَسرْ

وهذه أحد مراثيه في الحبيب الإمام طاهر بن عمر الحداد ونجله العارف بالله الحبيب محمد بن طاهر الحداد، نفعنا الله بعلومهم أجمعين وجعلنا بهم مقتدين، آمين.

قال رضي الله عنه:

جَور الزمانِ فكثرةُ الحدثان قَـد أوجبَـا لتحيُّـر الأذهـانِ
فبوقتنا أن تنظروا الذي حجى فانظـر لـكل مولـه حيـرانِ
وا حيرتي مما أرى من فرقة وتشـتت وتـهـدم الأركـانِ
وغروبُ أنجُم هذي دين اللـ ـه والعلم والإتقـان والعرفانِ
ولع المنـون بقصدهم فكأنه لذوي الهدي والعلم ذا شنآنِ[1]
لا بل أتى مصداق قول الصادق الـ مصدوق طه المصطفى العدناني
لا ينـزع العلم انتزاعاً بل بفقـ ـد ذويه يفقـد فاعتبر ببياني
أواه مما حلَّ اللهُم أنت الـمسـ ـتعـان علـى صـلاح الشـانِ

وقلت متأسيا بأولي الألباب معزياً للنفس والأصحاب بفقد ذلك الجناب وهي مرثاة في شيخه الحبيب الإمام طاهر بن عمر الحداد المتوفى في ١٥ محرم ١٣١٩هـ:

لقلبـي بين أضلاعـي وجيبُ من الأحزان فـي ليل يجوبُ
حـاط بـه من الأكـدار سُـورٌ وأظنته الحوادث والخطوبُ
حوادثُ تورِث المسرُور كرباً وطفـل لـو تعلقهـا يشـيبُ
بـه نزل الذي قد كَان يخشـى وحالفَـه الكآبـة والنحيـبُ
إذا ذكـر الـربوع وسـاكنيها يهيـجُ من الجـوى فيه لهيبُ
قليـبـي هـذه دارُ الـفَنـا مـا لسـاكنِها صفَـا عيـشٍ يطيبُ
ومهمـا طابَ لا يبقـى فلا تَر كنَـنَّ إلـى سـرُور لا يـدوبُ

---

(١) ذا شنآن بفتح الشين أي: البغض.

وقال رضي الله عنه في يوم السبت ذي الحجة ١٣٣١هـ يرثي بها الحبيب العلامة المكين حسين بن محمد البار رحمه الله:

عظم الخطبُ واحترقْن القلوبُ وادلهمّت على القلوبِ الكروبُ
يـا لقلبـي ممـا عـرَى ولـو انْ قد كان جـارٍ بـه القضَـا المكتـوبُ
جـاءَ مـا لـم نحِـط بـه وهـو أمرٌ قـد نـراه البـعيـدَ وهـو القريـبُ
قـد رمانَـا الدهر الخؤون بسَـهمٍ هـو سـهـمٌ بـه رُميـنَـا مصيـبُ
حـادثٌ مـدهـشٌ وخطـبٌ مِلـمٌ حسـبـنا الله وهـو نعم الحسـيبُ
وإلـيـه اللـجَـاء وهـو المرجّـى وهـو نعـم الوكيـل نعـم الرقيبُ
وهــو بـاقٍ ومـن سِــواه فقَـانٍ وهــو ربٌّ وغـيـره مـربـوبُ

ومن مطولة في رثاءِ شيخه العلامة السيد علي بن محمد بن حسين الحبشي المتوفى بسيؤون في ٢٠ ربيع الثاني سنة ١٣٣٣ مطلعها:

يا لَقلبي قد صدَّعته الهمومُ دهمتـه مـن الهمـوم غُيـومُ
وعـراه وَجـدٌ وكـربٌ وغـم ونحيـب يعلـو وحـزن مقيمُ
قد رمَاه من الخطوب وأضْما ه وأشجاهُ سَـهْمها المسمومُ
شانُ ذي الدار حالها غير خاف ليس يصْفو، وإن صَفا لا يدومُ
ليـس فيهـا إلـى بقـاءٍ سبيلٌ هـي تفنـى ومـن بها معـدومُ
فجعتنا صروفها بالذي نخشـ اه منهـا خطب مهول جسيمُ
آه لـو كــان آه يـرفـع حـزنـا أو بـه يدفـع القضـا المحتومُ

وله يرثي شيخَه العلامة السيد أحمد بن حسن بن عبد الله العطاس المتوفى بحريضة في ٦ رجب سنة ١٣٣٤:

هي الدنيا حقيقتها أماني ... وعزتها تؤول إلى هَوانِ

وكل مسرة كطياف نوم ... وكربتها تجدد كل آنِ

ومن ضحكت له يوماً ستبدي ... بغلظتها له بعد الحنانِ

فلا تركن إذا ابتسمت إليها ... وكن معها على حرب عوانِ

وكن متزيناً بتقى وكن ضـ ... ـدها فهي العدوة للزّيان

ولا يغررك رونقها فترمي ... بحمقٍ إذ تشبه بالسّواني

وكن متزوداً منها لدار ... ها الرضوان مع حور حسانِ

(٦) ومن كتاب «نور الأبصار في مناقب الحبيب عبد الله الهدار» لأخيه العلامة علوي بن طاهر الحداد، وذيله

«العلامة الواصل العارف بالله ورسوله المسند الفقيه الصوفي الشاعر الناثر الواعظ الناصح والساعي في منافع الخلف والمصالح والمقيم هو وأخوه العلامة علوي رباط العلم الشريف بقيدون لنشر العلم وإحياء معالم الشريعة ونفع من في وادي دوعن وغيره. كان رحمه الله أواهاً منيباً مستجاب الدعوة يفزع إلى الله تعالى في النوائب وعند حدوث الحوادث ويلجأ إلى الصلاة والتضرع كما كان جده محمد عليه الصلاة والسلام، وكان كريم النفس شجاعاً متحلياً بالرحمة للمساكين والشفقة على المسلمين.

مرثاة في صاحب الترجمة:

رثاه صديقُ عمره، ورفيقُه في الطلب، الحبيبُ علويُّ بن محمد بن طاهر الحداد، دفين بوقور (ت ١٣٧٣هـ)، رحمه الله، بقوله:

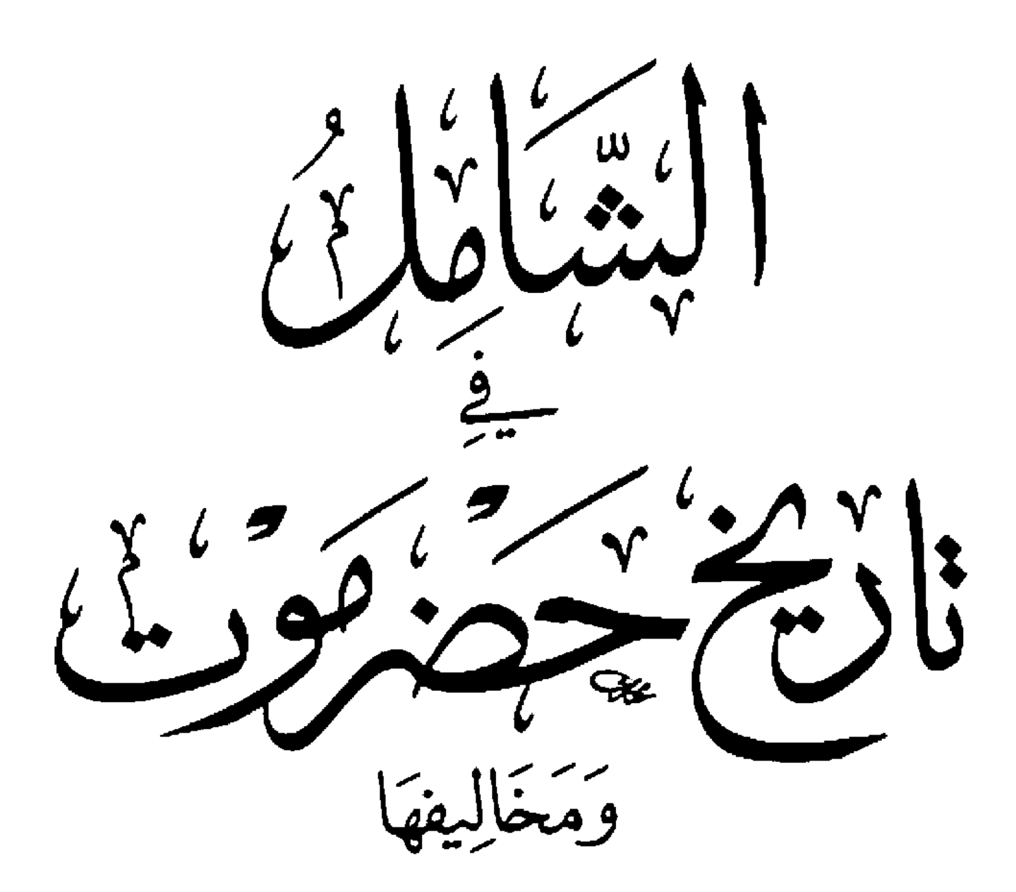
فلولا كثرةُ البَاكين حَولي ... على أمواتهم لملمتُ نفسي

وما يكونُ مثلَ أخي ولكِنْ ... أعَزّي بالنفْس معهم بالتأسي

فـوا أسـفاً علـى حبـرٍ عليـم ... وشيخٍ بالتقى والعلم مكْسي
ووا أسفاً على إنسانِ عينِ الـ ... ـزَّمـان ونُـورِه من غيـر لبْسِ
على السَّاعي لنفع الناس طرًّا ... دواماً بالصباح وحين يُمْسي
على مجلَى الكمال بكُل معنًى ... وشمْسٍ في المعارف أيِّ شمْسِ
على القوام في ظلم الدياجي ... يناجـي ربـه فـي حـال أنـسِ
يذكِّرنـا الإلـهَ إذا رأتْـه الـ ... ـعُيون وإن تكلّم رُوحَ قُدسِ
كريـمٌ لا يجـارى فـي نَـداه ... مكارمُـه لـكلّ جـواد كيـسِ
فكـم عَانى وسـامحَ مبغضِيه ... وعامـلَ بالجميل وبالتَّأسِّـي
مضَى في الخير منه العُمْر والنشْـ ... ـر للعلم الشـريفِ بكُلّ درْسِ
تقـيُّ القلبِ من غِـشٍّ وحقْدٍ ... ومن غِلٍّ ومن حسَدٍ ورجْسِ
بنَى في البلد من قصْر مشـيدٍ ... فكان غراسُـه من خَير غرسِ
ربـاطُ العلْـم يشـهدُ بالمزايا ... ومـاءُ الغيل أحيَـى كل نفْسِ
يذكِّرنـا بأسـلافٍ مضَـوا في ... سـبيل الحـقِّ قسًّـا بعْـد قسِّ
يشـعُّ النّـور منـه علـى محيًا ... أشـعتُه تضي مـن غَير طمسِ
عفيفَ الدين لا تنسَى أخاكم ... فأنتَ لديه صدقاً غيرُ منسـي
بكيتُ عليكَ حتى جفَّ دمْعي ... وكدتُ لما أجِده أصَلي نفسي
سـلامُ الله يتـرى كلَّ حيـنٍ ... عـلى حـبر أقـامَ بخير رمْسِ

هذا؛ وقد أخذ عن المترجم وتخرج به عدد ممن حمل راية العلم والدعوة، وتصدر للتدريس والفتوى، لا يتسع المجال لذكر أسمائهم؛ ومن أجلهم وأبرزهم السيد العلامة الداعية أحمد مشهور بن طه، والسيد العلامة القاضي عبد الله بن محفوظ، آل الحداد. وبقية التفاصيل ستكون في كتاب آخر نتوسع فيه في ذكر أخباره وسيرته رحمه الله تعالى.

* * *



تأليف

الإمام الحجة العلامة المحقق الشهير والمؤرخ الثقة الكبير

السيد الشريف علوي بن طاهر بن عبد الله بن طه الحداد

العلوي الحسيني مفتي سلطنة جهور الملايو

١٣٠١ - ١٣٨٢ هـ

رحمه الله تعالى

اعتنى به وفهرسه وقدم له

الدكتور

محمد أبو بكر باذيب



دار الفتح
للدراسات والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

[ديباجة الكتاب]

الحمد لله الولي الحميد، الرقيب الشهيد، الذي دبّر العالم كما يريد، وصرّف شؤونه بعلمٍ محيط وبطش شديد، ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ﴾[هود: ١٠٠]، فهو عز وجل يبدئ الأممَ ويعيد، ويملأ الأقطارَ بأهلها ثم يبيد، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٩]، ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾[الحج: ٤٥].

فسبحانه هو الملك الكبير المتعال، قدّر آجالَ الأشخاصِ والأممِ والأجيال، وأنزل بالظالمين بأسَه جزاءً على ما اقترفوا من سيءِ الأعمال، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾[الرعد: ١١]، تلا لسانُ قهره على الأكاسرة والتبابعة والأقيال، تأنيبا على مخالفة أمرِهِ، وترغيماً لهم بتذكيرهم ما كانوا فيه من الضلال، ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾[إبراهيم: ٤٤].

وأشهد أن لا إله إلا الله، شهادةً تملأ قلبَ صاحبها هدى ونوراً، وتكون له في آخرته سبب فوزٍ وثيقاً، وعهدَ فلاحٍ منشوراً، وفي دنياه حبلَ سلامة مما تأذن الله به في الأمم وكان قدراً مقدوراً، ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾ [الإسراء: ٥٨]. وأشهد أن محمداً

عبدُه ورسوله، الذي ابتعثه رحمة للعالمين طرًّا، وأنزل عليه الكتاب تفصيلاً لكل شيء، وموعظةً وبرهاناً ونهياً وأمراً، وقصَّ عليه فيه أحسنَ القصص عبرةً لأولي الألباب ونذراً، ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ۝ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴾ [طه: ٩٩-١٠٠].

اللهُمَّ صل عليه صلاة كاملةً، وسلم سلاماً تاماً، بما نشرتَ به من الهدى والنور، ومحوتَ به من الجهل والكفر والظلم والشرور، ورفعتَ به من قطرٍ مجهول وشعبٍ خامل مغمور، ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦]، وعلى آله الذين جعلتهم للمحبينَ ملاذاً وجُنةً ودليلاً، وفتنةً ومحنة للأشقياءِ والضالين سبيلا، وصحبه والتابعين لهم بإحسانٍ تخصيصاً منك وتفضيلاً، ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

[سبب التأليف]

أما بعد؛ فإنه مما كان يخطر ببالي، وتتعلق به أمانيَّ وآمالي، أن يكون لحضرموت ومخاليفها تاريخاً شاملًا يجمع ما أسأرته[1] يد الإهمال، مشيراً إلى ما تداوله من الدول وحالَ به من الأحوال، وما بادت به من الأمم وانجالت عنه من الأجيال، ومنبئاً بمن نقل إليه من النواقل وتمّ فيه من الاستبدال، و وطالما منّتني نفسي أن أكون أنا القائمُ بهذا المهم المهمَل، ويصرفني عن ذلك علمي بثقلِ ما أتجشّمه من ذلك وأتحمل؛ فإن الموضوعَ مهامِهُ لم تُدمِنها الخطَى، ومشارعُ بمعاميَ لا تهتدي إليه القطا، لا سيما وعلمُ لتاريخ من علوم النقلِ، يرجع فيه إلى الرواية لا الرويّة، وليس بعلمِ نظرٍ أو تجربة

(١) أي: أبقته، ومنه: السؤر، بقية المطعوم والمشروب.

يؤخذُ فيه بمدركِ النظرِ ونتيجة القضية، وكنتُ إذا ظفرتُ بشواردَ قيدتها، وسوانح أسرعتُ اليها فاقتنصتها، حتى اجتمع من ذلك ما إذا أُلِّفَ صلُحَ أن يُطلقَ / عليه [٢/١] اسمُ التاريخِ على نقصٍ وانقطاعٍ، وخفاءِ أمور لا يكتفى فيها بدُون الرواية والسماع، وتأنيتُ بإبرازه الفرصَ لتسنح، والأيامَ لتسعد وتمنح.

وسمحتُ مع ذلك لمجلةِ «الرابطة العلوية»، وغيرها، بنشر نتفٍ منه إثارةً للهمم، وتنبيهاً للقيام بهذا الواجبِ الأهمّ، فاختطفَها بعضُ مسترقي السمعِ من الأغبياء الجاهلين، فمزَجها بأكاذيبَ روَّجها لا تقدر على مثلها الشياطين، مع خبطٍ لا يدانيه خبطُ معتسِفِ الظلماءِ، وخلْطٍ لا يشبهه خلطُ أعتهٍ أعمى. وشابَ ذلك بأقاصيصَ اخترعها، ودعاوي كاذبةٍ هو زوّقها وابتدعها ، وأخبارٍ مفتراةٍ قد افتجَرها ووضعَها، ثم قال لأشباهه من العوامّ: هذا تاريخُ حضرموت! فقبِل ذلك منه طوائفُ من الصمّ والبكم، وصدّقه في قوله من لاعقلَ عنده ولاعلم.

فكانَ ذلك مما حملني على البدار بإبرازِ ما اجتمع لديَّ، مع إلحاح كثيرٍ من الأعزة عليّ، مكتفياً ببعض ما اجتمعَ، لئلا يطولَ الكتاب، مقتصراً منه على ما فيه عبرةٌ لأولي الألباب، على أنّ في التاريخ الحضرمي فصُولاً، لا يزال أمرُها مجهولاً، وخفايَا لم نجدْ في كشفِها سبيلاً.

فنسأل الله أن يعيننا على العمل، ويوفقنا للعدل في القول، والإنصاف في الحكم، والصواب في الترجيح، والمحافظة على الحقوق، والصدق في النقل، والأمانة في التبليغ، ويكفينا شرَّ حميةِ الجاهلية، والتلبس بالنعرة النسبية، والعصبية القبلية، حتى نتحقّق بالأخوة الاسلامية، ونتمسك بالشريعة المحمدية، وأن يعيذَنا من العصبية ضدّ الإسلام، والتكبر على الحقّ، وغمْطِ نعمة الهداية والدين، والقول بغير علم ولاهدًى ولا كتاب منير، وأن يكون وليَّنا فيما عزَمْنا عليه، وهادينا إلى ما قصدْنا إليه، وأن يتعطفَ علينا بالعفو والمغفرة إذا وقفنا بين يدَيه، آمينَ يارب العالمين.

مضمونُ الكتاب:

يتضمن كتابنا هذا: ماورد من الآيات والأحاديث في حضرموت وقبائلها * ما ورد في خروج النار العظيمة منها آخر الزمان * البحث عن اسم حضرموت القديم (عبدل) * ماقيل في تحليل اسمها * ما قاله بعض المؤرخين عنها * تقديم الاعتذار عن الإطالة في ذكر حدودها والسبب في ذلك * موقع حضرموت وحدودها * فصلٌ جغرافي عن جزيرة العرب * حدود اليمن * وصفُ ما تيسر من وديان حضرموت وبلدانها وسدودها * ما تغير من مجاري مياهها * ما جرفته السيول من أطيانها * القول في الصحاري الرملية الكبيرة: كالبحر السافي، والربع الخالي، ووبار، وصَيهد * منازل عاد ونتف من أخبارهم * الفرقُ بين عادِ الأولى والثانية * عادٌ القحطانية * حضرموت البائدة * نسبها * لغتها * ملوكها الذين ذكرهم مؤرخو العرب * ظهور صدقِ ما قالوه * حضرموت الثانية * نسبها * لغتها * تطور لغات العرب * لغة عاد * لغة حمير * لغة مهرة * مهرة من قضاعة * الاختلاف في نسب قضاعة وأنهم من عدنان * أصنامُ حضرموت ونحلهم الباطلة * الآثار القديمة * الكتاباتٌ * الكنوز * المعادن * الطرقُ والممالك * نواقلُ العرب من الحجاز واليمن والعراق ونجدٍ إليها في الجاهلية * ومن نقلَ منها إلى نجدٍ ومكة وغيرها قبل الإسلام * ومن نقل منها إلى العراق والشام ومصر وإفريقية وخراسان أيام الفتوح * حروبُ حضرموت وكندة * ماقيل عن حروب كندة وسبأ * حروبُ حضرموت ومذحج * وصفُ مخلاف مهرة * ماتيسر من أخبارها * مخلاف مذْحِج وما دنا إليه * ذكر الصحابة منهم والوفود على رسول الله ﷺ من مهرة وحضرموت والصدف وكندة ومذحج ونهد * قضاة الأمصار الحضارم * بطون حضرموت * بطون تجِيب * بطون السَّكُون * بطون سائر كندة * بطون مهرة * ملوك كندة في حضرموت، وظفار، والشحر، ونجد، وهجَر، والجوف الشامي (دومة الجندل) * ذكر أنساب

[٣/أ] حمير حضرموت / ومنازلهم * القول في الصَّدِف ونسبهم ومنازلهم * منازل تُجِيب والسَّكُون من كندة وبني معاوية * أخبارُ ردّة من ارتدّ منهم وتبعَ الدجالَ الأسودَ العنسيَّ * الرّدةُ الثانية بعد وفاة رسول الله ﷺ * من نهى عن الردة وثبتَ على الإسلام * إرسالُ أمير المؤمنين أبو بكر الصديق رضي الله عنه الجنود الإسلاميةَ لقتالهم * ما عُلم من أمراءِ الخلفاء الراشدين ومن بعدهم على حضرموت * أخبارُ الخوارج بها وحرُوبهم * عقوبةُ الله لهم * حربُ معنِ بن زائدة لهم * من رأسَ من الحضارم بالعراق ومصر وإفريقيةَ * شؤمُ نحلة الخوارج عليهم في مصر وإفريقيةَ وحضرموت * غزوُ جيوش الأمة الإسلامية لهم بسببها * ما مُنيتْ به حضرموت من خرابِ القرى وقطع النخيل وسد العيون * ما أصابهم من الفناء بالقتل والتشتيت * بعضُ علماء أهل السنة منهم * بعضُ العوائد * الطواغيتُ وحكامها * الأطعمة * اللباسُ * آلة الحرب * السيوفُ * الرماح * الفرش * النسيج * الطيب * الصبغ * الطب * التجارة * الصنائع * مراسي التجارة ومحطاتها * النخل * المزروعاتُ * آلاتُ الحراثة * المساني * مايزرع في فصول السنة * الحيوان * حاصلات البلاد * عقاقيرها * المغارم * حظها من أمراءها * حدود القبائل وأملاكها * الثأر * الغاراتُ * المساكينُ أو الضعفاء * الفرثُ والدم * العرضة أو الهدنة * الصلح * الوجه * التبْيُوض أو التبييض * العيبُ والغدر * التصبيحة * قطع الطريق * اللصوصية * النقيلة * السَّيَارة والخفَارة * الرّسم *

هجرة سيدنا المهاجر إلى الله أحمد بن عيسى النقيب بن محمد النقيب بن علي العريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط الشهيد بن امير المؤمنين علي بن أبي طالب، وابن فاطمة الزهراء بنت محمد ابن عبد الله رسولِ الله إلى العالمين، عليه أفضل صلاة المصلين وسلامُ المسلمين، وعلى جميع أهل بيته وآله وأزواجه وذريته وصحابته أجمعين * ما كان لهجرته من

الأثر بحضرموت * انتشارُ أعقابه بها * حملهم السلاح * منازلهم وتنقلاتهم * تركهم حمل السلاح * تصوّفهم * من هاجر منهم إلى خارج البلاد * ذكر بعض صفاتهم وأعمالهم * علماؤهم وفقهاؤهم * صلحاؤهم * المؤلفات في مناقبهم * ذكر شيء عن فضلائهم بوجهٍ مختصر * من نقلَ مع المهاجر من قبائل العرب * ظهور التشيع بحضرموت قبل هجرة سيدنا أحمد بن عيسى *

بنو هلالٍ ليسوا من سكان حضرموت * مواطن بني هلال في الجاهلية * مواطنهم في الاسلام في جزيرة الفرات وبرّية الشام وبطائح العراق وناقلتهم إلى إفريقية * نواقل العرب * نواقل القبائل الضّنِّية والنهدية والمذحجية * احتلالهم منازل أهلها الأولين بعد إفنائهم وإجلائهم * نسب بني ضنة * بنو حرام * بنو خيثمة * آل كثير * السماح * الصبرات * بطون بني خيثمة * نهد * شعبان * آل شماخ * آل فضالة * مواطن نهد في الجاهلية والإسلام * نواقلهم إلى البحرين * غاراتهم مع بني عقيل على عُمان وخوارجها * بنو مذحج * آل عوبثان بن زاهر بن مراد بن مذحج * آل جندب بن جنادة، وجنادة بن جندب * آل ربّاع *

نواقل يافع بن مالك بن زيد بن ذي رُعَين * مكاتبهم * مساكنهم بالسَّرْوِ * مساكنهم بحضرموت * نقباؤهم * سلاطينهم * المشايخ * أنسابهم * صلحاؤهم * مواضع نفوذهم * احترام القبائل لهم * الأيام الحرب بين القبائل الناقلة وقبائل حضرموت * القتالُ على الملك والقرى بينهم * تحركُ الخوارج مع الغزو وأفعال الزنجبيلي الفظيعة * تردد جيوش الغزّ إلى حضرموت واكتساحها وإفسادها * صمودُ نهد وأخلافها لهم، وانتصارها عليهم، وقتلهم ابن زكري وابن مهدي * امتلاكُ بني رسول لحضرموت وسواحلها وظفار الحبوظي المهرية * انقضاءُ دولة بني فهد الحميرية * انقضاء دولة جمير بشبام * استيلاءُ بني الأشرس بني كندة وبني حارثة عليها * تغالب آل سعد وآل جميل وآل عامر عليها * ماتلا ذلك من حوادث

إلى استيلاء الكثيري على ظفار ثم الشّحر ثم بعض / قرى حضرموت * معاونة [٤/أ] الأروام للكثيري * ظهور حكومة العمودي * حروبه مع الكثيري * ما كان من الحروب بين نهد ومذحج * ظهور البرتقال وغاراته على سواحل حضرموت * تخطف مراكبهم ومراكب هولندا في البحر * استيلاءُ أئمة الزيدية على حضرموت * ضعفُ سيطرتهم عليها فيما بعد * تغلبُ عساكر الدولة الكثيرية من يافع على حكومتها * تملكُهم بعض السواحل والقرى *

سقوط الدولة الكثيرية وانمحاؤها * دولة العسكر الفوضوية * الفتن والفساد * استيلاء المكرمي على حضرموت وانجلاؤه عنها * اكتساحُ القبائل الوهابية لحضرموت من البر * غاراتهم عليها ثانياً وثالثاً * مجيئُهم من البحر ونزولهم في الشحر وعودتهم * ابتداءُ الدولة البريكية المذحجية في الشحر * والدولة الكسادية اليافعية بالمكلا * مساعي السادة العلويين لإقامة الشريعة الإسلامية * تجدّد حياة الدولة الكثيرية * حروبها مع العسكر من يافع * استردادها بعض ما كانت تملكه من القرَى * صريخ يافع لمعاونة أصحابهم على ابن بريك الشنيني المذحجي * صريخهم لمعاونة العسكر الحروب بين الكثيري وسلاطين يافع وقبائلها * حربه مع البريكي الشنيني المذحجي * ذكر ماسنح من نوافلِ الحضارم إلى وَدّان والأندلس في القرون الأولى بعد الإسلام * نواقل العلويين إلى جزائر واقَ الواق، والقمُر، وسواحل زنجبار، وآلهند * نواقلُهم إلى جزائر الصّينِ: كسُمَطْرا، وبرنُيُو، وجاوَه، وسيلِبْ، وجزائر تيمور، وبلاد الملايو، وجزائر صولو، ومَنيلّا، ونشرهم الإسلام * ماكان لهم من الإمرة * حروبهم مع البرتغال والإسبان والأمريكان وآلهولنديين * الفتنةُ التي قامت بين عرب حَضرموت بجاوه وما جاورها * ماقام به المصلحون من محاولة جمعهم على مذهب أهل السنة في الأصول ومذهب الشافعي في الفروع وفشل مساعيهم * فصولٌ في ذلك.

* * *

وهناك فصولٌ قد يعنُّ لنا إلحاقَها عند الطبع، وأغفلنا ذكرَها خوف الإطالة.

وتركنا جزءاً ثالثاً من هذا التاريخِ، سنجمعُ فيه، إن شاءَ الله تعالى الحوادثَ بعد سنة ١٣١٣ هجرية، ونضيفُ إلى ذلك ما استدركَه علينا ذوو الفضل، أو نبهَنا إليه ذو علمٍ، وبيان ما عندنا في ذلك إن كانَ. كلّ هذا بقدر المستطاع. وقد جعلنا ضِمْنَ كتابنا هذا خريطةً لحضرموت، وصُوراً مما لا خلافَ في حَلها لبعض الوديان والمدن والجبال. فنتقدمُ الى ذوي الفضل، باسطين يد الرجاء في إسبالِ ذيل الستر على ما فيه من قصُورٍ وإخلالٍ، فإنّ الإنسانَ محلّ ذلك وأهلُه، والله ولي العلمِ، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلتُ وإليه أنيبُ.

مصادر هذا التاريخ:

من مصادر هذا التاريخ: [١] «تاريخ» الإمام محمد بن جرير الطبري و[٢] «ذيله» * و[٣] «التاريخ الكامل» لابن الأثير * وتواريخ: [٤] ابن خلدون * و[٥] أبي الفداء * و[٦] الخزرجي اليمني * و[٧] الشيخ ابن أسعد اليافعي * و[٨] الجبرتي * و[٩] الأغاني للأصفهاني * و[١٠] ما طبع من «تاريخ دمشق» للحافظ ابن عساكر * و[١١] «نيل الأرب» للنويري * و[١٢] «القاموس» للفيروزآبادي * و[١٣] «تاج العروس شرح القاموس» للسيد محمد مرتضى الزبيدي الحسيني * و[١٤] «إنباه الرواة»، و[١٥] «الأمَم في أنساب الأمم» كلاهما لابن عبد البر * و[١٦] «النقائض» لأبي عُبيد * و[١٧] «العطايا السنية» للملك أبي حفْصٍ عمر بن يوسف بن عمر بن علي بن رسُول ملك اليمن * و[١٨] كتاب «طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب» له * و[١٩] كتاب «تاريخ حضرموت المرتب على السنين» جمع محمد بن عمر الطيب بافقيه، السيد الشريف العلوي الحسيني، وهو من سنة ٩٣٥، مع ملحقٍ له، إلى سنة ١٢٢٤.

و[٢٠] النصف الأخير من «تاريخ» شهاب الدين، أحمد بن عبد الله بن علوي، الشهير بشنبل، المؤرخ العالم، السيد الشريف العلوي الحسيني، وهو من سنة إحدى وخمسمئة إلى سنة تسعمئة وعشرين، وفيها توفي/ يوم الخميس وأربع وعشرين من رجب. و[٢١] «تاريخ» الفقيه عبد الله بن أحمد بن محمد باسَنْجله الشحري، ألفه بأمر الشيخِ محمد بن عبد الرحمن العمودي، سماهُ «العقد الثمين الفاخر من أوائل القرن العاشر»، مختصٌ بما بعد التسعمئة من السنين إلى عامِ سبع وسبعين، وعندي منهما نسختانِ، بكلٍّ منهما قطعٌ، كتبتا لاسْمِ الصَّدر الأجلّ علي بن أحمد بن عيسى بن محمد عبد الودود بن عبد الله بن جعفر الكثيري، وفرغَ الناسخ من كتابة «تاريخ شنبل» في يوم الخميس الخامس والعشرين من ذي القعدة الحرام، سنة ١٠٣٢. [/٥]

و[٢٢] كتاب «صفة جزيرة العرب» لأبي محمد، الحسن بن أحمد بن يعقوب ابن يوسف بن داود الهمداني اليمني، المتوفّى سنة ٣٣٤ * و[٢٣] الجزء الثامن من كتاب «الإكليل في أخبار اليمن الجليل» له * و[٢٤] كتاب «نشر النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية»، جمع الفاضل الألمعيّ المحصّل، عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي بكر باحسن جمل الليل، السيد الشريف العلوي الحسيني، وهو في جزأين * و[٢٥] «اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية»، للشيخ محمد بن إسماعيل بن محمد الكبسي، السيد الشريف الحسني * و[٢٦] كتاب «النسبة إلى المواضع والبلدان»، للشيخ الفقيه العلامة، أبي محمد، الطيب بن عبد الله بن أحمد بامخرمة * و[٢٧] «السيرة المتوكلية» وهي في مجلد ضخمٍ، وهي سيرة الإمام إسماعيل المتوكل على الله، المتوفّى سنة ١٠٨٧.

و[٢٨] «اللآليء المضيّة»، للعلامة أحمد بن محمد بن صلاح بن محمد بن صلاح بن أحمد، الشريف الحسني اليمني، المتوفّى ليلة الأربعاء، الثالث والعشرين

من ذي القعدة، سنةَ خمسٍ وخمسينَ وألفٍ، عندي منه الجزء الثالث، في ألف وثمانمئة صفحة، في الصفحة ثلاثة وثلاثون سطراً، في القطع الكامل. قال في أوله: «أما بعد؛ فقد ذكرنا في الجزأين الأولينِ من الثالثِ، ما عرض ذكرُه من حوادث الزمان، وتقلب الدهر بصنوف الامتحان، ولما انتهَى شرحُ ما ذكره السيد العلامة إبراهيم بن محمد، رحمه الله، في «البسّامة»، وذكر ما سنحَ من الحوادث إلى زمانه وزمانِ مصنف «الشرح»، وهو الفقيه العالم محمد بن علي الزُّحَيف الصَّعْدي، ألحق بعد ذلك في الحوادثِ المتأخرة السيدُ العلمُ العلامة، داود بن الهادي بن أحمد بن المهدي بن أمير المؤمنين عز الدين بن أمير المؤمنين علي بن المؤيد، عليه السلام، أبياتاً ضمّنها ذكرَ بعضِ الحوادث المتأخرة، وشرحَها بما وقف عليه من الاخبار»، إلخ. وهذا الجزء الثالث تضمّن أخبار ستةٍ من الأئمة، من أوائل التسعمئة إلى سنة اثنين وخمسينَ وألفٍ.

و[٢٩] «معجم» ياقوت الحموي * و[٣٠] كتاب «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم»، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البنّاء، الشامي المقدسي، المعروف بالبشاري، ذكر أنه ألفه سنة ٣٧٥ * و[٣١] الجزء المطبوع من كتاب «المسالك والممالك» لابن حَوقل * و[٣٢] «نخبة الدهر في عجائب البر والبحر»، تأليف شمس الدين، أبي عبد الله، محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي، المعروف بشيخ الربوة * و[٣٣] كتاب «المسالك والممالك» لأبي القاسم، عبيد الله ابن عبد الله بن خُرْدَاذْبه، مولى أمير المؤمنين[1] * و[٣٤] «مختصر كتاب البلدان»، تأليف أبي بكر، أحمد بن محمد الهمَذاني، المعروف بابن الفقيه * و[٣٥] المجلد السابع من كتاب «الأعلاق النفيسة»، تصنيف أبي علي، أحمد بن عمر بن رَسْته * و[٣٦] كتاب «الأنساب» للحافظ السمعاني * و[٣٧] «طبقات» ابن سعد * و[٣٨] «سيرة» ابن سيد الناس * و[٣٩] «سيرة» ابن هشام * وغيرهما من كتب السير.

(١) هو الخليفة المعتمد على الله أحمد بن المتوكل العباسي (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م).

و[٤٠] كتاب «قضاة مصر»، تأليف أبي عمر، محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي، مع [٤١] «ذيله»، لأبي الحسن، أحمد بن عبد الرحمن بن بُرْد * و[٤٢] كتاب «مروج الذهب»، و[٤٣] «التنبيه والإشراف»، كلاهما لأبي الحسن، علي بن الحسين بن علي المسعودي * و[٤٤] كتاب «فتوح مصر وأخبارها»، تأليف أبي القاسم، عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين القرشي المصري * و[٤٥] «رسالة في أنساب سكان حضرموت»، لبقية السلف، وبركة الخلف، العالم الرباني، والعارف الصمداني، شيخنا أحمد / بن الحسن بن عبد الله العطاس، الشريف العلوي [٦/١] الحسيني * و[٤٦] كتاب «الفرج بعد الشدة في إثبات فروع كندة»، جمع عوض بن أحمد بن عوض بن عبد الله بن عمر الجرُو، ساكن غرفة الشيخ باعباد. وكان عوضُ المذكور أديباً، صاحب فضيلةٍ، وله شعرٌ حسَن. وأمّه بنت الشيخ الفقيه الشهير محمد ابن عمر بحرق، وهذه الرسالة لم تصل إلينا بتمامها، وإنما وقَفْنا على مقتطفات منها.

و[٤٧] «رحلة» العلامة المسند، الصالح العابد، الإمام وابن الأئمة، محمد ابن إبراهيم بن عيدروس بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بلفقيه، السيد الشريف العلوي الحسيني * و[٤٨] «ملتقطات مهمة» من تاريخ العلامة سالم بن أحمد ابن علي بن عمر المحضار، السيد الشريف العلوي الحسيني، عن المشايخ آل محمد بن عمر، أهل حبّان، والروضة، ودولة آل عبد الواحد، وابن سدة * و[٤٩] «شجرة أنساب السادة آل أبي علوي»، وهي في سبعة أجزاء، تحرير العلامة الفقيه الصالح العابد، عبد الرحمن بن محمد المشهور، السيد الشريف العلوي الحسيني * و[٥٠] كتاب «الروض الجلي في أنساب بني علوي»، للمحدث المسند الحافظ اللغوي المؤرخ، بقية أئمة الحديث والإسناد، محمد بن محمد الزبيدي الحسيني، الشهير بمرتضى * و[٥١] الكتاب المشجّر المسمّى بـ«روضة الألباب

بمعرفة الأنساب»، للسيد النسابة الشهير أبي علامة، محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين بن الإمام عزّ الدين بن الحسَن المؤيَّدي، الحسيني اليمني. فرغ من تحريره وتنقيحِه غرّةَ شهر رجب سنةَ ١٠٣٠ ثلاثين وألف للهجرة النبوية ❊ و[٥٢] كتاب «بحر الأنساب»، المسمّى بـ«المشجّر الكشاف لأصول السادة الأشراف»، تأليف الشيخ الإمام الحبر البحر الهمام، السيد محمد بن أحمد بن عميد الدين علي الحسيني النجفي، النسابة، بتحرير الشريف الحسيني، السيد حسين محمد الرفاعي المصري، وهو الذي قام بطبعه ونشره ❊ و[٥٣] كتاب «نثر الدرر المكنون من فضائل اليمن الميمون»، تأليف حضرة العالم البحاثة المنقِّب، السيد محمد بن علي الأهدلي الحسيني، اليمني الأزهري ❊ و[٥٤] «قلب جزيرة العرب»، للمؤرخ الفاضل فؤاد حمزة ❊ و[٥٥] «تاريخ الشعراء الحضرميين»، للعلامة المؤرخ، عبد الله بن محمد ابن حامد السقاف، السيد الشريف العلوي الحسيني ❊ مع [٥٦] «تعليقاته» على رحلة الشيخ عبد الله باكثير الكندي. و[٥٧] «تاريخ حضرموت» للشيخ الفاضل سالم بن محمد بن سالم بن حُميد، نقل فيه عن تواريخ: الشلي، وشنبل، والطيب، وعن «النور السافر» للسيد الشريف عبد القادر العيدروس، وعن «الدلائل والأخبار في خصائص ظفار»، للعالم الصوفي، عبد الله بن عمر بن جعفر المرهون الكثيري، وتواريخ: باسنجلة، والعلامة عمر بن محمد الصافي السقاف، السيد الشريف، والشيخ أحمد بن محمد بن عمر بن أحمد عباس باعباد، وبقيته مما وقع في أيامه إلى سنة ١٣٠٨ وكانت ولادته: ١٢١٧، وتوفي سنة ١٣١٦.

بقيت مصادر أخرَى، ستراها مصرَّحاً بها عند العزو إليها، والله ولي التوفيق.

❊ ❊ ❊

ما وردَ من الآياتِ والأحاديث

في حضرموت وقبائِلها

ما وردَ من الآياتِ والأحاديث في حضرموت وقبائِلها

اعلم أنه وردَ في فضل حضرموتَ وقبائلها آياتٌ وأحاديثُ صحيحةٌ، بأسانيدَ متعددةٍ، وقد جمعها صاحبُ كتاب «نشر الدرر المكنون»، ونقّحها، وذكر شواهدَها على وجهٍ مفيدٍ، وقد أطالَ وأطابَ، فمَن أرادَ الاسقصاءَ فليرجع إليه. وحضرموتُ من اليمَنِ، كما تصرّحُ به الأحاديثِ، وليست داخلةً، إن شاء الله، في المشرقِ، التي وردت فيه الأحاديث بما وردَتْ. فنلتقط من ذلك الكتاب ماتيسّر، قالَ [ص١٩]:

[الآية الأولى]

«قالَ الله تعالى، وهو أصدق القائلين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ / ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[المائدة: ٥٤]. [١/ ٧]

ذكر السيوطيُّ في «الدر المنثور» [٣/ ١٠٣]، وصدّيقُ خان في «فتح البيان» [٣/ ٤٥٢]، قالا: أخرج ابنُ أبي حاتمٍ في «تفسيره» [٤/ ١١٦٠]، والبخاري في «تاريخه»، والحاكم في «الكنى»، وأبو الشيخ، والطبراني في «الأوسط» [٢/ ١٠٣]، وابن مردويه، بسندٍ حسنٍ، عن جابر رضي الله عنهما، قال: سُئلَ رسولُ الله ﷺ عن هذه الآية، قال: **«هؤلاء من أهل اليمنِ، من كندة، ثم من السَّكُــون، ثم من تجيب»**.

وأخرجه النورُ الهيثميّ في «مجمــع الزوائد» [٧/ ١٦]، الجزء السابع، بكتاب

التفسير، عن الطبراني في «الأوسط»، وقال: «إسناده حسنٌ». وأخرج البخاريّ في «تاريخه»، وأبو الشيخ، وابن أبي حاتمٍ [تقدم]، عن ابن عباسٍ، رضي الله عنهما، قال: «هم قومٌ من أهل اليمنِ، ثم من كندةَ، ثم من السَّكُون».

قلتُ: وابن أبي حاتمٍ التزمَ في «تفسيره» أن يخرجَ أصحَّ شيءٍ في الباب.

وأخرج البخاريّ في «تاريخه» [«الكبير» ٧/ ١٦١] عن القاسم بن مخيمرةَ، قالَ: أتيتُ ابنَ عُمر، رضي الله عنهما، فرحّب بي، ثم تلا قولَه تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ﴾ الآية، ثم ضربَ على منكبي، وقال: أحلفُ بالله، إنهم لمنكُم، أهلَ اليمنِ، ثلاثاً. وأخرج أبو الشيخِ عن مجاهدٍ ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ﴾ الآية. قالَ: هُم قوم سبأ. وأخرج ابن عساكر في «تبيين كذب المفتري» [ص ٥١]، وابن جرير في «تفسيره» [٨/ ٥٢٣]، بإسنادهما، عنه أيضاً: أنهم قوم سبأ.

وأخرج ابنُ أبي شيبةَ عن ابن عباس ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ﴾ الآية. قال: هم أهل القادسية.

وأورد الآلوسيُّ [٦/ ١٦٣]، والبغوي [٣/ ٧١]، عن الكلبيّ: أنهم الذين جاهدوا يومَ القادسية: ألفانِ من النَّخْعِ، وخمسة آلاف من كندة وبَجيلة، وثلاثة آلافٍ من أفناء الناس. وقال الخازن [٢/ ٦٥]: «قيلَ: هم أهلُ اليمَن». ثم ذكر حديثَ: «الإيمانُ يمانٍ»، «وقيلَ: أحياءٌ من اليمَن».

وروى ابن جرير [٨/ ٥٢٣]، أيضاً، بإسنادهِ، عن مجاهدٍ، قالَ: أناسٌ من أهل اليمن. وأخرج من طريق أخرى عنه مثلَه. وأخرج [نفسه] بإسناده عن شهر بن حوشب، قالَ: «همْ أهلُ اليمَن». وأخرج [نفسه] بإسناده عن محمد بن كعبٍ القُرَظيّ: أن عمر ابن عبد العزيز، رضي الله عنه وأرضاه، أرسل إليه يوماً، وهو أمير المؤمنين، يسأله

عن ذلك، فقال محمد: ﴿يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ﴾، وهم أهلُ اليمن. قال عمر: ياليتني منهم. قال: آمين.

وأخرج [٨/ ٥٢٢] عن عياض الأشعريّ، قال: هم أهل اليمن.

وفي «تفسير» أبي السُّعود [٣/ ٥١]، وصديق خان [٣/ ٤٥٢]: قيلَ: هم أهلُ اليمنِ، لقَول النبي ﷺ: «هُمْ قَومُ هَذا»، يعني أبا موسى. وقيلَ: ألفانِ من النّخَعِ، وخمسة آلافٍ من كندة وبَجِيلة، وثلاثة آلاف من أفناء الناسِ، جاهدوا يوم القَادسية. ومثله في «الكشاف» [١/ ٦٤٦، ٤/ ٣٣١].

وأخرجَ الحاكم [٣/ ٣٧٢] وصحّحه البيهَقي في «الدلائل» [٥/ ٣٥١]، وابن أبي حاتم، والحافظ السِّلَفي، وابنُ عساكر في «تبيين كذب المفتري» [ص ٤٩]، من طرُقٍ، وابنُ جريرٍ، وابن سعدٍ [٤/ ١٠٠]، وغيرهم، عن عياض، عن أبي موسى، قال: تلوتُ عندَ رسول الله ﷺ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ﴾، الآية. فقَال: «قومُكَ يا أبا موسى، أهلُ اليمن». وقال الحافظُ النور الهيثَميُّ: «رواه الطبراني، ورجالُه رجال الصحيح».

وفي «تفسير» ابن جريرٍ [٨/ ٥١٧] ما ملخصُه، في معنى هذه الآية، وأنّ المراد بها أهلُ اليمن: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ﴾: المؤمنينَ الذين لم يرتدّوا، ﴿بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾: أعواناً وأنصاراً. وقالَ: «وبذلك جاءت الروايةُ عن بعض من يتأوّل ذلكَ كذلك»، وكون المراد بهذه الآية أهلُ اليمنِ، هو الأولى بالصواب». انتهى كلام صاحب «النشْر» [ص ١٩-٢٠].

ونقولُ: إنّ ماجاء في تفسير هذه الآيةِ لأهل اليمنِ، ثم لكندة، والسّكون، وتجيب، هو الفخْرُ الباقي على الأيام، والمجدُ الذي هو مجدُ الإسْلام. وتلكَ مرتبةُ فضلٍ تسقطُ دونَها الأمانيُّ حَسْرى، وتنقطعُ قبلَ بلوغها الهممُ وآلهةً حَيرى.

* * *

وكندةُ، كانت مواطنُها في وادي العَبر، ووادي دوعن، سهلاً وجبلاً، يخالطهم الصّدِف، وقوم من حمير حضرموت، وأكثر تجيب كان في الكسر، في هينَن، وصوران، وقشاقِش، وعندَل، وخودون، وهدُون، ودمُّون، والهجْرَين، ورَيدة الديِّن، وفي سدبة، وحورة، والعجلانية. وكان في الكَسر منهم، إلى حدُود سنة الثلاثمئةِ وما بعدها، نحوُ ألفٍ وخمسمئة مقاتلٍ، منهم أربعمئة فارسٍ، وكان منهم في رَخْية، والسُّور، ومَنْوَب، ووادي دُهْر، ووادي عِرْما، ومَريمَهْ، ومَدُودة، والمكان الذي به الآن آل الصّقَير من الفخائذ الكثيريةِ، وغير ذلك، ومعهم خلطٌ من / السّكُون والصّدِف. [٨/] ويشاركُهم في شبام وما والاها، وتريم، والعَجُز: حميرُ حضرموت، وكانت لهم مدينةٌ عظيمة تسَمّى معفا، بين مشطة والعَجُز، قد خربت. ولكندة مخلافٌ على السّاحل بين أحْوَر ورأس الكلب. وأجْوالُ الأسعاء، الشحر، مع قبيلة حضرموت، الحمُوم، إلى برْهُوت.

وقد ذكر أبو القاسم بن خُرْدَاذْبه، في مخاليف اليمن: (مخلاف كندة والسكُون)، و(مخلاف صدِف)، ولما ذكر الساحل قالَ [ص ١٤٧-١٤٨]: «من عمان إلى فرَق، ثم الى عَوكلان، ثم إلى ساحل هباء، ثم إلى الشحر (ساحل مَهرة)، وهي بلاد الكُندَر (اللبان)، قال الشاعر:

اذهب الى الشّحْر ودعْ عُمانَا إن لا تجدْ تمراً تجدْ لُبانَا

ثم إلى مخلاف كندة، ثم إلى مخلاف عبد الله بن مذْحِج، ثم إلى لحج».

وكذلك ذكرَها في كتاب «أحسن التقاسيم» [ص ٩٢]، وزاد فيها: مخلاف شبوة، ومخلاف أحور، ولكنه لم يرتبها.

فيفهم من هذا: أن مخلافاً لكندة واقعٌ بين ساحل مهرة وأحور، وقد ذكر ذلك أبو محمد، الحسنُ بن أحمد بن يعقوب الهمْداني، فذكر منها شرقيَّ أحْوَر: القَوبع٬

لبني عامر من كندة، الشريرة لهم أيضاً، المحدث، ثم عرفة، ثم حجر وكانت لبني عامر بن وهبٍ من كندة. وسيأتي مزيدُ بسطٍ.

والمقصودُ: أن تعلم أن تلك القبائلِ الثلاث: كندة، ثم السَّكون، ثم تجيب، كانوا بحضرموت إلى ما بعد الإسلام بقرونٍ، ولم يرحلُوا عنها قبله إلى نجد، كما ظنّه بعض من لم يتأمل، وإنما نقلَ إليه أفخاذٌ منهم خاصةً، سنذكرهم إن شاء الله، ثم أفنتهم الحروبُ، وخلَفتهم في أكثر مواطنهم، بنو ضَنّة، ومذْحج، وأفناء العب، وإن كانت قد بقيَت منهم بقايا مستضعفة. ومنهم من تمشيخَ، ومنهم من انتسبَ إلى القبائل الغالبة، ومنهم من صاروا عضَاريطَ وخَدماً وأتباعاً لهم. وفي (بلاد مذْحج)، و(صُداء)، وسائر بلاد اليمنِ، عددٌ كثير ممن نقلوا إليها بعد القرون الثلاثة، بسبب الفتن والحروبِ والظلم، وشؤمِ الخوارج والنواصب، ولله عاقبة الأمور.

الآية الثانية:

قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ [الحج: ٢٧] الآية، مخاطباً خليله إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، بعد إتمامه بناءَ الكعبة، زادها الله شرفاً وتعظيماً، قال السيوطي في «الدر المنثور» [٦/ ٣٢، ٣٥]: «أخرج ابنُ أبي حاتمٍ [٨/ ٢٤٨٧] عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: لما أمر الله إبراهيمَ، عليه الصلاة والسلام، أن ينادي في الناس بالحجّ، صعدَ أبا قبيسٍ، فوضعَ أصبعيه في أذنيه، ثم نادى: إنّ الله تعالى كتبَ عليكم الحجَّ، فأجيبوا ربكم. فأجابوه بالتلبيةِ في أصلاب الرجالِ وأرحام النساء، وأولُ من أجابه أهلُ اليمن».

ثم ذكر صاحب «نشر الدُّر» [ص ٢٠-٢١] شواهدَ ونقولَ أخرى في الموضُوع، فليرجِعْ إليه من أراده.

فأهلُ حضرموت لهم حظٌّ من هذه الآية لأنهم من أهل اليمن، ومعنى ما جاء في إجابتهم إبراهيم، صلوات الله عليه وسلامه عليه، بالتلبيةِ: أن الله كشَفَ لهم بنوره، ما سبق لهم في العلم الإلهي، فسمعهم يلبونَ، كما سيكون ذلك منهم في المستقبل، وقد عبَّر رسول الله ﷺ عمّا كشفه الله من أحوال أمته وغيرها بالتمثيلِ، كما في حديث: «مُثِّلت لي أمتي في الطِّينِ» [الديلمي: ٤/ ١٦٦]، وحديث: «عُرِضَتْ عليَّ الرسُل»، ولبَسْط القول فيه محلٌّ آخر، والله أعلم.

الآية الثالثة:

قوله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨]، قال البغوي [٧/ ٢٩١]، والخازنُ في «تفسيريهما» [٤/ ١٥١]: عن الكلبيِّ: «هم كندة، والنَّخَعُ».

الآية الرابعة:

قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ [الجمعة: ٣]، الآية. أورد الآلوسيُّ في «تفسيره» [١٤/ ٢٨٩]: عن ابن عمر، رضي الله عنهما، أنهم أهل اليمن. ومن فسّرهم بالفرس أو الرومِ يكون أهل اليمن من السابقينَ الذين امتنّ الله عليهم ببعثة رسول الله، ﷺ منهم / . [٩/]

الآية الخامسة:

قوله تعالى: ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [النصر: ٢]، قال صديق حسن خان في «تفسيره» [١٥/ ٤٣١]: «عن عكرمة ومقاتل: أن المرادَ بالناس: أهلُ اليمن. وفدَ منهم سبعُمئة إنسانٍ على رسُول الله، ﷺ، مؤمنون».

وذكر البغويّ [تقدم] عنهُما: أنهم أهلُ اليمن. ثم ذكر بإسناده حديثَ: «أتاكم أهلُ اليمَن». وقال بمثلِه في «الخازن» [تقدم]. ونقله الحافظ الديبَعُ عن الماوردي في «تفسيره» [٦/ ٣٦٠]، وعن الحسَن البصريّ، وذكره النسفيّ [٣/٦٨٩]، وصاحبُ «روح المعاني» [١٥/٤٩٣].

واحتُجَّ له بما أخرجه ابن جرير [٢٤/٧٠٦] من طريق الحسينِ بن عيسى، عن معمر، عن الزهري، عن ابن عباسٍ، رضي الله عنهما، قال: بينَا رسولُ الله، ﷺ، بالمدينةِ، إذ قالَ: «الله أكبر، الله أكبر، جاءَ نصر الله والفتحُ، وجاءَ أهل اليمَن». فقال رجل: يارسول الله، وما أهل اليمن؟ قال: «قوم رقيقةٌ أفئدتهم، لينةٌ قلوبهم، الإيمانُ يمانٍ، والفقه يمان». رواه الطبراني في «الكبير» [١١/ ٣٢٩]، و«الأوسط» [٢/ ٢٨٤] باسنادينِ، وزاد: «والحكمة يمانية»، وأحدهما رجالُه رجالُ الصحيح.

ذكر ذلك الحافظ الهيثَميُّ في الجزء التاسع من «مجمع الزوائد» [٩/ ٢٣].

وفي «الجامع الأزهر» للحافظ المناوي: «رواه الطبراني بأسانيدَ، وأخرجه النسائي [«الكبرى»: ١٠/ ٣٤٩] من طريقِ عكرمة عن ابن عباسٍ مرفوعاً، ورجاله ثقاتٌ من رجال الصحيح، إلاعمْرُو بن منصور، فثقَةٌ. آخر ثقةٍ من شيوخ أبي عبد الرحمن النسائي، قال النسائي: ثقةٌ مأمون. وفضّله غيرُه على الأثرم. ورواه ابن حبان في «صحيحه» [١٦/ ٢٨٧]، وابن جريرٍ، كما تقدم.

وقال في «تفسير القرطبي» [٢٠/ ٢٣٠]: «قال عكرمة ومقاتل: أراد بالناسِ: أهلَ اليمن. وذلك أنه ورد من اليمَن سبعُمئة إنسانٍ، مؤمنين، طائعين، بعضُهم يؤذّنُ، وبعضُهم يقرؤون القرآن، وبعضُهم يهللُون، فسُرَّ النبيّ ﷺ بذلكَ، وبكى عمر وابن عباس. وروى عكرمةُ عن ابن عباسٍ: أنّ رسول الله ﷺ قرأ ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾، وجاء أهلُ اليمنِ، رقيقة أفئدتهم، لينةٌ طباعهم، صفيةٌ قلوبهم، عظيمة خشيتُهم، ﴿يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا﴾. اهـ.

وأشار إلى هذه الرواية الترمذي [٦/ ٢١٦]، ورواها ابنُ عساكر في «تبيين كذب المفتري» [ص٤٨]. اهـ. من «النشر» [ص٢٢-٢٣]، بتقديمٍ وتأخير وحذفٍ.

قال [ص ٢٥]: «وروى أحمد في «مسنده» [١٣/ ١٥٦] في الجزء الثاني، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا هشام بن حسانٍ، عن محمد بن سيرين، قالَ: سمعتُ أبا هريرة قالَ: لما نزلت ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾، قالَ النبيُّ ﷺ: «أتاكُمْ أهلُ اليمَن، هم أرقّ قلوباً، الإيمانُ يمانٍ، الفقه يمانٍ، الحكمة يمانية»، ورجالُه كلهم أئمةٌ ثقاتٌ من رجال الستَّة. والإمامُ أحمد سمعَ من عبد الرزاق قبل الاختلاط، وهشام بن حسان مجمعٌ على تثبيتِه في محمد بن سيرينَ، فالحديثُ صحيحٌ، والحمد لله. وهو في «صحيح البخاري» [٤/ ١٧٩] و«مسلم» [١/ ٧١] عنه، دون ما في أوله.

الأحاديثُ الواردة في ذلكَ

روى أحمد في «مسنده» [٣٧/ ٢٦] بإسنادٍ حسنٍ، كما قاله الحافظ المناويّ في «الجامع الأزهر»، من طريق عبد الرزاق، قال: حدثني رجلٌ من خثعم، قال: كنّا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فوقفَ ذات ليلةٍ، واجتمعَ عليه أصحابه، فقال: «إنّ الله أعطاني الليلة كنزينِ، كنز فارس والروم. وأمدّني بالملوكِ، ملوك حمير الأحمرين، ولا ملكَ إلا لله، يأتون يأخذون من مال الله، ويقاتلون في سبيل الله»، قالها ثلاثاً، ولا يضر إبهام الصحابيّ، كما قال ذلكَ الحافظُ ابن حجر.

وعن ابن عمر، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان يمانٍ، وهم مني وإليّ، وإن بَعُد منهم المربع، ويوشكُ أن يأتوكم أنصاراً وأعواناً، فآمركم بهم خيراً»، رواه الطبراني [«الكبير» ١٤/ ٧٦]، وإسنادُه حسَن. قاله الحافظُ الهيثمي في «مجمع الزوائد» [١٠/ ٥٥].

وعنه: أن رسولَ الله ﷺ قال: «اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم باركْ لنا في يمننا»، قالوا: وفي نجدنا،قال: «هنالك الزلال والفتن وبها»، أو قال: «منها، يخرج قرن / الشيطان»، قال الترمذي [٦/٢٢٧]: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، غريبٌ من هذا الوجه، من حديث ابن عونٍ». [١٠/أ]

وأخرجه البخاريّ في «صحيحه» [٢/٣٣] بأواخر بابِ الاستسقاءِ، من طريق حسين بن الحسن البصري، عن ابن عونٍ بصورةِ الموقوف. وفي باب (قول النبيِّ: «الفتنة من قِبَل المشرق») مرفوعاً، ولفظُه [٩/٥٤]: عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: ذكر النبيُّ ﷺ «اللهم باركْ لنا في شَامنا، اللهم بارك لنا في يمننا»، قالوا: يارسول الله، وفي نجْدنا، قال: «اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا»، قالوا: يارسول الله، وفي نجدنا. قال: فأظنُّ أنه قالَ في الثالثة: «هناك الزلازل والفتن، وبها يطلعُ قرن الشيطان».

قلتُ: ورواية أبي ذرٍّ الكُشْمِيْهَني: «يطلعُ قرْنُ الشَّيطانِ، يبدأ من المشرق، ومن ناحيتها يخرج يأجوج ومأجوج، والدجَّال، وبها الداء العضَال» [قسطلاني: ١٠/١٨٩]. قال الحافظ: «هكذا وقعَ في تلك الرواية التي اتصلت لنا بصُورة الموقوفِ عن ابن عمر، ولم يذكر النبيَّ ﷺ». وقال القابسي: «سقط ذكر النبيِّ ﷺ من النسخة، ولابد منه، لأن مثله لا يقال بالرأي». اهـ. «فتح الباري» [٢/٥٢٢].

ورواه الترمذيُّ كما تقدمَ، وأبو يعلى [«المسند»: ٩/٣٣٨؛ «المعجم»: ١/٨٧]، وابنُ حبان في «صحيحه» [١٥/٢٤؛١٦/ ٢٩٠] من طريقينِ، والإسماعيليُّ، كلهم عن طريق أزهر، عن ابن عون عن أبيه مرفوعاً. ورواه الطبراني [«الأوسط»: ١/١٢٢] من ابن عمر مرفوعاً.

ورواه الإمام أحمد في «مسنده»، وابن عساكر، من طرقٍ كثيرة إلى ابن عمر، إلا أن لفْظَ أحمد [٩/٤٥٨]: فقال رجلٌ: وفي مَشْرقنا يارسول الله! فقالَ

رسول الله ﷺ: «من هناك يطلعُ قرْن الشَّيطانِ، وبه تسعةُ أعْشَار الكفر»، ورجال أحمد رجالُ «الصحيح»، غير عبد الرحمن بن عطاءٍ، وهو ثقةٌ، وفيه خلاف لايضر، هكذا قالَ الحافظ الهيثميُّ في «مجمع الزوائد» [١٠/٥٧]. وأخرجه أحمد [١٠/٢٤٤] من ثلاث طرقٍ بلفظٍ: سمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ: «اللهم بارك في مدينتنا، وفي صاعنا ومدِّنا، ويمَننا وشامننا»، ثم استقبل مطلع الشمْسِ، فقال: «من هاهنا يطلعُ قرن الشيطان، من هُنا الزلازلُ والفتن».

وقال الحافظ المناوي في «الجامع الأزهر»: «روى نحوه الطبراني [«الأوسط»: ٤/٢٤٥] عن ابن عمر وابن عباس، رضي الله عنهم، وإسناداهما رجالهما ثقاتٌ».

وروى الحافظ ابن كثير في «تاريخه» [٩/ ٨٤] بسند البيهقيّ [«الدلائل»: ٦/٢٣٦]، عن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ نظر قِبلَ العراقِ والشام واليمن، لا أدري بأيتهنّ بدأ، ثم قال: «اللهم أقبلْ بقلُوبهم إلى طاعتك، وحِطْ من ورائهم»، رواه الحاكم عن الأصمّ، عن محمد بن إسحاق الصنعاني، عن علي بن بري، فذكره بمعناه.

وقال أبو داود الطيالسي: «ذكر سنده إلى زيد بن ثابتٍ، فذكره». قال: «وهكذا الأمر، أسلم أهل اليمن قبلَ الشام». قلتُ: ورجالُ إسناد حديثِ البيهقي ثقاتٌ.

وذكر الهيثميُّ الحافظ في «مجمع الزوائد» [١٠/٥٧] روايةَ البيهقي الأولى، وقال: «رواه الطبراني في «الصغير» [١/ ١٧٣]، و«الأوسط» [٣/ ٢٣٤]، ورجالُه رجالُ الصحيحِ، غير علي بن بري، وهو ثقة».

وعن أبي مسْعودٍ قال: أشار رسول الله ﷺ بيدِه الكريمةِ نحو اليمنِ، فقال: «الإيمانُ هاهنا، ألا إن القسْوةَ، وغلظ القلوبِ في الفدّادينِ، عند أصولِ أذناب الإبل، حيث يطلعُ قرنا الشيطانِ في ربيعةَ ومُضَر». رواه البخاري في «صحيحه» [٤/١٢٨]

من ثلاث طرقٍ، وكذلك رواه أحمدُ [٣٧/ ٣٢]، ومسلم في «صحيحه» [١/ ٧١].

وعن جبير بن مطعمٍ: أن رسول الله ﷺ، رفع رأسه إلى السماءِ، فقال: «أتاكُم أهل اليمنِ كقطع السحابِ، خيرُ أهل الأرضِ»، فقال رجلٌ، وفي رواية: فقال رجلٌ من الأنصار: إلا نحنُ يارسول الله! فسكتَ، فقال: إلا نحنُ يارسول الله! فسكتَ، فقالَ في الثالثة كلمة خفية: «إلا أنتم». رواه أحمد [٢٧/ ٣٢٢]، وأبو يعلى [«المسند»: ٣٩٨/١٣]. وأحدُ إسنادي أحمد، وإسنادَي أبي يعلى والبزارِ [٨/ ٣٥١]، رجالُه رجال «الصحيح». قاله الحافظُ الهيثمي في «المجمع» [١٠/ ٥٤-٥٥].

وذكر له صاحب «النشر» [ص ٢٧-٣٥] طرقاً عديدة.

وعن عثمانَ، رضي الله عنه، قالَ: سمعتُ رسول الله ﷺ، يقول: «**الإيمانُ يمانٍ، الإيمان يمانٍ**»، مرتين، «في قحطان، والقسوة في ولد عدنان، حمير رأس العرَبِ ونابها، ومذْحِج هامَتها وغلْصَمتُها، والأزد كاهِلُها وجمجُمتها، وهمْدانُ غَارِبُها وذروتها. اللهُم أعزَّ الأنصَارَ الذين أقام الله الدينَ بهم، الذين آووا ونصَروا، وحمَوني، وهم أصحابي في الدنيا، وشيعتي في الآخرة، وأول من / يدخل الجنةَ من أمتي»، رواه البزارُ [٢/ ٦٧]، وإسناده حسن، قاله الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» [١٠/ ٤١]، اهـ من «نشر الدر المكنون» ملتقطاً. [١١/]

فضائل قبائل خاصة

سبق في آخر الباب الذي قبلَه حديثٌ في قحْطان، وحِمْير، ومذْحِج، والأزد، وهمدان، وعن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج من عدن اثنا عشر ألفاً ينصرون الله ورسوله، هم خيرُ من بيني وبينهم». قال المعتمِر: أظنه

قال: «في الأعمال»، رواه أبو يعلى [«المسند»: ٤/ ٣٠٥]، والطبراني [«الكبير»: ١١/ ٥٦]، وقال: «مِن عدن أبين»، ورجالهما رجالُ الصحيح، غير منذر الأفطس، وهو ثقةٌ، قاله الحافظ الهيثمي في «المجمع» [١٠/ ٥٥]. ورواه أحمد في «مسنده» [٥/ ٢٠٠].

ووردَت أحاديثُ في السّكاسِك، والسَّكون، وتجيب بن كندة، وحضرموت، والنَّخَع، والأزد، والأشعريين، وهمدان، وحمير، ذكرها صاحب «نثر الدر المكنون»، فنقطتف منها مايتعلّق بغرضنا.

عن عتبة بن عبد أن النبيَّ ﷺ قال: «الخلافة في قريش، والحكم والقضاء في الأنصار، والأذان في الحبشة، والشرعة في اليمن، والأمانة في الأزد»، رواه الترمذي [٦/ ٢١٧]، خلا قوله: «والشرْعة في اليمن»، رواه أحمد [٢٩/ ٢٠٠]، ورجاله ثقات، قاله الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» [٤/ ١٩٢]. ورواه أحمدُ في «مسنده» [١٤/ ٣٦٨]، والترمذي في فضائل أهل اليمن، عن أبي هريرة، رواه السيوطي مرفوعاً في كتاب «أزهار العروش في أخبار الحبوش»[1]، وذكر فيه: «والشِّرْعةُ في اليمَن». وقال: «رواه أحمد بن عبيد بن عبد». والشِّرْعةُ: الدينُ والملة، قال الله تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: ٤٨]، فهو يصفُهم بقوة الدين، واستقامة المذهب.

وعن عبد الله بن إدريس، عن يحيى بن صالح الليثي، قال: قدم على عثمانَ رضي الله عنه خفافُ بن عرابة العبسي[2]، من مذْحِج وحديج، وهما حيّانِ باليمن،

---

(١) وهو في «رفع شان الحبشان» للسيوطي: ص ٣٩. وكتاب «أزهار العروش» مختصر منه.

(٢) في الأصل: حقاف بن عرافة القيسي. وفي «الأنساب» للصُّحاري: خفاف بن عرابة العبسي، وفي بعض المصادر: العنسي. كذا. واختلاف النسخ والتصحيف أمرٌ وارد، (مصحح).

في جماعة من قومه، ففرض لهم عثمانُ العطاءَ، وألحقهم بالشام، وقال: مرحباً، سمعتُ رسول الله ﷺ، يقول: «الإيمان يمان، ألا ورَحَى الإيمان في قحْطَان، والجفاء والقسوة في ولد عدنان. أهل اليمن دعائمُ الإسلام، وعمود الدين، ومال المسلمين، حِمْير رأسُ العرب ونابها، وكندة لسانها وسنامها، ومذْحِج هامتها وغلصَمتُها، والأزد جمجمتها وكاهلها، وهمْدانُ رأسها وغاربها» [الرامهرمزيّ في «الأمثال» ص ٢٣٧؛ ابن عساكر: ٦٢/ ٤٢]. اهـ. من كتاب «أنسَاب العرب» لسلَمة بن مسلم العوتبي[1] الصُحاري [٢/٥١٥]. وفي كتاب «الأنساب» لأبي سعيد، بإسناده عن عثمان مرفوعاً مثلُه، وأورده الحافظُ ابن حَجر في «مختصَر الفِرْدَوس» وسكتَ عليه [«نثر»: ص ٤٠].

وقد سبقَ بسند آخر في البابِ قبله.

وأخرج ابنُ جريرٍ نحوَه، وزاد فيه: «**والجفاءُ في قضَاعة**»، والمراد بالجفاء: الجهلُ والبعدُ عن الدين، وعدمُ الأخذ بآدابه، وهذا من أعلام النبوة.

وأخرج الحاكم في «المستدرك» [١٧٦/٤] واللفظ له، وصححه، ووافقه الذهبيُّ. ورواه أحمدُ [١٩٨/٣٢] متصلاً ومرسَلاً. والطبراني [٩٨/٢٠]، وقال الحافظُ الهيثمي [٤٣/١٠]: «رجاله ثقات». ورواه الحاكم في «المستدرك» من طريقٍ أخرى عن عبد الرحمن بن عائذ، وقال: «هذا حديثٌ صحيحُ الإسناد ولم يخرجاه»، وأقره الذهبي. ورواه الطحاويّ من طريق أخرى عن عمرو أيضاً. وفي «كنز العمال» رواه الطبراني، من ثلاث طرق عن عمرو أيضاً، ورواه الطبراني عن خالد بن معدان عن معاذٍ، ورجاله ثقاتٌ، إلا أن خالداً لم يسمع من معاذٍ، قاله الحاكم. عن عمرو بن عبسة السلمي، رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ يعرِضُ الخيلَ، وعنده عيينة

(١) في الأصل: العَوني. وهو خطأ مطبعي.

ابن بدر الفزاري، فقال له رسول الله ﷺ: «أنا اعلمُ بالخيلِ منكَ»، فقال عيينةُ: وأنا أعلم بالرجال منك!. فقال رسول الله ﷺ: «فمَن خيرُ الرِّجالِ»، قال: رجال يحملون سيوفهم على عواتقهم ورماحهم على مناسج خيولهم من رجال نجد. فقالَ رسول الله ﷺ: «كذبْتَ! بل خيرُ الرِّجال رجالُ أهلِ اليمن، والإيمان يمان، إلى لخمٍ وجذام وعاملة، ومأكولُ حمير خيرٌ من آكلها، وحضرموت / خيرٌ من بني الحارث، [/١٢] والله ما أبالي لو هلك الحارثانِ جميعاً، لعنَ الله الملوكَ الأربعة، جمْداً، ومخْوِساً، ومشْرحاً، وأبضعة، وأختهم العمرّدة». ثم قال: «أمرني ربي أن ألعن قريشاً مرّتين فلعنتهم، ثم أمَرَني أن أصلي عليهم مرتين فصليتُ عليهم مرتين»، ثم قال: «لعن الله تميم ابن مرة خمساً، وبكر بن وائل سبعاً، ولعنَ الله قبيلتين من قبائل تميم، مقاعس، وملادس»، ثم قالَ: «عُصيّة عصت الله ورسوله، عبد قيس وجعدة وعصمة»، ثم قال: «أسلمُ وغِفَار ومزينة، وأحلافهم من جهينة خير من بني أسد وتميم وغطفان وهوازِن عند الله يوم القيامة». ثم قال: «شرّ قبيلتين في العرب نجران وبنو تغلب، وأكثر قبائل في الجنة مَذْحِج».

وزاد بعضُهم [أحمد: ٣٢/ ١٩١] في روايته فقال: «وحضرموتُ خَير من بني الحارث، وقبيلةٌ خيرٌ من قبيلةٍ، وقبيلةٌ شَرٌّ من قبيلة».

وروى الخطيب [«بغداد»: ٩/ ١٣١] والديلمي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «دخلت الجنة فرأيتُ أكثَر أهلها اليمَن، ووجدْتُ أكثر أهلِ اليمَن مذْحِج»، وروى ابنُ عبد البرِّ آخِر الحديث.

وفي بعض روايات الطبراني: «الإيمان يمانٍ إلى لخْم وجُذام وعامِلة» [«الأوسط»: ١/ ١٢٦]. «ومأكولُ حمير خير من آكلها، وحضرموتُ خيرٌ من بني الحارِث» [«مسند الشاميين»: ٢/ ٨٩]، «لا قَيلٌ، ولا قاهرٌ، ولا ملكٌ، إلا الله» [«مجمع»: ١٠/ ٤٤].

وأخرج الحافظ السّمعاني في «الأنساب» [٣/ ٢٠] عن يزيد ابن أبي حبيبٍ، عن أبي الخير، عن ابن سندر: أن النبي ﷺ، قال: «غِفار غفر الله لها، وأسلم سالمها الله، وتجيبُ أجابت الله ورسوله». وأخرجه الطبراني [«الأوسط»: ٢/ ٣٤] بمثلِه عن عبد الرحمن بن سندر.

وري ابن شاهينَ بسنده، عن رجلٍ من كندة، يقال له ابنُ جبر الكندي، وكان في الوفدِ: **أن النبيَّ ﷺ صلّى على السكَاسكِ والسكونِ**، الحديثَ، ذكره الحافظ ابنُ حجر في «الإصابة» [٢/ ١٥٥]. وفي روايةٍ عن معاذ بن جبل: «**وحضرموت خير من كندة**»، رواه أحمد [«مجمع»: ١٠/ ٤٤].

وفي كتاب «أنساب العرب» لسلَمة بن مسلم العوتبي الصُّحاري [٢/ ٥١٤]، بإسناده إلى أبي قلابة قال: قالَ رسول الله ﷺ: «الأمانةُ في الأزد وحضرموت، فاستعينوا بهم» [أوله عند الترمذي: ٦/ ٢١٧].

وقالَ رسول الله ﷺ: «ألا أخبرُكم بخَيرِ قبائلِ العرب، السكونُ، سكونُ كندَة، والأملوك، أملُوكَ رَدْمان، وفرقٌ من الأشْعَرِيين، وفرقٌ من خَولان»، أخرجه البغويُّ [«كنز العمال»: ١٢/ ٩٠] عن ابن أبي نَجِيح، وأبو أحمد الحاكم، وأبو يعلى[1]. وعن أبي أمامة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إن من خيار الناسِ الأملُوكُ، أملُوك حِمْيَر وسفيان، والسكُون، والأشعريون»، أخرجه الطبراني في «الكبير» [٨/ ١٧٠].

وعن رجُلٍ من قيسٍ، يقال له أبو يحيى، بنحوه، إلا أنه قال: «وفرق من همْدان»، ولم يذكر خَولان.

وعن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال: صلى النبيُّ ﷺ على السّكُون والسكَاسكِ،

---

(١) «الآحاد» لابن أبي عاصم: ٤/ ٢٦٦؛ «الكنى» للدولابي: ١/ ١٧٣.

وعلى خَولان العَالية، وعلى الأملُوك، أملوكِ ردْمان، رواه أحمد في «مسنده» [٣٢/ ١٨٨]، ورواه الطبراني [«الشاميين»: ١/ ٣١٤]، ورجاله ثقاتٌ إلا عبد الرحمن بن يزيد، فلم أجد فيه تعديلاً ولا جرحاً، قاله الحافظُ العراقيُّ في «محجّة القُرَب في فضل العرب» [ص٢٠٦-٣٠٧]. وفي «تحفة الزمن» للحافظ الدّيبعي [ص ٣٤؛ «نثر»: ص ٥١]: «أخرجه الطبراني في معاجمه الثلاثة بلفظ: «**أعْلَى السكُون السكاسك**»(١)، الحديثَ».

وقال أيضاً [«محجة»: ص ٤٢٦]: «عن الشعبيّ قال: «**همدانُ هامَة اليمَن، وكندةُ كالشَّياهير**(٢) **في الرَّيحان**»، في حديثٍ مقطوعٍ بين الشعبيّ والنبيِّ ﷺ، ورجالُ إسناده ثقاتٌ».

وفي «مختصر تاريخ ابن عساكر» الجزء الأول [١/ ٢١٢؛ «التاريخ»: ٢/ ١٢٢]، طبع الشّام، مانصه: «قال كعبُ الأحبار: إنّ لله في اليمَن كنزين، جاء بأحدهما يوم اليرموك». قال ابن عساكر [٢/ ١٤٨]: «صدقَ كعب، كان فيها الأزدُ، ثلُثَ الناسِ، وفيه حميرُ، وهمدانُ، ومذحِجُ، وخَولانُ، وخثْعمُ، وكنانة، وقضاعة، وجُذام، وزبيدُ، وكندة، وحضرموت. وليس فيها أسد، ولا تميم، ولا ربيعة». قال ابن عساكر أيضاً [٢/ ١٥٣]: «قالوا: ولقلّما رُئي يومٌ أكثر منه رأساً ساقطاً، وعظماً نادراً، وكفاً طائرةً، من ذلك الموطن».

وعن معاذِ بن جبل رضي الله عنه، أنه قال: بعثني رسولُ الله ﷺ إلى اليمن، وقال: «**لعلك أن تمرَّ بقبري ومسجدي، وقد بعثتُك إلى قومٍ رَقيقة قلوبهم، يقاتلونَ على الحق**»، مرتين. «**فقاتل بمن أطاعك منهم من عصاك، ثم / يفيئونَ إلى الإسلام،** [١٣/ أ]

---

(١) هو عند الطبراني في «مسند الشاميين»: ص ١/ ٣١٤.

(٢) كذا رسمت الكلمة في الأصل، نقلا عن «نثر الدر المكنون»: ص ٥١. ولعل الصواب: «كالشاهسبرنب». كما في «جزء الحسن بن عرفة»: ص ٥١، حديث رقم ١٧؛ و«محجة القرب» للعراقي: ص ٤٢٦. وهو: الريحان، أو ملك الرياحين بالفارسية

حتى تذر المرأة زوجَها، والولد والده، والأخ أخاه، وانزل بين الحيَّينِ: السكون، والسكاسك»، رواه أحمد [٣٦/ ٣٧٦]، والطبراني [«الكبير»: ٢/ ٨٩]، ورجالهما ثقاتٌ، إلا أن يزيدَ بن قُطَيب لم يسمع من معاذ [«مجمع»: ١٠/ ٥٥].

نزول معاذ بن جبل وأصحابه بينهم وتعلمهم منه

قد سبق آخر البابِ قبلَه قوله ﷺ لمعاذ: «وانزل بين الحيَّينِ السَّكُون والسكاسك»، وقد ذكر الحافظ ابن جرير الطبري في «تاريخه» في سياق أخبار الدّجال الأسود العنسي، نزولَ معاذ بن جبل رضي الله عنه في السَّكون من كندة، وأبو موسى الأشعري في السكاسكِ، من رواية عبيد بن صخر، قال [٣/ ٢٢٩]: «وخرج معاذُ هارباً حتى مرّ بأبي موسى وهو بمأرِب، فاقتحما حضرموت، فأما معاذ فإنه نزل في السَّكون، وأما أبو موسى فإنه نزلَ في السكاسك، مما يلي المفور (؟) والمفازة، بينهم وبين مأرب»، ثم قالَ، بعد كلامٍ سيأتي في موضعه [٣/ ٢٣٠]: «فبينما نحن كذلك بحضرموت، ولا نأمن أن يسير إلينا الأسودُ، أو يبعثَ إلينا جيشاً، أو يخرج بحضرموت خارجٌ يدّعي بمثل ما ادّعى به الأسودُ، فنحن على ظهر، تزوج معاذ إلى بني بكرة، حي من السكون امرأةَ أخوالها بني زنكبيل، يقال لها رملة، فحدَبوا، لصِهره، علينا. وكان معاذُ بها معجباً، فإن كانَ ليقول فيما يدعو الله به: اللهم ابعثني يوم القيامة مع السكون، ويقول أحياناً: اللهم اغفر للسكون».

وفي النسخة التي لديَّ من «تاريخ عدن» للفقيه المسند المحقق المؤرخ، محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن أبي مخرمة: «فصلٌ منقول من قلمِ العلامة عبد الله بن عمر بامخرمة، قال في أثنائه عن الجنَدي [١/ ٨٢]: وكان معاذُ يتردد بين

مخلافَي الجنَد وحضرموت، وعنه أخذ جماعةٌ من أهلها، وصحبوه، وتفقَّهوا به، وخرجوا معه إلى الحجازِ، ثم إلى الشام، وكان عمرو بن ميمون الأوْدي، وأصله من حضرموت، من خواصّ أصحابه، فروي عنه أنه قال: قدم علينا معاذ من عند رسول الله ﷺ طريقَ البحر، فعارَضْته بالتكبير والتهليل، وكان حسَن الصوت، فألقيتُ عليه محبتي، وصحبته، ولم أفارقه حتى حثوتُ عليه الترابَ بالشام». اهـ.

مآثر حضرمية ومخلافية

اعلم أن لحضرموت فضائل متعددة، جاهليةً وإسلاماً، فمنها: أن كان بها من الأذواءِ: ذوحماد، وذوجدَن، بطنان يعود نسبهما إلى الحارث بن حضرموت بن سبأ الأصغر، ومن ولد سبأ بن الحارثِ، وآل صباح، من ولد ذورعين، أجماد بن الحارث بن حضرموت، وبنو شبيب بن حضرموت، وآل الهـَزِيل بن فهد، ينتهي نسبُهم إلى ناعمة بن الغوث بن عبد شمس الحميري، كان من ذريته ملوك شبام، وفَهد، وكان من ذريته ملوكُ تريم، نسبهم يعود إلى فهدِ بن القَيل بن يصفر بن مرة بن حضرموت بن سبأ الأصغر. ومنهم: رؤساء الحروب بينهم وبين كندة، حين هجمت على حضرموت، منهم مسعر بن مستعر، وسلامة بن حجر، وشراحيل بن مرة، وعدّة بعد هؤلاء.

ثم علقمة بن ثعلب، وسيأتي ذكر ذلك مع ذكر ملوك كندة بنجدٍ، وغيره. ومنهم النعمانُ القَيل.

وكان بها سوقانِ تأتي إليها العربُ من أقطارها: سوقٌ بالأسعاء وسوقٌ بالرابية، بوادي العين. وكانت لها مدنٌ، بمنزلة محطاتٍ للتجار والقوافل، كالأسعاء (الشحر)، وشبام، وشبوة، وعكرمة، برَيدة الديِّن. وكانت سواحلُها مراسيَ للمراكب التي تأتي

بطرائف البضائع والصنائع من بلاد الهند وجزائر الصين، وإليها كانت تفدُ القوافل التي تحملها إلى سبأ، والشام، والعراق.

وكان بها ملوكٌ في الزمن القديم، لهم شهرةٌ في التاريخ، وتلاهم ملوك كندةَ في مواضع من بلاد العرب. وكان منها أبعدُ الناس غارةً، وهو شراحيل الجعفي، الذي قال فيه النابغة الجعديّ في قصيدته الرائية، وهي من المشُوبَات:

أرحنا معَدًّا من شراحيلَ بعْدما ... لواهَامع الصُّبحِ الكواكبَ مظهرا[1]

/ وكان منها قوائدُ القبائل الحضرمية والكندية في الحروب التي قامت بين [١٤/أ] مضر وأهل اليمن في الجاهلية. ومنها مرّت عصائبُ الأزد إلى عمان، وأقوامُ مهرة إلى ظفار، حتى تفرقت عن سبأ، كما ذكره ابن الكلبي. وكانت مشهورةً بتجارة الخيل، وبالمهَارَى الجيدة، وجودة النسج، وحَذْو النعال، وصنع الطّيبِ الجيد.

وينسب إليها أشهر شعراء الجاهلية: امرئ القيس، جندح بن حجر، وأشعرهم في الإسلام، أبو الطيّب، أحمد بن الحسين الجعفي المتنبي. ومنها مَن كان فداؤه ثلاثةَ أضعافِ فداء الملوك، وهو الأشعثُ بن قيسٍ، فدى نفسَه بثلاثة آلافِ ناقةٍ، وإنما كان فداءُ الملوك ألفَ ناقةٍ.

وكانت البلادُ قبل خرابِ السدِّ بسبأ، منظومةَ قرًى من حضرموت إلى سبأ، يتراءَى بعضها نار الأخرَى، حتى لقد ولد لحصَصِ بن حصصٍ بسبأ ولدٌ، فوصلَ الخبر إلى حضرموت في ليلةٍ، كانت كل قرية تنادي الأخرى بالخبرِ، وبينها وبينَ سبأ ثمانية أيامٍ، قاله في «النور السافر» [ص١٠٦-١٠٨].

ومن فضائلهم: أنه وفد من بلادهم على النبي ﷺ عدةُ وفودٍ منهم، جماعاتٌ

---

(١) كذا في الأصل، وفي بعض المصادر: أراها، وبعضها: أراهم.

وأفراد. كوفد كندة مع الأشعث بن قيس، ووفد حضرموت مع ملوك كندة الأربعة، ووفد تجيب من الكسر، ووفد الصّدِف من دَوعن وجبالها، ووفد جُعفي من جردان. ومن الأفراد: وائلُ بن حجرِ الحضرمي من شبْوة، وكُلَيب البقيلي التّنْعي من وادي تَنْعة، من مسفلة حضرموت، والنعمان، وهو الأسود الكنديّ من نواحي عِزْما وجَردان، وربيعة بن مرْحَب الحضرمي.

كما وفد من المخاليف التي تجاورُها وفـودٌ، فمن الأفرادِ: ذهبَنُ بن قرتم المهري، وأبيض بن حمالِ السبأي المأربي، ومـالك بـن عبد الله بن الذؤيـب الجعفي، وأبناء عبد الرحمن وسبرة مـن جردان. ووفدُ صُداء من مَرْخة وحـورة ووديانها، وآل عَوذالله وأود، وإخوانهم سعد العشيرة، ومن ذيتهم: العوالق، أهـل الكَور والوِذْيان. ووفدُ رُهَاء، من مخلافِ يحاذي جبلَ يافع، مما يلي النّخْع. ووفدُ النّخْعِ من جبال النّخْع، والمراقشة، وأبين، ووفدُ النسيِّينَ مـن مَرْخة، من أنس الله ابن سَعد العشيرة.

فكثُرَ الصحابةُ في هذه الجهاتِ، ونالت قسماً عظيماً من البركة والنورِ والهدى التي أرسل الله بها محمداً، ﷺ، رحمة لعباده. ولذلك ظهر فيهم من المجاهدين في سبيل الله، والغزاة إلى الأقطار البعيدة، والقضاة، والمحدثين، والرواة، وأمراء الجيوش والبلدانِ، ما سنشير إلى بعضه من غير استقصاءٍ، لأنا لو استقصينا ذكر المحدّثين والرواةِ فقط، وأوردنا تراجمهم، لاقتضى ذلك مجلداً وسطاً، فكيف بما سوَى ذلك. فالقبائل الحضرمية وذرياتها في الأقطار الإسلامية بعد الفتوح انتشر لها ذكرٌ، وظهَر فيها نجباءُ في الغزو والجهادِ، وفي الإيالة والسياسة، والإمارة، وفي الفقه، والحديث، وأنواع العلوم.

[ظهور الخوارج في حضرموت سبب انحدار حضارتها]

ولولا ما اعتراها من العُقْمِ وقلة الخيرِ، بسبب ظهور الخوارج بها، في أوائل القرن الثاني من الهجرة؛ لظهر فيهم من تلكَ العصور من النجباء والعلماءِ أضعافَ أضعافِ ما وصلوا إليه في القرن الأول، فقد فات على حضرموت أكثر من قرنين من القرون الثلاثة، التي هي خير القرون، كما في الحديث الصحيح. وهي التي أزهرت وأثمرت فيها حضارة الإسلام، وامتلأت فيها أمصار المسلمين علماءَ، وأدباءَ، ومؤلفينَ، ولكن انخزلَ عنها القطرُ الحضرميُّ، يحول دون امتزاجه بسَائر الأقطار الإسلامية وأمصارها، نيرانٌ من الفتن، يؤجّجها الخوارج، كلما طفئ منها جانبٌ أشعلوا منها جانباً، وآوى إليها من جهات الأرضِ كلّ طريدٍ منافقٍ، مدخول العقيدة، جاف الطبع، معجَبٍ برأيه، متبعٍ لهواهُ من شياطين الخوارج كلاب النار، وشر الخلق والخليقة، فخَدعُوا فريقاً من الحضارم، وحملوهم على من بقيَ، فأغووا فريقاً، وامتهنوا فريقاً.

وكانت الأمصار الإسلامية تزخر بالغِنَى والثروة والتجارة وأموال المغانم والفتوحات الإسلامية، يرنّ صداها في الخافقينِ، فحُرِمَ الحضارمُ من ذلك كله، وتعرضوا لكراهة العالم الإسلاميّ لهم، بما فعلوه في الحرمين الشريفينِ، إذ قتلوا أبناء المهاجرينَ، وأبناء الأنصارِ، الذين دعا لهم رسول الله ﷺ، وأخافوا أهل المدينة، فلا جرمَ أن الله أذابهم كإذابة الملحِ، فلم يعد من أقوامهم تلكَ إلا القليلُ.

ثم كانت هذه الأعمالُ سبباً للهجوم على حضرموتَ وأهلها مراراً، من جيوش بني أمية وبني العباس، فوقعَ فيها من القتل والمحَنِ ما يطولُ / وصفه، ومن [١٥/أ] العجَب أن فتنة الخوارج هذه نبعتْ من تحت قدم رجُلٍ من فخيذةٍ بني شَيطان من

كندة، كما أن ردّة كندة في أول الإسلام، ومن تبعَهم، كانت بسبب بكرة شَيطان، فكلٌ له من اسمِه نصيبٌ.

ما ورد في خروج النار العظيمة منها آخر الزمان

هذا من أشراط الساعة التي وردت بها الأحاديث الصحيحة، وإنما يكون ذلك عند فساد الناس، واندراس الدين، وظهور الفسوق، وقلة الغيرة، وإباحة فروج النساء، كما ظهر الآن في أقطار شتّى، ووضعوا لذلك أسماء حسنةً، فقالوا: حرية، ومدَنية، وحضَارة، وتمتع. ووضعوا للغِيرةِ، وصون الأحساب، وحفظ الأنساب، وصيانة النساء، ألفاظاً بشعةً، فقالوا: تعصباً، وخشونة، وتوحشاً، وبربرية، ورَجعية، يعنون بقولهم رجعية: أي الرجوع إلى التمسك بالحياءِ، والدين، والشرف.

ولا يستبعَدُ أن يبتدئ انتشار ذلك في مستقبل الزمانِ في حضرموت، فإن طبيعةَ حضرموت القاحلةَ ترغمهم على معاودة الأسفارِ، ومخالطة الأمم المختلفة، كما خالطوا الفرْس قديماً حتى تمجّس بعضُهم، مع التباين العظيمِ بين طبيعة العربي المبنية على الغِيرة والألفة، وبين التمجّس والمزدكيّة المبنية على الدّياثة وفقد الغيرة.

ولكن جاءَهم ذلك من مخالطتهم للفرس، فقد كان للفرس ستةَ عشر أميراً على مواضعَ من بلاد العربِ، منها الأحساء، وعمان، وحضرموت. يجبي أحدهم البلادَ ويحكمُها، يقال له أسبيختْ. وكانوا يجبونَ سوق المهرةِ، وسوق الأسعاءِ (بندر الشحر وما حواليه)، كما سيأتي ذلك في موضعه.

ويوجد في جزيرة واقَ واق، التي أطلقَ عليها الإفرنج اسم «مداغسكر»، صنفانِ من الناس، أحدهما يشبه جنْسَ الجاويين، حتى أن أسماء العَدد عندهم

باللغات الجاويةِ، وكذلك كلامهم، فإنه مؤلفٌ من لغة الجاويين والسّوندا، ونحو ذلك. وثانيهما أشبهُ شيء قاماتٍ ووجوهاً وسحنةً بسكان سواحل حضرموت. فكأنه، والله أعلم، كانت هذه الجزيرة مثابةَ أهل الشرق، من جزائر جاوه، وما والاها، ومثابةَ سكان سواحل حضرموت، يترددون إليها جميعاً للتجارة. واستقر بعضهم بها وتوطنها. ووقع نحوُ ذلك في جزائر (ذئبة المهل)، ولعلها تسمى الآن (مالديف)، محرّفة عن (مُهْل ذِئْب)، وسيأتي ذكر ذلك. فالحضرمي بطبيعته حلفُ أسفارٍ، وقد يدخل عليه بسبب ذلك عوائدُ وأخلاقٌ ليست من عوائد العَرب ولا أخلاقهم، ومصداقُ ذلك ما نراه من تدهورِ أخلاقِ بعض الجوالي العربية بجاوة، وما والاها، أما أبناؤهم الذين ولدوا بتلك البلاد ونشئوا بها، فحدّث عنهم ولا حرجَ، إلا من عصمَ الله، وقليلٌ ما هم.

فيحتملُ أن يكون سببُ تغير حالهم في حضرموت آخر الزمانِ هو لما ذكرناه، أو مع أسباب أخرى لا نعلمها. وحينئذٍ يأتي مصداقُ ما أخرجه الطبراني وابن عساكر [٦٤/٢٦٧]، عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لتقصُدَنكم نارٌ هي اليومَ خامدة، في وادٍ يقال له برْهُوت، يغشى الناسَ فيها عذابٌ أليم، تأكل الأنفُسَ والأموالَ، تدور الدنيا كلها في ثمانية أيام، تطير طيرَ الريح والسحابِ، حرُّها بالليلِ أشدّ من حرّها بالنهار، ولها بين السماءِ والأرضِ دويٌّ كدويّ الرعد القاصف، هي من رؤوس الخلائقِ أدنى مِن العرش»، قيل: يارسول الله، أسليمة هي يومئذٍ على المؤمنين والمؤمنات؟، قال: «وأين المؤمنون والمؤمنات! يومئذٍ هم شرٌّ من الحمُر، يتسافَدُون كما تتسافدُ البهائم، وليس فيهم رجل يقول: مَهْ، مَهْ».

وقوله: «تدور الدنيا كلها في ثمانية أيام»، لعل هذا وهمٌ من بعض الرواةِ، فإن الصحيحَ هو ما جاءَ في الروايات الصحيحَة الآتية: «أنها تسيرُ سير الجمل الكبير»،

وأصلُ الحديث في «الصحيحين»، ففي «صحيح مسلم» [٤/ ٢٢٢٥] عن حذيفة بن أسيد الغِفاري قالَ: اطّلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: «ما تذاكرون؟»، قالوا: نذكر الساعةَ. قال: «إنها لن تقوم حتى ترون فيها عشر آيات»، فذكر: «الدخَانَ، والدجّالَ، والدابةَ، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم ﷺ، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوفٍ: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخرُ ذلك / نار تخرج من اليمَن تطرد الناس إلى محشرهم». وفي رواية [/١٦] أخرى بلفظ: «ونار تخرج من قعرة عدن ترحّل الناس»، قال شعبةُ وأحسِبه قال: «تنزلُ معهم إذا نزلوا، وتقيلُ معهم حيث قالوا».

قال الحافظُ السيوطي في «المرقاة على المشكاة»: «قعر عدَن: أي أقصى أرضِها».

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قالَ: قال رسول الله ﷺ: «ستخرجُ نارٌ من حضرموتَ»، أو قالَ: «من بحر حضرموتَ، قبل يومِ القيامةِ، تحشُر الناس»، قالوا: يا رسول الله، فما تأمرنا؟ قال: «عليكم بالشام»، رواه الإمام أحمد في «مسنده» [٨/ ١٣٤]، والترمذي في «سننه» [٤/ ٦٨]، وقال: حديثٌ حسن صحيح.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي قال: قالَ رسول الله ﷺ: «تبعث نار على أهل المشرقِ، فتحشرهم الى المغرِب، تبيتُ معهم حيث باتوا، وتقيلُ معهم حيث قَالُوا. يكون لها ما سقطَ منهم وتخلف، تسُوقهم سَوقَ الجمل الكَسِير»، رواه الدارقطني في «الأفراد»، والطبراني في «الكبير» [١٣/ ٥٩٧] و«الأوسط» [٨/ ٩٩]. قال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» [٨/ ١٢]: «ورجاله ثقات». ورواه الحاكم في «المستدرك» [٥/ ٩].

وعن عبد الله بن سلام عن النبي ﷺ: أنه سئلَ، عن أول أشراط الساعة. فقال النبي ﷺ: «إن أولَ أشراط الساعةِ نارٌ تخرج من المشرقِ، وتحشرهم إلى المغرب»، رواه الطبراني في «الأوسط» [١/٥٧]، ورجاله رجال «الصحيح»، قاله الحافظ الهيثمي في «المجمع» [٨/١٣].

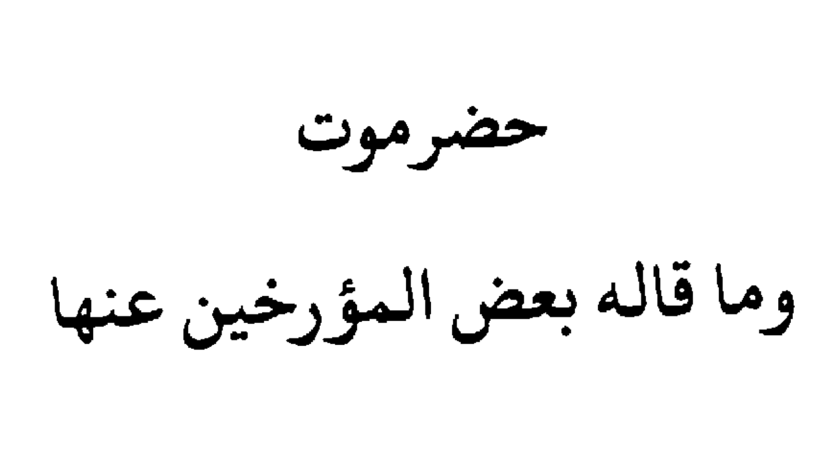
وأخرج ابن أبي شيبةَ [«المصنف»: ٣٨٤٧١]، والبخاري في «صحيحه» / في باب [٤/ ١٦٠] الهجرة، وباب الرقاق، وابن مردويه: أن عبد الله بن سلام قال: يارسول الله، ما أول أشراط الساعة؟ قال: «نار تحشُر الناسَ من المشرق إلى المغرب».

وهذه النارُ الموعودة نارٌ تخرج بغتةً من الأرض، إما من موضعٍ واحدٍ، أو من مواضعَ متعددةٍ، وقد رأى السائحون من الإفرنج في أطراف رمالِ وَبار آثاراً يحتمل أن تكون من وقوعِ رجومٍ، أو من آثار أطماتٍ (براكين) كانت ثائرةً ثم خمدت. ونفَى بعضُهم أن يكون الغارُ العظيمُ بوادي برْهُوتَ كان من منافِسِ أطمةٍ نارية، ولكن لا ينبغي أن نسارع إلى تصديق أمثالِ هذا النفي المطلقِ، فإنّ فوقَ كل ذي علمٍ عليمٌ.

والمؤرخُ المسعودي ذكر في «مروج الذهب» أطمةَ برْهُوتَ في مواضعَ [١/٢٠٩؛٢/٦]، وهو ممن تردد إلى سواحل حضرموت، فيبعد أن يفتريَ هذا القول، مع أنه ورد في بعض الروايات: أنها تخرج من وادٍ يسمى برهوت، وهي الآن خامدة، ولم يبلغنا أن أحداً استقرأ جميع وادي برْهُوت وجباله وقُننه، فلعل فيها ما هو أشدّ دلالةً على ماذكر المسعودي وغيره، من ذلك الغارِ المعروف. وربما أن يكون ذكر وادي برهُوت في تلك الرواياتِ للتبيينِ، لا للتعيين، أي لتبيين جهة خروج النار، لا تعيين وادي برهوت خاصةً. على أنّ الروايات الصحيحة التي ذكرناها لم يذكر فيها وادي برهوت.

ثم لا يستبعد أن يكون في رِمال وَبار التي لم يطرقها السائحون أطُماتٌ فيها نارٌ، فإنه قد يطرق حضرموت في بعض السنين دُخان كثيف كالسّحاب، يأتي من الناحية الشمالية، ولا تصحبه إلا ريحٌ خفيفةٌ، فيظلم له الجو بقتامٍ كثيف، وتصير معه الشمسُ ضعيفةَ الضياء، ويمكث أياماً ثم ينجلي، وهو غير ما يكون هناكَ أيام مجيء الأمطارِ، فإن الرياح قد تحمل غباراً من المواضع الرملية يبلغ عنانَ السماء، ويصل إلى أعالي الأودية، ومنهم من يسمّي ذلك (النّفْلة)، بفتح النون وسكون الفاء، فلا يبعد أن يكون نوعُ القتام والدخان الذي ذكرنا، الذي يأتي من الناحية الشمالية، أصلُه من دخان بعض الأطمات النارية بوَبار عند ثورانها. ولكن يعكّر في وجه الاحتمال أنا لم نسمع من أحد من البوادي القريبة منها خبراً يدل على شيء من ذلك، ولكن بلغَنا أنه يوجد في القارة المسماة (حَبْشية)، فوق صَيقة سنا، بطرف غيل بن يُمَين بناءٌ بحجارةٍ فيها كتاباتٌ، وعندها كهيئة البئر، فربّما أن يكون ذلك فوهة أطمة (بركان).

* * *



حضرموت

وما قاله بعض المؤرخين عنها

عَبْدَل

هذا هو اسمُ حضرموت القديم، ذكره صاحب «القاموس» في مادة (ع ب د)، وقال الشارح [٨/٣٤٣]: «قال الصاغاني: واستدركه/ الشّارح عليه في مادة [١٧/١] عبدل». ولكنه قال: «عبدل: اسم مدينة حضرموت القديمة، ذكره المصنف في (ع ب د)». وفيه مخالفة لما ذكره صاحب «القاموس» في مادة (ع ب د)، ووافقه عليه الشارح هناك. وعبدل، إما ان يكون اسمٌ مرتجل، أو بمعنى: عبد، واللام زائدة، قال في «القاموس» و«شرحه»: «العبد: الإنسانُ، حرًّا كان أو رقيقاً، والعبد المملوكُ، كالعبدل، اللام زائدةٌ كما صرّحوا به»، اهـ بحذف، فهو في الأصل: اسم رجل أوقبيلة سُمّي بها هذا القطر.

وربما كان أصلُه: (عبدإل)، بإضافة (عبد) إلى كلمة (إل) فخفّف، و(إل) و(إيل) من أسماء الله، ذكره أكثر العلماء، وإن خالف فيه السهيلي، وقالوا: جَبرإل، لغةٌ في جِبريل، اسم الملك الموكل بالوحي. وفي أسماء ملوك حضرموت القدماء ما هو مضاف إلى (إل)، مثل: يدع إل، ملك حضرموت، وهو أب إل ريام بن يدع إل، ملك حضرموت بعد أبيه، ويدع إل بَين، ملك حضرموت، والد رَبْ شمس، ملكها أيضاً، وهو أخو إل رِيام يدم، ملك حضرموت، بن يدع إل بَين، ملك حضرموت. ومنهم: يدع إل بَين، ملك حضرموت، بن رب شمس.

و(رَبْ) هَذا بمعنى: صاحب، و(شمس): اسم صنمٍ قديم. قال في «القاموس» و«شرحه» [١٦/ ١٧١]: «شمس: صنمٌ قديم لهم، ذكره ابن الكلبي».

وقد استندنا هذا من النقوش المسنَدية التي نقلها المستر عبد الله فلبي، وهي تنطق بوجود محافدِ لهم، أي ضَرائح، على قاعدتهم في الزمن الأول. وقد صارت ضجةٌ عظيمة للعثور على محافِد هَجَر بمَرْخة، وحصل أهلها على ذهبٍ كثير، وحُليّ، وآنية، وصور، بعضُها من ذهبٍ، وأكثرها من رُخَام، وذلك سنة ١٣٣٥، وسنذكرها في فصل خاص بما تلقينا أخبارها عن أهلها اللّذين نقبوا فيها، وما وصل إلينا وشاهدناهُ من آثارها.

وممن سمى حضرموت (عبدل)، المؤرخ الشهير، ابن خُرْدَاذْبه، فانه قال عند ذكر السكك بين مخاليفِ اليمن مالفظه [ص١٤٣]: «وبين مأرب وصنعاء سبعُ سككٍ، وبين ومأرب وعبْدَل، وهي حضرموت، على الإبل تسعُ سكَك».

❊ ❊ ❊

وادي الأحقاف

هذا الاسم اشتهر في الزمن الأخير، وأما الأحقاف فقد قال الله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ ﴾[الأحقاف: ٢١]، والمراد بالأحقاف: جبالُ الرمل الموجودة في الرّمل، المعروف بالبحر السّافي، شماليَّ حضرموت، أضيف وادي حضرموت إليها لقربه منها. وليس في حضرموت أحقاف رملٍ، كما يتوهّم ذلك من لايعرفها، فإن حضرموت جبلٌ متصل بجبال اليمن الجنوبية، يشرف جنوبيّه الغربي على البحر، وشماليّه وغربيّه الشماليّ على رملِ الأحقاف.

فإذا علوتَ هذا الجبل، الذي هو مخلافُ حضرموت من ناحية البحر، أو من ناحية رملة صَيهَد، وقعتَ في ضَهر الجبل، أي: جَوله، وهي صَحاري جبلية متتابعة مسافةَ ثلاثة أيامٍ، وأربعة وخمسةٍ في بعض المواضع، للراكب المبعِد.

وتشق هذا الجبلَ أوديةٌ تأتي من ناحيته الجنوبية غالباً، ويلتقي بعضُها ببعض، فيتسع لها الوادي شيئاً فشيئاً، كلما انحدر إلى الناحية الشمالية، ثم الشرقية، وهذا هو المسمّى بوادي حضرموت.

ثم تطلع من الوادي إلى صحاري الجبل الشمالي، المسمى بالنّجْد، وهو نحو ثلاثة أيام، وبعد ذلك حزمٌ، ورمل، وقُور صِغار، بينها أشجار المرْخ ومايماثلها من من الأشجار، والمياه بها قليلة، إلاحسي تميس بنجد العوامر، ومافي طرف رَيدة الصَّيعر ممن بثار، وإذا نزلت الأمطار أخصبت المواضع بالزّهر وأنواع النباتِ للإبل والغنم، وربَعت بها العرب وأخصبوا. ثم يلي ذلك كثبان الرمل المهيلة، وأحقافه

الهلالية الشكل، وجباله الممتدة، وأما أودية جبل حضرموت الغربية، فتسيل إلى رمل صيهد، كما تسيل إلى الساحل بعضُ الصحاري (الجيلان) القريبة منه.

قال في «القاموس» مع «الشرح» [١٥٦/٢٣] ما ملخصه: «الحقف، بالكسر: المعوج من الرمل، جمعه أحقاف / وحِقاف. أو الرّمل العظيم المستدير، [١٨/] والمستطيلُ المشرف، أو هي رمالٌ مستطيلة بناحية الشحر، وبه فُسّر قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾. قال الجوهري: وهي ديار عادٍ، وقال ابن عرفة: قوم عاد كانت منازلهم في الرمال، وهي الأحقاف. وروي عن ابن عباس: أنها واد بين عمان وأرض مهرة. وقال ابن إسحاق: الأحقاف رملٌ فيما بين عمان إلى حضرموت. وقال قتادة: الأحقاف رمال مشرفة على هجَر بالشِّحْر من أرض اليمن. قال ياقوت: فهذه ثلاثة أقوال غير مختلفةِ المعنى»، اهـ. وهذا هو الذي يطلقُ عليه علماء العرب لفْظ: أرض وَبار، غالباً.

ولا يتوهمنّ أحدٌ أن منازل عاد كانت رملاً، فإن الرمل لاتكون فيه عيونٌ جارية، ولا جنات، ولا مصانع، وإنما طغى عليها الرّمل بعد ذلك، وكانت قبل ذلك أرضاً متسعةً طيبةً، ذات عيون جارية، وجناتٍ، وخِصْب، كما أخبرنا الله في كتابه، وللقول بقية ستأتي في موضعها، إن شاء الله تعالى.

***

حَضْرَمَوتُ
وما قاله بعضُ المؤرخين عنها

هذا هو اسمُها المشهور، وهو المكتوب على الأحجار بالخط المسند، وهم يكتبونه هكذا (حضرمِتْ)، على عادتهم في حذْف حروف اللِّين من الكتابة، كما جاء في رسْم المصحف حذف الألف في ألفاظ كثيرةٍ، كالرحمن، سليمن، إسمعيل، إبرهيم، ونحو ذلك. وأهلها ينطقون بها على وزن (عنكَبُوت)، لا كما يقوله أهل اللغة و النحويون، قال ياقوت في «المعجم» [۲/۲٦۹]: «حضرموت: بالفتح ثم السكون وفتح الراء والميم: اسمانِ مركبانِ، طولها إحدى وسبعونَ درجةً، وعَرضها اثنتا عشرة درجة»، وبعد أن ذكر أوجه إعرابها، قال: «ومنهُم من يضم ميمَه، مخرج عنكبوت، وكذلك القولُ في (سُرَّ من رأى)، و(رامَهرمُز)، والنسبة إليه: حضرمي، والتصغير حُضَيرموت، تصغر الصدر منهما، وكذلك الجمع، يقال: فلان من الحضَارمة، مثل: المهالبة.

وقيل: سُمّيت بحاضرميت، وهو أول من نزلها، ثم خُفّف بإسقاط الألف، وقال ابن الكلبي: اسم حضرموت في التوراة حاضِرْميت. وقيل: سُميت بحضرموت ابن يقطن بن عامر بن شالخ. وقيل: اسم حضرموت: عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن يقطن بن عامر بن شالخ.

وقيل: اسم حضرموت: عمرو بن قيس بن معاوية ين جشم بن عبد شمس ابن وائلة بن الغوث بن قطن بن عُرَيب بن زهير بن أيمن بن الهمَيسع بن حمير بن

سبأ. وقيل: حضرموت اسمه: عامر بن قحطان، وإنما سمي حضرموت، لأنه كان إذا حضر حرباً أكثر فيها القتلَ، فلُقِّب بذلك، ثم سُكِّنت الضاد للتخفيف. وقال أبو عبيدة: حضرموت بن قحطان، نزل هذا المكانَ فسُمِّي به، فهو اسمُ موضعٍ، واسم قبيلة». اهـ. وربما أن هذا الاسم مأخوذ من قولهم: حَضْرم، إذا لحنَ في كلامه، وخالف الإعرابَ، والحضرمة: اللُّكْنة. وبذلك وصفَهم المؤرخون.

* قال شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البنّاء، الشامي المقدسي، المعروف بالبِشَاري، في كتابه «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم»، المطبوع بليْدِن، بمطبعة بريل، سنة ١٨٧٧ مسيحية، ذكر فيه: أنه ألفه سنة ٣٧٥ [ص٨٧]: «وحضرموت هي قصبة الأحقافِ، موضوعةٌ في الرمال، نائيةٌ عن الساحل، أهلها لهم في الخير رغبةٌ، إلا أنهم شُراةٌ، شديدةٌ سمرتهم. والشحر مدينةٌ على البحر، معدن السمك العظيم، يحمل إلى عمان، ثم إلى البصرةِ وأطراف اليمن، وثَمَّ أشجار الكندر، صمغها». ذكر هذا في (صفحة ٧٠)، ومراده بالكندر: اللبان، وعدّد في (صفحة ٨٨ و ٨٩) مخاليفَ اليمن، فذكر: مخلاف شبوة، وصُداء، وجُعْفى، ثم ذكر مخاليف يمنيةً أخرى، ثم عادَ فقال: «مخلاف حضرموت»، وذكر مخلافين آخرينِ، ثم قال: «ومخلاف أحور».

وصنيعُه هذا يدل على أنه لم يعدَّها مرتبةً. وفي (صفحة ٩٢) عدَّ المخاليفَ التي خلف ظهْر صنعاء، فذكر منها: مخلاف مسبح. (هكذا في الأصل: مصحف، وصوابه: مسبح، وهي أرض المشقاص، فإنه كان معروفاً بمسبّح، ولذلك يقال لأقصى / قرية: وذْرَة مسبح)، مخلاف كندة والسّكون، مخلاف الصدف. [١٩/] ثم ذكر لغات أهل الجزيرة العربية، إلى أن قال: «وجميع لغات العرب موجودةٌ في بَوادي هذه الجزيرة، إلا أن أصح لغة بها هُذيل، ثم النجْدين، ثم بقية الحجاز، إلا

الأحقاف، فإنّ لسانهم وَحِشٌ». ومراده بالأحقاف: مهرة وحضرموت، كما يدل عليه قوله السابق: «أن حضرموت هي قصبة الأحقاف». وقال في (صحيفة ١٠٣): «وأهل الأحقاف نواصبُ غُتْمٌ»، ولا شك أنه خلط أهل حضرموت بمَهرة، كما خبَط في البلدين خبطاً شنيعاً.

* وفي الجزء المطبوع من كتاب «المسالك والممالك»، لأبي القاسم عبد الله ابن عبد الله بن خُردَاذْبة، مولى أمير المؤمنين، من النسخة المطبوعة بمطبعة برِيلْ بمدينة ليدِن، سنة ١٣٠٦. بعد أن ذكر مخلافَ جوف همدان، وجَوف مراد، قال: «ومخلاف شبوة، وصُداء، وجعفي»، قال: «ومن صنعاء إلى صُداء وجعفي وشبوة: ٤٢ فرسخاً، ومخلاف حضرموت بينها وبين البحر رمالٌ، ومن صُداء إليها ثلاثون فرسخاً، فمن صنعاء إلى حضرموت ٧٢ فرسخاً». وذكر مخلاف دَثِينة، ومخلاف سَرُو، وبحذائه مَرْسى الحَيرج.

ثم عدّد المخاليفَ من صنعاء إلى عدن فما بينهما، وبينهما ٦٨ فرسخاً، ثم ذكر مخاليفَ أخرى، منها: مخلاف كندة والسكون، ومخلاف صَدِف، ولما ذكر سكك البريدِ، قال في (صفحة ١٤٣): «وبين صنعاء ومأرب: سبعُ سككٍ، وبين مأربَ وعبدل، وهي حضرموت، على الإبل: تسعُ سككٍ».

وقال في صفحة ١٤٤: «ووُجِد في ديوان الخراج، لبعض عمال اليمن، لجبايتها: ستمئة ألف دينار، وهذا أكثر ما ارتفع منها في هذه الدولة، وكانت أعمال اليمَن في الإسلام مقسومةً على ثلاثة ولاةٍ، فوالٍ على الجنَد ومخاليفها، وهي أعظمها، ووالٍ على صنعاءَ ومخاليفها، وهي أوسطها، ووالٍ على حضرموت ومخاليفِها، وهي أدناها».

* وقال أبو محمد، الحسن بن يعقوب بن يوسف بن داود الهمداني في كتابه «صفة جزيرة العرب» [ط. بريل، ص٨٥]: «حضرموت من اليمن، وهي جزؤها الأصغر،

نُسبت هذه البلدة إلى حضرموت بن حمير الأصغر، فغلب عليها اسم ساكنها، كما قيل: خيوان، ونجران، لأن هؤلاء رجالٌ نسبت إليهم المواضعُ، وكذلك سُمّي أكثر بلاد حمير، وهمدان، بأسماء متوطنيها». اهـ.

وقوله: «بن حمير الأصغر»، قد بيّنه في موضع آخرَ، فقال: «حمير في قحطان ثلاثةٌ: الأكبر، والأصغر، والأدنى. فالأدنى: حميرُ بن الغَوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زد بن سدد بن زرعة، وهو حمير الأصغر، بن سبأ الأصغر بن كعب بن سهل بن زيد بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَم بن عبد شمس بن وائل ابن الغوث بن حذار بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسَع بن العرنجج، وهو حمير الأكبر، بن سبأ الأكبر بن يشجب». وقال عند تفصيلِ لُغَات أهل الجزيرة العربية، ما لفظه: «أهل الشحر والأسعاء ليسُوا بفصحَاء، مهرةُ غتمٌ، يشَاكلون العجم. حضرموتُ ليسوا بفصَحاء، وربما كان فيهم الفصيح، وأفصحُهم كندةُ وهمدان، وبعض الصّدِف».

* وقال العلامة الفقيه، المسند المتفنّن، عبد الله بن الحسين بن عبد الله بلفقيه، الشريف الحسيني باعلوي، في «فتاويه»، كما نقله عنه العلامة الفقيه، العابد المحقق، عبد الرحمن بن حسين المشهور، الشريف الحسيني باعلوي، في كتابه «بغية المسترشدين» [ص ٣٠٠]: «حضرموتُ مخلافٌ من مخاليف اليمن الأسفل، والمخلافُ: القطعةُ من الإقليمِ، مشتملةٌ على بلدانٍ، ومدُنٍ، وقرًى كثيرةٍ مشهورة بالخير والصلاح.

وأعظم مدنها: تريم، وشبام. وحَدّها من جهة الساحل: عين بامعبد، وبروم، والشحر، ونواحيها، إلى حدّ أرض المهرةِ الفاصلِ بينه وبين أرض الظنّي التميمي، على مقابلة المكَان المسمّى يديعوت، وهو الذي يحمَل المشقاص عليه، ومن

جَرْدان ونواحيها إلى تريم وقبر هودٍ عليه السلام، فلا تدخل ظَفار، وكذا مهرة / [٢٠/أ] إلاما حاذَى أرض الظنّي، غربيّ أرض مهْرة.

واختلف في تسميتها بحضرموت؛ فقيل: إن صالحاً عليه السلام لما هلكَ قومه سافر بمَن معه من المؤمنين، فلما انتهى إليه ماتَ، فقيل: حضرَمَوتُ. وقال المبرّد: إن حضرموت لقبُ عامرٍ، جدّ اليمانية، كان لا يحضر حرباً إلا أكثر فيه القتل. وذكر الغسّاني: أن حضرموت ابنُ سبأ الأصغر، فمن ولده: الحارث، وفُوّه، وسَيبان، وربيعة، وتريم، وشبام، وسبأ. وأكثر قبائل حضرموت من ولد سبأ الأصغر، إلى قحطان».

* وقال العلامة الفقيه، عثمان بن عبد الله بن عقيل بن يحيى، السيد الشريف، في «أطلسه»: «أرض حضرموت: وهي من الناحية الشرقية من أرض اليمنِ، تحت حماية الدولة العثمانية. وحدّها من جهة المغرب: حصن العبر، (ولم يُرسم لبعده عن وادي الرخية؟ بنحو مرحلتين)، وحدّها من جهة البحر العرَبي: عين بامعبد. ومن جهة البحر الشرقيّ: بندر سَيحُوت. ومن جهة النّجْد القبلي، أي الشمال القبلي: ريدَة الصيعر، والشرقي: نِيْد العوامر. ومن جهة المشرق: قبُر النبي هودٍ عليه السلام، (كما هو مبين في هذه الخريطة). وأطول بلدانها مابين ٥٨ درجةً إلى ٥١ درجةً. وأعراضُها مابين ١٥ إلى ١٧ درجةً. وحرّها وبردُها لم يجاوز خمسين درجةً. وغاية طول النهارِ فيها: ثلاثةَ عشر ساعةً وأربع دقائق.

وطينتها من أجود مايكون للزراعة. وبيوتها متخَذة من مدرٍ، ونورةٍ، وجصّ. وأجود خشبها: الدر، ثم الإثل. وسكانها عربٌ، ملتهم الإسلام، ومذهبهم شافعيٌ، ولم يكن فيهم مبتدع. فمنهم السادة العلويون، وهم من ذرية سيدنا الحسين بن علي ابن أبي طالبٍ، سبط رسول الله ﷺ، ومنهم مشايخُ، بعضهم منسوبون إلى بعض

الصحابة، وبعضهم بيت أهل العلم والصلاح، ومنهم قبائلُ من العربِ، وهم شاكين الأسلحة (كذا)، لحفظ بلدانهم وغير ما (كذا) ذكر من أرباب الصنائع، وأسباب معيشَة الكل منهم غالباً: التجارة والزراعة. وعقاراتهم غالباً: الأراضي والنخيل، ومواشيهم: الإبلُ، والبقر، والخيل، والحمير. واقتياتهم: البرّ، والذرة، والتمر. وإيدامهم: اللحم، والسمن، واللبن، والعسل. وفواكههم: الرّطَب، والعنب، والتين، والرمان، والنبَق.

ومن طباعهم: الأمانة، حتى سكان الجبال منهم، ولهم الميلُ الكلي إلى التجارة، والمروءة، والعفاف عن المسألة، والمكافأة على الجميل، وعدم الدخول فيما لايعني». اهـ.

وفي بعض ماذكره من التحديد والأعراض تسامح، وسيأتي تحقيق ذلك إن شاء الله تعالى. وكذلك قوله: «ملتهم الإسلام، ومذهبهم شافعي، ولم يكن فيهم مبتدع»، وكأنه غفل عن جهود السادة العلويين لجمع أهل حضرموت على المذهب الشافعي، وأحكام الشرع، وتركِ الجبتِ والطاغوت، وماقاسوه من التعَب في مدى مئات السنين، وآخرُ تلك الجهود ما قاموا به من حدود سنة المئتين والألف إلى نحو سبعينَ سنة من المئة الثالثة بعد الألف، فلم ينجح عملُهم، بسبب بعد الناس عن الدّين، وغلَبة الجهل.

ويلحق بذلك السعيُ المتواصل الذي بذله عددٌ من المصلحين في الجزائر الجاوية ليجمعوا العرب الذين بها على التمسّك بالشرع الشريف، والتحاكم إليه، والرجوع إلى مذهب الإمام الشافعي، فلم يتأتّ لهم ذلك، والله ولي الصالحين.

وكأن السبب في ذلك مايلزم البداوةَ من شدة الجفاءِ وخشونة الطباع، قال هذا مؤرخ اليمن الجنَديّ في «تاريخه» المحفوظ بدار الكتب المصرية، رقم ٩٩٦

(صفحة ٤٤٨) بالجزء الرابع: «مخلاف حضرموت: وهو مخلافٌ يغلبُ على أهله البداوة الشديدة، وخرج منه جمعٌ من أعيان العلماء، غالبهم من قريتينِ، هما: تريمُ، ثم شبام، وقد ذكرت أقدمهما تريم» [«السلوك»: ٢/ ٢٦٤].

قلتُ: وهذا لايدفعُ ما ظهر من النجباء في صدر الإسلام، فيمن نقل منهم عن حضرموت إلى العراق والشام ومصر وخُراسان، ومَن كان في عداد الصحابة، وما لهم من المفاخر، وغير ذلك مما ستراه أثناء تاريخنا هذا مما لم يجمع نظيره في مؤلفٍ واحد، فإن لكل مقام مقالاً، وقد أمرنا أن نقول بالعدلِ، ولا نبخسَ الناس أشياءهم، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا / قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [هود: ٨٥]. فنرغب إلى الله أن يوفقنا لذلكَ في جميع ما نكتبه ونرسمُه في هذا التاريخ، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلتُ وإليه أنيب. [/ ٢١]

* وقال ابن حَوقل في كتاب «المسالك والممالك»، المطبوع بليدِن سنة ١٨٧٢ مسيحية، في (صفحة ٣٢): «حضرموتُ شرقيَّ عدن، بقرب البحر، بها رمالٌ كثيرة تعرف بالأحقاف. وحضرموت مدينةٌ صغيرة، ولها أعمال كبيرة عريضة، وفيها قبر هود النبيّ عليه الصلاة والسلام، وبقربها بَرْهُوت، بئر عميقةٌ لا يكاد أحد يستطيع الوصول إلى قعرها. وأما بلاد مهْرة فقصَبتها تسمى الشّحر، وهي بلاد قفْرَة، وألسنتهم مستعجمةٌ جدًّا، لايقف أحد على كلامهم، وليس بها نخل ولازرعٌ. وأما أموالهم فالإبل والمعز، ويعلفُونَ إبلهم ودوابّهم السمكَ الصغار، المعروف بالوَزَف، ولا يعرفون الخبْزَ ولا يأكلونه، وأكلهم السمك واللبن والتمر، ولهم نجُبٌ من الإبل تفضَّل في السفر والرياضة على سائرالنجُب، واللبان الذي يحمل إلى الآفاق من هناك، وديارهم مفترَشةٌ به، وبلادهم ذات بوادٍ نائية، ويقال إنها من أعمال عمان». اهـ.

وقوله: «ليس بها» يعني: مهرة، «نخل ولا زرع»، هذا حكايةٌ عما كان عليه الحال في زمنه، وأما الآن ففيها نخل وزرع، وبها عيون وآبار يسقى منها على السواني.

* وقال اللواء إبراهيم رفعت باشا في كتابه «مرآة الحرمين» [١/١٤٦]: «حضرموت: وهي عبارة عن الإقليم الواقع شرقيَّ اليمن. سطحُها جبلٌ يشقه وادٍ متسع، يساير الشاطئَ نحو مئة ميل، ويسمى وادي المكْسر. وأهم مدن حضرموت: شبام، وأهم ثغوره: المكلّة، وسَيحوت. وبحضرموت كما باليمن آثار حضارة عربية قديمة. مَهْرة: وكان جغرافيو العربِ يسمّونها الشحر، وتمتد شرقاً من سيحوت إلى حَاسك. وتشتهر منذ القِدم بالبخور والصموغ، وأهم ثغورها: الشحْر، ومرباط. هذا؛ وأرض مهرة الممتدّة من حاسك إلى عمان قاحلةٌ، وداخلها غير معروفٍ بالمرّة»، اهـ.

* * *

[تنبيه على أوهام البتنوني]

وقد ذكر محمد لبيب البتنُوني في «الرحلة الحجازية» [ص ٤٣-٤٤] كلاماً عن حضرموت في غايةِ البعدِ عن الحقيقة، فليُحذَر من الاعتماد عليه.

* * *

وقال الفاضل الأديب الشاعر، عوَضُ بن أحمد بن عوَض بن عبد الله بن عمر الجرُو، الصَّدِفي الحضرمي الغُرْفي، في كتابه «الفرج بعد الشدة في إثبات فروع كندة»، وكان عوض المذكور رجلاً أديباً، صاحب فضيلةٍ، وله شعرٌ حسن، وأمه بنت الشيخ الفقيه محمد بن عمر بحرق، رحمهم الله تعالى.

و«رسالته» هذه ذاتُ فوائد يرحل إليها، إلا أنا لم نقف عليهَا، وإنما وقفنا على نتفٍ منها، منقولة من خطّ المؤرخ الشيخ الفاضل، سالم بن محمد بن سالم ابن حميد، نقله من خطّ الفقيه العلامة شهاب الدين أحمد بن محمد مؤذّن باجمال الأصبحي، وهونقله من «تأليف» عوض بن أحمد الجرو، وقد ترك في نقله مواضع مهمة. وقد أخبرني من أثقُ به: أن هذه الرسالة موجودةٌ عند بعض أهل شبام، وقرئت على سيدي وشيخي أحمد بن حسن العطاس، الإمام الجامع، العارف بالله، العلوي الحسيني، وكان فيها أنساب عدد من قبائلِ المشائخ وغيرهم، على غير المشهور بين الناس، فكأنّ ذلك هو الداعي إلى إخفائها، فكأن الناقل ترك نقلَ ما أشرنا إليه، والله أعلم بالحقيقة:

«وتطلق حضرموت على بلدانٍ كثيرة، وساحلها: العين وبروم إلى الشحر ونواحيها، ويحدها: جرْدان ونواحيها، إلى تريم، إلى قبر نبي الله هود، وإلى ماوراء ذلك بلادُ مهرة والأحقاف وما والاها».

ثم قال: «قاعدةُ حضرموت: مدينة تريم، وهي في شمال لَسْعا، وهي مشهورةٌ بكثرة التمر»، ثم قال: «وجبال اللبان ممتدة من الغرب إلى الشرق، وليس فيها مدينة مشهورة، بل سكنها قوم من مهرة، كالوحوش في قتالهم، ويتكلمون بلغة عاد، وإليهم تنسب الإبل المهرية، يعلفونها سمكاً صغاراً تخرج من بحرهم، يقال لها الوزَف. وبلاد مهرة ليس فيها نخيل ولا زرع / وإنما أموال أهلها الإبل. [/٢٢]

وقال ابن لهيعة: وقبر هود في بلاد مهرة، وبلادهم أرض الأحقاف، وهي ما بين الشحر وعمان، وهي مسكن قوم عاد. وبلاد مهرة من اليمن. وفي الشرق الشمالي من أرض مهرة: ظفار الأحمدية، وهي الآن قاعدة بلاد الشحر».

وقال بقية العلماء العاملين، وخليفة السلف الصالحين، شيخنا أحمد بن الحسن بن عبد الله العطاس، السيد الشريف العلوي الحسيني، في «رسالته» التي جمع فيها ما وجده من الكلام في أنساب أهل حضرموت، ما لفظه: «اعلَم أن وادي حضرموت مخلاف من مخاليف اليمن، وهو شرقي عدن، وهو ممتد من مرسى بالحاف والمجدحة وعين بامعبد إلى سيحوت، وعرضه: من البحر إلى جردان وجبال مأرب. وهو مشتمل على مدن وقرى وحصون ومزارع ونخيل وذبور، وبه آثار قديمة مبنية، وكتابات في بعض الأماكن بالكتابة القديمة، منقوشة في الحجارة، وتلك الكتابة توجد في أماكن كثيرة».

وقال في «نخبة الدهر في عجائب البر والبحر»، تأليف العلامة المتقن شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي شيخ الربوة: «ومن أقسام اليمن: قسم حضرموت، وفيه بلاد كثيرة، ولها مصران: أحدهما تريم، والآخر شبام، مضافة على جبل هي على قمته. ولهذا الصقع على ساحل البحر فرضتان: إحداهما شرمة، والأخرى الشحر. ولم تكن بمدينة، وكان الناس ينزلون منه في أخصاص، فبنى الملك المظفر صاحب اليمن، في زماننا مدينة به حصينة، بعد سنة ستمئة وسبعين، بناحيتها شحر اللبان، ثم يمتد إلى الساحل رمال الأحقاف، وهو رمل سيال تنقله الرياح مسافته مئة وخمسون فرسخاً. ثم يليها: مهرة، ومصرها: ظفار، بناها أحمد بن محمد، وسماها الأحمدية، سنة ستمئة وعشرين، وبقي فيها عَقِبُه إلى أن أخذت منهم، وكان قبلها مدينة مرباط بالساحل خربت بالأحمدية».

تحليل اسم حضرموت

أجمع أهل اللغة والنحويون على أن اسمها مركب تركيباً مزجياً من كلمتين، هما: (حضر) و(موت)، ثم اختلفوا: فمنهم من قال هذا الاسم في الأصل لرجل.

وقال آخرون: هو اسم قبيلة، والذين قالوا بأنه في الأصل اسم رجل اختلفوا في نسبه، فمنهم من قال: هو حضرموت بن يقطن، أخي قحطان. ومنهم من قال: حضرموت ابن قحطان. ومنهم من قال: هو عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن يقطن. ومنهم من قال: بن جشم بن عبد شمس بن وائلة بن الغوث بن قطن بن عريب. ومنهم من قال: بن الغوث بن حيذان أو حذار بن قطن، إلى آخر ما تقدم من نسبه.

وقال الهمداني في «صفة جزيرة [العرب]»: إن عمرو بن قيس جده الرابع، وإنما هو: حضرموت بن حمير الأصغر بن سبأ الأصغر بن كعب بن سهل بن زيد بن عمر بن قيس. إلى آخر ما في ذلك النسب من الاختلاف، وقد سبق في الفصل قبله ما حللوا به معناه، من أن (حضر): فعل ماض من الحضور، مزج مع فاعله، وهو (موت).

وقد خطر ببالي تحليل آخر، أشرت إليه آنفاً، وهو جدير بالبحث. وكان أول ما خطر ببالي عند اختصاري «معجم» العلامة الفقيه الصالح العابد الزاهد، المستجاب الدعوة، المعتقد، عبد الله بن طه بن عبد الله بن طه الحداد، السيد الشريف باعلوي الحسيني، سماه «بريق المشارق» ذكر فيه مشايخه، وذكر رحلته إلى بلاد المهرة، ونشره الدعوة إلى الله وإلى دينه بينهم، فلفت نظري كثرة أسماء الأماكن المختومة بلفظ (اوت)، مثل: سيحوت، ديعوت، ريسوت، كلبوت، ظلموت، جيروت، خربوت، دمقوت، رخيوت، وادي عربوت، وادي أرخوت، وادي غزوت، وادي هباروت، وادي ريثوت، وادي ثيدوت، مرسى سافوت، سيليكوت، خاريفوت، وادي شاغوت، مرسى هريوت، تابوت، خور خلفوت، قرية كديفوت / . [١/ ٢٣]

فكأن لفظ (أوت) يدل على معنى قرية، أوما يشابهها، ثم يضاف إليه الأسماء المختلفة، كما هو موجود في بعض بلاد العراق والهند من الأسماء المضافة إلى كلمة (آباد)، مثل: أسدآباد، أحمدآباد،الله آباد، وغير ذلك. والمهرة قد سكنوا

بحضرموت بعدما نقلوا من بلاد اليمن، بل ربما صار بعضهم ملكاً بها، فقد رأيتُ في بعض ما نقله المستر عبد الله فِلْبي عن كتابات المسند بشَبوة، ذكراً لبعض المهريين، وذكر مرورهم بحضرموت من المؤرخين: المسعوديّ، والكلبي.

وفي التوراة ذكر اسم حضرموت بلفظ (هادرموت)، وقيل: هادرميت، وهذا من تحريفِ العبرانيين ولُكْنة ألسنتهم، فإنهم كما قال ابن خلدون: «يحرفون الأسماء تحريفاً شديداً»، ومثلهم في ذلك الإفرنج، والمصريون لهذا العهد، لأخذهم أسماء البلاد العربية عن كتب الإفرنج. والإفرنج يحرفونها لسببين: (١) نقصُ حروفهم. (٢) اختلاف قواعدهم في الكتابة، وفي الحروف التي وضعوها بدلاً عن الحروف العربية. ورامَ بعض الإفرنج لهذا العهْد أن يتفلسفَ في قول أهل حضرموت (حَذْرا)، يعنون أسفل الوادي، فظن أنه باقٍ من الاسم المذكور في التوراة، وذلك خطأ، فإن كل أسفل وادٍ يقولون فيه (حَذْرا)، مقابل (عَلْوا)، لا وادي حضرموت فقط، ويقولون: حذَّر يحذّر، بتشديد الدال، مقابلاً صعد يصعد. وتفلسفَ آخر في (سيحُوت)، فتوهّم أن أصله (ساح هُود)!، ولا أدري بماذا يتفلسف في بقية الأسماء التي ذكرناها على هذا الوزن.

تقديم الاعتذار

هذا فصل نقدم فيه الاعتذار عن الإطالة في ذكر حدود حضرموتَ، وموقعها من الأرض والبلاد، فإنّ السبب في ذلك: ما رأيناه في الكتب المعتمدة المتداولة من الخبط والخلط، قال في «صبح الأعشى»، في الجزء الخامس في (الصفحة ٤٣)، في حضرموت، بعد أن ذكر أن قصَبتها مدينة شبام: «قال في «تقويم البلدان»: «وهي خارجة عن الأقليم الأول من الأقاليم السبعة إلى الجنوب». قال في «الأطوال»:

«وهي حيث الطولُ: إحدى وسبعون درجةً، والعرض اثنتا عشرة درجة وثلاثون دقيقة، وهي قلعة فوق جبلٍ منيع فيه قرى ومزارع كثيرة». قال في «العزيزي»: «وفيه سكان كثير». قال: «وفيه معدن العقيقِ، والجَزْعِ، وبينها وبين صنعاء أحد وعشرون فرسخاً، وقيل: إحدى عشرة مرحلةً، وبينها وبين ذَمار مرحلة واحدة». اهـ.

مع قوله في حضرموت في (صفحة ٤٣): «قال في «تقويم البلدان»: «وهي خارجة عن الإقليم الأول من الأقاليم السبعة إلى الجنوب». قال في الأطوال: «وهي حيثُ الطولُ: إحدى وسبعون درجةً، والعَرض: اثنتا عشرة درجةً، وثلاثون دقيقة»!.

وذكر في بعدها عن صنعاء مثلَ ما ذكره في مدينتها شبام، مع قوله في صنعاء التي جعلها مبدأً ينسب إليها هذه المواضعَ: «أنها واقعة في أوائل الإقليم الأول من الأقاليم السبعة. قال في الأطوال: «حيث الطولُ: سبع وستون درجةً، والعرض: أربع عشرة درجةً، وثلاثون دقيقةً». فبلَدان بينهما في الطول أربعُ درجٍ، بناءً على ما قاله، وفي العَرض درجتان؛ كيفَ يصحُّ أن يقالَ: إن المسافةَ بينهما إحدى وعشرون فرسخاً!؟ فهذا، مع ما يأتي، خلطٌ منه لشبامَ اليمنِ، بشبام حضرموت.

كما خلط بين (ظفار مهرة) و(ظفار اليمن)، فإنه قال في (الجزء الخامس)، أيضاً، (صفحة ١٢): «ومنها ظفار؛ قال في «تقويم البلدان»: «بفتح الظاء المعجمة والفاء وألف وراء مهملة»، قال: «وهي من تهائم اليمن. من أوائل الإقليم الأول من الأقاليم السبعة»، قال في «القانون»: حيث الطول: سبعة وستون درجة، والعرض: ثلاث عشرة درجةً وثلاثون دقيقةً. قال السهيلي: وهي مدينة عظيمة، بناها مالك بن أبرهة ذي المنار.

وذكر في «العِبَر» أنها كانت دار مملكة التبابعة، وخربها أحمد الناخوذة سنة تسع عشرة وستمئة، لأنها لم يكن لها مرسى، وبنى على الساحل مدينة ظفار، بالضم

(كذا)، وسماها الأحمدية. قال في «تقويم البلدان»: «وهي مدينة على ساحل خَورٍ، قد / خرج من البحر الجنوبي وطعن في البر في جهة الشمال نحو مئة ميلٍ. ومدينة ظفار على طرفه، ولاتخرج المراكب من ظفار في هذا الخور الا بريح البرّ». [/٢٤]

ومضى في ذكر أوصافٍ تقع على ظفار ومهرة.

[بيان أوهام «صبح الأعشى»]

وظفار التي خرَّبها أحمدُ الناخُوذَة، هي ظفار مهْرَة، ويقال لها ظَفَارُ الحبوظي، وأما التي بناها مالك بن أبرهة فهي ظفَار صنعاء، وليستْ على ساحل البحر!، ولامرسى لها ولاحوض!، وبينهما مئات الأميال!. ثم قال: «وبينها وبين صنعاء أربعة وعشرون فرسخاً»!. ومن العجب: أنه نقل في (صفحة ١٠): أن عرض عدَن تسعة عشر درجةً، ومع ذلك قال: «إنها خارجة عن الإقليم الأول من الأقاليم السبعة»، مع قوله في ظفار: «إن عرضها ثلاث عشر درجةً وثلاثون دقيقةً»، وحكم بأنها في أوائل الإقليم الأول من الأقاليم السبعة!. هذا مع قوله في (مرباط) التي ليس بينها وبين ظفار إلا يومين، وهي خارجة عن الإقليم الأول من الأقاليم السبعة إلى الجنوب أو منه: «قال في الأطوال: حيث الطول اثنتان وسبعون درجةً، والعرض: اثنتا عشر درجةً، قال ابن سعيد: وهي في الشرق والجنوب عن ظفار»، اهـ وهذا كله غلَطٌ!.

ثم قالَ في بلاد مهرة، وظفار ومرباط، إنما هما على شاطئها، وموقعُها في الإقليم الأول، مالفظُه [١٤/٥]: «قال في «الأطوال»: وآخرها حيثُ الطول: خمسٌ وسبعون درجةً، والعرض: ستة عشر درجة». فتكون بلاد المهرة عنده من الجنوب إلى الشمال مسافة أربع درجٍ!. وهذا بعيدٌ عن الصَّواب. كالغلَط في إخراج عدَن عن الإقليم الأول من الأقاليم السبعة، مع قوله في عرضها: إنه تسع عشر درجةً، وكذلك حضرموت.

وقد جعل ابن خلدُون أرضَ الأحقاف وظفار، وبعدَها أرض حضرموت، ثم بلاد الشحر، يعني سواحل المهرة، ثم القسم السادس من الإقليم الأول، بعد تقسيم الإقليم إلى عشرة أقسام، ثم عدّ أرض الشحر، ومأرب، وأرض سبأ، من القسم السادس من الإقليم الثاني. أما الهمداني صاحب «صفة جزيرة العرب»: فعدّ حضرموت من الإقليم الأول مع سبأ ومأرب.

* ولو أضفنا إلى هذا مارأيناه في كتب أخرى لطال القولُ، فإن الشوطَ بطين.

[الاختلافُ الشَّديد في طولها وعرضها]

فنذكر نوعاً آخر، فمنه الاختلاف الشديد في طولها وعرضها.

* أما الهمداني في «صفة جزيرة العرب»، فجعل عَرض مأرب: أربعة عشر درجةً وثلُثا درجة، وطولها من المشرق: مئةً وسبعة عشر درجةً، وعرض شبام حضرموت: ثلاث عشر درجةً ونصفٌ، وطولها من المشرق: مئة وستة عشر درجة، والأسعاء من مهرة، ويعني بالأسعاء ساحل الشحر، المعروف الآن ببندر الشحر، لا ساحل مهرة، أو مابين مهرة وعمان، طولها من المشرق: مئة واثنتي عشرة درجةً، وعرضها: ستة عشر درجةً ونصف وثلث عشر درجة.

* وفي «جَدْولٍ» حرره إسماعيل باشا الفلكي المصري: أن طول تريم: ٤٧درجةً، و ٨ دقيقة. وعرض المكلّا: ١٤درجةً، و٥٠ دقيقةً، و١٣ثانيةً. وطولها: ٤٧ درجةً، و١٤ دقيقةً، و٤٤ ثانيةً. وابتداءُ الأطوال من خط زوالِ باريس.

* وقال العلامة المحقق، أحمد بن أبي بكر بن سميط، السيد الشريف العلوي الحسيني: «عرض تريم: ١٥درجة وعشر دقائق، وطولها: ٤٧درجةً، و٥٥دقيقةً. وعَرضُ شبام: ١٥درجةً، و٤٥دقيقةً، وطولها: ٤٧ درجةً، و٣٠ دقيقةً».

* وقال في «بغيـة المسترشديـن» [ص ٣٠٠] جمع العلامة الفقيه الصالح، عبد الرحمن بن محمد المشهور، السيد الشريف العلوي الحسيني، عن العلامة المحقق، المسند الصوفي، عبد الله بن الحسين بلفقيه، السيد الشريف العلوي الحسيني: «إن طول تريم إحدى وسبعون درجةً، وخمسُ دقائق، وثلاثون دقيقةً، من البحر المحيط الغربي، أو من الجزائر الخالداتِ فيه، وبينهما عشر درجٍ. وعرضها: خمس عشرة درجةً، وثلاثون دقيقة».

وقال في «الزيج» للصابي: «إن طول حضرموت إحدى وثمانون درجةً، وخمس دقائق. وعرضها: أربعه عشر درجةً، وثلاثون دقيقةً. وطول برهوت: ٧٩درجةً، و٥ دقائق. وعرضها: ١٣ درجةً، وخمس دقائق. وطول ظفار: ٨٨ درجةً، و٥ دقائق. وعرضها: ١٥ درجةً، و٥ دقائق».

[عبرة تاريخية]

وقد أخبرني المرحوم، المحقق البحاثة، محمد بن عقيل بن عمر بن يحيى، السيد الشريف العلوي الحسيني: أنه لما اشتدّ ضغط الحكومة الهولندية، منذ نحو ٣٥ سنةً أو أكثر، على الحضارم، ومنعتهم من التجول في جاوه، وحصرتهم في حافاتٍ / مخصصةٍ في كل بلد، وضيّقت عليهم، ارتفعت أصوات الحضارمِ [١/ ٢٥] بالتكبير والاستغاثة، ورددت ذلك جرائد الآستانة والشام، وحدثت لذلك ضجة، وتقدم جماعة من الحضارم بإرسال عرائضَ إلى أعتاب السلطان عبد الحميد الثاني، وكتب بعضهم كتباً خاصةً للصدر الأعظم حلمي باشا، فجاء بعضَهم الجوابُ منه: يستفهم عن حضرموت، أين هي؟ وفي أي زاوية مدفونة من زواية الأرض!.

فلم يكن عند هؤلاء الحضارم حيلةٌ إلا العجبَ من جهل صدرٍ أعظمَ، لقطرٍ واسع كحضرموت، وهو المدير لشئون أعظم سلطنة إسلامية، تملك أغلب الأقطار

العربية، مع امتلاء خزائن الدولة الأوربية بالخرائط والمؤلفات، وكتب السائحين عنها، وأخذو يترنّمون بقول الشاعر:

أعطِيتَ ملكاً فلم تحسِــنْ سياستَه ‏ وكـلُّ من لايسوسُ الملكَ يخلعُه

فإنه ظهَر لأهل الفهم والنظر أن ذلك الحصر الذي ضربته الحكومة الهولندية كان نافعاً للعرب، لو دام، فإنها لما أطلقت لهم السراحَ، أدى ذلك إلى أمور ساءت معها سمعةُ العرب، وفسدت أخلاقُ كثير منهم وأعمالهم، واختلط أبناؤهم بالمتفرنجة، وأبناء النِّحَل المختلفة، فاتبعوا طريقَهم. وتكاثر القادمون من العرَب الحضَارم، الباقينَ في خشونة البادية، فعاملوا الأهالي بالرّبا، وأغلظوا معاشرتهم، فنفرت القلوب عنهم، وصاروا مضغةً في الأفواه، واتخذهم أصحاب الصحُف هزؤًا، وحبروا فيهم المقالةَ بعد المقالة، وانبعثت بينهم الفتنة، فأخذوا يبذلونَ مئات الألوف للمحترفينَ الذين يحسنون الهجاء والسبَّ، فملأوا الجوّ سباباً، فاحتقرهم ماحولهم من أخلاط الأمم، وسقطوا سقوطاً مهولاً، ولم يزل الحال بهم مستمراً إلى النهاية التي لا يذكرُهم بعدَها إنسان، ولا يشار إليهم بكف ولا بنانٍ، والله ولي المتقين.

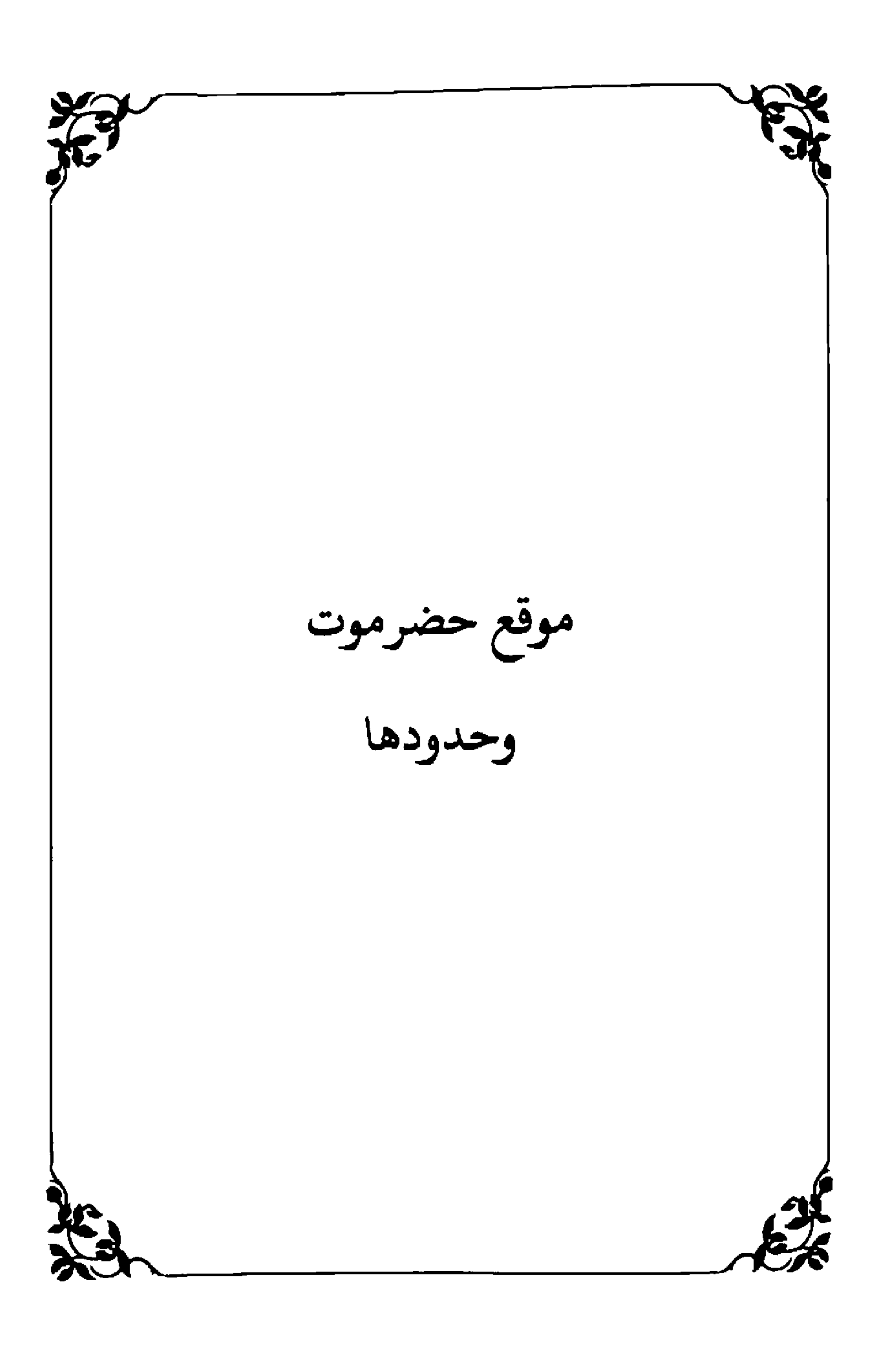
* * *

إذن فالحامل لنا على إطالة البيـانِ عـن مـوقـع حضرمـوت وحـدودهـا، هو (الاضطراب) الذي ذكرنا فيما كتبه العلماء عن حضرموت، وقصة هذا الصّدر وما شابهها مما نراهُ في بعض المؤلفات العَصرية من الأغلاط الفاحشةِ حين يتكلمون عنها.

كقول بعض العَصْريين، من أهل الشام، في شرْحٍ له على «المعلقات السبع»: أنه يوجد في حضرموت الأفاويهُ، والأطياب، والعُود، والقرفة، وكذا وكذا! ولا أدري من أين أخذه؟ وأحسبه اغترّ بما ينقله بعضهم عن اليونان، مع أنه ما حُكيَ

عنهم يدل دلالةً واضحةً أنهم لم يطرقوا البلادَ العربية ولم يعرفوها، وإنما سمعوا عنها أخباراً خرافية فسطّروها كما هي، من غير بحث.





موقع حضرموت

وحدودها

موقع حضرموت وحدودها

اعلم أن حضرموت قسمٌ من قطر اليمن، واليمَن قسمٌ من أقسام جزيرة العرب، وجزيرة العرب قسمٌ من القارّة (بتشديد الراء) العظيمَة آسيا، وآسيا إحدى القاراتِ الخمسِ، التي اصطلح علماء التقويم على تقسيم الأرض إليها، وكان الأقدمون قبل اكتشاف أمريكا وأستراليا يجعلون القاراتِ ثلاثاً. ولا يعرَفُ البعضُ معرفةً صحيحة بدون معرفة الكـل، فنذكر هنا شيئاً من التعريف بما ذكره ينتفع به من لا أنس له بعلم تقويم البلدان (الجغرافيا).

[حدود حضرموت]:

لقد سبقَ فيما نقلناه عن «بغية المسترشدين» [ص ٣٠٠]: أن حد حضرموت على ساحل البحر يبتدئ بعَين بامعبد، وينتهي فيما يقارب سَيحوت.

وعين بامعبد تقع على خطّ ٢٥-٢- ١٤، أي: أربعة عشر درجةً، ودقيقتين، وخمسة وعشرين ثانيةً، من خط العَرض الشمالي، وطول عين بامعبد: سبع وأربعون، وسبعٌ وخمسون ثانيةً، من خط الزوال لباريس. وهي تقع قريباً من الساحلِ، في الجانب الغربي الجنوبي بين حضرموت وأحور.

[١] **فيدخل في حدّ حضرموت من تلك الجهة**: بالحاف، وبير علي، وغيرهما/ . [٢٦/١]
ثـم يـمتد خطّ الحدود منهـا إلى الشمال بخطٍّ معتـرِضٍ، يـزداد مَيلاً إلى جهة الغرب، حتى ينتهي إلى البرية، عند مخرج وادي جَرْدان إلى الصحراء. وهناك

قارّتان، يقال لهما: القرنين، فإذا اعتبرنا ما يبعد عنهما إلى داخل وادي جردان بنحو مئتين وعشرين ذراعاً، طرفا لخط الحدود من هذه الناحية، فإن عَرضه: ١٤: ١٥، أي: خمسة عشر درجةً، وأربعة عشر دقيقةً، وطوله: ست وأربعون درجةً، وست وأربعون دقيقةً.

فالبعد بينه وبين عين بامعبد: درجةٌ واحدة، وأحد عشر دقيقةً، وخمس وسبعون ثانيةً. أي: اثنان وسبعون ميلاً إلا ربعاً من جهة خط الاستواء، ذاهباً إلى القطب الشمالي. وخط الحدود هذا غير مستقيمٍ، بل هو متقدم إلى جهة الغَرب في جردان، ثم يذهب إلى ناحية عين بامعبد، وهو يتأخر إلى الشرق، لذلك وقع الفرقُ في الطول بين المحل المذكورِ وعين بامعبد. فتبعد عين بامعبد عن مسامتة المحلّ المذكور بوادي جَردان إلى ناحية الشرق: بدرجةٍ وإحدى عشرة دقيقةً، أي: إحدى وسبعين ميلاً.

[٢] **ثم الحد الثاني لحضرموت على الشاطئ**: من غُبَّة العين، وخليج عين بامعبد، يمتد على ساحل حضرموت إلى مخرج وادي المسيلة، بين سيحوت ودَرفُوت. والشاطئ فيه رؤوسٌ تخرج إلى البحر، وانحناءٌ إلى البر، إلى رأس الكلب، الواقع بين بروم والمجْدَحة، ثم يشتد انحناؤه وتراجعه إلى الخلف، إلى سيحوت. وعَرض سيحوت: خمسةَ عشر درجةً، وأربعة عشر دقيقةً، وطوله: إحدى وخمسون درجةً، وثمانية عشر دقيقة وخمسة عشر ثانية. فطولُ الخط الممتدّ على الشاطئ من عين بامعبد نحو مائتي ميلٍ وعشرة أميال. وقد بلغ تراجعُ الشاطئ إلى الخلف في سَيحوت: اثنان وسبعون ميلاً إلا ربعاً، إذ الفرقُ بين عَرضه وعَرض عين بامعبد: ٣٥-١١-١، أي: درجة وإحدى عشرة دقيقةً، وخمس وثلاثون ثانيةً.

[٣] **وأما الحد الثالث لحضرموت**: فهو خطٌّ هلالي، غيرُ منتظِم التقويس،

يبتدئ من سيحوت ويمتد إلى البر في نحو نصف دائرةٍ، فيمر بخط يقطع بين الرمل والنجد. حتى يصير أعظم تقويسه أمام رَيدة الصيعر، ثم ينعطف على الجبل (الأبتر)، فرمال شبوة، حتى ينحطّ على الموضع الذي ذكرناه آنفاً أمام القرْنَين، في مخرج وادي جَردان.

ولو رُسمَت هذه الخطوط لكانت صورةَ حضرموت أشبهَ بسمكةٍ، أدقّها عند سيحوت، وأعرضها مابين رأسِ عصيدة، الذي به بندر بالحاف، حيث يتقاطع خط العرض ١٤ أربعة عشر درجةً، من العرض الشمالي، بخط الطول: ٦-٠-٤٨، ثمانية وأربعون درجةً، وست ثواني. وبين مقابِله، على مُنتهى مقطع ريدة الصيعر، بشاطئ رمل البحر السافي، ويكون ذلك نحو ثلاث درجٍ، عن مئةٍ وثمانين ميلاً. ثم تقلّ ما بين شاطئ البحْر، وشاطئ الرملِ، شيئاً فشيئاً إلى منتهى الحدّ، بناحية سيحوت، فتصير المسافة بين الحدَّين: البحري، وما يقابله من البر، نحو ميلين.

❊ ❊ ❊

وسيأتي وصفُ البلاد الحضرمية بأدقَّ من هذا، والآن نكملُ الكلامَ بذكر ما يتعلق بجزيرة العرب، ليكمُل للقارئ تصور القطر الحضرمي، بتصور موقعه من الجزيرة، وموقع الجزيرة من قارَّة آسيا.

جزيرة العرب

وقد أطال علماء العرب القولَ في تحديد الجزيرة، ونقل ياقوت في «المعجم» القولَ في ذلك عن ابن عباسٍ، وابن الأعرابي، والأصمعي، ونقل صاحب «المصباح»، وشارح «القاموس» أقوالاً في تحديدها كادت تضطرب، ويصادم

بعضها بعضاً، وأبسط الناسِ قولا فيها: أبو محمد، الحسنُ بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود الهمداني اليمني، في كتابه «صفة جزيرة العرب»، قال [ص١]:

«معرفة أفضل البلاد المعمورة

أفضلُ البلاد المعمورة من شَق الأرض الشماليِ إلى الجزيرة الكبرى، وهي الجزيرة التي يسميها بطْلِيموس (ماروي). تقطّع على أربعة أقاليم من عُمران الشمال إلى الخامس. فجنوبيها: اليمن، وشماليها: الشام، وغربيُّها: شَرْم أيلةَ، وما / طردته من السواحل إلى القلزُم (بحر السويس بمصر)، وفسطاط مصر، [/٢٧] وشرقيّها: عمان إلى البحرين، وكاظمة، و البصرة، وموسّطها: الحجاز، وأرض نجدِ، والعُروض. وتسمّى جزيرة العرب، لأن اللسان العربيَّ في كلها شائعٌ، وإن تفاضَل. ومبتدأ عَرْضها، على مايقول الحسابُ، على ساحل عدَن: ١٢ درجةً، وظل رأس الحمَل في هذا الموضع: أصبعان، ونصفُ عشر أصبع. وما يشرع منها بالشّام على عَرض اثنين وثلاثين جزأً، وسبعِ أصابع ونصفٍ، من الظل إلى بيتِ المقدس. وما يشرع منها على عَرض اثنين وثلاثين جزأً، وثماني أصابع إلا خمساً من الظل: الرملةُ من فلسطين، وسَليمة، وبعلبك (معرّبةٌ، وهي: باعل بك)، وقيصَارية، وصَيدا، والأنبار، وبغداد، من ناحية العراق. وما يشرع منها على عَرض أربع وثلاثين، وثماني أصابع وعُشر من الظل: حمص، وعانات، وصُور، وسرَّ من رأى، من ناحية بابل. وما يشرع على عرض خمسٍ وثلاثين، وثماني أصابع وخُمسينِ من الظّل: مَنْبج، وحلب، وأدنة، وأنطاكية، وقِنّسْرين، ومما يصالي الشرق: بُخْت نصّر.

وأما أولُ أطوالها من المشرق: فعلى البَصرة، وما أخذ أخْذَها جنوباً، وهومئةُ درجةٍ، وسبع درجاتٍ، تطلع عليها الشمسُ بعد طلوعها على خطّ الاستواء الطولي،

وهودائرة نصف نهار القبّة بساعةٍ مستويةٍ، وثلثي خُمسِ ساعة. وآخر أطوالها إلى عرض مدينة...[1]، وما أخذ أخذها إلى الجنوب من غير هذه الجزيرة: ١١٩ درجةً، تطلع عليها الشمسُ بعد مطلعها على موضع الاستواءِ بساعتينِ مستويتين، غير ثلثِ خُمسِ ساعةٍ. وبعد طلوعها على البصرة: بأربعة أخماسِ ساعةٍ، وهو مقدار ١٢ درجةً مستقيمةً. فإذا ضربْنا هذا الدرَجَ في أميالِ الدرجةِ، وهي: ٦٦ ميلاً، وثلثي ميلٍ، خرَج لنا: ٨٠٠ ميلٍ، فإذا قسّمناها على أميال المرحلةِ للمُجدِّ في السَّير: خرَج لنا ٤٠ مرحلةً.

وإن أردنا أن نعرفَ طولها: نقَصْنا عرْضَ عدَن، وهو: ١٢ درجةً، من عَرض خمسةٍ وثلاثين، وتركنا ما دخل من هذه الجزيرة إلى مثل طول طَرسُوس، والمصّيصةَ، ومَا عَرْضه ٣٦ و٣٧ درجةً. بقي لنا من الدرج، مَا إذا ضربناه في أميال الدرجة، خرجَ لنا من الأميال: ١٥٣٣ ميلاً، فإذا قسّمناها على أميال المرحلة للمجدّ في السَّير خرج لنا: ٧٦ مرحلةً، وثلثانِ، وهذا طول الجزيرة وعَرضُها القرارى من أسفلها. فأما عرضُها من أعلاها فهو بناحية عدَن قليلٌ، ثم يزداد فيها السّعةُ أكثرَ من ناحيةِ المشرق إلى حضرموت، فبلدُ مهرة، فعُمان.

ويميل البحرُ حيثما دخلَ في تهامة، الشيءَ بعد الشيءِ إلى المغرب، حتى يكون ميلها من سواحلِ الحجاز إلى القلزُم نحو المغرب أكثر، فصارت هذه الجزيرة تقطَع على أشرف الأقاليم في موسطها، وصار ما تسامتَها الشمس والكواكب الجارية مرتينِ: في الثور والأسد، وفي الجوزاء والسرَطان.

وهي أقربُ العمرانِ من خط الاستواء، وهي تحت برجٍ من بروج البأس، وبها البيت الحرام، البيت الذي جعله الله مثابةً للناس وأمناً، ومقام إبراهيم صلواتُ الله وسلامه عليه، وأم القرى، ومخرج النبوة، ومعدن الرسالة، ومُتبوّأ إبراهيمَ، ومنشأ

---

(١) فراغ بقدر كلمة في جميع مطبوعات كتاب «الصفة». (مصحح).

إسماعيل، ومولد محمَّد، صلى الله تعالى عليهم أجمعينَ، ومقطن آلِ الله، ولذلك قال رسول الله ﷺ لعتّاب بن أسيد: «إني مستخلفُكَ على آل الله»[1]. وإليها كان يسير آدم، وبها كان قطونه، وبها أرضُ يثرب، مُهَاجر النبي صلى الله عليه وعلى آله وحَرمه، ومركز الإسلام، ومقام الإمامة، وقطب الخلافة، ودار العز، ومحل الإمرة.

وبها الوادي المقدّس طُوَى، وطُور سَيناء، ومسجد إيلياء، وآثار الأنبياء، ومنابت الأتقياء، ومحافد الأصفياء، وعرْصَة المحشر، وجبال الرحمة، ومتعلّق السياحة والعبادة، والسراة القاطعة من أعلى اليمن إلى أسفل الشام. وبها بقاع الفصاحة والصباحة، واعتدال المزاج، وحُسن الألوان، لا الصهبة ولا الزرقة، ومتوسّط النبات في الشعر، لا القطط ولا السبط، واسوداد الحدق، وأحور المقل، مع الحميّة والأريحية، والسخاء والكرم، والجود بما تشحّ به الأنفس، والصبر ساعة البأس.

وبها أفرسُ من ركب الخيلَ، فهم لها حزمٌ وأحلاس، وأحسن من امتطى الإبلَ، فهم لها أربابٌ وأقياس، وأوفى من تقلد ذمةً، وأبرعَ من نطق بحكمَة، وبها من يعدّ المئةَ بين / حجّة وعمرة، ومن يزور قبر النبي ﷺ قاصداً غير متطرّقٍ، وبها [٢٨/أ] المسجدُ المؤسَّسُ على التقوى، وبها الممالك القديمة، والآثار العظيمة، مثل: ناعط، وغُمْدان، وهكر، ورَيدان، وبينون، وغَيمان، وبَركُ الغماد، وإرمَ ذات العماد، وجميعُ ما اشتمل عليه الكتاب الثامن من الاكليل». اهـ كلام الهمداني.

ولكن أكثر ما ذكره من الأطوال والأعراض فيه خطأ، فانه نقله عن كتب

---

(١) أخرج الأزرقي في «أخبار مكة» (٢/ ١٥١) عن ابن أبي مليكة: أن النبي ﷺ قال: «لقد رأيتُ أسيداً في الجنة، وأنى يدخل أسيدٌ الجنة!» فعرض له عتاب بن أسيد، فقال: «هذا الذي رأيتُ، ادعه لي» فدعا، فاستعمله يومئذ على مكة، ثم قال لعتاب: «أتدري على من استعملتك؟ استعملتك على أهل الله، فاستوصِ بهم خيراً» يقولها ثلاثاً. وفي «السنن الكبرى» للبيهقي (٥/ ٣١٣): «إني قد أمّرتُكَ على أهل الله عزّ وجل»، الحديث.

الأقدمينَ، مثل هرْمِس الحكيم، وبطليموس. وقد وقع فيه تحريفٌ من النساخ فضلاً، عن كونها غير ممتحَنة ولا ممحّصةٍ.

[عبرة في تطلع الفلاسفة المسلمين إلى ما وراء المعلوم]

وكان علم تقويم البلدن في تلك الأزمنة في ابتداءِ نشؤه، حتى إن بطليمُوس لم ينقَل عنه شئ عن المعمورِ جنوبيَّ خط الاستواء، ولم يذكروا عنه شيئاً عما بعدَ الدرجة الخمسين شمالاً، ولا ماهو جنوبيّ خط الاستواء، لعدم اطلاعهم على ذلك، وقصُور الأسباب المبلّغة إليه، وضَعفها، حتى لقد قال أبو عبد الله، محمد بن سنان ابن جابر الحرّاني، في كتابه «الزيج»، المعروف بـ«زيج الصّابئ»، بعد ما ذكر خطّ الاستواء ما لفظه: «وليس بمعلومٍ على الحقيقة أن هذا الخط من الأرضِ مسكونٌ، لأنه لم نر أحداً يزعم أنه انتهى إليه في زماننا هذا، ولا ذكر بطليمُوس ذلك في كتابه. ولكنه معروفٌ عند أهل الفهمِ: أن مزاج هذا الخطّ معتدل، لأن الشمس الأبعدَ عنه بعداً مفرطاً، ولا يطول إطلالها على سَمته لسرعة ممرّها عند ذلك في الميلِ، فلذلكَ يكون الصيفُ والشتاءُ فيه حسَن المزاج، فقد يظهر مثل ما وصفنا فيه فيما قرُب منه، مثل بلد صنعاءَ وعدن، وغيرها من بلد اليَمَن التي أقرب إليه». اهـ.

وقال في موضع آخر: «وأما ما لا يعرَفُ عمرانُه ولا خرابه، فهو أحدَ عشر جزءًا من اثني عشـر جـزءًا، وأما الجـزء الذي فيه العمـرانُ المعـروف من موضـع خط الاستواء؛ ففيه البحُور والمفاوز. فإن قال قائل: هل في هذه الأحد عشرَ جزءًا نباتٌ وحيوان وعمران؟ وكان القولُ فيه من جهة القياس والرأي. وأما ما كان من عمرانِ الأرض قبلَنا فإنه لايجوز الحدّ والأعراض التي ذكرنا. وأما الذي وراءَ ذلك فانه لم يجرِه أحدٌ إلينا، ولكنّ الرأي والظنّ يقعُ على ما لا ينكره أحدٌ من ذوي المعرفة على

جهة القياس: أن الشمس والقمر والكواكبَ تجري، فيكون بحركتها وقربها وبعدِها صيفٌ وشتاءٌ ونبات وحيوان وعمران، وما يعرفه كل أحدٍ. فإن كانت الشمس تطلعُ على كل مكانٍ من دائرة الأرض الباقية، والكواكبُ مثلما عندنا، فيمكن أن يكون هناك نباتٌ، وحيوانٌ، وبحور، وجبال، مثلما عندنا!، وينبغي أن يكون كذلك». اهـ.

وبهذا ونحوه مما ذكرَه ابن رشدٍ، اهتدى الإفرنج إلى الأرضِ الجديدة المسماة بأمريكا، ووجدوها مملؤة أناسيَّ، وبعضُها لها ملوكٌ وحضارة، ولكنهم أفنَوهم بوسائلَ كثيرة، وحلوا محلّهم، والله وارثُ الأرضِ ومن عليها.

[الإشارة إلى اتساع المعارف الجغرافية]

وقد اتسع بعد ذلك علم الناس بتقويم البلدان، وألّفتْ فيه المؤلفاتُ، ووضعت الخرائط والصور، وحررت القواعدُ التي نعرف بها مواقعَ البلدان تحريراً تاماً. فإذا استقبلت مطلعَ الشمس كان أمامَك المشرق، وخلفَك المغرب، وعن يمينك القطب الجنوبي، المعروف بالجَدْي. وعن يسارِكَ القطبُ الشّمالي المعروف بالجاه.

[تعريف خطوط الطول والعرض]

والأرض مقسومةٌ بخطٍّ من القطب إلى القطب، وبخط آخر من المشرق إلى المغرب، فصارت أربعة أرباعٍ، بها تعرف البلدُ المطلوبة في أي ربعٍ من تلك الأرباع.

وتفصيل ذلك بالاختصار: أنهم قسموا الأرضَ قسمين: شمالي، وجنوبي، بخطٍّ مستطيلٍ من المشرق إلى المغرب، مستديرٍ بالأرض، مسامتٍ للموضع الذي يعتدلُ فيه الليل والنهار دائماً، أي: حيث يكون الليل اثني عشرَ ساعةً، والنهار كذلك، في كل فصول السنة، وسمّوه: (أ) **خطَّ العَرض**، أي: قسْم الأرض عرضاً. و(ب) **خطَّ الاستواء**: لكونه الموضعَ الذي يستوي فيه الليل والنهار دائماً.

وجعلوا خطوطاً أخرى عن شمالِ هذا الخط وعن جنوبِيهِ موازيةً له، بين كل خط وآخر مقدارٌ معلوم، يسمى درَج، وأطلقوا عليها: خطوط العرض، فما كان منها إلى ناحية القطب/ الشمالي (الجاه) يسمى بالعَرض الشمالي، وما كان من ناحية قطب الجنوب (الجدي) سمّي بالعرض الجنوبي. [١/ ٢٩]

ثم قسموا الأرض بخطِّ آخر يمتد من القطبِ، وسمّوه: **خطَّ الطُول**، أي: لأنه قسّم الأرض طولاً، وجعلوا شرقيَّ هذا الخط وغربيَّه خطوطاً أخرى موازيةً له، تقسّم الأرض إلى درجاتٍ، وسموها أطوالاً.

وقد جعل الأولون ابتداءَها، أي: خطوط الأطوال، من البحر الأطلانطيقي، الذي هو غرب بلاد فارس ومرّاكش، من جزائر هناك تسمّى الجزائر الخالدات، أو جزائر السعادة. ومنهم من ابتدأ بساحل بلادِ المغرب، والفرقُ بينهما عشرُ درَجٍ. ولكن علماء التقويم الآن جعلوا الابتداء من خط الزوال للمحلّ الذي أرادوا أن يبتدئوا بالعدّ منه، ويعدونه منشأً لها. فدولةُ فرنسا اعتبرت الخط المارَّ برَصْد خانة باريس منشأً ومُبتدأ خطّ الأطوال. ودولة إنجلترا جعلت ذلك من الخطّ المارَّ برَصْد خانة جرينْ رتش، بالقرب من لَوندرَهْ، ودولة ألمانيا بالخطّ المارّ ببرلين، ومصر بالخطّ المار بأكبر أهرام الجيزة، وهكذا. وحبّذا لو جعلَ المسلمون خطّ الزوال المارَّ بالكعبة المشرفة، وهي قبلتهم، منشأً لخطوط الأطوال، ولعل ذلك يكونُ إذا قدّر الله لهم حياةً علمية وسياسيةً، وإلى الله ترجع الأمور.

[دقة خطوط الطول والعرض]

فانقسمت الأرضُ، بواسطة خطوط الأعراضِ، إلى ثلاثمئة وستين قسماً، يطلق على القسم درجة، وبخطوط الأطوال كذلك. ونشأ عن تقاطع خط الزوال

وخط الاستواء، أن انقسمت الأرض أرباعاً، كل ربع منها تسعون درجةً، أو تسعون خطاً، فمن القطب الشمالي إلى المغرب الأصل تسعون درجةً، أو خطاً، يطلق عليها: عرض شمالي غربي. ومنه إلى مطلع الشمس تسعون درجةً، أو خطاً، يطلق عليها: عرض شمالي شرقي. ثم من القطب الجنوبي إلى المغرب الأصل تسعون درجةً، تسمّى: عرض جنوبي غربي. ومنه إلى المطلع تسعونَ درجةً، تسمى: عرض جنوبي شرقي. ونشأت، بواسطة الخطوطِ الموازية لخطّ نصف النهار وخَط الاستواء؛ شبكةٌ من الخطوط متقاطعةً متداخلةً، حدث عن تقاطعها مربعاتٌ صغيرة، فبواسطتها يعرف سمتُ القبلة، ومواقع البلدان، ويعرف ما هو منها شرقيٌ عن المحلّ الذي أنت فيه، أو غربي، أو شمالي، أو جنوبي.

[حساب مقادير الدرجات بالأمتار]

فبواسطة الأعراض تعرفُ كونَ البلد شمالية أو جنوبيةً بالنسبة إليك، وبواسطة الأطوالِ تعرف كونها غربيةً أو شرقيةً عنك، إذا عرفتَ عرض البلد الذي أنت به وطوله، وعرفتَ عرض البلد الآخر وطولَه. والشمسُ تقطع مقدارَ الدرجة في أربع دقائق، فالبلدُ الكائنة غربيَّ بلدِك بدرجةٍ واحدة، يتأخر غروبُ الشمس فيها أربع دقائق عن بلدك، وتطلع عندك قبلَها بمثل ذلك. فإن كانَ البعد بينَ البلدينِ أكثر، كان التفاوتُ أكثرَ على هذا القاعدة. والدرجةُ تنقسم إلى ستين دقيقةً، والدقيقة إلى ستين ثانيةً، وقدر الثانيةِ الأرضيةِ: واحدٌ وثلاثون متراً. فالدقيقة: ١٨٥٢ متراً، والدرجة المتوسطة من دائرة نصف النهار: ١١١٢١، ومن دائرة الاستواء: ١١١٣٠٧.

[فائدة حول كروية الأرض، واستقبال عين القبلة]

وبهذا تعلمُ أن الدرج التي قسّمت إليها الأرض غير متساويةٍ في الحقيقة،

بل بينهما تفاوتٌ يصعب ضبطُه، لأن كروية الأرضِ ليست تامةً، بل فيها امتدادٌ وانبساط، كلما بعُدتَ عن خط الاستواء إلى ناحيتي القطبين. ولذلك امتحَن علماء الإفرنجِ الدرجةَ في بلدانٍ وممالكَ عديدة، فلم تتفقَ في قدر المساحة، فكلّما بعد خط الدرجة عن خط الاستواء إلى ناحية القطبِ، صارت مساحتها أطولَ.

ولا يغرنّك ما ترَى في بعض كتب التقاويم الأرضيةِ، وصور الأرض، المعروفة بالخرائط، من تصويرهم كرةَ الأرض بالتكوير التامّ، المقسومِ بخطوط عرضٍ وطولٍ مستويةٍ، فإن ذلك كله خلافُ الواقع. وإنما هو تحسينٌ للصُوَر، وتقريبٌ للمتعلمين، وترغيبٌ في هذا الفن، مع أنه لا توجد طريقة أخرى لمعرفة مواقع البلادِ، وسمت القبلةِ، خيرٌ من طريقة الأعراض والأطوال.

ويلزم مع ذلك معرفة قاعدة (أخْذ السمْت، وارتفاع الشمس)، وغيره، مما لايعرف إلا بالآلات الهندسية، كالأسطرلابات، والمقنْطَرات، والرُّبْع المجيَّب، وفي كل ذلك تقريب، فما يقوله الفقهاء من أنه يجب التوجه في الصلاة إلى عين القبلة أمر متعذّر، قال بذلكَ محققو هذا الفنّ، كابن البناء، وغيره.

[التنويه بالاختراعات الحديثة]

وقد جعل الأولون والآخرون جداولَ لأعراض البلدان وأطوالها، ولكن لم يزل الخلل يظهر فيها كلّما ازداد الناس علماً وفحصاً. هذا مع أن الوسائل إلى معرفة ذلك/ قد توفرت في هذا الزمان، توافراً يحير الأذهان، ولا سيما لمعرفة [١/ ٣٠] خطوط الأطوال، كحمل الساعات المضبوطة من مكان إلى آخر، والإخبار بالوقت في بلدين مختلفيــنِ بالطول، بواسطة التلـغراف واللاسلـكي والراديـو، وأسبـاب المواصلات التي يقطع بها المسافات بغاية السرعة، كالطيارات، وغيرها. ولكن

علم البشر محدود، ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، ولا يقف أحدٌ على حقيقة المسافات ومواقع البلدان بالضبط التام إلا بالاستقراءِ بالمساحة، أو ما يقوم مقامَها، كالتلغراف ونحوه من الأسباب الموصلة إلى معرفة ذلكَ في كل بقعة من بقاع الأرض، وذلك أمر تفنى من دونه الأعمار.

[تقسيم اليابسة إلى قارَّات]

ثم اعلم أن البـر في الحقيـقة بمثـابةِ جزيرة طـافيةٍ على الماء، وأكثره واقع في شمال خط الاستواء، ٣٩ جزءًا من المئة (٣٩٪) من نصف الأرض الشمالي، والإحدى والستين جزءًا (٦١٪) الباقية: ماء. أما البرّ في جنوبِ خط الاستواء فقليلٌ، وقد قدّروه بنحو (١٤٪) جزءًا من المئة من نصفها الجنوبي، والباقي ماء. وقد قسّم البر إلى أراضي كبيرة ليسهُل معرفتها، والدلالة عليها. وأطلقوا على كل أرضٍ منها اسمَ: قارّة، بتشديد الراء. وأما ماصَغُر منها فيسمى جزيرةً، إذا أحاط بها الماء، وإن كان الماء في الحقيقة محيطاً بالأرض كلها، ولكنه اصطلاح. وهي: آسيا، وإفريقيا، وأوربّا، وأمريكا، وأستراليا. ويتبع كل قارة الجزائر القريبة منها، الواقعة في البحر المتصل بها.

[قارة آسيا]

فأعظم هذه القارات: آسيا، وهي أشهرها، وأقدمها عمراناً، وعنها تفرّعت الأمم، ومنها خرجت الأديان السماوية المشهورة.

[حدود قارة آسيا، وسكانها]

ويحدها من الغرب: قارّة أوربا، يميّزها عنها جبالُ الأورال، وبحر قزوين، وأول حدود الروس بعد بلاد القوقاس، والبحر الأسود، وبحر مرمرة عند القسطنطينية،

وبحر الأرخبيل عند جزر اليونان، وهو ممتد من البحر الأبيض، ويفصله عن إفريقيا قنالُ السويس، والبحر الأحمر، والبحر الهندي، كما يفصلها البحر الأبيض عن أوربّا وإفريقيا. ويحدها من الشرق: المحيط الهادي، وهو بحر عظيم، يفصلها عن أمريكا. ويحدها شمالاً: المحيط المتجمد الشمالي، المتصل بدائرة القُطب الشمالي. ويحدها جنوباً: المحيط الهندي. وفي بعض المواضع، كشواطئ حضرموت، ليس بينها وبين القطب الجنوبي إلا البَحر! فمن قام على شواطئ البحر بحضرموت، مستقبلاً للجنوب، فأمامه بحرٌ عظيم يمتد إلى القطب.

ويسكنها من أجناس البشر: العرب، والفرس، والترك، والتتر، والأرمن، والأكراد، وأجناس الهنود، والملايو، والصينيون، والجفّونيون[1]، وهناك فروعٌ تفرعت عن بعض هذه الأجناس، لا نطيل بذكرها.

[مساحة قارة آسيا]

ومساحتها نحو ١٧ مليون مربع. وأعظم عَرْضها من الشّمال إلى الجنوب: خمسة آلافٍ وثلاثمئة ميلٍ، وأعظم طولها من الشرق إلى الغرب: سبعة آلاف وستمئة ميل. ومسافة سواحلها: خمسة وثلاثون ألف ميل. ولها جزائر عظيمة، تسكنها أجناس آسيوية، وفيها أعلى جبال العالم، وأنهار عظام. وهي واقعةٌ بين درجةٍ واحدة، و١٧ دقيقة من شمالِ خط الاستواء، وبين ٧٦ درجةً من العَرض الشمالي. فهذا حدّها بخطوط العرض، وأما خطوط الطول: فهي واقعة بين ٢٢ درجةً، و٣٣ دقيقةً، وبين ١٨٧ درجةً، و٤٠ دقيقةً، من الطول الشرقي، من خط زوال باريس.

---

(١) أي: اليابانيون، وكان الحضارمة في شرق آسيا في زمن المؤلف ينطقونها (الجَفّون)، بتشديد الفاء، وذلك دخل عليهم من التثقيل في نطق حرف (p) في كلمة (Japan) لقرب مخرجه من مخرج الفاء. (مصحح).

وماقدمنا نقله عن أبي محمد، الحسن بن أحمد الهمداني، من جعله جزيرةَ العرب: ما غلب فيه اللسان العربي، وإن تفاضلَ. وتحديده لها بماسبق؛ منتقدٌ من جهة أن اللسان العربيَّ غالبٌ في مصر، وطرابلس الغرب، وتونس، والجزائر، والمغرب الأقصى. وليست هذه البلاد معدودةً من الجزيرة العربية، وإن اعتبرناها من البلاد العربية باعتبار سكانها، وهو قد أدخل فيها العراقَ، والموصل، والشام، إلا أدنة، وعَينْتاب، وماصَالاهما من ديار بكر، ولكن خطوطَ العرض التي ذكرَها لهذه البلاد فيها خطأ، لأنه نقلَها من الكتب القديمة، وليس الفرق بكثير. ومما يؤيد ما ذكره من التحديد: أن الأمم القديمة التي سكنت في تلك البلاد، من بابليين، وكلدانيين، ونبَط، وأشوريين، وفينقيين، وآراميين، وعمالقة، كلهم ترجع أنسابهم إلى أصل واحدٍ، يدل على ذلك تقاربُ لغاتهم، ويؤيده ما سيأتي نقله عن «مرآة الحرمين».

[مقادير الأذرعة والمساحات والأطوال]

وكذلك جعله الدرجةَ: ستةً وستين ميلاً، وثلثي ميلٍ، فهذا نقلٌ عن بطليموس، ولكن لايعلم الآن مقدار ذلكَ/ الذي استعمله بطليموس، كما ذُكِر ذلك بهامش «رياض المختار ومرآة الميقات والأدوار»، للغازي أحمد مختار باشا. [/٣١]

[١] وذكر هو، والمسعودي: أن المأمون العباسي امتحن مقدار الدرجة في صَحراء سنجار، فوجده ستةً وخمسين ميلاً. والميل: أربعة آلاف ذراعٍ بالأسْوَد، وهي الذراع التي وضعها المأمون للثياب، ومساحة البناء، ولسعة المنازل، والذراع: مئة وعشرون أصبعاً، هكذا قال المسعودي. وهو كما ترى عجبٌ من العجب!

[٢] وأما الغازي أحمد مختار باشا، فظن أنها الذراعُ التي يذكرها الفقهاء في باب قَصر الصلاة! ولكن يعارض ظنّه: ما نقله المسعودي، ومع ذلك فهو محال.

[٣] وأما ابن خلدون: فذكر أن الدرجة خمسةٌ وسبعون ميلاً، والميل: أربعةُ آلاف أذرع، والذراع: أربعةٌ وعشرون أصبعاً، والأصبع: ست حبات شعيرٍ مصفوفة.

[٤] وأما العلامة عثمان بن عبد الله بن عقيل بن يحيى، السيد الشريف العلوي الحسيني، فقد ذكر في «أطلسه»: الدرَجة، واستعمل في ذلك اصطلاحات وألفاظاً هولندية، وهذه عبارته، وزدنا تفسير بعض الألفاظ بين قوسين، قال: «وأما قدْر الدرجة الواحدة من مساحة الأرض: هو ميلٌ، بالأميال العرفية. وكل مِيلٍ منه قدره: ستة آلافٍ وثمانون كاكي، (الكاكي: عبارة عن ثلث الذراع الإنكليزي المسمى باليارْد، أو البِيلا، ويقسّم اثني عشر قسماً، يسمى واحدها: إنش. والكاكي ونصف: يساوي ذراعاً ونصفاً، بذراع الرجل المعتدل) على نحو أربعة آلافٍ، وثلاثةٍ وخمسين ذراعاً ونصفاً، فيكون (أي: الميل العرفي) فُل ورُبع تقريباً، (الفل: هو الميل الهولندي).

وأما الميل الشرعي: فقدره ستة آلاف ذراعٍ، عند أكثر العلماء، وهو أكبر من الميل العرفي بنحو نصف مرة، (لعل مراده: بنحو النصف)، فصحّ قدر الدّرجة المذكورة بالفُل (الميل الهولندي): ٧٥ فُلّاً تقريباً. وأما مدة قطع المسافة: فالماشي بالرِّجل يقطع الفُلّ في مدة عشرينَ دقيقةً تقريباً، وتقطعه الكِرَيتة المعتدلة (أي: العربية التي يجرها الخيل): في سبع دقائق. وتقطعه كِرَيتة الدّخان المعتدلة: في نحو دقيقتين، (كِريتة الدخان: هو القطار، السكة الحديدية). ويقطعه مركب الدّخان (أي: مركب البخار): في نحو أربع دقائق ونصفٍ. فيكونُ سير المركب المذكور في مدة ساعة واحدةٍ: ثلاثةَ عشر فُلا ونصفاً، عن: مئة وعشرةِ أميالٍ ونصف. وفي اليوم والليلة: يقطع رُبعَ درج و١٢ ميلاً، غالباً. فمن بلد سنْغفُوره إلى عدن، مساحة بينهما: نحو ٥٩ درجةً، يقطعها في مدة: ١٤ يوماً، تقريباً، في الكل». انتهى كلامه. وفيه فوائد.

وقد تحسنت صناعة المراكب، وزاد جَريها، حتى إن منها ما يصل إلى المكلا من بتَاوي[١] في مدة عشرة أيام.

[٥] وأما على ما ذكره صاحب كتاب «الدرر التوفيقية في تقريب علم الفلك والشيوديزية»[٢]، نقلًا عن التقويم الفرنساوي، المعروف باسم كتاب «معرفة الأزمان»، وعن كتاب «جدول الأوضاع الجغرافية»، تأليف كوليه: أن المسافة بين: سِنغفُورَة، وعدَن، هي: ٥١-٥٣-٥٨، أي: ثمانيةٌ وخمسون درجةً، وثلاثة وخمسون دقيقةً، وإحدى وخمسـون ثانيةً. تقطعها الشمسُ في ثلاث سـاعات، وخمسةٍ وخمسين دقيقةً، وخمسةٍ وثلاثين ثانيةً، وكسورٍ من ثانية. وهذا هو فرقُ الزّمنِ بين البلدين، وهو قريب مما تقدم.

[٦] وقد سألتُ إدارة المساحة بمحروسة جُهور بهارُو، عن مقدار الدرجة، فقيل لي: إنها تتفاوتُ مقاديرها، فهي تتراوح بين الستين والسبعين ميلاً إنكليزيةً، وقد تزيد. ويمكن أن تقدّر بسبعين ميلاً، باعتبار الوسَط. وبمثل ذلك قال صاحب «الدرر التوفيقية»، فإنه قالَ في بيان أن شكل الأرض ليس كُرويًّا بالضبط: «قد يظهر من عدم تساوي طول الدرجة الأرضية في جميع البقاعِ، أن الأرض ليست كُرَوية، ولكن طول الدرجة يأخذ في الازدياد، تبعاً لبعدها عن خط الاستواء، يتبين: أولاً: أن الأرض مبطّطةٌ نحو القطبين». وقال أيضاً: «إن طول قوس الدرجة الأرضية ليس واحداً في جميع البقاعِ، وإنه يكبر تبعاً لكبر عرض المحل، أي: أنه يأخذ في الازدياد من خط الاستواء نحو القطبين»، اهـ/ . [/٣٢]

---

(١) هو الاسم الهولندي القديم لمدينة جاكرتا عاصمة إندونيسـيا. (مصحح).

(٢) يراجع لمعرفة معنى هذا المصطلح: مقدمة الكتاب.

[الميل الذي اعتمده المؤلف]

والذي جرينا عليه في هذا التاريخ: هو حسابُ الميل على ما اختارَه ابن عبْد البَر، وارتضاه السمهوديُّ، وأشار اليه ابن حجر في «حاشية الإيضاح»، وحرره في «بغية المسترشدين»، وهو الموافق لما حددوا به أميال الحرم على أوفق الأقوال. والموافقُ لاختيار سير الإبلِ، ودبيب الأقدام: أن الميل الشرعيَّ هو: ثلاثة آلاف وخمسمئة ذراعٍ، وهو مقدار الدقيقة الأرضيةِ الذي ذكرناه سابقاً، أي: ١٨٥٢ متراً، أو: ١٨٥٥ متراً، على الاختلاف بين الدرجة: من نصف النهار، أو من خط الاستواء. والفرق بينهما: ثلاثة أمتارٍ، وهو فرق لا يضر.

فالدرجة: ستون ميلاً، وذلك الذي سماه العلامة عثمان بن يحيى، السيد الشريف، بالأميال العرفية، وهو الذي حرّره العلامة السيد أحمد الحسيني بيك المصري، في كتابه «دليل المسافر»، وجمع به بين أقوال علماء المذاهب، وما علم من أميال أعلام الحرم. وقد تعرض الشيخُ ابن حجر للجمع في «حاشية الإيضاح»، وظهر صوابُ القول: بأن الميلَ الشرعي كما قاله ابن عبد البر. وقد ذكر اللواء، الحاجّ ابراهيم رفعت باشا، كالسيد أحمد الحسيني: اختبارَهما مشيَ الجمال، أنه لايزيدُ على أربعة كيلومترات في الساعة، وقال بعضهم: إن النجيبَ يقطع في الساعة عشرينَ كيلومتراً.

[فوائد جغرافية مهمة من كتاب «مرآة الحرمين»]

وقد ذكر اللواء إبرهيم رفعت باشا، في الجزء الأول من كتابه «مرآة الحرمين» [١/١٤٣-١٤٨]، الجزيرة العربية وأقسامها، بكلام محرّرٍ، مع زيادة بيانٍ من عندنا، نجعله بين قوسين، قال:

«فصلٌ جغرافي موجَز في وصف بلاد العرب

(أ) حدودها، وشواطئها، وأهمية موقعها

حدودها: شبه جزيرة العرب، أو جزيرة العرب، كما يسميها العربُ، أو الجزيرة فقط، كما يسميها بعضُهم. هي ثالثة أشباه الجزائر الآسيوية الكبيرة، الواقعة في جنوب آسيا. تحدّها البحار من ثلاث نواحٍ، فتفصلها عما يليها في هذه النواحي فصلاً تاماً. يحدّها البحر الأحمر غرباً، والمحيط الهندي جنوباً، وبحر عمان، والخليج الفارسي شرقاً، أما حدودها الشمالية العامّة فمبهمةٌ، غير واضحة. فقد يُلحِقون بها شبه جزيرة سيناءَ، وبادية الشام، والجزيرةَ، والعراقَ، وقد لايفعلون. وهذه الجهات تعدّ منها من الوجهة الطبيعية، وإن كانت لا تعد منها من الوجهة السياسية، وعلى كل حالٍ، فمساحة الجزيرة العربية تبلغ نحو ألف ميل مربعٍ، أي: نحو ثلث القارة الأوربية.

شواطئها: يكاد الشاطئ الغربي (وهو من باب المندب إلى خليج العقبة، عليه مراسي: تهامة اليمن، وعسير، والحجاز)، يكون خطاً مستقيماً، وهو على العموم قليلُ المرافئ الصالحةِ لرسوّ السفن. وأهم الجزائر الواقعة بالقرب منه، والتابعة لبلاد العرب: جزائر فرَسان، وكمَران، وبريم، الواقعة عند مدخل مضيق بابِ المندب.

والشاطئ الجنوبي، الممتد في تقوّس وانحناءٍ: من مضيق باب المندبُ، إلى رأس الحدّ، (هذا على المحيط الهندي، ويقال لهذا القسم منه: بحر العرب، وبحر عمان. وهو يمرّ بعَدن، فشُقْرة، فأحور، فعين بامعبد، فبيرعلي، فبُروم، فالمكلاّ، فالشحر، فسيحُوت، فمرباط وظفار، وسواحل عمان، إلى رأس الحدّ)، به عدّة ثغور حسنة. أهمها: عدن، والـمكَلّة، (صـوابه: المكلّا، بالألف وتشديـد اللام، ومعناه باللغة العربية: المرسى، كمـا في «القـاموس» و«شرحه»، ـ والمؤلفـون المصريـون يغلطون غـلطاً فاحشاً في

أسماء البلدان الشرقيةِ البعيدة عنهم، لأنهم يأخذون عن مؤلفات الإفرنج وخرائطِهم، والإفرنج أشد الأمم تحريفاً للأسماء، وليًّا لها بألسنتهم، وحروفُهم ناقصةٌ، لا يكفل بها رسم الكلمات الشرقية)، وبالقرب منه: جزيرة سُقُطْرا، (هي واقعة في البحر، بين شواطئ المهرة، ورأس حافون)، وجزائر كُورياموريا (هي أمام شواطئ المهرة).

وأما الشاطئ الشرقي، (أي: شاطئ الخليج، الداخل إلى البصرة، والفاصل بين: بلاد العرب، والسند، وفارس. ويقال له: الخليج الفارسي)، الممتد من رأس الحد إلى الكويت، فرمليٌّ قريبُ الغور، وتقع قريباً منه جزائر البحرين الشهيرة. هذا، ويبلغ طول الشواطئ العربية من السويس إلى مصب الفرات: نحو ألف ميل/ ». [/ ٣٣]

[تنبيه على وهم في «مرآة الحرمين»]

أقول: هكذا قال اللواء رفعت باشا، وقال: «إن هذا الفصل بقلَم حضرة عبد الحميد أفندي العبّادي، أستاذ التاريخ والجغرافيا بمدرسة القضَاء الشرعي». وأحسب أن ما ذكره سبقُ قلم، أو غلطٌ مطبعي، فإن الشواطئ العربية على البحر الأحمر، وهو غربي الجزيرة العربية، وعلى البحر الهندي، وهو جنوبيها، وعلى الخليج الفارسي، وهو شرقيها: يبلغُ مقدار أربعين درجةً، فإذا ضربناها في ستين ميلاً، مقدار الدرجة، كان الحاصل: ألفين وأربعمئة ميلٍ.

وقد اعتبرتُ هذا من خريطة كبرى، جُعلت للجيش الإنكليزي الهندي، فهي خريطة عسكرية، والخرائط العسكرية يتحرَّون في ضبطها. فمن السويس إلى ما هو أمام عدن في البحر: ١٨ درجة، ومن عدن إلى جميلة، قريب من خور بني علي، ورأس الحد: نحو ١٦ درجة. ومنها إلى مصب الفرات نحو ستّ درجٍ، فتلك أربعون درجةً، بل لعل المسافة أطول إذا اعتبرنا الازْوِرار والانعطافَ في الشواطئ مما تزيد معه المسافة، على من تبع خطّ الشاطئ، والله أعلم.

ثم رأيت في كتاب «المسالك والممالك»، لأبي القاسم، عبيد الله بن عبد الله بن خُرداذْبَه، مولى أمير المؤمنين، في (صفحة ٦٠ و ٦١) من النسخة المطبوعة بمطبعة ليدن، قال: «قدِّر من البصرة إلى عبّادان: ١٢ فرسخاً، ثم إلى الخشبات: فرسخان، ثم عرض البحر إلى شاطئ العرب: ٧٠ فرسخاً، وعلى شطّ العرب من الخشبات إلى البحرين: ٧٠ فرسخاً، ومنها إلى الدردور: ١٥٠ فرسخاً، ثم إلى عمان: ٥٠ فرسخاً، ثم إلى الشحر: ٢٠٠ فرسخٍ، ومن الشحر إلى عدن: ١٠٠ فرسخ»، اهـ.

فإذا أسقطنا ٧٠ فرسخاً عرضَ البحر من شط العجم إلى شط العرب، بقيت: ٥٨٤ فرسخاً، فإذا ضربناها في ثلاثةٍ، عددَ أميال الفرسخ، كان الحاصل: ١٧٥٢ فرسخاً إلى عدن، يضاف إلى ذلك شواطئ اليمن، والحجاز، على البحر الأحمر. فظهر صحّة ما قلناه من الخللِ في كلام عبد الحميد أفندي، بل يزيدُ ما قاله ما ابن خرداذبه على قلناه، بمقدار: ٤٣٢ ميلاً، فإما أن يكون بسبب ازورارٍ وانعطاف الساحل، أو يكون بسبب أن الميلَ عند ابن خرداذْبه مقدار: ثلاثة آلافِ ذراعٍ، لا بثلاثة آلاف وخمسمئة ذراعٍ، والله أعلم.

[تتمة وصف جزيرة العرب من «مرآة الحرمين»]

أهمية موقعها: هذا الموقع المتوسط الذي تقعُه بلادُ العرب، بين المحيط الهندي والبحر الأبيض المتوسط، وبين آسيا وإفريقيا الشمالية، اللتين هما أهم أقطار العالم التجارية في العصور القديمة والمتوسطة، ومن أهم أقطاره التجارية في العصور الحديثة؛ قد جعل لبلاد العربِ منذ أقدم أزمنة التاريخ، أهميةً تجارية عظيمة، بحرية وبريةً، كما يعلم المطّلع على تاريخ العرب في الجاهلية والإسلام.

(ب) الجو، والنبات، والحيوان

(١) **الجو**: ليس جو بلاد العرب على حالةٍ واحدة في جميع أنحائها، بل هو يختلف اختلافاً بيّناً من مكان لآخر، فالجهات المنخفضة القريبةُ من البحار: حارةٌ غير صحية، والجهات المرتفعةُ: جافةٌ صحية، ويسقط المطَر بنجدٍ في فصل الربيع والخريف. وقد تنخفضُ درجةُ الحرارة شتاءً باليمن فتفوت درجة التجمد، وقد ترتفع في الصيف فتبلغ ٨٠ درجةً بمقياس فهرنهايت، (هو أنبوبة من الزجاجِ، يوضع فيها الزئبق، وهو يرتفع وينخفض في الأنبوبة تبعاً لحرارة الجو وبرودته، وقد قسمت الأنبوبة إلى خطوطٍ تسمى درجاتٍ، فيعرف به درجات الحرارة والبرودة)، وتستفيد هذه البلاد من الرياح الموسمية، فيسقط بها المطر في: مارس، ويولية، وأغسطس، وسبتمبر. وقد يدوم فصل المطر في الحجازِ نحوَ خمسة أسابيع في فصل الخريف، وأما الجهات الشمالية فالمطر بها نادرٌ، وإذا سقط فإنما يسقطُ في فصل الشتاء.

(٢) **النبات**: تعد اليمن أخصبَ أنحاء الجزيرة العربية، ويزرع بها: البنّ، والفاكهة، والخضروات. ومن حاصلات الحجاز: الحنّاءُ، والبلسم. وأهم حاصلات حضرموت: البَخُور. وأهم مزروعات عمان والأحساء: النيلة. وأما النخلُ، فينمو في أكثر أنحاء الجزيرة، وقد جُلب إلى بلاد العرب من الخارج: شجرُ جوز الهند، والموز، فنما بها نموًّا حسناً.

(٣) **الحيوان**: أهمه الإبل، والغنم، والخيل، والحمير. وكلها تعد في الطبقة الأولى من نوعها، ولا سيما مهَاري مهرة، وخَيل نجد. ويوجد النعامُ ببعض الصَحاري العربيةِ، غير أنه قليل. ويكثر السمك بخليج عُمان، ويستخرج من مغاصات اللؤلؤ الشرقية، ما قيمته سنويا: ٣٠٠,٠٠٠ جنيه (ثلاثمئة ألف جنيه).

(ج) الوصف الطبوغرافي

مقدمة: كان جغرافيو الإغريقِ والرومان، يقسّمون بلاد العرب، بالنظر إلى طبيعة أرضها، إلى ثلاثة أقسام: بلاد العرب الحجَرية، وبلاد العرب السعيدة، وبلاد العرب الرملية.

فأما الأولى فكانت عندهم: شبه جزيرة سينا، **وأما الثانية، فهي**: بلاد اليمن. **وأما الثالثة:** فكل ماعدا هذين الإقليمين من بلاد العرب.

وأما العربُ، فكانوا يقسمونها باعتبار المواضعِ والأقاليم، وأساس تقسيمها عندهم: جبال السراةِ، التي تمتد من أطراف بادية الشامِ إلى اليمن، فتنقسم جزيرةُ العرب إلى قسمين: غربي، وشرقي. فالغربي، وهو أصغرهما: ينحدر من سفح ذلك الجبلِ حتى يصل إلى شاطئ البحر الأحمر، وقد صار (هابطاً)، أو غائراً، فسمّوه: الغَور، أو: تهامة. والقسم الشرقي، وهو أكبرهما، يمتد شرقاً، وهو على ارتفاعه إلى أطراف العراق، والسماوة، فسمّوه: نجداً، لهذا السبب. وسمّوا الجبل الفاصلَ بين تهامة ونجد: **الحجاز**، وهو عبارة عن جبالٍ تتخللها المدن والقرى، وجعلوا ما تنتهي به نجد في الشرق، حتى يصل إلى خليج فارس، وبلاد اليمامة، والبحرين وعمان وما والاهما، ويسمونها العُروض، وسموا القسم الجنوبي: بلاد اليمن، وحضرموت، والشحر.

وأما الجغرافية الحديثة: فتميل إلى تقسيم بلاد العربِ باعتبار قربها من البحر أو بعدها عنه، وعلى هذا الاعتبار، تقسّم بلاد العرب إلى قسمين كبيرين: (١) بلاد العرب المتصلة بالبحر، وتشمل: الحجاز، وعسيراً، واليمن، وحضرموت، ومهرة (الشحر)، وعمان، والأحساء (البحرين). (٢) بلاد العرب غير المتصلة بالبحر، وهذه تشملُ: نجداً، والصحاري الداخلية. وسنتّبعُ هذا التقسيم، ونذكر كلمة موجزة في كل قسم من هذه الأقسام.

[أ] بلاد العرب المتصلة بالبحر:

(١) **الحجاز**: أهم الأقطار العربية من الوجهة التاريخية، فيه نبتَ الإسلام ومنه درجَ، كما سترى في الفصل التاريخي الآتي. وهو يمتد بوجه عام من رأس خليجِ العقبة إلى حدود اليمن، إذا اعتبرنا عسيراً داخلةً فيه، كما يصنع بعض الجغرافيين. وبه من الأودية: وادي الحمد، ووادي الرِّمّة. وأهم مدنها: مكة المشرفة، والمدينة المنورة، والطائف، الشهيرة بفواكهها الجيدة. وأهم ثغوره الواقعة على البحر الأحمر: الوجه، والحوراء، وينبع، ورابغ، وجدة، وكلها محطات الحجاج المصريين.

وينـزله من القبائل العربية الآن: عربُ الحوَيطات، في الإقليم الشمالي، المسمّى حِسْمَى، وعرب عنزة شمال المدينة، وبلي مابين العقبة والوَجْه، وقُرَيش شمالي عرَفة والطائف، وهُذَيل في الجبال التي بين مكة والطائف، وثقيف في جنوبِ وشرقي الطائف.

(٢) **عسير**: تتسع جبالُ السراة جنوبي مكّة والطائف، فتكوّن الإقليم المعروف بعَسير، الواقع بين الحجاز شمالاً، واليمَن جنوباً. وهذا الإقليم، على العموم، من أخصب وأجمل الأقاليم العربية، وأغناها من الوجهة الاقتصادية. أهم أوديته: وادي ضِلَع، ووادي بيشة. وأهم مدنه: أبها، ومحايل، وصبيا. وأهم ثغوره: القنفُذَة. وأهم قبائل عسير: قبائل قحطان، التي هي أصل القبائل اليمنية.

(٣) **اليمن**: وتنقسم إلى قسمين غير متساويين: (أ) **تهامة اليمن**: التي هي عبارة عن امتداد تهامة عسير والحجاز. (ب) **ونجد اليمن**: ويتضمن أربعَ هضابٍ فرعية: هضبة نجران في الشمال، وهضبة مأرب في الشرق، وهضبة صنعاء في الغرب، وهضَبة تعز في الجنوب.

وأهم مدن اليمن: صنعاء، وهي العَاصمة، ثم صَعْدة، ومأرب الشهيرة بآثارها القديمة، وبريم، (يسمّيها عربُ عدن: مَيُّون، بفتح الميم وتشديد الياء المضمومة)، وتعز، ولحج، وزَبيد. وأهم ثغور اليمَن: الحديدة، ومخا، الواقعتان على البحر الأحمر، وعدَن، الواقعة على المحيط الهندي، والتابعة لإنجلترا (وكذلك جزيرة بريم، الواقعة عند مدخل مَضيق باب المندب).

(٤) **حضرموت**: (وقد تقدم نقلُ ماقاله فيها، فلا داعي لإعادته).

(٥) **مَهْرة**: وكان جغرافيو العرب يسمّونها: الشحر، وتمتد شرقاً من سَيحُوت إلى حاسك، وتشتهر (اشتهرت) منذ القدم بالبَخُور، والصموغ. وأهم ثغورها: الشِّحْر، ومرْبَاط. هذا، وأرض مهرة الممتدّة من حاسك إلى عمان قاحلةٌ، وداخلُها غير معروف بالمرّة.

(٦) **عمان**: هي أبعدُ جهات العربِ من ناحية الشرق. يمتدّ شاطئها من رأس الحد إلى الرأس المعروف برأس عَنْدَم. وتكثر به المرافئ الجيدة، كما يكثر السمك بمياهه. وأهل عمان مشهورون من قديمِ الزمان بالمهارة في الملاحة، والاتجار مع بلاد الهند. وأما سطح عمان فجبليٌّ، يبلغ غاية ارتفاعه في الجبل الأخضر. وعاصمة عمانَ هي مسْقَط، وتقع إلى الشمال منها صُحَار، عاصمة عمان القديمة.

(٧) **الأحساء**: وكانت تعرف في عهد الدول العربية الإسلامية بالبحرين، أو هَجَر، التي كانت عاصمتَها إذ ذاك. أما لفْظُ الأحساء؛ فاسمُ المدينة التي (أنشأها) القرامطةُ في القرن الرابع الهجري، بالقرب من هجَر. والأحساء ثلاثة أقسام: (أ) قسم جنوبي، ويعرف بالقَواسم. (ب) وقسم متوسط، وهو عبارة عن شبه جزيرة (قطَر)، التي تشتهر هي وجزائر البحرين باستخراج اللؤلؤ. (ج) وقسم شمالي غربي، يمتد من قطَر إلى الكويت، ويسمى (القَطيف)، وأهم مدن قطَر: الهفوف،

وأهم مدن القطيف: الكويت، التي ستكون يوماً مّا مركزاً تجارياً عظيماً، لحسنِ موقعها الجغرافي. وأهم حاصلاتِ الأحساء: البلح، ويضرب المثل بكثرته.

[ب] **بلاد العرب الداخلية**: ويمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام: البادية، ونجد، والدهناء.

[١] **البادية**: ونطلقها مجازاً على الأرض الواقعة شمالَ نجدٍ، وإلا فهي عبارة عن: بادية العراق، والجزيرة، والشام. ويلي هذه البوادي: باديةُ السَّماوة، التي سلكها خالد بن الوليدِ عند منصرفه من العراق إلى الشام بأمر أبي بكر الصديق. وهي فلاةٌ لا يأمن سالكها الهلاكَ فيها عطشاً وجوعاً. وتلي بادية السماوة: الواحَة المعروفة قديماً بدَومة الجندل، وتُعرف اليوم بالجوف. وهذه الواحةُ واقعة على الوادي الآتي من حوران، والمعروف بوادي السّرْحان. وتلي الجوفَ: صحراءُ النفود، وهي فلاة قاحلة لا ماء بها.

[٢] **نجد**: هضبةٌ عظيمة تلي النفودَ، ويبلغ ارتفاعها أحياناً أكثر من ٥٠٠٠ قدم. تشقها أودية تكثر زروعها وحيوانها، وأهم هذه الأودية: وادي الرمَّة، وادي الدواسر. ونجد تنقسم إلى أقسام: حرّة خيبر في الغرب، والنعيم في الشمال، ونجد الأصلي في الجنوب. ويقع إلى الجنوب والشرق من نجد: الإقليمُ المعروف باليمامة، والذي يطلق عليه العربُ، وعلى البحرين معاً، اسم العَرُوض. هذا وجوّ نجدٍ أصح أجواءِ بلاد العرب. وأهم بلدان نجد: الرياض، وحائل، وعُنَيزة. وتنزله في الوقت الحاضر من القبائل: بنو سُبيع، وعنزة، وقبائلُ تنتمي إلى بني هلال المشهورة»، اهـ انتهى ما أردنا نقله.

[٣] ثم ذكر صَحراء سماها الدهناء. وجعلها القسمَ الثالث من البلاد العربية الداخلية، ولكنه وصفَها بصفة أرض وَبار، وحدّدها بحدودٍ، وقد غلط في ذلكَ، فإن

الدهناءَ بنجدٍ معروفةٌ، وهي خمسة جبالٍ من رملٍ، بينها الشقائقُ، الوادي بين جبلي الرمل، ويسمى شقيقة. وسيأتي ذكر وَبار في بابٍ خاص.

[استدراك على «مرآة الحرمين»]

[/٣٦] وقوله: «الواحة»! هذه كلمة لم نرَها في/ شيء من كتب اللغة، ولعلها قبطية أو مصرية[1]، ويظهر أن مرادَه بها: الموضعَ الذي به عمارةٌ، وماء، ونخل، وما أشبه ذلكَ، في بطن صحراء. وأهل حضرموت يسمونها غَيْضَة، جمعها غياضٌ، إن كانت فيها عيونُ ماء، وإلا فهي رَيدَة، وهي كلمة يمنية. وكل واد فيه نخلٌ، وماء، وقُرَى، يطلق عليه العرب: العَرْض، كما في «القاموس». وكانت العرب تطلق على مساكنها بالوادي: (ماء كذا، وماء كذا)، إذا كان بها ماءٌ، من أحساءٍ، أو عيون، أو بئر، وقد يسمّونها بالحفر، والحفير، بالحاء المهملة، والجفْر، بالجيم، وسكون الفاء، وغير ذلك.

حُدودُ اليمَنِ

نذكر في هذا الفصل ما ذكرَه علماء تقويم الجزيرة من العربِ، سلفُهم وخلفُهم، في حدود اليمن، ولا تعلقَ لما نذكره بما وقع في الماضي، ولا بما سيقع في المستقبل، من التنازع في ذلك بين قبائل العرب أو ملوكها، وإنما هو بحثٌ علمي اصطلاحي.

---

(١) ما ذهب إليه المؤلف رحمه الله هو عين الصواب، وكلمة الواحة فرعونية قديمة، أخذت من الهيروغليفية، كما يقول الباحثون المصريون المعاصرون. ولكن وجدنا بعض المؤرخين العرب القدامى استعملوها، كالبكري في «معجم ما استعجم»، والشريف الإدريسي، وممن بعدهم الحميري في «الروض المعطار»، والنويري في «نهاية الأرب»، والسيوطي في «حسن المحاضرة»، ولكنهم لم يعمموها على ما وصفه المؤلف، بل حددوا إطلاقهم على بقعة في صحراء مصر عرفت باسم الواحات. فاستدراك المؤلف في محله، والله أعلم. (مصحح).

[١] قال ياقوت في «المعجم» [٥/٤٤٧] عن الأصمعي: «اليمن، وما اشتمل عليه، حدودها: بين عمان إلى نجران، وثم يلتوي في بحر العرب إلى عدن، إلى الشحر، حتى يجتاز عمانَ، فينقطع من بينونة. وبينونةُ بين عمان والبحرين. وليستْ بينونةُ من اليمن. وقيل: حدّ اليمن: من وراء تثليثَ وماسامتها إلى صنعاء وما قاربها، إلى حضرموت والشحر وعمان، إلى عدن أبين، وما يلي ذلك من التهائم والنجود، واليمن تجمع ذلك كله». اهـ.

[١] وقال أبو محمد، الحسنُ بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود الهمداني، في «صفة جزيرة العرب» [ص ٥١]: «صفة اليمن الخضراء: سُميت اليمنَ الخضراءَ، لكثرة أشجارها وثمارها وزروعها، والبحر مطيفٌ بها من الشرق إلى اليمن، فراجعاً إلى المغرب. ويفصل بينها وبين جزيرة العربِ خطٌ واحد من حدود عمان ويبرينَ، إلى حدّ ما بين اليمن واليمامة، فإلى حدود الهجيرة، وتثليث، وأنهار جرَش، وكستنة. ومنحدراً في السرةِ على شعَف عنز، إلى تهامة، على أم جحدم، إلى البحر، حذاءَ جبلٍ يقال له: كدْمَل، بالقرب من حَمْضة. وذلك حدّ ما بين كنانةَ واليمن من بطن تهامة.

وأول إحاطة البحر باليمن: من ناحية دمًا، فطُنوَى، فالجمْحَة، فرأس الفرتَك، وأطراف جبال اليحمد، وما سقط وانقاد منها إلى ناحية الشحر، فالشحر، فغُبّ الخيس، فغُبّ الغيث، بطنٌ من مهرة، فغُبّ القَمر، زِنةَ قمر السماء، فغُبّ العفار، بطن من مهرة، فالحيرج، والأسعاء.

وفي المنتصف من هذا الساحل، شرقاً، بين عمان وعدن: ريسُوت، وهومَوئلٌ كالقلعة، بل قلعة مبنية بنياناً على جبل، والبحر محيطٌ بها إلا من جانبٍ واحد في البر. فمن أراد عدَن فطريقُه عليها، فإن أراد أن يدخل دخلَ، وإن أراد جَاز الطريقَ ولم

يلوِ عليها. وبين الطريق الذي يفرق إليها والطريق المسلوكِ إلى عمان مقدارُ ميل. وبها سكنٌ من الأزدِ، بني جديد، وقد كان قومٌ من القَمر في أول عصرنا بيّتوا مَن بها ليلاً، فقُتلوا. فممن قُتل بها: رجلٌ يقال له عمرو بن يوسف الجديدي، من رؤوس أهلها، أزدي، والذين أبلوا ذاكَ من القمَر بنو خنزريت، وأخرجوا من بقي من أهلها، فتفرقوا إلى بلاد الغيث ومهرة، فسكنوا موضعاً منها يقال لها: حاسك، ومرباط، مدةً. ثم أعانتهم الثغرا من مهرة، حتى رَجعوا إلى قلعتهم، فلما دخلوا القلعة بعَون الثغرا، خافت بنو خَنْزريت، فخرجوا إلى البلدان، وخرج رئيسُهم محمد بن خالد بجماعةٍ من بني خنزريت، حتى دخلوا موضعاً يقال له: رُضاع، برفع الراء، وساكنه بنو ريام، بطنٌ من القمر، فجاوروهم. ولبني ريام حصنٌ بعُمان، عظيم، لا يرام.

ويقال: إن ساكن ريسوت القدماء البَياسرة، ونزلت عليهم جديد، من الأزد، فترأست فيهم، ثم نهكتها مع جديد ناسٌ من أحياء العرب، غير مهرة، وقد يتزوجون إلى مهرة. ورأس مَن بها بعدَ ذلك: موسى بن ربيع، من العدس.

ثم ينعطف البحر على اليمَن مغرباً وشمالاً من عدن، فيمر بساحل لحج، وأبين، وكثيب يرامس، وهو رباط، وسواحل بني مجيد من المندب، فساحل العميرة، والعارة، فإلى غلافِقة، ساحل زبيد، فكمَران، فعطينة، فالحردة، إلى منفهق جابر، وهو رأسٌ غَرِير، كثير الرياح، حديدها، إلى الشرْجة/ ، ساحل بلاد حكَم، فباحَة جازان، إلى عثْر، فرأس عثْر، وهو كثير الموج، إلى ساحل حمضة، فهذا ما يحيط باليمن من البحر»، اهـ. [/٣٧]

وقد نقل ياقوت الحموي في «معجم البلدان» ما ذكرناهُ باختلافِ قليلٍ، وشرحَ قول الهمداني: «ويفصِلُ بينها وبين جَزيرة العرب»، إلى آخره، بقوله [٥/٤٤٨]: «قلتُ أنا: هذا الخط من البحر الهندي إلى البحر اليمنيّ عرْضاً في البرية، من الشرقِ إلى جهة الغرب». اهـ.

أقولُ: وقد اعتبرتُ ذلك في «الخريطة الكبرى» التي صُنِعت سنة ١٩٠٨ غربي، للجيش الإنكليزي، وفي «الخريطة» التي ألحقها الرحالة المستر بروترام توماس الإنكليزي، في كتابه الذي نشره عن رحلته في قسمٍ من وَبار (الربع الخالي) وسماه «عربية فلكيس[1]»، أي: العربية السعيدة، وهو اسم كان يطلقه اليونان على اليمن.

[تعريف بعض المناطق التي وردت فيما سبق]

وبينونة: واقعة بين قطر وعمان، تبعد عن الحسَا إلى ناحية الجنوب بأكثر من درجةٍ، ومن جانبها الشرقي قُرَى: بابه، قدعافس، فاه، الخشم، فمفريجة، ضمير. ووراءهنّ إلى الشرق: خليج فارس، وفي غربيها: قرى الركيه، فالمهبى، فبدوخ العجوز، فهي، على ٢٤ درجةً، و ٨ دقائق من العرض الشمالي، وعلى ٥٢ درجةً، و٢٠ دقيقةً من خط الطول الغربي، تقريباً في الكل. فإذا مدَدنا بخط منها مغرباً إلى تثليث، كانت عمانُ، فالجانبُ الأكبر من الربع الخالي، ومهرة، وحضرموتُ، ورملة صَيْهد، كلها داخلةً في حد اليمن. وخرج عنه: أودية المقرن، والسليل، والدواسر، ومسافل وادي رَنية، وما كان شمالاً عن تثليث، وما سامته غرباً إلى البحر الأحمر. ودخل في حد اليمن: جبال قحطان، فوادي نجران، وما والاها، وما سامت ذلك غرباً إلى البحر الأحمر.

وكُتنه: هي أول حدّ الحجاز من ناحية السراة، وبها كان ملتقى الجيشين: جيش بني أمية، وجيش خوارج حضرموت، جاء صريخاً لمن كان منهم بالمدينةِ ومكة، فمُزِّقوا كل ممزق، وقد صحفه بعضُهم فقال: (كسْبه)، ثم فسره بأنه: موضع قريب من الحديدة! وصوابه ما ذكرناه. وقد قال الهمداني: «إن كُتنه على عَرض

(١) فلكيس: تعريب (Palqis)، أي: بلقيس، الاسم الذي يقال إنه اسم ملكة سبأ الواردة قصتها مع نبي الله سليمان عليه السلام في القرآن الكريم. (مصحح).

١٧ درجةً، و١٣ دقيقةً، وهي على تمام ١٥ بريداً من صنعـاء، وذلك: ١٨٠ ميلاً، وعرضها وعرض جرَش واحدٌ، لأنها على خط الطـول من المـشرق إلى المغـرب، على مسـافة أقـل من يومٍ، ومن الهجيرة وتثليث عن يوم في مشرقها». وما ذكره من العَرض يحتاج إلى امتحان وتحرير، ولكن ما ذكره عن الأميال والبرُد فهو معتمدٌ، وقد سبق كلامه في مقدار الميل، فلا نعيده.

وأما الموضع الذي يمر به الخط المذكور في الرمل، بين بينونة وتثليث؛ فإنه يمر بين سَبْخة مطي، ورَمل قبيلة المناصير. فتدخل سبخةُ مطي، وما سامتها غرباً من جادة الجويفا، فمريخ الفارس، فرَيدة الورَيقا، فمنتصف السحامة، أو سهب السحامة كما تسمى الآن، فما كان مسامتاً لذلك إلى تثليث، في حد نجد، وما وراءَ ذلك إلى الربع الخالي في حد اليمن. وكل هذا على وجْه التقريب، أو ردناه، ليقدر قارئُ كتابنا هذا على تصوّر ما قاله علماءُ تقويم البلدان من العرب.

أما صاحب «صبح الأعشى»، فإنه ذكر بيشَة بعطّان، قال [٥/٤٢]: «وفيها ماء ظاهر، وكرم، والحرس منها على ثلاثة أميال، (يعني: الحرَس الذين يحرسون الطريق)، وهي قريةٌ عظيمة، فيها عيون، وفيما بين سروم راح والمهبرة: طلحة الملك، وهي شجرةٌ عظيمة، وهناك حدّ ما بين عمل مكّة وعمل اليمن».

وقال في موضع آخر، عند ذكر حدود اليمن [٥/٣]: «يحدها من الغرب: بحر القلزُم، ومن الجنوب: بحر الهند. ومن الشمال (كذا): بحر فارس، ومن الشرق (كذا): حدود مكة، حيث الموضع المعروف بطلحة الملك». اهـ. وفي هذا تحريفٌ من الناسخ، وصوابه: ومن الشمالِ: حدود مكة، ومن الشرق: بحْرُ فارس/. [/٣٨]

❋ ❋ ❋

وصف ما تيسر من وديان
حضرموت وبلدانها وسدودها

وصف ما تيسر من وِدْيان
حضرموت وبلدانها وسدودها

الوديان جمع وادٍ، كما استدركه شَارح «القاموس» على الفيروزآبادي، ويجمع على أوداءٍ، وأوديةٍ، وأوَداةٍ، وهي لغة طيئ، وأوداية. والمراد بها كلّ مفْرجٍ مابين جبال أو تلال أو آكام، سمي بذلك لسيَلانه يكون مسلكاً للسيل ومنفذاً. وفي الأودية أغلبُ قرى حضرموت، لاجتماع المياه إليها، وصلاحها للحرث والغرس، وإنما يسكن الجِبِلان (صَحاري الجبال التي يسيل ماؤها إلى الأودية)، أهل البادية ومن لحقَ بهم.

وقد سبق أن ذكرنا حدودَ حضرموت التي تفصل بينها وبين ما جاورها من المخاليف اليمنية، وقد نقلنا تحديدهم لها من جهة الساحل: بعين بامعبد، والشحر، وبرُوم ونواحيها، إلى حد أرض المهرة.

وهذه السواحل جنوبيها: البحر الهندي، أو مايسمى الآن بحر العرب، أو خليج عدن، وغربيها: عدن. وشمالي عين بامعبد: جبالُ نُعمان، المعدودة من حضرموت قطعاً. وقد قالوا عند ذكر حدها من جهة جردان: «ومن جَردان ونواحيها إلى تريم وقبر هود عليه السلام، وما وراء ذلك إلى أرض مهرة»، وطول عين بامعبد: ٤٧ درجةً، و ٥٧ دقيقةً. وعرضها: من خطّ الاستواء إلى الشمال ١٤ درجةً، ودقيقتان، و ٢٥ ثانية. وأما جَردان، التي جُعلت منتهى الحدّ من جانب البر، فطولها: ٤٢ درجةً، و ٥٠ دقيقةً. وعرضها: ١٤ درجةً، و٥٩ دقيقة. فلو مدَدْنا خطّ الطول من عين بامعبد

إلى ناحية جردان، على السمت، لخرج من البلاد الحضرمية جانبٌ عظيم، يدخل فيه جانبٌ من حَجر، ويِبْعِث، وسِيطان البَلْعُبيد، وجَردان نفسها، وجبال نُعمان.

إذن، فحد حضرموت من هذه الناحية، لا ينبني على خط الطول السمتي، وإنما يتبع مواقع الجبال والأودية وسكانها، فجبال نعمان هي التي يمكن أن تعتبر فاصلاً بينها وبين حبّان ومتعلقاتها، ولكن تسيلُ من جبال نعمان أودية تذهب إلى وادي حبان، وعين بامعبد، وجول الشيخ عبد المانع، ورُضوم، مثل: وادي الشعيب، ووادي الحنك، ووادي رهوان، تسيل من السَّوط المتصل بجردان، وسَوط البحيث، وهم نعمان، ثم واديان بعدهما، كلها تصب في عَمَقِين. ثم وادي سلمون، وواد آخر يساقي ضَيق العِجِر واللجلج، من وديان المشاجر، ونعمان، ووادي محيد، وحَظمه، وسَقمه، من جبال البَجْنف، والبابحر. ووادي عمَقِين وبعضُ الشعاب يحلّها قبائل حبان.

[وادي حبان هل هو من حضرموت؟]

ولم يعُدّ أحد حبّان مخلافاً مستقلاً، ولا أدخلوه في مخلاف أحور، ولا هو من سَرُو مذحِج، وان كانت بعض مياه السّرو الشرقيةِ الجنوبية تصب فيه. والقبائل التي تسكن وادي حبّان وما والاه من الأودية: مساكن حمير، لَقمُوش، وآل ذيب، ينطقون بالقاف من مخرجٍ يقرُب من مخرج الكاف، بخلاف سرُو مذحِج إلى أبين ويافع، فإنهم ينطقون بها كما حرّره أهل التجويد.

ثم إن بلاد دثينة، وجبال مذحج الشرقية الجنوبية، كبلاد العَوالق والباكازم، تخالف هيئتها وطبيعتُها هيئةَ جبال حمير وحضرموت كلها، فإنه يكثر بها اختلاط الطين والرمل بأحجارها، ويكثر بها النباتُ، وقلما توجد بها حيودُ الجبال القائمة كأنها جدرانٌ معدّلة بالخيطِ وميزان الزئبق!. ولكن تبتدئ هذه الهيئةُ في الظهور

من جبال حمير، فما والاها شرقاً. وأنساب قبائل هذه المواضع حميريةٌ، تجتمع مع قبائل جبال نعمان. فلو دخل وادي حبّان فما والاه، مما وصفناه، في حدود بلاد حضرموت، لم يكن بعيداً من الوجه الذي شرحناه.

[الرأي المختار في حدود حضرموت]

واذا تبعنا هذا الرأيَ، كان الأَولى في تحديد حضرموت: أن نجعلَها من وادي سَمنه الذي يصب في البحر غربيَّ عزْقِة، فيمتد منه خط إلى حد جبل حِمْير، ويبلغ ارتفاع هذا الجبل عن سطح البحر: ٥٢٨٠ قدماً، ثم يلتوي عليه في زاوية مثلث، زاويته: ما يلي بلاد الباكَازم منه، وخطه الشمالي، وهو خط التحديد: ينحدر مشرّقاً إلى بلد حبّان، ثم يعود إلى الشمال الغربي، ممتداً مع الوديان الفاصلة بين حاضنة الخلَيفي، وجبال جَردان، إلى الرمل.

[فائدة من كتاب «الرياض المؤنقة»]

ثم بعد كتابة/ ما تقدم، وجدتُ في «مجموعتي»، ما نقلته عن كتاب «جواهر الأنفاس وذخائر الأرْمَاس بذكر زواهر الإيناس من مناقب القطب الحبيب علي بن حسن العطاس»، تأليف الشيخ الإمام، عفيف الدين والإسلام، وبركة الأنام، يعسوب العلوم، المنطوق منها والمفهوم، عبد الله بن أحمد باسودان الكندي. [١/ ٣٩]

وهو: «قال الحبيب علي بن حسن في كتابه «الرياض المؤنقة»: «**وبالجملة؛** مثَلُ غالبِ أهل حضرموت، من الساحل إلى المأرب، ومن عين بامعبد إلى سيحوت، في ضنَكِ المعاش وضعف البُخوت، والسعي الممقوت، كمثَلِ العنكبوت اتخذَتْ بيتاً، وإن أوهن البيوت لبيتُ العنكبوت. قد شغلَهم همُّ القوت، عن عالم الملك والملكوت، وعمّتهمُ الغفلة بالسَّهو واللهو عن اللاهوت والناسوت. فأعمالهم

أعمالُ من يزعم أنه لا يموت، وطبعائهم الخيلاء والكبر والحسد والحقد والجبروت. فإن سألتَ عن وصفهم المنعوت، فإنهم لا يشفقون ولا يرفُقون، وهُم للموسر منهم يحسدون، وللمعسر لا يرفدون، فإنا لله وإنا اليه راجعون، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾[الشعراء: ٢٢٧]. ودَوعن ضيّق، وجميع أهله مظاليم، الشريف والولي، والوالي والعسكري، والقبلي والرعوي، والعالم والجاهل، وأهل الحرث، ولا أحد يوفّي حقه، ولا عُشر ما يستحقه»، اهـ ماحرره رضي الله عنه من الحكمة البالغة، الجارية من ينبوع العلم والفتوة، والوراثة والسيادة والنبوة.

[شرح العبارة السابقة لباسودان وتعقبها]

وبيان ما تضمنه هذه المقالة، ذات الألفاظ والمعاني والغزار، على وجه الاختصار:

قوله: «غالب جهة حضرموت»، تحديدها بما ذكرَه هو، تحديدُ هذه الجهة في العرف العام، كما حقق ذلك شيخنا الإمام علي بن شيخ بن شهاب الدين باعلوي، نفعنا الله به، في «رسالة مختصرة»، قال: «إن حضرموت في العرف العامّ: من مرباط الحبوظي إلى حبّان، فيدخل رباط الحبوظي، دون حبان، للقاعدة عند أهل العربية: دخول المغيَّى منه دون المغيَّى به في الحدود. وأما العرف الخاص: فإنما مسمى حضرموت ليس إلا من شبام إلى تريم، ونقله عن علماء حضرموت». اهـ كلام باسودان.

ووجدت أني علقتُ على ذلك بقولي: «وتحقيق ما نقله: أن بين التحديدين اختلافٌ، ولكل وجهٌ، وبه قائل». وبسط ما يشير إليه ما ذكرتُه: أن كلام الإمام علي ابن شيخ في التحديد، قد لاحظ فيه ما يقصدُه الواقفون على أهل حضرموت، أو الموصون بمالٍ، أو صدقةٍ لهم. فهذا وأمثاله إذا لم يثبت للموصي فيه قصدٌ خاص، يؤخذ فيه بالعرف العام، على تفصيلٍ وترتيبٍ بينه وبين الوضع والعرف الخاص.

وكذلك قوله: «فتدخل مرباط الحبوظي، دون حبَّان»، مبنيٌّ على ما يلزم

اعتباره في هذه المسئلة الفقهية، وليس في كلامهم إشارة إلى ما يعتبر في الحدود الإقليمية، من اعتبار طولٍ، أو عرض، أو صفاتٍ طبيعية، وما يغلب في وضع حدود البلدان: أن تحدَّ ببحرٍ، أو جبلٍ، أو وادٍ، ولا إلى ما أشار إليه أهل السير وتقويم البلدان، مما تقدم ذكره.

وقد كانت قبيلة حضرموت قد تحيزَتْ، بعد انتقالِ كندة إلى هذا القطر، إلى أسفل الوادي، فلعل ذلك قد كان من أسباب حدودِ هذا العرف الخاص.

[عود إلى وادي حبان]

وأما أبو محمدٍ، الحسن بن أحمد الهمداني، صاحب «صفة جزيرة العرب»، فإنه لم يذكر حبان، ولكنه جعل [ص ٩٢] جميع القرَى التي على الساحل بين أحور وحَجر، كلها من مخلافِ أحْور، وعلماء حضرموت جعلوا قسماً من أفخاذ آل ذَيب أحوريين، أو حبّانيين، وقسماً حضرميين، كالأودية! وبالجملة؛ فحبانُ وما والاها، إن عُدّت من مخاليفِ حضرموت فذاك، أو تابعةً لمخلاف أحور، فقد ابتدأنا بها، أخذاً من قاعدة: (ما لا يتم الواجبُ إلا به فهو واجبٌ)، لأنّ حدودها مختلطةٌ بحدود حضرموت.

مصادر الأسماء

أما مصادر ما نذكره من أسماء الوديان والبلدان، فهو: المشاهدَةُ، والاستفاضة، وأقوال سكانها، والمترددين إليها، ومنها: ما أخذناه من التواريخ الحضرمية، و«شجرة النسب العلوية»، ومن المصادر التي ذكرناها أول الكتاب، ومن كتب/ [٤٠/] سيّاحي الإفرنج، الذين يكتبون الذرّة، وأذُن الجرّة! فقد كادوا يستوعبون أسماء ما مرّوا به من جبلٍ، وماءٍ، ومساكن. وماشككنا في صحة لفظه، وضعنا بعدَه هذه العلامة بين قوسين: (؟).

[التنبيه على الأخطاء التاريخية عند الغربيين]

فقد يشتبه شيءٌ مما كتبوه، لأنهم يكتبونه بحروفهم، وليس لها إلا (٢٦ صورةً)، فيضطر بعضُهم إلى تركيب الحرفين والثلاثةِ، لتدل على الحرْفِ العربي المفقُود في لغتهم وكتاباتهم. وبعضُهم يهمل ذلك، فلايفرّق بين الحاء، والهاءِ، والخاء، ولا بين الألفِ والعينِ، ولابين الجيم والقاف، ولابين السّين والصاد. وهم غير متفقين في قاعدة التركيب، وبعضُهم يكتب الجيمَ هكذا: (J)، وبعضهم يكتبه هكذا: (DJ) وبعضه يكتبه هكذا: (DSCE)، ومنهم من يكتب الشين هكذا: (CH)، ومنهم من يكتب هكذا: (SCH)، وليس مرادَنا استقصاءُ قواعدِهم المختلفة، وإنما أردنا إيرادَ مثالٍ لذلك، لننبه على عُذْرنا في التحرّي.

[أول من ألف في بلدان حضرموت]

ولانعلم أحداً من أهل حضرموت صنعَ مثل صنيعِهم في الاستقصاء، إلا ما بلغنا: أن العالم العارفَ الصالح، علي بن حسن العطاس، السيد الشريف، المار ذكره آنفاً، ألّف «معجماً»، ذكر فيه قرَى حضرموت، ولو وجدنا هذا الكتابَ لكان عظيمَ الغَناء، كثير الفائدة لنا، ولقراء كتابنا هذا، ولكن الله يفعل مايشاء.

رَيبُون لا غَيبُون!

[من نماذج تحريفات المستشرقين]

ومماوقعوا فيه من التحريف: أنهم أجمعو على تسمية الخرِبَة العاديّة، الواقعة في الجبل الغربي، أمام المشْهَد، بين نَعام ومِسْيال وادي ميخ: غيبون! مع أن اسمَها الصحيح: رَيبون، بالراء لابالغين. ومازلنا نسمع ذلك من أفواه الناس، بل من أفواه اللذين هم أقرب الناس إلى ريبون، فما سمعنا أحداً منهم قطّ ينطق بها بالغَين.

وقرأناها بالراء أيضاً فيما كتبه عنها السيدُ الشريف، العارف بالله، علي بن الحسن العطاس في بعض مؤلفاته، بل استعمل رضي الله عنه كثيراً من أحجارها في بناء السّقاية بالمشهد، وعليها كتاباتٌ بالمسند، وما زال أهل المشهدِ ينقلون منها بعض الأحجار.

وذكرها في «ديوانه» [٢/ ٢٣٢-٢٣٣]، فقال في قصيدة:

يـا دارهـم في رُبـى رَيبُونْ بيـن العَدَينْ

دمّرْهـم الله بصَرْصَر يوم طَاعـوا عنَينْ

وبقي في الدار وحْشَة بعدهم في غبَينْ

ماتسمع إلا الذئاب الضّارية ذي عَوَينْ

وهذه الأبيـاتُ من الشـعر الملحـون على لسان العـامة، ويقال له: الحميـني، وسماه الشيخ المؤرخ محمد الطيب بامخرمة «المكسّر»، وأهل نجدٍ يسمونه: النبَطي، نسبةً إلى النبَط، جيلٌ كان بالعراق فسدَتْ لغته.

[معاني بعض مفردات الأبيات]

و«العدين»: جمع عدانة، أو عدينة، وهي الأكوام التي تجمع مما يلقيه أهل البلد من الكُناسَة والزبْل، وأصله: عدّائن، قصرَه على قاعده العامة، كقوله «غبَين»، فإن أصله: غبائن، فقصرَه، وهو جمعُ غَبينة، ماينال المرءَ من الخديعة في المال أو الشراء والبيع، إذا ترك الكياسةَ، وتنكبَ اليقظة والحزم.

و«عِنَين»: من أسماء الشيطان عندهم. وقوله: «ذي عَوين»: «ذي»: بمعنى الذي، «عَوين»: ماضي عوى الذئب، إذا صوّت، اتّصل به نونُ الجمع.

وهذا الشعر العامي يأتي فيه أكثر ما أتى في شعر العربِ الفصيح المعرَب، من

الاستعارة، والكناية، والتشبيه، والمجاز، وأبيات المعاني، وأثر قواعد علم البيان، وعلم المعاني المعنوية، وبعض اللفظية، وإنما يعرف ذلك من تأمّله وألِفَه.

وديان حمير ووادي حَبَّان وماوالاها

[مصادر المؤلف في أخبار وادي حبان]

نبتدئ بوصف البلاد، وذكر ماتيسر من أسماء القرى، ثم نتبعه بأسماء القبائل وسكان البلاد، ثم لمع من الأخبار. [١] مما جمعه العالم الفاضل، سالم بن أحمد بن علي عمر المحضار، السيد الشريف العلوي الحسيني، من تاريخ المشايخ آل محمد ابن عمر الخولاني المالكي، ومنهم: آل الشبلي، وآل إسرائيل بالروضة، وآل الفقيه علي بحوطته. وقد اجتمعتُ به في داره بحبَّان، سنة ١٣٢٢، ونقلتُ من «مجموعه» عدة صفحات. وهو قد وجدَ بعض ذلك في تعاليقَ مفرقةٍ، من خط الفقيه/ [١/ ٤١] محمد بن عبد العليم الشبلي المتوفى سنة ١١٢٤. [٢] وعن خطّ الفقيه محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الملك المخْرَمي، المكنى بو نَجْمه النافعي، بانافع، وصل إليَّ ذلك من يد الشيخ الفاضل المحصّل، علي بن محمد الشبلي.

وأما وصف الأودية والقرَى والقبائل: [٣] فأخذنا أكثرها عن العلامة الفقيه، بدر محبّي آل الرسول، وثيق النسبة بذرية حيدرة الكرار والزهراء البتول، الشيخ أحمد بن عمر بن مبارك بن سالم بن سالم بن عبد الله بن عبد القادر بن سالم بن محمد العزَب. [٤] وأقلها عن الفاضل المحصل، حسين بن محمد المحضار، السيد الشريف، العلوي الحسيني الحبّاني. [٥] ومنها ماعلمته من زمن رحلتي من عدن إلى أبين، فدثينة، فنصاب، فحبّان، فالحوطة، فجبال نعمان، إلى يبْعِث، فرَيدة الديّن، إلى وادي قيدون.

[٦] وسمعتُ بعض الوقائع أيضاً من الرئيس العاقل، محسن بن فريد العولقي، رئيس العوالق. [٧] ومن الشهم الماجد المعمّر، علوي بن أبي بكر بن محمد بن أحمد بن الحسن بن قطب الدعوة والإرشاد، الإمام عبد الله بن علوي بن محمد الحداد، السيد الشريف العلوي الحسيني، وهو القائم بمَنصِب أبناء عمومتنا بنصاب، وله جاه واحترام عند العوالق أجمع.[٨] وسمعتُ مايتعلق ببعض تلك البلاد، من سيدي وعمي، العالم العامل، الزاهد العابد، الذاكر المستقيم، المستجاب الدعوة، صالح بن عبد الله بن طه الحداد، السيد الشريف العلوي الحسيني،وله الجاه العظيم، والصيت الشهير في تلك النواحي، يحترمه أهلها أجمع، حتى لقد كانوا يقفون عند إشارته، ويتقارعون على السبق إلى إنزاله، ويتلقّونه بالمواكب إذا مرَّ ببلدانه.

وديان حمير وجبالها ورمالها

يحدها من الغرب، والغرب الشمالي: نجُود بلاد العوالق. ومن الشمال: وادي حبان ومايليه، ووديان مَعْن، من العوالق، وجبال المجراد وأوديته. ومن الجنوب، والشرق الجنوبي: بحر الهند. ومن الشرق: جبال نُعمان، فحجر.

[وصف القرى والطرق والوديان]

ونأخذُ في وصف القرى والطرق والوديان، مبتدئين من مَفْضى وادي حَجْر: فوادي حجر يفضي إلى البحر عند رأس الكلب، يصب في خَورٍ صغير كائنٍ على عَرض ١٤ درجةً، و٣دقائق، وطول ٤٨ درجةً، و٣٩ دقيقةً، و ٣٠ ثانيةً. وغربيه: رملُ الشاطئ، تقذفه الرياح إلى مخارم الجبالِ المشرفة عليه.

ثم تأتي جبال الشُّقّان، بضم الشين وتشْديد القاف، وليس بها ساكنٌ، ثم رملٌ،

وجبال صغار بركانية، علا عليها الرّمل، ثم لسانٌ من البر، يمتد في البحر، يسمّى جانبه الشرقي الجنوبي: رأس مجْدَحة، بفتح الميم والدال وسكون الجيم، وعلى جانبه الغربي: مرسى مجْدَحة، وعَرضه الشمالي: ١٣ درجةً، و ٥٩ دقيقةً، و٣٠ ثانية. وطوله: ٤٨ درجةً، و٢٨ دقيقةً. وأمامه جزيرةٌ من جزائر الريش، تسمى برّاقة، بفتح فتشديد. والبَرّ متراجعٌ إلى الشمال بين هذا اللسان. وجانب البر المتقدم: إلى الجنوب في البحر، في رأس الرطل، ورأس العُصيدة، بضم العين.

ومابين مجدحة وبير علي: جزيرتان، تسمى إحداهما خَضارين. وجنوبي حصن الغُراب: جزيرةٌ تسمى الحلّانية، بفتح الحاء وتشديد اللام. وأمام رأس الرطل: جزيرةٌ، تسمى بهذا الاسم، وهذه الجزائر مسكنٌ لطيور البحر، يجتمع بها من ذَرقها ما يباع بالألوف، يجعل سماداً للتنباك.

ثم جبال بركانية، يتراوح ارتفاعها بين ٤٠٠-١٠٠ قدم، يقابلها من ناحية الشمال: نجود، وجبال، يبلغ ارتفاعها نحو ١٠٠٠ قدم، حجارتها من النوع الجصّي، ثم يأتي مرْسَى بير علي، وعَرضه شمالاً: ١٤ درجةً، ودقيقة واحدة. وطوله: ٤٨ درجةً، و٢٠ دقيقةً، و٢٠ ثانيةً، وهو قائمٌ على شاطئ خَورٍ، له زاويتان: إحداهما شماليةٌ شرقية، وهي أصغرهما. وثانيتهما غربية جنوبية عنها، لشقّها الجنوبي لسان ممتد في البحر إلى الشرق، يقع على طرفه: حصن الغُراب الأثري المشهور، وعرضه: ١٣ درجةً، و٥٩ دقيقةً، و٤٠ ثانية. وطوله: ٤٨ درجةً، و١٧ دقيقةً، و٢١ ثانيةً.

والطريق من البير تتجه مغرّبةً، قريباً من الشاطئ، حتى تلتقي بعد مسافةٍ قصيرة بالطريق الآتية من حصن الغراب، حتى تصل إلى رُوين، بضم فكسر، ثم جِلْصة، بكسر فسكون. وقد يرسي بعض السفن قريباً منها، وبها تلتقي الطريق الآتية من جهة الشرق أيضاً، من بلحاف، وهو مرْسى مشهور، عرضه/ [٤٢/] : ١٣درجةً،

و٥٥ دقيقةً، وطوله: ٤٨ درجةً، و١٢ دقيقةً، و٣٠ ثانيةً، واقعٌ على الطرف الغربي الجنوبي، على جانب من البرِّ متقدم في البحر، كما تقدم.

والطريق التي تخرج من حصن الغراب تتجه شمالاً، ثم تعود مغرباً، ولا توجد قرى في بير علي وبالحاف، لأن هذا الجانبَ المتقدم في البحر به جبالٌ بركانية متواضعة، يرتفع بعضها نحو ١٦٠ قدماً، ويشقها واديانِ من الشمال، ويصبان في البحر، يسمّى أحدهما: وادي نُوَايِر، بضم النون وكسر الياء، وبأعلاهما: باودّاع، بفتح الباء وتشديد الدال.

أما الطريق من بالحاف: فتخرج منه مغرّبةً على الشاطئ، حتى تمر شماليَّ جلعة، وهناك تلتقي الطرق، وإذا تجاوزت جلعة قليلاً، جاءتك من الشمال: الطريق الآتية من الجبال والنجود التي يحلها البادَيس، والباديّان، والبافَقْعش، في وادي عرار، وسيأتي وصفُها في موضعه.

وفي هذه المواضع تكثر السّهوب، الحزُوم، التي تكثر بها الحجارةُ الشديدة السواد، أخبرني بذلك عمّي رحمه الله تعالى. وأخبرني شيخنا: أنه باتَ ليلةً في موضعٍ منها، فلما أوقدوا النارَ، اتقدت الحجارة التي جعلوها أثافي، كما يتّقد الفحم.

وبعد جلعة، تستمر الطريق مغرّبةً، على عين الجويري، ثم عين بامعبد، وعرضها: ١٤درجةً، ودقيقتان، و٢٥ ثانيةً. وطولها: ٤٧ درجةً، و٥٧ دقيقةً. وبها مزارع، وعين ماء، وشمالها: آل سليمان، من آل ذبيب، في أوديتهم. وهذه هي التي قالوا: حدّ حضرموت من هذا الجانب، فكان فريقٌ من آل ذبيب، وآل عبد الواحد، سلاطين هذه الجهة: حضرميين. والفريقُ الآخر، الخارجين عن هذا الحد منهم: حبانيين، وأحوريين، لأن بالحاف لآل عبد الواحد، وبير علي لآل بن طالب، منهم. والمسافة إليها، من بير علي: نحو ثلاثة وثلاثين ميلاً ونصفاً.

وبعدها تتجه الطريق إلى الغرب الشمالي شيئاً فشيئاً، إلى قبة سمارا، ويقال لها: السَّحِيل، بفتح السين وكسر الحاء، وبه مزارع، ثم جَول الصريح، وتفترق منه طريقٌ تذهب مغرّبةً إلى وادي ميفعة، ووادي هدا، ثم وادي الحامية، وعين الحامية، وهنا منازل آل العظم من آل ذيب، مع النجود والشعاب الشمالية عن هذه المواضع.

ثم رَضُوم، بفتح فضم، ثم شُمْخَة، بضم فسكون، ثم حصن السُّواط، بضم السين، وهو لآل عبد المانع، ثم الولي حسن، ثم زَحُن، بفتح فضم، ثم جول الشيخ عبد المانع، وبه نخل وماء. ويأتي وادي ميفعة عن يمين الطريق من الغرب، منعرجاً إلى الجنوب، إلى البحر، فتقطعه الطريق إلى جَول الشيخ عبد المانع.

[سكان ميفعة]

وساكنو ميفعة: أخلاط من مشايخ، وحراثين، وغيرهم، ويعشّرها آل عبد الواحد، وقد كانت قبلهم لآل سدّة بن أحمد، حتى أغار عليهم في سنة ٩٦٢ السلطان بدر بو طويرق الكثيري، فذهب بهم إلى حضرموت، ثم أطلقهم، فسكنوا بوادي الحنَك، وانقضت دولتهم.

ثم الرُّوَيضة، بضم الراء وفتح الواو وسكون الياء، وعن يسار الطريق قريب من الرويضة: أثر، ثم قُطَيب، بضم ففتح فسكون، ثم الظاهرة، وقفيزة.

وأَصبَعُون، بفتح الالف والباء وسكون الصاد بينهما، وهي منسوبةٌ في القديم إلى ميفعة، تولى الإفتاء والقضاء بها، العلامة المتفنن المؤرخ، الشيخ عبد الله بن عمر ابن عبد الله بن أحمد بامخرمة، عند واليها من آل سدّة، وفي «فتاويه» ذكرٌ لها. وكَورة آل أحمد، من آل عبد الواحد.

وبالشرق الشمالي لهذه المواضع: منازل لحمير، وآل أحمد، وأودية مسية،

وحظْمة، ومحيد، عسى أن يأتي ذكرها فيما بعد، ومقابل رَضُوم إلى وادي محيد شرقاً بشمالٍ: جبلٌ من رمل عظيم مستدير، والعربُ تسمي ماكان من الحجارة: جبل، بالجيم، وماكان من الرمل: حَبْل بالحاء المهملة وسكون الباء. ويمر وادي حظْمة، ووادي محيد، شماليّه. وجبلٌ يسمّى: جبل مَسْية، بجانبه وادي مَسْية، بفتح فسكون، ويقابل جول بن عبد المانع إلى الشمال الشرقي: غَرِيَّة، بفتح فكسر فتشديد الياء، وبعدها إلى حبل الرمل: قُفٌّ عليه حجارةٌ منتشرة، ويأتي عن يسار الطريق إلى الغرب الجنوبي: جبل المحَرَّق، بضم ففتح فتشديد الراء المفتوحة.

مجتمع الأودية

عند قريـة الظاهرة تجتمـع أوديـة حبّان، ووادي محيـد، ووادي هـدا. ووادي هدا: من أودية حمير، وهم يقولون لَوْدية. ومنها وادي الخَبْر، بفتح فسكون، ووادي العِفّ، بكسر فتشديد، ووادي صِفْرِوَة، بكسر الصاد والراء وسكون/ الفاء وفتح [٤٣/] الواو، ووادي هدا، ووادي الحامية، ووادي المِهْطاف، بكسر فسكون، ووادي الخضرا، بفتح الخاء وسكون الضاد.

فإذا عِجْت إلى وادي هدا، بفتح الهاء، عدت مغرّباً بعد أن كانت الطريق متجهة إلى الغرب الشمالي، فيلقاك في وادي صعيد: باسَمارا، بفتح السين، ثم رَقّة باصَومَح، بفتح الراء وتشديد القاف، وفتح الصاد والميم وسكون الواو. وعن شمالك وأنت مغرّبٌ في وادي هَدا: جبل المحرق، المذكور آنفاً، ثم جبل كَدُر، بفتح الكاف وضم الدال، ثم بلد هدا، به مزارع وسواني، ثم الخبْر، به حرث على المطر وسواني. ويبلغ الارتفاع بأعلى وادي هَدا: ١٣٤٨ من الأقدام، ويسكن بجبل المحَرَّق: آل باعوضة في شماليّه، وآل باسَرْدة جنوباً عنهم، بوادي الخضرا.

وإلى الجنوب، وفي الشرق عن جبل المحرّق: يأتي جبل حَمَرا، بفتح الحاء والميم، وهوجبل مرتفع عن سطح البحر بمقدار: ١٦١٠، وفي خريطة أخرى ٥٢٨٠. وبه: حوايل العرب، والسكون، موضعان. وتأتي في الشاطئ مراسيهم التي لم يسبق ذكرها، منها: حصن بَلْعيد، وعرْقِة، وبها المشايخ آل باداس، وبير أحمد، ثم بالحاف إلى آخر ما سبق، وسنذكر ما يتعلق بهذا الحيّز، ثم نعود إلى ما يتعلق بوادي حبّان وما والاه.

ذكر ما قاله الهمداني

ذكر الهمداني في «صفة جزيرة العرب»: أحور، وذكر معها بعض القرى السابقة وغيرها، فقال [ص٩٦]: «**أحور**: أولها **الجثوة**: قرية لبني عبد الله بن سعد. **القويع**: لبني عامر بن كندة. **الشريرة**: لبني عامر أيضاً. **المحدِّث**: قريب من الساحل، لبني عامر. **عرْقِة**: لبني عامر. ثم إلى حَجر وهب، فلقيتَ الطريق الأولى هناك».

ولما ذكر مرخة وساكنَها من صُداء من مذْحِج، ذكر عبَدان، وجردان، ويشبم، ثم قال [ص٩٦]: «وحَجْر: لبني عامر بن كندة». ثم يذكر حمير الساكنين بهذه البلاد. ولعل كندة هؤلاء كانوا ملُوكَ هذه النواحي، وربما أن يكون آل سدّة بن أحمد، والمخْرَمي، وآل عبد الواحد، من ذريتهم. وربما أن تكون دولة كندة قد دالت، وتمشيخ من بقي منهم، وسيأتي هذا البحث بأبسطَ من هذا. والشريرة التي ذكرها: في وادي هَذا.

سكان هذه الأودية والقرى

العنصُر الغَالبُ في هذه النواحي هم حمير، وبينهم أشراف، ومشايخ، وأهل حرث وحرفة. وكانت السلطة لآل عبد الواحد، ثم تفرقوا واختلفوا، وتجرأت عليهم عسكرهم وقبائلهم، وبقي لهم الآن من السلطة ما تنتظم به بعض الشؤون.

[أنساب قبائل حمير في المنطقة]

وتنقسم حمير إلى قسمين: [١] **لُقْمُوش**، بضم اللام وسكون القاف وضم الميم، وأصله: الأُقمُوش، وعادة أهل هذه الجهة: أن يحذفوا ألف (أل) والألف الذي بعدها، ويصِلونها بنفس الكلمة، وينقلون إليها حركة الألف المحذوفة. [٢] وآل ذِيَيْب، بكسر الياء، كسراً غير محقّق، وفتح الياء الأولى، وهو مصغّر ذِئْب، على لغتهم.

[١ـ قبائل لقموش من حمير]

فأما لُقْمُوش: فيسكنون أعلى أوديتهم، أي: غربيها وشماليها الغربي، وهو ما بين المنقَعة، وحبّان. والمنقَعة: اسمٌ جامع لأودية الباكازم، ويقال لهم: العوالق السفلى، وهو قبائل متعددة. **فمنهم**: آل فاطمة، مسكنهم الخَبْر، آخر حدّ من أرضهم إلى جهة بلاد الباكازم، وأكثرهم أهل زرع على المطر والسواني، وأقلهم بادية. ومقاتلتهم: نحو مئة وعشرين.

ومنهم: آل مجوَّر، بكسر الميم، كسراً خفيفاً، وفتح الجيم، وتشديد الواو المفتوحة. وهم أهل ضرعٍ، أهل مواشي، وفيهم أهل بيوتٍ وزرع. ومسكنهم الخَبْر، بفتح فسكون، ومقاتلتهم نحو سبعين.

ويجمع هاتين القبيلتين: اسم آل مُـحُمَّد، بضم الميمين والحاء بتفخيم. وبيتُ رئاستهم: آل عِدَيْو، بكسر ففتح فسكون، ورئيسهم الآن: حسين بن عبد الله بن عديو.

ومنهم: آل لَحْمان، بفتح فسكون، وهم فخائذُ، منها: آل حَنَش، بفتح الحاء والنون، وفيهم الرئاسةُ، ورئيسهم الآن: سالم بن لسود بن حنَش. ومقاتلتهم نحو خمسين. ومن فخائذهم: آل منصُور، أهل زرعٍ، ومنهم أهل ضرعٍ، ومسكنهم: وادي هَدا، ومقاتلتهم نحو مئة. وآل أحمد، أهل/ ضرعٍ، ومنهم أهل زرعٍ، ومسكنهم وادي صِفْرُوَه، ومقاتلتهم نحو ستين. انقضى الكلام على لُقمُوش. [٤٤/أ]

[بقية السكان من غير لقموش]

وفي بلادهم من الأشراف: آل فدعق، مسكنهم هَدا، وبيت القائم بالمنصب منهم بحبّان، لهم جاهٌ وكلمة مسموعة، وذو المنصب الآن: السيد محمد بن حسين فدعق العلوي، من آل عبد الله بن علوي بن الفقيه المقدم. ومن المشايخ القاطنين في هَدا: آل بانافع، وهم القائمون بوَظيفة القضاء والتعليم.

ووادي هدا وادي حرثٍ على المطر والسواني.

[٢ـ قبائل آل ذيبب من حمير]

أما آل ذِيَيب؛ فمن قبائلهم: آل العَظم، العَظمي، وهم أكثر أهل هذه الجهات تمسّكاً بالدين في صلاتهم، وصيامهم، وحجهم، ومورايثهم. وفيهم شجاعةٌ ونجدة، ومسكنهم: وادي الحامية. والحامية ذاتُ نخل وعيون. ومنهم من يسكن أودية الذييبي، وهم أهل زرع وضرعٍ، ومقاتلتهم نحو ١٠٠، ومعتقَدُهم: الشيخ عبدالله باشملة، ويقال له: باشملول، أحد أبناء الشيخ العزَب، جد المشايخ آل العزَب، جاء من أبين، فنزل بواديهم الحامية، ومات ودفن بها، وتوضَع عند قبره الودائع، فلا يمسها أحد، وتنذر له النذور. ومن قبائل آل ذِيَيب: آل سُليمان، السلَيماني، وهم أهل ضرعٍ، ومنهم من له نخلٌ بالمطهاف، وهو واديهم، وباديتهم تسكن لَوْدية الذّيَيْبي، ومقاتلتهم نحو ١٠٠ . وشيخ هاتين القبيلتين، الذي له النفوذ والحكم فيما بينهم: بن عفيف، ساكن حَورة العُليا، وأصله من الهجرين، وهم أهل ضيافة وكرمٍ وجاه. وكان القائمُ بمنصبهم: الشيخ محمد بن سعيد بن عفيف، ثم خلفه أحد أبنائه الآن.

ومن قبائل آل ذيبب: الحسَيني، ومسكنهم عزّقة، وهم أهل سنابيق في البحر، وتجارة، ولهم ضرع، وعندهم زرع قليل، ومقاتلتهم نحو ٦٠ . ومن قبائل آل ذيَيب:

آل باخَرْخُور، بفتح فسكون فضم، ومسكنهم لَوْدية الذَّيِّبي، وقد يسكنون أرض اللحاقي، ذوو نُجعَةٍ وضرعٍ، ومقاتلتهم نحو ثلاثين.

وأرض اللحاقي: بموضع يسمّى لَودِية (الأودية)، حدّها من جهة سِيف البحر: ما بين عزْقِة شرقاً، وأحور غرباً، ومن البحر إلى المنقعة شمالاً. **واللحاقي**: من قبائل المخَاشبة، من آل باكازم، ويجمعهم هم وإخوتهم: المنصوري، آل منصور بن حيدرة، ومعتقَدُ هاتين القبيلتين، وذوو الجاهِ عندهم: المشايخ آل باداس، الساكنين بلد عزْقِة، وأصلهم من الهجرين.

ومن قبائل حمير: آل باعَوضة، بفتح فسكونٍ ففتح، وهم أهل بادية، وضرع، وإفساد، وغزو، ومسكنهم أودية الذيبي ومقاتلتهم نحو ١٠٠. ومعتقَدُهم هناك: قبر نبيٍّ، يسمونه بن هود، وشُهِر اسمُه عندهم بأنه: ذَالِيان بن هادون بن هود، بكسر اللام، وقبره هناك في جبلٍ يعرف بجَبل بن هود، بأسفل وادي هَدا. وآل باسرده، بفتح فسكون فكسر، وهم أهل زرع، ونخل، وفيهم أهل ضرع، ومسكنهم: وادي الخضرا، ومقاتلتهم: نحو ٥٠.

فجملة مقاتلي لُقْموش وآل ذِيِّيب: نحو ٨٨٠ رجلاً، تقريباً لا تحديداً.

مَشْوَب

هذا اسم مرسًى يغلب على الظن أنه كان في هذه الجهة، نزل به جيش الفُرس، الذي نصَر معْديكرِبْ بن أبي مرّة الفياض، ذا يزَن. ويقال: سيف بن ذي يزَن، على الحبشة في اليمن، وكانوا قد ملكوها وأذلوا أهلها، وامتهنوهم، وأساؤوا السيرةَ فيهم وفي نسائهم. ويحتمل أن يكون هذا المرْسَى قريباً من المكلا، فقد ذكر في «شرح القاموس» [٢/٤٩٦]: أن بقُرب المكلا رأساً في البحر، يقال له: رأس المرْزُبان، وهو كبير الفرس.

وكان قائدَ جيش الفرس، وهْرَز، أحد مرازبتهم، وولي اليمن بعده: ابنه المرْزُبان ابن وَهْرز. ونزولُهم في هذا الموضع كان تدبيراً حربياً، لبُعدِه عن مركز جيوش الحبشة، ولقربه من أبين وعدن، حتى يلمّوا شعثهم، ويدبروا أمرَهم، ويجمع ابن ذي يزن من استطاعَ من / قومه، قبل أن يفجأهم الحبشَة بجنوده. قال المسعودي [٢/٥٦]: «وفي ذلك يقول رجلٌ من حضرموت: [/ ٤٥]

أصبحَ من مَثْوَبٍ ألفٌ في الجنَنْ

من رهْطِ ساسانَ ورهْط مَهْرِسَنْ

ليُخرجَ السودانَ من أرض اليمنْ

دلهمُ قَصْدَ السبيلِ ذو يزنْ

في شعر له طويل. والقصّة مذكورة في «تاريخ» ابن جرير الطبري، من روايتين. وقال فيها في إحدى روايتيه [٢/١٤٤]: «فخرَجُوا بساحل حضرموت». وقد كان من حكمة الله في خرُوج الفرس إلى اليمن: تطهيرها من أعداء بيته العتيق، ولتخلُوَ جزيرة العرب من الملوك، لئلا يصدوا عن الإسلام، وقد نصَر من بقي من الفرس الإسلامَ نصراً مؤزّراً، وقاوموا الدجالَ العنسيّ مقاومة محمودة، ووصلهم حظهم من الإيمانِ، تصديقاً لقوله ﷺ: «**لو كان الإيمانُ بالثريا لنَاله رِجالٌ من فارِس**»[1]، كما كان من حكمة الله في انتقالِ كندة إلى حضرموت، واتصالهم بملوك حمير: أن تنتشر اللغةُ المضرية في حضرموت واليمن ومهرة، تأسيساً لنَشْر القرآن والسنة بينهم، حتى لم يبعث الله نبيه محمداً ﷺ إلا وقد أنِسُوا بلغة مُضَر، بل ثَقِفُوها، وقالوا بها الشعْرَ، ونثروا بها الـخُطب، وإذا أراد الله شيئاً هيأ أسبابَه، والله عليم حكيم.

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ١٣/ ٣٣١، وغيره بألفاظ مقاربة، من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

عودٌ إلى مجتمع الأودية

وصلنا في هذا الوصفِ المتقدم إلى مجتمع الأودية قبلَ وادي ميفَعة، ونعني بها: أوديةً تأتي من جبال آل بابَحَر، بفتح الحاء والباء، وآل بَجْنف، وآل باقُطْمِي، تجتمع مع وادي حبّان، وما يصب فيها من الأودية، مع وادي هَذا من وديان حمير العربية. وقد مرّ وصف وادي هذا.

[وصف وادي محيد]

فلنذكُر وادي مَـحْيِد، بفتح الميم وسكون الحاء وكسر الياء، وفي مخرجه: قُفَيزة، قريباً من الطريق، وفي أعلاه: طَباق، بفتح الطاء. وبأجواله وشعابه: الباقُطْمي، والبَجْنف، من قبائل نُعمان. وتستمر الطريق إلى الغرب الشمالي، إلى حبان، يسايرها وادي حبان بشمالك، فتأتي بالطريق: كَورة آل أحمد، وأصْبَعُون، كما تقدم، ثم جَول عقيل، بالطريق، والرّيدة قريبٌ من مجرى الوادي، وهنا تنفصل الطريق عن وادي حَبان، فتنحرف إلى ناحية الشمال، وعند المنحرَف محلٌ به أثرٌ، يقال له: نقية الهجر، ثم جَول الضِّلْع، بكسر الضاد وسكون اللام، وهو في متَسَعٍ بين وادي محيِد، المنحدر من جبال نعمان إلى الجنوب بغربٍ، وبين الطريق السائرة إلى الشرق الشمالي.

ثم مَـحْنَ، بفتح فسكون ففتح، ثم حِجْل سَلْمُون. ومعنى «**الحِجْل**»: الحقْلُ، المزارع، لأن وادي سَلْمُون، بفتح فسكون فضم، الآتي من جبال نعمان، يساير الطريقَ بعد المنحرَف، وسيأتي وصفه.

ثم تنعرج الطريقُ مغرّبةً، فتجزع وادي سلمون عرضاً.

[حوطة الفقيه وعزّان وما إليها]

وأول ما يأتيك بعده: بلدُ الحوطة، حَوطة الفقيه علي بن العلامة محمد بن عمر

ابن راشد بن خالد بن مالك المالكي، الشافعي مذهباً، السني عقيدةً، المعروف بطاحب الركن، توفي بها فاتحة سنة ٨٣٢، وبقي بها ذريته، وبها يسكن القائم بمنصبهم، وتعلو على سطح البحر ٣٢٩ قدماً.

وقريب منها: الـحُوَيْقا، بضم الحاء وفتح الواو وسكون الياء.

ثم تستمر الطريق إلى الغرب الجنوبي، فتجزع في أثناء وادي عمَقِين، الآتي، من اليمين، ثم يأتي عن اليمين: جبل الكِبْدة، وجبال القرفة. وتمر بقرية الرُّدَيحة، بضم الراء، مخففاً، وفتح الدال وسكون الياء، ثم المِشْباب، بكسر فسكون، وهنا يتدَانى وادي حبّان والطريق، فيحدُث هنا رأسُ مثلثٍ، خطه الجنوبي يمتد من المشْباب إلى عزّان شرقاً بجنوبٍ. وهي [عزَّان] بفَتح فتشديدٍ، مستقرّ السلطان الواحدي الآن، وبها عسكرُه: آل عبد السيّد، والنقباء، وغيرهم. وخطه الشمالي: الطريق الآنفة الذكر، من المشباب إلى منعرج الطريق، قبل الحوطة: عن يمينك الشمال، وخلفك الشرق، وقاعدة المثلث: مجرى وادي سلمون، من منعَرج الطريقِ قبل الحوطة، سائراً إلى الجنوب، حتى يصل إلى قرب عَزّان.

[وصف وادي سَلْمُون]

فنذكر الآن وصفَ وادي سلمون: من عزّان إلى مجتمعه، ووادي عمَقِين، فإلى أعلاه، وهو وادٍ مرتفع الجبال، فيه، قريب من عزّان: قرية، ثم سُرْبة، بضم فسكون، فالحدَان، بفتح الحاء والدال، فالصَّمُوعة، بفتح فضم، وهنا يلتقي وادي سلمون ووادي عمَقِين، فالـمُلَيلَة، بضم الميم وفتح اللامَين وسكون/ الياء. [/٤٦]

وبعدَها، يعلو مصعداً أمامَ الحوطة، ثم مجتمع واديه، أحدهما: اللِّجْلِج، بكسر اللامين وسكون الجيم بينهما، وقد قطعتُه سنةَ ١٣٢٢، وهو الأيمن. والأيسر: وادي سَلمُون. وأمام مجتَمع هذين الواديين إلى الغرب: الحيرا، موضع حربٍ، ثم

الشّغبين، وهنا تأتي: عَرُومة، بفتح فضمٍّ ممالٍ إلى الفتح فواو ساكنة، وهي للباقُطْمي، بها حرثٌ على المطَر، وعلوب. وتمرّ طريْق في اللُّجْلِج لمن أراد صَيق العِجِر، فيبعث. ثم الـمُضَاعِة، بضم الميم وكسر العين، بوادي سلمُون، ثم السّيلة، ثم الـمُقرِبة، بضم الميم وسكون القاف وكسر الراء، فالقن، فالخليف، فالكورة، فالدّمان. وحنكة وادي سلمون عن يسارِكَ وأنت مستقبلٌ الشمالَ الشرقي، وانتهى وادي سلمون.

[عَودٌ إلى عزان والمشْبَاب]

وعدُنا الى عزان، وسرنا مع مجرَى وادي حبّان، فتأتي القُلَيتا، بضم ففتح، على نَجْدٍ هناك، فبلد المطِير[1]، بكسر الطاء، فالرَّيدة، فبلد الخضْرا، فألْوا، بفتح فسكون، فقرن عبا (؟)[2]، فالغُرَير، بضم ففتح فسكون الياء. وعدنا إلى المشباب، المذكور آنفاً.

وقريبٌ من المشباب إلى الشرق: أثر، ثم تأتي الصّفاة، بفتح الصّاد، فالحويك، بفتح فكسر، فالبلد، فلِهْيِة، بكسر اللام وسكون الهاء وكسر الياء، وبها المشايخ آل بامرحول، فالمطرة (؟)[3]، فبيحان، فعَمَد، بفتح العين والميم، فالمقعد، بفتح الميم وسكون القاف، فالكُذْم بضم فسكون، فحبّان، وهي قصبة هذا الوادي، والطريق من المشباب إلى حبان تسايِر الوادي، فتأتي جنوبي مجرى الماء ثم شماليه.

وادي عَمَقِين

بفتح العين والميم وكسر القاف وسكون الياء، رؤوسُ هذا الوادي الغربية: تحادّ وادي الشّعبة الذي يسيل إلى أسفل يشبُم، وشعاب حاضنة آل خلِيفة، الخلِيفي.

---

(١) ويقال لها الآن: لماطر (الأماطر). (مصحح).

(٢) كذا في الأصل، والكلمة لم تكن واضحة للمؤلف، بحسب مصادره. وهو يعرف اليوم بقرن بامحرز. (مصحح).

(٣) هي نفس (المطير) التي ذكرها آنفاً. ويقال لها الآن: لماطر (الأماطر). (مصحح).

ورؤوسه الشمالية: تأتي من نواحي رؤوس وادي جَرْدان، وريمة، وجَول المحاجر، وجول باقاضي، وجول عقبة هبَا، وعقبة رهوان.

وجملة أوديته: تسعةٌ، تصبّ فيه، فيجري إلى الزاوية الشرقية الجنوبية، ثم يميل إلى صوب الجنوب، ثم يشرّق قليلاً، ثم ينعرجُ إلى الجنوب، فيجتمع مع وادي سَلمُون، قبيل قريةِ الصّمُوعة المذكورة في الفصل قبله.

فإذا سرْتَ من الحوطة بالطريقِ السابقة، اعترضَك بعد مجاوزةِ الحوطة والحويقَا: وادي عمَقِين، فاذا سرْتَ معه: جاءتك الرّوضَة، على نجْدٍ، روضة الشيخ الفقيه إسرائيل بن الفقيه إسمعيل بن الفقيه محمد بن عمر المالكي، توفي سنة ٨٦٢، وبها ذريته، وسادة من آل البُغْدادي آل جيلاني، وسادة من آل جنيد الأخضَر، من آل عبد الله باعلوي. ثم سَر، بفتح السين، ووادٍ عن يمينكَ وأنت سائر مع الوادي إلى الغرب. ثم تأتي: تحيا، ثم قرية أخرى عن اليمينِ من ناحية الشمال.

ثم واد يصبّ في واد عمقين الأكبر، ثم المبنا، لآل طالب بن هادي الواحدي. ثم مجتمع أودية، ثم وادٍ عن الشمال، يأتي من ناحية الجنوب.

ثم وادي ثِـرِة، بكسرتين، يأتي من المغرب، وبه: قرن بامفلح. ثم العَمدِية، بفتح الميم وكسر الدال، ثم جول بن نَشْوان، ويحل بأسفله: المشايخ آل الرفاعي، جدهم المشهور بصَاحب العين، يأتيه بالزيارة من أصيب بالعين، وهم أهل زرع وحرث.

فإذا عدت إلى مجتمع الأودية المذكور آنفاً، وسرْتَ بالوادي إلى ناحية الغرب الشمالي، جاءتك بلَد عمَقِين، ويسكنها: آل فهَيد، ومقاتلتهم نحو ٩٠ رجلاً. ثم العليا، باليمين.

ثم يأتي وادي رَهْوان من اليمين من جهة الشمال، تأتي فيه: القُناعة، بضم القاف، وبعده: قرن باجَعَش، بفتح الجيم والعين، ثم في أعلاه الضّوج، بفتح ثم

سكون، ثم رَيمة، وفيها: المشايخ آل باحاج، وبأعلاه عَقبة رَهْوان، بفتح فسكون، تأتي إليها الطريق من وادي جَردان، من هبا. فيمر بجَول المحجر، ثم جول باقاضي، ثم عقبة رَهْوان.

[وصف وادي الحنَكَة والسِّيطان]

وإذا عدت إلى عمَقِين، وسرتَ مع الوادي إلى الغرب الشمالي، وتركت وادي رهوان شمالاً، فإنه يستقبلك إلى الشمال الغربي: وادي الحنكَة، بفتح الحاء والنون والكاف، وهو أطولهما والأيمن منها، وإلى المغرب: وادي الشعب، وفيه: بحران، وحصن بن بريك، ومحلان آخران. وفي وادي الحنكة: الحمَر، بفتحتين، ثم المحف، ثم بَلْجَهْل، بفتح الباء وسكون واللام وفتح الجيم وسكون الهاء، ثم مطرح هَل (أهل) سعد، ثم مطرح هَل الحوْش، بفتح فسكون، ثم الوجَر، بفتح الواو وسكون/ الجيم، ثم الظاهرة، ثم لَعْبل (الأعبَل)، بفتح اللام فسكون العين ففتح [٤٧/أ] الباء. وغربي وادي الحنكَة: جـول، ثم حاضنَة الخِلَيفي. وشرقيّه: جَول، ثم وادي رَهْوان، وكلاهما يصبّ في عمَقِين، كما وصفنا. وفي شـرقي وادي رهوان وشماليّه: السَّوط، أو جبال السِّيطان، أي: ضُهور الجبل. وصَحاريه فيها نُعمان: آل بحيث، آل هميم، آل بَلعُبَيد.

[قلة مساقي وادي عمقين، وعبرة تاريخية]

ووادي عمَقِين قليل الماء الدائم، فليس فيه عيونٌ ولا بثار، وإنما شربهم من جَوابي يملئونها من ماء المطر، لكل أهل بيتٍ منهم جابيةٌ، ويفتحُون جوابيهم بالترتيب، فمن فتحَ منهم جابيته أقرضَ الآخرين، ثم يستوفي منهم إذا جاءَ دورُهم!.

جاء أعرابي من بادية نَجد إلى العراق، فسأله بعضُهم عن حالهم، فحكَى له

مأكلهم، ووصف شظَف عيشِهم وخشونته، وقلته. فقال له: وأي شيء يدعوكم إلى سكنى تلك البلاد؟ فقال له: لولا أن الله حبّب شرّ البلادِ لبعض العباد، لما وسعَ خيرُ البلادِ كلَّ العباد! ولكن يرِدُ على هذا الأعربي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾[النساء: ٩٧].

غَيلُ الوَجَا

في جهة الغرب لبلد حبّان: شعبٌ، اسمُه الوَجا، بفتح الواو، حلّ به الحبيب الصالح، صالح بن محمد المحضار، السيد الشريف الحسيني، كان من أهل الفضل والذكر، وأهل الوجاهة، ويسّر الله له إخراجَ غيلٍ به، فسكنَ به، وبعده أولاده، وعليه نخلٌ وزرع.

حَبَّـان

هذه بلدةٌ قديمةٌ، مرّت بها أطوار مختلفة، من أمنٍ وخوفٍ، وعدل وجَور، وهي من مراسي التجار بين هذه المراسي البحرية وجهة اليمن. وقد كانت تسيَّر منها قوافلُ إلى بيحان، وحَريب، وبلاد خولان، والبيضاء، وقد تحمل القافلة من البنّ، وغيره من البضائع، ما تناهز قيمته مئة ألف ريالٍ. وهي قديمةُ التاريخ، قال العالم سالم بن أحمد المحضار، السيد الشريف: «إنه وَجد بخط الفقيه عبد الله بن محمد الخطيب الحبّاني: أن جامعها بُني سنة ٢٦٦ للهجرة». قال: «ووجدت في جانب منبر الجامعِ الموجود الآن: أنه صُنع في شهر صَفر سنة ٨٧٣ من الهجرة».

وقال عند ذكر سكان حبان: «كان بها قبل حدوث الجور والفتن، عددٌ كبير من آل عبد الواحد، بيت الدولة، مثل: آل منيف بن ناصر بن صالح الواحدي، وآل محمد ابن ناصر، إخوتهم، وآل مظفّر، وآل يوسف البعير، وآل بدر، وال جعة، وآل صلاح،

وآل شدمة، وآل نشوان، وآل شهوان، وآل روضان، وآل طالب بن هادي بن صالح الواحدي، هؤلاء كلهم كانوا من ولاةِ الأمر فيها. وآخرهم: آل حمد بن هادي بن صالح الواحدي. وكان من سكان البلد: آل الخطيب، وآل باياسين، وآل الشيخ، وآل معافا، وآل بامقصرى، وآل مسواط، وآل نعيم، وآل باقرعوب، وآل بامنصور، وآل باسيلان، فسبحان وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

وأما سكانها الموجودون بها الآن: فأكثرهم جاءوا في الزمن الأخير، من حضرموت، وهينن، ودَثِينة، وهَدا، وبلاد العوالق، وأحور. فجد السادة آل المحضار توفي بحبان سنة ١٠٨٦، فلهم بها نحو ٢٥٠ سنةً[1]، ومثلهم السادة آل فدعق. وأما آل الشبلي، فقد جاء جدهم إليها في أوائل القرن السابع الهجري، نقله إليها سلاطينها آل عبد الواحد. وفيها من الحضَر المشهورين بمحبة أهل البيت: أهل عِلْيوة، وأهل ذيبان».

قلتُ: وقد لقيتُ منهم سنة ١٣٢٢، الشيخَ الصالح المستقيم، علي بن محمد ذيبَان، رحمه الله تعالى. وممن لقيتُ بها من أهل السيرة الحسنة والفضل، عبد الله ابن محمد بن سالم المحضار، السيد الشريف العلوي الحسيني، وكان من أصدقاء والدي، رحمهما الله تعالى.

وبئار حبان عميقة، يبلغ عمقها نحو سبعين قامة، وفيها الكريف المسمّى كَرِيف بامحيمْدَان، أنشأه هذا الرجل قديماً، يمتلئ من سيل الوادي، ويكفيهم نحو سنة. ومُحَيمْدان: تصغر محمّد، على لغة أهل حضرموت، ولا أدري ماذا حملهم/ [٤٨/أ] على تصغير اسم ذلك الرجل المحسن، فإنه ذو الفضائل، محمد بن حسين بن عبد الله إبريق، بنى مسجد الروضة أيضاً، يعرف الآن بمسجد الهدار، وحفر بئراً تعرف ببير

(١) فيكون لهم في سنتنا هذه (١٤٣٤هـ): نحو ٣٥٠ سنة. (مصحح).

الهدار، رحمه الله تعالى. وآل إبريق لهم ذكرٌ، كما أتذكر، في «النفَس اليماني»، فكان منهم أناساً في زبيد. وفي حبان أوقاف قديمة على مَسجد الجامع، ومسجد باسيلان.

السادة الأشراف

قد ذكرنا السادة آل فدعق، ومنهم أناس بحبان، وبالمنقعة، أودية آل باكازم، ولهم بوادي عمَقِين: شرْج حاتم، مشترك بين فخائذهم، ولهم جاه وكلمة مسموعة. والقَائم بمنصبهم الآن بحبان، وهو السيد الشريف، محمد بن حسين فدعق، العلوي الحسيني.

[السادة آل فدعق بحبان]

وأول من رحل منهم: جدّهم فدعق، المتوفى بالبيضاء، بن محمد بن عبد الله، المتوفى سنة ٦٧٧، بن مبارك، المتوفى بتريم سنة ٩١٦، بن عبد الله وطْب، توفى بقسم سنة ٨٨٤، كان فاضلاً، ذكره السيد الشريف عبد الله شليه العلوي في «تاريخه»، ابن محمد المنفّر بن عبد الله بن محمد، المتوفى بتريم سنة ٧٤٣، ترجمه في «الجوهر» و«المشرع»، ابن الإمام عبد الله بن علوي بن الفقيه المقدم.

وفدعق، جدهم الأعلى، أعقب من أربعة: **الأول**: حسن، وذريته بمكّة، وقدَح، بأرض الملايو، وتحقيقاً: بأواسط جاوه، وفنتيانة من سمطرا. **والثاني**: عقيل ابن فدعق، توفى عقيل بالهند سنة ١٠٨٥، أعقب من ابنه علوي، المتوفي بقسم سنة ١١٢٥، وأعقب: علوي، وابنه فدعق بن علوي، وذريته بعطف ميفعة. **الثالث**: علوي، يقال إن له عقباً باوسه، من بلاد سعد الدين، بالحبشة. **والرابع**: عبد الله، توفي سنة ١٠٨٧، وذريته بأحور، وهدا، وحبان، وسمنّب بجزيرة مدُورَةْ بجَاوه، وصُمْبَه من جزائر التيمور.

[السادة آل المحضار بحبان]

أما السادة آل المحضار؛ فأول من قدم حبّان منهم: جدهم الأعلى جعفر، المتوفّى بحبان سنة ١٠٨٢، بن أبي بكر، المتوفى بأرض الرصّاص، بن الإمام عمر المحضار بن الشيخ أبي بكر بن سالم، السيد الشريف العلوي الحسيني، وقد أعقب من ذريته الثلاثة: عيدروس، وأبو بكر، وعلي، وهم بحَبّان، ودوعن بقارة المحضار، وفليمبنغ (فليمبانق)، وبندواسة، وفاسروان بجاوه، وترنقانو، وجهور، ولهم بحبّان وجاهةٌ عند العوالق، والأقموش (لقموشي)، والكازمي، والسعدي.

وأما آل جنيد الأخضر؛ فأول من هاجر: جدهم جنيد، المتوفى بعزّان سنة ١١٤٩، بن أحمد بن جنيد بن أحمد الأخضر بن محمد، المتوفى سنة ٩٨٢، بن عبد الرحمن بن محمد الأخضر، المتوفى بقسَم سنة ٩١١، بن أحمد قسَم، المتوفّى بقسَم سنة ٨٩١، بن علوي الشيبة، المتوفى بتريم سنة ٨٦٢، بن عبد الله، المتوفى بتريم سنة ٨٢١، بن علي، المتوفى بتريم سنة ٧٨٤، بن الإمام عبد الله بن علوي بن الفقيه المقدم، السيد الشريف العلوي الحسيني. وأعقب جدُّهم جنيدُ، من ابنه شيخٍ. وهو أعقب من أبنائه: سالم، وجنيد، ومحمد.

المشَايخ

من المشايخ: آل الشيخ عبد المانع، وهو من تلاميذ الشيخ أبي بكر بن سالم، السيد الشريف، وجدتُ في بعض التعاليق: أنهم من ذرية سعد بن عبادة الأنصاري، جاء جدهم شعيب بن عمرو من دمشق الشام إلى اليمن سنة ٢٠١، ولا أعلم مستنداً لما جاء في هذا التعليق، والله والي العلم. وهم بجَول بن عبد المانع.

ومنهم: آل بامعبد، ذرية الشيخ محمد بن محمد بن معبد، الدوعني، المعروف بأبي معبد، ترجمه الشرَجي في «طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص»

[ص ٣١٢]، وذكره السيد الشريف المؤرخ، أحمد شنبل [ص ١١٥]، توفي سنة ٧٢٠، وأصله من دَوعن، وحل بالعماد، قريب من عدن، ثم نقل الى نواحي عين بامعبد. تفقه من ولده: محمد، وعبد الله، وكان لهم رباط برضوم، وأجرى الله على يده عيون في جهة حجر الدغّار، ولم تزل ذريته هناك، وفي ميفعة. وكانت وفاته سنة ٧٢٠، ولهم وجاهةٌ.

ومنهم: آل بانافع، في هَدا، وأحور، والمنقَعة، ويشبم، وسيأتي ذكرهم عند ذكر مذحِج.

ومنهم: آل إسرائيل، بروضة بني إسرائيل، جدهم الفقيه الصالح إسرائيل بن الفقيه المحقق إسماعيل بن الفقيه محمد بن عمر بن راشد بن خالد بن مالك المالكي. ومالك هذا يعود نسبه إلى خَولان /، وقد رأيتُ نسبه مرفوعاً منقولاً من خط الشيخ عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن أحمد بن أبي بكر بن إسرائيل، وهو نقلها من قلم جده عبد القادر بن أحمد، وقال: «إنه صحّحه من نسب آل أبي عُقبة»، ذكرَه كذلك فيما كتبه أحمد بن علي بن عقبة، هكذا قال، ولم ينقل عبارة أبي عقبة. [٤٩/]

[تاريخ ابن عقبة المفقود]

ولعل له كتاباً في أنساب القبائل الحضرمية، فقد كان برباط تريم كتابٌ في الأنسابِ، ذكر فيه قبائل العرب بأسمائها المعروفة اليوم، وهو من كتب خزانة السادة الأشراف آل الجنيد، أهل تريم، ثم اختُلس هذا الكتاب من رباط تريم، فلم يزل يتأسّف على فقده مدير الرباط ومدرّسه وناظره، الحبيب العلامة، الداعي إلى الله، الصالح، عبد الله بن عمر بن أحمد[١]، السيد الشريف العلوي الحسيني.

---

(١) سقط لقبه، وهو الشاطري، المتوفى سنة ١٣٦١هـ. (مصحح).

ولم يزل شيخنا[١]، رحمه الله تعالى، يذكر «تاريخ ابن عقبة»، ولكن رأيتُ فيما جمع من كلامه اسمَه واسم أبيه موافقاً لاسم الهمداني، صاحب «صفة الجزيرة العرب»، والصواب: أن صاحب «صفة جزيرة العرب» غير ابن عقبة.

[استطراد في ذكر الفقهاء آل عقبة الهجرانيين]

أما أحمد بن علي بن عقبة بن أحمد بن محمد، أبو الحسن الزّيادي، ثم الخولاني، فقد كان والده فقيهاً فاضلاً أديباً، وابنه أحمد تفقّه بالفقيه إسماعيل الحضرمي، ثم أخذ عن البيلقاني، وعنه أخذ القاضي محمد بن سعد أبو شكيل. سكن آخر عمره حَجْر بن الدّغّار الكندي، وهو غير الدغّار الحميري المذكور في نسب ولاة شبام، وتوفي بقرية الصَّدَارة. ولما ماتَ خلفَه ولدان، هما: محمد وأبو بكر، مات محمد طالباً للعلم، وبقي أبو بكر ولم يذكر شيء عن حَاله. هذا التقطناه من ترجمة الطيب بامخرمة لهم في «التاريخ الكبير»[٢]، و«تاريخ عدن» [ص ٣٩]. فلعل لأحمد ابن علي المذكور كتاباً في النسب، أو تحريراً لسلسلة نسبِه خاصةً، والله أعلم.

وقد نقل الطيب في «تاريخه الكبير» [ط. المنهاج: ٦/٤٦] عن الجنَدي [٢/ ٤٦١]: ذكراً لحاكم الهجرين، أبي بكر بن الفقيه عبد الرحمن بن محمد بن سالم باعقبة، الخولاني الهجْراني، وأنه كان مشتغلاً بقَيد الأوابد. ولعل المراد بالأوابد: المسائل والفوائد المستغربة، فالله أعلم.

[عود إلى المشايخ آل محمد بن عمر]

ولآل إسرائيل هؤلاء، مقامٌ ووجاهةٌ، وكانوا بيت علم.

---

(١) المقصود به: الحبيب أحمد بن حسن العطاس، رحمه الله. (مصحح).

(٢) وهو «قلادة النحر»، طبع مؤخراً. ينظر (ط. المنهاج): ٥/ ٤٩٩ ترجمة ٣٤٨٧. (مصحح).

وكان في آل الشبلي القضاءُ والخطابة في حبّان. وقد ذكر الفقيهَ إسماعيلَ، العارف بالله المسندُ العلامة العابد، السيد الشريف، عيدروس بن عمر الحبشي، العلوي الحسيني، في كتابه «عقد اليواقيت الجوهرية» [٢/١٠٥١]. ومن ذريته فقهاءُ عدةٌ، استوفى ذكرَهم السيد الشريف سالم بن أحمد المحضار، السابق ذكره.

وبالجملة؛ فقد كان في ذرية الشيخ محمد بن عمر، علمٌ، وصلاحٌ، وسنّة.

[المشايخ آل باحَاج، وآل بامرحول]

ومنهم: المشايخ آل باحاج، ولا نعلم شيئاً عن جدّهم، ولا عن بقاء العلم فيهم، ولكن لهم وجاهةٌ عند البوادي. وهم برَيمة، بوادي عمَقِين، وجَول آل عقيل. وقد رأيتُ لفاضلٍ منهم متأخرٍ، ذكراً في بعض كتب الإسناد، ولا أتذكره الآن.

ومنهم: المشايخ آل بامرحول، وهم في لبية، بوادي حبان، لهم منصب ومقام، والقائم به الآن منهم: الشيخ ديّان بن مُحمُّد (بضم الميمين) بامرحول، ولا نعلم شيئاً عن بقاء العلم والصلاح في بيتهم، إلا أن غلاماً منهم جاء إلى قيدون، ومكث في الرباط عندنا مدةً، وسار قبل أن يتفقّه، وقد سمعت أنه بمكة، ولا أدري هل استمر في التعلم أم لا؟

وقد بقي من المشايخ في هذه الجهة مَن كان منهم ببلاد آل باكازم وغيرها، سيذكرون في الكلام على مذْحِج، والله الموفق والمعين.

قبائل سعد

سعد، اسمٌ يطلق على قبائل حبان، (ويطلق أيضاً على قبيلتي الجارضي والشمعي، من المخاشبة آل باكازم)، وهم قسمان: [١] **سعد حبان**: وهم الساكنون بوادي حبان. [٢] **وسعد الشعاب**: وهم الساكنون بوادي عمَقِين وشعابه.

[١] وسَعد حبان:

ينقسمون إلى قسْمَين: [أ] آل لَسْوَد (الأسود)، [ب] وآل غُسَيل، بضم ففتح فسكون.

[أ] وآل لَسْوَد، يسكنون وادي حبان، وهم أهل حرثٍ على المطر. وهم فخائذ. فمن فخائذهم: أهل بابكر، ومسكنهم كورة المن، وقويرة، وفيها: الرئيسُ والمعقد، وجدبة عثيمان. ومقاتلتهم: نحو سبعين رجلاً. ومعتقدهم: آل حيدر، من آل الشيخ أبي بكر، من آل/ حامد، السيد الشريف، بجردان. ومنهم: آل جسّار، بفتح الجيم [٥٠/] وتشديد السين، ومسكنهم: الكدم، وعماد، والعرم. ومقاتلتهم: نحو ٥٠ رجلاً. وفي عماد: قبيلة بلْخدَر، ونصرتهم لآل جسّار على آل بابكر وآل عمر.

ورئيس سعد كلها في آل جسّار. ومعتقدهم: الأشراف آل المحضَار. وبين آل بابكر وآل الجسّار دماء وتِراتٌ.

ومنهم: آل عمر، ومسكنهم الحميرا، ويكون فيها رئيسهم، وجدبة العَمري، ومقاتلتهم: نحو ٢٠ رجلاً. وآل عثيمان، ومسكنهم: جدبة بن عثيمان المثنى، ومقاتلتهم: ١٥. ومعتقد هاتين القبيلتين الأشراف آل فدعق. وبين آل عُثَيمان، وآل عمر دماء. وآل شكلِة، في خرابة بن شكلة، بقية قبيلة، هي الآن تابعة لآل جسّار. وآل سعد، قبيلةٌ ضعيفة بجَول آل سعد، أهل حرث على المطر، تابعة لآل جسار.

[ب] وأما آل غُسَيل، فأكثرهم ساكنون بغيل حبّان، ويقال له: غيل الغُسيلي، وهو في منتصف وادي حبان، بعد لهية، وفيه قرى وبيوت. وهم فخذان: آل عمر ابن علي، ومقاتلتهم نحو ٤٠ رجلاً، وآل حبتور، ومقاتلتهم نحو ٢٠. وقد تقدم ذكر منازلهم، وهي: المصفاة، الغرير، الرديحة، المشباب.

[٢] وأما سعد الشعاب: فهم الساكنون بوادي عمقين وشعابه، ومنهم: آل

حنَش، بقارة بن حنش، ومقاتلتهم نحو ٤٠، وهم أهل زرعٍ. وآل الحجري، ومقاتلتهم نحو ٣٥، وبقي من لم تصل إلينا أخبارهم، من أهل وادي عمَقِين.

نسَبُ سَعْد

الذي يتبادر إلى الفهم: أنهم سعد تُجِيب، من كندة، حلوا وادي حبان، كما سكن إخوانهم بني عامر بن وهب بن معاوية جانبَ الساحل إلى وادي هَدا إلى حَجْر بني وهبٍ، هكذا كان يقال: حَجْر بني وهْب، أي: وهب بن الحارث بن معاوية الأكرمين بن ثور، وهو كندَة الملوك. ثم صار يقال له: حَجر الحصين، ثم قيل: حَجر الدغّار، وكلهم من كندة. فكندة كانت الغالبة على الملك في هذه الجهة، فكان المتبادر أن يكون ذوو الإمرة فيها من فروع كندة. وفي كندة وهبٌ آخر، وهو: ابن ربيعة بن معاوية.

وقد كانت تُجِيب في الكسْر من وادي حضرموت، بيدهم قُراه وحصُونه، إلى ما بعد الثلاثمئة من الهجرة. وقال الهمداني: إن منهم في زمنه ألف وخمسمئة، منهم أربعمئة فارس، ونرَى أنهم نقلوا عنه عندما دهمهم حادثٌ بعد الثلاثمئة، بل يحتمل أن يكون بعد العشرين أو الثلاثين والثلاثمئة، وتحولت سعد بن أشرس بن شبيب ابن السكون بن أشرس بن ثور، وهو كندة، بن عُفَير بن عَدي، إلى وادي حبّان، كما تحول إخوتهم السكاسك إلى وادي المخلاف، وغيره، وهو وادٍ بجنب نجران إلى جهة نجد، وهم بنو سكْسَك، واسمه: حُمَيس، بضم الحاء وفتح الميم وسكون الياء، ابن أشرس بن ثور بن عُفَير، وكانت منازل السكاسكِ بالكَسْر، أقرب إلى الرملِ من منازل تجيب.

وقد قوّى هذا السبْر عندنا وجُود قبائل من السكون بينهم، ذكرهم النسابة عوض بن أحمد الجرو في كتابه «الفرج بعد الشدة في إثبات فروع كندة»، فذكر

منهم: من السكون: السكاسك بالمخلاف، ومنهم بالمخارِم، وعمَقِين، وبنو دَغّار بمدُورة، وهي بالكَسْر، ولكن لهم الآن بقية بحَجْر، وقد كان منهم أمير بدوعن بالرّشيد، وآل بن نعيم بحورة. وقد مرّ ذكرهم، فيما نقلناه عن السيد الشريف، سالم ابن أحمد،أنهم كانوا أيضاً من سكان حبان. وقيل: إن بالشّوار من كندة، أصلهم من جورة الساحل، ثم قُتلوا فيها، ورحلوا عنها إلى العرصة بجَردان، وأنهم إخوة آل بايومين، بريدة الدّيِّن، وبن دغار، وبن محفوظ، وأن با هيصمي من كندة.

وقد تقدم ما قاله أبو محمد، الحسن بن يعقوب الهمداني: «أن حَجر لبني عامر ابن وهب بن كندة، والقَويع، والشريرة، والمحدث، وعزْقِة، كلها لبني عامر بن وهب».

وعزْقِة اليوم بها آل باداس، هاجروا إليها من الهجرين، بعدما أخرجوا منها، وهاجر بعض آل عفيف إلى المطهاف، فكأن ذلك، والله أعلم، لتقارب نسبهم مع سكانها. وقد قال الشاعر العامي / : [/٥١]

والمنيضُور كَلّـة عَاليـة   بين بَاداسْ والشيخ العفيفْ

و«المنيضُور»: اسم للجبل الذي عليه قرية الهجرين، أطلقه عليه اسم «الكلة»، وهي: الصومعة، لارتفاعه وانفراده.

[توجيه مهم حول ما يذكره المؤلف من الأنساب]

ثم اعلَم، أن بحثنا هذا، لايثبت نسباً ولا ينفيه، ولكنه يفتح باباً لمن يريدُ التحقيق، وتمكن من أسباب ذلك، فإن بعض المؤلفات، التي نظن أن فيها أدلةً أخرى، لم تصل إلينا، فلعل أن يظفر بها من بعدَنا، فيجد فيها ما يوضّح الإشكالَ، ويزيل الالتباس.

واعلم، أن مايوجد في بعض التعليقات عن الأنسابِ لا ينبغي الوثوقُ به، بل

ولا يجوز، لأنه غير منقولٍ عن أصل معتمد، وليس مبنياً على سبر وثيق، ولا بحثٍ معقول، وفيها من المخالفة للمنقول والمعروفِ مايطول الجدلُ فيه، فلا يجوز إثباتُ نسبٍ لمجرّد ما جاء فيها، إذا لم يصحبه استفاضةٌ، ولا سيما إذا كانت تلك التعاليقُ منقولةً عن الذين ليس لهم اعتناء بالأنسابِ، ولم تسبق لهم مراجعةٌ لكتبهم، فإنه يأتي في تعليقهم خبطٌ وخلط كثير.

[أمثلة لتناقض الأنساب غير المحررة]

وقد ذكر شيخنا فيه «رسالته» بعض تلك التعليقاتِ مع تناقضها، وتركها كما هي، لأن قصده الجمعُ لا التصيح والترجيح. على أن أبا محمد، الحسن بن أحمد الهمداني، قال،بعد أن ذكر مرْخَه، ومنازل صداء: «عبَدان: لبني عبد الله من صُداء، وحصنهم فه معروف، وبني عبد الله من سعد العشيرة. جردان: وادٍ عظيم، فيه قرى كثيرة لجعْف. يشبم: واد عظيم للأيزون، من حمير. وحجر بني وهب: لبني عامر من كندة. تمّ هذا الحيّز من السرو»، اهـ. وقال في (صفحة ٩٨): «مخلاف شبوة: يسكنها الأشباء، والأيزون، ثم صُداء، ورُهَاء». اهـ. فقال في جردان: «واد عظيم»، فوصفه بالعِظَم، ثم ذكر يشبم، فقال فيه: «واد عظيم»، والفرق بينه وبين جردان كبير، فلا يتأتى وصفه بالعِظَم إذا قسناه إليه، إذا استثنينا منه حبّان، وما سفل عنها.

فالذي يُفهِمه هذا: أن وادي يشبُم، كان اسماً عاماً لحنكة الوادي، الذي هو يشبم، ولأسفله، وهو وادي حبان. ويبعد، مع ما سلكه في كتابه من التدقيق، أن يذكر يشبم، الذي هو بمنزلة أعلى وادي حبّان، ويترك أسفله، وهو الذي يطلق عليه الآن وادي حبّان، فلا يذكره، وهو أطول من أعلاه. فهذا يظْهِر صحةَ ماقلنا: في أن يشبُم كان اسماً عاماً للقسمين: أعلى الوادي، وأدناه.

[عود إلى ذكر قبائل حبان]

وذكره للأيزون، من حمير، دون سعدٍ، مما يقوي ماقلنَاه: أن سعداً إنما دخلتْ وادي حبان بعد ثلاثمئة، وانتقالهم كان لحادث أزعجهم، ولا يعدو أن يكون هجوم القبائل التي كانت تابعةً للصليحي، حين اجتاحَ حضرموت، أو غاراتِ القبائل الناقلة. وقد يكون الوالي بحَبان، كان يستعين بهم في حروبه مع حضرموت، فلما أزعجهم ذلك الأمر المزعج، كانوا قد عرفوا هذا الوادي، فنقلوا إليه. وقد بقي لحمير اسمها الخاص، وهو حِمْير، ليكون فارقاً بينها وبين بني سعدٍ. وقد انحازت حمير عن حبان ما والاها إلى الوديان الجنوبية، وربما وقعَ ذلك بعد حروب، أو وقع في أعوام متطاولة شيئاً فشيئاً، كما وقع نظير ذلك لتُجيب في الكسر، وبني يزيد، والأحروم، وغيرهم في وادي عَمْد، إذ انحازوا عن بني عامر، آل عبد الله، والجعدة.

وكما انحاز قبائل القَطْن عنها، لما داهمتهم يافع، وقد كان بها عدّة قبائل منهم، من بقية له بقيت في وادي سَر، ومنهم من انقرضَ، أو تمسْكن، أو تمشْيخ، منهم آل السّعدي، وآل شبيب، وقبائل الجهة: آل بلْعَلا، وبلْحَامض، وآل بلْحِرف، وآل بن قفلة. ومن آل بالحامض بقيةٌ بوادي سَر. وكما انحازت قبائل حضرموت: كندة، وحضرموت، عن قبائل الشنافر، في أودية حضرموت السفلى.

قبائل نُعمان وكندة وَغيرها
بوادي حبّان

ابنُ رُشيد، بضم الراء وفتح الشين وسكون، في ميفعة، وآل باديّان، بفتح الدال وتشديد الياء، في الحضْن، قريب من حوطة الفقيه علي، وال باجَبْل، بفتح وسكون، من البَجْنف، في وادي سلمُون، وآل الحَجْري، وآل سالم، وآل حنش، في/ [٢٥]

بلهه (؟) بعمَقِين، وغيرها. كل هذه القبائل من نُعمان، وبقيت نُعمان في أوديتهم وموطنهم، ضَهر جبلهم، وسيأتي ذكرهم في موضعه. وقد تقدم النقلُ آنفاً عن الجرو: أنّ من السكون بعمَقِين، وذكر الهمداني: بني عامر بن وهب، كانوا بالشريرة من وادي هَدا، وبعزْقِة، والمحدّث، والقوَيع، وعزْقِة! ومرّ أيضاً: أن آل بن نعيم، وابن نَشْوان من كندة، وكانوا بحَبان، وربما كان هناك غير هؤلاء. وبقرب عزان: آل عبد السيّد، عسكر آل عبد الواحد، والنقباء. وذكر السيد الشريف، مؤرخ حبّان، العالم الفقيه، سالم بن أحمد بن علي المحضار: المخْرَمي، وسيأتي ذكره.

آل عبد الواحد، وآل سدّةْ

كانت كندة تسمى كندَة الملوك، لتطاولهم إلى الملك، وحرصهم عليه، وكانت العربُ تعترف لهم بذلك. وقد مرّ في الفصل قبله ذكرُ من كان منهم ببلاد حبّان وسواحلها، فيتبادر إلى البال: أن ولاتها كانوا منهم.

[بنو معاوية الحضارمة، كنديون، لا أمويون]

ولعل وجُود اسم معاوية في أنسابهم هو الذي حملَ أصحاب التعاليق على نسبة ولاة حبان إلى بني أمية، لأن عامراً، هو: ابن وهبِ بن معاوية الأكرمين الكندي. وأهل الزمن الأخير قد تركوا البحث بالأنساب، وخلت أيديهم من كتُبها، فإذا سمعُوا بقية إشاعةٍ عن نسبٍ، فهموه على ماعندهم من قلة العلم. وهم إنما يعلمون أن معاويةَ كان من بني أمية، لشهرته عندهم، ولا يعلمون أنه كان في حضرموت وجِهاتها كَم من معاويةٍ. وفي «تاريخ شنبل» [ص٦٣، ٦٤، ٧١، ٩٩] وغيره، ذكرٌ لقبيلة بني معاوية إلى زمن عبد الله بن راشد، إلى ان اختلطوا مع الحمُوم. وفي «تاريخ الخزرجي» [«العقود اللؤلؤية»: ١/ ١٦٠] ذكر لبعضِ فضلاء بني وهب بن كندة، وبني شهاب من كندة، وقد

كان من بني شهاب قومٌ بظفار، وملكوها في حدود الثمانمئة، مع إخوانهم بني بدر، ثم تنازعوا وتحاربوا، وغلبهم عليها غيرهم.

وفي كندة قبيلة تسمى يزيد بن معاوية، ومنهم بقية إلى الآن، فلعلّ ذلك مصدر ما جاء في بعض التعاليق: «أن ابن سدة، وباواحدة، حراث بحضرموت، أمويون، من ذرية يزيد بن معاوية. وأن آل عبد المانع بالجول قرشيون أمويون، منهم: آل عبد الواحد، سلاطين الظاهر». اهـ.

[استبعاد وجود ذرية أموية بحضرموت]

ومع أن آل عبد الواحد ليسوا سلاطين الظاهر، فالقول بنسبتهم إلى بني أمية وهمٌ من الأوهام، وقد جاءت جيوش المنصور العباسي مع معْن بن زائدة، فما تركت من متردم. فيكف يصح أن تترك أحداً من بني أمية حتى يملك ويتسلطن، وهم قد قتلوا من أهل حضرموت على وقعةٍ واحدة خمسةَ عشر ألفاً، لأنهم خوراج! فكيف لو كان أحد منهم مع ذلك من بني أمية، أعدائهم الألداء!؟

ولم تزل أمراؤهم على اليمن كله تسرِي، وجيوشهم تجوسُ حضرموتَ المرة بعد المرة، فكيف يخفى عليهم وجُود ذريةٍ ليزيد بن معاوية الأمويّ، ولو علموا بهم، فكيف يصح أن يتركوهم في هذا الموقع القَصي من بلاد العرب، ولا يتخوفوا منهم إثارة فتنة عليهم، كما فعل عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس، وهم قد تتبعوهم بالقتال في كل مكان.

تعليقٌ

[حول بعض الأنساب غير المحررة التي يتم تناقلها]

نورد هنا تعليقاً مما ذكره شيخنا في «رسالته»، لتعلقه بآل عبد الواحد، وهو: ما نقله من خط المؤرخ سالم بن محمد بن حميد، وهو نقله من خط المعلم سعيد بن

أحمد باكثير، وهو نقله من خط الشيخ محمد بن عبد الرحيم بن قاضي، وهو نقله من خط الفقيه عبد الله بن علي بن عبد العليم بانافع:

«**نسب آل بانافع إلى بني أمية**: رُوي ذلك عن الشيخ العلامة القطب الشهير، عبيد بن عبد الملك، صاحب يشبم، بانافع، نفع الله به، أنه وجد عن بعض أهل الصلاح نسبَ آل جابر إلى عقيل بن أبي طالب، ونسب آل الزيلعي إلى عقيل أيضاً. وعن بعض الصالحينَ من الخطباء الذين بحضرموت: أنه قال: نسبُنا، يا الخطباء، (عبارة حضرمية يعني: معاشرَ الخطباء)، يعود إلى الأنصار، ومسكنهم من حضرموت: تريم. وعن بعض أهل العلم والصلاح: أن القشاشي/ أنصاري. وعن بعض التعاليق: [/٥٣] نسبُ آل محمد بن عمر، يعود إلى مالك، وأطلق ولم يبين، هل هو إمام المذهب، أم غيرُه، وهم أهل الجول، والحوطة، والروضة، وحواليها. ونسب آل عبد الواحد يعود إلى رباح، ورباح شبَّ ونشأ في حِجر لؤيّ بن غالب، فنسبوه إليه.

نسب قبائل اليمن: وهم ثلاثُ قبائل: حمير، ومَذحج، وهمدان. فمن حِمْير غالبُ قبائل اليمن، فمنهم: يافع، ولُقموش، وآل ذيَيب، وسعد، ونُعمان، وقبائل السَّوط، وسَيبان، وغيرهم من قبائل اليَمن. وأما مذْحِج، فأصل مسكنهم الشّام. وهمدانُ مسكنهم: الجوف، خلف صَنعاء، وما حواليه، وقيل: إن نسَب العوالق إلى معن بن زائدة. وقيل: إن نسب بني أرض إلى سلمة بن الأكوع الصحابي، رضي الله عنه. وآل تميم، من قبائل حضرموت، يزعمون أن نسبهم إلى تميم الداري، رضي الله عنه. وآل جابر، من قبائل حضرموت، يعود إلى جابر بن عبد الله، كذا قيل! وبنو سَعد، من قبائل حضرموت، قيلَ: إنهم من بني سعد، قبيلة حليمة السعدية، رضي الله عنها، وأهل السهل، أعني أهل الرّمل، يحدهم حورة إلى الكسر، قيل: إنهم منسوبون إلى الحميد بن منصور، رجل من العرب مشهور، من رؤسائهم، وهم أعني المنسوبين إلى الحميد بن منصور، المسمَّون: النسيِّين». اهـ.

[إبطال المؤلف ما وردَ في النصوص السابقة]

والاستدلال على بطلان أكثر ماجاء في هذا التعليقِ يطولُ، ويكفي أن يقال فيه: إن أكثره مخالفٌ لما تنطق به تواريخ حضرموت، وحوادثها، وكتب النسابينَ الذين إليهم المرجعُ في هذا العلم.

[١] وقد مرَّ بك ما نقلناه عن تعليقٍ آخرَ: أن آل عبد الواحد قرشيون أمويون، وأوضحنا بطلانَه، وهنا يقول: إنهم ربَاحيون! ولعَمري؛ ما علمَ النسابون إلى اليوم، أن ذلك المجهول رباحاً، نشأ في حِجْر لؤي بن غالب، وما هي إلا خرافةٌ اخترعها ذلكَ القائلُ المجهول أيضاً!. وعمود النسبِ النبوي من لؤي بن غالبٍ في ابنه: كعب، وله من الأبناء غيرُه: عامر، وأسامة، وخُزيمة، وسعد، والحارث، وعوف، وجُشَم، وقريشُ تنكر ذرية أسامة بن لؤي، وقد كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، سباهم حين ارتدّوا إلى النصرانية، ثم باعهم، فيمن يزيد (الحرَاج)! ونقل عنه أنه قال: ما أعقَب عمي أسامة.

وكذلك دفع شيخ الشرف، ابن أبي جعفر النسابةُ، نسبَ الذين يزعمون أنهم عائذةُ قريشٍ، وأنهم بنو خُزيمة بن لؤي، فجاء أصحابُ التعليق في آخر الزمان برباح ابن لؤيٍ معهما! مع أن ما في هذا التعليق، من كونِ آل عبد الواحد من نسل رباحِ المجهول، يناقض ما في التعليق الآخر السابق من أنهم قرشيون أمويون، فكيف يكون أموياً من كان رباحياً!، إن هذا لشيء عُجاب.

[٢] وما قيل في أحدهما: إن آل عبد المانع قرشيون أمويون، يناقض ما جاء في الآخر: أنهم أنصاريون وخَزْرجيون، وكلاهما لم يذكر لهما مستند، لا مِن قول النسابين، ولا تاريخ موثوق به، ولا من كتب التراجم والطبقات، وإنما هو زعمٌ مجرّد، ومن شاء زعم!

[٣] وكذلك قوله: «إن مذحج أصلُ مسكنهم الشام»!، فكيف يقالُ هذا ومذحج تملأ الفضاء من أبين إلى بلاد العوالق، إلى أطراف الجنَد. وحسبكَ أن أحد أقيال اليمَن، الشيخ الرئيس، علوان بن عبد الله بن سعيد الجَحْدري، ثم المذْحِجي، الأديب الشاعر الشجاع، المقدام المطعام المطعان، المتوفَّى سنة ٦٦٠، أرسل إليه الملكُ المظفر الرسولي، يستعينه في حربه بتهامة، فأقبل إليه بنحو من عشرين ألف رجلٍ من مذحج. وهو الذي حارب ملوك الغزّ، ولم يظفروا منه بطائلٍ، مع استباحتهم اليمنَ كله، إلى الشحر وحضرموت، وكان السلطان نور الدين الرسولي حطَّ عليه عدةَ محاطّ بالمقطعين، من أمرائه وطبلخاناتهم، إذا جاء وقتُ ما يضربون النوبةَ، ترتجّ لها الأرض، وترتَعبُ النفوس، فيقول علوان لقومه: يامذْحِج، لا تفزعوا، فانما هي جلودُ بقر.

[٤] وقول صاحب التعليق: «إن آل تميم من نسل تميم الداريّ»! كيف يستقيم هذا؟ مع تصريح تواريخِ حضرموت أنهم من بني ضَنّة. وآل تميم الداري لم يزالوا ببلَدهم التي أقطعهم إياها النبي ﷺ، بنواحي دمشق، وليسُوا من بني ضنة، ولم يقل مؤرخٌ قط أنهم انتقلوا إلى حضرموت، بل لم يزالوا بقُراهم المذكورة، ولم يزل العلماء يقصدونها ليتبركوا برؤية الكتَاب الذي بأيديهم بالإقطاع المذكور.

[/٥٤] [٥-٦] ومثل ذلك قوله في آل جابر. وأغرب منه/ قوله في بني سعدٍ: «أنهم قبيلةُ حليمة السعدية»! فكل ذلك استنتاجات عامية. إذا سمعوا باسم جابرٍ، قالوا: هم من آل جابر الصحابي، وسمعوا اسمَ سعدٍ، فقالوا: من بني سعد، قومِ حليمة، لأن اسمَ حليمة السعدية يدُور في أذانهم، كلما سمِعوا مولداً، فكلّ هذا توهمات، ليس فيها شيء من رائحة العلم.

[٧] وأغرب من ذلك: جعله نهداً وما والاها، وأهل شبوة وما والاها، من ذرية الحميد بن منصور! وناهيكَ بذلك مخالفةً لما في كتب الأنسابِ، ولما يقوله بقيّتُهم بنجد والأحساءِ، ولما في كتب التاريخ الحضرمية.

[اعتذار عن التطويل في موضوع الأنساب]

وإنما أطلنا هنا، لنعرّفكَ قيمة تلك الشّوائع والتعليقاتِ، التي لا تنبني على أصل علمي، وقد سألتُ شيخنا عن نسبِ بعض القبائلِ، فأخبرني به، فقلتُ له: إنكم ذكرتم في «الرسالة» أنهم من آل فلان، قال لي: ذلك لقب وضعه لهم سلفُنا تفاؤلاً، ونسبهم يعودُ إلى ما ذكرته لكَ، أو كما قالَ.

وسيأتي كلامُه في موضعه إن شاء الله تعالى، ومهما شككْنا في شيءٍ فلا نشكّ في أن قبائل حضرموت، باديتهم وحاضرتهم، عربٌ، إلا ما ندر.

[سبب الوضع في الأنساب، مع التمثيل]

واعلم؛ أن لضعفاء المؤرخينَ، والمتملقين منهم، أثر عظيمٌ في خلط الأنساب.

[١] فقد اخترعوا لبني رسُول، الأكراد، الذين ملكوا اليمنَ بعد الغزّ، نسباً غسانياً. فقالوا: إنهم من بني غَسان، دخل جدّهم إلى بلاد الأكراد، وتوالدوا هناكَ، ثم عادوا، ولكن لم ينقلوا ذلك عن كتاب موثوقٍ به.

[٢] ولم يزل بنو طاهر، أهل المقْرَانة، حميرينَ، بين عشائر حمير وقبائلها، فلما ملكوا اليمَن بعد الرسوليين، اخترع لهم بعضُهم نسباً، فقالوا فيه: القُرَشي الحميري! فهم يجمعون بين الكذِب والحمْق، فكيف يكون حميرياً من كان قرشياً!

[٣] وقالوا في نسب آل فهد، آل راشد، ولاة تريم: إنهم فهديون، أوسيّون أنصاريون! مع أنهم من بني فهد، يعود نسبهم إلى حضرموتَ، كما سبق ذكره. وذكره نشوان الحميري، أحد علماء النسب، وقد وفدَ عليهم إلى تريم، ومدح السلطان عبد الله بن راشدٍ بقصيدته الميمية، التي يقول فيها:

رعى الله إخواني الذين عهدتُهم ... ببطـنِ تَريـم كالنجُـوم العوائم

[٤] ونحو ذلك: ماقيلَ إن بني حرامٍ كانوا من حَلْي بن يعقوب، وأنهم من كنانة، فهم عدنانيون، ومنهم يماني بن مسعود، الذي كان والي تريم. فينبغي لنا التثبتُ فيما نقله من هذا النوعِ من غير الرجوع إلى أصل موثوق، فإنه كان في العرب عدةُ قبائل يقال لكل منها: بنُو حرام، مع اختلاف أنسابها، كما كان فيهم عدّة قبائل يقال لكل منها بنُو ضَنّة.

المخْرَمي، والسّلاطين آل عبد الواحد وأيامهم مع العَوالق وغيرهم

كانت كندة تدعو رؤساءَها ملوكاً، ولو لم يملك أحدهم إلا وادياً، وورثهم أهل حضرموت، فهم يطلقون اسمَ السلطان كذلكَ، بل زادوا فصاروا يدعون به كل أقارب السلطان، وذريته، بل قد يطلقون على كل فردٍ من ذرية سلطانٍ قديم العهد، قد دالت دولته، ودرس أثرُه. وكان آل عبد الواحد يدعُون أنفسهم بالسلاطين، ولا نعلم متى حملوا هذا اللقب؟ وربما كانت ولايتهم قديمةً بدون لقب سلطنة.

[والي حبّان، محرز المخرمي]

وقد ذكر السيد الشريف، مؤرخ حبان، سالم بن أحمد، والياً بوادي حبّان اسمه: محرز المخرمي، وأنه لما جاء إليه السيد الشريف، وجيه الدين، عبد الرحمن ابن علوي بن أحمد بن سيدنا الفقيه المقدم محمد بن علوي باعلوي، صاحب القرْن، المعروف بقَرن بني سعد، بغيل حبّان، أهّله، وزوّجه، وجعله خامسَ أولاده في جميع متروكاتِه من جَول حُوَات إلى عقبة المقيربةِ، وتوطن بالقَرْن المذكور، ومات به، وقُبر في مسجده ويسمى الآن: قرْن باعلوي. وأولاد محرز خدمه، وهم الآن القائمون بمنصبه، من ذلك الزمان إلى عصرنا هذا، وله مقصد ترد إليه الأضياف صباحاً ومساء، لايكاد يخلو عنهم يوماً واحداً». اهـ.

[تعليق المؤلف على الخبر السابق]

وقوله: «المخْرَمي»، هكذا ذكره بالخاء والراء، وذكر النسبة إلى المخْرَمي، فيما حكاه عن الشيخ محمد بن أحمد بن عبد الملك المخرمي، المكنى بو نجمة بانافع. ولا يدل هذا على أنه من ذرية محرز المخرمي، ولكن يدل: على أن هناك قبيلةً كانت تسمّى آل مخرم، أو آل مخْرَمة، وأن آل بانافع، ليسوا من بني أمية. قال مؤرخ حبّان: «وجدت بخطّ الثقَة، أي مالفظه: «ومن أبين: المحل/، منها الإمام [٥٥/] الفقيه شرفُ الدين، أحمد بن أبي بكر بن إبراهيم الرّنْبول المخْرمي، نسبةً إلى قوم يقال لهم: المخارمة، بالمشرقِ، بطنٌ من كندة». قال: «وهو شيخُ الفقيه محمد بن عمر، من «تاريخ بن حسان». قلتُ[1]: والمحل: بلدة صغيرة معروفةَ الآن بأبين، ويقال لها: باجَديد، دفن بها بعض أولاد سيدنا جديد بن أحمد بن عيسى المهاجر، وهي الآن تسمى باسمَين: المحل، وباجديد. معمورة إلى عصرنا هذا»، اهـ. فإن لم يكن هناك تصحيفٌ في نسب محرز المخْرمي، فهما قبيلتان: إحداهما بالرّاء، والأخرى بالزّاي. وقد ترجم الشرجي لابن الرّنْبول، وقال: «المخْزَمي: بالزاي».

[عود إلى أصل لقب (السلطان)]

وقال السيد الشريف أحمد شنبل [ص ١٨٠]: «إن عبد الله بن علي بن عمر بن كثير، أول من ابتدع الطبُول والنفُر، (جمع نَفِير: آلة ينفخ فيها، فيكون لها صوتٌ عظيم، وتسمى: وَدْعة، لأنها من حصَى الوَدْع الذي يقذفه البحْر، ولكنها كبيرة الحجم)، وأول من سُمي بالسلطان». وكانت وفاته سنة ٨٥٠.

وقال في حوادث سنة ٩٠٥ [ص ٢١٧]: «وفيها: حصلت فتنةٌ بين حميد بن

---

(١) القائل: هو مؤرخ حبان، المحضار، كما يعلم من السياق. (مصحح).

عبد الواحد، وبين العوالق ومن والاهم، ووقعت بينهم ملحَمة، قتل فيها من الفريقين نحو مئة وخمسين قتيلاً». فلم يلقبه بالسلطان.

والتلقيب بالسلطان لم يكن مشهوراً في البلاد العربية، وإنما حدثَ هذا اللقب بعد استيلاء العجَم على خلفاء بغداد، ثم لما ضعف اتصال الأقطار العربية بمَركز الخلافة، وانقطعت أسباب الاجتماع، وازداد تفرق الأمة، صار كل من تولى قطراً، ولو كان صغير المساحة، سلطاناً، كما كانت كندة تفعل.

[غارة آل عبد الواحد على الهجيرة: سنة ٩٥٣هـ]

ولا نعلم متى كانت وفاةُ الأمير حميد بن عبد الواحد المذكور، ولامن تولى بعده، إلى زمن السلطان عبد الواحد بن صلاح روضان. وقد وقعت في زمنه حوادث.

منها: أنه أغار على قرية الهجيرة، التي تحت حَيد بن راضي، من صعيد يشبم، في حدود سنة ٩٥٧، وقيل: ٩٥٣، ومعه من الجند نحو ألفٍ وخمسمئةٍ من الرجل، ومئة فارس، ومئتى بندق، ومئة ناقة مرحّلة. وجاءت طريقه على باشَوحطة وقاضي، من شعبٍ أسفل من قرية الهجيرة، وماوصل القرية إلا بعد أن سبقه إليها سلطان العوالق: صلاح بن باقب، وإخوانه، ومعه جماعه من آل يشبُم، نحو خمسين نفراً، وجماعه من آل الحيف، منهم: عامر بن منصور، فتحاربَ الفريقين من ضحَى النهار إلى الظهر، وقتل في القرية ستة نفر، منهم: حميد بن باقب، أخو سلطان العوالق، وقتلت امرأة بن باقب، أخو سلطان العوالق، وكان النصر في داخل القرية للسلطان صلاح.

وتفرقت القوم المغيرة، واختل نظامهم، وأصعدوا إلى أعلى وادي يشبُم، وتبعهم السلطان صلاح العولقي ومن معه، يطردونهم ويقتلونهم، من قيد باقدير، بوَقد السبعة، إلى رأس شعب ضَومرين، فقتل من آل عبد الواحد: ثلاثةٌ، ومن الجند:

نحو ٢٥٠، وأسر نحو ١٠٠ نفرٍ، سلبوهم وسلموهم، وأصيب نحو ٣٠ نفراً بجراحٍ، وغنموا منهم خيلاً وسلباً، ودروعاً، وبنادق. وماوصلت القوم المنهزمةُ إلى بلادها إلا بعد ثلاثة أيام. وأما عبد الواحد، فانهزم في عشر خيلٍ إلى عتَق، (بفتح العين والتاء، وهي قرية في وادي الشّعبة، يسيل إلى السفال بوادي يشبم)، ثم طلع عقبة خنعة، إلى عمَقِين، وأقام ثلاثة أيام، ورجع إلى حبان.

[غارات بدر بو طويرق على حبان]

وفي سنة ٩٥٥: طلع السلطان بدر بن عبد الله بن جعفر الكثيري، المكنى بو طويرق، من حضرموت إلى مصنعة حبّان، وفيها السلطان عبد الواحد. ومع الكثيري جمعٌ كثير من عسكرٍ، وقبائل: من السوط، ونُعمان، والصّيعر، والنّسِيِّين، وجميع سعد، وأهل أحور، ومن ظفار إلى حضرموت، بخيلٍ، ورَجِلٍ، وبنادق، للنهْب والغزو، ودخل بقومه وادي يشبم يوم الاثنين، وسبع من شهر الحجة، فلما علم بهم أهل يشبم، هربو منها، وأخلوا قُراهم، ولم يبقَ إلا بانافع، وآل علي بن سليمان، فآمنهم بَدْر، وأقام ليليتن به، ثم سار إلى حبان يوم الأربعاء، يوم عرَفة، ثم عاد إلى يشبُم، فهرب والي أهل يشبم وسلطانهم إلى مربون، من المجراد، بحَيدان أم النقر، مع خوفٍ وقلة في الرّجل، وهي جبل يحاذي حصْن باقطيان من الجنوب، وأحرق عسكر الكثيري من قرَى وادي يشبم: شعبة آل علي بن أحمد، وقرية شعْب، وهي قرية صلاح العَولقي، وحصن باقطيان، وفي قرية منيف، والهجيرة، وأحرقوا قصَب الوادي جميعه.

[حوادث مسيئة في التاريخ الحضرمي]

وسيمر ذلك في هذا التاريخ، من إحراق النخل، وزرعه، وإتلافه/، وقطعه، [٥٦/أ] وتخريب القرَى، ونهبها وتغريم أهلها، وسفك الدماء، شيئاً كثيراً، لا يأمر به

شرعٌ، ولا يحكم به عقل. بل يقطع العاقل بأن الحاملَ عليه: مجرّد الضَّراوة بالشرّ، والإفساد في الأرض، وإهلاك الحرث والنسل، وأنهم عادوا إلى نحوٍ من جاهليتهم الأولى، ونبذوا كتابَ الله وراء ظهورهم، كنبذِهمْ قولَه ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرامٌ، دمه وماله وعرضه» [«مسلم»: ٤/١٩٨٦]. وقوله ﷺ في حجة الوداع: «إن الله حرم عليكم دماءَكم وأموالكم وأعراضكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا. ألا فلا ترجعوا بعدي كفاراً يسفِكُ بعضكم دماءَ بعض» [متفق عليه].

عودٌ إلى سياق الحوادث:

وأقام بدر في حبّان اثنين وعشرين يوماً، وأخذ دوره، (أي: ألزمهم بدفع مالٍ إليه. ويقول لها أهل حضرموت: فَرْقة، جمعها فرْقات. و: دُفعة، جمعها دُفعات، أو: دُفَع)، أربعة آلاف ريالٍ أشرفي، دراهم من حبان؟، ومن أهل حبان فَرقة عليهم: ثلاثين ألفاً، ومن أهل أحور: خمسين ألف أشرفي. وتناكر هو ومحلّفه الأحوري، والصيعري، وما رجع إلى بلادهم إلا وقد صاروا متحاربين. فهذه أربعةٌ وثمانون ألف أشرفي، تشره لها الأنفس، وتسعى لأمثالها.

* * *

وفي سنة ٩٦٢: بعد تمهيدٍ، اجتمع السلطان بدر بالسلطان صلاح بن باقب العولقي، في الحاضنة، فاحتلفا وتبايعا، ونزلوا بعسكرهم معاً إلى وادي حبان، وحطّوا في رباط الشيخ علي بن مبارك الشقاع، وانتهكوا حرمة الرباط، وأقاموا على محاصرة عبد الواحد في مصنعة حبان، ثم ارتحلوا، وعبد الواحد هو الغالبُ في المحاماة عن بلده. ورجع السلطان صَلاح يشبم، وأما بدْر، فاستبطن وادي حبان، وأثار فيه الحرب، وقتل جماعةً، منهم: ابن يوسف بن حميد الواحدي، ثم ذهب

إلى ميفَعة، وأقام بها أياماً، واستولاها، وأسر ولاتها: آل سدّة بن حمد، ومن معهم، وأخرجهم من بيوتهم، وأخذهم معه إلى حضرموت، ثم أطلقهم، فعادوا إلى وادي الحنَك، فسكنوا به.

وفي هذه السنة وقعَ جدبٌ عظيم، ومجاعة، لا سيما في حضرموت ونواحيها، وفني خلق كثير من الجوع، ونزلوا السواحل، ولم يرجع منهم إلا القليل، (سنعقد فصلا لما وقع بها من المجاعات).

❊ ❊ ❊

وفي سنة ٩٦٣: رجع السلطان بدر من حضرموت لمحاصرة حبان، ومعه السلطان صلاح بن باقب، وخرج عليه عبد الواحد بن صَلاح ليلاً، وأغار على طرف محطتهم، وقتل جماعةً من عسكر بدر وغيرهم، وأقام بدر بعد ذلك أياماً ثم رجع إلى حضرموت.

[رواية المؤرخ ابن حميد]

أما في «تاريخ» الشيخ سالم بن حميد، فإنه قال [١/ ٢٠١-٢٠٢]: «ثم إن السلطان عيّد الفطر بسيون، وعزم إلى شبوة، ثم وصل ابن عبد الواحد، صاحب حبّان، إلى شبوة، وطلب من السلطان بدر المسير معه إلى خصومٍ له هناكَ، مثل: باقب بيشبم، وابن سدة، فعزَم معه السلطان بجنوده، وطلّعه المصنعة، فلما علم باقب هرَب إلى الجبال.

وأما ابن سدّة: فأرسل الفقيه عبد الله بن عمر با مخرمة بخيلٍ ودروعٍ، فقبل منه، وتركه على حاله في بلاده. وباقب: اصْطلحَ هو والسلطان على دروعٍ ومالٍ، ثم لم يفِ بما ضمِنه، فجهز السلطان إلى يشبُم، فنهبوها وأحرقوها، ثم رجع السلطان الى شبوة، وأعطاها أناساً من الأنسيين»، اهـ. فزاد: أن السلطان بدر اصْطلح هو والسلطان باقبُ على دروعٍ ومالٍ، وأن سبب غزْوه لها: إنما هو عدَمُ الوفاء مما

التزمه. ولم يتفطن لما قدمه أول الكلام أنه جاء إجابة لابن عبد الواحد، ليخضع خصومه، الذين منهم باقب، ولا أدري من أين جاءَت هذه الزيادة!

[رواية المؤرخ باسنجلة]

فإن الفقيه عبد الله بن محمد باسَنْجلة، لم يسق القصّة بذلك السياق، وإنما قالَ [ص٩٩-١٠٠]: «إنه، أي السلطان بدر، عيّد الفطر بسيون، وعزم إلى شبوة، فهرب عنها آل عامر، فدخَلها ومنَعها، (أي: قواها وحصّنها)، ووصَله يومئذ عبد الواحد، صاحب حبان، إلى شبوة، فطلبه العزمَ معه لينصره على خصومه: باقب، صاحب يشبُم، وابن سدّة، صاحب ميفعة، فسَار معه السلطان بجنده إلى حبان، وطلع المصنعة، فلما علم باقِبْ هربَ إلى الجبال. وأما ابن سدة: فاصطلح هو وإياه على يد الفقيه عبد الله بن عمر بامخرمة، وأرسل عسكره إلى بلاد باقب، فنهبوها وأحرقوها، ورجع السلطان ومعه/ حيدرة ابن حنش، لأنه وصَله من أحور، بواسطة عبد الواحد، وما سار [/٥٧] مولانا إلا وقد تشوّشَت الخواطر بينه وبين عبد الواحد، بسبب أخذِه حيدرةَ بن حنش معَه، ولما وصل مولانا شبوة أعطاها ناساً من الأنسيين» اهـ.

كأن عبد الواحد لم يتفطّن إلى قول الشاعر:

يحتاجُ من عرفَ الجمالُ منزله ... يوسّعُ البابَ حتى يُدخِلَ الجملا!

فإن مجيءَ بدرِ سنة ٩٥٥، قد نتجَ عنه مجيئُه سنةَ ٩٦٢، وسنةَ ٩٦٣. وقد كان السلطان بدر جهز على أحور سنة ٩٥٤، بجيشٍ أميرُه يوسف التركي، فرشى صاحب دثينة، المسمى محرم، والهريني من آل الفضل، فساعدوه على الغارة عليها ونهبها، وسيأتي ذلك في موضعه، وقد جمجمَ القول في ذلك الشيخ سالم باحميد أيضاً، ولكن الفقيه عبد الله باسنجله أتى بالأمر على وجهه، وإلى الله المصير.

عود إلى سياق الحوادث:

توفي السلطان عبد الواحد بن صلاح بن روضان، في ١٧ صفر سنة ٩٩١. وتولى بعدَه ولده عبد الله، وتوفي يوم الإثنين، ١٩رجب سنة ٩٩٨. وتولى بعده ابنه صلاح بن عبد الله، ويظهر أنه تولى بعد وفاة ابنه عبد الواحد بن صلاح، ممدوح الفقيه محمد بن عبد القادر بن أحمد بن إسرائيل، مدحه بقَصيدة فائقة، وقُتل السلطان عبد الله بن ناصر بن صالح، سنةَ ١٠٥٥.

[وقائع: العبدية، وماغط، والرديحة: سنة ١٠٦٧هـ]

ووقعت وقعة العبْدِيّة؛ بين سعدٍ والسلطان صالح بن ناصر بن عبد الواحد، وبين العوالق، في يوم التاسع من ربيع الأول سنة ١٠٦٧. فكانت القتلى من سعدٍ: تسعةً وثلاثين، ومن العوالق: ثلاثةً.

وبعدها: وقعةُ ماغِط؛ فكانت القتلى من العوالق: ثلاثين، ومن أصحاب الواحدي: سبعة، من باعوضة، حِمْير. وبعدها: وقعة الرّديحة؛ فكانت القتلى من العوالق: ثمانيةَ عشر نفراً، ومن آل عبد الواحد: رجل، من آل مظفّر، وبني بالحصن. واجتاح العوالق قريةَ الماطر، وقرية هَدا، وكَورة الخَبْر، وعادوا إلى بلادهم. ثم أغار السلطان صالح المذكور على قرية يشبم، وكان في جيشه من آل عبد الواحد: مئتان وثلاثة، فيهم مئة فارسٍ، وخامَ عن نزالِه العوالقُ. وأدركه العيد بسَيلة خُوار، وكان السلطان منصر باقب قد مكث تلك الأيام في أم النقْر، بأعلى وادي خوار.

توفي صالح المذكور، في شهر شوال، سنةَ ١٠٧٦.

الخلاف بين آل عبد الواحد
ومن تولى بعد ذلك

كان ذلك يوم السبت ٢٦ شهر صفر سنة ١١١٤: أجمع آل منيف بن ناصر بن عبد الله بن منيف، وآل علي بن صالح، وأخو السلطان ناصر بن صالح، على الوثوب بالسلطان الهادي بن صالح بن ناصر الواحدي، على أن تكون مصْنَعة حبان: لآل منيف، ومصانع عمَقِين: لناصر بن صالح، وهو الذي تولى كِبْر الأمر، ومعهم عمر بن مظفر من آل رَوضان، واستغْوَوا آل لَسْود على ذلك، فتابعوهم، فمكروا بحَسن بن السلطان هادي، وكان في مصنعة حبان، فطلعوا إليها، وقبضوه، وقيّدوه بقيد من حديد، وسار ناصر ومعه ثلاثون نفراً، ليلاً، إلى حوطة الفقيه علي، فبغتوا السلطان هادي، وليس عنده إلا عبدٌ له، فأسروه، وسرَوا به، فوصلوا إلى غيل الرّديحة مع الفجر، فصلى، ولم يصل من أولئك أحدٌ، ودخلوا به ضحًى إلى المصنعة، فقيدوه مع ابنه، وذهب ناصر إلى عمَقِين، ليستولي على مصانعها، فلم ينجَحْ عمله، بل غضبت للسلطان: سعدٌ والعوالق. وخرج ابن للسلطان هادي، غير المحبوس، إلى ميفعة ونواحيها، وجمع ثمانمئة نفرٍ من أهل ميفعة وغيرهم، وصبّح بهم حبان، يوم الأحد و١٥ من ربيع الأول، وضاقت المصنعة بآل منيف وناصر، ورُعِبوا، فطلبوا الأمان من السلطان هادي، وهو بين أيديهم! فأمّنهم، وخلّفهم، ونزل هو وابنه على الجيش في قيودهما.

وقد توفي ليلة الجمعة ٩ شهر شعبان سنة ١١١٨.

وتولى بعده ابنه: حسَن بن هادي، واستمرت الحرب بينه وبين آل منيف الواحدي، إلى أن ماتَ، وكانوا قد خرجوا من حبّان سنة ١١١٥، ثم دخلوا إليها مع جمع من القبائل في شهر محرم، سنة ١١٢١، ثم طُرِدوا عنها سنة ١١٣٦، ونقلوا

أبناءَهم وأولادَهم إلى بلاد / المراقشة والنخْعيينَ، وهم الآن بها، يقال لهم: آل [٥٨/أ] عبد الواحد.

ثم توفي حسَن بن هادي، ولا نعلم سنة وفاته.

* * *

وفي شهر شوال سنة ١١٣٩: غار السلطان عوض بن صالح العولقي على بلاد آل عبد الواحد، بألفين ومئة رجلٍ، البنادقية نحو ثمانمئة، فاستبطنَ وادي حبان، وأغاروا على حصن عالٍ فيه ثلاثة من آل عبد الواحد، فقتلوا من القوم ١٤ رجلاً، ورجعوا عنه إلى قرية الماطر، فنهبوها، وما بها من الثمر والزرع، وأقاموا بها يوماً وليلةً، ثم دخلوا وادي هَدا، ونهبوا الشرَيرة، ورجعوا إلى بلادهم بعد أن مكثوا ثلاثة أيام.

وتولى بعده: ابنُه حسين بن حسن، وكانت أيام ولايته أيامَ أمن وصلاح، وتوفي سنة ١١٨٥.

وتولى بعده: أخوه سعيد بن حسن، فلما كانت ليلة الجمعة، و١٦ ليلةً خلت من صفر سنة ١١٩٠، دعاه للعشاء أخوه طالب بن حسن، ثم غدَر به وقتله، هو وابنيه: ناصراً وحسناً. وغضبت لفعله الشنيع: سعدٌ وغالية، (غالية: هم الجندُ المرتبون في مرْسَي: المجْدِحة، وحصنه)، وجميع العسكر، وتجمعوا، فحاصروه في منزله أربعة أيامٍ، فطلب الأمان منهم، ومن جدّه أحمد بن هادي بن صالح، فتمّ الأمر بينهم وبينه على أن ينزلوه ميفعة، ويقيم بها، فخرج من حبان على طريق الجبل، ومعه خُفَراء من سعد. فلما وصلوا به ريدة اليهود، غدروا به، فقتلوه هو وابنيه: حسناً ومحمداً، وقتلوا عبيده، وانتهبوا أسلحتهم وذخائرَهم، وقتل من سعدٍ نحو ١٧ نفراً.

وتولى بعده: السلطان أحمد بن هادي بن صالح، ولم يعلم تاريخ وفاته.

وتولى بعده: ابنه علي بن عبد الله.

الخلافُ بينهم، والحربُ، ثم الصلحُ

وقع الخلافُ في دولة علي بن عبد الله، بين آل أحمد بن هادي، وآل طالب بن هادي، واستمر الحرب بينهم نحو اثني عشر سنةً، ثم حصل الصلحُ بينهم بوساطة السيدِ الشريف، جعفر بن محمد بن طالب المحضار، فاقتسموا البلاد، والجزر، والمراسي: بالحاف، وبير علي، والمجدحِة.

وكان الذي ساعد آل طالب: آل ابن غالية، رتّب مرْسَى المجدحِة، وسلموا إليه حصنها، وجمعوا له عسكراً، وسكَن بيتِنْشُوَه، وبالمبنا، محل أسسه قريباً من عمَقِين.

* * *

عَودٌ إلى سياق الحوادث:

ثم توفي السلطان علي بن عبد الله، ولم تعلم سنة وفاته. وتولى بعده: أخوه ناصر بن عبد الله، وتوفي سنة ١٢٥٨. وتولى بعده: ابنُه أحمد بن ناصر بن عبد الله، فأفسدَ، وظلم، فقام عليه وعلى أخيه صالح: عمّهم حسين بن عبد الله، وأبناء عمهم علي بن عبد الله، سنة ١٢٥٩، فقبضوهما وحبسوهما. وتولى أحدهم، وهو: محسن ابن علي بن عبد الله، ومكث نحو أربعة أشهر، واحترق ببارودٍ، ثارَ وشقّ المصنعة، ليلة ٢٧ رمضان. وتولى بعده: عمه حسين بن عبد الله بن أحمد بن هادي، وافتكّ صالح ابن ناصر من الحبس، وسكن وادي ميفعة ثم حوطة الفقيه علي، ثم احتمل أهلَه إلى عزّان، وسكن بها. وفي سنة ١٢٦٥، توفي السلطان حسين بن عبد الله. وتولى بعده: ابنه عبد الله بن حسين.

الخلاف أيضاً والصلحُ

ثم وقع الخلاف بين السلطان، وصالح بن ناصر بن عبد الله، في سنة ١٢٦٧. واستولى صالح على عزّان وميفعة، وجمع القبائل حِمْير، وآل بابَحَر، وأقام في السلطنة أخاه علياً، وقُتل علي في سنة ١٢٦٨، قتله آل بافقير، من قبائل نُعمان. وبقي السلطان عبد الله بن حسين بمصنَعة حبان، ثم زينت له نفسُه التوسع في الملك، فذهب في سنة ١٢٦٩ إلى جردان، ليضيفها إلى ملكه. فخالفه أحمد بن محسن بن علي بن عبد الله الواحدي، بنحو سبعة عبيد إلى مصنعة حبان، ووَجد بها هادي بن حسين، فحبسه.

وكان أخواه: علي وعمر، ابنا حسين، في البلد، فخرجا إلى قرية الكدَم عند آل جسّار، وافتكّ من الحبس أحمد بن ناصر بن عبد الله. فلما بلغ الخبر السلطان عبد الله، كرّ راجعاً إلى حبّان، وجلس بالكدم عند أخويه. وحاصر البلد الى آخر سنة السّبعين. فدخل جماعة السلطان عبد الله، ومعهم أناس من آل جسّار، وأخذ بعض دور البلد، وشنوا الحرب على المصنعة، حتى خرج آل ناصر منها إلى عزّان، ورجع السلطان عبد الله إلى ولايته. وقتل/ آل بافياض ناصرّ، وأحمد، ابني علي بن ناصر بن [٥٩/أ] محمد الواحدي، بعد ذلك بأيام، وتوفي السلطان عبد الله سنةَ ١٢٧١.

وتولى بعده: أخوه أحمد بن حسين، وقتل في أيامه ناصر وحسين، ابنا محسن ابن علي بن عبد الله الواحدي، قتلهم سعد، آل باحُـمَيِّر، (بضم ففتح فتشديد الياء)، تبيضاً لوجههم، بسبب قتلهم ابن عمّهم عبد الله بن علي بن عبد الله في سنة ١٢٨٣.

❋ ❋ ❋

[عادة تبييض الوَجْه عند القبائل]

وتبييضُ الوجه؛ عادة من عوائد هذه الجاهلية الأخرى، سيأتي شرحها، وقد تسبب عنها من الفتن والحروب، وقطع السبل، وهتك الحرُم، وسفك الدماء، وإهلاك الحرث والنسل، ما لا يحصيه إلا الله. وخلاصتها: أن القبيلة قد تحملُ ذمةً في بعض الناس، وحمايةً له، فاذا قتلَ كان من الواجب على تلك القبيلة أن تقتل رجلاً من عشيرة القاتل، أياً كان، فإذا قتلوه، طلبت قبيلته بثأره، وهكذا دواليك!

* * *

ثم اصطلح آل ناصر بن عبد الله، وآل حسين بن عبد الله، على انتخاب سلطان، اجتمع ملؤهم على الرضا به. فانتخبوا صالحاً ابن أحمد بن حسين بن عبد الله، وعزلوا أباه عن رضاً منه، كان ذلك لستٍّ خلتْ من جمادى الأولى سنة ١٢٨٧. وفي أيامه: أخذ عبد الله بن حسين بن محسن بن علي بن عبد الله، رجلين من آل عمر الأساودة، خفيرين له، ثم غدرَ بهما في ساحة الحوطة، فقتلهما.

ثم توفي السلطان صالح، فلم يجتمعوا على أحد بعده.

[تنصيب هادي بن صالح الواحدي سلطاناً]

وبقيت البلاد بلا سلطانٍ إلى سنة ١٣٠٠، فاجتمع رأي آل عبد الواحد، والسادة الأشراف، فأقاموا الهادي بن صالح بن ناصر بن عبد الله، سلطاناً، ولم يثبت، بل رحل إلى عزان بعد أربعة أشهر. وفي أيامه: قتل آل عبد السيد، العسكر بعزّان، أحد آل عبد الواحد، وهو مهدي بن عبد الله بن حسين، فأحرقت عشيرته ديارَ القاتلين، وقتلوا منهم رجلين، فرحلوا إلى تعز، ثم اصطلحوا معهم، وعادوا.

[استطالة محسن الواحدي على الحكم عنوةً]

ثم عاد السلطان إلى حبّان، ومعه أخوه محسن، فقام بها ستة أشهر، ثم رحل عنها إلى عزّان، وجعل أخاه محسناً نائباً عنه، فما كان بالمحسِن ولا العادل، بل آذى المساكين والضعفاء، وطلب من السادة الأشراف رُبعَ أموالهم، ووضع مكساً، وثار الحربُ بينهم وبينه، ثم طاوعوه على ما يريد. ولم ينشب أن خالف أخاه، وأقام نفسه سلطاناً دونه، وعاونه آل بابكر بن سعد، فلما كان يوم الجمعة، الخامس عشر من شهر صفر ١٣١٠، قبض على مصلين بالجامع، وأمر بهم إلى السجن، حتى افتدوا أنفسهم بالمال، فمنهم من سلم مئة ريال ومنهم أقل من ذلك.

واشتد جوره فخرج آل عليوة في ٢٣ من ذلك الشهر إلى قويرة، عند آل بابكر، فحموهم وقاتلوا، واختلت الأمور، فوصل الإمام الداعي الى الله، الحبيب السيد الشريف، المهدي بن المحسن الحامدي بن الشيخ أبي بكر العلوي الحسيني، فأقام صلحاً بينه وبين آل بابكر وآل عمر إلى شعبان من ذلك العام، ورد آل عليوة إلى ديارهم.

ولكنه في مدّة الصلح، سجن أحد لُقموش آل مريم، فجاء أصحابه وأطلقوه، وقتلوا أحد نقبائه، فثارت الحرب بينه وبين لُقموش، ودخل معهم آل بابكر وآل عمر، وليس عنده إلا شرذمة من العبيد، وفيهم صبيان من حَجر الحصين.

فلما كانت ليلة الإثنين، و١٧ شعبان من سنة ١٣١٠، هجمت سعد ولُقموش ليلاً على حبان، فاستولوا على أكثرها، وأسروا ثمانيةً من العبيد، وحصروه في المصنعة وحافة اليهود، إلى ليلة الإثنين و٢٤ من الشهر، فخرج من البلد، وأحرقت سدة المصنعة، وهدم سور صرحتها، وأخذت أخشابها وأبوابها. وخفَر آل الصوَّة، بتشديد الواو، من آل خليفة، وآل جسار، ولُقموش.

وأما أهله ونساؤه وأطفاله، فأخذهم السادة إلى آل المحضار وآل فدعق، وأسكنوهم في بيوتهم مكرّمين، ثم حولوهم إلى عزان والحوطة في خفارة الجساري والخدري. وتوجه محسن المذكور إلى العوالق إلى وادي يشبم، وعوّر عليهم، أي ادّعى أن العارَ قد لزمهم ولصق بهم فيما أصابه، فعليهم أن يغسلوا هذا العار، فوافقه على ذلك آل فريد بن ناصر بن رُوَيس العولقي اليسلَمي، وقدم معه منهم نحو ألف ومئتين، فأتعب الرعية بالسُّخرة، ولوازم العسكر. وغارت قوم العوالق على وادي أهل لَسْوَد (الأسود) المرّة بعد المرة، فقتلوا وأخذوا السرح، ورجعت قوم العوالق يوم الخميس، غرة ذي الحجة، وخلّفوا عنده نحو عشرين رجلاً منهم مع عسكره/. [٦٠/أ]

[حوادثه مع الإنجليز في عدن]

ثم جرت له أمور مع الإنجليز والسلطان العبدلي، فإنه سار إلى عدن ومرّ بالروضة والحوطة ورضُوم، وتناكر مع المشايخ آل بامعبد، وخرج منها مكرهاً، فذهب إلى عدن يطلب سلاحاً: مدافع وغيرها، ورأى الإنجليز اضطراب حركاتِه، وبلغته أعماله، فاطّرحه، فغضب لذلك، ورد إلى الإنجليز الراياتِ التي أعطيها من قبل لتأمين بلحاف، فأخرجه الإنجليز من عدن، وجلس في الشيخ عثمان قريباً من عدن، إلى أوائل شهر جمادى الأولى سنة ١٣١١، ثم رجعَ ودخل بلحاف، بندره، فوصلت ساعية (سفينة شراعية)، فيها مال للسادة وآل عليوة وآل ذيبان، بنحو ألف وثمانمئة ريال، فنهبها، وتوجه عبد الله بن حسين بن محسن بن علي بن عبد الله الواحدي في المال، فلم يوجّهه، لا هو، ولا القبائل، ولا صاحب عدن، ثم راضوه بشيء منه فقبله، وجاء حبان أوائل شهر رجب سنة ١٣١١. ومنع صاحب عدن التجار من نزول بلحاف لفقد الأمن، وأعلم أهل البنادر بأن السفر إليه ممنوع، وسار إلى

يشبم عند العوالق، وخاطبهم ليطلقوا يده في الضعفاء والمساكين، فأبوا عليه ذلك، فغاضبهم، وضربَ بعضه بيده، فاحتملوا له، وخاطبهم صاحب عدن ليأتوا إلى عدن ومعهم محسن المذكور ليسجنه، فحذر، ثم أُحرِق الحصن الجديد، الذي أسّسه، بالباروت، واتُّهم بذلك ناصر بن صالح بن أحمد بن حسين بن عبد الله الواحدي.

[حوادث أخرى]

وكان آل عليوة متخوفين منه، فنقل عندهم أولاد الشيخ فريد بن ناصر برّويس، ليكونوا في جوارهم، فلم يلبث أن أمر بعض أتباعه فنهبوا دار ابن عليوة في ١٤ رمضان، وثار الحرب بينهم وبين العوالق، وتعطلت الطرق والمساجد والبئار، ووقعت جراح في الفريقين، حتى خرج من البلد ومن معه في ٢٨ رمضان، وأحرقت سعد والعوالق حصنَه الجديد، وخمدت الفتنة. ثم عاد إلى عزان، فبلحاف، فعدن، وأراد إصلاح ما بينه وبين وَاليها، فلم يتم له أمر، ثم عاد إلى لحج كذلك، ثم ذهب إلى أَبخ (بفتح فضم) عند الفرنسيس، فأعطوه سلاحاً، فأرسله مع أخيه أحمد وبعض أتباعه، فعلم والي عدن بالحال، فأمسكهم وحاكمهم، فحكم عليهم بالسجن ثلاث سنين.

[تطور الأحداث بين محسن والرعية]

وأما محسن؛ فتوجه إلى اليمن يطلب السلاح، وكان يقصد من ذلك تقوية سيطرته، ومقاومة سعد والعوالق، ليتمّ له مايريد في الرعايا. وأما والي عدن فأرسل ثلاثةَ مراكب حربية، واستولى بندر بلحاف، ووجد به ثلاثة من آل عبد الواحد، أصحاب محسن، وستةً من عسكره، فأخذهم أسرى، وأخذ ما في حصنه، ووضع به رايةً، وعاد محسن من صنعاء ومعه بعض أسلحة، وحبس علي بن حسين بن صالح برُوضان (بن روضان)، ومات عنده في السجن.

[تشجيع محسن الواحدي على القتل والاغتيال]

وهتكَ حرمة حوطة الفقيه علي، ووضع فيها مكساً، ومنع القوافل، ثم عانده منصبُها، ومنع المكس، ولم يقدر محسن على إرجاعه، واختلف مع بعض أنصاره. وأخذ في إعمال الغَيلة والغدر، فكان يعطي جُعلاً لأشرارِ القبائل على قتل الرعايا من أهل حبان. فكان أولئك الأشرار يتربصون لهم ليلاً عند أبواب بيوتهم، أو أبواب المساجد، فإذا جاء المطلوبُ منهم طعنوه، وكان أكثر اعتماده في ذلك على عوض ابن لزْوَس لَعْجَمي (الأعجمي) القُمَيشي (الأقْمُوشي)، وابنه ناصر بن عوض.

فممن قتل كذلك: علي بن ناصر بن علي بن عليوة، ومعروف بن بو بكر بن أحمد ذيبان، والرجل الصالح سالم بن محمد بن خميس بن داود، وهما ذاهبان لصلاة الصبح، فأما ابن داود فقد ثأر لنفسه، فقد ضرب الغادر بخنجر، في معطف رقبته نفذَ إلى الجانب الآخر، وماتا معاً، وقتل آل الصوَّة (بتشديد الواو المفتوحة) في آل عبد الله بن دحة، أخذاً بثأر ابن عليوة، لأنه صهرهم، فقتل آل بن دحة في آل الصوَّة، وهلم جرًّا! وممن قتل: سالم بن هادية، رجل ضعيف، وهو يستقي الماء من البئر.

ثم غزت سرية من سعد والعسكر على عزّان، المحلّ الذي به محسن المذكور، وقتلوا رجلاً من آل عبد السيد، أخذاً بالثأر في قتل معروف الذيباني، وبن داود.

وممن قتل: الشيخ عمر بن عبد القادر بن عمر بن أبي بكر الشبلي، القاضي، قتله ناصر بن عوض بن لزْوَس، ثم قتل صالح بن سهيل، وزوجته، وأمه، ومحسن ابن صالح المسيلماني.

خبر عوض بن لَزْوَس الأعجمي الأقمُوشي

كان هذا الرجل من العتاة المفسدين في الأرض، وأحد الفتَّاك/ وأهل الغزو، [١/٦١] كما يحكى عن فُتّاك العرب، مثل: تأبط شرًّا، والسَّلِيك بن سلكة، وابن برّاق، وأشباههم. وكانت له قوة فتاكة، وله دربة على الرمي بالحجارة، فقلما يخطئ، يصرع الرجل برمية واحدةٍ، واستفاض عنه: أنه إذا رمى بحَجر إلى جذع شجرة صليبٍ أثبته فيها، وكان يقطع الطرق، ويكثِر الغزو على نعمان: آل باقطمي، والبجنف، وغيرهم، تارةً وحده، وتارةً يأخذ معه أناساً من قومه. وقد قتل منهم كثيراً، ولم يقدروا عليه، لشدة قوته، ومرانه على الختْل، والعَدْو، ومعرفته بمخَارم الجبال والطرق. وكان له أبناء سلكوا مسلكه، فلقيت تلك القبائل منهم الأمرَّين، فكانوا منه في خوف دائم.

ولم يزل يغزوهم حتى بلغَ السبعين أو ما يقاربها، فغزا مرةً ومعه ابنه محمّد، وأغار على حيٍّ من آل باقُطْمي، وتراموا بالبنادق، فأصيب رجله ببندق، فانهزم يجرّها، والدم يسيل منها، وفطنوا إلى أنه أصيبَ، فاتبعوه، وثقل مشيه، حتى أدركوه هو وابنه محمداً، وكان يحمل على كتفه جراباً مملوءاً طحيناً، فرمى الطحين إلى الجو، فانتشر في أعينهم، ووجدوا الفرصة، فهرب وترك أباه، ولكن أبوه تمكن من الانفلات، والتنقل من موضع إلى موضع آخر.

وطمع خصومه في إدراكه، فجعلوا يتبعون أثر الدم، فإذا انقطع عنهم أثرُه، جعلوا يبحثون هنا وهناكَ، واجتمع صغارهم ونساؤهم، وتبعوه من شعب إلى شعب، حتى وجدوه قد دخل غاراً ضيقاً في أحد الشعاب، فجعل صغارهم يشمّتون به، ويدعونه: ياعم عوض! كيف حالك؟ ويرجمونه بالحجارة، وأخذ هو يناشد مطارديه بشَرع القَبْولة، أن يقتلوه قتلةً غير ذميمةٍ، فرموه بالرصاص، ثم جرّوه

فأخرجوه من الغار، وعمَّ الفرحُ بقتله أهلَ تلك الجبال، ولسان حالهم ينشدُ قول المنصورِ العباسي حينَ قتل أبا مسلم:

ظننـتَ أنّ الدَّيـنَ لا يُقتَضـى　　　فاستوفِ بالكيـل أبـا مسـلمِ
فاشرَبْ بكأسٍ كنت تسقي بها　　　أمَـرَّ فـي الحلـقِ مـن العلقَـمِ

ثم سلط الله بعضَ أبنائه على بعضٍ، فقتل محمد، قتله بعض إخوته، ثم قتل ناصر في ٢١ ربيع الأول سنة ١٣٣٠، قتله أخوه علي، وأصيبوا بآفاتٍ وأمراضٍ، ونقص شرّهم.

التنازع على السلطنة

لما انقطعت سيطرة محسن بن صالح بن ناصر، سعى أهل بلد حبان في إقامة سلطانٍ لهم، فأقيم في السلطنة: ناصر بن صالح بن أحمد بن حسين بن عبد الله الواحدي، في يوم الأربعاء، لعشرين ليلةً خلت من ربيع الأول، سنة ١٣١٤. فلم ينضبط الأمر، بل صار فوضَى بين العسكر والقبائل، والأمر والنهي لهم، وطمعوا في السلطان، فطالبوه بنصف ما يتحصل من البلد، ونصف المرتب التي [كذا] رتبه له الإنجليز، فأبى، فأجمعوا على قتله، وتسليم المصنعة لآل بابكر، بعد مواطأة بينهم، وعينوا لذلك يوم الجمعة، لأربع وعشرين ليلةً خلت من صفر سنة ١٣٢٦.

فأخرجوا بعض أبناء العسكر يعيثون في عُلوب المشايخ آل الشبلي، وأخذوا يقطعونها، ونازعهم بعض أولاد المشايخ، وارتفع الصوت، وتراجموا، وخرج بعض السادة المحاضير، فحجزوا بينهم وأرجعوهم إلى البلد. واستمر أبناء العسكر في إيذاء أبناء المشايخ، وارتفعت لذلك ضوضاء، فأشرف السلطان من المصنعة ليرى،

وأخذ يصيح بهم، ففجأه على غرّة أحدُ العسكر، ورماه بريفل[1]، فاخترقت رصاصته شقّ ظهره الأيسر، وخرجت من إبطه، ودخلت في عضَلة عضده، وخرجت، وسَلم.

ولم يتمكن العصاة من الاستيلاء على المصنعة، لأن ناصر بن سعيد بن معوظة الجسّاري، كان في البلد، فلما سمع الضوضاء طلع المصنعة وحماها، وأدركه إخوته آل جسّار، ومعهم آل فيّاض، فرتّبوا فيها.

وطلع السادة المحاضير، فأنزلوا السلطان وأهله إلى بعض البيوت. وساعد أهل يسلم بن منصور العسكر، وانحازوا إليهم، وراودهم أهل البلد ليخرجوا بجُعلٍ جعلوه لهم، فأبوا، فاستولى آل بافياض على بيوتٍ حوالي أمكنة العسكر، وضايقوهم، واشتد بهم الأمر، فطلبوا الخروج والأمان، فأبى عليهم ذلك الجسّاري والفياضي، فأخرجوا عائلاتهم إلى ديار السادة آل فدعق، ثم توسط السادات/ [/ ٦٢] المحاضير وآل فدعق والمشايخ آل محمد، وسمح الجسّاري والفيّاضي بخروجهم، في مقابل جُعلٍ لهم، على أن لا يخرجوا بشئ مما بأيديهم إلا أسلحتهم، فخرجوا إلى كُورة المسَن، عند آل يسلم بن منصور، وأقاموا محاربين للبلاد وأهلها، وقطعوا الطريق، ومنعوا العمال.

وشُفي السلطان بعد أربعين يوماً، وأعاده بو بكر بن فريد بن ناصر العولقي إلى مصنعته، ووضع محسن بن فريد، رئيسُ العوالق، بضعةَ نفرٍ من قومه حراساً، وعاد العسكر لعملٍ آخر، فإنهم ذهبوا إلى السلطان محسن بن صالح وهو بحَبان، فأعطوه نفرين منهم ليحبسَهم على الوفاء له، واستنهضوه للاستيلاء على بلد حبّان، فجاء مع العسكر وآل بابكر، وقصدَ كورة المسنّ، فناسب عند صالح بن الشيبة بن أحمد بن ناصر، بابنه محسن بن صالح، فعقدوا النسَب، وشرعوا في الحرب على حبان.

---

[1] من أنواع البنادق المستخدمة في تلك الحقبة الزمنية. (مصحح).

عَقدُ النّسَب؛ عادةٌ غَريبة!

هذه العادة موجودة في وادي حبان وأحور وما والاهما، فيأتي من كان اسم ابنه (سعيد)، مثلاً، إلى قبيلي آخر، (القبيلي: هو أحد أفراد القبيلة ذات العصبية والسلاح)، عنده ابن اسمه (سعيد) أيضاً، ويقول له: إني جئت مناسباً لك، ونريد عقد النسب بيننا على وَلدي وولدك، اللذين يسمّى كل منها بسعيد، ويلزم هذا أن يقبل هذا العرض والطلب، وأن يعقد بينه وبين الطالب عقد النسب، ويلزمه حينئذ القتالُ معه، والدخول معه في الحرب والسلم. وقد لعبَ بعضُ الولاة ونحوهم على ناس من الرعايا بهذه العادة، فاستهلكوا أموالهم، وحكيَتْ لنا عن ذلك حكايات مؤلمة، ولا توجد هذه العادة عند قبائل حضرموت.

* * *

عود إلى سياق الحوادث:

ولما استمر الحرب من محسن ومَن معه على حبّان، وصل حبان الرئيسُ محسن بن فريد اليسلمي العولقي، في جماعة من العوالق، وكادوا أن يسمحوا للسلطان محسن بدخول حبّان، فعارض في ذلك أهل حبان، فلم يتم له أمر، وعاد في ٢٦ ذي الحجة مغيظاً هو والعسكر وآل بابكر. وسعَوا في قتال السلطان ناصر بن صالح بن أحمد بن حسين بن عبد الله الواحدي، فغدر به أحد أصدقائه بأمر منهم، فرماه بريفل، فقتله غدراً بجُعلٍ من خصومه، ولكن آل جسار سبقوا إلى المصنعة، فرتّبوها، وطلع السادة وأنزلوا عائلته منها، وتنكّف العاقل، (أي الرئيس)، محسن بن فريد بن ناصر اليسلمي العولقي في قتل السلطان ناصر.

النكَف

يقولون: شلّ النكَف، بمعنى: أنه حميَ وغضِب لما أصابه من العار بقتل من كان في أمانه وجواره، ولهذا اللفظ اصل في العربية الفصحى ولكنه معدًّى بـ(عَن)، ففي «القاموس»: نكَف عنه، على وزن نصَر، وفرِح: أنِفَ منه وامتنع». وفي «الشرح»: «نكفَ الرجل عن الأمر: أنِفَ حميه وامتنع»، وقال المفسرون: استنكفَ، واستكبر: بمعنًى واحد. وقد استعملناه على اللغة المعروفة إلى الآن في بلادنا آنفاً، وذكرنا تفسيرَه، حتى يعرف معناه من يقعُ إليه كتابُنا هذا من غير أهل البلاد.

***

عود إلى سياق الحوادث:

واستصرخ قومَه، وجاء إلى حبان، واستولى المصنعة، وغارت العوالق على قرى سعد، وقتل من الفريقين قتلى، وبقيت الحالة كما هي إلى الآن، ولم يزل رئيس العوالق محسن بن فريد حامياً لحبّان هو وقومه. أما السلطان محسن؛ فبقي بعزّان إلى أن توفي، وخلفَه ابنه علي، وكان قد ذهب إلى المكلا مع الرئيس محسن المذكور في أيام السلطان غالب بن السلطان عوض القعيطي، ووزارة حسين بن حامد المحضار، السيد الشريف، وقرروا بينهم أمراً ذهبوا به إلى عدن، وتكاتبوا بعد عَرضه على والي عدن، وخلاصته: «أن السلطان محسن الواحدي أعطى السلطان القعيطيَّ ناصفةَ بندر بلْحَاف، وما تعلق به، وعليه أن يقوم بإخفارِ القَبائل، وتأمين الطرق»، إلى آخر ما احتوته تلك المكاتَبة، مما لايخرج عن هذا المعنى/ . [٦٣/أ]

الغارات والثورات

القبائل بهذه الأطراف لا تزال في حروبٍ وغاراتٍ، فالأُقموش، وآل ذِيَيب،

يغزُون نعمان من: الباقطمي، والبجنف، والبابحَر. وتغزو المشَاجر، وديارهم خلفَ جبال الباقطمي، وأشياعُهم، فإذا انتجعَ الباقطمي بأعلى جبالهم، حالوا دون غزْو المشاجر، وإذا نزلوا إلى أسافل وديانهم، خلت الطريق للأقمُوش، وآل ذيِب إلى بلاد المشاجر. وسعد، لا تزال الوقائع بينها وبين نعمان، كالعوالق. ثم إن الفخائذ، من كل قبيلة من هذه القبائل، بينها دماء وثأراتٌ، ولو اعتنى أحدٌ بجمع ما لا يزال الناسُ يحفظونه مما وقعَ في الأزمنة القريبة، لأربَى على كل ماكتبه رواةُ أيام العرب، مما رواه الأصمعي، وأبو عبيدة، والكلبي، وجمعه ابن الأثير في تاريخه «الكامل»!

فكيف لو جمع إلى ذلك ما وقع بين قبائل حضرموتِ، وما وقع بين بَواديهم وأهل الرمل، كالذي يكون بين الصَّيْعَر وقبائل الكُرَب، ويَام والنسيِّينَ، وآل كثير الرَّمْل ومَهْرة، وبين آل تميم وآل كثير، والمناهيل والعوامر، والحمُوم والعوامر، والصَّيعَر والعوامر، والحموم وآل جابر، والصَّيعَر والمناهيل، والصّيعر وآل كثير النَّجْد، وبين فخائذ الحمُوم، والحموم ويافع، وثَعْين ويافع، وثَعْين ومهرة، والعَوامر وآل كثير المشْقاص، وهولاء ومهرة، ومَهرة بعضِهم مع بعض، وبين الحموم وسيبان، والحموم ونهد، والحموم والعوابثة، أو المعارَّة، وبين آل كثير ويافع، وما بين عشائر كل من القبيلتين من الدماء. وما بين الصيعر وسَيْبان، وما بينهم وبين همّام. وما بين قبائل الدِّيِّن والبلْعُبَيد، وبينهم وبين الباقُطْمي والبابَحَر، وما بين فخائذهم، وما بينهم وبين نوَّح (بفتح النون والواو مع تشديدها)، وما بين فخائذ الجعدة، وما بينهم وبين آل ماضي. وما بين قبائل سيبان؛ كالذي بين الحالكة والزّيّ، ومابين الخامعة والقُثَم، وما بين القُثم وبقية فخائذ سيبان. وهلمّ جرًّا، مما لا مطمعَ في الإحاطة به، ولا فائدة في تدوينه! وإنما نبهنا على هذا الموضع، ليعلم من يأتي بعدنا، ومن يطّلعُ على كتابنا هذا، من أهل البلدان القاصية: أن هذه الأطراف قد عادت إلى جاهليةٍ أخرَى، لعلها أشدّ فساداً من جاهليتهم الأولى، وإلى الله ترجع الأمور.

[مشاهدات المؤلف في بلاد العوالق]

ولما مررتُ ببلاد العوالق وحبان، وسمعتُ الخبر عن غزوتين وقعتا ذلك الحين، **إحداهما**: ببلاد الباكازم، **والأخرى**: بوادي نعمان.

خرجتُ من حوطة الفقيه علي منتصفَ النهار، مع دليلين من البَجْنف، من نعمـان، فسرْنا مشرّقيـن، فلقيْنا عقبة ذات رمل، متعبة، ثم سلكنا طريقاً وعْثاً دهساً، تغـوصُ فـيه الأقدام، حتـى كـانت العشية، فوصـلنا حينئذ إلى بـسيطٍ مـن الأرض، يحتضنه مخرجُ وادٍ أفْيَح، وهو مزيجٌ من رملٍ وطين وحَصباء مختلط، به شجرٌ كبار كثيرة. فقالا لي: إن هذا المكان يسمى الشاقّة، مخوفٌ، يغير به الكُرْبي، والصيعري، والنسيِّ، والأُقموشي، والذّيبي، وقد سمعنا بقومٍ خرجتْ للغارة عليها أحد أبناء عوض بن لروس الاقموشي (**الأزْوَس**، أي: كبير الرأس، على وزن **أفْعَل**).

وكانت غارات عوض بن لَزْوَس وفتكاته قد ملأت النوادي والأسماع، ولكن جمالنا أنضاءُ متعبةٌ، وبالمكان مرعًى لهنّ، فنتوكل على الله ونحط هنا بقية العشية، فأعنتهما على ذلك. وصلنا في ظلام دامس إلى عِرُومة، في الساعة التاسعة، أولَ الليـل، (الثالثة عـلى حساب ساعات المغرب)، وكانت عِرُومة لآل باقطمي، فوجدناهم خلوفاً، فعلونا نجداً بناحيةٍ عن الوادي، فكان دليليّ يشدّان على فمِ الجمل عند إناخته، لئلا يرغُو، فيسمع صوته العدو!. ولما أصبح الصباح، هبطنا إلى واد اللُّجْلج، وخرجنا آخر العشية من اليوم الثاني إلى واد آخر يسمّى نَحْر البجنف، وهذه الأودية ضيقةٌ، عالية الجوانب، وجاءت الأخبار: أن تلك القوم قد غارت على أناسٍ آخرين في وادٍ آخرَ، به غيلٌ وحرث جنوبيّ الوادي الذي كنّا به، وسَلمْنا والحمد لله.

[من الوقائع بين سعد والعوالق]

وقد نقلنا آنفاً، عن مؤرخ حبان، أخباراً عن الوقائع والغارات بين سعد والعوالق، وذكر غير ذلك. فمنها: ما وقع في تاسع ذي القعدة، الشهر الحرام، الذي حرّم الله القتال فيه، بل كان أهل الجاهلية يحرّمونه. ذلك سنة ١١١٣ غارت سعد وادي حول، من أودية المشاجر، وكانوا أربعمئة فيها: ماشة وثمانين بندقاً محلي، وتسعة أفراس، وأربعة عشر زاملة/ (نجيبة: ذات رحل). [٦٤/]

[من غارات آل غسيل والعمري على القوافل]

ومنها: غارة آل غُسَيل الحبتوري والعمري، على قافلة من همّام، عند عَودها من المولد الذي يقام سنوياً بحَوطة الفقيه، وتجتمع له البوادي، ويكون سوقٌ عظيم، يحضره الناس من مسافة أيام، ومنهم من يسمّي ذلك (زيارة)، أي: زيارة الفقيه علي ابن محمد. وقد حامَى أصحاب القافلة عن قافلتهم، حتى سلّموها من الخطر، وقتل منهم ١٥ قتيلاً، وجرح ١٤ جريحاً، وقُتل من آل غُسَيل رجلان، وأخذوا مكساً على خمسين جملاً، والقافلة تحمل طعاماً، وأفاويهَ، وتمراً، وتنباكاً، لآل نصاب وحبان، وكان ذلك في يوم الخميس، و٢٩ ربيع الثاني، سنة [1] ١٣١٠.

وقبل هذه الغارة بيومٍ: أغار آل جسّار، وآل خدر، من سعد، على قافلة الفُقَراء آل عبد القادر، وكانوا هم الخفراءَ لهم، فغدروا بهم، ونهبوهم.

[من أخبار قطاع الطريق]

ومما بلغنا وقوعه، في حدود سنة ١٣٤٠: أن آل العظم أعلنوا بمنع إخراج البضائع من بندر بالْحاف، لحادثٍ بينهم وبين أهله. فجاء آل باديان، وأخرجوا

(١) جاء تاريخ هذه السنة في الأصل هكذا: سنة ١٠ و١٣، فلعله خطأ طباعي. (مصحح).

قافلةً لهم، فيها أموال السادة آل المحضار، وأهل حبان، وأهل حوطة الفقيه علي، فاعترضهم آل العَظم أثناء الطريق، ولم يكن مع القافلة من آل باديان إلا رهطٌ من رجالٍ، والبقية غلمان، في سن الخامسة عشر وما قاربها، ولكنهم حاموا عنها، حتى غُلبوا، فقتل من الباديّان: نحو ١٤ نفراً، ومن آل العَظم: نحو ٨ من رجالهم المعدودين، وعَظُم الأمر على آل العظم، لأن الذين قتلوا منهم ذوو شهرةٍ ومكانةٍ، منهم رئيسهم، ورأوا أنهم قد غُلبوا، ولإن كان القتلى من الباديان أكثر!

قصة آل فهَيْد

آل فهَيد: قبيلةٌ كانت من أتباع آل حِمَد بن هادي، وصالح الواحدي، فلما ضَعُفت دولتهم، استولى آل فهيد على بلدَة عمَقِين، فملكُوها. وكان آل طالب بن هادي بن صالح الواحدي قريباً منهم، فحصل بينهم مشاجرةٌ، واستطالَ بعض آل فهيد بكلامٍ مؤلم على بعض آل طالب، فاشتدّ غيظه منهم، فسعى لفضّ جمعهم، وتدمير بلادهم، وساعده على ذلك الهياصِم، آل الكَسْر، فجَعلوا كميناً منهم قريباً من البلد. وجاء آخرون مغيرينَ عليها، فخرج رجال آل فهَيد بأجمعهم ليصادموا القوم المغيرةَ، فخلَفهم الكمينُ إلى البلد، واستولى بيوتَهم، وأخرج نساءَهم وأطفالهم، وشرّدهم عنها، وذلك سنة ١٢٨٦، وكان القتلى من آل فهيد: خمسة، ومن الهياصم: ثلاثة.

فتفرق آل فهيد في القرَى، وأخذت أموالهم وما في منازلهم، وأخربت ديارهم، ثم إنهم استعانوا بأهل الدولة، من بقية آل عبد الواحد، وبالقبائل، وبأهل الجاه من السّادة والمشايخ، فما جسر أحد على إرجاعهم إلى بلادهم، ثم بعد عامين أو ثلاثةٍ، سار منهم نحو أربعين رجلاً إلى وادي عَمْد، فقصدوا السيد الشريف، والعلم المنيف، الحسين[1]

(١) كان هذا الحبيب يلقب بالنمر، توفي سنة ١٣٣٠هـ. (مصحح).

ابن محمد بن سالم بن أحمد بن عيدروس بن سالم بن عمر بن الحامد بن الشيخ أبي بكر بن سالم، العلوي الحسيني. وكان هذا السيد من أهل الفضل والجاه، وسلامة الصدر، معتقداً، وطلبوا منه أن يردّهم إلى بلدتهم، فسار بهم إلى بلدهم، وأعادهم إليها، ولم يعترضه أحدٌ، لا من آل طالب، ولا من الهياصم، وأمرهم بترديدِ حصونهم بما حضَر من المدر وغيره، وأقام هدنةً بينهم وبين آل طالب ثمانينَ سنةً، وهدم جميع ما بينهم من الدماء والمال والسلاحِ، وغير ذلك، وأقام هدنةً بينه وبين الهياصم سبع سنين، وسكن آل فهَيد في بلدهم، وهم بها إلى الآن.

[حكاية الحبيب حسين والمرابي]

وتحكَى لهذا السيد الوجيه حكاياتٌ عجيبةٌ، منها: قضيته مع وارثِ أحد المرابينَ، في حَاضنة آل خَليفة، وأخذه منه نصفَ تركة أخيه التي جمعها من الرّبا، وردّ ذلك لأهل قريته. كان في إحدى قرَى آل خليفة أحدُ المربينَ العتاة، طال عمره، وكثر ماله، واستولى على أكثر عقَار وديار أهل قريته، ومنهم من لا تزال ذمته مشغولةً بمقادير من الديون، ليس عنده ما يقضيها به، لأن المربي قد استولى على جميع/ ما [١/ ٦٥] عنده، وكان عقيماً، فمات وورثه أخوه، ولم يكن لأخيه المذكور إلا ابنٌ واحد، هو وحيده، يحبه غاية المحبة.

فلما استولى الوارث على التركة العظيمة، وقرّت عينه بما صَار إليه من الديار، والعقَار، والدراهم، والحبوب، والديون، التي لا تزال في ذمم أهلها، يستعبدهم بها، جاءه السيد المنيفُ مع جملة من الناسِ، من حاشيةٍ وأتباعٍ، ونزل ضيفاً عنده، وقام الوارثُ فأعدّ الطعام الكثير، واحتفل بالضيف الكريم احتفالاً يليق به. فلما وُضعَ الطعام بين يديه، ومن معه، دعاه إليه، وكلّمه أمام الجمع، وقال: يا فلان؛ إني لن آكل شيئاً من طعامك هذا، إلا إذا التزمتَ لي بمطلبي منكَ. وبعد مراجعة الحديثِ، قال: أطلبُ منك نصفَ التركة التي صارت إليكَ!

فانزعج الرجلُ، وأبى، وقال: إنه عارٌ عليَّ أن تخرجَ ولا تأكل من طعامي، ولكن اطلب مايستطاع، ألفاً، أو ألفينِ. فقال: لا، إلا نصف التركة. فأبَى الوارثُ، فقام السيد المنيف، هو ومن معه، وترك الطعامَ بحاله، فلم يبعدوا عن بيته كثيراً، حتى فوجئ ابنه بجنونٍ، واعتلَى البيتَ ليلقي بنفسه من أعلاه!، وأخذَ ينادي والده: هل تريدني أثبُ من هنا؟ فصاحَ: لا ياولدي، انتظر، وذهبَ يعدو خلف ضيفِه، حتى ردّه، والتزم له بتسليم نصْفِ التركة. فقال له: أحْضِر ذلك الآن، فأحضر ماعنده من النقُودِ والأوراقَ المسجّلة بها الديار والعقار، والديون الباقية في الذمم، فقسّما ذلك نصفينِ، وقسّما الحبوب المدّخرةَ، وكانت مقداراً كبيراً.

فلما تمّ ذلك؛ استدعَى السيدُ المنيف أهلَ الديار، فردَّ إليهم ديارَهم، وأهل العقارِ فردّ لهم عقارهم، وفرّق الدراهم والحبوبَ بين المصابين منهم من جراء ذلك، وقام من المجلس وليسَ بيده من ذلك شيئاً، وأحيى الله به أهل هذه القرية، وأعتقهم من الفَقر، وأما ابنُ هذا الوارثِ، فقد شفاه الله للوقتِ، والله يتولى الصالحين.

الحالة الدينية

الجماهير منهم لا يهتمون بتعلم فرْضِ العين، فضلاً عن فرض الكفاية، ومنهم من لا يلتزم أحكام الإسلام، لا في نكاحٍ ولا غيره، وأكثر أهل البوادي لا يعرفون صلاةً ولازكاةً، ولا يورّثونَ النساء، بل وأهل القرى كذلك.

ولما مررتُ بهذه البلاد سنةَ ١٣٢٢: حكيَتْ لي عنهم حكايةٌ، تدل على رسُوخ الجهل، واندراس الدين، وعودهم إلى مثل الجاهلية الأولى، حتى أن منهم من يغير بقَومٍ معه على المرأة التي يريدها، ويأخذها إلى حيّه، وتمكث معه السنين الطوالَ بغير عقد نكاحٍ، فإن ولدت ذكراً، أو ذكوراً، أرسلوهم إذا كبروا إلى عشيرة المرأة

لياتوا بالعَقد!. بل قد يُغِير أحدُهم على امرأةٍ غيره فيأخذها لنفسه!. وتفتخر المنهوبة على نساء الحيّ، بأنها أخذَتْ بعَسكر الباروت، (تعني: دخان الباروت)، لا بالبخور عند القاضي!!

ولم يبلغنا أنه كان لأهل هذه البلاد عهدٌ بعد صدر الإسلام، ظهرَ فيه العلمُ والتعليم، وأقبلوا فيه على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وكف الأيدي عن سفك دماءِ بعضهمْ بعضاً، وإجراء أحكام الشرع، لغلبة البداوة، وتناسل أجيالهم في الجهل، رئيساً ومرئوساً، ويدلك على ذلك: أن الذين ظهروا بها من أهل العلم في فتراتٍ من قرون طويلة، لم يطلبوا العلم بها، لخلوّها عن العلماء.

وكان الناس يترددون لطلب العلم إلى زبيد، وإيالة تعز[١]، والجنَد، وأبين، وعدن، لوجود الفقهاء بها. ولكنّ وجودهم بها لم يكن يغير من حالة باديتها إلا قليلاً، فإن علماء هذه الجهات لم يكونوا ينشَطُون للاختلاط بالبوادي وسكان القرى ليدعوهم إلى الله، وينشروا بينهم الدين، ويتتبعوهم، فإنما يفعل ذلك من تصوّفَ. ولكن على قاعدة أخرَى لايتعلمون معها من دينهم إلا القليل. وقد كان الحكم بالأحكام الشرعية أيامَ استيلاء ملوك اليمن على هذا الطرف، أظهرَ منه فيما بعد، وما زالت أحكام الجبت والطاغوت تنتشِر بينهم، وتتمكن من ضمائرهم، وأيّدها أمراؤهم الجاهلون، الآخر يتبع الأول، فلا يرجى تركُهم لها بدون جهاد.

الإيمانُ بالغيبِ

قلّما يسمع المرء من بادية هذا الطرف شيئاً من الكلام يدله على إضمارهم الأيمانَ بالغيب، كالإيمان بالملائكة، والنبيين، والجنة والنار، والقيامة، والثواب

---

(١) الإيالة: كلمة تركية بمعنى إقليم أو منطقة: (eyelet = province ; Region). (مصحح).

والعقاب، وفيهم من ينكر البعث. ومنهم جموع غفيرة لا تنسب بعض الأمور التي تحدث إلى الله، وان كانت من الحوداث التي لا عمل للخلق فيها، كالمرض والشفاء، فينسبونها إلى الجن، أو المعزّم، أو المعتقَد. وكالأمطار والغيث، فقد ينسبونها إلى غير الله. وقلما ترى من أحد منهم إلحاحاً في الدعاء والإنابة عند حلول النوائب، وإنما يسارعون إلى المعزِّمين وأشباههم. ولهم أعمال في استرضاء الجن، تدور حول الذبح لهم، والتعشير.

ومعنى التعشير: أن يذبح الذبيحة بيده اليسرى، ولا يسمى الله عليها، ويعمل أعمالها الأخرى، من السلخ والتقطيع بيده اليسرى، ويقسّمها عشرة أقسام، ثم لهم في نثرها في أماكن مخصوصةٍ قواعدُ، كلها مخالف للشرع، ومنهم من يسمّي ذلك: التشحيم، والفِدُو (الفداء).

وقد يترك بعض البادية نهبَ بعض السائرين، وقد يرد إليه ما نهبه إذا طلبَ ذلك منه من له وجاهةٌ عندَه، ولكن لا يلاحَظ عليهم أنهم فعلوا ذلك رجاء ثواب الله، وخوفاً من عقابه، وطمعاً فيما لديه، وإنما يفعلون ذلك خوفاً من وقوع مصيبةٌ بهم في نفس أو ولد أو مالٍ، بناء على ما يعتقدون.

ومن اراد مراجعتهم ليتركوا ظلماً اقترفوه، أو عملاً أسرفوا فيه، فلا يؤثر فيهم إيعاده لهم بالعقاب الأخروي، والنقمة من الله، وإنما يؤثر فيهم تخويفُهم بالعقاب العاجِل، من الجهة التي يعتقدونها، وفي بواديهم من لا يفهمون معنى النبيّ ﷺ، ولا معنى النبوة، وإرسال الله له إلى الخلق، كما يفهمه المسلمون المخالطون لأهل العلم، بل ولا يلقون لذلك بالاً إذا ألقي إليهم، وأما أداء فريضة الحج فهم أبعد الناس عن الفكر فيها.

النساءُ

يحتجبُ نساء أهل البيوتات دون غيرهم، ولا يحتجب نساء البادية، ولا أغلب أهل القرى، ولكن قلما ترى منهن من يدور في الشوارع والأسواق، كما يفعل نساء الحضارة الفاسقة. ونعَى عليهم مؤرخ حبّان: كف أيديهم عن الصدقة، وخسة الأنفس في الملبس والمأكل، وعدم إكرام الضيف، وتركَ الصلاة والزكاة والصيام وحج بيت الله، وكشف العورات، وتبرج النساء، وقلة الغيرة، فقد يرى الرجل منهم من أهل البادية والقرى زوجتَه أوكريمته تخالطُ الرجال، وتجاذبهم وتحادثهم وتمازحهم، ولا يغار عليها ولا ينهاها. قال: «قد عمَّ وطمّ بجهاتنا وقُرانا خاصةً، دون الأقطار، قطع ميراث النساء عند الخاص والعام، والعارف والجاهل».

وقد أطال في ذلك بما ملخّصه: «أن أهل هذا الطرف قد مرَدُوا على منع النساء الميراث، ومنهم من يخادع الله وهو خادعهم، فيأمرون النساء أن ينذُرْنَ لهم بميراثهنّ، في مقابل كفايتها، وهي في حال غير مالكةٍ لنفسها، ولا رشيدة بل هي مملوكةٌ في يد وليها، من أبٍ وإخوةٍ، أو عم، يقابلها بالتخويف والقسوة، فهي لا تقدر على الامتناع من النذر، خوفاً وحياءً، ولما عند النساء من الضّعف الطبيعي، مع عدم الاستقلال، وفقد الناصر. ثم لايلبث المنذور له من أخٍ أو عمٍّ، أن يبقيها عانساً في بيته، تطحن الحبَّ لطعامِه وطعام زوجته وأولاده، وتكنس بيته، وتقمّ الزبل من تحت بهائمه، وتجدد تطيين بيته، وتصنع القهوة، وهي في ذلك مذمومةٌ منتهَرة مقهورة. فإن كانت من النساء اللاتي تعتاد الخروجَ، كان عليها أن تحتطب، وتستقي للبيت والبهائم، وتفجّش المدَر، (أي: تكسره ليستعمل في بيوت الخلاء)، وعلَف البقر، ولو خُطبت امتنع من تزويجها، وإن غلبه الحياء، أو خاف العاقبةَ، أخذ فيها رشوةً، وباعها كبيع الجواري المجلوبات في الأسواق، وماتت وهي مظلومة،

هي وأعقابها، بأخذ مالها. وولاة الأمور هم الذين تولوا كِبْر هذا الأمر، وأسّسوه، وهم أول من فعله واستحسنه، فتابعهم أهل القطر على ظلمهم، فعاقبهم الله بضَعف دولتهم، وتفرُّق كلمتهم».

ثم تكلّم مؤرّخ حبّان في بطلان النذْر المذكور بما/ هو معروفٌ في كلام [/٦٧] العلماء العارفين بأسرار الشرع، وحِكم التشريع. وأن النذرَ: ماكان مقصوداً به التقربُ إلى الله، لا ماكان المراد به الاستيلاء على إرثِ الغير، أو صدَر من الناذر بباعث الخوف والحياء.

ثم ذكر تلك الكفاية التي يلتزمونها للنساء اللاتي سلبوهن ميراثهن، واستولوا على أموالهن، فقال: «إن الكفاية عندَهم، في عرفهم في قطرنا، من عين بامعبد إلى قرية حبّان: عشرة مَصاري كنِب، بغَبشها (قِشْرها)، إذا طُيِّبتْ، (صُفِّيتْ)، حصَل ثلثاها من غير إدامٍ، وكسوة بعد العامين، يساوي ثمنها قرش إلا ربع». وما ذكره من منع ميراث النساء موجودٌ بغير هذا القطر، كما سيمر بك، وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون.

ما كانَ بها من أهل العلم والصَّلاح

سنشير إلى شيءٍ من ذلك في موضع آخرَ، من غير إطالةٍ في التراجم، خوفَ طُول الكتاب، ولأنا لم نلتزم ذلكَ، ومحلّ الإطالة: كتُب الطبقات، على أن ما نشير إليه سينفعُ من انبَعثتْ همته لتأليف طبقاتٍ حضرمية عامة. ومن أهل هذا القطر: الشيخُ العالم العاملُ، الفرائضي الحاسب، أحمد بن محمد أبو العباس، الحاسِبُ الحضرمي، توفي في حدود سنة ٥٣٩. ترجمه الطيبُ بامخرمة في «تاريخ عدن» [ص٤٤-٤٥].

ومنهم: الفقيه يعقوب الحبّاني، والفقهاء آل محمد بن عمر، وقد تقدمت الإشارة إلى بعضِ من عرف بالصلاح.

رسالة الشيرازي

ذكر مؤرخ حبّان رسالةَ الشيخ العلامة المسند المتفنن، عبد الرحمن بن حيدر الشيرازي، رفعها إلى قاضي القضاة في المملكة اليمنية، في أواخر أيام بني رسول، ملوك اليمن لذلك العهد وماقبله، وقد ظن مؤرّخ حبّان أنه أرسلها لوالي مصنعة حبّان، وغلطه في هذا الظن ظاهرٌ، لأنه يصف المرسلَ إليه بالأستاذ العالم الحاكم القاضي، وسياق الرسالة يدل على أنها كتبت لمن لا يعرف الشيخَ شرف الدين إسماعيل، ولايدري بحاله، ولم يكن ليخْفَى على والي حبّان، وهو ببلده الخاص!

وهذا ماوجد منها:

«أستاذَنا الأستاذ الشريف، حاكمَ المجتهدين، وتاج الإسلام والمسلمين، القاضي مجد الملة والحق والدين، أعاد الله علينا من بركاته.

وبعد؛ يعرض بين يديه سيدنا ومولانا أن تلميذكم لما رجعَ من الهند، دخلنا بندر الشحر، وعزمنا نطلع إلى بلاد صنعاء اليمن، فوصلنا إلى بلد يقال لها مصنعة عبد الواحد، فرأينا ثَمَّ إماماً جامعاً لجميع الفنون، يحفظ «منهاج الإمام النووي»، وله اليدُ الطولى في علم النحو والتصريف، واللغة، والأصول، اسمه الفقيه شرف الدين إسماعيل بن محمد بن عمر، وهو شريفٌ مثل اسمه في كل الأشياء، جوهرةٌ ضايعة بين تلك الجبال والدمون، وعربان تلك الجهة طائعون له، راضون بحكمه، ولكن ليّن في الأحكام. وقلتُ له: لم لمْ تحرِّر الأحكام. قال: مامعي إذن من سلطان

البلد، ولا من قاضي الأقضية، وإنما أنا أَصلِحُ بينهم.

السؤال من إحسانكم، أن تولوه القضاءَ، من باب بروم إلى باب أبين، وما بينهما من القرى والبلاد، مثل: حَجْر الحصين، ودثينة، وأحور، وحوراق ميفعة والعَين، وغيرهم، أن يعزل من لم يصلح، ويولي من يصلح، وأكثره لمقصود المسلمين، فأهل هذه البلاد ما يحكم عليهم، وثمَّ عربان من قبائل، وتنالوا بذلك الجزيلَ من الثواب يوم الحساب». اهـ.

وبعد ذلك مكتوب بخطٍّ غير خط الفقيه في شقّ الورقة:

«يستمر بالناحية المذكورة موفقاً مباركاً إن شاء الله تعالى، وأذنتُ له أن يولي من يصلح، وأن يعزل من لا يصلح، ويقسم لنا في صالح دعواته.

وكُتبَ في عاشر محرم، سنة ٨١٥».

[فوائد من رسالة الشيرازي]

ويستفاد من هذه الرسالة أمور، منها: أن المكلا لم تكن مشهورةً يومئذٍ، وأن وادي ميفَعة يقال لَه، أو لَه ولما/ حواليه: حَوراق ميفعة، وأحسب أن ذلك [٦٨/ أ] بسبب ما بها من الحرَّات السوداء، وأن أهل البلد لم يشعروا بالحاجة إلى قاضي يزوّج الأيامى، ويكفل اليتامى، ويفصل الأحكام، وأن آل عبد الواحد كانوا تحت سلطنة ملوك اليمن، وفيها إشارة لقاضي الأقضية: أنه لا يُرجى من هذه الناحية محصولٌ مالي، وإنما هذه التولية لمقصُود المسلمينَ، لأن الموجودينَ هنا قبائل لا تحكم عليهم الملوك.

حَالتهم المعاشيةُ

أما البوادي فمعيشتُهم من مواشيهم، ومن الحمل على جمالهم بين بنادر الجهة وداخلها، ومنهم من يتعاطى الحرث، وكل ذلك مع الاقتصاد، على ما تقضيه جدوبة أرضهم، وأما أهل القرى الكبيرة، فمعيشتهم من حرثهم، ومنهم من يتعاطى التجارة في نفس البلد، أو يسير بالضائع مع القوافل إلى اليمن وأبين وحضرموت، ومنهم من يسافر إلى عدن، والهند، وجاوة، وغيرها، طلباً للمعاش.

ومن عادة القبائل إذا حملت البضائع على جمالها: ألا تخونَ، ولا تغدُر، غالباً. وأن تقاتل من تعرّض لها، وقد ذهبتْ، أيام الحرب الكبرى، قافلة السيد الشريف علي بن عبد الله المحضار، تحمل قازاً وسكّراً وبزًّا، وغير ذلك، وكان أهل الجمال آل باكازم والمراقشِة، فأرجعهم الفَضلي، صاحب شُقْرَه، وكانت تقصد إلى لحج وبها الأتراك يومئذٍ، فعادت إلى أحور، ولكن القبائل لامَتْ نفسها، ورأت ذلك عاراً عليها، فاجتمع منهم جيش صَحِب القافلة، وساروا بها ثانيةً، وأنذروا الفضلي بالحرب إن تعرَّض لها، فسمحَ بذلك، وترك لهم الطريق.

آل سدَّةْ

هؤلاء كانوا ولاة وادي ميفعة، وقد ذكر شيئاً عنهم الفقيه باسنجلة، فإنّه ذكر في حوادث سنة ٩٤٥، ما لفظه [ص ٦٢]: «وهرب آل عبد الله، وآل شحبل، إلى ميفعة، وصاحبها يومئذٍ أحمد بن محمد بن عبد الودود بن سدة». ثم ذكر في حوادث سنة ٩٤٦ [ص ٦٧]: أنّ السلطان بدر أرسل لآل شحبل وآل عبد الله من ميفَعة، وأعطى آل عبد الله الأحروم بالتعديل، على التبعية له. وأعطى آل شحبل رَخْية بالعَدالة.

وقوله «آل عبد الله»، هم ثلاثة أفخذ: آل بِشْر، آل فَارس، آل عَلْمدرك. فأما آل بشر، وآل فارس، فيقال لهم: آل عبد اللّتي، وأما آل عَلْمدرك، فيقال لهم: آل بدر، وآل بشير.

وذكر السيد الشريف أحمد شنبل [ص ٦٩]: «أن الغُزّ خرجوا مع أميرٍ لهم، اسمُه عدلان، إلى ميفعة سنة ٦٠٥ في شَهر شوال، وطلعوا إلى جَردان في رمضان، وتلقاهم عمرو بن شماخ، فخرج بهم في قبيلته خيثمه» اهـ مع بيان.

وفي سنة ٩٠٢ [شنبل: ص ٢١٣]: اتفق عبد الودود بن سدة، وسعد بادجانة الكندي، وبعض بيت محمد المهري، وقدموا بجيوشهم على الشحر، وفيها يؤمئذٍ جعفر بن عبد الله الكثيري، فحصروها سبعة أيام، ثم انفضّوا عنها بغير جدوى.

وفي سنة ٩١٥ [شنبل: ص ٢٣٧]: صال عبد الودود بن سدة على بيحان، فخرّب ضمُراً (سدوداً)، ثم رجع، فتعقبه آل بيحان، فقتلوا من قومه أكثر من عشرين رجلاً، وسلبُوا عبيداً له، وغنموا ركاباً، وزَانةً، أي: مواد حربية، وعِدّة عديدة.

وفي سنة ٩١٦ [شنبل: ص ٢٤٥]: أغار بن سدة على ميفع، ونهب بهائم وعبيداً، وتعقبه ابن دغار بقومِه، وسبقه إلى الطريق قريباً من عين بامعبد، وانتظروهم، فالتقى الفريقان، وانتصر ابن سدة وقومه، وقتل من قوم ابن دغّار خمسةَ عشر رجلاً، وسلب الباقين، وابقى ابن دغّار أسيراً عنده.

وذكر [شنبل: ص ٢٥٣]: أن السلطان عبد الودود بن سدة، المذكور، توفي سنة ٩١٨، وأثنى عليه بالصلاح والعَدْل، فالله أعلم/ بمقصوده. [٦٩/أ]

❊ ❊ ❊

الطرُق من حَبَّان

إلى حضرمُوت وعدَن

الطرق من حبان إلى حضرموت وعدن

الطرق إلى حضرموت متعددة، وإنما نذكر هنا أقربَها:

[١ـ الطريق الأولى] من حَبّان إلى عمَقِين: يوم، ومن عمَقِين إلى رَيمة، أعلى الوادي: ساعة ونصف، ومن عمقين إلى جردان إلى جول بن حيدر: يوم. ومن جَردان يطلَع عقبة إلى السَّوط (صحاري جبلية، بها قرًى تقرب من رؤوس الوديان)، ويسير فيه ثلاثة أيامٍ، بسير الأثقال، فيبلغ حنكة وادي عمد، فينزل في عقبة الخميلة. والسوط المذكور فيه: مساكن آل بلعُبَيد، وآل هميم.

[٢ـ الطريق الثانية] من رَيمة، السابق ذكرها، يطلع العقبة الشرقية، قريباً منها، ثم منها إلى سدّة يوم، والشّرب في الطريق من النَّقاب. ثم من سِدة إلى وادي حَول: إلى الظُّهر، ينزل في عقبةٍ معتدلة، ثم من حَول إلى وادي عَمْد: يومان، ينزل على عقبة عَجْزَر، فوق بلد عَمْد.

[٣ـ الطريق الثالثة] من حبّان إلى الروضَة: يوم، ومن الرَّوضة يقطع وادي عمَقِين عَرضاً إلى المشرق، ويعتلي نجوداً وسُهوباً، يتلو بعضُها بعضاً، ولا يزال يعلو حتى يصلَ أعلى الصّحاري التي تسيل إلى وادي سلْمُون، فتأتيه عقبةٌ طويلة كؤود، يقطَعُها في نحو خمس ساعاتٍ، يبيت في أثنائها، ويقطعها أولَ النهار، ثم يصل إلى السَّوط، ويصل إلى صَيْق العِجِر الظهر، فيبرُد به، ويروح، فيبيت بوادي يبْعِث، وبين يبعث والخرَيبة (بوادي دوعَن): يومان.

[٤ـ الطريق الرابعة] من حبّان إلى الحوطة: مرحلةٌ طويلة، ومن الحوطَة إلى

أعلى وادي اللُّجْلِج: يوم. ومن اللُّجْلج إلى ضَيق العِجِر: يوم. ومن ضَيق العِجِر إلى يبعِثْ: نحو خمس ساعات. ومن يبعِثْ إلى رَاعون: يوم. ومن راعون إلى الضُّلَيعة: نحوُ خمس ساعاتٍ، ومن الضّليعة إلى الخريبة: يوم.

***

[الطرق من حبان وحضرموت إلى عدن]

أما إلى عدن: فمن حبّان إلى المنقعَة: يوم. ومنها يركبُ السيارة إلى عدَن بطريق الساحل، إلى شُقْرَة، فأبين. وهناك طرقٌ أخرى: تمر من المنقَعة إلى دثينة، فعقَبة العرقُوب، فأبين.

ومن بلَد تَارْبةْ بحضرموت إلى عدن: بسَير الأثقال: أربعة عشر يوماً، من طريق وادي عَمْد إلى يبعِثْ، فحَوطة الفقيه علي، فحبّان، فالمنقَعة، فأحور، فشُقْرة، فأبين، فعدَن، وقَدر السير من هذه الأربعة عشر يوماً: ما بين ٨٤ و ٨٥ ساعة. فلو سار راكبٌ كلَّ يومٍ عشْر ساعاتٍ، لقطع هذه المسافةَ من تاربة إلى عدَن في ثمانية أيامٍ ونصف يوم، وكذلك لو سَار من تريم، أو ما حولها، والفرقُ قليل.

وصْفُ البلادِ التي بينَ وادي حَجْر وحبّان

قد قلنا فيما سبق: إن وادي حَجْر يفضي إلى البحر، إلى الجنوب، في خَورٍ صغيرٍ، أحدُ طرفيه، وهو الشرقيّ منهما: رأسُ الكلب. فإذا أصعدنا مع مجرى الوادي، كانت الجبال التي تسكنها قبائل نَوَّح السَّيبانية عن أيماننا، في ناحية الشرق، والجبال التي يسكنها نُعمان عن شمالنا، في ناحية الغرب.

[أودية حجر ويبعث وروافدها]

ووادي حَجْر يلتوي مجراه، ولكنه في الغالبِ ينحدر من الجانب الغربي الشمالي، متجهاً إلى الجانب الشرقي الجنوبي، ثم يتّصلُ مصعداً بأودية السَّيَل، بكسر ففتح، حتى يصل إلى يبعِث، وعن اليمين والشمال، (أي: الغرب والشرق، وأنت مصعِدٌ في الوادي إلى الغرب الشمالي)، تأتي أوديةٌ عديدة تصب فيه. وأعلَى شعاب يبعِثْ على طول: ٨ -٤٤ -٤٧، أي: سبعة وأربعون درجةً، وأربعةٌ وأربعون دقيقةً، وثمان ثواني. ثم لا يزال الوادي ينحدر إلى الجنوب، وهو يزداد مَيلاً إلى الناحية الشرقية الجنوبية. ثم إذا اتصل بوادي حَجْر ازداد الميل. وينحدر وادي حجر، وهو يزداد ميلاً، حتى يصب في البحر، على: ٥٢- ٣٩ - ٤٨، أي: ثمانية وأربعون درجةً، وتسعة وثلاثون دقيقةً، واثنان وخمسون ثانية. فالميل إلى الناحية الشرقية في أعلى شعاب وادي يبعِث: ٤٤- ٥٥، أي: خمسة وخمسون دقيقةً، وأربعة وأربعون ثانيةً. فوادي يبعث يسامت شعب فرَيحة، الذي بين/ وادي دُهر، ووادي مطار. فالزوال في [٧٠/أ] هذين المحلّينِ متحدٌ.

[اختلاف طفيف بين خريطتَي وايسمان وفلبي]

ومصبّ وادي حَجْر في البَحر يسامت دار الرَّاك، غربيّ شبام، هذا على ما في «خريطة» وَيسْمان الهولندي، وأما على ما في «خريطة» فِلْبي، فمخالفٌ لذلكَ، بحيث يسامت ما يقرب من فُرْط قبُوسِةْ، وسبب هذا الفرق: عدم تحرير الأطوال والأعراض، أو غلطٌ منا عند أخذ المقاسِ منها، على أن الفرق، كما علمتَ، قليل.

[جبال النشم والشقان وما إليها]

وقد مضى وصفُ ما بين بير علي ورأس الكلب، وإن الذي بينهما، بجانب الساحل، رملٌ وجبال صغار بركانية، وشماليّها تأتي جبالٌ من النشم المائل إلى

السواد، (الذي يستعمل لشحذ الحديد)، ثم كلّما أخذت إلى الشمال الغربي قرُبْتَ من جبال البابحَر، وعن يسارك: جبال آل ذِيَيب، آل العظم، السلَيماني، وعن يمينك: الجبال المشرفة على ميفَع، وأسافل حجْر.

فإذا صعدتَ في هذه الجبال في الناحية الشرقية القريبة من ميفع وحَجْر، علوْتَ في أول سيرك على جبالٍ قليلة الارتفاع، يتراوح ارتفاعُها بين: ٤٥- ٢٨٨ -٤٣٠، وأقل و أكثر. منها: جبل يِكُد، بكسر فضم، ثم جبال الشُّقَّان، بضم الشين وتشديد القاف، وجبل هَبَارا، بفتح الهاء، وجبل يَقْوَد، بفتح فسكون ففتح: ٨٧٥-١٠٤٠، فجبل ظُلُب، بضمتين، ويسكن فيها: بادبَيس، وبادبَيّان.

وتمر في هذه الجبال طريق تقطع الشعاب التي تسيل إلى حَجْر، وتطلع من الوادي إليها عقبةٌ قريبة، وتمر على عين الحلِيفة، بكسر اللام، فوادي العَرْس، بفتح فسكون، فعقَبة فيه، فعقبة بوادي العروس، ثم تنزل إلى حَجْر. وبعد جبل ظُلُب، إلى الغرب: وادي لِبْنة، بكسر فسكون، وهو غير لِبْنة التي للبارْشَيد من نَوَح، به قرية زُوَين، وهي غير زُوَين المتقدم ذكرُها، الواقعة على طريق بندر بالْحاف.

[وادي عرار وما إليه]

وهذا الوادي ينحدر، فيلاقي أوديةً تأتي من جبل باقَرْوَا، ارتفاعها بين: ١٠٤٥-١٧٤٠، وتسمّى بعد اجتماعها بوادي عرار. وهذه الأودية تجتمع قبلَ جبل تِسْمُرا، بكسر فضم، وهو جنوبيّها بغربٍ، ثم ينحدر حتى يمرّ بين جبلي البُعَيدة، بضم ففتح فسكون، وعَرْصِمة، بفتح فسكون فكسر، متجهاً إلى الجنوبِ، حتى يفضي مقابل عين الجوَيري، وقد تقدم ذكرها. وفي هذه الجبال: باقَعْش، بفتح فسكون ففتح، وآل العظم، وغيرهم من بادية حمير. ثم بامَوْر، بفتح فسكون، بالجِبلان (الصحاري) التي تسيل إلى وادي حَظِمة.

[مساكن البابحر والبَجْنف]

ثم يأتي جبل عضفُون، وأنت سائر إلى الغرب الشمالي، فجبال البابحَر، بفتح الباء والحاء، وفيها: حاضنة البابحَر، بها مساكن لهم وحرث. ومنهم: البافقير، والبازُرْعة، بضم فسكون. وتنحدر من جبال البابحَر أودية عديدة، تسيل إلى حَجر، وفي أسفلها تظهر العيون التي يتألف منها نُهَير وادي حَجْر، وقد يجتمع منها، مع غيرها، إذا نزلت الأمطار سيل كبير. وغربي هذا الجبال، وشماليها بغربٍ: جبال نعمان، التي سبق وصفها، ويحل هذا المواضع: الباجْنَف، أو: البَجْنَف، بفتح الباء وسكون الجيم وفتح النون، وأصله: آل أبي أجْنَف، فخُفِّف، والباقُهَيم، بضم ففتح فسكون.

[قُنة جبال سلمون، والباقطمي]

ثم تأتي، وأنت سائر إلى الشمال الغربي: آخر جبلِ نعمان، وهي قُنَة جبال وادي سلْمُون، ذات العقبة المرتفعة التي سبق ذكرُها في فصلِ طرق حبان آنفاً. وهذه القُنَة ترى مرتفعةً عاليةً من صحَاري جبال المشَاجر وسِيطَانهم وسِيطان آل هميم، وهي التي تفصلُ بين الوديان التي تسيل شرقاً فجنوباً إلى وادي حَجْر، أو: شمالاً إلى وادي جَرْدان. وقد افتخر أحد آل باقُطْمي بارتفاع قُنَن جبالهم، فقال:

....	مانَا سَقِي سَلمُونْ منفُوحِ الطَّبَابْ
لاالشَّمْس تلقاني ولا اشْبُوب المطَرْ	والشَّهْر لا قَدْ برّ يلقَاني هبَابْ

وقد ضاع مني المصراع الأول.

[معنى البيتين]

فهو يقول لامرأته الناشِزة: أن البَخْس والنقْص بلِك، أما أنا «مانا»، فسَقى الله سلمون (الوادي)، «منفوح»: مرتفع. «الطَّباب»: بفتح الطاء، القُنَن. «لا الشمس»

تنالني فيه ولا «أُشبوب المطر»، والقمرُ إذا اعتلى نالني شيئاً قليلاً. وأصل لفظة «بَرَ»: أبر، وهي كلمة عربية فصيحة. و«الهبَاب»: مجازٌ عن القلة، مأخوذة من: هبَاب القِدْر، وهو/ سوادُها الذي يتطاير كالهباب. [١٧/١]

* * *

وهذه الجبال تضيق مساحتها كلما قرُبتْ من ساحل البحر، ولكنها تتسع كلما ذهبت شمالاً، حتى يكون أعظم اتساعها بالموضع الذي يشقّه وادي سلمُون، المتقدم ذكره، وذلك قريبٌ من خط العرض: ١٤-٣٠، أي: أربعة عشر درجةً ونصف، وخط الطول: ٤٥ - ٤٧، أي: سبعة وأربعون درجةً، وخمسة وأربعون ثانيةً، تقريباً.

وآل بابحَر يقدرون بنحو: ٣٥٠ مقاتلاً، والباقطمي يتراوح تقديرهم بين ١٥٠ و ٥٠٠ على اختلافٍ بين القائلينَ. ونعمان كلها تقدر بنَحو: ١٥٠٠ مقاتلٍ. وأهل هذه الجبال الغالب عليهم أنهم أهل ضرعٍ، وقد يجمعون بينه وبين الزرع. وهي، ما عدا جبال البابحَر، من أكثر بلاد الله أمناً للقوافل والمسافرين، والمترددينَ من طلبة العلم إلى تريم من جبال الباكازم وغيرها، وكذلك سِيطَان آل هميم، والبلعُبَيد، وآل علي، وريدة الديِّن، وكلهم يكرمون الضيف، ويجلون المتّسمين بالعلم والصلاح، ويطلبون منهم الدعاء، مع غلبة الجهل عليهم، وتركهم أكثر الواجبات والفروض.

* * *

فهذا الوصف الذي ذكرناه لجبال البابحر ونعمان: لمن قطعها طولاً، من الجنوب إلى الشمال الغربي. والسائر على شقها الشّرقي يسايره عن يمينه: وادي حَجر، ثم السَّيَل، بكسر ففتح، فأودية المشاجر، والسائرُ على أطرافها الغربية: تسايره عن شماله: جبال آل العَظم، ومن والاهم.

ثم الطريق التي وصفناها بعد جَول الشيخ عبد المانع، إلى أثناء وادي عمَقِين، فأول جبال نعمان متصلة بجبال البابحَر، (والبابحر مع نعمان على الخصم)، وتنتهي من الشمال الغربي بآخر قنة سلمون الشمالية الغربية، وهي تشرف على السِّيطان التي بينها وبين جرْدان، والممتدة شمالاً، فيدخل فيها سِيطَان: آل هميم والبلعبيد، وتشرف على أودية المشاجر من الناحية الشرقية، وتُرى مما قرب من هذه النواحي لارتفاعها. وقد سبق ذكر افتخار بعض آل باقُطْمي بذلك. وقد رأيت في بعض الخرائط أن علوها ٧٨٠٠ قدماً، وسماها: ذَكُرَ، بفتح فضم ففتح، والله أعلم.

قبائِل نُعْمان

اعلم أننا لم نستقص أسماءَ فخائذهم الموجودة الآن، وإنما نقلنا ما سيأتي عن «مجموعة» شيخنا، وذلك مما وُجدَ في خزانة الشيخ عبد الله باعفيف، وسنلحق به تكميلاً كافياً:

[تفريع نسب نعمان]

جدهم الأعلى اسمه البُحَيث، بضم الباء وفتح الحاء وسكون الياء، وولداه: أحمد بن البحيث، ومنصور بن البحيث.

[١] **معرفة آل أحمد البحيث النعماني (كذا)**: آل منصور بن حمد، وآل محمد ابن منصور. ثم تفرّق عنهما الأفخذ: باسُر (بضم السين) وعشيرته: فخذ. باحَضْرمي ابن القبيع، وعشيرته: فخذ. آل عمر قرباع، وعشيرته: فخذ. آل بابِيتَر بن حِمَد بن البحيث: الرأس (كذا). آل سليمان باكَيْلي، وعشيرته: فخذ. آل علي بازَيدي، وعشيرته: فَخذ. آل عُمر بالخل، وعشيرته: فخذ.

[٢] الفخذ آل أحمدي: أحمد بن حمد لجنف (الأجنف): الرأس. آل بابكر: أحمد بن علي وجماعته، آل معوّض: فخذ (مُعوّض بضم ففتح فتشديد الواو المفتوحة). آل بانجاد: فخذ. آل باوَثْنا: فخذ. آل باجِيل: فخذ. آل عُمر: فخذ. آل عمر بن حمد، رحمة بن حمد: فَخذ، آل بارحمة». اهـ. هكذا وجدناه، وإنما عبّر عن الفَخْذ: بلفظ دار، وهكذا، قد يقولون: والدار عندهم الفخذ، وقد تابعناه في ذلك، والحقيقة: أن كلا من هؤلاء قبيلةٌ، ينقسم إلى أفخاذ، وقد سبكْنا بعض العبارة.

[توزعهم، وصريخهم]

واعلم أن نعمان ليسوا في هذا الجبل فقط، بل منهم في وادي حبّان، ووادي ميفَعة، وفي حَجْر، وفي جَرْدان، وفي السوط. وباسْم نُعمان يجتمع صريخُ جميع القبائل التي برَيْدة الديِّن، وسيطان البلعُبَيد، وقبائل جرْدان، والبابحَر، على القبائل الأخرى، مثل: سيبان، أو يافع، أو آل كثير، أو نَهد/ . [/ ٧٢]

وقد رأيناهم مراراً عديدةً، إذا وقع هَيج في الأسواق العامة، يكون جميع هذه القبائل يداً واحدةً ضد جميع قبائل السَّيبانية والنهدية، وغيرهم.

ففي جردان، من فخائذ نعمان: آل بَخْسَل، بالصعيد. وآل منصُور في هَبا. وفي برك: آل كُوَيلخ، وفي كريث: آل بحَيث، آل بولْهَيدة. وفي السوط: آل باتيس، في: سدّة، وفي مَخْية، بوادي عمد. وبن سِمَيدع: في الحرف. وآل علي في سوط آل علي. وفي ميفعة: بلبحَيث. وبن رشَيد: في ريدة بن رشَيد. وفي حاضنة آل بابحَر: باقطمي. وفي وادي حبان: باديّان، في الحضْن. **وفي عمقين:** آل الحجْرِي، آل سالم في سَرّ. بن حنش: في يابه. وآل باجيل، بجْنَف، والباقُطمي، أيضاً: في وديان جبل نعمان، مثل: وادي عِرُومة، ووادي سلمون، ووادي اللّجْلج، ونَحْر بجْنَف. وقد مررتُ بعِرُومة، ووادي اللجلج، ومكثتُ في نحْر البَجْنف يومينِ أو ثلاثة.

ويوجد آل سميدَع في ذي النخلة، بسَوط آل علي. وفي سوط آل باتيس: بازير، باتيس. وفي وادي يبعث: آل بحَيث، في الحصُون وفي المصنعة. وفي وادي حجْر: آل بحيث، في حصونهم، بالغُول.

[من أسباب اختلاط أنساب قبائل العرب]

ومما ينبغي أن يفطن له: أنّ بعض تلك الأفْخُذ، المذكورة آنفاً، لم تُعرَف بآبائهم، وإنما عرفت بأسماء بعضِ رؤسائها، فإنه يذكر من اسمِ الفخِذ رجلاً، ويعطف عليه عشيرته، ولعلها من آباء متعددين، وهذا هو بعض الأسبابِ التي اختلطت بها أنسابُ قبائل العرب، وقد تفطّن لهذا صاحب كتاب «قلب جزيرة العرب»[1]، وسترى ذلك بيّناً فيما سننقله عن «طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب»، لأبي حفصٍ، عمر بن يوسف، الملك الرسولي، عندما ذكر القبائلَ الناقلة إلى حضرموت.

وِدْيَـان المشَاجِر

إذا قطعتَ جبال نعمان عرضاً، طريقَ وادي اللَّجْلِج، أو وادي سلمون، نزلتَ منها إلى وديان المشَاجر، مثل: صَيق العِجِر، وهو أول وديانهم من هذه الناحية، وحَول، ثم يبْعِث. وإن سلكتَ من رَيمة: جاءك سَوط نعمان: آل بحيث، وآل هميم، وإن شرَّقْتَ في الطريقِ، نزلتَ على حَول، وهو وادٍ للمشَاجر.

[صَيق العِجِر]

إذا سلكتَ وادي اللَّجْلج، طلعتَ بعد عقبة كؤود طويلةٍ، ثم جاءتك سُهوبٌ جبلية، وحُزون، ونجود، وعقاب، يشبه بعضها بعضاً، ولاتزال تنخفضُ حتى تنزل

---

(١) هو الرحالة الأديب السعودي، اللبناني الأصل: فؤاد حمزة (ت ١٣٧١ هـ)، وكتابه المذكور صدرت طبعته الأولى سنة ١٣٥٢ هـ (مصحح).

العقبةَ التي تُفضي بك إلى صَيق العِجِر، بفتح الصاد وسكون الياء، وكسر العين والجيم. والعِجِر: قبيلة من المشاجر، لهم حرث وضرع، وبينهم غاراتٌ مع من حولهم من البوادي، من ريدة الديِّن، إلى بلاد حِمْير، كسَائر إخوانهم المشَاجر، أهل واديَي: حَول، ويبعث. وتقدر المشاجر كلها بنحو: ٥٠٠ مقاتل.

أما صيق العِجِر؛ فقد بتُّ فيه ليلةً، ورأيت به قريةً واحدة، ولعل فيه غيرها، فإني جزَعتُه عرضاً، ولم أستبْطنه. وقد رأيتُ في بعض الخرائط: أنه يسيل إلى وادي سَلمُون، وأحسب هذا غلطاً. وإنما يسيل إلى وادي حَجر، مع الشعاب التي تسيل من جبال البابحَر ونعمان إلى الشرق فالجنوب، وتنزل العقبة إليه من جبال نعمان، قريبٍ من عين ماء (قَلْت)، تحت صخرةٍ هناكَ في خَنق الوادي (مضيقه).

[وادي حول]

أما وادي حَول؛ ففيه المشاجر أيضاً، لهم قرًى، وبه قريةٌ للسادة آل الشيخ بو بكر، وبه جماعة من آل برَيك، لهم قرية. وفي الوادي حرثٌ وضرع، وهو من أودية العسَل، مثل يبعِث وجَرْدان. ولم تبلغنا أسماء قراه، ولا عددها.

[وادي يبعث]

ثم تطلع من صَيق العِجِر في عقبةٍ، إلى السَوط، في طريق تتجه بين الشرق والشمال، حتى تصل إلى يبعِث، فتنزل إليه من ثنيةٍ قريبة. وقد جئتُ وادي يبعث ثلاثَ مراتٍ، وسرتُ من أعلاه إلى أسفله مرّتين. والغالبُ على أهله الزرع، وعندهم ضرع قليل. ومساحته: نحو ستّ ساعاتٍ أو سبع.

وبأعلاه غَيل، يقال له: غَيل إنْجِج، بكسر الهمزة فسكون فكسر، ومزرعةٌ يسقيها، وفي الجانب المقابل للغيل: مزرعة تسمى الرّحبة، رحبة باحماس.

وبعد مزرعة الغيل: قرية الفِشْلة، بكسر فسكون، بها آل باغلاب، بتشديد اللام، وهم صبيان دمٍ، ومعنى الصبيان: الموالي. والصبيان ينقسمون إلى قسمين/ : [/٧٣]

[١] **صبيان خدمة**: لا يحملون السلاحَ، ولا يقتِلون، ولا يُقتلون.

[٢] **صبيان دم**: يحملون السلاح، ويقتِلون، ويقتَلون، وقد تكون بينهم وبين مواليهم دماءٌ وثأر، ولكن صريخهم على العدوّ واحد.

[قرى وادي يبعِثْ]

القارة: فيها المشايخ آل باربَيد العمودي، أصلهم من قيدون.

ثم **القرن**: على قارة بأيمن الوادي، وأنت منحدر، فيه: آل الشيخ عمر بن عبد القادر العمودي، تلميذ الإمام الحجة العارف بالله، والداعي إلى سبيله، الحبيب عبد الله بن علوي الحداد، السيد الشريف العلوي الحسيني، ومنهم في النَّجَيدَين برَيدة الديِّن، وبحنكة وادي عَمْد، وقيدون، ولهم جاهٌ وكلام مسموع عند قبائل المشَاجر، والديِّن، والقُثَم.

القَوْنَع: بفتح فسكون ففتح، للباغَلّاب. **الجول**، جَول باموسى: للمشايخ آل الحرَيْبي، أصلهم من بضَة. **الحصُون**: فيها آل باصَم، بفتح الصاد، من نوّح، وصريخهم للمَشاجر. **الحمَام**: بفتحتين، للمشَاجر. **مِشَيط**: بكسر ففتح فسكون، فيها الباسَد، بفتح السين، والباحفص، والباحَكم من المشاجر، والحريبي، والعمودي.

القارة: قارة السّادة، فيها السادة آل الشيخ بو بكر، وفي الشجرة: «أن أول من نزلَ يبعِثْ، هو: أحمد بن حسن بن محمد، المتوفّى بجردان، بن عبد الله، بمَوْشَح، بن محسن، بموشَح توفي سنة ١١٥٧، بن عمر، صاحب خَبُوظَة، كان فاضلاً معتقَداً، توفي سنة ١١٢٦ بعينات، بن الإمام العالم الشهير الحسين، ذي الشهرة والصيت، ابن الشيخ أبي بكر بن سالم، السيد الشريف العلوي الحسيني.

[الربّان السيد محمد بن صالح ابن الشيخ أبي بكر]

ومن هذه الأسرة: العالم الفلكي، الماهر الشجاع، محمد بن صالح بن سالم بن عبد الله بن محسن بن عمر بن الحسين. وهو كان أول من أجرى المراكب من بتاوي إلى الحجاز، وسْطَ المحيط الهندي على الخط الجديد، وتركَ الخط القديم، الذي يمتدّ على شواطئ الهند، وله في بحر الزنج أيضاً مهارة وشهرةٌ، فهو أشهر في زمنه من ابن جابر العماني، ولد بسَيون سنة ١٢٢٥، وتوفي بالسواحل سنة ١٣٠٥. والسواحل، في عرف أهل حضرموت: اسمٌ لسواحل أفريقية، من رأس حَافُون إلى كَيْفْتَون[1]، وما والاها. وقد أعقبَ أحمدُ بن حسن من أبنائه: جعفر، وعمر، وأبي بكر.

وبيبعث أيضاً ذريةُ حسين بن صالح، المتوفّى بالجبيل، بن محمد المتوفى بالبيضاء، بن عبد الله، المتوفى بعِينات سنة ١١٧٨، بن محمد بن شيخ، المتوفى سنة ١١١٣، بن الحسين.

القارة السفلى: فيها الباحَكم، مشجري. **الحصُون**: فيها آل بحَيث، نعماني. **المصنعة**: فيها آل بحيث. **الغار**: فيه البالُـمَيح، بضم اللام ففتح فسكون، مشْجَري. **السَّيلة**: فيها البالِـحِم، بكسر اللام والحاء، مَشجري. **الخيس**: بفتح فسكون، فيه الغابِرة، بكسر الباء. **الجنَينة**: بضم ففتح فسكون، فيها الغابرة، مشاجر، مشجري. وهذه آخر القرى.

ومن أعلى الوادي إليها نحوُ ست ساعاتٍ، وبعدها تأتي في الوادي خَوانق، وتصبّ إليه جبال الملح، حتى ينتهي إلى السِّيَل الآتية من جبال المشاجر الغربية، وتسمى كلها السِّيَل، بكسر ففتح، جمع سَيْلة، بفتح وسكون، وهي: موضع مسيل الماء، وتطلق في الغالب على ما قلَّ عَرضُه منها.

---

(١) كيفتَون = كيب تاون (town Cape)، عاصمة جنوب أفريقيا اليوم. (مصحح).

وادي مَيْفَع

وادي ميفع: هو قطعةٌ من وادي حَجر، وهو ما يلي الساحل منه، مشهور بخِصْبه، كما هو مشهور بوخَمِه. وميفَع وميفَعة، مأخوذٌ من الارتفاع، والميفَعة: الشَرَف من الأرض، قاله في «القاموس» وقال: «وميفع وميفعة: بلدانِ، بينهما يومانِ، بساحل اليمن». فميفَع: قريةٌ على الساحل، وميفعة: بلدة بين ميفَع وأحْوَر، إلا أنها ليست على الساحل، بل بينهما مرحلة. وكان في القديم من أملاك كندة، وقد سبق ذكر غارة بن سدّة صاحب ميفَعة، ومن قتل من أصحاب بن دغار الكندي، ثم كان لآل عبد الواحد بها ملك، كما أنهم ملكوا بعض وادي حَجْر، ولكن أيديهم قصرت عنها بعدما ضعفت دولتهم.

[استيلاء القعيطي على ميفَع]

فلما كانت سنة ١٣١٤: استولى عليها السلطان غالب بن عوض بن عمر القعيطي عليها، وكان يلقب يومئذ بالجمْعِدار، وكان والده هو السلطان، أخذها شراءً من المشايخ آل مزاحم، ذرية الشيخ مزاحم باجابر صاحب بروم، وباحفيظ وبامَعبد. ونازعه على ذلك آل عبد الواحد، وتحاكموا إلى والي عدَن، وخرج آل عبد الواحد بلا شيء. **وفي سنة ١٣١٥**: أخرج لها عسكراً، وخيلاً، وأسلحةً، وعمالاً، وأهل حرثٍ، وبنوا بها الحصون والمصانع، ولكن حمَّى الصفرا، وحمّى/ الوَخم، كانت تنقِص من أعداد العسكر والعمال. [/ ٧٤]

[المشاريع التجارية لاستثمار خيراتها]

ولم يستفد السلطان منها شيئاً يذكر، وكان أهلها والمترددون إليها من العسكر يزرعون ويعملون بها الشبّ، من شجرٍ معروف هناك. يقطعونه أخضر، ويجعلونه

كالسّقف على حفرة عميقة يوقدون بها النار، فتسيل من الشجر مادة، تصير فيما بعد ذلك شبًّا. وكانوا يتاجرون به إلى عدن والمكلا، وكسب بعضُهم ثروةً ليست بالقليل، ثم فنيت وفنوا. وجرَتْ بعد ذلك مقاولات لعمارتها، منها ما كان على يد ذي الثروة والرياسة، والفطنة والكياسة، عبد الرحمن بن شيخ الكاف، السيد الشريف الحسيني. وكتب لذلك شروطاً حسنةً، وافق عليها السلطان، وكان يأمل أن يحمل على المشاركة فيها عدداً من تجار العرب في جاوة. وقد عرَض الأمر على بعضِهم، ولكنهم لم ينشطوا، لأنهم لم يتعوّدوا الدخول في مثل هذه المشاريع، واستقدم لها السلطان غالب، ولحَجْر، من مِصْر بعض العلماء الجيولوجيين، أي: العارفين بعلم الأرض والمعادن، وأقيم مشروعٌ آخر في سنة ١٣٤٢، لعمارة ميفعة وحجر.

وقيل: إن بعض أهل عدن قد تصدر في ذلك، ولكن لم تنتج تلك الحركة عن شيء.

وبلغَنا: أن أطيان ميفَع قد قُدِّرت بخمسين ألف فدان، وأطيان أعلى الوادي، أي: الذي يطلق عليه وادي حَجْر، قُدّر بمئة ألف طن. ولكن يدخل في هذا: الأطيان المملوكة لأهلها، وهي أكثر ما فيه.

[وخم الوادي، ووباؤه]

وفي ميفعة مستنقعات، كثرَ من أجلها البعوض، وكانت العرب تقول: إنه عشّ الحمّى. وقد صدَّقَ قولهم أهلُ علم الطب الحديث، فإنه يوجد منه جنسٌ يتسبب عن قَرْصه الحمّى الصفراوية، ويقال لها: الملاريا، وهذه الحمّى منتشرة بميفَع، وبحَجْر، وبوادي ساه، وبعض الغِياض.

قال الحبيب علي بن حسن العطاس السيد الشريف:

حَجْـر وامْراهْ والغَيظَةْ وسَـاهْ أسـدَم السُّـوخ

أنـت تطلبْ بها الراحَةْ وهـي تطلُب الرُّوحْ!

وقد قلَّ سكان ميفع لوَبانها ووخمها، ولا يصبر عليها إلا الصبيان، وهم من الجنس الأسود من الزنوج، تناسلوا بها من زمنٍ قديم، ومع ذلك فأكثرهم به داءُ الطُّحَال، وبطونهم كبيرة، وأوجُههم مترهّلة، وفي مِشْيتهم كسلٌ وتثاقل، وقد ترى فيهم الأجلادَ الأشداء. وأما العسكر الذين أرسلهم السلطان القعيطي: فالذين بقُوا بها قرَضتهم الحمّى حتى فنُوا.

والبوادي المحيطة بميفَع وحَجْر، يتجنبون النزول بها، فإذا جاء إبّان الخريف خرجُوا، فمكثوا هناك إلى أن يجدوه، ويحملوه إلى بلادهم، ثم لا يعود إليها أحدٌ منهم، إلا لمهمٍّ، كالنظر إلى غرْسٍ، أو حرثٍ، أو الحصول على الحبوبِ مما يزرعه بها الصّبيان. ومع ذلك فيرجعُ كثير منهم مصاباً بالحمّى، وهي أنواع: حمّى الغِبّ، وحمى الثلُث، وحمى الربُع، وحمى المليلَة، وهي سخونةٌ لا تزايل البدن.

كلام الحارث بن كِلْدَة في الوَخَم

قال ياقوت في «المعجم»: «وفي الحديث: شكا قومٌ من أهل حِضْوة[1] إلى عمر ابن الخطاب، رضي الله عنه، وباء أرضهم. قال: لو تركتمُوها. فقالوا: معاشُنا ومعاشُ إبلِنا، ووطننا. فقال عمر للحارث بن كلدة: ما عندك في هذا؟. فقال الحارث: البلادُ الوبئةُ ذات الأدغال والبعوض، وهو عش الوباء، ولكن ليخرج أهلُها إلى ما يقاربها من الأرض العَذْبة، إلى تربيع النجم، وليأكلوا البصل والكرّاث، ويباكروا السَّمْن العربي فليشربُوه، وليُمْسِكوا الطيب، ولا يمشوا حفاةً، ولا يناموا بالنهار، فإني أرجو أن يسلموا. فأمرَهم عمر بذلك.

---

(١) حِضْوَة: بالكسر ثم السكون وفتح الواو وهاء، يقال: حضَوتُ النار حِضوةً، إذا أسعرتُها، وهو موضع قرب المدينة، قيل: على ثلاث مراحل من المدينة، وكان اسمها عَفْوة، فسماها النبي ﷺ حِضوة. «معجم البلدان»: (٢: ٢٧٢). (مصحح).

أقول: رضي الله عنه، فإنه سأل في هذا الأمر أهلَه، وهو الطبيب، وأمر باتباع نصيحتِه، وبهذا تعرف أن العربَ هم أول من اكتشفَ أن البعوضَ عشُّ الوباءِ، قبل الإفرنج. وأن الأرض الوبيَّة قد يدخل في البدن منها أشياءُ تورِثُ المرض، وأطباء هذا العصر يقولون: إنه قد يخرج في بعض الأرَضِين النديةِ جراثيمُ أمراضٍ، تصيب من يمشي حافياً، والأرض العَذْبة ضد الوبيَّة.

اكتشافُ الدورة الدموية

نظيرَ اكتشاف العرب لكون البعوض عش الوباء، ما ذكره الإمام الشافعي عن الدورة الدموية، فإما أن يكون هو/ مكتشفَ ذلك، أو يكون ذلك من علوم العرب [/ ٧٥] من قبله. وأهل العصر، يقولون: إن أول من اكتشف الدورة الدموية، هو رجلٌ من الإفرنج، ذكروا اسمه ولا يحضُر لي الآن[1]. وقد ذكر الإمام الشافعي ذلكَ، في أثناء الكلام على حكم الصيد، وما أكل منه الكلبُ: هل ينجسُ أم لا؟. وعبارته من نسخة «الأم» المطبوعة، من الجزء الثاني، (والصفحة ١٩٢)، وفيه: «أن متأولاً لو ذهبَ، فقال: إن الكلبَ إذا كان نجساً فأكل من شيء رطبٍ، قد يمكن أن يجري بعضُه في بعضِه، نجسَّه. ولكن لا يجوزُ أن يقول: حتى يكون آكلاً، والحياة فيه، والدم بالروح يدورُ فيه. فأما إذا كان بعد الموت فلا يدور فيه دم». اهـ.

وادي حَجْر وأهله وعوائدُهم

حَجْر كانت تسمى حَجْر حمير، وهناك حَجْر رُعَين، وهي غير وبيئةٍ، بخلاف هذه. ومن كتاب «النسبة إلى المواضع والبلدان»، للشيخ الفقيه العلامة، أبي محمد، الطيب بن عبد الله بن أحمد بامخرمة السيباني [ص ٢١٢]: «**الحجْري**: بالفتح وسكون

---

(١) هو طبيب إنجليزي اسمه ويليام هارفي (William Harvey) (ت ١٠٣٧هـ/ ١٦٥٧م).

الجيم، نسبةً إلى حَجْر، قال القاضي مسعود: «هذا الاسم مشتركٌ بين موضعين، أحدهما: حَجْر علوان، وهو وادٍ باليمن، وفيه قرى وحصون، وهي طيبة الماء والهواء، والتراب. والثانية: حَجْر بن دغّار، بفتح الدال المهملة والغين المعجَمة المشددة ثم ألف ثم راء، الكِنْدي، وهو كثير المياه والنخيل، وادٍ له غيالٌ لا تنقطع، وهي وخيمة جداً، بضد الأولى». انتهى.

[من أعلام وادي حَجْر]

ومن هذه: مختار الحَجْري، روى عنه صالح بن أبي عريب الحضرمي، ومعاوية بن نهيك الحجري، روى عنه نعيم الرعيني، وهما من حَجْر حمير، هكذا ذكره ابن الأثير وغيره، واستدرك غيرُه عليه، وجعلهما من حجر رُعَين. ثم سميت حَجْر وَهبٍ، نسبت إلى وهب، وهو أبُ حُجْر (بضم فسكون) بن وهب بن ربيعة بن معاوية الأكرمين، **منهم**: جبلة بن أبي كريب بن قيس بن حجر بن وهب الحجْري، صحابي، وفدَ على النبي ﷺ. **ومنهم**: الأجلح الكندي، وهو يحيى بن عبد الله بن معاوية بن حسان الفقيه. **ومنهم**: عمرو بن أبي قرَّة الحجْري، قاضي الكوفة. وذكر الخزْرَجي في «تاريخه» [«العقود اللؤلؤية»: ١/ ١٣٤] **منهم**: الباقر بن محمد بن مفضل الوهبي، صاحب حصن بَراش باليمن، والفقيه الفاضل، عثمان بن عبد الله بن أبي بكر ابن علي الوَهْبي، ثم الكندي، توفي سنة ٧٠٣، وخلفَه: ابنه محمد، وتوفي بعد أبيه في رجب من السنة المذكورة.

[شيء من تاريخ وادي حَجْر القديم]

ثم سميت حَجْر الحصين، وحجر ابن دغّار من كندة، ثم ضعفَت سطوتهم، وكان منهم أمير ببلد الرشيد على دوعن، ثم قاموا عليه وأزالوه عن إمارته، فخرج إلى

حضرموت مستصرخاً سلطان تريم، أحمد بن يماني بن مسعود الضَّنِّي عليهم، فسار معه بالعسكر، فلم يظفروا بشيء وكان ذلك سنة ٧٦٢.

وفي شهر المحرم سنة ٩٤١ استقل بولايتها الأشمُوس، بموالاة من الشيخ عثمان بن أحمد بن محمد العمودي، والي بُضَة. والأشمُوس هؤلاء: من حمير، من البابَحَر. وقد ذكر صاحب «القول الأغر في مناقب المشايخ آل محمد بن عمر»، وهو مؤرخ حبّان، الذي نقلنا عنه سابقاً: «أن آل إسحق بن الشُّمُوس كانت لهم الصولة والدولة في يشبم، قتلهم سلطان العوالق، صلاح بن باقب، سنة ٩٥٩، فضعُفوا وتمسكنوا، قال الراعي:

وأنا الذي سَمِعتْ مصَانعُ مأربِ　　　وقرَى الشّمُوسِ وأهلهنَّ هَديري

ثم تداولتها أيدي القبائل، لكل منهم ناحية، مثل: قبائل نوَّح، والديِّن، وآل بابحَر، وهؤلاء أشدّهم إفساداً في حَجْر، وظلماً لأهلها. وقد يمنعونهم عن الزراعة والغرْس، ويستولون على زرعهم عند حصاده، أو يطالبونهم بما لا يقدرون عليه، ومنهم، من غيرهم، مُرْبون، يستغرقون بزوائده أكثرَ ما يكتسبونه.

[سكان وادي حجر]

ويسمّى أهلها الأصليون بالحجُور، وهم يقسّمون إلى قسمين:

(١) بنو حسن: وهؤلاء لهم تقاسيم وخلقةٌ حسنة، وسوادهم أخفّ، والمتأمل فيهم يقطع بأن لعلهم من الحبَشة. ولعلهم من بقايا الأحباش الذين ملكوا اليمن، هربوا إليها بعدما أرهفَ الحدَّ عليهم ذو يزن، ثم المرزبان، وَهْرز الفارسي، ففيهم سِحْنة الحبَش وخلقتهم.

(٢) الصبيان: وهؤلاء لا يشك الناظر إليهم أن أصلهم من الزنوج، ولعلهم

من بقايا عبيد الدولة الكندية، وغيرها من الدول، التي تقوم وتسقط في حضرموت، ومنهم الصبيان/ الموجودون في الغياض المتعددة. وذكر جدِّي، رحمه الله تعالى، [٧٦] في كتابه «بريق المشَارق»، في القرى التي بوادي السَّيلة، قريباً من سيحُوت: «أن سكانها من العبيد الذين كانوا لملوك الشحر السابقين». وكان للسلطان ابن يماني ابن مسعود، سلطان تريم، عدد جَمّ، ومنهم بقايا في تريم والشحر وغيرها. وقد قتل السلطان بدر منهم خمسمئة صبراً، بعدَ أن حصرهم، حتى جاعوا وضعفوا عن القتال، وهذه من جملة الأعمال الفظيعة التي أنكرَتْ عليه، وقد عدّدها الفقيه الحبَّاني في «قصيدته» التي ردَّ بها على الفقيه عبد الله بن عمر بامخرمة.

وآل باحسَن هؤلاء، يرون أنفسَهم أشرفَ من الصبيان، وهم بمنزلة الموالي، فهم لا يزوِّجونهم، ويقولون: نحن من ذرية السَّمَيْفَع. وإذا اشتد أذى البابحَر، أو غيرهم من القبائل، عليهم، قد يهاجرون عن البلاد، ويتركونها خاليةً خاوية على عروشها، ولذلك لم تستقر بحَجْر عمارةٌ، ولم يثبت بها أمن، إلا بعد ما ملكها السلطان القعَيطي.

[أرض الغُول بحَجْر]

وكان للسلاطين آل عبد الواحد بها ملكٌ، بالأرض المسماة الغُول، وهي موضعٌ بين الصدارة وعين الحدّاد، بالجانب الشمالي للمصْعِد في الوادي، بلِحْفِ الجبل، وهي من أعظم المزارع، وأحسنها طيناً، وأرفعها عن مجرى السيل. ولما قدموا إلى قيدون، على شيخنا الإمام بن الإمام، والعلم الذي فاق الأعلام، من عَلا بمظهره على المظاهر، وأخرس بمَفْخره كل مُفاخر، الحبيب محمد بن طاهر بن عمر بن أبي بكر الحداد، السيد الشريف العلوي الحسيني، جاءوا بسِجلّات أملاكهم، وقد رأيتها، فإذا محرّرُها أحدُ قضاةِ جهتهم، بخط حسَنٍ، ورسمٍ محكم، ونسج رَصيفٍ،

إلا أنه لا يحضرني الآن اسمُ محررها، ولعلي أذكره فيما سيأتي. وهي الآن من أملاك ورثة الحبيب محمدٍ، وأناسٍ من آل بُحَيث النعماني. وللبوادي من آل بارشيد والديْن أملاكٌ ونخل بها، بل لعدد من أهل دوعن من سادة وحضر، ولأهل كنينة وغيرها مما قرُب منها، وفي نخلها ما هو موقوف على بعض المساجد، ومن الأوقاف المندرس. ولا توجد بها قرى كبيرة، ولا مساجد، وأكبر قراها: جول باحِيْوة، والصدارة، بهما مسجدان صغيران.

وأما سكانها فيكتفون بأقل مسكنٍ، والذين يهربون منها من ظلم القبائل، قد يعودون لأيام الخريف، فيجعل أحدهم لنفسِه وأهله عريشاً على هيئةٍ غريبة محكمة، يسمونه قُمْقماً، فإذا انقضت أيام الخريف أشعل فيه النار.

والنخل الموجُود على حافة الوادي المرتفعة عن مجرى الماء، ولا يمكنهم أن يغرسوا في المواطن المتسعة من بطن الوادي، لأن السيول تجرفه، وقد رأيتُ مرةً حديقةَ نخلٍ قريبةَ العهد، لم أر مثلها حسناً وقوةً، ولا أطولَ سعفاً، ولا أبهج خضرةً، وكان صاحبها قد غرسها في موضعٍ من الأماكن المنخفضة، إلا أنه بعيدٌ عن تيار السيل، في منعطف عنه، ولكن بلغني أن السيلَ أخذها بعدما نهضتْ وأثمرتْ!. والنخل بوادي حَجْر إذا غرس يثمِر على سنتين، وفي غيرها على خمسِ سنين وأقلَّ وأكثر.

[طعام سكان وادي حجْر]

ومن أخلاق سكانها الأصليين، أعني الباحْسَن والصبيان: عدم الاقتصاد، فإنهم يُفنون ما تحصلوا عليه من التمر والحبوب في مدة قريبةٍ، ثم يجوعون فيضطرون إلى الأخذ بالرِّبا الذي دمرهم. ولو جيء إلى هذا الوادي بأنواع السِّلَق لنفعهم، بل ولنفع أهل الجبال التي حولهم، والبوادي كلها، نفعاً عظيماً، ولكان لهم غذاءً ومرجعاً عندما تفنى حبوبهم. ونعني بالسّلق: ما يسمى في بلاد جاوة والملايو (أوبي)، وهو أنواع

عديدة، أحسنها لمثل حَجْر: (أوبي كَايو)، أي: جزر الحطب، فإنه يعمل منه الخبز والحلوى، ويؤكل مشوياً مطبوخاً، وطعمه أشبه شيء بطعم خبز الذرة.

وأكثر ما يزرعون في حجْر: المسَيبْلي، والطَّهَف، ولهم في صنع خبزه إتقانٌ، ويكبّرون أرغفتهم، ويجعلون حافّة دائرتها غليظةً مرتفعة. ويستعملون زيت السمسم (الجلْجِل)، مما يزرعونه عندهم، فيكون له زيتٌ عذب حلو، وعندهم أشجار الصّار، ونوع آخر يشبه صغار النخل، يستخرجون الشرابَ، الذي سماه صاحب «القاموس»: الأطواق. وهذا الاسم معرّبٌ عن اسمه بلغة الملايو، وهو شديد الحلاوة غير مسكرٍ في وقت الصبح، إذا كان من ليلِه، فإذا هجَّر النهار حمُضَ، وأرغى، وأزبد، وأسكر سكراً شديداً، وقد بلغني: أنّ أراذلهم يسكَرون ويتحرَّون/ المسكرَ منه. [/ ٧٧]

ويصنعون من الطّهَف، وكذا المسيبلي، عصيدةً بمحلول التمر، وقد يثرُدون خبز الطهَف، ويجعلون منه شيئاً من التمر الممروس، وذلك عندهم من خير مأكلهم.

[الرقص والغناء عندهم]

وهم موصوفون بالكسل، ولكنهم مولَعُون بالشَّرْح. ومعناه: أن يجتمعوا رجالاً ونساءً، فيغنون ويرقصون، ويدورون على توقيعِ الطبل، ولا يكـادون يـمَلّونه، مما يدلك على أن في عرُوقهم دماءُ زنجيةٌ، وقد يمضُونَ أغلب الليل في ذلك. وكثير ممن يقال لهم الصبيان في بلدان حضرموت، توجد فيهم هذه الطبيعة، فتدلك على أصلهم.

ولهم نوعٌ آخر من الغناء، على ما يسمونه: الحضَّة، بفتح فتشديد، أو الحضْبَة، بفتح فسكون ففتح، ولهم بها ولعٌ وضراوة، ولا يكادون يملونه. وصفته: أن يجعلوا سريراً من السّعَف والشجر، يمهدونه، ويجعلون في جانبيه خشبتينِ، يحملونه بهما كما تحمل الجنازة، وينيّمونَ أحد شيوخهم الطاعنين في السن، ويتداولون حمله

أربعةً بعد أربعة، مع الرقص، والتوقيع بأرجلهم، ورفع أصواتهم بالشعر الذي يأتي به شاعرُهم. وأشعارهم رصينة، وأصوات غنائهم محبوبة عند أهل الوديان، كلما انتخبوا صوتاً جديداً شاع بينهم، حتى أن بعض الأغبياء يقول: أنهم يسمعون هذه الأصوات من الجن في شِعابهم! فيتعلمون منهم. وأكثر ما يستعملون هذه الحضْبَة عند هِجْرتهم من وادي حَجْر، فإنهم قد هاجرُوا مراتٍ من أذى البوادي، ثم يعودون، ومنهم من سكن ببلدانٍ أخرى، كأبْين ولحج، وغيرها.

ولهم غير ما ذكرنا: بعضُ عاداتٍ، لا أستحسن ذكرها.

[السادة في وادي حجر]

[١ـ آل العطاس] وذكر في «الشجرة العلوية»: «أن بحَجْر ذريةَ سالم بن عمر بن محمد بن علي بن محسن بن الحسين بن الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس». ثم قال: «إن بحصن باقَرْوان: ذرية سالم بن عمر بن علي بن محسن بن الحسين، إلى آخر النسب.

[٢ـ آل الجفري] وبها من آل الجفري: آل الرَّداعي، من ذرية عبد الرحمن، المتوفّى بحَجْر، بن سالم بن عبد الرحمن بن أحمد الرَّداعي المتوفّى بحَجْر سنة ١١٢٣، بن عبد الله، المتوفّى برَداع، بن علي المتوفّى بسيون، بن محمد بن عبد الله التريسي، بن علوي الخوَّاص بن أبي بكر جَفْر الجفري، إلى آخر النسب المعروف، ولا يزال يوجد من هؤلاء بيتٌ في جَول باحيْوَه، وقد أعقب عبد الرحمن بن سالم المذكور من أبنائه: سالم، وعلي.

وذكر في «الشجرة»: أن بحَجْر من آل الجفري ذريةَ عبد الله المثنَّى بن عبد الله ابن عبد الرحمن بن أحمد المثنّى بن أحمد بن علوي بن إبراهيم بن عمر، الجفري، ابن أبي بكر جَفْر، الجفري.

[٣ـ آل الكاف] وذكر في «الشجرة»: أن بها من آل الكاف عقباً قليلاً، لزين ابن حسن بن علوي بن عبد الله، المتوفى بالخريبة سنة ١٠٧٤، بن علوي بن أحمد، المتوفى سنة ١٠٢٢، بن محمد الكاف. ولم نسمع بأحد من آل الكاف بحَجْر، فلعلهم انقرَضُوا، أو نقلوا إلى بعض الوديان الأخرى، والله أعلم.

[وَصفُ مواضع وقرَى وبلدات وادي حَجْر]

وصف مواضعه: في أسفل وادي ميفَع: الحسي، ثم السفال، وبجانبها أثر مجرى نهر حَجْر القديم، ثم الحيلة، ثم يأتي عن يمينك وأنت مصعِد: جبل ميداويم، ثم عريش باقرْوَا، ثم وادي ريمة، عن اليمين يصب فيه. وتفترق الطريق المسلوكة من الحيلة عن الوادي: فتعود شرقية، ثم تغرّب وتقطع وادي ريمة، ثم تمرّ بالمناحيز، ثم بالبَطْح، بفتح فسكون، وغربيّ هذا المحل: جبل بركاني، لا يعلم أهو قديم قد انطفأ، أو متهيءٌ للثوران؟. ثم وادي سُقَيفة، بضم ففتح، ثم حزَنٌ يسمى القُزَير، بضم فسكون، ثم وادي كِلِّية، بكسر فتشديد اللام فكسر الياء، ثم نيفَع.

وهنا تنحرف الطريق، فتجزَع مجرى الوادي عرضاً، وتعود إلى الناحية الغربية، فتقطع شعاباً، وتمر بجانب وادي العروس، وهنا عين الحِلَيفةْ، بكسر ففتح فسكون بكسر فسكون، ثم تنحرف غربيةً جنوبية، وهنا تأتي عقبة حُوتِةْ، التي كانت بها الواقعة المشهورة سنة ١٣١٧، وسيأتي ذكرها، ويكون بالشمال: جبل بِلَّوْم، بكسر فتشديد فسكون، ارتفاعه: ١٢٠.

***

[الطريق بعد عقبة حُوتِه]

وبعد عقبة حُوتِه: يبلغ بعدُ الطريق عن مجرى الوادي إلى ناحية الغرب، نحو:

١٢ كيلومتراً، أي: نحو ستة أميال ونصفٍ، ثم تمر الطريق أثناء وادي العروس، ثم تأتي خبارة، ومنها تأتي طريق تذهب يميناً إلى الشرق، إلى جِزْول/ ، وهي من أهمّ [/٧٨] مواضع النخل والعمارة، والنهر يمر أثناءَها.

وهنا نخل بعض قبائل نوَّح، مثل: آل بارَجّاش، بفتح الراء وتشديد الجيم، وآل باقَقّاس، بفتح الفاء وتشديد القاف، والباقَرْوان. وهنا وادٍ صغير، يسمى وادي نُعْب، بضم فسكون، وبغربي الحريق: جبل نُعْب، وجبل حمراء، وارتفاعه: ١٠٢٠. وبين وادي نُعْب وقُنّة جبل نُعب: تمر الطريقُ التي سبقَ وصفها من حَجْر إلى وادي عُرار، إلى بالْحاف. وفي شرقي جزول بالنّجْد: بادبس، وباجهيم.

وهناك حرّة سوداء (الحرّة: بالتشديد، تطلق على الموضع الحزْن المكسوّ بحجارة سوداء)، يحتمل أن تكون من جبل نارٍ كان هناك. ثم تعود الطريق إلى الوادي بمَحل يسمّى: معبر، ثم يأتي عن شمال السائر: شعب نَقَح، بفتحتين، ثم قَنْتَب، بفتح فسكون ففتح، به عينٌ وعمارة، ثم العريش. وتعود الطريق إلى جانب الوادي الشرقي: فتطلع في عقَبة تسمى السُّفَيِّر، بضم ففتح فتشديد الياء المكسورة، وجبلٌ يقال له: جبل نعمان، حتى يجتمع الطريق والوادي ثانياً في محل العمارة.

فقد ظهر لكَ: أن الوادي بين ميفَع ووادي حَجْر ليس صالحاً للسير فيه، فكيف بالعمارة! لضيقِه، ووجود الهشُومِ فيه، (جمع هِشْم، بكسر فسكون، وهو ما تهشّم من المرتفعات فسقط أثناءه).

* * *

وفي محل العمارة: تأتي المضْنعة، وجَول باحيوة، وإليه يأتي نجل الشيخ العمودي، والي بضة، فيستلم ربُعَ العشور من التمر، وكان ذلك مستمراً، يورّدُ لزاوية

الشيخ سعيد بن عيسى العمودي، الولي الصالح المشهور. وهناك: حصن بن دغّار، والحصَين، بالتصغير، فيه: ديار المشايخ آل باراس، أهل المنصب بالخريبة، من ذرية الشيخ المعتقَد، علي بن عبد الله باراس الظَّفَري (بفتح الظاء والفاء) السيباني، وهو أحد تلاميذ الحبيب العارف بالله، عمر بن عبد الرحمن العطاس، الولي الصالح الشهير، ذي الذرية المنتشرة في حضرموت وجاوة.

[الديار وسكانها في جانبي الوادي]

وفي الجانب الغربي، تأتي: حصن المصَيْنِعِة، ثم مجزعة نصيب، ثم حصن بلْحُلوق (جمع حَلق)، ثم سر. ثم يأتي من ناحية الشرق: وادي مَزْرَب، بفتح فسكون ففتح، وبأعلاه موضعٌ يقال له: العقيق، وحَيْد مضَبْضب. ووادي مزْرَب هذا، يفيضُ من كنينة. ولكنينة أودية، أشهرها: مرمحة، ومعدن.

ثم يأتي من الشرق أيضاً: شعب الصفرا، من جبل مُلح، بضم الميم وسكون اللام، وعند مخرجه: العقيمة، وهي للبارْشِيد، بيت المقدَّم وغيره. وبعده: مصنعَة بالِماع، بكسراللام، ومن الغرب: قُنَيِّنة، بضم ففتح فتشديد الياء المكسورة، ثم دُقم باحسن، يقابله من الشرق: الحوطة، وهي على مرتفع يحيط به الشعاب والمياه والنخل، والصباحي، وعريش باقشَيْم، بفتح الشين وسكون الياء، ثم العَصْلة، وهذه المواضع للمشايخ والديِّن أهل الرَّيْدة.

ويأتي من الغرب: قَعَر، بفتحتين، فعين بجمه، وبعباع، فالسَّنَد، بفتحتين، فثَلَة، بفتحتين، فمتبّة، بتشديد الباء، فحصن باسليمان.

ويأتي من الشرق: الغَول، وهو للسادة آل الحداد، وآل بحَيْث، ثم الدّارة: وبها المشايخ آل عبد المانع، وفيها عين حارّة، قريب من المسجد، وهي على قُفّ حجَري.

ويأتي من الشرق: وادي حس، ووادي شَرَط، بفتحتين. ثم ينعطفُ مجرى النهر إلى الغرب، في واد يصعدُ فيه إلى جبال البابحَر، ثم تمتد الطريق في مضايق الوادي، وتطلع في ثنية المنتاق، وبه نخل صار، وفي المضايق أشجار عالية، يسمونها الغلوب، من التبغ وغيره، وتوجد في مواضع من الوادي.

ثم يأتي وادي السِّيَل، بكسر ففتح، يصب في وادي حجر، وهو مجتمع أودية وشعاب عديدة ثم بعد السِّيَل ترتقي الطريق في حدابير جبال، ثم في جبالٍ وعقاب وسهُوبٍ، ثم تقطع جول الصبرات، فمن غدا بكرةً من الصّدارة، بات بالجول، أعلى الجبل، بنِقْبة المفرَق، بفتح فسكون ففتح، ولا طريق في وادي السِّيَل، لصعوبة السير فيه. وفيه علوب (شجر السدر)، وإذا جاء السيل فيه، بقي ماء الغدران عذباً برهةً، ثم بعد ثلاث ساعاتٍ أو أربع، يتحلل فيه من التراب أجزاءُ ملحية، وأجزاء مرّة، فيستحيل مرًّا زعاقاً، لا يشرب.

[مرور المؤلف بالوادي ووصف جبال الملح]

سرحنا من الصدارة آخر الليل، مع قافلة، وكنت مع رفقةٍ من المشايخ آل الشيخ عمر بن عبد القادر العمودي، منهم المرحوم الشيخ عمر بن حسين. فلما وصلَت القافلة إلى أول السِّيَل، الساعة الثامنة صباحاً، أناخت جمالها، ووضعت أحمالها، فسألتُ رفاقي: هل بهذا المحل ماء؟ قالوا: لا، قلت: ومتى نصل إليه؟ قالوا: لا وصولَ إليه إلا بعد العشاء، قلتُ لهم: ولأي/ شيءٍ نحطّ بمحل لا ماء به، فلن أنزل به!. وسرتُ أمامهم، وسار معي بعضُهم، ولحق الباقون بالدواب والأثقال، وطلعنا حَدْبوراً مصعدين فيه، بين وادٍ عن اليمين، وشعب عن اليسار، ثم سمعنا صوتاً كأنه صوت ضفدع، فتمارينا فيه برهةً ونحن نمشي، فلم نلبث أن بان لنا، ونظرنا، فإذا الوادي كله غدير واحد، فنزلنا سراعاً، وكان ذلك نهاية سيل [/٧٩]

وصلَ ذلك الحين من أعلى، فظلَلْنا بخير مقيلٍ، تحت أشجار السدر الكبيرة الكثيفة، وما زلنا نغتسلُ في تلك الغدران.

فلما كان قريباً من الساعة الثالثة بعد الظهر، ذقتُه، فإذا هو قد صار مُرًّا زُعَاقاً!. فسألت الرفقةَ، فقالوا: إن هذا الوادي تسيلُ إليه جبال الملح.

وقد مررتُ بهذه الجبال، فرأيت الملحَ ينمو في حجَرٍ أسود صلدٍ، كأنه حجَر المرُو، وإنما يكسر الملح بالمعْوَل (قطعة من حديدٍ في وسطها ثقب، يوضع فيه هراوة، ثم يضرب به الحجارة)، وبالغراب (هو كهيئة القَدُوم، إلا أن له كالمنقار المستطيل، ينقر به الحجارة). وإذا أخذوا ما نما من الملح، خلف بعده غيرُه، ولا سيما إذا أصابته المطَر. وإذا سقطَ عليه الندى بالليل، سُمع له نقيضٌ وفرقعةٌ شديدة. وأكثر ما يجلب الملح إلى أودية دوعَن، وما والاها من هذه الجبال، ويقال له: ملح يبْعِث، وأما ملح شَبْوة فيذهب إلى اليمن، والكَسْر، وما سفل عنه من حضرموت. وإذا بكَّرتَ من نقبِة المفرَق، وصلت إلى يبعِثْ وقد تعالى النهار. فهذا أخصبُ وادٍ في حضرموت، أفسده الخصْبُ، فصار أقلَّها قرًى وسكاناً، وأضعفها زراعةً وعمراناً، وأوبأها هواءً ومكاناً.

ذكرُ ملكِ السلطان القعَيْطي لها

بعد أن تمَّ للسلطان عوض بن عمر القعيطي ملكُ البندرين: الشحرَ والمكلا، وملْكَ شبام في سُرَّة وادي حضرموت، رجع إلى الهند على وظيفته هناك، وترك في الشحر: أخاه الجمْعِدار عبد الله بن عمر، وفي القطن: الجمْعِدار صلاح بن الأمير محمد بن الجمعدار عمر. وبعد أن توفي أخوه، خلفه ابناه: حسين، ومنصَر. ثم بعد سنين، أرسل ابنه السلطان غالب، فمكث في المكلّا، وتردَّد إلى الشحر، ولم

يعامله ابنَا عمّه كما ينبغي أن يعامل مثلُهم من كان بمحلّه من المنزلة في الدولة، والمعرفة بإدارة الملك، بل استبدّوا بما تحت أيديهم، استبداداً كاد أن يكون إنكاراً لحقّ السلطان عوض، أبِ المملكة ومنشيها.

وجرت بينهم أمور صغيرة زادها التكرار تأثيراً، فكان ذلك كله مما حملَ السلطان عوض على التردّد إلى بندر المكلا، ليتعاهد مملكتَه التي فارقها زمناً طويلاً، وفي تردّده هذا أجرى أموراً، ورتب أحوالاً، لم تكن معهودةً من قبل. ووقعَتْ بينه وبين تجار البندر مراجعاتٌ، وقد أذن لهم مرةً، فطلعوا إلى الحصن وتحادثوا معه حديثاً طويلاً، وفيه نكَتٌ يحسن أن تكتبَ وتخلّد، لولا أن كتابنا مبنيٌّ على الاختصارِ، لكثرة فروع الموضوع الذي ألفناه من أجله.

وخلاصة ما يستفاد منها: أن ذلك السلطان الحريص على هيبة السلطنة، والتخلق بأخلاق الرجل المحراب المقدام، كانَ واسع النظر، حليماً عن الرعية، يغضب مع حلمٍ، ويشتد في غير عسف.

ولكني أذكرُ شيئاً واحداً يدل على ما وراءَه: جرت العادة أنه إذا دالت دولة قديمةٌ، بقيام دولة جديدة في قطر، فإنه يبقى من أهلِه عدد غير قليلٍ معتقدين محبةَ الدولة الذاهبة، متمسكين بالولاءِ لها. وهكذا كان في المكلا؛ فقد كان من أهلها من ألِفَ أيام الجمعِدار الكسادي، وكظموا على كراهةٍ يضمرونها لدولة القعيطي، ومنهم من يتفوّه بما يضمِر، وتبدر منه كلماتٌ. وكان يبلغ السلطان عوضَ منها ما يبلغه، فكان يعرض عن ذلك ولا يتتبعه. سمعتُ من المرحوم حسين بن حامد بن أحمد المحضار، السيد الشريف العلوي الحسيني، وزير السلطان عمر من بعده، قال: كان رجلٌ من هؤلاء أعمَى، يجيء كل يومٍ وقتَ بروز السلطان إلى مجلسِه، ويصيح بصوته مراراً، قائلاً:

بعض الأسَامي تلْحَق الّا بالمرَضْ   دَخْمان في السّادَةْ وفي الدّولة عوَضْ

يعرِّض بالسلطان، قال: فما رأينا السلطانَ اهتبل بذلك، ولا رفع له رأساً، ولا أمر في ذلك الرجلِ بشيءٍ، هذا معنًى/ ما قاله، وقد عبرت عنه بالفصحَى. [/ ٨٠]

[توسع الدولة القعيطية]

ثم لما كانت سنة ١٣١٤: استولى السلطان غالب على ميفَع. وفي سنة ١٣١٦: استولى على وادي دَوعن. ولما جاء السلطان عوض، فكَّر في أخذ حَجْر، وعمل لذلك أعمالاً، من مراودة القبائل المقاومة من نوَّح، فلم يجدِ ذلك شيئاً، فعزم على أخذها بالقوة، فأعدَّ للأمر عُدّته، وبالغ في الاستعداد والنفقة، وتعنّت العسكر في المطالب، فأعطاهم مطالبهم، وجهز السفن مشحونةً بأنواع العتادِ، غير ما حملته القوافل، وسار الجيش في طريقه إلى حجر.

[وَقْعة حُوتِه، ١٣١٧هـ]

فلما وصل عقَبة حوته، التي مرّ ذكرُها، وكان البدو قد تحصّنوا بأعلاها، وعلم الجيش بذلك، فحصَل تواكل من الرؤساء، وتأخر بعض الجيش، ولم ينهض للحرب إلا قليل منهم، خافوا العار، على غير ما يقتضيه الحالُ من التثبت والمطاولة، حتى يطول الانتظار على البدو، ويضرّ بهم المقام على غير ماء ولا زاد. ولما قتل بعض المهاجمين، تخاذل بقية الجيش وهربوا، وتركوا بعض الأزواد مع البدو، لم يجسُروا على اتّباعهم. وقد اختلف الناسُ في عدد القتلى، والأكثر أنهم نحو الستين، وكان ذلك سنة ١٣١٧. وبلغت أخبار الهزيمة إلى المكلا، وتحدثَ الناس، وما جسر أحدٌ على إبلاغها للسلطان عوض إلا بعد مدة، وكان السلطان غالب بميفَع، فغضب السلطان غضباً شديداً، واشتد على رؤساء العسكر وبعض أفرادهم، وطرد منهم عدداً، ولم يلبث أن رجعَ إلى الهند، على صورة المعرِض عن معاودة حربها، ولكن

السلطان غالب، ووزيره الحبيبَ حسين، لم ييأسَا من الاستيلاء عليها، فكان السلطان غالب يذهب إلى ميفَع، ويلبَث هناكَ يجري أعمالاً مختلفةً، من تقريب وترغيب، وإرهاب ووعيد، وأثار وجودُه هناك وساوسَ البدو، وأزعجهم الإرجافُ بالهجوم، فكانوا يجتمعون للدفاع ثم يعودون إذا رأوا كذبَ الخبر، وتوالت الإرجافات.

[تمام الصلح مع قبائل حجر سنة ١٣٢٩هـ]

وشقّت عليهم المطاولة، وقطعتهم عن رَعْي أغنامهم، والمحافظة على صرومهم وإبلهم، وحاجاتهم الخاصة، وضاقوا ذرعاً، ورغبوا في الصلح ورجَوه، فتوسط في ذلك السادة آل العطاس، وبعد أن مهدوا لذلك بمكاتبةٍ للسلطان غالب، طلع شيخُنا ومن معه من كبار آل العطاس، وكاتبوا بَوادي نوَّح، فأقبلوا في عددٍ منهم في المكلا، وتم الصلح على سلامةِ أنفسهم وأموالهم ومنازلهم، وكان ذلك سنة ١٣٢٩. وكان السلطان غالب، ووزيره، يكتبان للسلطان عوض بحرَكتهما في شأن حَجْر، فكان يستبعد نجاحَ ما يعملون، لما جرى على يدِه من تجربة الحرب السابقة.

الطرقُ إلى حَجْر
وجِبال سَيْبان الشّرقية الجنوبية

حَجْر يمر بعضها بالساحل تحت الجبال، التي يكون بها العكَابِرة، وآل بني حسن، والحامديين، والمحُمُّديين، وهي بالنسبة إلى حَجر: شرقية جنوبية، وإلى المكلا وما والاه: غربية جنوبية، وبالنسبة إلى تريم: جنوبية تميل إلى الغرب. وهي من طول: ٣٩ درجةً شرقاً، إلى طول ١٥ – ٤٨، أي: ثمان وأربعون درجةً، و١٥ دقيقةً. فنَصِفُ الطرقَ مع ذكر الجبال والأودية، وسكانها من القبائل.

وأما عرض هذه الجبال فمن عرض ١٥ ــ ١٤ أي أربع عشرة درجة وخمس عشر دقيقة إلى عرض ١٥ درجة باستثناء بعض انحرافات لتداخل حدود المواضع، وتقدّم بعضِها إلى سمت الآخر، أو نكوصِه عنها.

[صفة الطريق البحرية من مرسى الرَّجَيمة]

أما الطرق فقد سبق ذكر بعضها؛ ومنها: طريق البحر، ترسو السفن بمرسى الرجيمة، قريباً من رأس الرجيمة، وهو واقع على طول: ٤٥-٤٨، أي: ثمان وأربعون درجةً، وخمس وأربعون دقيقةً، وهذا الخط يمر على جبل الغبر، الذي يسيل منه وادي الغبر إلى الجنوب، وسيأتي. ثم على بلاد المحُمَّديين، ثم على قرية البحث، في حدود قبائل العكابرة وبني حسن، ثم على عقبة المحنية، وبين الجبال، ثم بالسَّهب (الجول)، بين حاجب البَقْرين وحُوَيرة، ثم بجانب عقبة الصُّوَيغرة الغربي، ثم على الأودية الشرقية التي تسيل إلى وادي بن علي، كوادي قمْرُوت، ودنا، وجول عقبة حَزْمِة، ووادي حنجير، ثم وادي الروضة، وخِلَيْو، ويَبْ، ثم على قِرَيْو، ودسية، والمخْتِزْقة، ومتوسط وادي جِعَيْمِة.

وأما عرض رأس الرجيمة، فهو: ٤٣-٧-١٤، أي: أربع عشرة درجةً من خط الاستواء، شمالًا، وسبع دقائق، واثنان وأربعون ثانية/ . [٨١/أ]

ومن مَرْسى الرجيمة تغرّب الطريق بمَيلٍ إلى الجنوب، حتى تلتقي قريباً مع الحيدلة، على الطريق العُليا الآتية من المكلا إليها برًّا، فالطريق تخرج من المكلا إلى الغرب، فتمر بالساحل إلى فُوَّهْ، فبين السقاية وعريش حلة، فبروم، فإذا أتت رأسَ برُوم: جاءت طريق بالساحل، وأخرى أعلى منهما، واجتمعتا عَن قريبٍ بظُلومَهْ، بضمتين، ثم تستمر على الساحل إلى مخرَج (منفر) ووادي سُمُق، بضمتين، وهو يسيل من جبال المحُمَّديين.

فتفترق من هنا طريقٌ تصعد معه إلى متوسّط وادي الغبر، معرجةً على غيضَتين به، وهما: البيضاء، والخضراء. ثم تنحدر وادي مُوَيْه، فتلتقي مع الجادّة ثانياً، وهنا رأس يسمّى رأس مُوَيَّه، بضم الميم وفتح الواو وتشديد الياء المكسورة، ومرسى مُوَيه بجانبه، ثم تستمر الجادّة على الساحل، وتفترق عنها طريق أعلى منها، منعرجةً، تجتمع معها تارةً، وتفترق عنها أخرى، حتى تصل إلى مرسى الرجيمة. أما الجادة فتذهب مغرّبةً إلى الحيلة.

* * *

صفة الطريق الجبلية من فُوّه إلى حَجْر:

وأما الطريق من فُوّة إلى حَجْر، التي تخترق جبال العكابرة وبني حسن، وتمر جنوبيّ جبال السّمُوح إلى وادي يُوَن، فكَنينة، حتى تنزل على وادي مَزْرب، المتقدم ذكره، بوادي حَجْر، فهذه صفتها:

تخرج من فُوّه مستقبلا للمغرب الأصل، حتى تصل إلى الـخُبَه، بضم ففتح، بها نخل وماء، ثم لِرْمي، بفتح اللام وسكون الراء وكسر الميم، به نخل وماء، ثم الخِرْبِة، بكسر الخاء والباء وسكون الراء، به نخل وماء. ويأتي عن يمينك جبلٌ اسمه سْمَك (اسمَكْ) مبارك، ثم عضد، وبها نخل وغيلٌ يخرج من جبل كأنه شلال، ثم يستمر الطريق مع تعريجٍ إلى ملتقى أودية اللِّجْمة، بكسر فسكون.

وأسفل: العُد، بضم العين. وكَلْبُوت، بفتح فسكون فضم.

وهنا تفترق طريقٌ تذهب إلى أُدُد، بفتح فضم، فكَلبُوت، فبَور، بفتح فسكون، فمخْنَب، وبها ماء وعمارة بدوية، وبجنوب وادي كلبوت: جبل عَسْقُون، بفتح فسكون فضم، ارتفاعه: ١٣٨٥. وهذه الجبال منخفضة عند الساحل، تتراوح بين ١٤٥ إلى ٥٩٠، ثم تعلو كلما ذهبتَ غرباً.

ثم تذهب الطريقُ مستمرة بوادي أسفل العُد، ووادي اللجمة، إلى البحث، وبه ماء، وهو للعكابرة من سَيبان. وهنا تنعرجُ الطريق في مثل القوس، حتى تنزل على أعلى وادي سَرَف، بفتحتين. وهذا الوادي تحت جبل لنْجَح (الأنجَح)، بكسر اللام وسكون النون وفتح الجيم، وهو يفضي إلى وادي الهُوتِه، بضم الباء وسكون الواو وكسر التاء، وهي للحامديين من سيبان.

وهنا جبلٌ جنوبيَّ الهوته، ارتفاعُه: ١١٦٠، يسمى: لحج البحث. وشمال جبل لِنْجَح: جبل الجوف، ارتفاعه ما بين: ١٧٩٠-١٨٥٠.

ثم تصل الطريق إلى وادي مَطُو، بفتح فضم، وتأتي سباسب وشعاب، والارتفاع فيها: ١٤٨٥-١٤٩٠، ويأتي عن اليسار إلى الجنوب: جبل كَسَيّ، بفتح الكاف والسين وتشديد الياء، وارتفاعه: ١٨٥٥-١٩٢٥. وتنحرفُ الطريق إلى الجنوب مارةً بوادي كسيّ، ويأتي شمالاً: جبل قُلَيلة، بضم ففتح فسكون، ارتفاعه: ١٥٣٠-١٦٦٠، ثم تعود مغرّبةً. ويبدأ الانحدار، حتى يصير الارتفاع: ١٠٧٠، حتى تمر بوادي يُوَن، وفيها حرث ونخل وقرى، وسيأتي ذكر سكانها. ويسيل إليها: واديها المسمّى باسمها، ووادي قِرْبة، بكسر فسكون، ووادي باعُضَه، بضم ففتح، ووادي غَرَق، بفتحتين، يأتيان من جهة الشمال، ويحاذّان مساقي وادي حُمَم.

ومن الشمال الغربي: وادي جِلْوَه، بكسر فسكون ففتح، ووادي الرُّوبة، بضم فسكون، فيمر بقرية الرُّوبة، بها حرث، ثم يسير إلى الشرق الجنوبي، فيصب فيه وادي صعر، يأتي من الغرب الجنوبي. ثم يستمر مسافة طويلة حتى يصل إلى يُوَن. وتتحد معها في يُوَن: الطريق التي تأتي من وادي دوعن: فمن الخريبة إلى لِبْنِه، بكسرٍ فسكون: يومٌ، وهي للبارْشَيد، من نوَّح، وفي بيتهم المقدَّم على جميع نوَّح، ثم نصف يوم من لِبْنة إلى رُوبة، وهي لآل باوَسيم، من نوَّح. ثم منها إلى مَهْرَوَة، بفتح

فسكون ففتحتين، نحو ساعتين، ومن مَهْرَوة إلى يُوَن: يوم، وهي لآل العمودي ومن ساكنهم. ثم مِنها إلى البحث: يوم، وهو للعكابرة، وقد سبق ذكره آنفاً.

[وادي المحُمُّديّين]

[/ ٨٢] ومن البحث إلى وادي المحُمُّديين، وهم آل محُمُّد، بضم الميم والحاء/ مفخّم، بن نوَّح، بفتح النون وتشديد الواو المفتوحة. وهم: آل باعوض، وآل باعَبْية، بفتح فسكون، وآل باجِدَيلي، بكسر ففتح فسكون، والشُّماسين، آل باشُماسة، بضم الشين، وبواديهم المكانُ الذي ولد به الشيخ الكبير، سعيد بن عيسى العمودي، ويسمى حِمْحار، بكسر فسكون.

ووادي المحُمُّديين به نخل ومرعى، وهم كالعكابرة، أهل ضرعٍ، وعندهم نخل وحرث قليلٍ، واعتمادهم على ما يتحصّلون عليه من كراء جمالهم، وما يجلبونه من أغنامهم. وأرض المحُمُّديين: واقعة في الجنوب الغربي لأرض بني حسن، وشرقي يُوَن، والطريق التي إليها من أرض العكابرة.

[وصف الجبال التي في تلك المنطقة]

وفي الجنوب الشرقيّ لأرض نوَّح، القريبين من حَجْر، من آل بافَقّاس، وآل بارَجّاش، وغيرهم، وجنوبي بلادهم: جبل عِصَلَة، بكسر ففتحتين، ارتفاعه: ٨٩٥- ٨٣٠، تسيل وديانه إلى البحر، وإلى غيضَتي: البيضاء والخضراء، السابق ذكرها. وبأسفله موضع يقال له: سَنْتُوت، بفتح فسكون فضم، وبينهم وبين أرضِ بني حسن: جبل الرَّيش بفتح فسكون، ارتفاعه: ٧٠٠. ثم شماليّه بغربٍ: جبل جُتَيش، بضم ففتح فسكون، وارتفاعه: ١٠٨٥ - ١٠٩٥ . وجبل جُوَيش، بضم ففتح فسكون، ارتفاعه: ١٣٤٥ - ١٦٩٥ . وهذه الجبال بها انفجار، إمّا من خروج نار خمدَت بعد ذلك، أو

هي متهيئة للانفجار وخروج النار منها. وفي الشمال الغربي: جبل بَرَكة، بفتحتين: ١٩٩٥- ٢١٨٥، وجنوبيّه: جبل الكَوْر: ١٦٩٥- ١٧٥٠. وجبل الدَّعْلِيَّه، بفتح فسكون فكسر اللام فتشديد الياء. وفي الغرب: جبل وَأَد، بفتحتين: ١١٣٠ - ١٤٥٥.

* * *

عَودٌ إلى وصفِ الطّريق:

وببعض شعاب يُوَن الغربية: قبورٌ قديمة العهد. ثم تنحدر الطّريق من يُوَن، فتمر بالصَّحاري التي تسيل إلى وادي مَرْمَحة، بفتح فسكون ففتحتين، ثم بَوادي مرمحة، إلى كَنينة، بفتح فكسر فسكون الياء، ثم منها إلى العقيق، فوادي مَزرب، الذي يصب إلى حَجْر. وهناك طريق مختصرة: تنزل فوق جَول باحَيوة، والمسافة بينهما وبين كنينة: نحو خمس ساعات، ومن يُوَن إلى كنينة: يوم.

وهناك طريق أخرى: تمتد مع وادي عَوَد، بفتحتين، بين كَوْر المحمُّديين، وجبل عَوَد: يسير مغرِّباً إلى وادي فَحْمة، بفتح فسكون، ثم ينعرج إلى الغرب الجنوبي، فتغرّب طريق إلى حِصن باقَرْدان، به عمارة وحرث. ومنه إلى مِـحْمِدةُ، بكسر الميمين وسكون الحاء، وبها: بلَد محمدة، وغيضة بامصَيْطر، بفتح الصّاد وسكون الياء، وبها حرث وعمارة. وتخرج من محمدة طريقٌ، فتلتقي مع الطريقين، تأتي إحداهما: من وادي فَحْمة، والأخرى: من حصْن باقرْدَان. وتنحدر الطريق إلى وادي حَجْر، ثم تفترقُ، فتنزل إحداهما: على جَزول. والأخرى: على موضع أسفلَ منه.

وأرض السّمُوح، من قبائل سيبان: في معَالي الوديان الشرقية، التي تسيل إلى يُوَن، تذهب غرباً إلى حدود نوَّح، أهل رُوبة، وشمالاً إلى طريق القوافل، حيث محط القُمْرة، والمطحنة، وشرج بامالح، والقَرَا، بوادي مبارك، وما حوالي ذلك.

ومن دوعن طريق أخرى: تطلع من وادي مَنْوَة، بفتح فسكون ففتح، وهو واد عظيم، يصب في وادي دوعن، يأتي من الجانب الشرقي الجنوبي، فتأتي الطريق بين وادي غِرْحان، بفتح فسكون، فوادي مَنْوَة الأصلي. ووادي غرحَان: يسيل في منوة. ثم تتجه الطريق جنوباً، فيأتي عن يسَارها وادي حِبابَة، بكسر الحاء، ثم قرة حموضة عن يمين الطريق، ثم قرة سُفارا، بضم السين، ثم وادي دِلْهام، بكسر فسكون، من أودية مَنْوة، ثم نِقْبة الشيخ، ثم نِقْبة حايف، وعن يمين الطريق: وادي مع الله، من أودية حَمُوضة، بفتح فضم فسكون، من الأودية التي تصب في دوعن. وبهذه المواضع: بدو المراشدة، من الزّي، من سيبان، وغربيّهم: شعاب الخامِعَة، وباديتهم.

ثم تستمر الطريق: إلى لِبْنة بارشيد، ثم تنزل عقَبة إلى وادي معيشة، ثم يأتي جبل قبر السَّيِّر، بفتح السين وتشديد الياء المكسورة. والسَّيِّر: هو الخفير. ثم يأتي فرطة، شرقي الطريق، ووادي معادن أيضاً، ووادي حَلّة، بفتح فتشديد، ثم وادي الغَوِيطة، بفتح فكسر الواو فسكون الياء، فوادي مرزب، فحَجْر.

وبقيت طرقٌ تعود إلى هذه الطرق، وتلتقي معها، وبقيت طريقَان إلى حَجْر من رَيدة الديِّن، سنذكرهما إن شاء الله فيما يأتي/ . [/ ٨٣]

* * *

أرْضُ سَيْبان وحدُودها

لم نعُدَّ، فيما تقدم، جميعَ مواضع سيبان، بل بقي منها ما سنذكره في موضِعه، ولكنا نقدم الآن ذكر حدودها، مما وجدناه في مجموعة شيخنا، وجادةً من خط الحبيب الداعي إلى الله، والدال عليه، والعابد الزاهد ذي المكارم والمعروف،

وإغاثة الخائف والملهوف، الحبيب هادون بن هود العطاس، السيد الشريف العلوي الحسيني، وفي هذه الحدود كلماتٌ لا نعرف ضبطَها، وألفاظ عامية، ونحن نوردها، واضعين بين قوسينِ ما لدينا من بيانٍ، قال: «في نَشْد سيبان (المطالبة، العهد والجوار):

وتحديد النشد: من ضريح الشيخ عبد الله القديم، (هذا هو الشيخ عبد الله بن محمد العمودي، توفي سنة ٨١٣، ويكنى: أبا عثمان باعيسى. وهكذا كان يقَال لآل العمودي: آل باعيسى. ذكره في «تاريخ» السيد الشريف، أحمد بن عبد الله شنبل [ص ١٥٩]. ولقِّبَ بالقديم؛ فرقاً بينه وبين الشيخ عبد الله بن محمد بن عثمان بن سعيد باعيسى، الملقب بالذَّماري، المتوفى بذَمار، سنة ٨٤٠. وضريح القديم بمحَلٍّ يعرف بالقديم، عليه بيتٌ صغير، بين صِيْف وقيدون، قريب من قَرْن السُّوَيداء، المشرف على نخل السويداء، شرقي بلَد قيدون).

ومن شرق عقبة المشْرِقي: طريق البعير، في النشد. (المشرقي: غَيل كان يخرج من شعبٍ بالجبل الشرقي، المقابل لصِيْف، ثم انهدَم فوقه قطعةٌ من جبلٍ، فذهب. والمراد بطريق البعير: طريق القوافل الذاهبة إلى المكلا من هذه الناحية).

وطريق بعير السنبك (الصحاري التي بين حُوَيرة ورأس فَيْل: تسمى السَّنْبك. والسنبك في الأصل: الأرض التي لا خير فيها ولا نبات، كما أن الصحاري ما بينَ رأس المستبحين، وعقبة الحبل، التي تنزل إلى وادي دوعن: تسمّى المقَد)، وعقبة يغرز، وعَين (وادي العين)، وعقبة بيت الخِطَم (بيت: وادي. والخِطَم: بكسر ففتح، جمع خِطْمة. والمراد عندهم: الجبال وصحاريها كالبادية)، وعلى قَدْوَها (بفتح القاف وسكون الدال وفتح الواو، والمراد به: السمت. أي: وعلى سمتها): الرضح، المعابر، وعقبة حلم: شَقْهة، (حلم: وادي). وما بين بركة وحلم، وما رَدّه حلم: في النَّشد. (أي: ما كان من علمٍ وراءَ حلم، إلى أرض سيبان، داخلٌ في النشد).

ورأس بركة؛ العقبة، (العقبة: بدل من رأس بركة)، وتلتقيها: طريق الذراع، وطريق الدواس؛ مردّه: هقة، وحيق، في النشْد. (المراد به: ما بين النّجْد والبحر)، وطريق الذراع، وعبد الله الغريب، في النشْد. (هي طريق تفترق عن طريق حُوَيرة من الموضع المسمى: غَفَّيْت، بفتح فتشديد الفاء فسكون الياء، وهي تذهب شمالاً، حتى تلقى بالصحاري الجبلية: الطريقَ التي تأتي من الشحر، وتفترق طرقٌ عنها إلى مواضع أخرَى، كوادي بن علي، وسيوون، وتاربة. وهذه الجبال ما بين عقبة عبد الله غريب، إلى طريقَ القوافل الذاهبة إلى تريم: هي المواضع التي تقع بها الحروبُ بين قبائل سيبان والحموم، وهي عديدةٌ، منها القَديم ومنها الحديثُ، ولعلنا نقص شيئاً منها للعبرة، وشرح ما صارت إليه العرَب بهذه النواحي). وطريق تحامين، والحاضنة، وشحير، والسِّيْف، (أي: شاطئ البحر)، وفَوّه، ووارد بني حسن: طريق البعير.

وعضد، وكلبوت، والمذينب، (المذينب: تقدم ذكره فوق وادي كَلْبُوت)، والصطن، ورأس هلهل، وضمر رضبة، (أي: أعلاه وادي رضبة) في الضَّيق، وبطن وادي حنور، وبطعر، ورأس ظرف، ومفتح ترموه، وبطن جدفون، والمياطنة، ولِبْنة، ورأس ظاية، وسمح بارشيد: طريق البعير.

وسمح بافقرة، والسَّيَل، (في الشراقي، بريدة الديِّن)، ومن حصون السّيَل وهابط إلى حَمُوضة، والروضة، روضة باقِطيَّان، وقفل باحِنْحِن، والعَيل حق باعشن، (هذه مواضع كلها في الشراقي من رَيدة الديِّن)، والولَيْجات.

ويحده: وليجات باسالم، وعنَق بالشرَف، والذياب، (هذه مواضع بين سَوط المعُوس، وسَوط القُثم، وبين ريدة الديِّن، شمالاً لها)، ومسْقَى عنَق، وطصلة من قبْلِة، (هذه غربي سوط القشم)، وشَرْج تنبيه: داخلٌ في النشْد. ومن فاطر طَصْلة، (بفتح فسكون)، نِقَاب القصد (بكسر ففتح) في الشجن. وطراح الشجن (أي: شلال

الماء، وهو حيثُ يهوي من/ أعلى الجبل)، وعقبة حصف، وطراح العطف، وشِلّ [٨٤/] (أي: فصاعداً).

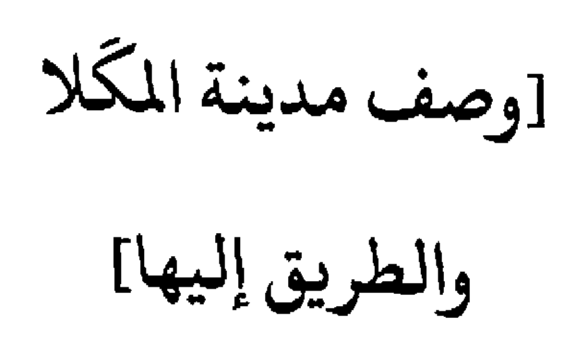
ومن حَادِر (الجانب الأسفل): شرج العَجَل (بفتحتين)، وشرج الخضَيْرا (بكسر ففتح فسكون)، ونقَاب باطويل في الغبر، وعقبة الشيخ سعيد في قيدون، وعبد الله القديم». انتهى. وهذا التحديد تحديد أرض قبائل سيبان من الجهات الأربع». اهـ.

قبائل سيبان وأعدادها:

ويجمعهم: العَكْبَري، العكابرة. وبنوجِسَن (بكسر ففتح)، ونوَّح، النَّوَّحي. والسَّومحي، السُّمُوح (السَّوْمحي: بفتح فسكون الواو وفتح الميم). وحامدي، الحامديين. والمحُمُّدي، المحُمُّديين، وأهل الكَور: الخَمْعي،الخامعة. المرشدي، المراشدة. القَيْدام، با قديم. لَخْلَكي (الأخْلَكي)، الحالكة. آل باخَشْوين. الجوهي، الجوهيِّين. والحَيْقي، أهل الحيق. والقُثْمي، القُثَم. والبَاهبري. وآل بن ربيعة، وغيرهم.

مساكنهم: الحيق، وجباله، ووادي العرش، وشعاب العكابرة، وآل بني جِسَن، ووديانهم، ووديان المحُمُّديين، وجبال البارشيد، وسِيْطان وادي جِمَم، ووادي العُرُيْط (بضم العين والياء وسكون الراء)، وشعاب السنا، والرِّشِة، وسيطان أودية حُوَيرة، وجِنِيح، ورأس فَيْل، ووادي دوعن، ووادي الأيسر، وبعض شعب قيدون، هذه مساكن سيبان.

* * *



[وصف مدينة المكَلا
والطريق إليها]

[وصف المكلا والطريق إليها]

رجوعٌ إلى الوصف، المكَلَّا:

نعودُ الآن إلى إتمامِ وصف الشاطئ. ذكرنا مَرْسى الرّجيمَة قريباً من ميفع، فبعدَها، وأنت سائر بالشاطئ، بالطريق الذاهب إلى المكلا: يأتي رأس شِهَابه، بكسر الشين، فمَرْسى حِلبة، بكسر الحاء، فرأس الحمْرا، وقد تسمى: رأس الحصَاة الحمرا، فمرسى مُوَيه، فرأسُها. وهنا: يصب وادي مُوَيه، وقد سبق. ثم رأس الـحُمَرا، بضم ففتح، ثم رأس حِصَيْصة، بكسر ففسح فسكون الياء، ثم سَنْتُوت، وقد سبق.

[برُوْم]

ثـم رأس بـرُوم، ثم بنـدر بـرُوم. وكانت بنـدراً مشهـوراً، وقعت به حوادث وحروب، ثم خملَ بعد عمارة المكلّا، وهو على خط الطول ٤٦ - ٥٨ - ٤٨ ثمان وأربعون درجة وثمان وخمسون دقيقة وست وأربعون ثانية وعلى عرض شمالي ٥٦ - ٢١ - ١٤ أي أربع عشرة درجة وإحدى وعشرون دقيقة وست وخمسون ثانية.

[فُوَّهْ]

ثم تأتي بعد ذلك فُوَّهْ، وهي للسلطان القعيطي، وكانت هي وما حولها من الشواطئ لبادية سيبان الشرقية، ولأهل الحيق، وهم من بني نُباته من الصَّدِف. وأغبياءُ العكابرة يقولون: إن جدّهم هو الذي حفَر البحر!. وهي كلمةٌ تدل على ما كان لهم من الاستيلاء على هذه المواضع، وكان لهم سلطانٌ، وهو باهَبْري، في وادي حِمَم. وفُوَّه:

سُميت باسم أحد أبناء حضرموتَ، أخذاً مما قاله الغسّاني. وفُوَّه تقع على خطّ الطول: ١٠ - ١ - ٤٩، أي: تسع وأربعون درجةً، ودقيقةً، وعشر ثواني. وعلى خط العرض الشَّمالي: ٥٠ - ٢٨ - ١٤، أي: أربع عشرة درجةً، وثمان وعشرون دقيقةً، وخمسون ثانيةً. ثم يأتي شَرْجٌ على مرتفع، فوق محطّ القوافل، والعَيقَةْ. والعَيقة في اللغة: ساحل البحْرِ وناحيتُه، ذكره أبو عبيدَة في «المصنف»، قاله في «القاموس» و«شرحه».

[وصف بلد المكلا]

ثم تأتي المكَلَّا؛ أصلُه بالهمْز، ومعناه: مَرْسى السفن، والموضع الذي تحبَس فيه، وتستر من الريح، وتقول العرب: كلأ سَفينته، إذا دنَّاها من الشطّ. وهذا هو بندرُ حضرموت المشهور بهذا العصر، وقد ازداد شهرةً بعدما عمَرته الدولة القعيطية، واستقر به سلاطينُها، فصار مثابةً للسفن التجارية، ومستودعاً للبضائع، وممرًّا للمسافرين والقادمين. وهو على طرازٍ من البَرّ، واقعٍ بين البحر والقارَة الشامخة، المعروفة بقارَة المكلا، فساحةُ هذا البندر مستطيلةٌ، ليس لها عَرضٌ كافٍ، ولا يمكن الزيادة فيها، ولا يتأتى توسيعُ طريقه، إذ ليسَ له إلا طريقٌ واحدة، يمر بالسّوق إلى سِدّة السور الأولى/ [٨٥/] ثم الثانية إلى محط القوافل، وقد ازدادت العمارةُ فيه، فامتدَّ البناء في حُضْن القارَة غرباً، إلى قصر السلطان الجديد، وبستانه المسمّى بالباغ.

[شرج باسالم]

واستُحدِثَت القريةُ المسماة: شرْج باسَالم، لضيق البَنْدر بالناقلين إليه. ومتى جُعِلتْ طريقٌ إلى المحلّ البسيط، الذي هو شرقيَّ القارة، ما بين الحرْشيَّات فما فوق: رُوكِب، فبُوَيش، إلى واد الفلق، فستكونُ به مدينةٌ، يمكن أن تخطَّطَ لها طرقٌ واسعة، وتكون لبعض بيوتها بساتين. والماء هناكَ موجودٌ، والمسافة بينه وبين

البندَر مع وجود السيارات وغيرِها، قريبٌ. وستكون موئلاً لأهل البيوتات الذين لا يطمئنّون إلى ضوضَاء الأسواق.

[البلاد]

والمكلا له شبه لسانٍ ممتد في البحر، يقال له: رأس المكلا، ويطلق على طرفِه اسم: القِشَار. والقِشَار: هو القَسْمُ الحجَري منه، يقْشره البحر، ويضربه الموج. وفي شرقي شبه اللسان المذكور: الجامعُ القديم، والحافة القديمة، ويطلَق عليها اسم: البلاد، إشعاراً بذلكَ، وفيه المسجد الجامع القديم، وخطباؤه آل بازَنْبور، يعتبرون من أهل البلاد الأصليين، وسكان المكلا يحترمونهم لصيانتهم.

[الفَرْضة]

وفي الجانب الجنوبي الشرقي: حافَة العبيد. وأما الحصنُ الذي كان مقرَّ الحكومة، وغربيّه الفرْضَة: فهو قبليّ البلاد، على شبه تل مرتفعٍ. والفَرْضة: هي المرْسَى التي ترسو إليه السفن، وتنزل إليه البضائع والواردات. وكان السلطان عوض قد وسّع ذلك المحل، ورصَفه بالحجارة المنجُورة والإسمنت، وأنفق على ذلك نفقة جليلة.

[مقبرة الشيخ يعقوب]

ويسامتُ الحصْنَ المقبرةُ، وهي رملة، وبها الشيخ يعقوب، معتقَدٌ يزار، ويقال: إنه ليس من أهل البلدِ، ولكنه غريب جاء إليها فمات، ودفن هناك، وأنه قديم العهد. وهذا شيء يتناقله الناس شفاهاً، وقد دوّنه بعضهم فيما بعد. وقيل فيه: إن اسمَه يعقوب بن يوسف، وأنه شريفٌ حسني النسب، ونقلَ في (الجزء الثاني) من «نشر النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية» [ص٣٩٢]: أن للعلامة السيد الشريف، عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن العيدروس، العلوي الحسيني، المعروف

بصاحب «الدشتة»: قصيدةٌ مدحه فيها، ونسبه إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني. وقال بعضُ المتأخرين من المشايخ آل باوزير: إنه جدّهم، وأنه عباسيّ النسب. كلُّ هذا قيلَ، ولكن لم نَر شيئاً من ذلك مستنداً في كتابٍ قديم يمكن أن يوثق به، والتاريخُ نقلٌ ورواية.

[الكِشَاري والسدّة]

وتحت الحصن: كِشَاري، لعلها لفظة هندية. وهو ثكنة عسكرية. ويمتد قسم البَنْدر، الذي يطلق عليه: الحافَة، تحت القارَة، من الشرق إلى الغرب، إلى نهاية السّور والسدة القديمين. وهذه الحافة هي وجهُ البندر الذي يستقبل الناظرَ إليه من البحر. ثم بنيت بعدَ سنةِ ١٣٢٠، خارج السدة القديمة: بيوت كثيرة حسنة، وتسابق الناس إلى شراءِ الأرض بها. وكان بها سابقاً عرُشٌ للناقلين إلى البندر، من أهل الحرف، وغيرهم.

[مساجدها]

وبنى السلطان عمر جامعاً بين السدَّتين، ففي البندر الآن جامعانِ. وفي الحافة: مسجد النور، ومسجد باحلَيْوَه في شماليها، وفي جنوبيها على حافة البحر: مسجد الروضَة، ينسب إلى السيد الشريف، عمر أبوعلامة، قام في بنائه، وساعده أهل البندر بالعمل بأيديهم وبأموالهم، وساعده من يرِدُ من أهل السفن التي تحمل البضائع من نواحي عُمان، وقد وُضعَ هذا الموضع بعدما كُبِس جانبٌ من البحر بالطين والحجارة، وهو مسجد جليل منفسحٌ، لا يزال معمورا بالجماعاتِ، وبه يعظُ ويدرّس من ورد إلى البندر من أهل العلم.

[عَشُور البضائع]

والمكسُ يؤخذ من الوارد من جانبِ البحر، والخارج إلى البر، والوارد هو الخارج، فيؤخذ عليه المكس مرّتين: مرةً عند وروده، ومرة أخرى عند توزيعه إلى الخارج. وكان المكسُ الذي يؤخذ ما بين سنة ١٣٠٠ و١٣١٢، زهيداً جداً.

فلما جاء السلطان عوض بعد ذلك، زاد فيه قليلاً، فضجّ التجار، ورفعوا له عريضةً، شكوا إليه فيها ثقلَ العشور، وضَعْف الناس عن تحمله، فاستدعاهم إلى الحصن، فلما اجتمعوا تكلم فيهم، فقال: إن الحكومة محتاجة للمال، للجند، وإصلاح البلاد، وحفظ الأمن، ومقاومة من يخلّ به، فما زدناه من العَشُور إنما هو للصرف فيما يحتاج إليه البندر وغيره من جهات المملكة، وليس لنفقاتنا الخاصة، أو لنفقة حاشيتنا وأهل بيتنا. فبدَره أحد أهل بلد الغُرْفة، فقال: كيف هذا؟ أتأكل أيها السلطان من خياطة الكَوافي؟ فقال السلطان: من هذا؟ فقيل له: هذا فلان من/ أهل [/٨٦] الغرفة. فلم يزد السلطان على أن قالَ: هاه! هذا من بلاد عدوِّي! وانتهى غضبه عند هذا الحد، وكان حليماً عن الرعية، والمترددين إلى بنادره من غير رعيّته.

كانَ هذا قبل أن تسوَّى الخلافات بين الدولتين: القعيطية والكثيرية، ثم سويت الخلافات، ووضعت بينهم معاهدة، أيدَت التعاون والصداقة بينهما، كما سيأتي ذكرها في موضعه، وزالت الشحناء والخلاف، والله قدير، والله غفور رحيم.

[صفة مبانيها وأقوات أهلها]

والبيوت المعتبرة في البندر؛ مبنيةٌ بالحجر والنورة، ومنها ما بُنيَ باللَّبِن، وفيها ما هو على طبقتين، وثلاث، وأربع. وترد الخضْرَوات إليه من الغياض التي حولَ البندر، وعلف البهائم من القصب الأخضر. وأما الحطب: فاعتماد البندر على ما

تأتي به السفنُ من مليبار، وما يرد من البر لا يكفي. والسمكُ بها كثير لذيذ، ورخيص، وما يحرَقُ منه، وهو الحنيذ، قد يرسله بعض الهنود حتى إلى بلاد الصّين.

[وارداتها من الخارج]

ويردُ إليها التمر من البصرة وعمان، ومنها يتفرق في نواحي البلاد. ويردُ منها: القَاز، والبر. ومن ملَيْبار: خشَبُ البناء، والصناديق، وحطب الوقود، وغير ذلك. ومن الهند: الرز، والذرة، والجلجل، والقاز، والبَز، والأفاويه، وأنواعاً أخرى من البضائع. ومن السواحل (السواحل: التي حول زنجبار، مُمباسَة، ولامو، وما والاها): الذرة، والجلجل. ومن سَنقَفُورَةْ، وجاوَه: أنواعُ الشّيت، والأقمشة، وأنواعاً من المصنوعات. ويرد السكّر والشاهي: من جاوه، والهند. وأكثر وارداتها من الهند رأساً، أو بواسطَة عدن. ومن بلاد ظفار: اللبان اللامي، وهو الأنثى والذكر أيضاً. ومن بلاد الصُّومال: الغنم، من جنس البرابر، والمعْزَى. وهذا اللبان يوزّع في صناديق، على ترتيب مخصوصٍ، ويرسل إلى مصر.

[وارداتها من الداخل]

ويرد إليها من داخلية البلاد: التنباك، ويعرف بالحمُومي، والحِمّي، لأنه كان يزرع في غياض الشحر مما يلي الحموم، وأكثر ما يزرع بغيل باوزير، قريباً من المكلا، وبغيره من المواضع. والعسل، وهو يجلب من جَردان، وحول، ويبعِث، ودوعن، والآن صَاروا يأتون به من بلاد العوالق وما والاها، والصَّبِر، والمرّ، من حاصلات البوادي والجبال، وقليل من اللبان والصّمغ.

[جَوُّها]

ويشتد بالبندر الحر أيامَ الصيف والخريف، إلا أن الهواء به ألطف في لياليه،

ولا سيما أيام الخريف، لهبوب الأزْيَب، ويخرج عدد كثير من أهله إلى النخل وقت الخريف، ويمكثون هناك مدة، ترويحاً للنفس، وهرباً من الحر، وينزل به في بعض أيام السنة ندًى كثير، تتندى به الطرُق والأبواب والطاقات، كأنما تنزل بها مطَر، ولكنه قلّما يضرّ بالصحة.

[عادات أهلها]

ولأهل البندر حرصٌ على إقامة الجماعات في الصلوات الخمس في المساجد، ولا سيما في مسجد الروضَة، لقربه من السوق، وكانت تهيجُ خلافاتٌ ومضاربات بين أهل البلاد وأهل الحافة، وقد يُقتل أو يجرح بعضهم، ويقوم كبراء كلّ طائفةٍ للدفاع عنهم، ويبدو منهم من التعصب لتلك الأعمال الصبيانية أمرٌ مستغرَب!.

[تركيبة السكان واللهجة]

وأكثر سكان البندر ناقلةٌ، جاءوا من دوعن وحضرموت للتجارة، والأمن، ولرخص الأطعمة، وإذا أسنَتت البلاد الحضرمية رحلَ إليه منها عددٌ كثير، ولا سيما أهل وادي عَمْد، وأهل البندر يسمونهم: أهل النّجْد. ولهجة أهل البندر الأصليّينَ فيها مخالفة للهْجَة أهل نَجْد. ويختمون الكلمات بلفظة (أيه)، و(آه) بإمالةٍ.

والمتأمل في لغتهم يرَى: أن سكان البندر الأولينَ جاءوا من أسفل حضرموت، لأنهم يجعلون الجيمَ ياءً، فيقولون في (خرَجَ يخرُج): (خرَي يخْري)، وفي (يأجوج ومأجوج): (يأيوي ومأيوي)، مثل أهل أسفل حضرموت، وهذه لغةٌ قضاعية انتشرتْ هناكَ، بعد ما جاءت ناقلة القبائل الضَّنِّية إليها، ولذلك سلمت لغة أهل دوعن، لأنهم إنما طرَقُوها مدةً قليلة، ثم أُرغِموا على تركها، وهذا الإبدال ليسَ لغة كندة، ولا سكان حضرموت الأولين. ولأهل البندر في أزيائهم وأعراسهم وعاداتهم أشياءُ كثيرة،

قد يأتي ذكرها في غير هذا الموضع. وعلى القارة: حصونٌ للدفاع، وفتحت فيه إدارة للبريد (البَوسْطة)، وقد سُوي بفُوَّه مطارٌ متسع للطيارات.

[تمدن المكلا]

والمكلا اليوم عاصمةُ البلاد الحضرمية، ومنتجعها، وقطب رَحاها، ولو كان موقعه أحسن مما هو عليه لكان أكثر شهرةً، وأعظم اتساعاً، ولسارع الناس إلى استيطانه رغبةً في الأمن، لقربهم من السلطان، ومركز القوة، ومدار التجارة.

[/٨٧] وسكانه/ ما بين ٣٠ - ٤٠ ألفاً، ويزيدون أيام القحْط في البلاد الحضرمية زيادة محسوسة، وترِدُ إليه القوافل في سائر فصول السنة، ولكنها تقلّ في فصل الخريف.

وفيها مستشار أعلى إنجليزي، وعنده موظفون، بمقتضى معاهدة بين الحكومة الإنجليزية والسلطان صالح بن السلطان غالب بن السلطان عوض بن عمر القعيطي.

وله طريق معبدة للسيارات إلى الحرْشِيّات، فالشِّحْر، ومنها إلى تريم، وسيوون، وشبام، وغيرها من البلاد الحضرمية. وطريق أخرى عبدَها السلطان صالح إلى دوعن إلى الخريبة، وقد تم تعبيدها هذه السنة، وسافر إلى دوعَن، فافتتح هذه الطريق من هناك باحتفال، وفي القصد أن يمدّ خطوطاً معبدة إلى المشْهد وغيرها من بلدان الكَسْر إلى شبام، والله يحب المحسنين.

[موقعها الجغرافي]

أما عَرض المكلا، على ما في «التقويم الفرنساوي» و«جدول الأوضاع» لكوليه، كما هو معرّب في الجزء الملحَق بكتاب «الدرر التوفيقية»، لسعادة إسماعيل بيك مصطفى المصري، فهو: ١٥-٣١-١٤، أي: أربع عشرة درجةً، وإحدى وثلاثون

دقيقةً، وخمس عشرة ثانيةً. وأما على ما في عدة خرائط أخرى: فهو يتراوح بين أربعَ عشرة درجةً، وثلاث وثلاثون دقيقةً، وبين أربع عشرة درجةً، وأربع وثلاثون دقيقة.
وأما **طوله**، على ما في «التقويم الفرنساوي» و«جدول الأوضاع الجغرافية» لكوليه، من شرقي باريس: فهو ٣٥ -٤٧ -٤٦، أي: ست وأربعون درجةً، وسبع وأربعون دقيقةً، وخمس وثلاثون ثانيةً، والفرق في الزمن بينها وبين باريس: ثلاث ساعاتٍ، وسبعُ دقائق، وعشر ثواني.

وسمتُ القبلة: على ٤٩ درجةً، وأربع عشر دقيقةً، وأربع وأربعون ثانيةً، من الشمال إلى الغرب، أي: يعدّ من نجم الجاه إلى جهة الغرب، في الدائرة (الديرة) المسماة البوصلة، هذا المقدارَ، فيكون على آخره قبلةُ المكلا. ورأيتُ في جدولٍ آخر: أن عَرْض المكلا: أربع عشرة درجةً، وإحدى وثلاثون دقيقةً، وأن طولها بالابتداء من خط زوال كرينويج: ٤٩ درجةً، و٩ دقائق. وكرينويج: محل قريب لُنْدَرة عاصمة الإنجليز. وأن سمت القبلة: على أربعين درجةً، وسبع دقائق، من القطب (الجاه) إلى المغرب الأصل.

[قاعدةُ سَمْتِ القبلة]

ولمعرفة سمْتِ القبلة في المكلا قاعدةٌ أخرى، وهو: أن يترقب مريدُ ذلك يوم ثلاثين ماي، وهو يوافق ٨ في نجم الإكليل، أو ١٨ جولي وهو يوافق ٥ في نجم البَلْدِة، بعد الساعة الثانية عشر ظهراً، أي: الساعة ٦ ظهرا للساعاتِ المغربية، فإذا مضى بعد ذلك إحدى وأربعون دقيقةً، وعشر ثواني، فلينظر إلى الشمسِ، فإنها في ذلك الوقت فوقَ الكعبة، وإن جعلَ شاخصاً فإن ظل الشاخصِ يكون علامةً على اتجاه القبلة، والله أعلم.

[جلب المياه إليها]

والسلطان عوض هو الذي جلبَ الماء في قصَب الحديد من البَقْرَين إلى المكلا، بعد أن كان أهل البندر في تعبٍ شديد، فقد كان يحمل الماء في القِرَب، من المنوّرة، على الحمير وظهور الرجال.

[الطريقُ من المكَلاَّ إلى دَوعن]

عودٌ إلى الوَصْفِ:

الطريق من المكلا إلى دوعَن بسير الحمير: أربعة أيام ونصفٍ، وبسير الجمال: ستة أيام. ومن سدة المكلا إلى عقبة الحبل فوق دوعن، على السمت: مئة وأربعةٌ وعشرون كيلومتراً. وبالأميال: ثمانية وستون ميلاً، إلا مئةً وثلاثون متراً. وأما بالازْوِرار والانعطاف، تبعاً للطريق، فهو أكثر، وبسير السيارات: نحو ست ساعاتٍ، أو: ما بين السبع والست. فإذا كانت السيارة تقطع في الساعة ٢٥ كيلومترا كان المجموع مئة وخمسين كيلومترا ولم يبلغنا تحقيق في ذلك.

[الطريق من المكلا إلى تريم]

ومن المكلا إلى تريم، على السمت: ١٦٥ كيلومتراً، بعد الخروج من السّدة الخارجية، تتجه إلى الجنوب، على حافة وادي العَيْقة الشرقي، فوادي السِّدَد، جمع سدَة، تشبيهاً له بها لضِيقه، ثم يمتد منه فرعٌ إلى المنوَّرة، بضم ففتح فتشديد الواو المفتوحة، ثم الشرْج، ثم تنعرج الطريق إلى الشرق، فتمر بمواضع ماء ونخلٍ، فيأتي البَقْرين، بفتح فسكون ففتح فسكون الياء، ثم البقَيْرين (مصغراً)، ثم بير بازَنبُور، ثم معوص، باليسار، بأعلى شعب السَّفَل، بفتحتين.

ثم تفترق الطريق: فتذهب الغربية منهما إلى الحرْشيّات، وبها نخلٌ وديار وعيون، ثم تمر بثِلة العليا، وهي للمشايخ آل باعمر العمودي، ثم إلى السبيخات، وغيضة بَحْوَل، لمن أراد أن يمر بالطريق القديمة، وهي التي كانت مسلوكةً إلى عهد قريبٍ، ثم استبدلوا/ بها طريق وادي حمم بعد إصلاحها، بحيث تمر بها القوافل. [٨٨/]

[وظيفة المكَاتِبة (المكتِّب)]

وكان المسافرون إلى دوعن يسلكونها، ويستكرون حميراً من البادية المكّارين، ويعرفون بالمكَاتِبة، جمع مكتِّب، بضم ففتح فتشديد التاء المكسورة، ومعناه: البريد، فإنه يحمل كتبَ المراسلات من المكلا إلى دوعن، وغيرها، وعكسه، فصاغوا له اسم فاعل من كتَّبَ يكتِّب، مشدداً، لكثرة ما يحمل منها، واتخاذه ذلك حرفة.

وذكر في «لسان العرب»: أن المكتِّب، هو من يعلم الكتابة، وربما أن يكون مأخوذاً من كتَّب يكتِّب، إذا صرّر على الشيء. والمكاتبة؛ منهم من يختصّ بحمل الكتُب إلى دوعن على يومين، أو يومينِ وليلةٍ، أو ثلاثة أيام، وكلما كانت المدّة أقلَّ كانت الأجرة أكثَر. ومنهم من يتخذ حماراً يكريه للمسافرين، أو يحمل عليه الدراهم، وما خفَّ حمله وغلا ثمنه، من بقية الأشياء.

والأكثر: أن المسافرين يسيرون آخر العشية، فيبيتون بالسبيخات، أو ما قاربها، وهناك موضع بناه بعض من يحب الخير، لينزل به المسافرون، وقد غاب عني اسم فاعل ذلك. ثم يسيرون صباحاً، فيستقبلون وادي العُرْيُط، بضم فسكون فضم الياء، وهو واد شديد الحرّ، بعيد المسافة، فيحطون بجانب منه إلى العشية، ثم يقطعون بقيته إلى عقَبة الغرغر، أو عقبة إدما، بكسرةٍ مسهلة كأنها ياء وإمالة الميم، فإذا علَوها، ساروا في حَزونٍ إلى الرَّشِة، بفتح فكسر، وهي غيضَة لآل بابراهم، وأصلهم

من الصَّدِف، وكانوا بالهجرين، ومنهم برحاب، وبقيدون بيتٌ واحد منهم. فيبيتون بها، وهذه الطريق إلى دوعن يوجد فيها بكل محطّ بنهارٍ أو ليلٍ منزلٌ للمسافرين، ونِقْبةٌ، أو نقابٌ، لخزن الماء.

ومعنى «النِّقْبة»، كما يدل عليه لفظها: أن تُنقَب الأرض قدْرَ قامةٍ وبسطة، مثل البير الصغير، ويوسع أسفلها، فإذا جاءت الأمطار ملأتْها، فيرتفق بها المسافرونَ وأهل البادية، وإذا قلت الأمطار تعبَ الناس بحمل الماء من مرحلةٍ لأخرى.

[وادي الشحرة وما يليه]

ويقابل الرّشِة من جانب اليسار: وادي الشحرة، قرية بها حرثٌ وماء، وارتفاع جبل الشحرة: ١٤٥٥، وبعد الرشة تأتي عقبة، تسمى الرُّكْبة، بضم فسكون، ثم مضرب بازيد، أو باصالح، منزل، وهناك جابية يجتمع بها ماء. ثم بعد قطع بقية الوادي: تأتي عقبة المِخْنِية، بكسر فسكون فكسر الياء، ثم جسر جوهر، ثم تأتي شعاب وحزونٌ، فيها صعود وهبوط إلى الليل. ويختلف الناس في النزول، ولكن كلهم يتقاربون، إذا لم يتلبثوا على قطع الطريق في أربعة أيام ونصفٍ، كما سبق.

ثم تجتمع هذه الطريق مع طريق وادي حمَم، وطريق المسنا.

[وصف طريق وادي المسنا]

والمِسْنا: وادٍ بعد الرّشِة، تفترق الطريق إليه بعد عقبة الرُّكبة، وفيه غيل وحرثٌ، وللمشايخ آل بو بكر العمودي، سكان صُبَيخ، ملكٌ فيه. وذا وصفُه: بعد عقبة الركبة تأخذ بأيسر الوادي، فأول ما يلقاك: قرية المِسْنا (بكسر فسكون)، ثم القعْدَة (بفتح فسكون ففتح)، والارتفاع هنا: ١١١٥.

ثم منزل أسفلَ العين، ثم تصعد في الطريق متجهاً إلى الغرب الشمالي، فيأتي

عن يمينك: جبل فرجلات: ١٤٢٠، وجبل غُرَيبة، بضم ففتح فسكون: ٢١٥٠، ثم عقبة الصّدارة، ثم الهجَر، بفتحتين، بوادي مُنَيش، بضم فسكون فكسر، وتأتي قرية القَرا، بفتحتين، عن اليسار، بوادي مبارك، وعن اليمين: جبل الرُّكْش، بضم فسكون، ثم تعلو عقبة ليست بالطويلة، ثم تنعرجُ الطريق إلى الفِشْلة، بكسر فسكونٍ، حتى تلاقي الطرق الأخرى.

***

واعلم؛ أن الطريق المسلوكة قبلَ أن تعبَّد طريق السيارات، هي طريق وادي حِمم، فنذكر وصفها، ثم قدْرَها بالكيلومترات والأميال.

طريق وادي حمم

ليس هناك فرقٌ محسُوس في المسافة بين هذه الطرق التي ذكرناها. وهي: وادي العُريط، ومنه طريقان: طريق المِحنيِة، وطريق المِسْنا، والثالثة: طريق وادي حمم، فكلها تستغرق أربع أيام ونصفٍ، إلى دوعن، وكلها عسرة متعبة. وقد قدّرنا ما بين المكلا ودوعن على السَّمْت: أنه نحو ١٢٤ كيلومتراً، وأما من طريق وادي حمم فيزيد بسبب الانعطاف/ والازورار، ما بين: ١٤ و ١٧ كيلومتراً. [/ ٨٩]

[الطريق من حمم إلى دوعن]

إذا وصلت الحرْشيّات، في طريقك إلى وادي حمم، وأنت مستقبل للشمال: يلقاكَ، بعد مسافة قصيرة، وادي الحرشيات، ذاهباً إلى الشرق، ثم مررتَ بالهجْلة، والدكاك، ثم انعرَجت الطريق مغربةً، ومرت بثِلة السفلى، وهي للمشايخ، ثم ازدادت الطريق إلى الغرب ودخلت وادي حمم، فجاءك اللصب، وبه حرث وماء،

وتصعد الطريق في جانبٍ منه، في شبه عقبة موطّأة، وتمر بعين الحلّاف، بتشديد اللام، يسقى بها حرث اللصب، ثم عين الغُضُوضة، بضم الغين والضاد، ثم الرش، ثم زِمَن الكبير، بكسر الزاي وفتح الميم، ثم زِمَن الصغير، وفيها حرث، ثم الغيضة، والغُيَيْضة، ثم حمم، وعندها حرث، ثم عقبة مرَيْكَبة، بضم ففتح فسكون الياء ففتح الكاف، ثم أَنكَدُون، بفتح فسكون ففتح فضم، وعندها حرث. وباليمين عقبةٌ تطلع إلى جبل القلة، وارتفاعه: ١٥٠٠، ثم تصل إلى الحسى، والارتفاع هنا: ١٤٦٥، ثم تأتي طريقان يجتمعانِ بين الجبال في أعلى الجبل.

فيصعد أحد الطريقين في طريق الصّفي: سمّي بذلك لأنه يكادُ أن يكون مكسياً بطبقة من الحصَا الأملس، ثم تأتي حوراي، عقاب صغار، واحدة بعد أخرى، وتمر بوادي مطر، حتى تصل إلى المِسْتِبْحَين، بكسر الميم فسكون السين وكسر التاء فسكون الباء ففتح الحاء، وقد يقال: بين الجبال.

والطريق الثانية: وهي يسراهما، تمر بوادي الفشلة، ثم تعلو عقبة صغيرة، وتسند في عرض الجبل إلى المستبحين، وهذا الموضع لا يزايله البردُ ليلاً طولَ السنة، لارتفاعه، وبجانبه: كور سيبان، الممتد إلى ما فوق طريق حويرة، وسنصفه هناك. ثم تستمر الطريق إلى الغرب الشمالي، فيأتي: شرج باصالح، والمطْحَنة، بفتح فسكون ففتح، ثم القُبَّرة، بضم القاف وتشديد الباء[1]، فالحصَا.

ويأتي في أثناء السير: عقباتٌ صغيرة، ويقال: حسُور، جمع حَسْر، بفتح وسكون، وهو شرفٌ من الأرض ينحدر منه إلى ما هو أخفَض منه.

---

(١) في هذا الموضع من الأصل كتب: القمرة، وكتب أيضاً: بتشديد الياء، وما هناك في الكلمة المرسومة ياء ولا باء، فخمنا أنه حصل خطأ طباعي، وحرفت الكلمة من (القبرة) إلى (القمرة)، ومن (الباء) إلى (الياء)، فكتبناها بحسب ضبطها، والله أعلم. (مصحح).

ثم رأس السراك، وسرب، ودَهْمَه، بفتح فسكون، والسُّوَيدة، بضم ففتح فسكون، ثم شرج باعُضَة، بضم ففتح، وهنا تنعرج الطريق إلى الجنوب، ثم تعود إلى الشمال، تبعاً لانحراف الأودية المتعددة يَرِعُها عن اليمين والشمال، فتأتي بُـرَيِّرة، بضم ففتح فتشديد الياء المكسورة، فالفَرْضة، بفتح فسكون، فالحجرة بفتح فسكون، وبين الفرضة والحجرة: حسْر، أو شرَفٌ، ثم تأتي طريق المدار، تدور برأس وادي ثِقْبة، بكسر فسكون، فيأتي وادي السغار، ووادي فرعون، ثم سرة الحداد، وهي مربعة بناها شيخنا الإمام العارف بالله، الحبيب محمد بن طاهر الحداد، السيد الشريف العلوي الحسيني، وقد تقدم ذكره عند ذكر وادي حجر.

[تعريج على ذكر الكتابات المسندية]

وطريق ثِقْبة تنزل من شبه العرقة إليها. والعرقة: هي الطريق في الجبل الضيقة الصعبة، لا تقدر عليها الدواب، وإنما يسلكها الأجرياء من الناس، وبها بناء ضعيف على شبه الغار هناك، لا أهمية له، وتسمى: ديار عاد، وبها كتابة مسند، وأحسب أنها كانت لصرمٍ من حمير ورعاة أغنامهم، وكان فيهم كاتبٌ فكتب تلك الرسومَ، وقد نوَّه بها وَيسْمان الهولندي، ونقل عنه ذلك صاحب «قلب جزيرة العرب»، وهي لا تستحق شيئا من التنويه، لحقارة المحلّ، وعدم أهليته لأن يكون موضعَ مدينةٍ، ولا أمةٍ غنيةٍ قوية.

* * *

ثم ثَوْبة، بفتح فسكون، ثم حِمْحار، وحمحار أيضاً بوادي المحُمُّدِين، وقد سبق، ثَمَّ قبر عُبَيد، بضم ففتح، وهنا: جَول عُبَيد، ولم نعُدَّ جميع النقابِ، ولا المربَّعات، أي السقائف المبنية عندها للمسافرين، فإنها عديدة، ثم بعد جَول عُبَيد

تشرف على وادي دوعن، وتنزل إليه من عقبة الحِبِل، بكسرتين، وهناك عقبةٌ أخرى مستحدثَة، تنزل بين شَرق، والرباط.

ذكرُ الجبالِ التي بين الطرُقِ إلى الكَوْر

بين طريق فُوَّه وطريق وادي العُرَيْط: جبل سِقَم، بكسر ففتح: ٦٣٠- ٦٦٤، وجبل حَلْموت، بفتح فسكون فضم: ١٢٢٦ – ١٣٩٥، فجبل شُحْرا، بضم فسكون: ١٣٥٥، فجبل خُلْخُوت، بضم فسكون فضم: ١٦٩٥ –١٦١٠، فجبل السَّكِّينة، بكسر فتشديد الكاف المكسور فياء ساكنة، فحَيْد الشريف، بفتح وكسر: ١٩٠٥، وجبل الجوف: ١٨٥٠ – ٧٩٠، فجبل غُرَيبة، بضم وفتح وسكون، وجبل مِـحْنة، بكسر فسكون: ٢١٥٠، وجبل يُوَن: ١٧٥٠، وانتهت إلى جبل السموح/ [٩٠/] . أما الجبال الذي بين طريق وادي العُرَيْط ووادي حمم، فهي: جبل المحنية: ١٣١٠- ١٤٠٠، جبل فرجلات، وقد سبق، وجبل رُكْش، بضم فسكون، فجبل مبارك، فجبل الزهرة.

وأما الجبال التي بين طريق وادي حمم ووادي حُوَيرة، فهي: جبل التُّخْم، بضم فسكـون: ٧٤٥ – ٨٨٠، جبل الغَـبَرة، ففتحتين، فجبل دَبُوت، بفتح فضم، وهي مشرفة على الطريق إلى حويرة، جبل عَزْم، بفتح فسكون، فجبل حُوَيرة، فجبل حِلْفة، بفتح فسكون.

طريق حُوَيرةْ

حُوَيرة، بضم ففتح فسكون، إذا وصلتَ من الحرْشيَّات، سلكتَ في طريق القوافل إلى حُوَيره، وهي بأيمن الطرق السابقة، وأسفل منها إلى البحر، تتجه بين الشرق والشمال. وهي أيضا الطريق إلى غيل باوزير، وإلى عقبة عبد الله الغريب.

[١ـ من حُويرهْ إلى عبد الله الغريب]

فتأتي الحوّاء، بفتح فتشديد الواو، ثم نِحِل، بكسرتين، ثم الجوَيْبيات، بضم ففتح فسكون الياء فكسر الباء، ثم بير صالح، فالـحَدْبا، بفتح فسكون، وفي أكثرها ماء ونخل. ومن الحدبا: تفترق طريقُ الغيل إلى اليمين، وتتجه الطريق إلى حُوَيرهْ شمالاً، فيأتي وادي رحمه، فجبل التخم، فالبصرة، فوادي التخم، فقارة التخم، وبها كانت الوقعة المشهورة بين يافع وآل كثير في يوم الأحد ٢٦ من ذي القعدة الحرام سنة ١٢٨٣.

وبعد مسافةٍ، تفترق طريق أخرى إلى غيل باوزير، تذهب شرقاً، ثم يأتي رشنيت، به ماء ونخل، ثم وادي بلحَيَّان، بفتح الحاء وتشديد الياء، عن اليمين، ثم شعب غَفَّيت، وغَفَّيت، بفتح فتشديد الفاء المكسورة، وبه ماء ونخل، ومنه تفترق طريق عقَبة عبد الله غريب، فتذهب صوبَ الشمال، وتنحرف طريق حُوَيره إلى الغرب.

[من حويرة إلى غيل باوزير]

ويأتي من جهة عقبة عبد الله الغريب: وادي عبد الله الغريب، متجهاً إلى الشرق، ومن شرقيّه، من مقَد الفقْرِة، ورأس دسبة، وجبال الفقْرِة: يأتي وادي تحامين، وقد سبق ذكره في حدود سيبان، وهو بفتح التاء وكسر الميم، وهو وادٍ ذو شعب، وتسيل إليه عدة أودية، سيأتي ذكرها عند وصف الطريق من الشحر والغيل إلى تريم، وهو واد غير معمورٍ، لوقوعه بين حدود الحموم وحدود سيبان، مواقع الغارات والمغازي.

فيجتمع مع وادي عبد الله الغريب، حِذاءَ غَفَّيت إلى الشرق، ثم يلتقي بهما وادي حويرة حِذاءَ رَشْنيت. ثم تأتي عدة أودية من شمال غيل باوزير، فتجتمع قريباً من قرية زهر، ثم تنضاف إليه شعابٌ أخرى، ووادي الملاوي، ووادي رِيحان، بكسر

فسكون، ويطلق عليه عند قربه من الساحل: وادي حُوَيرة، حتى يمر قَرْبَ شحير، ويصب في البحر، وله خليجٌ داخل في البر. وجلّ، بل كل هذه الأودية غير معمورة، لما ذكرنا، غلب على بعضها الرمل، وجرفت السيول طينها.

***

عودٌ إلى وصف طريق حويرة:

تذهب من غَفَيت مغرّباً، فتأتي رحبَة، وعن يمينك شمالاً بشرق: جبل سِرْحان، بكسر فسكون، ثم عن اليمين وادي عَبْوَل، وشعب قَطّاف، بفتح فتشديد، وشِبَيل، بكسر ففتح. ومن قارة التخم إلى جبال عقَبة عبد الله غريب، إلى مضيق وادي حويرة: متسع كبير، تسافر فيه العين، رمليٌّ، وفيه تلول، يقال له: المدْحر، بفتح فسكون، والمداحِر أيضاً، مأخوذ من الدَّحْر والدفع، وتبعيد الشيء عن الشيء، فجباله بعيدةٌ بعضها عن بعضٍ، والسيول تُدْحَر فيه أي تدفع، ويقال له: الرُبُع، بضمتين. ثم تدخل بين الجبال في وادي حُوَيرة، حيث يضيق مجراه، فبعد أن تمشي مسافةً، تلقى وادي سِقَم، بكسر ففتح، ثم جبل كرْمُوم، سمّي باسمه كرمُوم، من الحالكة.

ثم تحية، بها عين، وفوقها جبل الحيق، بفتح فسكون، ثم جِرْوِد، بكسر فسكون فكسر، به حرث، يسيل إليه وادي جرد، من أيمن الطريق وأنت مصعِد، وعنده جبل شَذْبه، بفتح فسكون: ١٧٠٠، وجبل جرود، وعن اليسار وادي الكَور، ويقال: وادي حُوَيرة، لأنه يأتي من الجبل الذي تحت الكَور، والحور عندهم: ما كان تحت الكَوْر، وهو أي: الكور، أعْلَى العمامة، سمي به/ أعلى الجبل. [/٩١]

وجبل حُويرة: تحت كور سيبان، يمتد من الربع (المدحر)، إلى عقبة حويرة،

الآتي ذكرها. ثم جبل الحسوسة، جبل أحمر رملي متماسك، ثم وادي مراك، وهو وادي الغيل.

***

[غيل الحالكة، وما جرى على أهله]

ثم غيل الحالكة، وهو مقسوم بين أفخاذهم الأربعة: آل بادقيل، وآل بانخر، وآل باسعد، والأبايضة (الأبَيْضي)، وقلّت رجال الأبيضي. فباع قسمه في الغيل والبطح، وقسّمه في أرض الفُرار، أي جبالهم، ومواضع رعي بهائمهم وباديتهم. والفُرار: بالضم، ما كان صغيراً من الغنم وغيرها، وهم يقولون: الفَرار، بالفتح، إلى المقدم عمر بن أحمد بن سعيد باصُرَّة، بضم فتشديد، لَخُمَعي (الأخمعي) الزِيِّي، بأربعمئة قرش (ريال)، هكذا شاع. فوهبَ ذلك لقومه من الزيّ، فاستولوا على غيل الحالكة، ومحارثه، ونخله، وطالَب بلُحُمَر، مقدَّم الحالكة بالشُّفْعة، وخاطب المقدّم باصرة وغيره من كبار الوادي: بأنه ليس من المعتاد دخولُ قبيلي على حدود قبيلي آخر، وطالب بحقّه، ولكن الزيَّ تمسكوا بما أدركوه، وأصروا على امتلاكه، بل استولوا عليه جميعِه، فبنى الحالكة موضعاً ليكون كالحصن يأوي إليه رجالهم، فأغار عليه الزيّ، وهدموه، وزادوا فهدموا جوابي البطح، وكان غيل البطح يسيل إليها، وتردُ عليها القوافل والمسافرون، وعليه حرثٌ.

فتلف ذلك جميعُه، وعظمت الفتنة. وغزا رَهطٌ من الحالكة إلى قريبٍ من وادي دوعن، فوجدوا رجلين من الزّي، فقتلوهما، فاستدعاهم المقدم باصرة، وحكم عليهم بأربعة آلاف ريال، غرامةً، لتعديهم بالقتل في الموضع الذي هو داخلٌ فيما أمّنه السلطان القعيطي، وادعت الحالكة أن ذلك الموضعَ ليس بداخلٍ فيه، وإن الحكم عليهم بالغرامة حكم جائر.

وسـاروا إلى المكـلا، وخاطبـوا الحكومة هنـاك، وكثر الأخـذ والرد، ثـم لم ينشب أن أغارَ نحو أربعمئة من الزّي على رعاة أغنام الحالكة، فوق الوادي الأيسر، وأدرك نحو سبعة نفر من الحالكة، وقتل من الزي أربعة، وأصيب بالجراح ستة، ومن الحالكة نفر، وجرحَ بعضهم، وذهب الزي بالسّرح، ولم يقدر الحالكة على ردّه، وتمادى الأمر، وتقطعت الطرق، لأن كلا من المتعاديَين وقَى، (أي منع)، الفريقَ الآخر من المرورِ في الطريق الكائنة في حدوده.

وتعب الناس، وتمادى الأمر نحو ثلاث سنين، وناشدت الحالكة بقيّة سيبان العدل في الأمر، والقيام به، وأيدوا قضيتها ومنع كل منهم الطريق التي تمر بناحيته، وبقيت الحكومة القعيطية كالمتحيّرة في الأمر، وكاد يتعطل وارد البندر وصادره، ولم تقدِمْ على عمل شيءٍ، لمكان المقدم باصرة من الأمر. واستمر الحال حتى أمّن الدولة الطريقَ، وأعلن أنها على ذمته ووجهه، فخفّت الشدة قليلاً، واختلفت القبائل إلى البنادر، إلا أن ذلك لم يكن على المعتادِ، لبقاء حالة الحرب بين القريتين، وأسباب النزاع قائمة، والحكومة تسوِّف في الحكم بينهما، وتؤجل ذلك شهراً بعد شهر، ثم أصدرت حكماً بإرجاع أرض الفُرار، والغيل جميعه للحالكة، ولكن الزِّيَّ لم ينفذوا هذا الحكم، ولم يقبلوه، وجَدُّوا خريفَ الغيل، ومازالوا مستولين على محارثه.

والحالكة لا يزالون يطالبون الحكومة بأمرٍ من أمرين:

١ـ أن تقْهرَ الزيَّ على استلام الحكم، وامتثال ما جاء فيه.

٢ـ فإن ثقُلَ عليها ذلك، أو لم ترغب في تحمل نتائجه، فلتتركهم ليدافعوا عن حقوقهم، حتى يرغموا عدوَّهم على الرجوع إلى الحق، أو يذوق وبالَ البغي.

ولم نسمع إلى الآن أنّ الحكومة فصلت في ذلك بأمرٍ حزمٍ، وقد مرّت على ذلك السنين تتلو السنين، ولله عاقبة الأمور.

* * *

عَودٌ إلى الوصف:

وقبل الغيل: جبل هِقَّة، بكسر وتشديد القاف، وقد مر ذكره في حدود سيبان، فجبل الغيل: ١٧٠٠. وفي الغَيل: نخلٌ وحرث، ويأتي جنوبيّه الكُوَير الصغير.

[ارتفاع كَوْر سيبان]

وفوقه الكَور (كور سيبان)، بفتح الكاف وسكون الواو، قال وَيسْمان الهولندي: إن ارتفاعه: ٧٠٨٨ قدماً، وكتب في «الخريطة»: أن الارتفاع عند الحسِي: ١٤٩٥، وفي «كتابه» قال: إن الارتفاع: ٤٥٠٠ قدم، وبعدَ حسْر الحسى: أن ارتفاع جانب الكور هناكَ: ٢١٥٠، ثم: ٢١٠٠، ثم: ٢٠٢٠، بين شرج الألف وبين الجبال، وهذا التقدير بالأمتار، كسائر ما تقدم. وفي بعض الخرائط المكتوبة باللغة الألمانية: وُضعَ ارتفاعه: ٢٤٤٠، وهذا بالأمتار، وهو أكثر مما قدّره به وَيسْمان.

[عقبة الغيل]

ثم ترتقي عقبة الغيل، وهي عقبة طويلة، تصعدها القوافل/ الصادرة من البندر عشيةً، وتنزلها القوافل الواردة من الوادي صباحاً، بعكس عقبة حُوَيرة الآتية، فإن القوافل الصادرة تطلَعُها صباحاً، وتنزل منها القوافل الواردة عشيةً. [١/ ١٩٢]

ويجتمع الصادر والوارد في البطح، فيأتي هؤلاء بأخبار الوادي، وهؤلاء بأخبار

البندر، بل يترامون بالأخبار، والاستخبار عن الأسعار، والكرا، كِراء الجمال، حيثما التقت القوافلُ، وهم سائرون. وقد يتخلّف بعضهم فيستوفي الأخبار، ثم يلحق بالقافلة، يقصّ عليهم أخبار البندر، من أسعارٍ، ووصولِ مسافرين، ومراكب، وكم سِعر الوَزيف، إذا كان في موسمه. والوزيف: هو سمكٌ صغير، كالذي يسمى بالسّردين، تعوِّل عليه القوافل لجمالهم، ويزعمون أنها تضعف وتَسَلُّ أجسادها إذا لم تطعمه، ولو كان في السنة مرةً.

* * *

ويأتي عن يمينك وأنت ترتقي في العقبة: جبل العرش، فجبل حُوِّيق، بضم فتشديد الواو المكسورة، فجبل ايدما، ويقابله: جبل كَيْتة، بفتح فسكون.

ثم تصل إلى البطح، وهو مستوًى من الأرض بين الجبال، تصعد إليه عقبة الغيل، وتنزل إليه عقبة حُوَيرة، وهو متوسط بينهما، وبه ماء وغيل وحرثٌ، وجوابي يجتمع فيها الماء، ثم أتلفها الزيُّ في حربهم مع الأحلكي (الحالكة). شماليّه: جبل تَباح، بفتح التاء، ويسيل إليه من الشمال: وادي رَيْمة، بفتح فسكون. ومن الجنوب: جبل البطح.

[عقبة حويرة، ووادِيا مِراهْ وعَقْرُون]

ثم تصعد عقَبة حويرة، فيأتي حاجب القَبْرين، والارتفاع: ١٦٠٠، ويأتي باليمين: وادي منوَّر، ثم وادي مَشْرون، بفتح فسكون، وكلها تسيل إلى الشمال، إلى وادي العين، مع أوديةٍ أخرى سيأتي ذكرها. وبعد حاجب القبرين، يأتي باليسار بالجنوب الغربي: وادي مِراهْ، بكسر الميم، وهو الوادي العظيم الذي يسيل إلى الوادي الأيسر، وعَقْرُون، بفتح فسكون فضم، هو الوادي الثاني، وقد تخرج منها سيول عظيمة تتلفُ المزارع، وتقلع النخل والعلوب، (شجر السدر)، وتذهب

بالضُّمُر، (جمع ضَمير، وهو: بناءٌ من الحجَر، يجعل في الوادي ليصرِّفَ ماء السيل إلى الساقية التي تسقي المزارع)، وتطغى على طينِ المزارعِ، فتذهب به، وتقرضه، وتجعل فيه أجرافاً، وانهياراتٍ، وتتلِفُ السواقي، وكذلك الوادي الأيمن (دوعن).

ووادي مِراهْ: يبتدئ أوله من كَور سيبان، مثل غيره من الأودية.

تفرّع الأودية من كَوْر سَيْبان

اعلم أن هذه الأجوال (الصحاري) الممتدّة غربيَّ كَور سَيْبان وشماليَّه: هي التي فتقَ الله بمائها الجبالَ الصُّمّ، فشقَّ واديي الأيمَن والأيسر، ثم اجتمعا، فكانا أصلاً لوادي حضرموت، ثم اجتمعَ معهما وادي العينِ، ثم وادي عَمْد، فانفسحَ الوادي وعَرُضَ، وتباعد جانباه، ويبلغ مساحة هذه الصّحاري التي تسيلُ إلى هذه الأودية الأربعة: نحو ألفي ميلٍ مربّع. ثم إن الأودية التي تسيل من شرقيِّ الكَور: تسيلُ إلى الحيق، فالبحر. والتي تسيل عن جنوبيّه الشرقي: تسيلُ إلى ما قد وصفناه سابقاً، من حدود المحُمُّديين إلى الكَور، من حَيقٍ ونَجْدٍ، ثم إلى البحر. والتي تسيل عن جنوبيّه الغربي: تسيل إلى الحجَاري، أي الجهة الحجْرية، كوادي يُوَن، وغيرها، مما قد وصفناه.

[شكوى من السيول، وجوابها]

جاء مرةً سيل كبير من وادي دوعن، فقلع نخلاً كثيراً، وأتلف مزارع وسواقي، فكتب بعض أهله للحبيب النبراس، نفيس الأنفاس، علي بن حسن العطاس، السيد الشريف العلوي الحسيني، يشكو ما وقع، فأجابَه بما سيأتي، أحكيه بمعناهُ لا بلفظه، فقال طال عهدي به: «لا تحسب أن الله خلقَ الجيلان الواسعة الفسيحة لتَسْقي واديكم الضيق! وإنما وسّعها ليسقي الكَوْر وما بعدها من الأماكن العريضة، وأنتم

إنما وقعتم على الطريق، ومن وقع على الطريق، فليصبر على التدحيق».

والتدْحِيق: هو الوطْءُ بالأرجُل.

***

عَودٌ إلى الوصف:

وكذلك وادي ضَعْف، بفتح فسكون، جنوبيَّ الوادي المتقدم، يسيل إلى مِراهْ، يخرج من قريب كَور سَيْبان، ووادي سَيْدُون، بفتح فسكون، ويجتمع معهما: وادي لكلي، ووادي كَنَن، بفتحتين، ووادي ثقبة، هذه كلها من الناحية الجنوبية.

تخترق الأجْوالُ (الجيلان) التي بين الطريق التي تقدم وصفها الصّاعدة: وادي حمم، إلى الكور، ثم إلى وادي دوعن، وبين طريق حُوَيرة التي لا نزال في وَصْفها/ [/ ٩٣]

ثـم يـأتي عن يميـنكَ وأنت مستقبلٌ للغـرب الشمالي: وادي زِقْمه، بكسر فسكون، لوادي العين، ثم عن يسارك، جهةَ الجنوب الغربي: وادي اِسْكِت، بكسر فسكون فكسر، ثم وادي قَلْقُول، بفتح فسكون، تجتمع كلها بعد وادي ثقبة بمسافةٍ، متجهةً إلى الشمال الغربي، حتى تصبَّ في وادي مِراهْ الأعظم، ويسكن هذه الأودية الحالكة غالباً، ومنهم من يتبدَّى ببعض أودية وادي العين.

ومن الأودية التي تصبُّ في وادي الأيسر: خِرِدْ، بكسرتين، ورَهْوَة ظَلْهَم، بفتح فسكون ففتح، قال يوسف بن علي باشميل، وذكر أودية من دوعن والأيسر:

يا الله لوادي مَوحْ واشْعَاب الزُّرُبْ ... وبِلْي والصَّحْصَحْ ومَنْوَهْ والمسِيلْ

و«مَوح»: بفتح فسكون. و«الزُّرُب: بضمتين. و«بِلْي»: بكسر فسكون. و«الصَّحْصَح»: بكسر[1] فسكون ففتح، وهو لوادي العين.

(١) سيأتي بعد أسطر ضبطه بفتح أوله. (مصحح).

ويأتي وادي مُشْطة، بضم فسكون، عن يمينكَ، لوادي العين، ثم وادي حِقَّيَوَه، بكسر فتشديد القاف ففتح الواو، ثم وادي عَرِبْية، بفتح فكسر فسكون، ويأتي موضعُ منزلٍ للمسافرين، يسمّى: الكَعَش، بفتحتين، قيل: إن الارتفاع به: ٤١٥٠ قدماً، ويقال: إن به قبر بعض الصالحين.

ثم تفترق الطريق بعده:

[١] **فاليُسْرى** منهما: تتجه إلى الوادي الأيسر، فتمر بقُطَيْفة، بضم ففتح فسكون، ووادي قطيفة، فغَار الحامديين، حتى تنزل على عقبة حُوفَة، بضم فسكون، من شعبٍ يسيلُ بينهما، وبين عَرض البَلْحُمَر، يسمى: الصيقة.

[٢] **واليمنى من الطريقين**: تستمر إلى الغرب الشمالي على قارَة الذياب، وهي عن يسار الطريق.

[طريق نازلة إلى وادي العين]

ويأتي عن اليمين، شرقيَّ الطريق: طريقٌ تفترق ذاهبةً إلى وادي العين، فتنزل بغُورِب، بضم فسكون فكسر، أو الغيضة (غيضة عين)، أو غيرها. فإن العقاب التي تنزل إلى وادي العين متعددة، منها ما ذُكِر، ومنها: عقبة المرْضَف، بفتح فسكون ففتح، تنزل على شرْج الشّريف، وحصون آل بِكِر، بكسرتين. و: عقبة صَيْقة بامطروش؛ تنزل على ديار بامَطْروش. و: عقبة صَوْقة، بفتح فسكون، تنزل على غُورب الأسفل، وسيأتي ذكر أودية وادي العين قريباً.

***

وتستمر الطريق الأصلية: فتمر بوادي جَحْ، بفتح فسكون. ومن شعابه: الحشْرَج، ففتح فسكون بفتح، وتفترق عنده طريقٌ مغرِّبةٌ، فتنزل على الدُّوفة، بضم

فسكون. وتستمر الطريقُ إلى الشمال الغربي، فيأتي: وادي الصَّحْصَح، بفتح[1] فسكون ففتح، ثم وادي وُقسَان، بضم بميل إلى الفتح فسكونٌ فكسر غير محقق، كلاهما يسيلُ إلى وادي العين.

***

[وديان وادي العين القبلية]

وبقي من أودية وادي العين القبليّة: سَمْوَر، بفتح فسكون ففتح الواو، يحله الحالكة والسماح، الشَّيْر، بفتح فسكون: يحله الحالكة. عِشْب، بكسر فسكون، وبَطِينة، بفتح فكسر فسكون. والعقوبية، بضمتين فسكون فكسر الباء وتشديد الياء. والعُضْن، بضم فسكون. وفي العقوبية: شرُوجٌ للعوابثة، فيها أناسٌ من آل بعنس. ودِكِة، بكسرتين. وغَورب الأسفل. هَرْيِه، بفتح فسكون فكسر الياء.

هذه كلها أسماء أوديةٍ تسيل إلى وادي العين، ما بين وادي الصَّحْصَح، إلى ما بين وادي العين، وجبال الجزع. والفروع الشرقية تسَاقي وادي بن علي، ومَنْوَب، ووادي حُوَيرة. ومنها: عِسِب، بكسرتين. وعِبَبْ، بكسر ففتح فسكون. والغَرْبُون، بفتح فسكون فضم. ويحلِث، بكسر فسكون فكسر. وصَيْر، بفتح فسكون. والقَراشيم، بفتح القاف وكسر الشين. وذَخْرة، بفتح فسكون. وأمَّات عَيْنَين، بضم الهمزة وتشديد الميم، و«عينين»: بفتح فسكون ففتح. ومِشَوْحَم، بكسر ففتح فسكون الواو ففتح الحاء. وسيأتي زيادة بيان عند وصف قَيُّوم وادي العين، بفتح فضم الياء المشددة.

ومعنى (قيُّوم)، بلغة أعلى وادي حضرموت: وسط الوادي الأعظم، الذي يقوم به الوادي، وتعود إليه الأودية الأخرى.

***

---

(١) تقدم قريباً أنه بكسر أوله. (مصحح).

عَودٌ إلى الطريق:

وتستمر الطريق إلى الغرب الشمالي، فيأتي: رأس فَيْل، بفتح الفاء وسكون الياء. وشعابٌ تسيل إليه: شعب الخامرة، شعب القافلة، شعب أم القَلْت، بفتح القاف وسكون اللام، ووادي اليانة. وتفترق طريق من هنا إلى وادي فَيل، ثم تنعرج الطريقُ إلى الغرب، ويأتي عن اليمين: شعب مِسِه، بكسرتين، وشعب الصفا، وأم/ [١/ ٩٤] الجذُوح، بفتح فضم وسكون الواو.

ثم تشرف على الوادي، وعن يمينك: جَزْع الصُّمّ، بضم الصاد وتشديد الميم، وشعابه سبق منها: شِعْب مِسِه، وسنذكر ما بقي. وتنزل إلى الوادي من عقبة المشرقي، فوق حصُون آل باجعيفر، من الحالكة.

***

وصفنا الطريق التي تطلع من دوعن من وادي مَنْوَه إلى حَجْر، والطريقَ التي تأتي من المكلا إلى دَوعن، وما بينهما من الأماكن والأودية، وما بين طريق وادي حويرة وبينهما؛ ولم يبق إلا أودية صغيرةٌ تسيل إلى دوعن من الناحية الشرقية، مثل: الخلّة، بضم فتشديد، بين ذي شَرْق (شَرق)، وعقبة الحبل، وغَوَاله، بفتحتين، عند القرين. وشِتْنة، بكسر فسكون، عند رحاب.

ومن وديان الأيسر، بقيَ: وادي قَرادة، بفتح القاف، من أودية عقرون، ووادي حِبابة، بكسر الحاء، ووادي سَوْبل، بفتح فسكون الواو ففتح الباء، ووادي حسْي الحوًّا، بكسر الحاء وسكون السين، و«الحوّا» بفتح فتشديد. وما بين مَنْوَه، وحموظَه: يحل المراشدة، من الزّي (سيبان). وفي شعاب حموظه الغربية: يحل الخامعة في جانبٍ منها، ونَوَّح في بقيتها، وفي تلك الشعاب تتنقل صُرُومهم تتبع مواقعَ الغيث، ومثلهم سائر من ذكرنا من القبائل.

أوديةُ الوادي الأيمَن

المراد بالوادي الأيمن: وادي دوعن. إذا جاوزتَ صِيْف، وقطعتَ ساقيتها، استقبلك واديان: أحدهما عن يمينك، وهو الأيمن، يأتي من الجنوب. وثانيهما عن يسارِكَ، من الناحية الجنوبية الشرقية، وهو الوادي الأيسر، ويقال: لَيْسر.

فإذا اجتمعَا، قيل لهما: وادي دَوعن، بتغليب اسم الوادي الأيمن، فإنه الذي يطلق عليه اسمُ دَوعن، في العرف الخاص. وسيأتي ذكر اشتقاق اسمه.

[الأودية الغربية والجنوبية الغربية لوادي دوعن]

وقد ذكرنا أودية الوادي الأيسر، وأودية الأيمن الشرقية، والشرقية الجنوبية، وبقيت أوديته الغربية، والغربية الجنوبية، وهي التي تسيل إلى الواديين العظيمين: وادي حَمُوظة، ووادي النبي، وهما يصبّان في الوادي الأكبر لدوعن، من الجهة الغربية.

فمن الناحية الجنوبية: تبتدئ الوديان من جبل الجِسْو، بكسر فسكون: ٢٠٠٠. ومن الغربية من الشراقي، أي من شرقي رِيْدَة الدِّين، فإن ما كان إلى الغرب ناحيةَ حَجْر: يصب إليها. وما كان شمالياً غربياً: يسيل إلى الشُّعْبة. وما كان شرقياً: يسيل إلى دوعن.

وقد وصَفنا الطريق التي تصعد من دوعن إلى وادي مَنْوة، إلى حَجْر، وصفناها إلى انحدارها إلى وادي مزرب بحجر.

* * *

وهناك طريقٌ أخرى، تطلع من فوق عَرْض الخريبة، في صَيْقة شعفُور، متجهةً إلى الغرب: فإذا وصلتْ قريبَ الزعفرانة، انحرفت إلى الجنوب الغربي، فتمر بكَيْدام

بامسدوس، فالغُوَير، بضم ففتح فسكون، من ريدة الديِّن، حتى تصل إلى أجوال (صَحاري) المدْلَاة. فشعاب وادي مَنْوة، ووادي النبي، تنحصر بين هاتين الطريقين اللتين ذكرنا. وكلها في حدود سيبان، وما قارب حَجْر منها للبازْشَيد، وغيرهم من قبائل نوَّح. وهذه الطريق تنزل من عقبة حفير، وتعبر وادي حفير، وبعد عقبة حفير: آثار خرائب، وهناك طين من أخصب الأطيان، إلا أنه غير معمور. ثم إلى وادي الحِسْي، بفتح فسكون، وهناك جبل رُباح، بضم الراء، وتنزل على العَصْلة بحَجْر، وهي للديِّن.

[كتابات مسندية في الكهوف]

وقد رأيتُ في بعض الكهوف كتابات بالمغْرَة (وهي طينةٌ حمراء كانوا يكتبونَ بها المسنَد)، وكذلك توجد كتاباتٌ منقوشة على الأحجار، بالطريق التي تمرّ بالشراقي، الآتية من الشمال من وادي قيدون وما والاه، وأحسبها لكتَّاب القوافل في الزمن القديم الحمْيَري، ولا أظنّ أن لها قيمة.

[طريق من الجول إلى عَمْد]

وتفترق طريق من الجول بعد مسافة من جَول شعفور، تمرّ قريباً من الزعفرانة، ثم تمر برأس الوَذْن، فالقراقر، إلى نصلة، حتى تنزل عقبة عَجْزَر، بفتح فسكون ففتح، على عَمْد. وهذه الطريق تذهب إلى الغرب، ثم تنحرف إلى الغرب الشمالي، إلى وادي عَمْد.

وبعد أن تتعدى الزعفرانة إلى الغرب: يأتي طريق جادة من الجنوب متجهة إلى الشمال، إلى قيدون، فتتفقان قريباً من الزعفرانة، ورأسِ الوَذْن، بفتح فسكون.

ومن وادي يبعِث، الذي مضى وصفه: تصعدُ طريقٌ من عقبة المدلاة، وهي كأداء متعبة، إلى ريدة الديِّن.

[وصْفُ ريدة الدَّيِّن]

و«رَيدة الدين» بفتح الراء وسكون الياء، و«الديِّن» بفتح الدال وتشديد الياء: صَحارى جبلية، تتخللها شروج، وهي تِرَعٌ أو مسايل ماءٍ صغيرة، لا تبلغ أن تكون أوديةً ولا شعاباً، يسيل فيها ماء المطر إلى الجروب التي يزرعونها عليها/ [١/ ٩٥] ، ويكون عند كل شَرجٍ حصنٌ كبير، غالباً، مبني بحجارة صَفا، يوجد عندهم، في غِلَظ أصبعٍ ونحوها، يُقلَع كأنه الألواحُ والسُّفَر العريضة، ويمكن تكسيرُه على هيئةٍ يصلح للبناءِ، ولا يجعلون لها ملاطاً (الملاطُ: ما يوضع بين اللَّبِن، من الطين، أو النُّوْرَة)، بل يرصُّونَها بعضها فوق بعضٍ، وهذا يجعلونَه لخزْن حبوبهم، لكل أهل بيت موضع منه. ويجعلون لأنفسهم حوله بيوتاً صغاراً بالمدَر. وقد يكون عند الشرج حصنٌ فقط.

وأما حدودها: فيحدّها من الغرب: سَوط البلعُبَيد، ويحد شماليَّها، حيث تقع شروج البايومين من الغرب: حنكة وادي عَمد. ويحدّها من الشرق: شِعاب حموظة، ووادي النبي. ومن الشمال: شروج القُشَم، والعبلا، وما خلفها من سوط البامُعْس. ويحدها من الجنوب: شرُوج نوَّح، البارشيد، وجيلان المدْلاة. وعقبة المدلاة، تقع على خَط العرض: ٤٥-١٤.

* * *

ثم يمتد الخط إلى الشرق، فيمر بجِيْلان المِدْلاة، فجبل الحِسُو، فغار الشق، بمساكن نوَّح، فبجبل حرامي، وجبل مبارك: شمالي المِسْنا، فشمالي غيضَة حمم بشيءٍ يسير، فرِشْنيت. فما بين أسفل وادي الملاوي وبين غيل باوزير، والضليعة: قرية بامسدوس، رأس الديِّن ومقدَّمهم، على خط العرض: ١٥ درجةً. ويمُرُّ بكَيْدام بامَسْدوس، فما بين قِرةْ حَمُوضة وقِرةْ سفارة، فموسط: جِيْلانُ وشعابُ عَقْرون،

ومرّاه، فجيلان وادي بن علي، ووادي عبد الله الغريب، فمَقَد الفِقْرِة، إلى المشقاص.

والقِرهْ: بكسرتين، مستوًى في حَيْد الجبل، أي جداره، كأنه جناحٌ، أو مطاف وبه في الغالب يكون الوعل. وخط طولها ٣٠ - ٢ - ٤٨ أي ثمان وأربعون درجةً، ودقيقتان، وثلاثون ثانيةً، (أي: نصف دقيقة). وخط الطول هذا يقطع وادي عَمْد مارًّا فوقَ حِجْل طَمْحَان. **والحِجْل**: هو الحقل والجروب.

❊ ❊ ❊

فإذا ارتقيتَ عقبة المِدْلاة من يبعِثْ، فبعد مسافة تأتي: نِقْبة النزوع، فوادي مِنْتِر، بكسر فسكون فكسر، ثم نِقْبة العلب، ثم مُوثاب، بضم الميم، وشعب العُقَيبة، بضم ففتح، وشعب الخربة، ومسيال سَتَم، بفتحتين. ويأتي من اليسار: شَرْج منتر، وفيه: البامنيف، من الباقازي، من أفخاذ الديِّن. ثم باطُرَيِّق، بضم الطاء وفتح الراء وتشديد الياء، شرج ماهِد، بكسر الهاء، كلاهما للبابَدر، من الباقازي، وراعون بجانب الطريق فيه البَلْعِجَم، بكسر العين وفتح الجيم، أصله: آل أبي الأعْجَم، وعلى هذا فقِسْ كل ما شابهه.

[قرى الطريق الشرقية]

ويأتي بين هذه الطريق والطريق الذاهبة من الرَّيدة إلى حجْر، التي سبق وصفُها: حصن باجِعَيم، بكسر ففتح فسكون، وعَجَز، بفتحتين، والغاية لهم. ثم شَرْج باضَان، للباضان. صبابير، وشرج بن يَبُر، بفتح فضم، فمجرى آل سويدان، وعَتُور، بفتح فضم. ولَقْحَلَين، أي: الأقحلين، أحدهما أقْحَل، بسكون القاف وفتح الحاء واللام وسكون الياء، وهذه منازل آل سُوَيدان من الديِّن. والسَّلَق، بفتحتين، فيه آل باغُوَير، بضم ففتح، من آل باسويدان.

[قرى الطريق القبلية]

هذه كلها شرقيَّ الطريق، ويأتي قبليَّها، بعد ما مرَّ: رأس غاضَنان، بفتح الضاد، فشرج شرين، فغَمِيس باحوات، بفتح فكسر الميم، فالغُباضَة، بضم الغين وفتح الضاد، فالوُلَيْجات، بضم الواو وفتح اللام وسكون الياء، للباسالم، فالضُّلَيعة، وبها جامعٌ، وهي للبامسدوس، وصِبْيانهم البلعَبَيد، بفتح العين والباء، والمِكْراب، بكسر فسكون الكاف[1]، والمكيريب، وكلها للبامكراب، من البامَسْدوس. والثُّجْرة، بكسر فسكون، للمسَادِسة (آل با مسدوس). ثم الحِنْو، بكسر فسكون، للمشايخ آل باعشن، وآل بامجبور من آل سويدان.

ومن قريبِ الحنو: يبتدئ حَفْر الوادي، الذي يسيل إلى الشُّعْبة. وقريب المبراد: يبتدئ الشعب الثاني، ثم يجتمعان، ويطْلَقُ عليهما: وادي الشعب.

والنِّحَي، بكسر ففتح، للباجِنْحِن، بكسر فسكون فكسر، وضِراك، بكسر الضاد، وضِرَيْكة، بكسر ففتح فتشديد الياء، فيها: الباسواري.

❊ ❊ ❊

وعن يمين الطريق: النِّجَيدين، فيها آل الشيخ عمر باعبد القادر العمودي، وهناك يكون ذو منصبهم. والباعِشَيم، بكسر ففتح فسكون، صبيان. ثم القُوَيرة (تصغير قارة)، فيه: الباخريبة، صبيان. ثم الخلِيف، بفتح فكسر فسكون، وفيه آل باسُوَّدِة، بضم السين وتشديد الواو وكسر الدال، وعندهم أناس من آل بافلح. ثم الغَمِيس، بفتح فكسر فسكون. والغُوَير، بضم ففتح فسكون.

---

(١) في الأصل: بسكون القاف، ولا قاف في الكلمة، فصح أنه خطأ طباعي. (مصحح).

ثم الميراد، فيه: الباطِهَيف، بكسر ففتح فسكون. ثم لَبْيَضين، (الأبيض على صيغة المثنى)، للباعمرو. بِرَيِّرة، بكسر ففتح فتشديد الياء المكسورة. عَتُود، بفتح فضم، فيه: إلْيَاس، والبازِجْ، (الياس:/ بكسر فسكون اللام. والبازج: بكسر الزاي). [/٩٦] والسَّيل، فيه الياس. وسَمْح بافِقْره، بفتح السين فسكون، و«فِقْرِهْ»: بكسر فسكون، ومن آل بافِقْرِهْ: عمر بن عبد الله بافقره، هكذا اسمه على ما أتذكر، وهو الذي أزعج حكومة حيدرآباد نحوَ ٢٠ سنةً، وكان خرجَ عليها، وله قصة مشهورة. وهذه من الشراقي. ومنها: رَوضة باقِطَـيَّان، بكسر القاف وفتح الطاء وتشديد الياء.

وعن يسار الطريق إلى الشمال الشرقي: يأتي رَبَـض باسوده، «رَبَض»: بفتحتين. ثم الوُلَيجات، لباسالم. ثم عَنَق بلْشِرَف، «عنق»: بفتحتين، «شِرف»: بكسر ففتح، وأصله: آل أبا الأشْرَف. باكبيده، فيه: باقحدوم.

[شروج آل بايومين، باكرشوم]

وعَودٌ إلى شروج آل بايومين؛ ويقال لهم: الباكَرْشُوم، وهي قسمٌ من الريدة، تمتد بناحية الشمال والغرب حولَ رأس وادي الخميلة، ورأس وادي الشعبة. ويقال: إنهم من كندة، وصريخهم للديِّن.

فمنها: باغِنَيم، بكسر ففتح فسكون. لِـخْجَلَين، بكسر فسكون ففتح اللام فسكون الياء. وبالَـجْنف، بسكون الجيم وفتح النون (الأجْنَف). النُّخَيلات، بضم ففتح فسكون. فمَذْهُون، بفتح فسكون. فدُفَيقة، بضم ففتح فسكون. كلّها لباكرشوم.

ثم زَيْد، بفتح فسكون، للذّيباني. فزَيد الهابطي. فدَلَثْلة، بفتحتين فسكون الثاء، كلاهما لباكرشوم. فالصَّلَل، بفتحتين، للباقُضَاعة، من الديِّن. غَيظة، لابن الشيخ العمودي، من أهل الشُّعْبة. فبِجَيِّدة، بكسر الباء ففتح فتشديد الياء، لباقضاعة. فالسُّوَيدا،

بضم ففتح فسكون، للبابَيْتِر، بفتح الباء وسكون الياء، من الديِّن. ذي الـحُمَر، بضم ففتح، للمشايخ آل العمودي، والبادُوَيس، بضم ففتح فسكون. فقِدَة، بكسر فتشديد الدال، للبامِـجَيْمِر، بكسر الميم ففتح الجيم فسكون الياء فكسر الميم، من المشاجر، وصريخهم للديِّن. الشَّعَبات، بفتحات، لآل هميم. إلْـمَر، بكسر الهمزة وسكون اللام وفتح الميم، فيه: الباخَرْبوش، بفتح فسكون. **مضى هذا الطَّرَف.**

مَردٌّ إلى يمينِ الطريق:

بَراوِرة، بفتح الباء وكسر الواو، وفيها: آل الجيلاني، ينتسبون إلى سيدنا عبد القادر الجيلاني. لَخْشاب (الأخشاب)، فيها: آل العمودي.

[طريق سوط الأبارقة]

ثم يأتي من ناحية الشمال يساراً، عن الطريق الذاهبة من الريدة إلى وادي عمد، ويميناً عن الطريق الذاهبة من الريدة إلى قيدون: سَوط لَبارِقه (الأبارِقة) بكسر الراء، ومن قراهم: الثِّجَر، بكسر ففتح، فيها: الباقارِح، بكسر الراء. الدِّيَيْمة، بكسر ففتح الياء فسكون الياء الثانية، فيها: لَباصِره (الأباصرة)، بكسر الصاد والراء. والجِرَيْث، بكسرففتح فسكون، فيه: الباهَمَش، بفتحتين. فالسَّحَم (الأسحم)، بفتحتين، فيه: البامِسَلِّم، بكسر ففتح فتشديد اللام. الجِذْفِرة، بكسر فسكون فكسر الفاء، فيه الباجَعْوَل، بفتح الجيم والواو وسكون العين، من الأبارقة، وفيه المشايخ آل العمودي. ضِغَر، بكسر ففتح، فيه: آل باسالم. الوُلَيجات، فيها: آل باسالم، والسادة آل الحبشي.

[طريق سوط القثم]

ثم يأتي شمال ذلك: سَوط القُثَم. ومنهم: آل المقدَّم، والبامَغْرومة، وآل بايمين، والصقعان، وشرُوجهم بسَوط القثم، بالقَراقِر، بفتح القاف الأول وكسر الثاني. ورأس الوَدْن، بفتح الواو وسكون الدال. والسُّوَيرقه، بضم ففتح فسكون الياء فكسر الراء.

فباغِنَيم، بكسر ففتح فسكون الياء. فالقَرَنْزح، بفتحتين فسكون الثاء[1] ففتح الزاي. فمُرَيل، بضم ففتح فسكون الياء. وهَمِيمة، بفتح فكسر فسكون. والزعفرانة. ورقاش.

[شروج الـمِعُوس]

ويحادهم إلى الشرق بشمال: الـمِعُوس (من معَس الجلد: دبَغه)، بكسر الميم فضم العين فسكون، في سَوط المعوس. وهذه شروجهم: حِسْيِة العليا، بكسر الحاء فسكون السين فياء مكسورة، فيها: الباعبود. حِسْيِة السفلى، فيها: الباسلطان. الـمُشْطة، بضم فسكون، فيها: الباعبدون بفتح فسكون. العِطَيف، بكسر ففتح فسكون، فيه الباعُضَيده (تصغير عضد). المِقِر، بكسرتين، فيه: آل وَتَّار، بفتح فتشديد التاء. المحترقة، فيها: آل الزَّوْع، بفتح فسكون الواو. نِعَيِّمة، بكسر ففتح فتشديد الياء المكسورة، فيها: الباوَقَّاش، بفتح فتشديد القاف. ونَعَومه، بفتحتين فسكون الواو. وأجدم الرأس، بفتح فسكون ففتح. وأجدم الأسفل. ويحل معهم: آل باعَطا. وآل بانِعْمه، بمشطة. والحَوْلا، بفتح فسكون. وأرض الحاج. ودار/ الشيخ. [٩٧]

❊ ❊ ❊

وسوط المعوس وما بعده[2]: في الشعاب التي تسيل إلى المِقِر، والمرحاض، ثم يصب في اللُّجْلِج، إلى وادي قيدون. ثم شمالي سَوط القُثَم وسوط المعوس: تأتي الجيلان المتصلة ببعض شعاب وادي قيدون، وبوادي الغبر، وتذهب شمالاً حتى تشرف على وادي نِيسم، الذي يسيل إلى حريضة. ومنها: ما يسيل إلى عنَق وخنفر، بوادي عمد.

---

(١) كذا في الأصل، وهو إما خطأ طباعي، أو سبق قلم. صوابه: النون. (مصحح).

(٢) كذا في الأصل، ولعل السياق يستقيم بزيادة كلمة: [يسيل]. (مصحح).

وتقطعها طريقٌ من عقَبة الشيخ، بالجبل الغربي الشمالي لقيدون، حتى تنزل عقبة خيلة، إلى عنَق. وإن ذهبتَ شمالاً: نزلتَ بعقبة صَمُوعة، إلى شرْج آل علي بن سالم، إلى حريضة. وإن ذهبتَ شمالاً، على السمت: نزلتَ بعقبة المقر، إلى وادي الغبر، عند غُبْرة السادة آل الحبشي.

[وادي قيدون]

ويلي سوط المعوس: بُرُغ، بضمتين. يسيل إلى وادي قيدون. والبُوَينة، بضم ففتح فسكون. والعَجَل، بفتحتين، للحامديين. ومَنْقَل، بفتح فسكون ففتح. تسيل إلى الغبر، وتتصل بها الجيلان تقطعها الأودية. فما كان شرقي المقر: يفصلُه عن جيلان الغبر وادي قيدون، الذي يأتي من أطراف سَوط القُتَم، وأطراف رَيدة الديْن متجهاً إلى الشمال. ثم ينعرجُ إلى الشرْق، قبل أن يمرَّ تحت بلد قيدون بنحو ميل ونصف، وفيه على بعد ستّة كيلومترات من البلد: الغَيل المسمَّى بغَيْل بُوَيرْدِة.

والبلد على خط الطول: ٣٥ – ٢٠ – ٤٨، أي: ثمان وأربعون درجةً، وعشرون دقيقةً، وخمس وثلاثون ثانيةً. وعلى خط العرض: ٥٢ – ١٨ – ١٥، أي: خمسة عشر درجةً، وثمان عشرة دقيقةً، واثنتان وخمسون ثانيةً، كل ذلك على وجه التقريب.

* * *

ثم إن الجيلان التي فيها سَوط الأبارقة، وما قاربها: تسيلُ إلى عنَق، من وادي حضَا، بفتح الحاء، وتسقيه صَحاري وشعاب، تبتدئ من عنَق بلْثِيرَف، فما كان شرقاً عنها إلى حدود الصحاري (الجيلان) التي تسقي وادي قيدون. وقد قلنا: إن هذه الصَحاري الجبلية، أو كما يسميها أهل حضرموت: (الجيلان)، تمتدّ شمالاً، فغربيّها يصُب في وادي عَمْد من الشعاب المختلفة.

[وادي خنفر]

ثم وادي خنفَر، يصب في وادي عَمْد. وفي أجواله: شَرج الخضيرا، فيه جروب ومساكن للسادة آل الحبشي، من ذرية الحبيب عيسى بن محمد الحبشي. وشرقيها: يسيل إلى وادي الغبر، وإلى وادي عِزنه، وهو يصب في أسفل وادي الغبر، مقابلاً للقِزهْ، وإلى شعاب جَزع الصمّ، الذي بين قيدون والهجرين.

وشماليها: يسيل إلى وادي نِسِم، بكسرتين، وهو وادي حُرَيضة. وإلى شعب مِيْخ، بكسر فسكون، وشِعب آخر يسيلُ عند عقبة صموعة، ويفضي إلى وادي نِسِم. فرأس الغبر يشارك وادي خنفر، وتسيل إليه مواضع عديدة. منها: رِبِهْ، بكسرتين. ومَثُوره، بفتح فضم فسكون ففتح. والحنَّانة، بفتح الحاء وتشديد النون. ثم يأتي مَنْقَل من الناحية الشرقية لوادي الغبر.

وشعب العطف يسيلُ إلى شعب منْقَل، ثم يصب في وادي الغبر.

ومن ناحية الغرب الشمالي: يأتي أعْوج عُوْر، بضم العين وسكون الواو، يصب في وادي عُوْر، والمصنعة كذلك ثم يصب في وادي الغبر. ثم يأتي قريبا من الغيظة، غيظة الغبر (المسماة غيظة بابلغوم)، وهناك يصب العَرْق، بفتح فسكون، ثم عقبة المِقِر، وشعب المِقِر، بكسر الميم والقاف، ثم شعب القِزهْ من الناحية القبلية، وهو يشارك نَعَام وميخ.

وحذاءَه من الناحية الشرقية: مخرج وادي عِزْنة، بكسر فسكون، وهو يأتي من الشرق الشمالي والجنوبي، ويشارك وادي مَنقل، وشعاب الجزع. ومن شِعابه: الشَّوْحَطة، والعِلَيب، بكسر ففتح فسكون، والسُّمْره، بضم فسكون، تصب في العليب. ثم يأتي وادي خِرَيخر، بكسر ففتح فسكون، من الشرق، وشعبتاه هما: الوِرِك، بكسرتين، والوِرِيّكه، بكسرتين وتشديد الياء المكسورة.

وأما شعاب الجزع: فهي تصب من حَيد الغبر الشرقي، بالنسبة إلى مجرى وادي الغبر، وهو غربيٌّ بالنسبة لوادي جَزع الصمّ، الذي هو في الحقيقة مجرى سيول أودية دوعن والأيسَر وقيدون. وسيأتي ذكرُها مع الشعاب الشرقية، عند وصفنا للقُرَى التي في بطون الأودية/ . [٩٨/]

وصفُ الصَّحاري
الواقعة بين وادي العَين والمشْقَاص

ونعني بها الصَّحاري التي تسيل إلى: وادي مَنْوب، ووادي بن علي، ووادي عِدِم، وأودية الحموم وما والاها. وهي شرقيةٌ: بالنسبة إلى وادي دوعن، وجنوبيةٌ: بالنسبة للكَسْر فالقطن، فما انحدر عنه، إلى تريم، وشماليةٌ: بالنسبة إلى المكلّا. وما قَرُبَ من سَيحُوت فهو شرقيٌ بالنسبة إلى الكل.

وهذه صحاري واسِعةٌ، وتشقها شعابٌ وأودية عديدة، ولم نجد من يعرِفُها جميعها، ولا مَن وصَفها لنا كلها، فنذكر الآن ما عندنا من ذلك:

بعد رؤوس وادي العين العليا: تأتي الصحاري التي تسيل إلى وادي بن علي. ورؤوس هذا الوادي الأصلية، هي: وادي بَرَم، بفتحتين، يحادّ مَنْوب، وهو غربي. ووادي الرّيِّك، بتشديد الياء المكسورة، يحادّ وادي العين، وهو قيّوم الوادي. ثم سِسِب، بكسر السينين. والحبْل، بفتح فسكون. وهما يحادان رَيدة الجوهيِّين.

وينزل إلى وادي العين من عقبة الصُّوَيغِرة. والطريق إليها: من عقبة عبد الله الغريب، ومن حُوَيره، وغيرهما. وله أودية أخرى، سيأتي ذكرها عند ذكر باطنة الوادي مع وادي منوب، وغيره.

[الطريق إلى ريدة الجوهيين]

وفي الجول، عند عقبة الصويغرة: حصْن القاع، وهو لآل سالم من العوابثة، والمشايخ آل بركات الباوزير، وفيه حرث. وما بين هذا الحصن شمالاً، إلى وادي نِسْمه، الذي يصب في أسفل وادي عدم، وشرقاً إلى وادي عِدم: ليس عندنا وصفه. وما بين الطريق الذاهبة إلى عقَبة الصويغرة، إلى طريق القوافل الممتدة من الشحر إلى ريدة الجوهيين؛ كذلك.

والذي نعرفه عنها، من بعض من سلكَها: أنها صحاري ممتدّة، يمكن للقوافل قطْعُها بلا عائق من جبلٍ أو عقبةٍ، وهي التي تسلكها قوافل الجوهيين، والبُحْسَن، والمعارَّة، وسيبان، يطلعون عقبتي عبد الله الغريب، أو الفِقْرة، ثم يسلكون الطريق بسَهب العُرْفط، إلى يحب، وتسمى طريق الهِجْلة، بكسر فسكون الجيم. وبيِحْب: تجتمع ثلاث طرقٍ: هذه، وطريق عَبْول، وطريق رِسِب، بكسرتين.

ويمكن لمن طلعَ من الشحر: أن يسير من مقد الفقرة، أو غيره، إلى الغرب، حتى يلاقي الطريق التي تطلع من حويرة، وهو يوم وبعض يوم.

حَيْق الحموم

والآن نذكر وصفَ حيق الحموم، وأوديتهم، ثم نذكر الطريقَ وما بها من الأودية والقبائل:

[واديا العرشة والحقلة]

إذا نزلت من عقبة العَرْشِة، بفتح فسكون فكسر الشين، وأنت ذاهبٌ إلى الشحر: جاءك وادي العَرْشة، ثم الحقْلة، بفتح فسكون، بأيمنكَ غيضةٌ فيها عيون ونخْل ونارجيل (كزاب)، وحرث، وقضب، وهي للسادة الأشراف آل الهندوان.

[عَرَف]

فإذا سلكتَ طريق الرَّمْضَة، بفتح فسكون ففتح، إلى عَرَف، بفتحتين، وبها الشيخ بن سالم باوزير، المعروف بمولى عَرف، وفيها: عيون، ومحارث، ونخل، ونارجيل. وبها مزرعة الروضة المشهورة، وفيها: السادة الأشراف آل الشيخ بو بكر بن سالم، وسالم بن ناجي النَّشَّادي، بفتح النون وتشديد الشين، وأولاده، وبيت الكلالي.

[شعب القبالي]

ثم شعب القبالي: منتجَعٌ للمرعى، وفيه طريق من عقبةٍ فيه إلى نَجْد الحموم، وفيه قبر الشيخ مرْضَحين، بفتح فسكون ففتح فسكون الياء. ثم الرمضة (رمْضَة المشايخ)، بضم فسكون ففتح الضاد، فيها عينٌ، ويبلغ إليها معيانُ عَرف، وفيها: المشايخ آل باوزير، ويزرع فيها التنباك.

[إلى وادي العرشة]

ثم البرح، وهو لليُمَيني، بضم فسكون، فيه نخلٌ. وبأيسَر الوادي بيوت للكلاليين، وبيت يُمَين، ويزرع فيها: تنباكٌ، والقضب، ونحوه. ثم الفياعين، وهي بمَنْفر وادي العرشة، هكذا يقولون (منْفَر)، ويعنون به: مخرج الوادي، وحيث يتسع ويفضي إلى غيره. فيها عيونٌ للسادة الأشراف آل عبد الله بن شيخ العيدروس، صاحب الشحر، فيها نخل ونارجيل.

[وادي حلي، وعقبة الغُزّ]

ثم تَعود من هنا مشرِّقا إلى المشقاص، والشحر عن يمينك: فيلقاك وادي حَلْي، بفتح فسكون، عن يسارِكَ، فيه غيضَة لبيت عبيد، بضم ففتح فسكون، من الحموم، فيها نخل.

وفيه عقبة الغُزّ، تطلع إلى النَّجْد. والغُزّ هؤلاء: جيلٌ من الترك، طرقوا/ [١/٩٩] حضرموت، فجاسُوا خلالها، وتَبّروها، واستباحوها، وبقيت مواضع تذكر بهم، مثل: قارَة الغُزّ، وعقَبة الغزّ، هذه، وعقبة الغُزّ التي تنزل بها القوافل إلى ساه، والعقبة التي تنزل قرْبَ الهجرين، وغير ذلك.

[الوديان والشعاب القريبة من الساحل]

ثم وادي طَمْحة، بفتح فسكون، فيه غيضَة لبيت سعيد، وفيه عقبة الضُّدْع، بضم فسكون إلى النجد. ثم وادي خِرِد، بكسرتين، لبيت علي. ثم وادي خِرِيدة، بكسرتين فسكون الياء، فيه عيون ونخل لباحسَن. وبيت صِرْقَاحة، بكسر فسكون، وفيه عقبةٌ إلى النجد. ثم شعب شِزْوَة، بفتح فسكون ففتح، لبني شِنَين، بكسر ففتح فسكون، فيه غياضٌ، وعيون، ومحارث (مزارع)، وهو بجانب وادي خِرِيدة، وأنت ذاهبٌ والبحر عن يمينكَ، والجبلُ ومخارج الأودية عن يسارك. ثم وادي حَلْفون، بفتح فسكون فضم، فيه غياضٌ، وعيون، ونخل، وحرث، وهو لبيت غراب.

[المواضع الساحل من الريدة شرقاً]

ثم يأتيك الساحل: فيه الجامحة، بكسر الميم وفتح الحاء، فيهم عددٌ، ولهم غياض وعيون، وبعدهم ريدَة بن عبد الودود الكثيري. ثم يليهم: بو عِجَيل، بكسر ففتح فسكون، لهم غياض وعيون، بها نخل وحرث، وفيهم عدد، ولهم شجاعة. ولهم عِسِد الغَايِه، بكسر العين والسين، وبكسر الياء من كلمة «الغاية». وعِسِد الجبل، بها قرى لهم، ومعاصر للسليط. ثم بيت المور، بفتح الميم وسكون الواو، تُعْني. من الثَّعْين، بفتح الثاء وسكون العين وفتح الياء: قبيلة من ذرية حضرموت. ولهم حرث ونخل، وشعابٌ بها غياض، ولهم وادي حمم، وهو غيروادي حمم الذي لسيبان، وعندهم جمال وبقر، ولهم سنايِق يصطادون فيها.

[عبرةٌ عظيمة]

وكان منهم في صدر الإسلام علماء ومحدّثون وقضاة، وصل إليهم ما جاء به محمدٌ رسول الله ﷺ من النور والهدَى، والبركة والشفاء، فاستضاءُوا واهتدَوا، وزادوا ونمَوا، وأحياهم الله بالإيمان والعلم، بعد أن ماتوا بالشّرك والجهل.

فمن أراد أن يفهَم قول الله تعالى حقَّ الفهم: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[الجمعة: ٢]، فلينظر إلى أخلافهم الموجودينَ الآن، على ما بهم من الجهل والغباء والجفاءِ، كما كان آباؤُهم من قبلُ، وليجرّبْ: هل يقدر على أن يرُدَّهم علماءَ ورواةَ حديثٍ، وقضاةً، بمجرّدِ دعوةٍ يوصِلُها إليهم!؟. كلا والله! ولكن الله فتحَ بمحمَّدٍ صلواته وسلامه عليه وعلى آله القلوبَ الغلْفَ، والآذان الصمَّ، والعيونَ العُمْيَ، وجعل به الأميينَ، أئمةً للمتقين، ونوراً في العالمين، إن في ذلك لآية للمتوسّمين.

* * *

ثم بيت غَتْنِين، بفتح فسكون فكسر فسكون الياء، ثَغْيَني، وهم على الساحل، ولهم غياض. ثم بيت حِزْير، بكسر فسكون، ثَغْيني، على الساحل، أهل مواشي، ولهم غياض بها عيونٌ ونخل. ثم بيت عِسَانة، بكسر العين، كذلك. ثم السِّماح، بكسر السين، وأصلهم من قبائل اليمن، وكانوا دخلوا في نهدٍ عند استيلائهم على حضرموت. ثم العُدول (الأُعْدُول)، ثَغْيني، كذلك.

[إلى وادي نيسم]

ثم تطلع الجبل من طريق عقبة يَعُوّص، بكسر فضم العين فضم الواو المشدّدة، وتأتي على داشِغ، بكسر الشين، في النّجْد، وتصل إلى شعب لَفَيْخ، بفتح

اللام وفتح الفاء وسكون الياء، فذاك يوم بسير القوافل، تحل لَفيخ: العَارية من بيت علي، فيه غيضتان: نِيْسِم، بكسر النون وسكون الياء وكسر السين، والطِّرَيف، بكسر الطاء وفتح الراء وسكون الياء، فيهما نخلٌ. فإذا سافرتَ في وادي نيسِم: لقيتَ فيه صروم بيت حُمودة، وهم من السادة الأشراف، وبيت عِجَيل، وبيت علي. وفيه قبر الحبيب السيد الشريف، صالح الكِشِم، بكسرتين معتقد يزار. ويحل بأسفل وادي نيسِم: المناهيل. ويفضي إلى القائِمة، بوادي سنا، بعد قبر النبي هود عليه الصلاة والسلام.

عَودٌ:

عدْتَ إلى رأس شعبِ لفَيْخ[1]، فيلقاك شِحَرَه، بكسر ففتح، واد فيه السادة الأشراف آل زين، فيه معيانٌ جارٍ، وغيظَةٌ. وفيه: بيت مِرَيدُود، من آل زين، بكسر الميم ففتحٍ فسكون كذلك فضم الدّال فواو ساكنة. فسال، وهو غيضة فيها نخل، وهو يصب في وادي نيسِم. وفيه عقبة إلى الخنْط، بفتح فسكون.

[وادي الخنط، ابن حَبْرَيْش]

فتأتي: وادي الـخَنْط، وفيه: حصن علي بن حَبْرَيش، رمته الطيارات الإنجليزية فهدَمته وفيه: غيضَة لعلي بن حَبْريش وإخوانه، وهو رئيس/ قومٍ من بيت علي، وأبوه [/ ١٠٠] حبريش قتل غدراً في واقعة الشّحر، مع ثلاثين نفر من رجالات الحموم، وقد ثار بهم الحموم في واقعة الدِّيس، وربما نورد القصة باختصَار في موضعها. ويُفضي وادي الخنط إلى وادي عُراد، بضم العين، وفيه: بيت علي، وبيت عجيل، وبيت حمودة. ثم يفضي وادي عُراد في وادي نيسِم.

---

(١) البادية قد تنطقه: إلفَاخ، بزيادة الهمز أوله مع الإمالة. (مصحح).

عَودٌ:

عدتَ إلى عقبة الخنط، وسرتَ مغرِّباً بطريق النجْد: فيأتي وادي ثُوْب، بضم فسكون، وهو لبيت علي، يسيل إلى ضُمُر الصَّيْقة، ثم إلى وادي سنا. ومعنى الضُّمُر: حيثما أتى: مخرج الصَّيْقة، أو الشعب، أو الوادي. ثم وادي نِحِب، بكسرتين، لبيت علي، يسيل إلى وادي غيل بن يُمَيْن، بضم ففتح فسكون.

[وادي غيل بن يمين]

ثم وادي غيل بن يُمَين، وهو قرية مشهورة، وهو للسلطان آل عبد الله الكثيري وكان قبل ذلك للشَّناظير، أصلهم من يافع، ثم قَلَوا. ولهم حصن فيه، اسمُه: قُرَين الظُّبَي، بضم القاف وفتح الراء وسكون الياء، و«الظُّبَي»: بضم ففتح. وسكان الوادي: بيت جمل الليل، وبيت السقاف، وبيت مديحج، وبيت مِشَايخ، وهؤلاء من السادة الأشراف. وبيت ضَمَن، ونصرتهم للحموم، وصريخهم واحد. وفيه: الحموم. وفيه: حِصن لآل سالمين بن حسنة[1] بن مِجَنِّح، بكسر الميم والجيم وتشديد النون المكسورة، من آل علي. ثم حصن بيت عَجلان، للداوِلة، بكسر الواو، فخيذة منهم. ثم حصن عجلان بن علي، من الداوِلة، وبجانبه: قبر الشيخ باربيع، يزار. ثم حصن القصُول، لآل جابر من آل علي بن عمر، ونصرتهم للحموم. وهذه الحصون كلها بأيمَن الوادي المنحدر، أي بجانبه الشرقي.

[الجفجف]

ثم يأتي المحل المسمّى الـجَفْجَف، بفتح فسكون ففتح. ثم حصون بيت ضِمْن، وهم تحت رعاية القَرْزات. وحصون القرزات. ثم حصن الحبيب السيد الشريف،

---

(١) ويقال: بن حسن. (مصحح).

حسن بن محمد بن نعمة، ونصرتهم لبيت القَرزات. ثم حصن السادة الأشراف بيت كِنَيد، بكسر ففتح، نصرتهم لهم أيضاً.

[مساكن القَرْزَات]

ثم القُويرة، وسط الوادي، لبيت القَرْزَات، ويقال: قَرْزي. وفي «تاريخ شنبل» [ص٦٣، ٩٩] وغيره: يذكر القَرْضي من بني معاوية. وبنومعاوية من كندة، وكان فيهم الملوكُ الأربعة. وبيت القَرا، من المهرة، إذا نطلقوا بالضاد ضغطوا عليها ضغطاً شديداً وجعلوا لها صَفيراً كصفير الزاي.

[بقية سكان غيل بن يُمَين]

وفي غيل بن يُمَين ممن لا يحمل السلاح: باحَشْوان، وعبُود الوالد، وبيت قَرْندل، وحِمَيدُون، وبيت سَلُّوم، بفتح فتشديد اللام المضمومة، وبيت الدِّقَيل، بكسر ففتح فسكون، وهم كلهم يخدمون النخل، ويحرثون.

وفيه عيونٌ في أسفله، ومساقي، ونخل، وحرث، وهو متسعٌ.

والعيون في نُخُر عَيْقُون، و«نُخْر»: بضم فسكون، «عيقون»: بفتح فسكون فضم. وهو شعب يَصُب في الغيل، في الموضع المعروف بالدَّحْقة، بفتح فسكون ففتح.

ويسيل إليه أودية أخرى غير ما تقدم. منها: وادي اللَّحْف، بفتح اللام فسكون، لبيت عبيد، فيه غياض ونخل، ويصب في وادي يِرِبْ. ووادي يِربْ: يصب في الغيل. و«وادي يِرب»: بكسر الياء والراء، لبيت شِذِيَّان، بكسرتين فتشديد الياء، هم فخذ من القرزات. فيه غيظَة نخلٍ، وحصن لهم.

ووادي جِحْدِه، بكسر فسكون فكسر الدال، لبيت القرزات. فيه مرعًى. يفيض إلى وادي غيل بن يُمَين. ووادي جِحَيدةْ، بكسر ففتح فسكون، لهم، يفضي إلى وادي الغيل. وادي العيص، وأصله ورؤوسه: برأس عَبْول، ومَقدّ العبيد. «مقد»: بفتح الميم والقاف وتشديد الدال.

وأعلى هذا الوادي: لبيت القرزات، لفَخيذة دلخ، وفخيذة سويد، والشراخيم، وبيت روَّاس، بفتح وتشديد الواو، وكلهم من القرزات. وأسفله لبيت القرزات، فيه غيظة ونخل. وحصن العيص: لبيت شِذيّان. ويفضي إلى وادي الغيل بعد اجتماعه بوادي مَلْيَن، بفتح فسكون ففتح. وفيه، أي وادي ملين: الولي بن كِنِب (بكسرتين)، أبو الحسن، والولي الحبيب السيد الشريف، قِطَيْم، بالكسر ففتح فسكون، في الغِيَيْضات، وهو لبيت القرزات. ووادي البَقَر، بفتحتين، لهم أيضاً. ووادي الغِيَيْضات، ووادي سِهَّل، بكسر ففتح فتشديد الهاء المفتوحة: كلاهما يفيضُ إلى الغيل، غيل بن يمين ومما لبيتِ القَرْزات. أما رؤوس هذه الوديان وجيلانها (صحاريها) التي تسيل إليها، فإنها من رأس عَبْوَل إلى حِرْ، وإلى حَسْر القِطَيفة، بكسر ففتح فسكون/ . [١٠١/أ]

وادي حِمَاري، وما يليه

والآن نصِفُ وادي حماري وما يليه:

يحلونه الشَرْخَة، بفتح فسكون ففتح، وبيت قِطْبان، من السادة الأشراف، وآل علي بن عمر، آل جابر، وهم: بيت العِبْد، بكسر ففتح، وبيت سِنان، بكسر السين، وبيت آل جعفر، ويكونون معه السادة الأشراف آل الغَيْثِيَّـة، بفتح فسكون فكسر الثاء فتشديد الياء المفتوحة.

والشرْخَة فخائذُ، منهم: بيت حمحُوم، بفتح فسكون فضم، وبيت مَقْشَم، بفتح فسكون ففتح، وبيت عافر. وقد يختلط بهم المناهيل، والسادة آل بيت حمودة.

ولهم أوديةٌ، منها: وادي هَفَن، بفتحتين، ووادي الشِّمْلِيَّة، بكسر فسكون فكسر فتشديد الياء المكسورة. ووادي الشِّميلية (بالتصغير، إلا أنهم يكسرون الشين)، وكلاهما يزْرَع الحوِير، بفتح فكسر فسكون. وهو [الحوِيْر]: شجرٌ يستخرَجُ من ورقه النِّيلُ، الذي يستعمل للصَّبْغ.

[غدير الفقاش، للشرخة]

ولهم غدير الفِقَّاش، بكسر فتشديد القاف. ورَد عليه المقدّم أحمد بن سالم باقديم، رئيس الزّي، بقومه، مكافأةً للحموم لما غارُوا أرض سيبان، ووصلوا في غارتهم إلى تحية، وهو موضع تقدم ذكره في وادي حُوَيرة. وقال شاعرهم في أرجوزته:

عـلى الفِقّـاش ظَلا ... يـرُض الـشَّـاذليَهْ
وقُــل لـه: ذا جَزا ما ... تـقَــدّمْ فـي تـحيَّهْ

[معنى البيتين]

«ظَلَّا»: ظـلَّ. «يرض»: يـدق حبـوب البـنّ، ليزيـل عنه قشْرَه، دقاً خفيـفاً، وهو الرَّضُّ. و«الشاذلية»: القهوة، تنسب للشيخ العارف بالله علي بن عمر الشاذلي اليمني المخَائي. «وقل له»: أي، قل للحُمومي. «ذا جزاء ما تقدم» منك «في تحيّة» إذ غزوتها.

وترتيب هذه الأودية:

وادي حماري، ثم وادي دِزعة، بكسر فسكون، كلاهما يصب في سنَا. ثم غدير الفِقَّاش، ثم وادي هفَن، ثم واديَي: الشّمْلية والشَّمَيلية. ثم رأس وادي عينات. ثم دِجْن بن سيف، بكسر الدال وسكون الجيم، به قَلتٌ. ثم وادي سَبْيِة، بفتح فسكون

فياء مكسورة، يصب في باطنة وادي حضرموت. ثم وادي عَوْلَق، بفتح فسكون ففتح. ثم وادي يِبْحِر، وفيه المناهيل، والسادة الأشراف آل مولى الدويلة. ثم وادي يَنْعِه، بكسرٍ فسكونٍ، منها: البقَيلي، الوافد على رَسُول الله ﷺ، ومنها محدِّثون ورواة. ثم وادي برهوت. وكلها للمناهيلِ، والسادات الأشراف: آل مولى الدويلة، وبيت حمودة. وبأسفل وادي برهوت: قرية لآل بن كَوْب، بفتح فسكون، فيها مَسْنى ونخل، ثم شعب نبي الله هود على نبينا وعليه الصلاة والسلام.

ثم تجزع وادي حضرموت، إلى الجبل الشمالي لوادي حضرموت، إلى نَجْد المناهيل، وليس عدد المناهيل بالكثير، وليس عندنا من وصْفِه: إلا أنه نجدٌ قاحل، ليس به ماء، وإنما يردون على منهلٍ للمهرة بالرّمل. وللمهرة على سَقْي الإبل: مكسٌ، (مِـجْبأ)، على السَّقي: سبعُ بكراتٍ يجزُّون وَبَرَهنَّ، وأربعُ أخرياتٌ يحلبونهنّ.

وصفُ الطرقِ وما تمرُّ به

عَودٌ:

عدتَ إلى عقبة العرشة، رحْتَ بعد الظهر من منتصفِ عقبة العرشة، فأمسيتَ تحت حَسْر السمرة، وهذه الجيلان (الصحاري) تسيل إلى وادي غَنَم بفتحتين، لبخُسَن، وبيت القرزات. ثم غدوتَ من هناك، فأبردْتَ تحت حَسْر بن زَحَّاف، بفتح فتشديد الحاء، وهو الحسْر الرابع من الحسُر السبعة، التي تعترض هذه الطرقَ، فأنت تعلو حَسْر الـمِحْبَلَّة، بكسر فسكون ففتح الباء فتشديد اللام المكسورة.

[دُقْم المحوّل]

ثم تمر بدُقْم المحِوِّل. و«الدُّقْم»، بضم وسكون، هو: رأس الجبل الأعلى، أو

الجبل المشرف على وادٍ أو شعْب. و«المحِوِّل»، بكسرتين وتشديد الواو المكسورة، وهو الصائحُ المبشِّر بالسيل والغيث، من عادتهم أن يقول: يا حَولاه! يا حَولاه!. لأنه بوقوع الغَيث وسَيَلان السيول، تتحول الحالُ إلى خيرٍ من الحال الحاضرة.

وبعده: حَسْر بلْغَيران (أبا الغَيْران، أي ذو الغيران، جمع غَار)، ويُرى منه البحر، لارتفاعه، كما يرى من الطرق والجبال التي حوالي كَوْر سَيبان. وبعده حسر ابن زحاف المذكور، وفيه الرّاحة والإراحة.

ثم/ رحْتَ، فتلقاك طريقان: [١٠٢/]

[١] إحداهما: إلى عَبْوَل، وتفضي إلى غيل بن يُمَين. تمسي بعَبْوَل، وتسرح من طريق الحاس، وتبرد في رأس مقَدّ العبيد، وتطلع عقبة مقدّ العبيد، وتأوي العيص. عِيص بن شِذَيَّان، وتسرح منه، وتبيت بالجحْده، وتسرح منها، فتمر بالجِحَيدة. وتبرِد بأعلى الغَيل، فوق الهِمِهْ، بكسر الهاء الأولى وسكون الثانية وكسر الميم بينهما. والمرادُ بها: قَلْتٌ عظيم عميقٌ، دائم، لا ينقص صيفاً ولا شتاءً، يكون في الحجَر الصَّلْد، وفي أعلى الوادي غالباً يهمي بها كلّ ما يقع فيها. والأهماءُ: المياه السائلة، وكل شيءٍ ضاعَ منكَ، فقد هَمِيَ. وتروحُ، فتبيتُ بجِزْو، بكسر فسكون، والطريق في جِذفر إلى جِزْو.

والجِذْفر، بكسر فسكون: كلمةٌ حضرمية، اسمٌ لطبقةٍ طينية من الأرضِ، من الطينِ الحرِّ الصلْبِ، قد تكون بسطح الأرض، وقد تكون تحت طبقة أخرَى من الرمل، أو الحصَى. وهي لآل علي بن عمر، آل جابر (الجابري).

وغدوتَ من جِزو، وعبرتَ طريق الصِّفَيِّهْ، بكسر الصاد وفتح الفاء وتشديد الياء المكسورة. ومن هنا تنفرق طريق ذات اليمين فتنفذ إلى رأس قودة بفتح فسكون ففتح فإلى عينات.

ثم رُحتَ من الصفية، وبِتَّ بضَمْر يِسْحِب. «ضَمر»، بفتح فسكون: مخرج الوادي، «يسحب»، بفتح فسكون فكسر الحاء.

وهنا تجتمع ثلاث طرق: (١) هذه الطريق. (٢) وطريق رِسِب، بكسرتين. (٣) وطريق الهِجْلة، بكسر فسكون. يمرّ بها: سيبان، ومعارَّة، وجوهي، وبَحْسَن، يخرجون من المكلا ويطلعون من الفِقْرِة، أو عبد الله الغريب، ثم يقطعون سَهْب العُرْفُط إليه.

[٢] ثانيتهما: من حَسْر زَحَاف، فأمسيتَ بالغلاغيل، وسرحْتَ، فعبرْتَ حسْر القِطَيفة، بكسر ففتح فسكون، ثم مَقَد البَرْقة، بفتح الباء وسكون الراء، وأبردْتَ في الغِبَيضات، وهو وادٍ يسيل إلى غيل بن يُمين، ثم رحتَ، وأمسيتَ بالمسهل، وسرحت منه، وأبرذتَ على الكريف بحِرْو، ورحتَ إلى ضَمْر الرّميضة، فبتَّ بها، وسرحْتَ منها إلى ضَمْر الغبار، وهو يسيل في وادي النِّعْر، بكسر فسكون، يجتمع مع وادي فَوْدة، بفتح فسكون، فأبردت به، ورحتَ وعبرتَ رَمْضة بن علي عبود بن ضَوبان الجابري، حصن فيه بئر، وجروبُ حرثٍ. ويقابله: حصن آل عميش، آل علي بن سهل الجابري، وعندهم بئرٌ وشرْج. ثم تصور، شرجٌ وبئر، للمشائخ الزُّبْدة (آل الزُّبَيدي).

وهنا مجمعُ: فَودة، ووادي النِّعْر، وهذا الوادي طويلٌ، نحو يومينِ للقوافل، والعقبة التي تنزل منها إليه: تأتي من الجنوب، وسنعيد ذكره عند ذكر الأوديةِ التي بجانبه، وما يلي وادي عِدِمْ.

طريق عقَبة الفِقْرِةْ والذِّرَاع

نصفُ هذا الفصلَ، الجبالَ والأودية التي بين طريقِ حُوَيرة، وطريق عبد الله الغريب، غرباً، وبين طريق العَرِشة، وما والاها شرقاً:

إذا خرجتَ من المكلا بطريق السيارات، فمررْتَ بوادي السّفل، مررْتَ جنوبي الحرشيات إلى بُوَيش، بضم ففتح فسكون، فرَيْدة الشجر، فشِحَير (بالتصغير)، ثم تنحرف الطريق عن الشرق إلى الشمال، إلى غيل باوزير، وتعود السيارات إلى الشرق، إلى الشحر، تمرُّ بالقارَة، ثم بالصُّداع.

وإن سرْتَ بطريق القوافل سلكْتَ الطريق الذاهبةَ إلى حُوَيرة، فإذا وصلت الحدباء: انحرفتَ مع الطريق مشرّقاً ذات اليمين، فتجزع وادي حُوَيرة عند انحداره، متجهاً إلى البحر، ثم تنحرف الطريقُ إلى الشمال، فتمر بوادي الريَّان، بتشديد الراء المفتوحة والياء، ثم تمر بين وادي الريحان من اليمين، ووادي الملاوِي من اليسار، قبل أن يصبَّا في وادي حُوَيرة.

[غَيلُ باوَزير]

والغَيل: بلد مشهورٌ، به المشايخ آل باوزير، وسيأتي ذكر صالحيهم، وطوائفَ غيرهم من الناس، وهي نظيفة السّاحة، تكاد أن تكون جميعُها صخريةً. وبها جامعٌ، وفيها مسجدُ الأمير منصر بن الجمعدار عبد الله بن عمر القعَيطي.

وللجامع بركٌ غايةٌ في نظافة الماء، ينبع نبعاً من الأرض، فإنهم خسفوا الأرضَ الحجرية، ونقبوها والماء تحتها مباشرةً، وجعلوا له مخرجاً إلى بستانٍ بقرب الجامع. وهي كثيرة المعَايِن، واحدها مِعْيان، ماؤها غزيرٌ كثير، تأتي مادّتها تحت الأرض من جبال الفِقْرة ووديانها الكثيرة. وقد قلّتْ وضعُفَت في بعض السنين، لانقطاع المطَر. ويزرع بها التنباك، وبعض البقول، وأشهرها: مِعْيان/ الحرث. وهي مسوّرةٌ، وبقربها [١٠٣/أ] مواضع مسكونة، أشهرها: النّـقْعَة، ثم الديوان، والفرْجَة، والمخَيْنِيه، والدّروع.

***

وتفترق طريقٌ من طريق حُوَيرة بعد التخم إلى الشرق، فتمر بزهر، حتى تمر بمحارث الغيل، ويجتمعان معاً، حتى يخرجا من النقْعَة إلى الشمال الشرقي، فتمر بوادي رِيَان، بكسر الراء ففتح الياء المخففة، فوادي ثبي، كلاهما عن اليمين، ثم وادي سَر، بفتح السين، فوادي الحدُود، بضمتين، عن اليسَار، حتى تصل إلى ما بين جبل سِحَوْت، بكسر السين وفتح الحاء وسكون الواو، وجبل غربي.

فهنا تفترق الطريق:

[١] فاليمين منهما: تذهب إلى الشرق الشمالي، حتى تجزع وادي عصابي الثور، وعن اليسار شعب القُر، بضم القاف، ثم تمر بأرض الشّعابلة، إلى جَمْبَله، بفتح فسكون ففتح، بها حرثٌ، في أثناء وادي الحَرْجه، بفتح فسكون، ويقال: وادي الجد. ثم تصعد الجبال إلى جَول النجْدين، في مثل الذراع الممتد بين الأودية الشرقية الشمالية والجنوبية الغربية، وهنا يلتقي الطريقان.

[٢] أما الطريق الثانية: فتمر بوادي قبر السيّد، ثم برؤوس وادي تحامين. وأودية تسيل إليه: وادي حُبُوَّة، بثلاث فتحات مع تشديد الواو. وادي هِمّه، بتشديد الميم. فوادي نَتْري، بفتح فسكون، فوادي حَلْفون، بفتح فسكون فضم، كلها من الغرب عن يسار الطريق.

ومن الشرق عن يمين الطريق: شعب العُشُر، بضمتين، فجبل الحدود، وهو غير الماضي، ولعله سمّي هو وما قبله بذلك، لأنه منتهى حدود نَشْد سَيْبان، التي ذكرناها في الفصل السابق الخاص بها. ثم وادي مَثْنى، بفتح فسكون، فوادي السُّمُر، بضمتين، وكلها تسيل إلى وادي تحامين.

ثم تنحرف الطريق متعرجةً إلى الغرْب، في عِطْف وادي مثَار اللصوب، وهو

يسيل إلى وادي الحرجة، ثم وادي العين. وتستقبلك حينئذٍ: جبال الفِقْره، بكسر فسكون فكسر. ويأتي عن اليسار: وادي جريذ الأصفر، وعن اليمين: وادي الحيق، يسيل إلى وادي الحرجة.

[طريقُ العِقَابِ الثَّلاث]

[١] ثم ترتقي العقبة الأولى من ثلاث عقباتٍ، وتسمّى الـمُتَفَخْيشة، بضم ففتحتين فسكون. ويأتي عن اليسار بالغرب الجنوبي: وادي الصراط المستقيم.

[٢] ثم ترتقي عقَبة الـمِرْتِكِز، بكسر فسكون فكسرتين. ويأتي شرقاً عن اليمين: شعب القَفْلة، بفتح فسكون. ثم وادي سَاعُب، بضم العين. ثم شعب العَصْف، بفتح فسكون. وثلاثتها: تصب في وادي الحرجة. ويأتي غربي الطريق، أي عن يسارها: وادي مُوْزِع، بضم فسكون فكسر.

[٣] ثم يأتي العقبة الثالثة، وهي: عقبة عَثُوْفة، بفتح فضم فسكون. فتأتي الطريق بوادي السر بضم السين ووادي الردنية بضم الراء وفتح الدال وسكون الياء وكسر النون وياء مشددة فهاء وعن اليسار غربا الوادي الأعور فوادي العركة بفتح فسكون. ثم تعلو مقد الفقرة فيأتي عن اليسار شعب مثور بكسر ففتح فتشديد الواو ثم شعب النجدين ثم وادي ريال.

وهذه الأودية التي عن يسَار الطريق، أو تمر الطريق أثناءَها، كلها تصُبّ في وادي تحامين. ويأتي من ناحية اليمين شرقاً: جَول النّجْدين، وهنا تجتمع الطريقان، كما تقدم.

❊ ❊ ❊

ثم رأس دِسْبِهْ، بكسر فسكون فكسر، ثم عقبة الـحُمَر، بضم ففتح. ومن عندها: يبدأ وادي دسبه، وهو وادٍ عظيم، شعابه تمتدّ إلى جَول عَبْوَل، ثم يسمى: وادي العرض. وتسقيه شعابٌ أخرى: من جَول قبر الشيخة، ومن جَول نِقْبة المرجال. وينحدر إلى الشرق الجنوبي، إلى أرباض الشّحْر.

[مساكن قبيلة المعارة]

وإذا ارتقيت عقبة الحمر: جاءَ عن اليمين شرقاً: بِرْده، بكسر فسكون. ووادي الحمر، فوادي خُمَيلة، بضم ففتح فسكون، فوادي رِيَادة، بكسر الراء، فشِعب السُّوَيدا، بضم ففتح فسكون، فوادي باعَقْبان، بفتح فسكون. ومن هنا تبتدئ مساكِن قبيلة المعارّة.

وعن اليسار غرباً: وادي جَوْلين، بفتح فسكون ففتح، فوادي جُوَيْره، بضم ففتح فسكون.

[وادي عِدِم]

وكل هذه الأودية، أو رؤوس الأودية: تسيل إلى الوادي العظيم، وادي عِدِم، بكسرتين، أعظم وديان حضرموت وأكثرها شعاباً، يكاد أن يبلغ طولُه نحو درجَةٍ من رؤوسه إلى ضَمْره. (أي مَفْضاه. ويقال: ضَمْرُه، بفتح فسكون، ومخرَجُه، ونَقْرُه، ومَفْتكه، كلها بمعنى واحدٍ: مخرج الوادي، بانقطاع الجبلين اللذين هما عن يمينه وشماله، أو أحدهما. فيفضي إلى متسعٍ من الأرض، أو إلى وادٍ آخر يعترضه، وهذه الألفاظ لها أصلٌ في العربية الفصحَى، عن حقيقة أو مجاز).

[/ ١٠٤] جهِل/ الحضرميون قدْره ولم يعُدّوا له عدته، فدمّر مزارعهم، وجرف نخيلهم، واكتسح طين الوادي فألقاه في البحر، ونخَر الوادي وحفره، وأحدث به

أجرافاً قرضَ بها الأرض يميناً وشمالاً، فازداد عمْق الوادي، وارتفع ما بقي من جَدافر الطين عن مجرَى السيل، وصار الوادي غريبَ المنظر، كأنما هو أخدودٌ من الأخاديد.

[بقية وديان المعارَّة]

ووادي غُوَيث، بضم ففتح. ثم الجوارة، بضم ففتح، للمشايخ آل باخنيش، وهي بريدة المعارّة. وعن اليسار: وادي الجوارة. ويأتي عن اليمين: وادي العِدَيْن، بكسر ففتح فسكون، ثم يأتي حصن باثعلب، عنده شرج به حرث قليل. وعن اليسار: شعب الشَّعَيبة، بفتحتين فسكون. ثم حصن القَرْن، بفتح فسكون، يسكنه الحولان المعارّة، بضم الحاء وسكون الواو.

ثم عن اليمين: وادي قرن الحولة، بفتح فسكون. ووادي قَرِيف السيليك، بفتح فكسر، و«السَّيْلَيك»: بفتح فسكون ففتح فسكون. ثم عن اليسار: وادي ذي اَلَبان، بكسر ففتحتين، ثم حصن باب الحيق، بفتح الحاء وسكون الياء، للمعارّة. ثم شعب مُقْبَر، بضم فسكون ففتح، عَن اليمين. وعن اليسار: وادي بضي، فوادي الشَّعَيبة، بفتحتين فسكون، ثم لُقْنَة، بضم فسكون، وعندها حرثٌ، وبها يحل ابنُ الشُّمَيمي، بكسر ففتح فسكون، من المعارَّة، وهو الحكَمُ الذي يرجعون إليه في طاغوتهم.

ثم ديار بن ثابت من المعارّة، في دِقَيش، بكسر ففتح فسكون. ويأتي عن اليسار: وادي وابِط، بكسر الباء، ووادي حَذْيَب، بفتح فسكون ففتح الياء. ووادي خَلفُون، بفتح فسكون فضم.

ثم عن اليمين: صيقة الشجن، ثم حصن حَظْبة، بفتح فسكون. ثم وادي الخانق، وهنا المشايخ آل ديدو، من آل باوزير. ثم الحصَى، بفتح فسكون، وبه أفخاذٌ من المعارّة. منهم: بيت الفَوْخ، بفتح فسكون. والعِلَيب، بكسر ففتح فسكون، وفيه

ابن ماقِس، بكسر القاف. والقُزِ، بضم فكسر، فيها ابن بَسْوط، بفتح فسكون. ويأتي عن اليمين: وادي الحظي، فوادي النّقارة بفتح النون، فوادي الخانق.

وعن اليسار: وادي حُوْدِيْه، بضم الحاء وسكون الواو وكسر الدال وسكون الياء. فوادي خَذْرَق، بفتح فسكون ففتح.

[ريدَة الجُوهيِّينَ وما بعدها]

ثم تأتي رَيدَة الجوهيين، بضم الجيم فسكون فكسر الهاء. فيأتي: وادي جَوْبِيهْ، بفتح فسكون فكسر فسكون، ثم قرية السِّفَيلا، بكسر ففتح فسكون الياء، بها آل بارُمَيدي، بضم ففتح فسكون الياء.

وهم ثلاثة أفخذ:

(١) عبد الله بن سعيد، أصحاب محُمُّد أحمد، و«محُمُّد»: بضم الميم والحاء، مفخماً.

(٢) آل دِحَيْدِحان، بكسر ففتح فسكون الياء فكسر الدال.

(٣) آل محمد بن حسن. ومنهم: أصحاب بو بكر بن حسن بن فراشة، وصالح القارة. هؤلاء كلهم آل رُمَيدي.

وبالرَّيْدة: آل الصَّعْب، بفتح فسكون. والصَّدَف، بفتحتين. وهي قبيلةٌ كانت مشهورة في الكسر، والهجرين، ودوعن. ومنها علماءُ، ومحدثون، وقضاة، وفرسان، وشجعان، ومجاهدون، ولهم أخبار وآثارٌ، لهم حصن الصّدف. وآل عوض، أهل القاع. ويساكن آل بارميدي: المشايخ آل باوزير، آل الدِّيْدُو، بكسر فسكون فضم، ودار من المشايخ آل العمودي.

❊ ❊ ❊

ثم وادي حصين عمْرو، ثم حصن بوقِشَيْش، بكسر ففتح الشين فسكون الياء. ثم حصن الصَّعْب، فوادي بِفَه بن صعب. «بفة»: بكسر ففتح. ثم وادي كَـدة، بفتحتين، وفيه: حصن القاع، لآل عوض. ثم وادي البِفَة، وهو غير الأول. ثم كوت الشيخ جنيد، ثم وادي دُفَيْقة، بضم ففتح فسكون.

وهنا تفترق الطريق:

(١) شرقية: ذاهبة إلى الشمال.

(٢) غربية: تذهب مغربيةً، ثم تنعرج إلى الشمال، في مثل القوس.

ويلتقيان بوادي عدم، تحت عقَبة الغُزّ، بضم فزاي مشددة.

[الطريق الأولى؛ الشرقية]

فاليَميـن منهمـا وهي الشرقـية: تمر بخليـف السحيـل. ثم يأتي وادي خَمَير، بفتحتين وسكون الياء، في أعلاه: حصن عدن، وفي أسفله: السَّحُول، بفتح فضم، ثم جول حَراض، بفتح.

[وادي الزبون]

ومن هنا تبتدئ شُعبة وادي الزبون، بفتح الزاي. في أعلاه: رَمَضة الترسيب، لآل جابر، بفتحتين. ولفظة «الرَّمَضة»: بمعنى المنزل، أو القرية، في حدود آل جابر والحموم فقط. فهي لفظة جابرية، ولعلها عُمانية، إن كان أصلُهم من عمان، أو حمومية حضرمية.

ووادي الزبون يذهب إلى الشمال، ويتقوس، ثم ينعطف، فيصب في وادي عِدم. ويأتي شرقيَّه: بيت علي، وجول حَورة، وجول أسحوب، ثم غيل بن يُمَين،

[/١٠٥] بشعابه وأوديته. والبعد بينهما من الغرب إلى/ الشرق: نحو تسعين ميلاً شرعياً، أو نحو: مئة وسبعة وستين كيلومتراً، على ما يقتضيه المقياس من «خريطة ويسمان»، فلا بد من أن يمتحَن ذلك ويحرَّر، فلعلّ ما فيها على التقريب.

ثم تنعطف الطريق إلى الشمال، فيأتي: شعب علي، ووادي دِشت، بكسر فسكون، وصَيْقة السوم، بفتح فسكون، و«السُّوْم»: بضم فسكون. ومعنى «الصَّيقة»: انفراجٌ في أعلى الجبل، يصب فيه الماء إلى أسفل، ويقال له: الطَّارح. وأهل مصر يقولون: الشلَّال، بتشديد اللام، ولها أصل في اللغة. ثم صيقة العلّيّة، بفتح فتشديد الياء. فصَيقة النُّوْب، بضم فسكون. فصيقة الكُحُد، بضمتين.

هذا من ناحية الغرب.

ومن ناحية الشرق: تأتي صَيقة القِلْد، بكسر فسكون. فغار جَحُوم، بفتح فضم. فصيقة الذياب. فوادي غارقين، وكلها تسيل إلى وادي الزبون. ثم وادي العرَق، بفتحتين، كذلك.

وتأتي من الغرب: قارة الكافر، ووادي صَوْحة، بفتح فسكون. فقارة حَدّه، بفتح فتشديد. ثم وادي حَبَوّه، بفتحتين وتشديد الواو. ثم خربة حِبَيْظان، بكسر ففتح فسكون. وتنزل الطريق في عقبة الغُزّ.

[الأودية التي تصب في الزبون]

وتأتي هنا أودية أو شعابٌ تصب في عِدم، شرقيَّ عدَن عدم، وغربي وادي الزبون، بين عقبة الغُزّ، ومصب وادي الزبون في عدِم. وهي هذه على التوالي: من الجنوب إلى الشمال: وادي الوَعْل، بفتح فسكون. فوادي الكِبْرة، بكسر فسكون. فوادي النهدي. فوادي القَطْف، بفتح فسكون. فوادي عَبيد قَرْطُوب، «عبيد»: بفتح

فكسر، و«قرطوب»: بفتح فسكون فضم. فوادي الزبون. وبين منعطف وادي الزبون، عند ميله إلى الغرب، ووادي النّعر: نحو درجةٍ، أي: ستين ميلاً، وسيأتي وصف ذلك.

الطريق الثانية؛ [الغربية]:

تفترق كما سبقَ من وادي دفيقة، ويأتي وادي يُوْسِن، بضم فسكون فكسر، من غربي رَيدة الجوهيين، فيفتك في عواد. وسكانه صُبَيْريون، بضم الصاد وفتح الباء وسكون الياء، يقال: إنهم من العوابثة. وفيها بيتٌ من الخنابشة. ثم وادي عدِم الخطِيْرة، بفتح فكسر فسكون، فيها: بن عبُودَان الجابري، من آل يماني الجابري.

[الرحبة وسكانها]

ثم الرَّحْبة، بفتح فسكون، فيها معهم المشايخ آل باوزير، من آل جنيد. ثم نِهِر، بكسرتين. والعِرَيْقُوب، بكسر ففتح فسكون فضم القاف، فيه: آل باوزير، آل بو هادي. ونِعَيدة، بكسر ففتح. وكُوْنه، بضم فسكون. فبير بن عبيدين. فالبِرِك، بكسرتين.

ومن الرَّحبة: يتعرّج وادي عدِم، فبعد أن كان يجري إلى الغرب الشمالي، يعود إلى الشرق الشمالي، ثم يعود إلى الغرب، إلى نِهر، ثم يأخذ إلى الشمال إلى نِعَيدة، ثم إلى الشمال الشرقي: إلى عقبة الغُزّ. ثم يعود إلى الشمال الغربي: إلى غيل بحمر. ثم إلى الشمال الشرقي: إلى ما بين غنيمة والضيقة. ثم يعود إلى الشمال: إلى قريب حصْن مطهّر، فما والاه.

ولنا إن شاء الله عودةٌ إلى وصفِ ما بقي، عند وصف بطون الأودية وقُراها.

بقية منازل الحموم والمشقاص

من منازل الحموم: رَيدة بن حمدات، ويقال: إن اسمها الآن: كرَوْشم. وريدة العِلَيب، بكسر ففتح. ورغدُون، وهو لبني عجَيل. وتَرْيُوت. وشِحَاوي، وهو وادي

مستطيل، من فوق جبال عِيد، يفضي إلى البحر، شرقي المصَينعَة، وغربي شرْخات. ومرَيدُود. وراطِح. ومقيلِد، فوق شخَاوي. والدرب. وحليلتي. ووادي حمَم، للثّعْين. والحافة لهم، وعندهم في وادي حمم: بيت غراب. ومن منازلهم: دَمْخ حِسَاي، بفتح فسكون، «وحساي»: بكسر الحاء والياء ساكنة، وهو حد بلادهم من ناحية الشمال الشرقي. ولم نجد من يصف لنا أودية المشقاص كلها، ولا شعابه، ولا قرى وادي المسيلة، قريبَ سيحوت.

قبائل الحمُوم

أملى عليَّ بعضُ المترددين إلى تلك الجهةِ، ما يعرفه عن قبائلها، وقد نشر بـ«مجلة الرابطة العلوية»[1] في حينه. وهذا ما أملاه/ : مساكنهم: من دمخ حِسَاي، إلى سِدّة العيدروس، ببلد الشحر. [١٠٦/]

وتنقسم مساكنهم، جبالها وسهولها، إلى قسمين:

الأول: يسمى المِعْراب، بكسر فسكون.

والثاني: المِشْقاص، بكسر فسكون. ولعل اسمَه مأخوذٌ من المشْقَص، وهو نصلُ السهم العريض، فإن المشقاصَ على صورته، كلما شرَّق قلّ عرْضُه، حتى ينتهي بعرضٍ قليل بين البحر ومجرى المسيلة.

[١] المِعْراب: أصغر القسمين، وهو ما كان غربي الشحر، ويسكنه منهم قبيلتان:

(١) بَحْسَن التانبول، بفتح الباء وسكون الحاء، وعدد رجالهم: ٢٠٠ نفر.

---

(١) في المجلد الأول (الجزء الثامن والتاسع) الصادر بتاريخ الربيعين سنة ١٣٤٧هـ: ص ٤٧٣-٤٧٦.

(٢) اليُمَيني، بضم ففتح فسكون، مساكنه: بالبرح، وعرَف. رجاله: ١٢٠. ويسكن معهم بالِمغْراب: الشّعاملة، وعدد رجالهم: ١٥٠. ويقال: أصلهم سَيبان، ودخلوا في الحموم.

[٢] المشْقَاص: يطلق على ما كان شرقيَّ الشحر، وتسكنه أغلبُ قبائل الحمومِ وأكثرها عدداً، وفيه جبال وصحاري، وأودية، وغياض، (سبق ذكر أكثرها). وهاك أسماء قبائلِهم المشهورة، ومنازلها:

السّعَيدي، بالواسِط. رجاله: ٢٥٠.

بحسن بازماري، بالمقد. رجاله: ١٠٠.

حريزي. وبن صرْقَاحة، من القبيلة، بالعيص، عيص خرد. رجاله: ٣٠.

بيت علي، بالغيل. رجاله: ٣٠٠.

وحلفاؤهم من السادة: بن زين، وبن قطبان. [رجالهما][1]: ٦٠.

الشرْخة، من أتباع العليّي، (قيل: أصلهم جابري). رجاله: ٥٠.

الشُنَيني، بشِزْوةْ، بجانب الدِّيْس. رجاله: ١٥٠.

بنو عِجَيل - العِجَيلي: ١٥٠٠.

القَرْزي - من قَرْزات، بالغَيل. رجاله: ٤٠٠.

الغُرَابي - بيت غراب، بوادي حمم: ٤٠٠. وهو غير وادي حمم الذي بحيق سيبان.

الجامحة، بعِسِد الجبل. رجاله: ٢٠٠.

السادة آل حمودة[2]، بوادي عسِد الجبل: ١٢٠.

فهذه القبائلُ كلها، يقال لها: بيت عمْرو - العِمري.

---

(١) إضافة من «مجلة الرابطة»: المصدر السابق، ص ٤٧٤.

(٢) في «مجلة الرابطة»: المصدر السابق، ص ٤٧٤: السادة آل بيت حمودة العلويين.

الثَّعْيَن

الثَّعْين، يعدون من الحموم، وأصلهم من ذرية حضرموت. وهم بأودية المشقاص، ما بين الرّيدة وقِصَيعر. وهذه بيوتهم: بيت غتنين، رجاله: ١٥٠. الجريري، رجاله: ٣٠٠. ابن عسانة، رجاله: ٢٠٠. الهزاول، رجالهم: ٤٠٠. بيت العَمْق: ١٥٠. النحت: ١٨٠. بيت قراد: ٦٠٠. بيت مبرور: ٥٠. السماح الرقاة، رجالهم: ١٥٠. العدول (الأعدول)، رجالهم: ٢٠٠. فجملة عددهم على ما قدّره هذا المخبر: ٦٥٠٠ رجلٍ.

وقد جادل في هذا بعضٌ آخر. وقال: إن بيت العِجَيلي وحده يقدّر بهذا العدد، وهذه مبالغة لا شك فيها، ولكن يفهم من ذلك: أنهم ربما يزيدون على العدد المذكور. وقُدّر بيت قرزات بنحو: ٨٠٠. وبيت الغراب بنحو: ٦٠٠، والله أعلم بالحقيقة.

أفخاذهم: لم نجد من يصف لنا أفخاذَ الحموم على الوجه، وقد سبق ما يُعلم به بعضُهم، كفخائذ: الشرْخة. بيت حمحُوم. بيت شذيّان. بيت مقْشَم. بيت عافر، ومجاور، وهم من آل جابر. بيت العِد. بيت سنان. بيت حمودة، وهم: بيت عبد الرحمن. وبيت الكهالي. وبيت عِجَيل، بكسر فسكون ففتح فسكون. وبيت بن مَتِين، بفتح فكسر. وبيت زين، وهم: بيت عمرات، آل زين عِمْرات، بكسر فسكون؛ وبيت طلحة، آل زين؛ وبيت مريدود، آل زين.

وأما بيت عمرو: فمنهم العلبّي، بيت عِلَيّ (١)، من قبائله العاربة. **وفخائذهم**: بيت الصميل. بيت القروية. بيت بن سعيده. بيت فليس.

(٢) بنو قحطان، دار الرئاسة. **فخائذه**: بيت بن مجنّح، وهي فخيذة بن حبريش وبني عمه. بيت الكَثِيب، بكسر ففتح فسكون الياء. بيت الغَرْم، بفتح فسكون. بنو عمرو. بيت رَزِين، بفتح فكسر فسكون. بيت الهَجِيّه، بفتح فكسر فتشديد الياء. بيت الرِّعَيدة، بكسر ففتح فسكون.

(٣) بنو أحمد: بيت هادية. بيت الخِطِيّة، بكسرتين فتشديد الياء. بيت خَرْض، بفتح فسكون. بيت الوُزّاز، بضم فتشديد الزاي، وهو زايٌ كالضاد، أو هو زاي مفخَّم. بيت بطّاح، بفتح فتشديد.

(٤) الدّاوِلة، بكسر/ الواو. بيت عجْلان، بيت الرئاسة. بيت صالح بن حسن. [/١٠٧] بيت النُّوبي. بيت الوِكِش، بكسرتين. بيت الثّعْلب. بيت النّمر.

وأما بيت عمرو؛ ففخَائذُه: بيت سعيد. بيت ثعر بن سعيد، وهو بيت الرئاسة. الصَّماصيع، بفتح الصاد الأولى وكسر الثانية.

وأما بيت غراب؛ فمن فخائذه: حميد بن عمرو، وهو المقدم. بيت التّيس. بيت الغَزْم، بفتح فسكون. **وأما بيت شنين**؛ فمن فخائذه: بيت الحِوَل، بكسر ففتح. أحمد بَالرَّوَش، بفتحتين. **وأما بيت القرزات**؛ فمن فخائذه: بيت الشراخيم. بيت دلخ. بيت سويد. بيت الفِخْم، بكسر فسكون. بيت الدعوم. بيت شذيان، وهو غير بيت شذيان السّابق. بيت الكوردي. بيت رَوّاس، بفتح فتشديد الواو. بيت القانص.

وبقي غير من ذُكِر: قبائل السّعَيدي، والعبيدي، والبَحْسني، واليمَيْني، والجِمْحي، والمسيلي، والجريري. **ابن الهندوان**: وهو في الحقْلة، بفتح فسكون، ولم نجد من يصف حصُونه، وإنما قيل لنا: إن عدد رجالهم: ١٥٠ رجلاً.

بنو نباتة؛ أهل الحَيْق:

المراد، في العُرف الآن، بأهل الحَيْق: القبائل التي تنزل بمجَاري الأودية التي تسيل إلى البحر، وما قاربَ الشاطئ. والحمُوم يسمون القبائلَ الحمومية التي بأودية الشّحر، التي وصفنا: بأهل الحيق. كما أن سيبان يسمّون قبائلهم، التي تحل تحت جبالهم إلى جهة البحر: بأهل الحيق. فالحيق، عندهم، معناه: الغَور، أو تهامة، مقابلٌ

للنّجْد. وهم أفخاذٌ، ليس عندنا تفصيلٌ عنها. وإنما نذكر أن أبا الحسن الهمداني ذكرَهم في كتابه «صفة جزيرة العرب»، فقال [ص ٨٧]: «**والحيق**: وهو لبني نباتة من الصدف. وتَفيش، لبني ذَهْبان، من الصَّدِف». وقال في موضع آخر [ص ٨٨]: «إنَّ الصَّدِف دخلوا في حمير».

وسنعيدُ ذلك بأبسطَ مما هنا.

وعن «معجم ما استعجم» للبكري [٣١٦/١-٣١٧]: «**تفِيش**: قريةٌ من قرى حضرموت، هو ومَنْوَب: ينزلها بنومَوصِل، بفتح الميم، ابن حمان بن غسان بن جذام بن الصَّدِف بن مرتع بن معاوية بن كندة».

* * *

مِن المكَلّا إلى الشَّحْر

من المكَلَّا إلى الشِّحْر

الطريق القديمة: تمرّ بغيل باوزير، ثم تمر بوادي الملاوِي، وهو من المسالك المخُوفة.

والطريق الحديثة: هي طريق السيارات، وقد سبق وصفها إلى غيل باوزير.

من المكلا: إلى وادي السّدد، فالحرْشيات بجانبها، الذي هو أدنى إلى الساحل من طرق القوافلِ، متجهةً إلى الشرق، فمصّب وادي الغلّق. وعلى الشاطئ: قرية رُوكِبْ، بضم فسكون فكسر، وهي سوق الوزيف، أي: السمك الصغير المجفف، يباع كيلاً. فرَيدة الشّحر، فشِحَير، فغيل باوزير، فالقارة، فالصداع، فمعيان المسَاجد.

وإلى جهة الساحل بين شِحَير والشحر: رَيدة زَغْفل، بفتح الزاي فسكون ففتح، فالحبس، فالضَّارِب، بفتح الراء.

[تباله]

فتَبالة، معيانٌ كبير يخرج ماؤه حارًّا، حتى إنه ليمكن أن ينضج البيض إذا طالَ مكثُه. وبها حرثٌ وعمارة، وقد جلب ماءه السلطان غالب إلى الشحر في قصب الحديد. ثم ضُبا، بضم، ثم المشراف، ثم دُفَيقة، بضم ففتح فسكون، مشهورة بعيونها ومياهها وخصبها. وتبالة في وادي عرَف، إلى الشرق عن وادي المعْدِي، الذي على شاطئه الضارب وشمالي تبالة: الواسط، بلدٌ مشهور بالخصْبِ، وبه مياه وحرثٌ، وكان لسيدنا عمر بن عبد الرحمن السقاف، الولي الصالح المشهور، السيد الشريف

الحسيني، أوقافٌ به على السادة العلويين، وله به مسجدٌ، وكان قد مكثَ به سنيناً من عمره. وبعد الواسط إلى الشمال: شعب النور، وقد مرَّ ذكره(١).

فطريق السيارات: تأتي من غربي الشحرِ إلى تبالَة، ثم تنحرف جنوبيةً إلى الشحر. وطريق القوافل من الشحر: تخرج شماليةً، إلى دفيقة، فضُبَة، بضم ففتح، فتبالَة، فالواسط، فشِعْب النور/ . [١٠٨/١]

الشِّحْر؛ الأسْعَاء

قال الفقيه المؤرخ المسند، أبو محمد، الطيب بن عبد الله بن أحمد مخرمة السيباني، في «تاريخ عدن» [ص٩٨-٩٩]، في ترجمة أبي حنيفة النقيب العَدَني، شاعر ملك الشّحر لذلك العهد، عبد الرحمن بن راشد بن إقبال، تقْويلاً على قصيدة الشاعر على البال بال (الشَّبْواني):

عنَّفونـي وقالوا أطَلْت التغرُّبْ　　　وأوحْـشـــتَ الـــوطـــنْ
وتعوضْتَ عن صِيرهْ بضبْقَبْ　　　واعتضْـتَ الأشـغاءْ عن عدَنْ

[أربعة أسماء للشحر ومعانيها]

و«الأشغا»، و«سمعون»: من أسماء الشحر. ولها اسمانِ آخران: «الأشحار»، و«الأحقاف». [١] سُمّيت الشّحْر: لأن سكانها كانوا جيلاً من مهرة، يسمّون الشّحْرا، بفتح الشين وسكون الحاء، فحذف الألف، وكسروا الشين، ومنهم من لا يكسِر الشينَ، والكسرُ أكثر، والأشحارُ: جمعها.

[٢] وإنما سميت «الأشْغَا»، بفتح الهمزة وسكون الشين وفتح الغين المعجَمتين:

---

(١) لعل هذا من سبق الذهن؛ فلم يرد فيما مضى ذكر لشِعْب النور. (مصحح).

لأنه كان بها وادٍ يسمى الأشغا، وكان كثير الشجر، وكان فيه آبار ونخل. وكانت البلاد حولَه من الجانب الشرقي، والمقبرة القديمة في جانبه الغربي.

[٣] **وسميت «سَمْعون»**: لأن بها وادٍ يسمى سمْعُون، والمدينة حوله من الشرق والغرب، وشُرب أهلها من آبار سَمعون. [٤] **وسميت «الأحقاف»**: لأن الأحقافَ الرمالَ، واحدها حِقْفٌ، قال ابن الجوزي: «واختلفوا في الأحقاف، في أي موضع؟ على أقوالٍ، أصحّها: الشحر. وذلك قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ﴾[الأحقاف: ٢١]،يعني: هوداً، عليه السلام». انتهى. والشحر كثير الرمالِ، كذا وجدته بخط شيخِنا الوالد، رحمه الله تعالى»، انتهى.

وقد ذكر ذلك في كتاب «النسبة» [ص ٣٦٧] وزاد قوله: «وخرج من الشحر جماعةٌ من العلماء الفضلاء، كآل أبي شكَيْل، وآل السَّبْتي، وآل حاتم، وغيرهم. وإليها ينسَبُ خلقٌ كثير، منهم: محمد بن معاذ الشحري، وسمع من أبي عبد الله الفزاري[1]، والجمال محمد بن عمر بن الأصفر الشحري، الشاعر، سمع منه «القَوافي» بماردين، سنة ٦٨٠». اهـ.

❊ ❊ ❊

وعليه مؤاخذتان:

[١- المؤاخذة الأولى]

الأولى: ما نقله عن ابن الجوزي، فإنه وضعه في غير موضعه، فإن المراد بالشحر، في كلام ابن الجوزي وغيرِه من المتقدمينَ، بالشحر: شحْرُ عمان، وهي

---

(١) كذا في الأصل، وفي مطبوعة «النسبة»، وهو تصحيف، والصواب: الفراوي. (مصحح).

مهرةُ إلى عمان، وبنواحي عتاب: رملة عتاب. ووراء مهرةَ رمالٌ عظيمة، سيأتي شرحها. وعلى ذلك يحمل ما جاء في كلام المفسّرين.

وأما هذا البندر: فإنما كان يعرف بالأسعاء، ولَسْعَا، بالسين المهملة والعين المهملة. وليس به أحقافٌ، وإنما الأحقافُ بشِحْر عُمان. على أن ياقوت قال في «معجمه» [٣/٣٢٧]: «الشحْرَة: الشط الضيق. والشّحْر: الشّطُّ». إلى أن قال: «وهناك عدة مدنٍ يتناولها هذا الاسمُ». ثم قال [٣/٣٢٨]: «منهم: محمد بن خُوي بن معاذ الشحري اليماني، سمع بالعراق وخراسان، من أبي عبد الله، محمد بن الفضل الصاعدي الفُرَاوي، وغيره». اهـ.

[٢ـ المؤاخذة الثانية]

الثانية: قوله «الأشغاء»، بالشين المعجمة والغين المعجمة، وقد رأينا هذا الاسم في كتب متعددةٍ: بالسين والعين المهملتين، ولم نَر من ضبطه بالحروف المعجَمتين إلا الطيب بامخرمة، ونقله عن والده.

وقد رأيتُ في قصيدةٍ، لشاعر من قدَماء الحضَارم[١]، قال فيها:

وقد كان من إخوانِنا الغرِّ فتْيةٌ ... بناحية الأشْغَا شِهامٌ لهم عَقْدُ

وفيهم فتًى أكرِمْ به نسلُ خالدٍ ... له همةٌ كبرَى نحو السما تعدُو

أعجم كاتبُ ذلك الشِّينَ والغَين.

والذي ترجح عندنا: أن صوابه بالمهملتين، وأن الأعجامَ غلطٌ من النسّاخ؛ لبقاء هذه الكلمة في لغَة الحضارم إلى اليوم بالمهملة، فيما يتناقلونه من الشعرِ الذي ينسبُونه للشيخ سعد السويني، وهذا الشعْرُ مقاطيع، يحتوي على فوائدَ كثيرةٍ تتعلق بالزراعة والحرث، وفيها نصائح:

---

(١) هو أبو إسحاق الهمداني، إبراهيم بن قيس الشبامي الإباضي (ت بعد ٥٧٠هـ). (مصحح).

يا حَارثي يا ابْن الحوارِث افْهَم القَولْ
اتشَـتّ لَسْعَا والخريف فـي الحَولْ

ومعنى قوله: «اتشَتّ»: اجعَل أيام شتائك في لَسْعا، لدفئها، وكثرة السمك في ذلك الوقت. وقوله: «والخريف في الحول»/ ، أي: لأن الخريف به أجودُ وأكثر. [١٠٩/أ] والمراد بالحول: ما بين الغُرفة والمحتِرْقة، وذلك المحل كانَ مشهوراً بالخصب، وحسن التربة، وكثرة النخل، وجودة الزرع.

وقد تقدم في (صفحة ٢٣)، ما ذكره شيخ الرّبوة في كتابه «عجائب البر والبحر»، فإنه قال: «ولهذا الصقع (يعني حضرموت): فَرْضتان، إحداهما: شبومة (كذا! وصوابه: شرمة). والأخرى: الشحر، ولم تكن بمدينة. وكان الناس ينزلون منه في أخصَاصٍ، فبنى الملك المظفر، صاحب اليمنِ في زماننا، مدينةً حصينةً، بعد سنة ستمئة وسبعين»، إلى آخر ما تقدم.

ومع كونها مَرْسَى ذا أخصاصٍ، أي: بيوت صغيرة من الخوصِ والسعف، فقد كانت كبيرةَ القدر! عند أمراء حضرموت، وكم كانت بينهم من ملحمةٍ من أجلها.

[٣ـ مؤاخذة ثالثة]

وأما قول أبي مخرمة: «وسميت سَمعُون: لأنّ بها وادٍ يسمّى سَمعون»، إلى آخره. فقد قال في «نشر النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية» [ص ٢٥]: «قلتُ: والمشهور في تعريفها بالوادي المذكور، الذي هو من جانبها القبليّ، المسمى سمْعُون، وبه تلقبت قديماً»، اهـ. ولكن يوجد مَرْسى آخَر يسمى سمعون، داخلٌ فيما يطلق عليه الأشحار، جمع شحر، فأحسب أنهم أخذوا اسمه أيضاً فجعلوه للشحر بعد اشتهارها، توسعاً في التسمية، لأنه في جهتها، فإن على ساحل البحر: سيحُوت،

فشرخات. وهناك مخرج وادي المسيلة، التي تنتهي به أودية حضرموت إلى البحر، ومن هنا حدّ بلاد الحموم. وبعده: سمعون، فالمصنعة، فحصن الكثيري، فقصيعر، فرأس باغَشْوَة، فالدِّيس، فرأس شرمة، فشرمة.

حاراتها: قال في «النفحات» [ص٢٩]: «وقد اشتملت في آخر الزمن على سبعِ حارات، قائمة المباني، عامرة بالأهالي. **فأولها:** حارة القَرية، وكانت العمارة بها سابقاً، وبها سوق الخان القديم. ثم حارَة المجْرَف. ثم حارَة الرَّمْلة؛ وهؤلاء الثلاث أقدَم ما كان بها. ثم حارة أبي عُوَين. ثم حارة أبي غَريب. ثم حارة المقَد، ويقال له: الحوطة. ثم حارة الخور، وبها قبر الشيخ فضل بن عبد الله بافضل، نفع الله به». اهـ

مساجدها: ذكر صاحب «النفحات» أنه كان بها ٥٥ مسجداً، قد اندرس قسمٌ منها، والموجود ٤٢ مسجداً.

[تاريخ الشِّحْر]

تاريخها: للشحر تاريخ طويل، هو جزء من تاريخ حضرموت، فتذكر هنا كلاماً إجمالياً كالمقدمة لما يأتي، والتمهيد والتوطئة؛ فقد تداولتها أيدي كثيرة.

فذكروا: أنها كانت بأيدي سبأ أيام ملكِهم، ثم خلفتهم حضرموتُ، فمهرة، ثم تولاها الفرس، وجعلوا أسْبِيْخَتْ، أي: والياً من جهتهم. ثم جاء الإسلام وهي كذلك، فدخلت تحت حكم الخلفاءِ الراشدين، ثم الملوك من بني صَخر بن حربِ الأموي، ثم دخلتْ تحت حكم ابن الزبير، حتى قتل، فتولاها ملوكُ بني مروان الأمويين، إلى أن ولي الأمرَ مروانُ بن محمدٍ، الملقب بالحمار، فظهر في أيامه عبد الله بن يحيى الكندي الأباضي، وملكَها مع سائر حضرموت، واليمن، ومكة، والمدينة. ثم جاءَه

جنود بني مروان، فنقضت عليه، وعادت إليهم مع سائر حضرموت، ثم عادت إلى الأباضة [كذا] في فترة الحرب بين بني العباس وبني مروان، إلى سنة ١٤٠.

[ولاية بني العباس]

فجهز المنصور العباسي معْنَ بن زائدة، وأوعبَ معه الخيلَ. قيل: أنه جهّز معه أربعين ألف فارسٍ، فاستباح اليمن وحضرموت، واستخلف ابنه زائدة بن معن بن زائدة، فأقام في اليمن ثلاث سنين. ثم توالت الأمراء من بني العباس.

[ولاية بني زياد]

حتى كانت سنة ٢٠٦: فجاء ألفٌ من مسوَّدة خراسان، مدداً للأمير الذي ولّاه المأمون العباسي على اليمن، وهو محمد بن زياد، من ذرية زياد بن سميَّة، الدعيّ، نعظُم أمر ابن زياد، وملك إقليم اليمن بأسره: حضرموت بأسرها، والشحر، ومرباطَ، وأبين، وعدن، والتهائم، إلى حلْي بن يعقوب.

وملك من الجبال: الجنَد وأعمالَه، ومخلافَ جعفر، ومخلاف المعافر، وصنْعا وأعمالَها، ونجران، وبيحان، والحجازَ بأسره. وخلفه بعد وفاته/ سنة ٢٤٥: ابنه [١/ ١١٠] إبراهيم بن محمد، ثم ابنه زياد بن إبراهيم، ثم أخوه أبو الجيش، إسحق بن إبراهيم، في حدود سنة ٢٩٠. فاستولى على ما كان جدّه مستولياً عليه، ومنه: حضرموت بأسرها، والشحْر، وطالت ولايته نحو ثمانين سنة.

فتمنعَت عليه أطراف البلاد، واستبدَّ عنه: أسعَد بن أبي يُعْفِر بن عبد الرحيم الحوالي، ثم أخوه محمد بن أبي يُعفر، فغزا حضرموت، واجتاحها. ثم تولتها مهْرة، منهم: أبو ثور المهري، ثم عادت إلى أيدي بني زياد، وكانت الشحر بيدِه إلى سنة ٣٦٦. كما ذكر ذلك عمارةُ في «مفيده» [ص ٤٨]. وتوفي أبو الجيش الزّيادي سنةَ ٣٧١، ثم تولى بعده ابنه، ثم انقرضوا.

[ولاية الحسين بن سلامة]

فقام بالأمر عبدُه: الحسين بن سلامة، وكان أميراً كبيراً نوبياً. قال عمارة [ص ٥٠]: «وهو الذي أنشأ الجوامع الكبار، والمنابر الطوال، من حضرموت إلى مكة المشرفة، وطول هذه المسافة المذكورة ستون يوماً. وحفَر الآبار الروية، والقُلُبَ العادية، في المفاوز المنقطعة، وبنَى الأميال والفراسخَ والبرُدَ على الطرقاتِ. فمن ذلك: شبام، وتَريم، مدينتي حضرموت. ثم اتصلت عمارة الجوامع إلى عدن». قال [ص ٥٠]: «وهذه المسافة: عشرون مرحلةً، في كل مرحلةٍ: جامعٌ، ومئذنة، وبير». وأقام في الملك ثلاثين سنةً، وتوفي سنة ٤٠٢. واضطرب ملكُ بني زياد بعد وفاته.

[ولاية بني معن والصليحي]

واستولى بنو مَعنٍ، من العوالق، على عدن، وأبين، وحضرموت، والشحر.

ثم ثار الدَّاعي، أبو الحسن، علي بن محمد بن علي الصليحي، القائم بدعوة العبيديين المصريين، فطوى اليمنَ طيًّا، ولكنه أبقى بني مَعنٍ نواباً عنه. فلما قتلَ سنة ٤٥٩: تغلّب بنو معْنٍ على ما بأيديهم من البلاد، ثم قصدهم المكرّمُ بن علي بن محمد الصليحي إلى عدَن، فأخرجهم منها، وولاها العباس ومسعود ابني المكرّم الهمْداني، وتغلّب في هذه الفترة على حضرموت والشحر أمراءِ البلادِ، كما يظهر. ولم نجد تفصيلاً في ذلك، فهي فترةٌ في تاريخِ الشِّحْر وحضْرَموت إلى سنة ٥٠٢.

[ولاية آل إقبال]

فقد ذكر السيد الشريف أحمد شنبل [ص ٢١] أن في هذه السنة [٥٠٢هـ]: قُتل أبو أحمد بن محمد بن فارس، وابنه مظفر، بالأشحار. ثم في سنة ٥٠٩: قال [ص ٢٤]: «قتلَ راشد بن إقبال بن فارس، بدوعَن. ووُلِدَ ابنُ ابنه: راشد بن محفوظ بن

راشد». فمن هاتين الكلمتين، وما يأتي، يظهر: أن هذه العشيرة تعرف بآل بن فارس، وآل إقبال، هي المسئولة على الشّحر، والمنازِعة في دوعَن. فإنه قال في سنة ٥١٥ [ص ٢٦]: «انفرد فارس بن راشد بن إقبال بولاية الأشْحار، وخرج أخوه محفوظ منها».

ثم سكت عنهم إلى سنة ٥٤٧، فقال [ص ٣٧]: «وفيها: توفي عبد الباقي بن فارس بن راشد بن إقبال، بمأرب». وفي سنة ٥٧٥ [ص ٤٨]: «قتل راشد بن عبد الباقي ابن فارس بن إقبال، قتلته الثَّعْيَن، بعد أن قتل عيسى بن إبراهيم، وأخاه أبا بكر».

[ولاية الغُزّ والأيوبيين]

ثم جاءت دولة الغُزّ، الذين هتكوا اليمن، واجتاحوه، وفعلوا فيه الأفاعيلَ، وخرج في هذه السنة [٥٧٥هـ] بهم أميرُهم، عثمان بن علي الزنجبيلي، نسبة إلى زَنجبيلة، قرية من قرى دمشق، ويقال فيه: الزنجاري، الملقب عزّ الدين.

وكان جباراً مفسداً، غزا حضرموت أشَراً وبطراً، فقتلَ عالماً عظيماً من فقهائها وقرائها، وتتبعهم في القرَى، وعسف أهلَ حضرموت عسفاً شديداً. قال الجنَدي [٥١٩/٢]: «وبالجملة؛ فهو من الذين سعوا في الأرض فساداً».

ثم هرب من عدن سنة ٥٧٩، لما جاء طُغْتكين بن أيوب من مصر، واستولى [على] حضرموت. ثم عادت إلى أيدي أهلها برهةً، مع انتشار الحروب بينهم وبين الأعراب الناقلة. إلى سنة ٦٠٧، فوصل عبد الباقي بن فارس بالغُزّ، وابنِ أبي العرَب إلى الشحر، فطردوا أهلها، ودخلوها، وهرب واليها إلى تريم، وهو فارس بن راشد ابن عبد الباقي بن فارس بن راشد بن إقبال، وتوفي بها في ١٥ محرم سنة ٦٠٨.

وبقيت تحت أمرهم إلى سنة ٦١٦؛ فخرج من اليمن عمر بن مهدي، فطرد

بقية آل إقبال من الشحر، وعاثَ في حضرموت وما والاها من أحور إلى حيريج، قريب من سيحوت، ثم قتلته نهد. وعاد عبد الرحمن بن راشد بن إقبال، فملّك الشحر، ثم اشترى حضرموت جميعَها من ولاتِها، سنة ٦٣٣.

[ولاية ابن شماخ والحبوظي]

ثم خرجتْ عن يده سنة ٦٣٦، بعد أن ملك ابن شَمّاخ حضرموت بأجمعها. ثم تولى بنو رسُولٍ، بجندهم من الغزِّ، حضرموتَ، سنة ٦٣٧. وساروا إلى الشّحر فملكوها، وسار هو [ابن شماخ] إلى ملك اليمَن، ورجع بتأييدٍ بولايتها سنةَ ٦٣٨. وتوفي عبد الرحمن بن راشد بن إقبالٍ سنة ٦٦٤، بالرَّيْدة. واشترى سالم بنُ إدريس الحبوظي ملك ظفار، حضرموت، وثار النزاع بينه وبين أمراء الرسوليين، وغيرهم من الأعراب.

[/١١١] ثم خرجَ جيشُهم العظيم برّاً/ وبحْراً، سنةَ ٦٧٨، في ملك يوسف المظفّر بن علي بن رسول، فملك الشحر، وظفار، وحضرموت، بأسرها.

[ولاية الدولة الرسولية]

ثم تـولاها الملك المؤيـد بن الملك المظفر الرسـولي، سنة ٦٩٤. واسمه: داود بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول، الملقب هِزَبْر الدين، أقطعَه أبوه الملكُ المظفر الشحْرَ، ليبعِده إليها عن مقرّ الملك، وكان قد استخلف بعده ولدَه الملكَ الأشرف، أخَا المؤيد، فأسرَّها في نفسه، وذهب إلى الشّحر وهو كاره.

وبلغه موت أبيه، فكرَّ راجعاً، منازعاً لأخيه على ملك اليمن، فالتقى عسكرهما بالدّعَيسي، قريباً من أبين، فلما وقع المصاف تأخرت العربُ الذين جمعهم المؤيّد من حضْرَموت، وأحاط به عسكر أخيه، فأسَرُوه، وأسروا معه ولدَيه: المظفّر، والظافر.

فاعتقلهم الأشرَف بحِصن تعزّ، فأقام في الحبس سنةً، وتوفي أخوه الأشرف في المحرم، سنة ٦٩٦. فأجمع الحاضرون على إخراجه من معتقله، فأخرجوه وبايعوه، وكانت وفاتُه أول يوم من ذي الحجة سنة ٧٢١.

أخذها منه أخوه الملك الأشرف في تلك السنة، ثم عادت إليه مع ملك بني رسول جميعه سنة ٦٩٦!. وتداولها أمراء بني رسول، حتى خالف ابن التيمي، أحدُ أمرائهم، على الملك المجاهد الرسولي، سنة ٧٣٢. واستقلّ بها شهراً واحداً، ثم أخرج منها، وأوَى إلى حضرموت. وتولاها الأمير حسن بن جُوه، ثم تولاها عنهم: الأمير داود بن خليل الهكّاري، شاركه الأمير داود بن موسى بن حباجر. ثم خرج الملك المظفر بن الملك المجاهد، سنة ٧٦٧، فدخل الشحر، وقاتل أهل عَرَف، وأخذها، ورجع إلى حضرموت، وأقام بتريم مدّةً، ولم يظفر بشيء. ورجع إلى بلاد الظاهر، ومات بها.

[غارات ابن بوز فابن شمّاسة]

وتولى الشحرَ للغزِّ أميرٌ آخر، فقتلوه سنة ٧٨٠، لإظهاره المنكر، حتى أنه منعَ دفن الأموات إلا بجُعلٍ، وأمسكوا البلادَ، حتى جاء الأمير محمد بن بُوز بن حسن الكرْدي. ثم أرسل ملكُ اليمن الرسولي أميراً آخر، فتلقاه الغزّ وقتلوه، واحتلفوا مع ابن بوز، وأجمعوا على العصيان.

وجهز ملكُ تريم، راصع بن دُوَيس، على الشحر مرتين: سنة ٧٨٣، وسنة ٧٨٦، ثم اصطلحَ مع ابن بُوز على جعل رتبةٍ له، ثم انتقض أمرُهما، وعاد إليها راصع سنة ٧٨٩، ونهب أموالاً لابن بوز من الرَّيدة، فسار بعده ابن بوز إلى الوادي، وادي الرَّيْدة، ونَهَبه، ولم تسلم إلا حَيرِيْج، بندرٌ كان مشهوراً مقابلَ سيحُوت، وهو الآن خراب.

ثم ثار الحربُ والغاراتُ بين ابن بوز وابن شماسة الكنديِ، ثم اصطلحوا على يد الشيخ أبي وزير، سنة ٧٩١. ولابن شمّاسة كل سنة خمسُمئة دينارٍ، وجميعُ عَشور خَيْريج.

ثم إن نائب بن بوز بريدة المشقاص خامَر عليه، واتفق في الباطن مع سعد بن أحمد بن شماسة الشعيثي الكندي، واستغفلوا جنده في مرمعَة، برَيدة المشقاص، فقتلوا منهم عدداً وافراً، وهرب ابن بوز، وحفظ ابن شماسة الشحْرَ، وكتب إلى السلطان الأشرف الرسولي بالحال، فأقرّه أميراً عليها، ثم عزله بالأمير محمد بن أحمد قراجا. ثم جهّز ابن شماسة على الشحر، واستولاها، وأقره الملك الأشرف أميراً، وجهز عليها راصعُ، ملك تريم، سنة ٨٠٦، ثم رجع ولم يظفر بشيء.

وفي سنة ٨٠٩ أخذ الملك الأشرفُ الشحْرَ من ابن شماسة.

[ولاية الجحفلي]

ثم جاء الجحفلي، ملكُ دَثِينة، بعسكره، وحصر الشحر. فأرسل أميرُها إلى آل عامر، من نهد، فحالَفَهم، فأدركوا، وهربَ الجحفلي، ولكن طمع فيها غيره. فاتحد دُوَيس، ملك تريم، وابن قشمان، ملك ظفار، وابن جَسّار، ملك المسفلة، وطلعوا إلى الشحر وفيها أميرُ الأشرف، وكان تركياً، فأرسل باقَديم السيباني، فحالف له آل عامر، وآل كثير، والصبرات، وغيرهم. وطلعوا من دوعن، والتقوا مع دُوَيس وحلفائه، فانهزم عنها.

[ولاية بادجانة]

ثم تولى الشحْرَ ابنُ فارس، أبو دجانة الشمّاسي الكندي، من قبيلةٍ من كندة التحمت بالمهرة، وهي كندية الأصل. ولما طلبوا الملْكَ ساعدَهم أخوالهم بيتُ

محمد، من المهرة. وغدر الشماسيُّ بباقديم سنة ٨٢٠، وقد أمّنه، فقُتِل بها. ثم جاء عسكرٌ لسلطان اليمن، فحصروا الشحر، وفيها ابن فارس، فقتل منهم جماعةً، ورجعوا ولم يقضوا وطراً، وذلك سنة ٨٣٦. وصار لابن فارس البنْدَران المشهوران لذلك العهد: الشحر، وحَيْريج.

وكان ابن فارس قد صالَ على ظفار مرتين، ليأخذها من يد الكثيري، ثم توفي سنة ٨٤٨. وهو شماسة بن سعد بن فارس، أبو دُجانة الشمّاسي الكندي/ الشعيثي، [١١٢/أ] وكان له أخ صغير، أوصى له بالملك. وكانت أمُّ الولد هي القائمة بالأمر، ويساعدها بيت محمد، فطمع الكثيري، وهو السلطان عبد الله بن علي، في الاستيلاء عليها، فجهز عسكره، وبلغ إلى الظاهرَة، قريباً من الحامي، فخرج إليه أهل شحر، وقتلوا عسكره، نحو ٥٠ رجلا، وهزموهم.

[ولاية آل طاهر]

ثم ملكها آل طاهر؛ ننقل هنا ملخصاً من تاريخ آل طاهر، الذين ملكوا اليَمَن الأسفل، وعدن، وصنعاء، وزبيد، والتهائم، والشحر. كانوا مشايخ لقبائل حِمْيريةٍ في نواحي رَداع، والعرش، وصاهر إليهم الملك المظفر الرسولي، فنبَّه أمرُهم، وعظُم شأنهم. ثم جرت بينهم حروبٌ مع أئمة الزيدية، فلما صالحهم الإمام الناصر، ازداد أمرهم انتشاراً، حتى احتالوا في قبضِ آخر ملكٍ من آل رسول، وكان بعدن، فاحتلوها. قال في «اللآلئ المضية بتاريخ أئمة الزيدية»: «وقد ذكرنا فيما تقدم، في ذكر ملوك بني رسول، ومن كان آخرَهم، وما جرى بين الملك المظفر، منهم، وبين الشيخ علي بن طاهر من المصاهرة، ثم كان ما كان بين الملك المسعود الرسولي وبين بني طاهر من المحاربة، فليُرْجَع إليه. وقد كان عَظُم شأن بني طاهر لما جرَى، فتلقب عليٌّ بن طاهرٍ بالملك المجَاهد، وتلقب عامر بن طاهر، الملك الظافر.

ثم إن الملك المجاهدَ، شمسَ الدين، عليَّ بن طاهرٍ، وأخاه الملك الظافر عامر بن طاهر بن معُوضةَ بن تاج الدين، القرشي الأموي الحِمْيريّ!، هكذا ذكره من أرّخ لهم، ولا أدري ما معناه!!. (قلتُ: معناه التملق إليهم بالكذب)، نزلا من بلادهما إلى عدن، وقرّر القواعد مع أهل الدرك بتلك البلد، فلم يحلْ بينهما وبين أخذِها أحدٌ، وذلك بعد سعي شديدٍ، وجهد جهيدٍ، وترغيب وترهيب.

فدَخلها الملك المجاهد، علي بن طاهر، ليلة الجمعة، الثالث والعشرين من شهر رجب، سنة ٨٥٨، متسللاً من السور بالحِبال، في جماعة قليلة من عسكره، من جانب حصن التَّعْكَر، ثم دخلها أخوه الظافر صبيحةَ الجمعة من بابها، هو والعسكر، فاستوليا عليها، وقبضَا حصونها، ورتّبا فيها من يثقانِ به، وكان المؤيد بن الظاهر الرسولي بها، أحسنا إليه، ولم يغيّرا عليه، وجعلاه في بيتٍ، وأجريا عليه النفقةَ، وأخذا ما كان معه من الطّبلخَانات، والخيل، والدروع، وغير ذلك.

أما الملك المسعود[1] الرسولي، فقد كان خرَج من عدن قبل ذلك، كما ذكرناه في موضعه، وسار إلى العاره، ثم إلى خنفر، واستجار بها عند بعضِ مشايخها نحو شهرين، ثم خرج إليه العبيد من زبيد، وراودوه على الدخول معهم فيها، فاستوثق منهم بالأيمان، ودخل معهم في شهر رمضان، فأقام بزبيد إلى آخر شوال، وأرسل للشيخ عبد الله بن أبي السرور، صاحب حفره، فجاءه، فخرج في صحبته إلى تعز، فلما صار بحَيْس خلعَ نفسه، فرجع العبيد إلى زبيد، فرجع المسعود إلى حفره، فأقام بها مدةً، ثم خرج إلى مكة المشرفة.

فلما خلع المسعود نفسَه؛ راسل كبراءُ أهل زبيد الملكَ المجاهد إلى مدينة عدن، ببذل الطاعة له، وتسليم الأمر إليه، وكان قد قبض حصن التعكر في ذي

(١) في الأصل: (السعودي)، وهو خطأ طباعي. يؤكده السياق. (مصحح).

القعدة، بعد أن أخرج جياش بن سليمان مطروداً مهاناً، هو ومن معه من أهله، وكانوا ثلاثين، فاستقر بموضع. وكاتب العبيدَ، فأذنوا له في دخول زبيد، فرضيَ بعضُهم وكره بعض، ومن الراضين بدخوله: يوسف بن فلفل، وهو طاغيتهم، فأدخله زبيد على كرْهِ غيره.

فلما استقرَّ بها، أظهر لهم النصْح، فأمِنُوه، فكاتب الملكَ المجاهد يخبره بانحلال أمر العبيد، وضعف شوكتهم. فأجابه يحثه على الإفساد بينهم، وعلى تفريق كلمتهم، فلم يزل يعمل الحيلةَ حتى أطاعه بعض العبيد، وحلفوا له، فلما استوثق منه، راسل الملك المجاهد مع جماعة من كبراء البلد وقضاتها وعلمائها.

فخرج الملك المجاهد من عدن، ثالثَ شهر شوال من سنة ٥٩ إلى بلدة جُبَن، فجمع الجند، ثم نزل إلى تعز، واستدعى بالعسكر. فوصله إلى تعز القَرْشيون، وكانوا حينئذٍ في غاية الكثرة والنجدة، واتفاق الكلمة. وكان الشيخ إبراهيم بن عمر، صاحب الحديدة، قد حالف جماعةً من العرب على الطاعة للملك المجاهد.

ثم نزل الملك المجاهد من تعز على طريق بُرَع، ثم وصل إلى حَيْس ليلة عيد الأضحى، فاشتد ضيق من نفى من العبيد، فلما أظلم الليل تسوروا الدرب، فخرجوا، وكانوا يعرفون بعَبيد فشَال، فأول صبح تلك الليلة جمع جيَّاشُ أكابرَ العبيد، وأمر منادياً ينادي في البلد/ [١١٣/أ] : بأنها للملك المجاهد، فأنكر الباقون من العبيد ذلك، فاجتمعوا إلى منزل جيّاش مستنكرين لما فعله، وكانوا نحو أربعمئةٍ، وفيهم جماعة من رؤسائهم، فطلبوا الدخول عليه، فدخل من رؤسائهم جماعةٌ، فيهم واحد يعرَف بفرَج خيري، فقال لجياش: من أذن لك في هذا النداء؟ وأراد إثارة فتنةٍ، فأمر جياش إخوتَه: إسماعيل، والصديق، بضربه. فضُرب بالسيف، ثم طرح من طاقةٍ في الدار إلى أصحابه، فانهزموا لا يلوي أحد على أحد، ثم قبض على بعض رؤساء

العبيد وغيرهم، فتفرق العبيد وتشتتوا وتمزقوا كل ممزقٍ، وكان ذلك يوم الجمعة ثاني عيد الأضحى.

ومن العجائب: أن الخطيب خطبَ يوم الخميس يوم عيد الأضحى، ودعا للمؤيد حسين بن الطاهر، وخطب في اليوم الذي يليه، وهو الجمعة، للظافر بن طاهر، وكان الملكُ المجاهد حين ملكَ والمؤيدُ بها، وكذلك لما ملكَ زبيد كان المؤيَّدُ بها، فأحسنوا إليه.

ثم إن الملك المجاهدَ دخل زبيد ضحى يوم السبت، ثاني أيام التشريق، من سنة ٨٥٩، بغير قتالٍ، وكان في صحبته: ابن أخيه، الشيخ جمال الدين، محمد بن داود، والفقيه العلامة، يوسف المقري.

ودخل القرشيون زبيد، فانتشروا في البلد لنهبِ بيوت العبيدِ، وبيوت غيرهم؛ فعلم جياش بذلك، وحض العامة في دفعهم، فثار الناس عليهم، يقتلون ويسلبون، فقتلوا نحو ١٥ رجلاً، وانتهى الخبر إلى الملك المجاهد، فأذن لهم في الخروج، فخرجوا.

ثم كان بين الملك المجاهد وبين المعازِبة حروب كثيرة.

ووصل إلى زبيد أخوه الملكُ الظافر، عامر بن طاهر، فأقام بها أياماً، ثم طلع صحبة أخيه إلى تعز، وتجهز أبو دُجانة، محمد بن سعد بن فارس، صاحب الشحر، إلى عدن، في مراكب يريد الاستيلاء عليها، فتلقاه الملك الظافر، فخرج بعسكره من باب البَـرّ، فأخذ أبا دجانة أسيراً، ودخل به إلى عدن، وأسر معه جماعةً.

وفي أول سنة ثنتين وستين: نزل الإمام من صنعاءَ قاصداً جهة بني طاهر، فلقيه الملك الظافر، ثم وقع بينهما صلح.

وفي ذي القعدة، منها: أخذ الشيخ عبد الوهاب بن داود عدّة حصون للحُبَيْشي،

وفي سنة ٦٤: استمرت الخطبة، وضربت السكة باسم الملك المجاهد، بعد أن كان ذلك باسم الظافر، عامر بن طاهر.

وفيها: وصل الناصر من صنعاء في عسكر كثيرٍ إلى جهة بني طاهر، فلقيه الظافر في موضعٍ اسمه رِمَع، فاستظهر أهل صنعاء، ووقع في جانب الظافر هزيمة كبيرة، قتل فيها الشيخُ محمد بن طاهر، في جماعةٍ، وقتل من أهل صنعاء جماعة.

وفي رجب من سنة ٦٥: استولى المجاهد على مدينة ذَمار، وخرج الناصر منها إلى هِرَّان.

وفي سنة ٨٦٦: تجهز الظافر إلى الشّحر، في عسكر كثيرٍ، فملكها، ودخلها أولاً الشيخ عبد الملك بن داود، فنهبها نهباً شديداً، ثم دخلها الظافر، وأمر بالكف عن النهبِ، وولى فيها من جهتِه، وتوجه إلى عدن. فلما وصلها؛ جاءه الخبر: بأن الناصر أخذ ذَمار، وكان الشيخ عبد الوهاب فيها، فتحيز إلى بعض نواحيها، إلى أن جاء عمّه، فاستعادها، وأخرب القصر، ونهبت عساكرهُ البلدَ، وحصر الناصر في حصن هِران مدةً، وتوجه الناصر إلى صنعاء، فأسره أهل عرقوب، وسلّموه للإمام المطهّر.

واستولى الظافر على مدينة صنعاء طوعاً، ودخلها سنة ٨٦٧، ثم دخلها الشيخ عبد الوهاب بن داود والياً من جهة عمه.

وفي أول سنة ٨٦٩: استعاد الناصر صنعاءَ وملكها.

وفي سنة ٧٠: اجتمع المجاهد والظافر بعدَن، وجاءت كتب من بعض أهل صنعاء يستدعونهم، فخرج الظافر من عدن، وتجهز إلى صنعاء، فوصل إليها اليوم السابعَ من خروجه من عدن، فوقعت بينهما وقعةٌ هائلة، اضطربت لأجلها زبيدُ وجميع بلاد بني طاهرٍ، وثار الخلاف عليهم من كثير من أهل تلك الجهات.

وفي آخر محرم من سنة ٨٣: طلع الملك المجاهد من عدن إلى بلده، وقد ابتدأ به المرض، ثم توفي ليلة السبت، العاشر من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة، وكانت مدة دولته خمسة [كذا] وعشرين سنةً، إلا شهراً. ثم ملك بعده الملك المنصور، تاج الدين، عبد الوهاب بن داود بن طاهر، وتوفي سنة ٩٤.

وملك بعده: الملك الظافر، عامر بن عبد الوهاب بن داود بن طاهر، وهو الذي قتلَ الإمام الوشليَّ بالسم، وفعل في الأشراف أهل صنعاء أنواعَ التنكيلات، قتل أكثرهم بالسمّ، وأخرجهم إلى تعز والمِقْرانة، هم وأولادهم/ ، أدال الله منه، وخرج عليه الأتراكُ [/١١٤] فهزموه من زبيد، وقتلوا أخاه عبد الملك، فطووا الأرض بعده طيًّا، واستولوا على خزانته في المقرانة جميعها. وسولت لعامرٍ نفسُه، فجمع قبائلَ المشرق، وقصدهم، فهزموه. ثم قتل بعد ذلك، وقُبر عند عامر بن طاهر، وذلك سنة ٩٢٣.

وكانت دولة بني طاهر نيفاً وخمسين سنةً.

ثم بسط صاحب «اللآلئ المضية» ما وقع من عامرٍ من الأمور المكروهة، وما وقع عليه من الأتراك من البلاء النازل، والحتف القاضي، وما أصاب أهله من الأسْر والمهانة، وذهاب أمرِهم كأمسِ الدابر، وما نهبه الأتراك من المقرانَة من القناطير المقنطرة من الذهب والفضة، وأنواع الذخائر الثمينة، فلم نستحسن نقلَه لطوله، والله يقلِّبُ الليل والنهار.

تجهيز أبي دجانة الكندي على عدَن

قال أبو محمد، الطيبُ بن عبد الله بن أحمد بامخرمة، في تاريخه الكبير المسمى «قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر»، في سنة ٨٦١ في أواخِر ربيع الآخر من السنة المذكورة [٦/ ٤٥٠-٤٥١]: «تجهز صاحب الشحر، أبو دجانة، محمد بن سعد بن فارس

الكندي، من الشحر، ليأخذ مدينة عدَن، وذلك: أن يافع الذين خرجوا من كلَد وغيرهم، حسّنوا له ذلك، ورغبوه في أخذها، وزعموا أنهم يعرفون مواضعَ يدخل منها إلى البلد من غير الأبوابِ. منها: الموضع الذي فيه الحصن المعروف بالقُفل، ولم يكن إذ ذاك به حصنٌ، إنما بُنيَ بعد ذلك. وسمي بالقُفل: لأنه كالقفل على المدينة. فتجهز في تسعة مراكب، ومعه جماعة من يافع ومهرة، وغيرهم، وحيَّر، بفتح فتشديد الياء، (كلمة حضرمية بمعنى: منع، وحبَس)، السنابيق عن الوصول إلى عدن، لئلا يردّوا العلم، (كلمة حضرمية، بمعنى: إيصال العلم والخبر. يقولون: هل ردَّ خبراً؟ أي: هل جاءَ بخبرٍ!) بتجهيزه. فخرج سنبوق من الشحر خفيةً في الليل، ووصل إلى عدن، وأخبر بالتجهيز.

ولم يكن في البلد إذ ذاك أحدٌ من السلاطين، (مراده بهم: سلاطين آل طاهر، وفيما يأتي سمّاهم المشايخ!) ولا بها عسكر، وإنما كان فيها الشريف علي بن سفيان أميراً.

وأخبر الواصلون في السنبوق: أن غرض أبي دجانة وأصحابه الدخول إلى البلد من الموضع الذي فيه حصن القُفل، فجعل فيه ابن سفيان رتبةً من البرابر (الصّومال) والحبوش، لعدم العسكر في البلد.

وبلغني: أنهم أرادوا أن ينصبوا مدافع في الدّرب، ليرموا إلى جهة التجهيز إذا وصل، فلم يجدوا في البلد إلا أربعة أو خمسة مكَاحل صِغار، وذلك لضعف البلد. وكتب ابن سفيان إلى المشايخ، يعلمهم بما بلغَه من الخبر، ويستحثهم في الوصول، أو المدد بالعسكر.

ووصل أبو دجانة في تسعة مراكب إلى فوق البندر، ورامَ دخول البندر فلم يقدر، وأصاب المراكب ريحٌ عظيمة، انكسر من مراكبه مركبان، ثم قدم الملك

الظاهر، عامر بن طاهر، إلى عدن، قبل المغرب من يوم الإثنين، الرابع والعشرين من الشهر المذكور، بعساكر ضَلِيعةٍ (أي: قوية)، ففرح الناسُ بوصوله، وقوي الريحُ في تلك الليلة قوةً عظيمة، وانقطع رجاء صاحب الشّحر من البلدِ، فأصبح يوم الإثنين متوجهاً نحو بلده هارباً، فانفتح المركب الذي هو فيه، ونبذه إلى ساحل المكسر، فخرج الظافر بعسَاكره من باب البلد، وخرج معه نقباء يافع، آل أحمد، فأُسِر أبو دجانة وابن أخيه.

وبادر نقباء يافع، آل أحمد، إلى قتل مبارك الثابتي، وهو الذي كان سبباً في تجهيز أبي دجانة. وبادروا أيضا إلى قتل ابن عمه، حسب أن خرَجا (يعني: حينما خرجا، والعرب تقول: كما خرجا) من البحر، خشية أن يؤسَرا، فيكيداهم بالصحيح والسقيم، ولام الملك الظافر نقباءَ يافع على قتل الثابتي، وكان غرَضُه أسرَه. وأسر جماعة من عسكر أبي دجانة، من يافع وغيرهم، وأركبَ أبا دجانة على جملٍ ليراه الناس، وأدخل به وبالأُسَراء إلى عدَن، وكان يوماً مشهوداً.

ويحكى: أنه قيلَ للشيخ عامر بن طاهر، وأبو دجانة في الميدان، والخيل تلعَبُ به: إنه محسوبٌ لأبي دجانة أن يشرف من دار السّعادة، فأمر باطلاعه إليه مقيداً، وأمرَه أن يشرف من/ الرَّوْشَن على الذين يلعبون في الميدان، ولم يزل أبو [/ ١١٥] دجانة محبوساً مقيداً، إلى أن وصلت والدته بنت معاشر من الشحر، وكانت امرأةً كاملةً، ذات جزْمٍ وعزمٍ. يقال: إنها نهته عن التجهيز إلى عدن، وعذلته على ذلك، فلم يصغ إلى كلامها، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

وهي التي ضبطَت الشحر في غيبة ولدها، فلما وصلت إلى عدَن سعَت في فكاك ابنها، ويسلّم لهم الشحر، فأطلق أبو دجانة من القيد والحبس، وجعل هو ووالدته في بيتٍ تحت الحفْظِ، إلى أن قبضَ نائبُهم الشحرَ، فأطلقوه هو ووالدته،

فسارا إلى بلدهما خَيْريج. وتوفي أبو دجانة عقب وصوله إلى بلده، ويقال: إنه لم يخرج من عدن إلا مسموماً، والله أعلم بحقيقة الأمر. ولما وصل أبو دجانة إلى فوق البندَر (عدن)، خاف أهل البلد من دخوله ونهبه للبلد، لأن غالبَ عسكره أوْباش مجمّع». اهـ. (يعني: أنه عسكر مجموع من أوباش الناس).

قال السيد الشريف أحمد شنبل [ص ١٨٨]: «وقيدوا أبا دجانة وأصحابه، وساروا بهم إلى المِقْرانة، ثم وقع الخلاف في الشحر بين أهلها، وأولاد فارس بن سعد، وأخوالهم آل عفرار، فحصروهم، وانفضّوا بغير شيء». وذكر أنه خرجَ مع أبي دجانة جماعةٌ من بيت زياد، وجماعة من بيت محمد، وكان فكاك أبي دجانة سنة ٨٦٣، كما سيأتي.

سياق تاريخ الشِّحْر

وفي سنة ٨٦١ **أيضاً**: طلع بدر بن عبد الله بن علي الكثيري إلى الشحر، وحصرها أياماً قلائل، مع من والاه، وعادوا عنها.

وفي سنة ٨٦٣: أطلق ابنُ طاهر أبا دجانةَ ومن معه، وتخلى عن الشحر، واستولى عليها آل طاهر، وتوفي بعد رجوعه كما سبق. وتولى خَيْريج بعده: ولد أخيه، مبارك. وقبض الظفاري، أمير الشحر من جهة أبي دجانة، وخادمَهم، قبضَه نوابُ آل طاهر بالشحر، وقيدوه.

[غارة آل بادجانة على الشحر]

ثم إن آل أبي دجَانة أجمعوا أمرهم، وأغاروا على الشحر، فأخذوها من يد نوّاب آل طاهر، فأدى ذلك إلى ما ذكره الطيبُ أبو مخرمة، والسيد الشريف أحمد شنبل، وكان أبو مخرمة أحسنَها سياقاً. قال [٦/ ٤٥٤-٤٥٥]: «وكان أبو دجانة أخذَ

الشحر من نواب بني طاهرٍ، واستولى عليها، فتجهز الظافر بنفسه إلى الشحر طريقَ البر، في عساكر عظيمة، بحيث بلغ كراء الجمال التي تحملُ الأثقال إلى الشحر: اثنا عشر ألفَ دينارٍ! فلما علم أبو دجانة بأن الظافر قريبٌ من الشحر، خرج منها خائفاً على نفسه، ليلة الجمعة ١٧ صفر. وافتتحها الأمير زين الدين جياش السنبلي، وأرسل ولده علم الدين بشيراً بالفتح، ثم دخلها الشيخ عبد الملك بن داود، ونهب البلد نهباً ذريعاً، ثم دخلها الملك الظافر، وأمر بالكفّ عن النهب، وأسر جماعةً، وسيّرهم في السفن إلى عدن، وقرر أمر البلد، وجعل أميرها أحمد بن إسماعيل بن سنْقَر اليمني، وألزم بدر بن عبد الله الكثيري، صاحب ظفار وحضرموت، إعانتَه، إذ كان خصماً للمهرة أخوال أبي دجانة وجنده، وخرج الظافر منها إلى عدن في طريق البر». اهـ.

[بين آل كثير وآل بادجانة]

أما السيد الشريف أحمد شنْبل فقال [ص ١٩١]: «وفي سنة ٨٦٧: سار بدر بن محمد بن كثير إلى الشحر، فاستخلفوه في الشحر، ثم وصل أمير لآل طاهر، وساروا إلى حَيْريج، وعدَوا فيها»، يعني أنهم حاربوها. ثم قال في حوادث سنة ٨٦٨ [ص ١٩١]: «وفيها أخذ السلطان بدر بن السلطان عبد الله الشحر من غير قتال ولا تعبٍ، وذلك أول دولتهم في الشحر»، اهـ. فيظهر أن محمد بن بدر كان نائباً عن آل طاهر، ثم عزلوه ببعض أمرائهم، ثم استولى عليها بدر بن عبد الله، كما ذكر.

ولكنه فيما بعد من السنين: ذكر ما يدل على أنها بقيتْ بيد بدر بن محمد مدةً، حتى أخذها بعد ذلك أبو دجانة، فإنه قال في حوادث سنة ٨٧١ [ص ١٩٣]: «وفيها أخذ آل كثير حَيْريج». اهـ. وحيريج: هي بندر أبي دجـانة الذي عرف به قبلَ أن يملك الشحر.

وفي سنة ٨٨٧: جهز فارس بن مبارك أبو دجانة جيشاً على الشّحر، فدخلها، وفيها بدر بن محمد الكثيري، فخرج عليه بدر في قلةٍ من العسكر فأخرجه منها، وقتل جماعة من أصحابه، وقتل فارس خارج البلد.

وفيها: قتل محمد بن بدر الكثيري، قتله الروحي. وبدر بن محمد؛ هو: ابن علي/ بن عمر الكثيري. والسلطان بدر المذكور آنفاً؛ هو: بدر بن عبد الله بن علي بن عمر الكثيري، فهما ابنا عم. [١١٦/]

وفي سنة ٨٩٤: زال بدر بن محمد المذكور من الشّحر، بحصر أبي دجانة والريني أبي مهرة، من رؤساء المهْرة، وابن دغّار، من أمراء دوعن، وباهبري مقدّم سيبان، وسيبان، وراصع بن أحمد بن سلطان. ثم فتحت لهم صلحاً على سلامته وسلامة أصحابه وأمواله، وأن تسلَّم البلاد لسعد بن مبارك أبا دجانة.

وكان بدر بن محمد هذا؛ قد جهّز على تريم، وأخذها من آل يماني الضنّي، ثم بعد خروجه من الشحر نهبَ قافلة لأهل تريم، بعد ما أمّنهم وأذن لهم في الخروج، وكانوا يريدون السير إلى الشحر، وهي نحو مئة جملٍ بَزّ، وغيره. وهو الذي أخربَ سُور تريم سنة ٨٩٥. ثم سلّم تريم لعبد الله بن راصِع، في سنة ٨٩٦.

وفي سنة ٨٩٨: جهز جيشاً إلى الشحر، ومعه جماعةٌ، حالفَهم، مثل ابن دغّار، وباهبري، ثم رجع هو ومن والاه من الوادي الأيسر من دوعن، قَصُرت به النفقة، وانقلبَ عليه حلفاؤه المذكورون.

وفي سنة ٩٠٠: على ما قطع به في «تاريخ شنبل» [ص ٢١٢]، وأما ابن سنجلة فقال فيها أو فيما بعدها [ص ١٨-١٩]: «جهّز السلطان أبو عبد الله، جعفر بن عبد الله ابن علي بن عمر الكثيري، من ظفار الحبوظي إلى الشحر، وفي صحبته جماعة من

آل كثير، ومن بيت زياد المهْرة، وغيرهم، في جمع كثير. وحصَرها في شهر رمضان، فمكث نحو عشرين يوماً، ثم انتقل إلى تبالة، عازماً على الذهاب إلى حضرموت، فأخرج إليه صاحب الشحر يومئذٍ: سعد بن مبارك أبو دجانة الكندي، عساكره إلى تبالة، والتقى الجيشان بها، فانهزم جيش أبي دجانة؛ وكان هو في الشحر لم يخرج مع جيشه؛ وقتل منهم خلق كثير. واستولى السلطان جعفر على البندر، وأخرج سعد ابن مبارك أبا دجانة منها بالأمان. وكانت هذه الوقعة، المشهورة بوقعة تبالة، سادسَ شوال، أو سابعه، من سنة التسعمئة[1]، قاله أبو سنجلة، كذا وجدته بخط الفقيه عبد الله ابن أبو مخرمة رحمه الله تعالى.

قال في «تاريخ شنبل» [ص ٢١٢]: «وفيها، أي سنة ٩٠٠: جيش السلطان جعفر ابن عبد الله الكثيري على الشحر، وحاصرها، وأقام في عُقُولها (يعني: أرْبَاضَها)، ثم انتقل في شوال إلى تبالة، فخرّج عليه أبو دجانة عسكرَه، فقتل منهم نحو مئة، ثم خرج منها صلحاً، ثم سلمها إلى جعفر هي وما والاها من عِراص الساحل. وخرج بيت محمد من حصنهم صلحاً، وشرطوا عليه إخرابه، فخُرِب».

وفي سنة ٩٠٢: جاء عبد الودود بن سدّة، صاحب ميفعَة، هو وسعد بادجانة، وبعض بيت محمد من ميفعة، على الشحر، وفيها يومئذٍ جعفر بن عبد الله، وجلسوا تحتها سبعة أيام، ورجعوا ولم يقضوا وطَراً. وفيها: خرج سعد بن مبارك أبو دجانة حضرموتَ زائراً.

وفي سنة ٩٠٣: جهّز بيت محمد، ومن والاه، العسكر على الشحر، وحصروها نحو سبعة أشهر، ثم تفرقوا ولم ينجَحُوا. وبقيت بيد الكثيري. وهذا هو مُلك الكثيري للشحر، الذي استمر سنيناً طويلةً، حتى أخرجه منها عسكرُه من

---

(١) في المطبوع: ستمئة، وتم التصحيح لأنه خطأ طباعي مؤكد. (مصحح).

يافع، واستولوا عليها سنة ١١١٩، واقتسموها بينهم على القاعدة القبائلية: حافاتٍ، ودُوراً، وأشخاصاً، كفِعْلهم في تريم وسيون وغيرها. فصَارت سلطة البندر مفرقةً شظايا بين حكام متعددين، وأهله مقسّمِين أوزاعاً بين شركاءَ متشاكسين، في حكومةِ فوضى، أو بمعنى الفوضَى، لا تشبه حكومات السلاطين.

حَيْرِيْج

هو بندرٌ في وادي المسيلة، في جانبه الغربي، كان له ذكر في تاريخ حضرموت، وقد أخّرْنا الكلام في حوادثِه إلى ما سيأتي، عند ذكر مخلاف مهرة، وإن كان في حدود حضرموت على بعضِ الأقوال، لأن أكثرَ حوادثه وقعَتْ بمساعدة المهْرِيِّين.

* * *

من الشِّحْر إلى تَرِيْم

طَريقُ السياراتِ من الشِّحر إلى تَريم

هذه هي الطريقُ التي أنفق على إصلاحها وتسويتها وتعبيدها، السيد الشريف، منفقُ المال في مختلف الأحوال، ذو/ الشهرة والقَدر، المتصدر لمعاونة أولي الأمر، [١١٧/١] السيد الشريف، أبو بكر بن شيخ بن عبد الرحمن الكاف، العلوي الحسيني. وقد تعب في مراضاة البوادي، وإفهامهم منفعة الطريق، وعارضه في ذلك معارضون، وطال إلحاحه على السلطان عمر بن عوض القعيطي ليساعد على إنجاز العمل فيها، بنشر الأمن، ومراجعة أهل البادية بالرغبة والرهبة. وكان العمل قد توقف بسبب حوادثَ جرتْ منهم، ولم يتم له طلب، وتعطل العمل فيها سنيناً، حتى جاءت الحكومة الإنجليزية. وكانت آراءُ الناس قد اختلفت حينَ ابتدأ في عملها، فمادحٌ وقادح، ولكل منهم عللٌ يوردها، وقوادح يرددها، من تسهيل دخول الأجانبِ، وترددهم، وتخوف آثار الحضارة الفاسقة. وعند الأجانب طريقُ الجوِّ التي هي أوسَع وأرفع، ليس فيها عقبة عرْشَة، ولا عقبة مسنَّدَة، وأما فسقُ الحضارة فما سلِم منها أهلُ القطْر أنفسهم، جاءوا بها من معادنها، وإلى الله عاقبة الأمور.

[وصف الطريق]

تخرج من الشحر إلى الشمال، فتمر بدُفَيقة عن يمينك، فحصن آل الشيخ علي، ثم تبالة، كلها عن يمينك. وخلْفَ تبالة: جبل ضبْضَب. وعن يسارك: الحواء والمعيان، وبير معروف، والحبس. ثم يأتي عن يمينك: البرح وقد سبق ذكره. ثم تأتِي إلى وادي السمَعْدي، بفتح فسكون فكسر.

وتنحرف الطريق إليه غربيةً، ويبلغ الارتفاع: ١٥٦٠. ثم تعود الطريق إلى الشمال الغربي، والارتفاع: ١٤٣٠. فيأتي: المعدي، فعقبته، والارتفاع: ٢٠٥٠. وعن اليمين: جبل غُوَير، بضم ففتح فسكون، وهنا منازل البَحْسَني. ثم تأتي غيضة العقبة، فرأس حَوْره. وتعود الطريق مغرّبةً.

وعن اليمين: جبل عقبة العرشة. وتستمر الطريقُ مغربةً. عن اليمين: وادي غنم، فوادي دسبة، فيبلغ الارتفاع: ٤٠٥٠، في شقهة. وترتقي في العقَبة متوجهاً إلى الشمال الغربي، فالشمال، في تعريج وانعطافٍ متكرّرَين، فيبلغ الارتفاع: ٤٢٧٠. ويأتي عن اليمين: وادي دَسبة، ويكون الارتفاع: ٣٧١٠، ثم إلى الشمال الشرقي، فيكون الارتفاع: ٤٠٥٠.

وتأتي في الطريق: حُسُور، جمع حَسْر، وهو شرَفٌ مرتفع فيه شبه عقبة، ثم تنعطف إلى ناحية الشرق، فتأتي: أوائل ريدة المعارّة، وتأتي منازلهم التي سبق ذكرها. ويكون الارتفاعُ: ٣٥٢٠، ثم تعود مغرّبةً، ثم شماليةً بازورارٍ، إلى بظي، والارتفاع: ٣٣٠٠.

وتستمر الطريقُ إلى الشمال، ثم تنعرج قليلاً إلى الشمال الغربي، والارتفاع: ٢٩٨٠. ثم إلى الشمال الشرقي، إلى جِرُو، ورِسِبْ، وحُسُر جِرُو، والارتفاع: ٣٠٥٠، ثم: ٣١٠٠، ثم: ٣٢٧٠، و: ٣١٥٠، ويأتي ازورار وانعطاف. وتستمر في مَقَد الزُّوَيدِف، بضم ففتح فسكون فكسر، عن يمينه: وادي قودة. وعن يساره: وادي حِماري.

ثم تنحدر الطريق إلى رَهوة الغَتْل، بفتح فسكون، وهي تسيل إلى وادي برهوت، ثم في الصحراء (الجول) الممتدّة بين وادي مشطة ووادي بيت جُبَير، وهي إليه أقرب، ورأس طَمَق، بفتحتين، حتى تنزل عقبة المسنَّدة، بكسر ففتح فتشديد النون المفتوحة،

ويقال: عقبة باعَشْمِيل، والارتفاع: ٢٦٠٠، ثم تنحرف إلى الشمالِ الغربي، وخباية عن اليمين، فمَجْرى وادي عِدِم، وعن يمينك: الحاوي، فإلى الغناء تريم.

* * *

[صلح السادة سنة ١٣٤٩هـ]

ولأخينا الحسيب النسيب، رَوض الأدب القشيب، أستاذ الدارس والمدارس، ومحيي معالمها الدوارس، ناظم القصائد الغُرّ، من معادن الدّر، السيد الشريف، أحمد ابن عبد الله بن محسن السقاف، العلويّ الحسيني، قصيدةٌ مطلعها [«ديوانه» ص ٤٠-٤٢]:

صَوتُ هذا البَشيرِ في كُلِّ نادي سَرَّ أحبَابكم وغَاظ الأعادي
فاهنئوا بالوِئَام يا آل طَه وابْشِرُوا بالسَّلام أهْلَ الوادي

وهي قصيدة أنشأها في شأن الصّلح، الذي تم في سنة ١٣٤٩، بعد فتنة حصْن العزّ المشهورة، نوّه فيها بالصّلح، وعظَّم من شأنِه، خاطب منصب السادة آل العيدروس، السيد الشريف، أحمد بن الحسين العيدروس، العلوي الحسيني، وثنّى فخاطب السيد الشريف، أبا بكر بن شيخ، المذكور، واستطرد إلى ذكر تَعبيد طريق السيارات، وقيامه به، فقال/ : [١١٨/١]

همةٌ خرّتِ الجبالُ لها دكًّا وسوَّتْ بين الرّبَى والوهادِ
ثمّ شقتْ على الشعابِ طريقاً قرّبتْ شُقةَ النوى والبعَادِ
فأقِمْ حولها المعاقلَ واذكُرْ كيفَ تُرْضي، كما عرفتَ، البوادِي
وإذا عاثَ عائثٌ سَاءَه الإصْلاحُ أو غرّهُ ذوو الأحقادِ
زَجرةٌ منك للمُعيثين بالأ مْنِ تعيدُ السيوفَ في الأغمادِ

* * *

أتراني أبقى إلى حينِ يغدو   بُعْدُ سيورنَ ليلةً من سُعادٍ!!
بشِّروني أطيرُ شوقاً فبنْتُ الـ   ـجَوِّ حولَ المطار والجو هادي

ويعني بـ(سُعاد): الشحْرَ، وبها ولد. وقد قال هذه القصيدة معارضاً لقصيدةٍ قالها في ذلك جوهريُّ النثرِ والشعر، والنافث منهما بما يشبه السّحر، السيدُ الشريف، محمد بن هاشم بن عبد الرحمن آل طاهر، مطلعُها:

هنئُوا المكرُماتِ بالاتحادِ   وتنَادوا فاليومُ يومُ التنَادي

***

وكان من حديث الصلح: أن هذه الفتنة استطارَتْ، وكان في أحد جهتي المتنازعين السادةُ آل كاف، يؤيدون جنْد تريم بالرأي والمال والتدبير، وكان منصبُ السادة آل العيدروس، وأتباعُه من بادية آل تميم والعوامر، يؤيده بماله وحاله: السيد الشريف المثري، عبد الله بن الحسين بن علوي آل إسماعيل العيدروس. وطالت أيام الفتنة، وسُرَّ لها أعداء الأشراف، واجتهدوا في زيادة إشعالها، وألححتُ في شأن الصلح، بالمكاتبة للسيد الشريف، كبير بيتِ السادات آل الكاف، ذي النباهة والرياسة، والحلم والتأني والكياسة، عبد الرحمن بن شيخ الكاف، وكان بسنغفورة، وتهيأ الأمرُ، وطلبتُ منه القدوم إلى جاوة، فتلكّأ، ثم ألححتُ عليه، فعزَم ووصل.

وكنتُ قد وطأتُ أمر الصلح مع جانبِ الحبيب عبد الله بن الحسين المذكور، بواسطة المرحوم الفاضل الذكي النبيه، السيد الشريف، عبد الله بن علي بن شيخ العيدروس، وأقنعته بذلك، فقام فيه قياماً حسناً، وتمّ الصلح بجاوةَ، قبل أن يتمّ بحضرموت، ففتح أبوابَه، وهيأ بإذن الله أسبابه، هناك السيد الشريف، أبو بكر بن شيخ الكاف، ودخل منصب السادة آل العيدروس إلى تريم، في حفلٍ حاشدٍ، بعد

تمام الصلح، واجتمع لذلك الوجهاءُ والأعيان من السادات، وأطفأ الله الفتنة بمنّه، وأعاد الألفة بين الفريقين، والحمد لله.

[سعي السيد محمد بن عقيل في الصلح]

ومما ينبغي تدوينه هنا: أن السيد الشريف، والعالم الذكيَّ الألمعي المنيف، محمد بن عقيل بن يحيى، العلوي الحسيني، الشهير، كان من أشدّ الناس اهتماماً باطفاء تلك الفتنة، وتقريب أسباب الصلح، حتى لقد كتب إليَّ في الموضوع كتباً عديدةً، يتخوّف فيها عاقبة الفتنة، ويحذّر من اتساع نطاقها. وكان مهتماً بشأن الصلح بين الفريقين، وما زال يحثّني على التشمير في السعي لذلك، ولو جمعتُ كتبَه في الموضوع لجاءت في كراسٍ أو أكثر؛ وهذا استطرادٌ مختصر، جرّه ذكر طريق السيارات، وموضع ذكر ذلك، بأبسطَ مما ذُكر، في الجزء الثالث، الذي نرجو من الله الإعانةَ عليه، بفضله ومنّه، آمين.

عَودٌ إلى وصْفِ البلاد

ذكرْنا رأسَ وادي عينات، وهو ينحدر إلى الشّمال، يمر بعينات، البلَد المشهور، ثم عَوْلق، بفتح فسكون، ثم قَبَض، بفتحتين، ثم سَبْيَه، بفتح فسكون ففتح، ثم كَنَـيْف، بفتحتين فسكون، وكلها أودية صغار، على شاطئ الجبل الجنوبي، متصلة بأودية الحموم التي ذكرنا. ثم يليها: وادي ينْحر، وهو للمناهيل، ثم وادي تَنْعة، ذو السبْعة الأودية، وهو للسادة الأشراف آل مولى الدويلة، وبيت حمودة، والمناهيل، ثم وادي شنير. ثم وادي برْهُوت، وتسيل إليه شعاب كثيرة، وهو ينحدر من الجنوب إلى الشمال، ويصب في الوادي الأكبر، قبلَ قبر نبي الله هود/ عليه الصلاة والسلام. [١١٩/١]

فإذا انحدرتَ من موضع بير برهُوت، وهو بأعلى الوادي، جاء شعب قَنْعة،

بفتح فسكون، فبير برْهُوت، فشعْبُ الخَرِجة، بفتح فكسر، فشعب بارُوَيك، بضم ففتح فسكون، الـمُرَيَل، بضم ففتح بإمالة ففتح الياء، فشعب حرَّات، بفتح فتشديد. وعن اليسار: شعب غَفِيت، بفتح فكسر فسكون، فشعب مَرايِت، بفتح الميم وكسر الياء، وكلها لمن ذكرنا. وأسفل وادي برهوت: قريةٌ لآل بن كَوْب، بفتح فسكون، فيها نخلٌ وحرث ومسنى. وبعد شعب نبي الله هُود عليه الصلاة والسلام: يأتي وادي سَنا، يصبّ فيه وادي حماري، ووادي دِزْعة، بكسر فسكون، ووادي هَفَن، بفتحتين.

وَصْفُ النَّجْد الشّمالي

المراد به: جانب الجبل الشماليّ لوادي حضرموت. وخلفه: صحاري جبلية، فحُزونٌ، فرمالٌ ملبّدة، فيها أشجار لمراعي الإبل. وهو منقسم بين: المناهيل، والعوامر، وآل كثير، ثم الصيعر. والابتداءُ من الشرق إلى الغربِ.

[نجد المناهيل]

ونجْد المناهيل: يحدهم من الغرب فيه: آل وُعَيل، من العوامر. ومن منازل المناهيل: وَعْشه، بفتح فسكون. **وقبائلهم**: آل كَرِيم، بفتح فكسر فسكون. **وفخائذه**: بيت بركات. بيت الحمادي. بيت طَنَّاف، بفتح فتشديد. بيت القُوينِصِيّة، بكسر ففتح فسكون فكسر النون والصاد فتشديد الياء. ثم بيت المعْشَني، بفتح فسكون، ثم بيت سَبُولة، بفتح فضم، وفخائذه، **ومنهم**: بن مزَبّر، بضم ففتح فتشديد الباء المفتوحة. ونجدُهم قليل الخير، ويرعون جمالهم بالرمل، ويرِدُون على موردٍ للمهرة، وقد سبق ذكر هذا.

ومن الأودية التي تسيل من نجدهم، من الشمال إلى الجنوب، فتصب في وادي حضرموت: وادي يَشْحَر، بفتح فسكون ففتح، ويصب بين سَنا، وشعب النبي هود عليه الصلاة والسلام. وغربيُّه وأنت مصعِدٌ: وادي فُغْمَة، بضم فسكون ففتح

الميم. فوادي يَنْحُب، بفتح فسكون فضم. فوادي عَنْح، بفتح فسكون. فوادي عِصِم، بكسرتين. فوادي باخَلَيْت، بفتحتين فسكون الياء. فوادي عَرْبه، بفتح فسكون. فوادي الشُّخْره، بضم فسكون. ولعل هناك أودية أخرى لم يبلغنا علمُها، وسيأتي عند وصفِ السدود ما يفيدُ في ذلك؛ وينتهي حدّ المناهيل في النجد تقريباً، عند خط الطول: ٥٠ - ١٢ - ٤٩، أي: تسع وأربعين درجةً، واثني عشر دقيقةً، وخمسين ثانيةً.

وسوقهم: سيحوت. وطريقهم إليه: وادي الميلة.

[نجد العوامر]

ثم غربي نجد المناهيل، وشماليَّ وادي حضرموت: نجد العوامر، يحده من الغرب: نجد الكثيري، وهو نجد قليل الخير، مثل نجد الكثيري، ونجد المناهيل. وخيرٌ منها جميعاً: ريدة الصيعر. ولهم أودية به غير عميقة، مثل: العَيْلة، بفتح فسكون. وهَذْبِيل، بفتح فسكون فكسر فسكون. بهما: آل وعيل. وجِبل، بكسر الجيم، به: آل عبد الباقي. ووادي العَرِي، بفتح فكسر، وإليه تفيض وديان النجْد، ثم يُفْضي إلى وادي الخُون، بضم فسكون. ولهم: حصون السلاسل، بها آل كَلِيلة، منهم. ووادي الذهب، لآل براهم، من آل جعفر بن عمر.

العَوامِر

يظهر أنهم جاءوا من رمل عمان، فإن هناك باديةً يقال لهم العوامر، ولا يعلم سبب مجيئهم إلى حضرموت، فلعلهم كانوا قد وقعَ بينهم وبين قومهم حربٌ هناك، فنزعوا إلى الرمل، حتى وصلوا إلى نجْد حضرموت الشمالي، فوجدوا ولاة القرى الحضرمية يتقاتلون، ورغِب هؤلاء في الاستعانة بهم، فأخذوا يستأجرونهم عند حاجتهم، ثم التحموا مع آل كثير النّجْد تحت لقب الشنافر؛ الشنفري.

وسيأتي زيادة بحث في الموضوع في محله. وهم:

(١) آل عبد العزيز بن عامر؛ منهم: آل خميس، بالسّحِيل القبلي، بتاربة، وبحِصن بن غِرَيّب، بكسر ففتح فتشديد الياء المكسورة. وآل وُعَيل (تصغير وَعل)، بنجد العامري، بالعيلة، وهذبيل، ومنهم برمل ظَفار، عدد جم.

(٢) آل عمر بن عامر؛ منهم: قبائل الحطَاطبة، آل حطّاب، بالتشديد. بتاربة، وببادية النجد. ومنهم: آل عبد الباقي، بتاربة بالسحيل/ المحسن، بضم فسكون الحاء، والوادي، وبالنجد، بوادي جيا. ومنهم: فخذ بالسُّيف، قريب من قصيعر والحامي، بأرض الحموم. ومنهم: آل جعفر بن عمر بن عامر، ومنهم عدد قليل بتاربة، ومنهم عدد بوادي العرى بالنجد. ومنهم: آل تبَيْع (تصغير تبع)، بمشطة ولهم بادية بالنجد. ومنهم قبيلة العوانزة، تحت تريس والغرفة. وآل براهم في وادي الذهب، بالنجد. والكلّ يسمَّون: آل جعفر بن عمر بن عامر. [/ ١٢٠]

(٣) آل بدر بن عامر؛ منهم: الكسابيب، آل كسبوبَة، بفتح فسكون فضم؛ بتاربة، وبالنجد. وآل كليلة، منهم عدد قليل بتاربة، ولهم عدد في النجْد، بحصون السلاسل.

عودٌ إلى الوصف:

ويسيل من جبال نجد العوامر إلى الجنوب: وادي الخون، وفي أعلاه نهر صغير، يسمى السُّوَيدِف، بضم ففتح فسكون الياء فكسر الدال، وهو متروك غير معمور. وفي هذا الوادي تربةٌ طيبة صالحة للزراعة، وقد منعت الفوضى والظلم أن يُعمَر، وهو يأتي من الغرب الشمالي، ثم ينحرف إلى الجنوب عند مصبه، ثم وادي تَوَاره، بفتح التاء والواو، وهو واد صغير. ثم وادي الواسطة، ووادي حسين، فوادي

القرية، فوادي حَلُوف، بفتح فضم، فوادي حَبُوظة، بفتح فضم، وكلها مشهورة، لها ذكر في التاريخ. وأمامها قرّى مذكورة أيضاً، منها الخارب ومنها المعمور. وسيأتي ذكرُها، ثم تأتي أودية كبيرة من النجد، تبتدئ من جبل الوَطِي، بضم الواو فكسر الطاء. وهي: وادي الغبر، فوادي عيديد، فوادي الذهب، يسيل إلى ثِبي، بكسر فسكون، ثم وادي مدَر، يفضي بين بور وصليلة.

[نجد الكثيري]

ثم يأتي غربيه: نجد الكثيري. من الشمال يحده: الرمل. ومن الجنوب: وادي حضرموت الأكبر. ومن الشرق: نجد العوامر. ومن الغرب: ريدة الصيعر. وتسيل منه إلى الجنوب: وادي جِعَيمِة، ووادي نعام، ووادي يبهوظ، به آل حريز المرّي، وفيه قرية يبهوظ، وهم ينطقون بها جيماً، على عادتهم في الإبدال، فيقولون: جبهوظ، كما يقولون في يِفل: جفل، وفي يِبْ: جِبْ، حتى إنا وجدنا في التواريخ ما تقدم منها بالياء، وما تأخر بالجيم، عندما استولت لغتهُم على ما بعدَ القطن إلى مسفلة الوادي.

[رَيدةُ الصَّيْعر]

ثم تأتي: ريدة الصيعر. يحدّها من الشرق: نجد الكثيري. ومن الغرب: الرمل، الذي يفصل بينها وبين بلاد دِهَم، بكسر ففتح، من يَام. ومسافة هذا الرمل، من آخر جبال الرّيدة الشمالية، المقابلة للرمال الغربية عنها، التي يرودُها ويرتبِعُها قبائل يام، إلى جبال يام: نحو مئة ميلٍ شرعي. وذلك مقابل وادي سرحان، ووادي خبّ، ووادي سلبة، ووادي عتيمة، كلها بلاد يام، غربيَّ آخر جبالِ رَيدة الصيعر، وبوادي سلبة، من بلاد يام؛ يتقاطع خط العرض: ١٧ درجةً، بخط الطول: ٤٥ درجةً. وأما جنوبي ريدة الصيعر، حيث حصن العَبر، والطريق التي تمر به، فالمسافة بينها وبين بلاد دِهَم أقل من ذلك.

ويسيل من ريدة الصَّيْعر: وادي سَر، إلى شبام. ويسقيه من الشمال الغربي: وادي خَوْنَب، بفتح فسكون ففتح، وجنوبيه وادي القَلت، ثم سِمْدِه، بكسر فسكون فكسر، ولَطْخ، بفتح فسكون، وسُوْدَف، بضم فسكون ففتح، من الشمال، وأساس، بفتح الهمزة. وسَرْ، الوادي الأصلي، بفتح السين، من الغرب من رَيدة الصيعر، وبه سُمّي الوادي.

ويمر في وسط وادي خَوْنَب: خط العرض ١٦، جنوبيَّ قبر النبي عَسْنَب، ويمتد على ما سَامته شرقاً، فيمر خط العرض بالعَطف، في وادي يبهُوْظ، شماليَّ قرية يبْهُوظ، ثم بما سَامته من أسافل وادي نَعام، فجعيمة. وهنا يتقاطع مع خط الطول: ٤٥ - ٤٨، فأعلى شعب الذّياب، ثم يمر بما بين ضُمُر ووادي مَدَر، فالرِيَضة، فبعرض عبد الله، ومقيبل، فأسفل عقبة المعْجَاز، وهنا يتقاطع مع خط الطول: ٤٩ درجةً. ثم يمر بجانب حِصْن العزّ الشّمالي، فبمَحارث الرملة، فمحارث رَوْغة، فبلد مِشْطة، فجَول وادي عينات، فماسامتَه من بلاد الحموم.

ذكر الأودية النازلة من جبال رَيْدة الصَّيْعَر:

ثم يأتي وادي رَثِيْث، بفتح فكسر فسكون، يسيل عند قرية النابضة، فشعب عُفْران، وبه يضرَبُ المثل في الماء الخبيث، فيقولون: سبق إليه ماء عُفْران، بضم فسكون. وبين وادي رثيث وعُفْران: يمتد جبل شَناع، بفتح الشين، ثم شعب النُّوَا، بضم ففتح، فالجبل الأسمر، فجبل الظلم، وهما بجانب وادي هينَن الشمالي الشرقي. وبجانبه الغربي الجنوبي: جبل قمران. وبالطريق التي تمر جنوبي هينن موضعٌ ذو أثر، عرضُه: ٣٥-٤٥ - ١٥، أي: خمس عشرةَ درجةً، وخمس وأربعون/ دقيقةً، [١٢١/١] وخمس وثلاثون ثانيةً. وطوله: ٠ - ١٨ - ٤٨، ثمان وأربعون درجةً، وثمان عشرة دقيقةً. ويمكن أن يعتبر هذا الطول والعرضُ لهينن نفسِها.

فجبل عَرْف الديك، ويمر خط العرض ٤٨، بخُشْم هذا الجبل، ثم وادي غليب، وقيل: مظلب، بشَماليّه الشرقي: الجبل الشرقي، فجبل الـمَيْس، بفتح فسكون. وبجانبه الجنوبي الغربي: جبل مظلب، وقيل: محيد (؟). فجبل بَهْتر، بفتح فسكون ففتح، فجبل عَفَر، بفتحتين، فجبل رُزَيقة، بضم ففتح. وهذه الجبال نفسُها تشرف من الجانب الشرقي الجنوبي على وادي السُّور، الآتي من ريدة الصيعر.

وغربيُّه: جبلي الشُّكمَين، بضم فسكون ففتح فسكون، والعُرَيض، بضم ففتح فسكون، ثم يأتي جبل مَعْوَل، فقرن مَعْول، بفتح فسكون ففتح، ثم يأتي وادي عَكْبَان، بفتح فسكون، فجبل عَكْبان، فوادي ثاني، وغربيّه: جبل ثاني. ويجتمع هذان الواديان في رمل الحزار، فبرقة أم العين، فوادي السَّمُر، بفتح فسكون. وبأعلاه: عين ماءٍ. ثم يأتي وادي مَنْجر، وشرقيه الشمالي: قرن مِلَيحان، وجبل مُدَن، بضم ففتح، فجبل عِجْل، بكسر فسكون. وفي هذا الوادي بأعلاه: بئار متعددةٌ، منها: أهل الفَتِح، بفتح فكسر، فأم الغربان، فباقِيمْ، بكسر القاف وسكون الميم، وعندها: جبل باقيم. وغربيه: جبل الكلاب، عنده بيرأم الكلاب، فبيرأم الضِّيَع، بكسر ففتح، تحت جبل مَضْيَة، بفتح فسكون ففتح، وجنوبي ذلك: جبل مَـخَده، بفتحتين، فقرن مُعْتُد، بفتح فسكون فضم.

وهنا: وادي يمر بقَرْن الذياب، وبأعلاه بير جَاهِم، بكسر الهاء، فضَايِة، فجبل بعْرُورَة، فأبو مخاري، ويبلغ الارتفاع هنا: ٤٢٨٠، وشماليه: جبل حَضِي، بفتح فكسر.

[شعاب العَبْر]

وهنا: تأتي الشعاب التي تسيل إلى شعب العَبْر، وهي من الشرق إلى الغرب: شعب أرغد، فشعب عَرَيجه، بفتح ففتح إمالة فسكون، فشعب مُدْرَج، بضم فسكون ففتح، فشعب مَلْزِق، بفتح فسكون فكسر، كلها تأتي من الشمال إلى الجنوب،

فتصب في واديِ العَبْر. وتمتد إلى الشمال سلسلةُ جبالٍ بعد جبل حَضيٍ، وهي: دُوائر، بضم الدال، فمُرَصْرَص، بضم فسكون ففتح، فمَشَت، بفتحتين.

وبأعلى وادي العبر: بئار العبر، وبير تَنْظَل، بفتح فسكون ففتح، وقبلها برقة مُغَلَّل، بضم ففتح فتشديد اللام، فقرن البرقة. وشرقي شعب ملزق: جبل مِصَيْر، بكسر ففتح فسكون. والارتفاع عند بئار العبر: ٣٢٧٠. وإذا غرَّبَت الطريق عند شعْب مدرج، يكون الارتفاع: ٣٤٠٠، والعرض: ١٠ - ١٦، أي: ستَّ عشر درجةً، وعشْر دقائق. والطول: ١٠ - ٤٧، أي: سبع وأربعون، وعشر دقائق.

[من وديان الريدة]

وفي الريدَة وادٍ مشهور، يقال له: عَيْوَة، بفتح فسكون ففتح، ينسب إليه الباروت، ويقولون: باروت شغل عَيْوَه، يعنون أنهم عملوه بها. والباروت عندهم، هو: البارود، كما يقوله أهل مصر، وقد يسمونه: سِرِّي، بكسر فتشديد الراء المكسورة. وفي الريدة: المَوَطَّأ، بضم الميم ففتح الواو فتشديد الطاء، وهو سهوبٌ فسيحة من الطين الحرّ الخالص، وأخرى من الرمل، ويقال له: الـجَوْ، بفتح فسكون. وبريدة الصيعر: المسْفَلة. وفي الموطّأ: بيرٌ تسمَّى زمَخ، بفتحتين، وبير مَنْوَخ، بفتح فسكون ففتح الواو. وبها: وادي رَمَاه، بفتح الراء، ووادي الصدارة. وبها: السّر، لابن رمَيْدان، وينسب إليه الباروت الحسن، وفي ذلك يقول أحَدُ الصيعر، غارتْ منهم قومٌ على المناهيل، واستاقوا إبلًا لهم، وأدرك صريخ المناهيل، وسبقوا، وأكمنوا لهم. فلما وصلوهم شنّوا عليهم الضرب، فقتلوا منهم خمسةَ عشر قتيلًا، وجرحوا أكثر من ذلك، وطلب الصيعر الأمانَ، فأمنوهم، وواسَوهم بخمس عشرةَ راحلةً، تحمل جرحاهم إلى الريدة. فمروا بعينات، وقد أصيبوا ببؤسٍ وجوع، في أيام قحطٍ، فكان المنصِب الحامد يأمر لهم بقَواصر التمر، فتوضع لهم في الجوابي، وتمرس،

فيشربونها نبيذاً غير متخمّر، وكانوا مئاتٍ. ولام بعضُهم شاباً من شبانهم كان بعينات، وتمدّح أمام نساءٍ منهم، فأجابه ذلك الشاعر من القوم المغيرة، وكان كسيراً، أصيبتْ رجله ببندقٍ، والمقصود منها قوله:

آل الصّفيَّة لي يجيبُون المظَاهيرْ يبغُوا ركَاباً بالشّحَمْ مبتنيَاتْ

غلبَوا عليهِنْ هَايبين المعَاويرْ من دونهن قد قلبوا الأحسنيات/ [١/ ١٢٢]

بَاروتهم سرّي وصَفْوَه على بيرْ وألقَواله الكبريتْ من خمسْ وَزنَاتْ

ظلّتْ بنَادِقْهم تزُوع الأصَابيرْ وزاعَت الصُّبْرَينْ لي فَوقْ عِينَاتْ

والمراد بالمظاهير: المغانم. والشّحَم، مفتوح الحاء: وكذلك ينطقون به. الأحسنيات: جنس من البنادق العربية القديمة، يقال لها: حَسَنيَّة، نسبة إلى صانعها. وقوله «باروتهم سري»: أي مصنوع ببِير بن رميدَان، بكسر السين. والأصابر: رؤوس الجبال. و«تزوع» يعني: تهزّها. يصف المناهيل بشدّة الضرْب ببنادقهم، وشدة قصفها.

قبائل الصَّيْعَر وأفخَاذها

قد ظهر لك مما تقدم: اتساع رَيدة الصيعر، فطول رَيدة الصيعر من الشرق إلى الغرب: أكثر من ستينَ ميلاً، أما عرضها من الجنوب إلى الشمال: فأكثر.

[فروع قبيلة الصيعر]

والصَّيْعر يجتمعون إلى قبيلتين: (١) آل محمد بِلّيْث، بكسر الباء وتشديد اللام، وأصله: بنْ لَيث، فأدغموا النون في اللام. (٢) آل عَلْ بِلّيث. و«عَلْ»: بفتح فسكون، وأصله: عَلي.

ومن المعلوم أن قبيلة الصيعَر كانت موجودة قبل الإسلام، ولم يذكر أحدٌ من

النسابين هؤلاء الجدَّين: محمد وعلي، والذي لاشك أنهما رجلان منهم بعد الإسلام، كان لهما ظهورٌ وشهرة، فانتسبوا إليهما، كما وقع ذلك لقبائل كثيرة من البوادي، ولا يحتمل أن يكون جميعُ الصيعر السابقين وأفخاذهم قد انقرضوا، ولم يبق منهم إلا رجلٌ واحد اسمه لَيث، فأعقب من ابنين هما: محمد وعلي، وعنه انتشر الصّيعر الموجودون.

قال أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني في «صفة جزيرة العرب» [ص ٨٥]: «وفرقةٌ من بَلْحارث في رَيدة الصيعر، وإليها تنسب الإبل الصيعرية، والأشلة الصيعرية. وفيها يقول طرفة بن العبد:

وبالسَّفْحِ آياتٌ كأن رُسومَها ... يمانٍ وَشَتْه رَيدةٌ وسَحُولُ

والصّيعر قبيلة من الصّدِف، تنسَبُ إليها ريدةٌ، ليفرَّق بينها وبين رَيدة أرْضِين». اهـ. وسيأتي الكلام في أصل نسبهم في بابه.

ونعود إلى ما تقدم، فنقول:

[١] **آل محمد بلّيث**؛ منهم: آل حاتم، ومن آل حاتم: (١) آل عَلْ بن سليمان، وهم أربعة أفخُذ: بن يَزْبُوع، بفتح فسكون، وبن دِحَيَّان، بكسر ففتح فتشديد الياء، وابن الدِّلْخ، بكسر فسكون، وبن حِوَيْلان، بكسر ففتح فسكون. هؤلاء آل عَلْ بن سليمان، ودار الرئاسة في بن يَزْبُوع.

(٢) وآل معروف، أهل وادي عِيْوَه: بن مصيقل، وفيه دار الرئاسة، بن مَلْهِي، بفتح فسكون فكسر. وآل عبد الله بن عون. هؤلاء آل معروف أهل عيوه أهل الجو.

(٣) والمسادسة؛ بن مسدُوس، هم: آل عِبَيدون، وبن مِسَدَّس، بكسر ففتح فتشديد الدال، وبن فرج. هؤلاء المسادسة، والكل من آل حاتم.

وبقيت أفخاذ أخرى: كآل يحيى، ويقال لهم اليحايين، وآل الدّهَيْلي، بكسر

فتح فسكون فكسر، وآل فِزَيْر، بكسر ففتح فسكون، وغيرهم ممن لم يبلغنا علمهم.

* وثلاث قبائل دخلاء فيهم، وهم: بن سِبْعان، بكسر فسكون، وبن عَيَّاف بن دغار، و«عياف»: بفتح فتشديد، و«دغار» كذلك، وبن مِلقَاط، بكسر فسكون، و«ابن دغار»: كنديٌّ، من السَّكُون.

[٢] وأما آل عَلْ بِلَّيث؛ فهم: آل باوزيفه، بفتح فكسر فسكون، وآل بارَوْح، بفتح فسكون، والكَسالِين، بفتح الكاف وكسر اللام، والزّبابنه، وآل علي، وآل هِدَيب، بكسر ففتح، وآل فِزَير، بكسر ففتح، وآل دَوْمان، بفتح فسكون، وآل باقي مسلَّم. وهؤلاء آل عَلْ بِلَّيث، ودار الرئاسة العامة لهم في آل رُمَيدان، بضم ففتح فسكون.

وَصْفُ جِبال حَضْرموت الغَرْبية وأوديتها

نصِفُ هذه الجبال مع أوديتها وقراها معاً، فنقول:

[١ـ الحد الشمالي]

هذه الجبال يحدّها من الشمال: وادي العَبر، وهو وادٍ يبتدئ من الكَسْر، وينتهي في مدخل رَمْلة صَيْهَد. ومرادنا به: الوادي المتسع الذي يبتدئ من طرَف رَيدة الصَّيْعر الغربي، وينتهي بالفوهة والخَشْعِة، وبه كان رمل الحزَار، الذي ذكرَه ابن عُقْبة في قصيدته، فقال يصف ناقته/ : [١٢٣/١]

بادرتُها بالرَّحْلِ ثم نسأتها ... فجرَتْ كجَري الأجْدلِ المتحَدِّرِ

وبدُهْر جَازتْ ثم رَخْية بعدها ... وعلى الحزارِ كمثْلِ برقٍ مُغْوِرِ

ومَدورةَ جازَتْ ولم تلبَثْ بِها ... إلا مقَامَ مسلِّمٍ ومخبِّرِ

[رَملة السّبْعَتَين]

وبه: رَمْلة سباتين[1] بفتح السين والتاء، وهي ما بين شعب النقْعَة، بجانب الوادي الجنوبي، وشعب العَبْر. وتنتهي في الشرق إلى قريبٍ من مَفْضَى شِعب فريحا، المجاور لوادي دُهْر، ثم رملة نُصَيبه، بضم ففتح فسكون، يقابلها بالجانب الشمالي: جَوّ طَلّع، بفتح فتشديد، وجَو الحَتّ، بفتح فتشديد، والارتفاع عنده: ٢٩٥٠. ويحلّ جنوبي هاتين الرملتين: الكَرَب، وبادية نهد، أهل الرمْل. ويحدها من الجنوب: وادي عَمَقين، والجانب الشرقي من حاضِنة آل خليفة، ويحدها من الغرب: مفَاضي وديان هذه الجبال، السائلة إلى شبوة، الواقعة في شاطئ رملة صَيْهد الشرقي.

[رملة صَيْهَد]

وأما شاطئ رملة صيهد الغربي، فإليه تُفْضي أودية سبا، ووادي جُبا، بضم أوله، ووادي السد، ومأرب، بلاد جَنب وعَبِيدة، فوادي أبراد، ورَغْوان، والجوف، ووادي الوسط، ووادي خَليْفَين، بفتح الخاء والفاء، ووادي الطرْفاء، ووادي سرْحان، ووادي خب، ووادي عِتْمة، بكسر فسكون، وبلاد دِهِم، ويام، وهذا من الجنوب إلى الشمال.

وأما شاطئها الجنوبي؛ فتفضي فيه: أودية سَرُو مذْحِج، مثل حَرِيب، وبيحان، ووادي جِبَا، بكسر أوله، ووادي جِفا، بكسر أوله، ووادي سَروبان، بفتح أوله، ووادي خُرْبان، بضم فسكون، ووادي ظُلَيم، بضم ففتح فسكون، فوادي سعد، فوادي مَرْخه، فوادي همام.

ولو قام قائمٌ على قمة جبل بُرَيك، بضم ففتح، الواقع على مخرج وادي

---

(١) لعل المؤلف رحمه الله اعتمد على الترجمة الحرفية لكلمة (السبعتين)، وهو الاسم الذي تعرف به هذه الرملة عند الجغرافيين المعاصرين. (مصحح).

جَرْدان الجنوبي، مستقبلاً للمغرب، لكان أمامَه أجوالُ هذه الأودية، ومثاني بعضها، على اختلافِ تقدمها إلى ناحية الشمال، أو تأخرها إلى ناحية الجنوب.

[٢ـ الحد الشرقي]

وأما الحد الشرقي لجبال حضرموت الغربية؛ فهو: ما تقدم ذكره، من هضبة سلمون، وأودية المشاجِر، وريدة الديْن، وسِيطان الأبارقة، والقُثَم، والمعْوس، وما سامتها.

وتسيل منها أودية إلى الرمل؛ فأولها من جهة الجنوب: وادي مَكْسِر، بفتح فسكون فكسر، فوادي شَولة، بفتح فسكون، وبه مَطْرح الشولة، فوادي جَرْدان، فشعب شَثَن، بفتحتين، فشعب أم القفل، فشعب الحفان، فشعب لظى، فوادي أنْصَاص، بفتح فسكون، وبه أجْفَر الرخم، ماءٌ؛ فوادي خَرْوَة، بفتح فسكون ففتح، وفيهما وما حولهما: تحل قبائل الكَرَب. فوادي عِرْمَا، بكسر فسكون.

هذه هي الأودية التي تسيل إلى الجانب الغربي. وبقيت أودية تسيل إلى الرمل بوادي العَبْر، فهي تُفْضي إلى الشمال، وهي: شعْب النَّقْعة، بفتح فسكون، فوادي مطار، وبينهما بير القَرْظي، بفتح فسكون. ومنها يتألف وادي ذُهْر، بضم فسكون.

ثم تأتي عدة بئار، منها: بير مَـجْوَعة، بفتح فسكون ففتح الواو، فالحِسْوَة، بكسر فسكون ففتح الواو، فبير عامر، ثم وادي رَخْيَة، بفتح فسكون ففتح، وهنا بير جِذْيجان، بكسر ففتح فسكون، فبير عاصِم، ثم شعب الشِّرَيْج، بكسر ففتح فسكون، ووصلتَ قريباً من الخشْعة.

[السَّيْطان وما وراءها]

بعد حدود عمَقين والجانب الشرقي من حاضنة آل خليفة؛ تأتيك السَّيْطان، أي الصحاري الجبلية، وفيها: سدة الباتيس، وقد ذكرناها عند ذكر الطرق من حبان. ثم

يظهر لك في جانبها الغربي: التِّرِع، أي رؤوس الوديان التي تشق الصحاري، وتكبر شيئاً فشيئاً، بما ينضاف إليها من الشعاب، وهذه الترَع تسيل إلى جردان. فرؤوسه الشرقية: تحادّ ضَيْق العجر، وفروعه الجنوبية: إلى بلاد سعد، إلى رَهْوان، الذي يخرج إلى عمَقِين، ورَيْمة. وفروعه الشمالية الشرقية: تحادّ الجِش، بكسر الشين، يسيل إلى حَجْر.

فيأتي من ناحية الحاضنة: وادي خَمارة، بفتح الخاء، يأتي من الغرب الجنوبي، ثم وادي هَبا، بفتح الهاء، من الشرق الجنوبي، وتطلع منه عقبة هَبا، ومنها الطريق إلى عَمَقين.

ويلقاه شعب آخر يأتي من جَول المحَاجِر، من الجنوب. ثم وادي كُرَيث، بضم ففتح فسكون، من الشرق، آل بِحَيث بو لِـهَيْدَه، بكسر اللام وفتح فسكون، من نعمان، بأُوَقيت بضم ففتح، لهم. ثم وادي يَثُوف، بفتح فضم، من الشرق الجنوبي، فتصب كلها في وادي جردان/. [١٢٤/]

وبين وادي كريث ووادي يثوف: شِعْبان؛ أحدهما: حَيْلُوم الأعلى، وثانيهما: حَيلُوم الأسفل، بفتح فسكون فضم اللام. ففي أعلى الوادي: الصّعيد، لآل لخَل، من نُعمان. وفي مفضى وادي خماره: الرَّبَسَة، بفتحاتٍ، فيها: آل بادُهْري، بفتح فسكون، من آل هميم العُبَيدي، «هميم»: بفتح فكسر فسكون، و«عُبَيد»: بضم ففتح فسكون.

وفي الطريق التي تنزل إلى الوادي من عقبة هَبا، بفتح الهاء؛ فيها: آل منصور، من نعمان. فالـخَرْوَج، بفتح فسكون ففتح الواو. فالسَّرْوَه، بفتح فسكون ففتح الواو. فالجابية. فالسَّبَط، بفتحتين. فكدمة السَّيط، خربة.

وفي الناحية الشمالية، بجول الشعبين المتقدم ذكرهما: باعَرْوَة، بفتح العين فسكون ففتح. ثم في الوادي: المطرح. فالنحال. فأرض مهدي، لآل الحامد، آل حيدر، آل الشيخ بو بكر، العلوي الحسيني. فالعَرْصة، بفتح فسكون، لآل بالثّور، من

كندة، أصلهم من حَوْرة، بساحل الذّيبي، ويقال: إنهم إخوة آل بايومين، وبن دغار، وبن محفوظ، قَتلُوا في حورة، فنقلوا عنها.

الرباط، بأيسر الوادي، للسادة آل حيدر. فحصن الشّبحين، لآل حيدر، بأيسر الوادي. فالمِقِرّ، بكسرتين فتشديد الراء، لهم أيضاً، بأيمن الوادي، أي: للمنحدر منه. الجنينة، بضم ففتح فسكون، لآل حسن، من النمارة. ويقال: إنهم من بني هلال. فالرّيدة. فالنُّـقَيِّب، بضـم ففتح فتشديـد اليـاء المكسـورة، لهم. ويـقدّرون بنـحو ٤٠ مقاتلاً. الجيْف، بفتح فسكون؛ جيف بن عاطِف، من النمارة.

ثم يأتي مصَب يثُوف، من أيمن الوادي للمنحدر فيه. في سَوْطه: المبدَعة، بفتح فسكون ففتح. والمحيجر، بضم ففتح فسكون. ثم قَرْنا، بفتح فسكون، لآل بايوسف، عُبَيدي. ثم الرّكْح، بفتح فسكون، لآل سريع، من النمارة. فالجول؛ جَول الشيخ بو بكر، العلوي الحسيني، هو والكريف. وفي الكريف: آل علي بن سريع، من النمارة. ثم العَمِيق، بفتح فكسر فسكون، لآل سريع، من النمارة.

فالعُجَيما، بضم فسكون، لآل عبد الحق، وهم مشايخ، لهم جاه ومقام واحترام، ويقال: إن الشيخ عبد الحق كان عبداً لقبيلة المعوظة، الشهيرة بنجران، ثم أنعم الله عليه وجعله من الصالحين. الباردة، لهم، وفيها قبرُ الشيخ عبد الحق. ثم البُوَيردة، (تصغير الباردة)، لآل بريك. والشِّق، بكسر الشين فتشديد القاف، مقابلا للبويردة، لآل ضباب، من النمارة. ثم الضولحي، والسفال، وصعده: للقراميش، أصلهم من قَراميش حَرِيب. وعِيَاذ، للقراميش، وكان بها سادة من آل الشيخ أبي بكر، انتقلوا إلى غَيْضَة البِهَيش. وبجَرْدان كريفٌ يقال له كريف زُبَيد، بضم ففتح فسكون.

وارتفاع قرية عياذ: ٢٩٩٠. وعرضها: ٥٩-١٤، أي: أربع عشرة درجةً، وتسع وخمسون دقيقةً، وطولها: ٥٠-٤٦، أي: ستٌ وأربعون درجةً، وخمسون دقيقةً.

وآخر وادي جردان الشمالي يسمى الرِّشِه، بكسر الراء. وبعده إلى الشمال: جبل الدِّس، بكسر الدال. وبينهما: وادي غشن، أو شعب.

ثم نعود إلى السَّوط، وهو يمتد من أجوالِ وادي جردان، إلى أجوال وادي عمد ورخية شمالاً، ويسكن فيه: آل هميم، والجهمة، وآل علي، والباتيس، والبلعبيد.

[آل بِلْعُبَيد]

وفي الأودية الآتي ذكرها يقال: آل عُبَيد، آل بِلْعُبيد، العبيديون، كل ذلك يقال. واحدهم عُبَيدي. وهم ينقسمون إلى قسمين:

(١) سَلْم، بفتح فسكون.

(٢) حيَّان، بفتح فتشديد.

(١) فالسَّلْمي؛ هم: بن هميم. وبامَزْعَب، بفتح فسكون ففتح. وباسُمَير، بضم ففتح. وآل لَحْوَل (الأحول). وآل باكُرْبي (بضم فسكون). آل عمر بن علي. وآل بافاضِل. وآل بامَخْشَب، بفتح فسكون ففتح. وآل باعَنَس، بفتحتين. وآل با جِحاو، بكسر الجيم. وآل بادُخْن، بضم فسكون. وآل باحُميد، بضم ففتح. وبن مفتح. وباوَهَّال، بفتح فتشديد الهاء. وبادهري. وبايوسف. كل هؤلاء سَلْم.

(٢) والحيَّاني؛ هم: الكَرَب، بفتحتين، في الرَّمْل. وهم آل زيد، وآل مسفر، والمطاحلة، وآل عوبرة، وآل قِطَيَّان، بكسر ففتح فتشديد الياء، وهم بالرمل في مخارجِ الأودية الغربية والشَّمالية. وبينهم وبين الصَّيْعر وغيرِهم من قبائل الرمل غاراتٌ. ومن الحياني: آل عَمْرو، وهو بيت الرئاسة، وفيهم الحِكَم، بكسر ففتح. والمشَايعة؛ بني شايع.

[المرادعة من نهد!]

ويساكن الكَرَب: المرادِعة، من نهد. والمرادعة لهم بوادي برمالٍ بيحَان وحَريب، فلا ندري أهم من نهْد مَذْحِج، أم من نهدِ قضاعة!. ولنهد مَذْحج: مخلافٌ باليمن، وقد اختلطت أنسابُ قبائل بسبب تشابه الأسماء، ولذلك قال أبو محمد، الحسنُ بن أحمد الهمداني/ في كتابه «صفة جزيرة العرب» [ص ٩٠]: «وكذلك سبيلُ [/ ١٢٥] كل قبيلةٍ من البادية تضَاهي باسمها اسمَ قبيلةٍ أشْهرَ منها، فإنها تكاد أن تتحصّل نحوها، وتنسبَ إليها، رأينا ذلك كثيراً». اهـ.

وقال الطيب بامخرمة في كتاب «النسبة إلى المواضع والبلدان» [ص ١٨٥]: «الجرداني: نسبةً إلى جَرْدان، بالفتح وسكون الراء وفتح الدال ثم ألف ونون، وادٍ بين عمَقِين، ووادي حبان (؟)، يشتمل على قرَى. خرج منها جماعةٌ من العلماء، منهم: الفقيه عبد القادر الجرْداني، قرأ على مشايخنا: الفقيه محمد بافضل، والوالد، وكان متفقهاً متأهلاً للفتوى، وكثيراً ما يتولى قَسْم الصدقات السلطانية التي كان يتصدق بها الشيخ علي بن طاهر، وأرسل السلطان عبد الوهاب بن داود مرةً بخيلٍ معَدّةٍ للمجاهد بن سعد الدين، صُحبتَه وصحبةَ الفقيه أحمد بلعس. توفي المذكور بعدن سنة....».

وفيها: آل بُرِيْك، بضم ففتح فسكون، وهم مشايخُ محترمون، ويحملون السلاح. ومنهم في وادي حَول، وجردان، ووادي عِزما، ودُهْر، وفي شبوة. وهم: آل عبد الرحيم، وآل عَلَ بن أحمد، وآل سالم بن عمر، وآل عبد القوي، وآل باسيف، وآل زيد. وفيها: المشايخ آل عبد العزيز.

وعدد رجال آل بِلعُبيد فوقَ الألف، ودار الرئاسة: بن هميم. والمقدّم منهم

الآن: سالم بن ثابت بن هَمِيم. وهذه حصُونهم وقراهم في السَّوط: مِعْبِر، بكسر الميم والباء وسكون العين بينهما، لبن عمر. والجر، بفتحٍ. والنَّقْع، بفتح فسكون، لآل بامزعب. وسَوْمَح، بفتح فسكون، لباسمير. المحيجر، لبافاضِل، وقد مضى. الروضة، وسُخُور، بضمتين، لبا مَخْشَب. وثَيْبة، بفتح فسكون. والخضرا، لباعَنْس. والرويضة؛ رُوَيضة بن سالمين، لبا جِحَاو. ضِدِه، بكسرتين. وشَرْج با وهَّال، لباوَهّال. البِطانة، بكسر الباء، للمشايخ آل عبد العزيز. وآل الفشر، في الأجوال التي تلي جَردان. وهناك ريدة آل سعيد، وبِسَوط آل هَمِيم: الهجيرة، قريةٌ للمشايخ آل العمودي، من آل باطَوق، ولهم جاه وحرمة عند قبائل السَّوط المذكورة.

سَوط آل علي: يقدر عددهم بأربعمئة، ولهم بسَوطهم شروجٌ، منها: باهُذَيل، بضم ففتح فسكون. ومَضْمُو، بفتح فسكون فضم. والكُرَيِّف، بضم ففتح فتشديد الياء. وطَلُوح، بفتح الطاء وضم اللام. فيه: بن عِبِد، بكسرتين. وذي النخلة، فيه آل سِمَيدع، وبَفْلح، وسِحِك، بكسر ففتح.

سَوط آل باتَيْس: فيه: الجربة، لباقتيبة، حُرّاث. تَمُون، بفتح فضم، لبالَغَسَم، حُرّاث. القِعَيْر، بكسر ففتح فسكون، لبازِير، من آل باتيس. سدّة، فيها: الباتيس. ومِيْد، بكسر ففتح فسكون، فيها: الباتيس. نِخِلّه، بكسرات مع تشديد اللام، للعَمْقَاني، من آل الشيخ بو بكر، العلوي الحسيني.

عَودٌ إلى الوصف:

إذا خرجْتَ من بين جبلي جَرْدان: امتدّ معك الوادي إلى الرمل، فبعد عِبَاذ، يأتي عن يمينك: حَيْد الملح. ثم يأتي جَو الكُدَيف، بضم الكاف وفتح الدال وسكون الياء، وقد حرَّفوه، فمنهم من يقول الكُفَيف، وهو غلطٌ. وتمر بغربيّه: الطريقُ إلى شعب جُمَيل، بضم ففتح فسكون، ووادي حريب.

وبين أنصاص والجنح جبلٌ يعرف بخُشُم العبر. فإذا نزلت مع وادي أنصَاص من الشرق، مستقبلاً للغرب الشمالي: جاء الماء المسمّى أجْفَر الرخم، والارتفاع: ٢٩٤٠. ثم جِرْبة الكافر. ثم موضعُ أثرٍ شماليَّ وادي الشرقي، حيث العرض: ٠ - ١١ - ١٥، والطول: ٥٧ - ٤٦. والارتفاع: ٢٧٦٥. ثم يأتي عن اليسار: قرن الظبية. ثم يأتي عن اليمين: قرنان؛ يسمّى أحدُهما: القرن الأسود، وثانيهما: أبو الأفعى. ثم يأتي: ملح خَرْوَه، حيث الارتفاع: ٣٠٠٠. ثم وادي خَرْوَة، بفتح فسكون ففتح الواو، وقد ذكرهُ ابن عقبة وما قبله، فقال/ : [١٢٦/]

مـن شَـطِّ مَيثَـاء الرَّديـفِ ترحَلَتْ ... سـحَراً وعـاد الفجْرُ لمـا يُسْـفِرِ

قطَعتْ ضُحَى رمْلَ الكديفِ ومَنْصحاً ... والقَـرْيَ جَـازَتْ فيـه لـم تتحيَّـرِ

وبمُذْنبَـي أنْصَـاصَ ثـم بخَـرْوةٍ ... نفرَتْ نفُورَ الخشْفِ خَوفَ المنْسَرِ

يسيلُ وادي خَرْوَة إلى الغرب. فإذا انحَدرْتَ فيه لقيكَ: جبل عن اليمين، فيه مواضع لها أسماء خاصة: أبو شَدَه، بفتحتين. فأنمار. فلَذْبش، (الأدبش). فخُشُم غالب، يسيل منه شِعب العقم. وعن اليسار: قارةٌ تسمّى حريمه. وبين هذا الجبل والقارة: يسمى العُقْلة، بضم فسكون. وأمامهما: شَبْوة، وهما شبوتان: هذه الجنوبيةُ منهما، وهي حادثةٌ. والارتفاع عندها: ٢٩٨٠. والعرض: ٠ - ٢٢ - ١٥، أي: خمس عشرة درجةً، واثنان وعشرون دقيقةً. والطول: ٠ - ١٠ - ٤٧، أي: سبع وأربعون درجةً، وعشر دقائق. ويحيط بها عروقُ الرمل، لكل منها اسمٌ خاص. وبين العروق: الخَل، وهي الطريق في الرمل، والشقيقَة، وهي أوسع من الخل، كالوادي بين الكثِيبَين من الرمل.

وادي عِزْمَا؛ عِزْمَةْ

بكسر العين وسكون الراء، بعدها ميمٌ فألفٌ، هكذا ينطقُ به أهله، والمشهور عند غيرهم: عِزْمَة، بكسر فسكون. ولعل أصله عَزْمة، بفتح فكسرٍ، أو بفتحتين. وهو

سدٌ يعترضُ به الوادي، ويجمع على عَرِم، بفتح فكسر. قال الله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ [سبأ: ١٦]. وهذا أولُ ما يسبقُ إلى الظنّ، لشهرة شبْوَة القديمة الشمالية، أو هِجَر شبوة، المشهور تاريخها، والتي كانت مقرَّ ملوك حضرموت تارةً، ومثابَتهم أخرى. وبها الآثار القديمة، والكتابات بالمسندِ، الخطِّ العربي القديمِ، في الأحجار، بالعُقْلَة، وغيرِها من الأودية القريبة منها. فيكون واديها عرْمَة قد جعلَ له الأقدمون سدًّا يحفظ ماءَه لهم إلى وقت الحاجة، حتى لا يضيعَ، وكان وادي مَعْشر، المقاسم لوادي محِيْض، مشهوراً، سُمّي باسم مَعْشر بن ضَمْعَج، أحد أجداد قبيلة حضرموت، وقد ذكره النبي ﷺ في كتابه لأهل حَضْرموت[1].

تسيل إلى وادي عرما عدة شِعاب، منها: شعب يَنْجَل، بفتح فسكون ففتح. وشعب الحنكَة، بفتحتين. وبينهما: شعب سَمْرة، بفتح فسكون، وفيه غيلُ الشيخ عبد الصمد. ثم يجتمع مع شعب يَنْجَل، فيسمى: شعب السَّمرة، وبه: سمرة، منزل آل عبد الصمد. ثم المعلا. وبشعب الحنكة: الحَرَّة، بفتح فتشديد، لآل بادُخْن، بضم فسكون، العُبَيدي. والرَّشِيد، بفتح فكسر، لآل باحميد العُبَيدي. والثُّجَة، بكسر ففتح، لآل بريك. والجشَيْم، بضم ففتح، لآل بادُخْن. وبَاكَيله، بفتح فسكون، لهم. والكَورة، لآل البريكي. والكوبرة، أيضاً. والمافُوت، بضم الفاء، لآل بامَطْرف؛ المطارفة، والحدَد، بفتحتين، أي: الحدادين. وجَول بن معروف، فيه: آل بريك. وآل القرين، وآل الفِرَيما، وبن طاهر، في مَنْقلة، بفتح فسكون؛ والقُمْره، بفتح فسكون. والحصَا، وخليف الفريما، وأهل الجيزة. والحُبَيظ، فيه: آل عمرو، وهو بضم الحاء ففتح فسكون، وفيهم: الحِكَم. ومن آل عمرو، أيضاً، في وادي دُهْر، في: نَوعه، والخِشَاوَة.

---

(١) أخرجه ابن شبه في «تاريخ المدينة» (٢/ ٥٨٠) من رواية ابن لهيعة مرسلًا. (مصحح).

والـمَطَرة، بفتحتين لآل عبد الرحيم، آل بريك. والحيلة، بفتح وسكون. والجيف، بفتح فسكون. والحِمّه، بفتح فتشديد. والسّمحاء. ومَسْلَب، بفتح فسكون ففتح. وبُرَيث، بضم ففتح فسكون، للمشايعة، من آل عُبَيد. وجُفَيْنه، بضم ففتح فسكون. وسَرَق، بفتحتين، لآل بن مفلح العُبَيدي.

ومن عِزْما: آل باسُنكَر[1]، أدركوا ثروةً ببلاد الجاوة.

ووادي عِزْمة يخرج متجهاً إلى الشمال الغربي فإذا وصل إلى الـحُبَيْط ابتدأ ينعطف في تقويسٍ، وعند طرف القوس الثاني: يصب فيه شعب الحمّة. ثم يستقبل الشمال الغربي، حتى يمر بجبل عقيبات، وجبل مِشْطَة، فهناك يستقبل الغرْبَ، ثم ينعطف في وادي العطف إلى الشمال، إلى وادي شَبْوة. ويصب فيه شعبٌ آخر في رأس العطف، يخرج من الجبل الغربي خلفَ جبل مِشْطة، يجيء من خلفان المعدى والبغـاث، حـتى يـمرَّ بيـن جبَلي جَرَندل، بفتحتيـن فسكون ففتـح، ومِرَاح، بـكسر الميم/ . [/١٢٧]

شَبْوَة

إذا انحدر ماء وادي عِزْمة إلى وادي العطف، افترق إلى واديين وادي مِـخْبَض، بكسر فسكون ففتح، يأخذ إلى ذات اليمين، ووادي معشر، إلى ذات اليسار.

[وادي محبض]

فأما وادي مِخْبَض؛ فيذهب إلى الشمال، حتى يوازي قارةَ الملح، بالجانب الغربي، فيتقوس منحرفاً إلى الغرب، ثم يعود إلى الشمال، فيلتقي مَفْضى وادي معشر، فيلتحمان. وغربيَّ أعلى وادي مِخْبَض: تأتي نشوزٌ وتلولٌ، تمتد معه مسافةً

(١) أو: آل بن سنكر. (مصحح).

طويلة، فيها آثارٌ، وفيها قريَة هجَر القديمة، ذات الآثار والأساطين الباقية على أمد الدهر، والحجارة المنجورة، والكتابة المسندية.

[وادي معشر]

وأما وادي معشر؛ فإنه يمر غربيَّ هذه النشوز، تسايره من غربه: نشوزٌ أخرى، تنتهي بشرفٍ يسمى كُوَير، ويذهب إلى الشمال، ثم يفترق ثلاث فرقٍ في منتصف، يعود فيه مغرِّباً، ثم يجتمع، ويمر تحت نشزٍ جبلي ممتد إلى الغرب الجنوبي، في أعلاه: حصن الماء، والحسوة، وربيعة. ثم يتقوس الوادي على النشز المذكور، ويعود إلى الشمال، فيمر بخرائب وديارٍ، فيمر بحدَبٍ مستطيلٍ ليس بمرتفع، يسمى قَرْن الحديد، فيسايره، وهو منحدر إلى الشمال، حتى يلقى وادي محبض.

فالواديان يدوران كأنهما سور على الأماكن المذكورة، ويسقيان بعض الجروب. وطول هذه النشوز التي هي بمثابة الحدود للآثار: نحو ١١٤٨ متراً. ففيها: آثار المدينة القديمة المعروفة بهَجر، وبها آثارُ معبدٍ وثني جاهلي، مبني بالحجارة المنجورة المستوية المستطيلة، بقي منه حائط علوُّه نحو أربع قاماتٍ، وفي موضعٍ: اسطواناتٌ لا تزال قائمةً، وفيها المثنا، بفتح فسكون، به سكان، وهجر كذلك. وشماليها: قبّة الشيخ محمد بن بريك، ويحاذيه إلى الشمال: قبر الشيخ عبد القادر، وبينها مسافة. وأما قبر ابن يوسف؛ فعلى وادي معشر، في ميوان، قرية هناك.

[وصف آثار شبوة]

وجنوبي هجر: موضع يظهر أنه كان معبدا وثنياً. وشمالي هجر: آثار قصر جاهلي قديم. وشمالي المثنا: آثار متعددة، منها آثار قصْرَين جاهليين، وأَزَجّ بابٍ عظيم بالحجارة. وقريب من وادي معشر وضريح بن يوسف: آثارُ أزج كبيرٍ أيضاً.

وذلك مما يدلّ على أن هذه المواضع كانت بها أبنية ضخمة هائلة، مبنية بالجص والحجارة المنجُورة، يدل على ذلك الأكوامُ المتراكمة من الأحجار المهندِمَة المهندَسة، والأساطين القائمة من الحجارة.

ومنها ما سقطَ وبقيت قواعده، من حجارةٍ مستديرة ضخامٍ، وفي مركزها ثقبٌ يحيط به دائر من نفس حجر القاعدة، نُقِب ما حوله وترك هو مرتفعاً كالمطاف، مما يدل على أنهم كانوا ينقُبون الحجَر الذي سيضعونه فوقه، ويتركون في مركزه الأسفل كهيئة الفهر، وينقبون ما حوله، ويعمّقونه بقدر ما يسع الدائر الحجريَّ المرتفعَ في الحجر الأسفل، فإذا وضعوه دخلَ ما كان على هيئة الفهر في ثقبِ المركز من الحجر الأسفل والمخفض المستدير في الدائر المرتفع، فتناكحَا وتلاحما تلاحماً لا يمكن أن يزولَ إلا بفعل فاعلٍ، أو بتفتت تلك الصخورِ على طول الزّمان.

وكل هذا يدل: على أن هذه الناحية من شبوة إلى ما قابلها من الجانب الغربي من جبال الجوف ومأرب، كان مملوءاً قرى وضياعاً ومزارعَ، تسكنه أمةٌ كثيرة العدد، ذات نشاط وعمل وغنًى وحضارة وتجارةٍ، ومعرفةٍ بهندسة البناء، وإقامة الصروح الضخمة، ذات الأساطين الحجريةِ، والأقواس المهندَسة، والبنيان المرصوص المتلاحِم المعدَّل، وأهل علمٍ بحِيَل حمل الأثقال، حتى تأتّى لهم رفعُ تلك الأحجار الثقيلة إلى أعلى الإسطوانات. وأن أرْضَهم لم تكن رمليةً كما هي اليوم، ولوكانت كذلك لتعسَّر نقل الأحجار الثقيلة فيها تعسراً تفتُر معه الهمَمُ وتنحل العزائم، ويحمل على الإعراضِ عن تلك الأعمال، ولا يتأتى إنشاء القرى في الرمل، وإنما كانت في جُدَدٍ من الأرض، وكانت شبوة عاصمتَها، ثم دمرها الله كما دمّرَهم.

وما ظهر من الآثار يدلّ على أن الرمْلَ يختفي تحته ما هو أكثر.

وقد سمعتُ من شيخنا: أن أوديةَ حضرموت حتى وادي عِدِم وما والاه، كانت كلها تصب في وادي العَبر إلى شبوة، أي: ثم تغيرت هيئةُ الأرض بزلزالٍ أو نحوه. وسيأتي عند ذكر منازلِ عادٍ، ما يقرِّبُ هذا القول من فهمك.

[/١٢٨] وقد قال الله/ تعالى في سبأ، وما بينهما إلا عَرْضُ الرمل: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ [سبأ: ١٨]، فالطريق من سبأ إلى الأرض المباركة، أرضِ الشام، كانت معمورةً بالقرى، كما سيأتي، فيما قاله أبو ذرٍّ، رضي الله عنه: (أن ثمُودَ ملأوا ما بين بُصْرَى وعدَن مالاً وولداً)، فسبحانَ وارثِ الأرض ومَن عليها وهو خير الوارثين.

[عود إلى وصف وادي المعشر]

وبنيت بالمعشر وما حوله من شقائقِ الرمل: مراعي كثيرة، إذا نزلت الأمطارُ، وأخصبت السنة. وبين شبوة وقُرى مأرب: نحو ٩٦ ميلاً. وبينها وبين مَفْضى وادي ابراد، الآتي من واد السد من مأرب: نحو ٢٨ ميلاً. ووادي ابراد يمتدّ في الرمل عشراتِ الأميال، ويفضي في موضع يسمى الأفاليل، لحجارةٍ سوداء قائمةٍ في كثيبٍ هناك. وبين مفضاه وجبل الثنية، التي تمر به الطريق إليه: نحو ١٢ ميلاً. وارتفاعُ جبل الثنية: ٣١٧٠، و ٢٨٦٠ في موضع آخر منه. وعرض هذا الموضع: ٤٥ - ١٥، أي: خمسة عشر درجةً، وخمسة وأربعون دقيقةً. وطوله: ١٩ - ٤٦، أي: ست وأربعون درجةً، وتسع عشرة دقيقةً. والعرض في رَبض شبوة: ٢٢ - ٠ - ١٥، أي: خمس عشرة درجةً، واثنان وعشرون ثانيةً. والطول: ٠ - ١ - ٤٧، أي: سبع وأربعون درجةً، ودقيقة واحدة.

أقوالهم في شبوة:

قال ياقوت: «شبوة، بفتح أوله وسكون ثانية وفتح الواو، وهو من أسماء العقرب. وهو اسمُ موضعٍ، قال رجلٌ من بني عامر بن عَوْبَثان:

طرِبْتَ وهاجتْكَ الحمُولُ البواكِرُ ... مقفيةً تحدي بهنّ الأباعِرُ

على كل مهريٍّ رَباعٍ مخيَّس ... له مشفرٌ رَخوٌ وهادٌ عراعِرُ

يذكّرُ أظعاناً بشَبْوةَ بعْدَما ... علَوْنَ برُوجاً فوقَهُنّ قناطِرُ

اهـ.

قلتُ: الذي يغلب على الظّن أن اسْمَ شبوةَ ليس مأخوذاً من اسم العقرب، لأنه اسمٌ قديم، فهو مأخوذٌ من اللغة الحضرمية القديمة، أو اللغة العاديّة. أو سميت باسْمِ ملك كان يعرف بشبوة. وقد قال أبو محمد، الحسن بن أحمد الهمداني، لما ذكر حضرموت [ص ٨٥]: «نسبت هذه البلدة إلى حضرموت بن حمير الأصغر، فغلب عليها اسمُ ساكنِها. كما قيل: خِيْوان، ونَجْران. والمعنى: بلد حضرموت، وبلد خِيوان، ووادي نجران، لأن هؤلاء رجالٌ نُسِبت إليهم المواضع». اهـ.

قلتُ: وقد سمى العرب شبْوة، وهو شبوةُ بن ثوبان، أو قبيلةٌ من عَكّ. وقال الهمداني: «إن الأشْباءَ كانوا بشبوة ثم نقلوا عنها إلى شبام، لما حاربتهم مذْحِج، فالكلمتان متفقتان في الاشتقاق. وربما أنها مشتقة من شبَا، بمعنى عَلا، قال في «القاموس» و«شرحه»: «شبَا شبْواً، علا. وشبَا وجهُه: أضاءَ بعد تغير». اهـ. ولا يزال هذا الحرف مستعملاً بين أهل حضرموت، فيقولون: شبا الجبل، بمعنى علاه.

وشبوةُ، المذكورة في أبيات الشاعر العوبثاني، هي هذه على الأقرب، لأن بني عَوْبَثان من مراد، ومنازل مراد في بيحَان وما قاربها. ثم نقل بنو عوبثان، كلهم

أو بعضهم، إلى حضرموت، فسكنوا وادي العَين. وقال في «القاموس» في شبوة: «وأيضاً: حصن باليمن، أو واد بين مأرب وحضرموت، قريبة من لحج. وقال نصر: على الجادّة من حضرموت إلى مكة. وقال ابن الأثير: ناحيةٌ من حضرموت. ومنه حديثُ وائل بن حجر: أنه كتبَ لأقْوَال شبوةَ، بما كان لهم فيها من مُلكٍ»، اهـ بحذفٍ.

قلتُ: وهذا مما ينبغي أن يتفطَّنَ له، فإني قد رأيتُ كتابه ﷺ في كتبٍ كثيرة من كتب السير والحديث، قد حُرِّف فيه لفظُ شبوة إلى شَنْوة. وهو غلطٌ ظاهر، وقول صاحب «القاموس»: «قريبةٌ من لحج»!. غريبٌ، فأينَ لحج من شبوة. أفلا حدّدها بمأرِب، أو بيحانَ، أو بالجوف، أو برملة صيهَد!.

وقال أبو محمد، الحسن بن أحمد الهمداني، في «صفة جزيرة العرب» [ص٨٧]: «وفيما بين بيحان وحضرموت: شبوة، مدينة حمير، وأحد جَبلي الملح بها. والجبلُ الثاني: لأهل مأرب». قال: «فلما اختَربت حمير ومذحج، خرجَ أهل شبوة من شبوة،/ فسكنوا حضرموت»، اهـ. وقال في موضع آخر [ص٩٨]: «مخلاف شبوة: يسكنها الأشباء والأيزون، ثم صُداء، ورُهَاء»، اهـ. [/١٢٩]

وقال في الجزء الثاني من «الإكليل» [٨/١٢٣]: «حصون حضرموت ومحافدها: دمّون، لحمير. والنُّجَير، لبني معدي كرِب، من كندة. وشبوة، ما بين بيحان وحضرموت. وحَورة، فيها كندة اليوم. وتريم، موضع الملوك من بني عمرو ابن معاوية. منهم: أبو الخير بن عمرو علي، الوافد كسرَى ليستمدّ منه على الحارث ابن معاوية». اهـ.

سبَبُ خراب شَبْوة:

لم نجد في أخبار الأولينَ ما يشير إليه؛ وربما أن يكون السبب في ذلك هو

سيلُ العَرِم، وصلت مياهُه إلى ما حولَ شبوة، فطمستها بالأتربة والرمل، وأتلفت المواضع الزراعية. فإن سيل العرم كان سيلاً عظيماً، جرف أمامَه أحجاراً وطيناً ورملاً. فلما تلفت مزارعُهم، وانقطعت مصالحهم التجارية مع سبأ، بتفرقهم، ضعفت أمة شبوة وتفرقت، وطمع فيها مجاوروها، وخلت البلاد من أهلها، حتى استولى عليها الخراب، وتداعت أبنيتها بمختلف الحوادثِ. وقد ذكر أبو محمد، الحسن الهمداني [«الصفة»: ص٧٩]: أن الناس كانوا يغزُون خرابات الجوف، فيجدون فيها الذهبَ والفضة، فلا يبعد أنهم كانوا يغزون أبنيةَ شبوة، أيضاً فخربوا ما بقي قائماً منها للبحث عن الكنوز والدفائن. وفي العُقْلة، فوق فندٍ من جبل بيتٍ مربّع مبنيٌّ بحجارة معدلةٍ منجورة، وجعلت أركانه من الحجارة المستطيلة، لا يزال قائماً منه نحو ثلاثة أذرع، وحجارةُ ما خَرِب منه مركومةٌ تحتَه. وبالعُقْلة وُجِدت الكتابات المسندية، المذكورة فيها أسماءُ ملوك حضرموت، وهي في كتاب الرحّالة عبد الله فلبي؛ والله يقلب الليل والنهار.

طرُقُها: شبوَة واقعة على الجوادّ المسلوكَة إلى الجهات المختلفة، كابراد، ومأرب، والجوف، وخبّ، غرباً. وكنجران بالغرب الشمالي. وإلى جردان غرباً جنوبياً، وإلى حضرموت شرقاً، كما سيأتي ذكر مفصلاً في بابه.

ما بين عِزْمَا والعَبْر

جبل وادي عِزْما الشرقي الشمالي الغربي، منه خشمٌ مستطيل، يمنع من كان برَمْل الحزّارِ عن رؤية شبْوَة. ولأجزائه أسماء، وهذه هي، من أعلاه: جبل مِشْطة، فعتَيات، فمسحب، فحصن بثنون، فجبل مخريقة، فبصيرة، فحرّاد، بتشديد الراء. وهنا يسيل شِعْبان صغير[ان] يفضيان إلى ملح مَقْعَة، بفتح فسكون ففتح، فرُمَيدا، بضم ففتح فسكون. والارتفاع: ٣١٩٠.

وهنا الموضع المسمّى واديان، وفي طرف الخشْم: أثرٌ. والارتفاع: ٢٨٤٠. والعرض: ٣٤- ١٥. والطول: ٥٦- ٤٧. ثم شعبٌ صغير، بينه وبين خشم طُهَيفات، بضم ففتح فسكون. ثم خُشْم طُهَيفات يستقبل الشمالَ، فخُشم عَمْقَه، بفتح فسكون، يستقبل الشمال الشرقيَّ. والطريقان إلى حضرموت تمرّان بهذه الخشُوم، بأسافل أوديةِ شِعْب النّقْعة، ووادي مَطار، وسليل شبيرم، وشعب فريحة، وشعب مذينب، ووادي السَّيْلة بوادي دُهْر، وهذه الأودية تسيل من الجنوب إلى الشمال.

وادي العَبْر

هو ما بين جبال ريدة الصيعَر من الشمال، وجبال أودية مَطار ودُهْر ورَخْية وما اتّصل بها إلى الخشْعِة. والانحدار فيه يظهَر من واديان إلى ما بين وادي السَّيلة، وما يقابله من ريدة الصيعر، وهو وادي عكْبان. ثم يعود إلى الارتفاع إلى الخشْعِة. وفيه تصبّ الأودية؛ من الشّمال: من ريدة الصيعر. ومن الجنوب: من جبال السِّيطان، والأودية التي ذكرنا/ . [١٣٠/]

والرمل الذي في وادي العَبْر له أسماءُ خاصة، فعلَى يمين الطريق للذاهب إلى العَبْر من شبوة: يأتي الخيط الأخضر، ثم رملة نُصَيبه، بضم ففتح فسكون. والارتفاع: ٢٩٣٠. وتستمر الطريق إلى العبر شماليةً، إلى جَوّ الختّ، والارتفاع: ٢٩٥٠. ويأتي شرقيَّ العبر: جَو طَلَّع، بفتح فتشديد اللام. وتمر في وادي العبر طريقان بجانبه الجنوبي إلى حضرموت، وطريقٌ بجانبه الشمالي تحت ريدَة الصيعر، يسلكها من أراد نجران، أو الجوف، أو خبّ. وهي الطريق الجادّة للحج من طريق صعدة، أو نجران.

وجانب وادي العبر الغربي كالشرقي، أعلا من وسطه، وهو وادٍ عريضٌ وأعرَضُه: ما بين وادي مَطار من الجبال الجنوبية، فشعب العبر من الجبال الشمالية،

ثم يضيق قليلاً قليلاً كلما ذهب شرقاً. ويبلغ عَرضه من الطريق الجنوبية، التي تمر بأثناءِ وادي مَطار إلى مفضَى شعب العَبر: نحو ٣٧ كيلومتراً، أي: نحو أحد وعشرون ميلاً شرعياً و ٢٥٠ متراً. ويضيقُ عند الخشعة، حتى يكون عرضه: سبعة كيلومترات، ما بين القارة التي عند بير الرشيد، في الجهة الشمالية، تحت ريدة الصيعر، وبين الجبل الذي فوق حصْن الدُّوَيد في الجانب الجنوبي. والمظنون: أن تحت رماله طيناً حُرًّا صالحاً للزراعة، وإنما طغت عليه الرمال فرَدَمتْه.

ومن الخشْم المشرف على واديان: يتمكن السائرُ بالطريق، من رؤية وادي العَبر ورمالِه. ثم يأتي شعب النقعة، يسيل من سيطان البِلعُبَيد الشمالية، وبينه وبين مطار: بير القَرْظي، بفتح فسكون، فوادي مَطار، وهو يحاذي شعب العبر، بينهما الرملُ. فسَلِيل شُبَيرِيم، بضم ففتح فسكون فكسر، وشعاب أخرى. وعندها: بير عساكر، ثم القليب، به ماءٌ، فخُشْم القليب، وخلفه إلى الجنوب: جبل ظِلم، بكسر الظاء، وأمامه إلى الشمال: قرن مَرْوَجة، بفتح فسكون ففتح الواو. وهذا هو الجبلُ الفاصل بين وادي مطار ووادي دُهْر، وما انضاف إلى كل منهما من الشعاب. والارتفاع: ٢٧٨٠.

وعن يسار رملة نُصَيْبه، بضم ففتح فسكون، وخلفَها: طريقٌ من شبوة إلى ريدة الصيعر، تمر بشِعْب العبر. والارتفاع فيها: ٢٩٣٠. ثم إذا وصلتَ جَوّ الختّ، بفتح فتشديد، صار الارتفاع: ٢٩٥٠. وعن شمال الطريق: رملة سبَاتين.

وبين مفْضَى سليل شبيرم وشعب فريحه: الموضعُ المسمى سَهَل، بفتحتين، ارتفاعه: ٢٦١٠. به أثرٌ، حيث العرضُ: ٤٥- ١٥. والطول: ٣٨ - ٤٧. وشرقيه بالطريق التي تلي الجبل: الموضعُ المسمّى بِنَا، بكسر الباء، حيثُ الارتفاع: ٢٦٣٠. والعَرْضُ: ٣٩- ١٥. والطول: ٣٨ - ٤٧. وبه أثرٌ أيضاً.

ثم تمر الطريقان بشِعْب مُذَيتب، بضم ففتح فسكون، وهو في وادي دُهْر، بضم فسكون، فوادي السَّيلة. وهنا: بير مُجَوَّعة، بضم ففتح فتشديد الواو المفتوحة. وبالطريق الشمالية عند طرف وادي السيلة الغربي: بير حَمَد، بفتحتين. والارتفاع عندها: ٢٣٩٠. ومن وادي مطار إلى مفضى وادي رخية في رمل الحزار أو ما يسمى رملة سباتين بفتح السين والتاء وسكون الياء: يحُلّ الكَرَب؛ آل مسفر.

ثم يأتي الجبَل الذي يفصل وادي دُهْر ووادي رَخْية، وأنفه يمتد مستقبلاً الشمال الشرقيَّ. فأسماؤُه المشرفة على وادي دُهْر من أعلاه إلى مخرجِه شمالاً: جبل رَيحون، بفتح فسكون فضم. فجبل خَوْخ، بفتح فسكون. فجبل ضُمَر، بضم ففتح. فجبال ثُوْعه، بضم فسكون. فمَطاره. فأم الفَش، بفتح الفاء. فأمّ عَنْدُل، بفتح فسكون فضم. فخُشم المُخْتِبَة، بضم فسكون فكسر الباء ففتح الياء، فمُجَوَّعة. ثم أنفُه المسمى: قُوِين، بضم فكسر فسكون. وأما جانبه المشرف على وادي رخية: فجبل عَجَهَيْر، بفتحات فسكون. فباقَرَج، بفتحتين. فخُب، بضم الخاء.

وادي دُهْر

قال في «القاموس»: «ودَهْر، بفتح فسكون: وادِ دُونَ حضرموت. قال لبيد بن ربيعة:

وأصبحَ راسياً برِضَامِ دهْرِ وسَال به الخمائلُ في الرِّهامِ»، اهـ.

وقوله: «بفتح فسكون»، لعله وهَمٌ. فإن المشهور والجاري على الألسنة: بضم الدال وسكون الهاء. وقوله: «دونَ حضرموت»، خطأ. بل هو من حضرموت. وإنما قال الهمداني حين ذكر الطريقَ [ص ٨٤]: «وهو أول حضرموت من ذلك الجانب»/ [١٣١]. ولم يقل: «دُونها». وإذا كانت جردانُ معدودةً في حدودِ حضرموت؛ فدُهْر أولى.

وهو يسير إلى الشمال الشرقي. ويسكنه: آل عَمْرو، عُبَيديون، في نَوْعه، بفتح فسكون. والخشَاوة، بفتح الحاء والواو. وآل بريك، آل عبد الرحيم في مَطْره، بفتح فسكون. وآل علي بن أحمد بن بريك، في الـخُرّ، بضم الخاء فتشديد، بأعلاه.

وادي رَخْية

قال الطيب بامخرمة [ص ٣٠٢]: «الرَّخْيي: نسبةً إلى رَخْيَة، بالفتح وسكون الخاء وفتح المثناة من تحت ثم هاء. قال القاضي مسعود: جهةٌ عريضة، ذات مزارع على المطر، جبلية، وأشجارها علُوب. وفيها بعضُ نخيلٍ. وسكانها آل بِلْعُبَيد، وآل شَخْبل، وبعض من كندة»، اهـ. وقال أبو [محمد][1]، الحسن بن أحمد الهمداني [ص ٨٨]: «وواديان يقال لهما: رَخْية، ودُهْر. فيهما قرى كثيرة. وفي رَخْية: دربٌ، يقال له: سور بني نُعَيم، من تجِيب. ولهم قرى كثيرة بوادٍ غير ذلك، وأباضتهم قليلة، وأكثر ذلك في الصدِف، لأنهم دخلوا في حمير. وتجيب: من ولد الأشرس بن كندة»، اهـ.

وهذا الوادي يسيل من الجنوب إلى الشمال، ويفضي إلى رمل الخَزار، وهو وادي مستطيل، يساقي دُهْر، وعِرْما، ووادي عمد. وهذه أسماء أجزاء جبله الشرقي، المشرف عليه، من أعلاه: ساني. فعُمْقان، بضم فسكون. فدَمَّتْ بن فريد، «دمَّت»: بفتح فتشديد. فخُشْم مَتَمَّة، بضم ففتحتين فتشديد الميم المفتوحة. فخشم قويرات. فخشم الصدُوع، بضمتين. وهو خشم يمتد إلى الغرب.

وبالجانب الغربي من أسفل الوادي: الحِسْوة. وبير عامر، حيث الارتفاع: ٢٦٥٠.

وبالجانب الشرقي: بئر حِدَيجان، بكسر ففتح فسكون. حيث الارتفاع: ٢٦٠٠. فبئر عاصِم، حيث الارتفاع: ٢٥٧٠.

---

(١) ما بين المعكوفين سقط من الأصل. (مصحح).

وضُهـور جبـاله، أي: سيطانُه، فيها: الجهَمة، بفتحاتٍ، من آل بِلْعُبيد. وآل سميدع، من آل علي. وأول بلد فيه من أعلاه: البُدَيعا، بضم ففتح فسكون، فيها آل لحُوَل (الأحول). الحُجَيل، بضم ففتح فسكون، فيها: آل دُهْر، وآل زَوْبع، بفتح الزاي فسكون الواو ففتح الباء. دار الرُّقَاب، بضم الراء، فيها: آل علي بن محمد، آل باعِفَي، بكسر ففتح. لَعْمَق (الأعمق): لآل أحمد بن عمر، وكلهم من الجهَمَة. رئيسُهم: بامَزْعَب.

سهْوَة: أكبر قريةٍ في وادي رَخْية، سكانها: آل العمودي، وآل بفلح، والمنصب في بيت الشيخ عبد الله بن أفلح بَفْلح. مَرَاوِح: بفتحتين ثم كسر الواو، فيها: آل بفلح. حصن آل عمر بن علي، الجهَمَة. حصون آل سَعد، من آل سِمَيدع. سَلْمُون: فيها مقدّم آل سميدع، وحرَث، يقال لهم آل باقُسَيْس، بضم ففتح فسكون.

ثم حصن الشرقي، لآل سميدع. ثم حصن الجيزَة، بفتح الجيم فسكون، لهم أيضاً. ثم قرية القَرْم، بفتح فسكون، سكانها: السادة آل الشيخ بو بكر، العلوي الحسيني، وفي مصنعتها: القراميش. ثم حصن الهجَر، بفتح الهاء والجيم، فيه: القراميش. ثم لَنْف (الأنف)، في المصنعة: بادِعَام، بكسر الدال، من آل هميم. سكانه: آل باعِفَي، وأخلاط من الحراثين. ثم الجِذْفرة، بكسر فسكون، لآل بادعام.

ثم العَمْق، بفتح فسكون، فيه: الكُسْران، بضم فسكون، من آل بادِعَام. ثم قرن طُوع؛ «طُوع»: بضم فسكون. سكانه: السادة آل الشيخ أبو بكر. ثم نَطَع، بفتحتين، فيه: آل الشيخ أبو بكر، وحراثون. ثم حصون آل عَمْرو، فيها: آل عمرو. ثم رُوِضاح، بضم الراء وكسر الواو، فيه: آل بريك، وآل غانم، من آل حيدره. ثم عَلُوجه، بفتح فضم فسكون، فيها: آل غانم، وآل سالم، آل قصيِّر، من آل حيدرة (قُصَيِّر بضم ففتح فتشديد الياء). ثم صَنا، فيها: السادة آل الشيخ بو بكر، وآل باعباد، والمقدم بن سليم، مقدم آل حيدرَه، وبيت الرئاسة لهم.

ثم القَرْقَر، بفتح فسكون ففتح، فيها: آل قَبْران، بفتح فسكون، من آل حيدره. ثم صَو، بفتح فسكون، فيها: آل طويل، من آل حيدره. ثم الحزالِب، أو الحجالب، فيها: آل غانم آل حيدره. ثم الجِذْفره، لآل حيدره. ثم عمقان، للسادة آل أحمد ابن عيدروس، آل الشيخ أبو بكر، وآل بليث، وحراثين. ثم الخذُود، بضم فضم، للبقّارة آل بلّيث. ثم القبلي، لآل بلّيث. وآل بلّيث: عزوتهم وصَريخهم، هم وآل حيدرة، والشحابل. ثم منازل الشحابل، آل حسين. ثم نَباع، فيها آل مساعد بن/ [١٣٢/١] حسن، منهم. وفيها: مقدّمُهم محمد بن جميل بن شَحْبل. وبعده: شرْج آل عَلْ ابن أحمد، الشّحابل. والمخَارم، فيها: آل مظفَّر، وآل عِجيَّان، بتشديد الياء، من الشّحابل. ثم السَّيلة، لآل محمد بن فارس بن شحبل. ثم الخرشان، من الشحابل، أهل خَير وغارات. ثم الغرفة، لبن مرْبَش، [النهدي][1]. ثم البدع، لآل حَذْجان، نهد؛ تحت رخية.

تمامُ وَصفِ وادي العَبْر والطريق منه

ثم يلي رخية إلى الشرق: جبل عاصِم، وجبل خُزَيم، بضم ففتح. وهنا: شعب الشُرَيج، بضم ففتح فسكون، يفضي إلى منازل متتالية، وهي: مالك، وحصن الشريج، ومبارك. والارتفاع عند الأول: ٢٥٦٠، وعند الأخير: ٢٥٨٠. والارتفاع في الطريق الشمالية حِذاءَه، تحت الريدّة، عند البير الجديدة: ٢٢٩٠. وعند بير بَدْر بوطويرق: ٢٣١٠.

ثم بعد مبارك؛ يأتي شرقاً: حصن دُوِّد، بضم فتشديد الواو المكسورة. والطريق الجنوبية تمر به. فرهطان، والارتفاع عنده: ٢٥٥٠. وهذا الموضع يسمّى الخشْعِة،

(١) في الأصل: الهندي. وهو خطأ طباعي. (مصحح).

به ماءٌ قريب، حفرت فيه بئار، وأثيرت عليه زروعٌ على المساني، بإرشاد أحد صُلحاء السادة آل الحامد، آل الشيخ بو بكر، وانتفع بها الناس. ثم جبل قعُوضة. ثم قعوضَة، وهي منزل آل عجّاج، من نهد. وبها: الحِكَم.

ومن خرج منها: مرَّ برهطان. فسُور اليمنة، في الجانب الشمالي. قبر بايوس. فعِكْبان. فالمنْفِلْقة، في ستيهاه. فشاغية قرن الذئاب. فالعَبْر الجنوبي. ثم العَبْر الشمالي. وهنا: شِعب ملزق، وقد مر ذكره في ريدة الصَّيْعر. والعرض عنده: ١٠- ١٦. والطول: ١٠- ٤٧. والارتفاع: ٣٤٠٠. ثم تذهب الطريق إلى الغرب؛ فيكون الارتفاع قبل غُرّ اليماني: ٣٤٦٠. فتمر بغُرّ اليماني، والارتفاع عنده: ٣٣٤٠. ثم الرَّمارِيم. والارتفاع قريب منها: ٣٤٠٠. ثم جَوّ المليس. والسرْحَة، شجرةٌ عنده.

ثم ردم الأمير، والارتفاع عنده: ٣٥٦٠. والعَرْض: ٢٢- ١٦. والطول: ٢٠ - ٤٦. ثم غرّ الزنافر. ثم غر أبو كَعب، به ماءٌ بين قارَتين، إحداهما، وهي الشمالية: ضبعة. والأخرى: أبو كعب. والارتفاع هنا: ٣٦٨٠. ثم تنعرج الطريق إلى الغرْب الجنوبي، ثم تعود إلى الغرب، فتمر بقارَة قَعِيره، بفتح فكسر، عن يمين الطريق.

ثم يأتي جبلان منقطعانِ في الرمل، عن اليمين والشمال. وشرقيّ الشمالي: قارةٌ تسمّى بُوَيقى، بضم ففتح فسكون. وطرف الجبل الشمالي: يقال له أكْبَد. وطرفه الجنوبي الشرقي مما يلي الطريق يقال له: يَحْمَر، بفتح فسكون ففتح. والجبل الآخر يتفرّق طرفه إلى فَرْقين؛ ففي فَرْقه الشمالي: أم المرخ، بطرفه. فقويد. فزنْقَب، بفتح فسكون ففتح. والارتفاع: ٤٠٣٠. وفي فَرْقه الجنوبي الغربي: برقال. والريّان. والارتفاع: ٣٣٧٠. ويقال للجبلين كِلاهما: الريَّان، بفتح فتشديد الياء.

ومَسيل الماء الشرقي الشمالي بينهما، يقال له: غُرّ القِرَيش، «غُرّ»: بضم فتشديد،

و«القِرِّيش»: بكسر القاف وتشديد الراء المكسورة. ومسيل الماء في الجبل الآخر يقال له: المُشَيْنِيْقَة، بضم ففتح فسكون الياء فكسر النون فسكون الياء.

ثم تنحرف الطريقُ إلى الشمال الغربي، والارتفاع هناك: ٣٨٨٠. فتمر بعروقٍ رملية، منها: عرق مَناو، بفتح الميم، الارتفاع عنده: ٤١١٠ ثم قويرة بني جَعَس، بفتحتين. ثم أم الجنودان، بفتح فسكون. ثم قارة الحَيْض، بفتح فسكون. ثم باطنة عرق السريحة. ثم المخَاه، أسفل خَبّ، بفتح فتشديد. ثم إلى خبّ، وهو على خط الطول: ٤٥ درجةً. وقُعُوظَة شرقي خبّ إلى الجنوب، وطولها تقريباً: ٢٠- ١٥ - ٤٨، أي: ثمان وأربعون درجةً، وخمس عشرة دقيقةً، وعشرون ثانيةً.

وقُدِّر بسير الإبل في «رحلة» الإمام العلامة، المسند الصالح، السيد الشريف، محمد بن إبراهيم بلفقيه، العلوي الحسيني، والسيد الشريف، العالم العابد الصالح، أحمد بن حسن[1] بن حسين بن عبد الله بن علوي العيدروس، العلوي الحسيني، بثلاثٍ وسبعين ساعةً وربعاً، عن ثمان مراحل، كل مرحلة: تسعُ ساعاتٍ، وأسقِطَت ساعةٌ مقابلَ الانعطاف والوقوف.

[درب الأمير]

ومن العَبْر: طريق أخرى جنوبيَّ هذه الطريق، تسمى دَرْب الأمير، ليس فيها انعطاف، إلى ردم الأمير المذكُور آنفاً. وسيأتي وصف الطريق بأبسطَ من هذا في وصف الطريق من ردم الأمير إلى أودية دُهْم، مجالات باديتهم، ومرتبع إبلهم. وشماليهم بالرمل: يام/ . [١٣٣/أ]

***

(١) كذا في المطبوع، والصواب: حسن بن أحمد. (مصحح).

وَصْفُ وادِي حَضْرمُوت

وَصْفُ وادي حَضْرَمُوت

قد مرَّ وصفُ الجبالِ وصَحاريها وأجوالها، وما فيها من الترع ورؤوس الوديان، ومن يحلها من البوادي، وما فيها من القرى القليلة، ومضى وصْفُ حَجْر ويبْعِث، ومضى وصف حَيْق سَيبان، والوديان التي تسيل إليه، وقسماً عظيما من الساحل، وحيق الحموم، وجبالهم، ووديانهم، والنجد الشمالي الحضرمي، المشتمل على: نجد المناهيل، والعامري، والكثيري. وريدة الصيعر، وجبال حضرموت الغربية، وسيطانها، ووديانها، كوادي جَرْدان، وعِزْما، ودُهْر، ورَخْية، وقراها، ومن يحلها من البوادي. وريدة الديِّن، وما والاها، وغير ذلك مما مرّ.

والآن نبتدئ في وصف وادي حضرموت الأكبر، وهو يتألف من عدة أوديةٍ تصب فيه. فنبتدئ من أعلاه، وكلما وصلنا إلى مخرجِ وادٍ، وموضع مصبِّه في الوادي الأكبر وصَفْناه، وذكرنا ما فيه من القرى، وسيأتي في ضمن ذلك فوائدُ تاريخية مهمة. وما كان من القرى التاريخية المشهورة، جعلناها ترجمةً، وما سوى ذلك يأتي في أثناء السياقِ.

* * *

يبتدئ وادي حضرموت من أعلى واديي الأيمن والأيسر، ما بين خطي الطول: ١٥- ٤٨. و٣٣- ٤٨. ومن بين خطي العرض: ١٥ درجةً، و١٥ - ١٥، خمس عشرة درجةً، وخمس عشرة ثانيةً. فيصب في وادي دوعن، وهو الأيمن: وادي حموضة، الآتي من الجنوب، ثم يعود إلى الشرق، فيجتمع مع وادي النبي، الآتي

من الغرب. ويأتي من الجنوب الشرقي: وادي مَنْوَة. فيجتمع ماء الأودية تحت بلد الرباط، ويعود الوادي مستقبلاً للشمال، مع انعطاف والتواء إلى الكسر، ثم يعود إلى الشرق تارةً، وإلى الزاوية بين الشرق والشمالِ، تارةً إلى تريم، ثم يعود إلى الشرق الشمالي إلى البحر.

وهو يتألف من عدة أودية؛ فبعد وادي دوعن: يأتي وادي صَر، فالأيسر، ثم وادي قيدون، ثم وادي الغبر، عند الهجرين. فإذا بلغ الكَسْر: جاء وادي العين من الشرق الجنوبي، وجاء وادي عمد مستقبلاً الشمال في أوله، فإذا التقى بوادي نسيم، عاد إلى الشمال الشرقي، فيجتمع مع وادي دوعن عند العرُوض.

ثم يتحول الوادي غالباً إلى الزاوية الشرقية الشمالية، ويأتي وادي هَيْنَن من الشمال، ووادي منوب من الجنوب، ثم وادي سر من الشمال، ووادي يبهوظ ووادي جِعَيْمة ونَعَام، كلها من الشمال، ووادي بن علي من الجنوب، ثم وادي شُحُوح من الجنوب، ووادي تاربة كذلك، ووادي رمد من الشمال، ثم وادي عِدِم من الجنوب.

ثم من الشمال مع اتجاه الشرق: وادي عيديد، ووادي الغبر، ووادي الخون، ووادي فُغْمه. ومن الشمال: وادي عينات، ووادي يِبْحِر، ووادي برهوت. ثم يأتي من الشرق وينعطف إلى الشمال: وادي سنا. هذه أشهر الأودية التي تصب في وادي حضرموت الأكبر، ويتخلل ذلك شعابٌ وأودية صغار، يأتي ذكرها مع سياق الوصف.

وَادي دَوْعَن

وأعلى وادي حضرموت هو وادي دَوْعن، بقسميه: الأيمن والأيسر. والمستقبل للمشرق فيه يكون تلقاءَ وجهه، أي جهة الشرق من القطر الحضرمي: رؤوس الوديان التي تسيل إلى الوادي الأيسر، والصحاري التي بين حويرة ووادي بن

علي، والصحاري التي بعد عقبة عبد الله الغريب وريدة المعارة والجوهيين. وأعلى وادي عدم، وجبال الفِقْرِه ووديانها، وحيق الحمُوم، وما سامتَ ما ذُكر من وديانهم. وخلفَ ظهره، أي جهة المغرب: ريدة الديِّن، ووادي يبعِث، ووادي عمْد، وسيطان البلعبيد، ووديان حضرموت الغربية. وعن شماله، أي جهة الجنوب الشرقي، وما بين الشرق والجنوب: الجبال التي تخترقها الطرقُ من المكلا إليه، وقد مضى وصفها.

وفي الجنوب: جبال الحيق الجنوبية، كجبال السُّموح، ونوَّح، والعكَابِرة، وبني حسن، والمحمُّديين، ووادي حَجْر، إلى البحر الهندي. وفي الشمال: مخرج وادي دوعن وما والاه وأسفل وادي عمد وريدة الصيعر وفي الشمال الشرقي: أسفل وادي حضرموت، وما بينهما من صحاري/ وأودية. [١٣٤/أ]

وطول الوادي، تبعاً لمجرى السيل، من غيل باحكُوم، إلى ما يقابل صِيف من مجرى الوادي: نحو ٣٠ كيلومتراً، و٤٠٠ متراً، أي نحو ١٦ ميلاً شرعياً، وثلثاً، وزيادةً نحو ٣٥٤ ذراعاً. ومنه إلى بُضَة: ١٤ كيلومتراً، و٤٠٠ متراً، أي: نحو ثمانية أميال إلا ربعاً، وزيادة نحو ٦٠ ذراعاً.

وتصب فيه ثلاثة أودية كبار، كوادي حموضة من الجنوب، ويأتي وادي النّبي من الغرب، من شراقي الرَّيْدة، فيجتمع مع وادي حموضة، ويفضيان معاً، وقد انعرجا إلى الشرقِ، أمام بلد الرباط. ومَنْوه تأتي من الجنوب الشرقي، فتفضي شرقيَّ بلد الرباط، ويجتمع ماء الثلاثة الأودية هناكَ، وينحدر السيل في الوادي إلى الشمال، كما تقدم.

تحليل اسمه:

قال أبو محمد، الطيب بامخرمة، في كتاب «النسبة إلى المواضع والبلدان» [ص٢٧٨-٢٧٩]: «الدُّوعاني: نسبة إلى دُوعَان، بضم أوله وسكون الواو ثم عين مهملة ثم

ألف ونون. وهذا الاسم مركبٌ، فـ«دُو» بكلام فَارِس: عدَدُ اثنين. و«عان»: العِدُّ المرتفع من الأودية. وهذان العانان أحدهما يمنةً، والآخر يسرةً.

فالأيمن مدينة الخريبة وقد تقدم ذكرها في حرف الخاء المعجمة والأيسر مدينة الدوفة وسيأتي ذكرها في هذا الحرف إن شاء الله تعالى. كذا ذكره القاضي مسعود: أنه بضم أوله، والمشهور على الألسنة اليومَ: الفتحُ»، اهـ.

قلتُ: وما قاله القاضي مسعود من أغرب ما يسمع!، فإن «عان» بمعنى العِدّ المرتفع من الأودية، لم نره في كتب اللغة. وقال في «شرح القاموس» [١٤/٣٥]: «ودَوعن، كجوهر: وادٍ بحضرموت». وذكره الهمْداني، وياقوت كذلك. وقد رأينا من كتب في بعض المخطوطات الحديثة: الدَّوعَاني، بزيادة الألف، وللكن ذلك لا يدل على أن اسمَ دوعن مؤلفٌ من كلمتين: فارسية، وعربية!. فإن كان لفظ (عان) مأخوذة أيضاً من الفارسية، وكان أصله (دُو أان)، فقلبت الهمزة عيناً، فقيل: (دوعان)، فهو عذرٌ للقاضي مسعود فيما قاله، ودون تحقيقِ ذلك خرْطُ القتاد.

والأقرب في تحليله: أنه مختصر من لفظ أيدعَان، وهو اسم جدّ قبيلةٍ من الصَّدِف. واسم جد قبيلةٍ من حضرموت أيضاً. فسمّيَ الوادي باسمه، ولما تكرر على الألسنة تصرّفوا فيه بالزيادة والحذف، والله أعلم بالحقيقة. وأيدعان؛ هو أيدعان بن حريم بن الصّدِف، وهو سِهال بن دُعمي بن زياد بن حضرموت. وقيلَ في نسب الصدف: أنه الصدِفُ بن أسلمة بن زيد بن مالك بن زيد بن حضرموت الأكبر. ومن نسلِه: صاحبُ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وهو عبد الله بن يحيى بن سلمة بن جُشَم بن مالك بن أسد بن يحيى بن لَعس بن كيس بن أخْشَن بن أيدعان.

وَصفُ وادي دوعن

في حنكَة وادي النبي: موضعٌ يقال له الصَّعيد، وبه موضعٌ يزار يقال له إنه قبرُ نبيٍّ أو صالحٍ من القرون الأولى. والقُرْحة؛ ويقال: قُرْحَة باحميش، بضم فسكون، و«حَمِيْش»: بفتح فكسر فسكون. ويسكنها: آل باحميش، وآل باصَبْرَين، من نوَّح من سيبان.

[الشيخ علي باصبرين]

ومن الباصبرين: الشيخ علي بن أحمد باصبرين، كان فقيهاً ذكياً. له تعليق على «فتح المعين»، وله «إثمد العينين في اختلاف الشيخين»، يعني بهما: ابنَ حجر والرمليَّ، أخذه من «بشرى الكريم» للفقيه الشيخ سعيد بن محمد باعشن، في المسائل التي اختلفَا في الترجيح فيها في ربع العبادات. وله غير ذلك، منه: «رسالة» عدَّد فيها خصالاً فاشيةً بين أهل دوعن وما والاه، مخالفةً للشرع، أو مؤديةً إلى مخالفته، وأرسل منها نسخاً لولاة الأمر والكبراء وأهل الفضل، فنفروا عنه، ولكني رأيتُ للحبيب الشهير، والعلم الكبير، الوارد الغارف، والعابد العارف، السيد الشريف، أحمد بن محمد المحضار، مكاتبةً للشيخ علي المذكور، شكره على ما في «رسالته»، وصدَّر المكاتبةَ هذه بقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾[آل عمران: ٦٤].

ومما يدخل في قالَبِ الفكاهة: أنه ذكر في «رسالته» تلك: أن الناس هناك إذا دخلُوا لزيارة وليٍّ من الأولياء، أخذوا ينشدون بقولهم/ : [/١٣٥]

يَـا ولـيَّ الله جـيـنـا إلـيْـكْ   وطـرَحْـنـا الذَّنْـبَ بيـن يدَيكْ

فقال: «إن هذا لا يجوز؛ والأولى أن يقولوا: واستغثْنا الله بين يديك. فإن الله عـز وجـل يـقـول: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[آل عمران: ١٣٥]. وقد أثَّر نهيه في

ما يلي أعلى دوعن من البلدان، وبقي الناسُ فيما دونَه على ما كانوا عليه. ولما كان النكْءُ إنما يكون للجُرْح، فقد وقع من المصادفات الغريبة: أنه جاء إلى بلد قيدون، وقصد ضريحَ الشيخ الصالح الكبير، سعيد بن عيسى العمودي، يزوره، وبينما هو قائمٌ يدعو، إذا أقبلَ أهل البلد راجعين من الاستسقاء، ينشدون بقولهم:

يَا ولـيَّ الله جيـنـا إلـيْــكْ ... وطرَحْنـا الذّنْـبَ بيـن يدَيـكْ

فما كان منه إلا أن وعظهم ونهاهم. وقال: إن هذا مخالف للشرع ولما في القرآن، ولا يغفر الذنب إلا الله. فسكتُوا على مَضَضٍ، ولم يظهر له أنهم قبلوا نصْحَه، وخرج راجعاً إلى بلده بعد أن أتم زيارته.

فلما وصل إلى طرف البلد، قُدّم إليه حماره ليركبَه، فلما وثَب زاغَ الحمار فسقطَ هو على الأرض، وهناك من يراه من أهل البلد، فقام ينفضُ ثوبه من الترابِ، ويقول: الآن كفروا، الآن كفروا. أي: أنهم سيصِرُّون على ما هم عليه، ويقولون: لو كان على الحقِّ لما سقَط، وإنما هذا من تصريف الشيخ سَعيد. ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر: ٤٦].

كان شجاعاً ذا عزمٍ، لا يزال متمَنْطِقاً بمسدس أو مسدسينِ، وأحسِبُ أن له يداً في الثورة التي وقعت بجدة على قناصل الدول، وهي واقعة مشهورة، وقد تمكن من الفرار فسَلم. وهو الذي أثار العوام على الأبنية التي جُعِلت على الجمرات الثلاث بمنى، فهجموا عليها وأخربوها، وطلبه والي مكّة، الشريف، فهرب إلى حضرموت طريق البرّ. ولم يستطع بعد ذلك المجيء إلى مكة ظاهراً، إلا أنه حجَّ مرتين مستخفياً برًّا.

[السيد عبد الله حامد الصافي]

أخبرني المرحوم، السيد الشريف، علي بن أبي بكر الجفري، رحمه الله تعالى: أنه كان يقابل السيدَ الشريف الفقيه المحدث، عبد الله بن حامد بن علوي الصافي، إذا جاء إليه عند قدُومه ورجوعه بالتّعظيم، وكان يترددُ إليه لطلبِ العلم. فقيل له في تكلفه لذلك، مع شيخوخته! فقال: إنه من أهل البيت. توفي السيدُ المذكور بعَدن، ليلة الأحد، عشاءَ التاسع والعشرين من جمادى الآخرة، سنة ١٣٤٨ بعَدن، وأصله من السادة آل الصّافي الجفري، أهل بلد (الرباط) بدوعن.

[الباقحوم، ومشهد الهدار]

وقرية الباقُحُوم؛ فيها الباقحوم، وعندها علَمٌ مشيد بالنّورة، وهم يسمونه: مشهد الحبيب عبد الله الهدار. والمراد به: جدّي السابق ذكره، وكان في بدايته، بل وفي نهايته، يتردد إلى الأودية الخالية والشعاب، للخلوة والتفرغ للعبادة والذكر. فكان إذا أصعَد إلى الشعب مرَّ بقريتهم، وقد ينزل عندهم. فلما توفي أقاموا له ذلك العلَم ليتذكروه فيقرؤوا له الفاتحة. ولم أر من تكلَّم على حكم مثلِ هذه الأعلام من فقهاء الشافعيةِ، ومن المقطوع به: أنه إن ترتَّبَ عليها ما يخلُّ بالإيمان، من اعتقاد ضرٍّ، أو نفعٍ، لغير الله تعالى، فلا شكَّ في حرمة إقامتها. وسوف يتعِبُ نفسه من أراد أن يجد لها أصلاً من كتابٍ أو سنةٍ، أو يجعلَها من قسم البدع المطلوبة.

[حصن الباصمّ]

وفي الجانب الشرقي: حصنُ الباصَمّ، فيه آل باصمّ، بفتح فتشديد، وهم من نوَّح.

[رباط باعشن]

وفي سفح الجبل الجنوبي، بين الواديين: بلد الرباط. فيها من السادة الأشراف: آل الشيخ بو بكر، آل الحامد. وآل العطاس. وآل الجفري. وآل الصافي الجفري. وآل العيدروس. ومن غيرهم: المشايخ آل العمودي. وآل باعشن. وآل باصالح باعشن. ثم البامكرمان. والبارزيق. وآل باني. والباغريب. والباعظَيْم. والباسُوَيدان. وآل بن سلمان. ومن مشاهيرها؛ في القرن العاشر: الشيخ الصوفي الشهير، محمد باعشن، وهو مشهور يزار.

[الشيخ سعيد باعشن]

وفي القرن الماضي: الشيخُ الفقيه المحقق، سعيد بن محمد باعشن، أخذ عنه سيدي الجد، وتردّد عليه، وكان يمكث بالرباط الستةَ الأشهر ودونَها. قرأ عليه في مؤلفاته في علم التوحيد، و«شرح ابن عقيل على الألفية». ومن الآخذين عنه: العلَمُ الزاهر، والنور الباهر، العابد الذاكر، شيخنا الحبيب طاهر بن عمر/ بن أبي بكر الحداد، وأخذ عنه غيرهما. وله: كتاب «بشرى الكريم» شرح «المختصر الكبير» المعرُوف بـ«المقدمة الحضرمية»، طبع بمصر، وهو شرحٌ مفيد، وله مؤلفاتٌ غيرُه، لم تطبع. [/١٣٦]

[السيد عبد الله بن محسن العطاس]

وممن أدركناه، ممن عمَر مسجدها بالتدريس: السيد الشريف، عبد الله بن محسن العطاس، رحمه الله تعالى، وكان حسَن السيرة والأخلاق، فاضلاً صالحاً، اعتنى رحمه الله بوَلدي النبيه الذكي، محمد بن علوي، أيامَ كان يتردد عليه في ابتداءِ طلبه للعلم، وتوفي بعدَ ذلك، جعله الله شافعاً نافعاً، وعوضنا عنه الخير.

[السيد أبو بكر بن عبد الله البيتي]

ومن أهل الرباط: السيد الشريف، الفاضل المنيب، العالم العامل، أبو بكر بن عبد الله البيتي، العلوي الحسيني، الدوعني الرباطي. ترجمه الحبيب محمد بن زين ابن سميط، فقال [«بهجة الزمان» ص ٢٤١-٢٤٢]: «كان من عباد الله الصالحين، والعباد المجتهدين الصالحين، الزاهدين في الدنيا، أهل القناعة والتقلل منها، وأهل الجد والتشمير وقيام الليل، والإدمان على مطالعة الكتب النافعة، سيما كتب القوم، فإنه كثير النظر فيها. سلكَ الطريقَ على يد سيدنا الشيخ عبد الله، وأخذ عنه، ولبس الخرقة الشريفة، وتردد إليه كثيراً. وكان سيدنا معتنياً به، وهو الذي عناه بقوله:

* بُو بكْرِ سِرْ في طَرِيقِ الله ربِّ العبادْ *

إلى آخر القصيدة، وهي في «ديوانه». ثم قال: وكان ذا جدٍّ في العبادة، صبوراً على مقاساة الشدائد فيها، توفي برباط باعشن. **وكان ابن عمه** [«بهجة»: ص ٢٢١]: عبد الرحمن بن عبد الله البيتي، من أهل السر المصون، أخذ عن الحبيب عبد الله الحداد، وتوفي برباط دوعن. **ومنهم** [«بهجة»: ص ٢٣٥]: السيدُ الشريف، الفاضل الناسك السالك، مقبولُ بن شيخ الصافي الجفري، أخذ عن سيدنا عبد الله الحداد.

[الشيخ عبد الله بن سعيد العمودي]

«ومنهم الشيخ الصالح، العالم الصوفي المحقق، عبد الله بن سعيد العمودي، صاحب الرباط، كان من العلماء العارفين، المحققين المدققين، ذا أورادٍ وأذكار. سلك الطريقَ على يد سيدنا عبد الله، واشتهر أخذه عنه. ويحفظ عنه أشياء كثيرة من أقواله، أدخل منها أشياءَ في مصنفاته التي صنفها، توفي بقرية الرباط» [«بهجة»: ص ٢٤٤-٢٤٥]، اهـ ملتقطاً[1].

(١) أي: من كتاب العلامة محمد بن زين بن سميط. (مصحح).

وقد ترجمه الشيخ المعمر، الفقيه الصوفي المسند، محمد بن ياسين باقيس، تلميذ الحبيب الإمام، علم الأعلام، وركن الإسلام، عبد الله بن علوي بن محمد الحداد، العلوي الحسيني، في «نبذَة» كتبها بطلبٍ من جدّنا طه ابن عمر، وذكر فيها عدداً من فقهاء آل العمودي وصلحائهم، ممن أخذ عنه، ولو كملت لكانت من أحسن الطبقَات لأهل ذلك العصر.

* * *

قال في أولها: «أما بعد؛ فقد طلب مني السيد الشريف، العالي المنيف، الحسيب النسيب، العالم العلم، الأجل الفطن، الذكي الأفضل، الحبيب اللبيب، العاقل العامل لله على بصيرة، نسل الكرام، ونجل لباب أهل دائرة الإسلام، آل أبي علوي السّادة القادة الأعلام، طه بن الحبيب عمر بن علوي الحداد، علوي، صنو مولانا وحبيبنا، وشيخنا وكنزنا وذخرنا، ووسيلتنا إلى ربنا، شيخ الشيوخ، محيي الدين، وبركة المسلمين، منعش سنة سيد المرسلين، القطب الغوث، الحبيب عبد الله ابن علوي الحداد، باعلوي، نفع الله به وبهم وسلفهم وخلفهم آمين.

أن أجمعَ له شيئاً مما سمعتُه، أو نُقِل إليَّ على لسانِ بعض الثقات، من أحوال وأقوال سيدي الحبيب عبد الله بن علوي الحداد. فأنقل من ذلكَ ما حضَرني وساعدَ به الوقتُ، مع عدم الفراغ لدون ذلك، فأذكر ما أذكرُ إما بلفظِ الحبيب بعينِه، أو بمعناهُ، أو قريباً من ذلكَ، احترازاً من الكذب على أهل الله، نفع الله بهم».

ولما ذكر من أخذ عن الحبيب عبد الله الحداد من أهل دوعن، قال: «ومنهم» أعني الذين أخذوا عن سيدي: العالم الرباني، العارف المتقن، الصوفي المحقق المدقق، المجذوب بعين العناية إلى حضرة الهداية، والمخطوب بسبق الإرادة إلى

درجة الولاية، المحفوظ الملحوظ، المحظوظ من الله بأوفر قسمةٍ من فهوم وأسرار أهل الله، خصوصاً في علم طريق الصوفية، ودَفِينها، ودقائقها، وحل مشكلاتها، الشيخ عبد الله بن سعيد بن عثمان. فإنه نفعَ الله به، أخذَ عن الحبيب، وقرأ عليه، ولقنه، وألبسه، وأذن له في التلقينِ، فيما أظن. وله مع الحبيب خلواتٌ ومسامراتٌ، ومجالساتٌ خصوصية، بأسرار إلهية. وله من الحبيب ملاطفاتٌ، مصحوبة بإمدادات حفية. ونال ببركات الحبيب حظًّا وافراً من العلم والعمل والمعرفة، وصار شيخَ وقته، ووحيدَ عصره في فنه. وصنف كتباً عدّةً في/ الطريق، أجاد فيها وأحسن، [/١٣٧] وجمع فيها وأتقن، ونقل فيها من علوم القوم النافعةِ، ما ساعد به الوقتُ وأمكن، رضي الله عنه ونفع به».

[بقية أعلام رباط باعشن]

وذكر الشيخ محمد باقيس ثلاثةً آخرين، أظن أنهم من أهل الرباط. قال: «وممن أخذ عن سيدي الحبيب عبد الله، نفع الله به: الفقيه النبيه، الحافظ المتقن، الناسك السالك، الشهيد بموت الغربة، الحافظ للقرآن، والملازم للتلاوة والأوراد، وإحياء الأوقات بأنواع الطاعات، الفقيه عبد الله بن محمد بن عثمان». قال: «ومنهم: الفقيه الصالح الخاشع، الأوّاه المتواضع، العالم العامل، المتقن المحقق، الناسك السالك، المحافظ على حفظ الأوقات والأنفاس، والمثابر على فعل الطاعات، عمر بن أحمد.

وكذلك: ولده الصالح الفقيه النبيه، المتقن المتفنن، الناشئ من صغره في طاعة الله وطلب العلم، على الحبيب، وعلى والده: أحمدُ بن الفقيه عمر المذكور. أخذ هذا الفقيهُ الصالح وولدُه المذكور عن سيدي الحبيب، وقرآ عليه، خصوصاً أحمد، فإنه قرأ على سيدي الحبيب جملةَ كتبٍ، ولقّنهما، وألبسهما، وأعطاهما من لباساته الشريفة.

وهذا الفقيه وأولادُه، لهم حسن اعتقادٍ، وحسن طويةٍ في الحبيبِ، إلى الغاية. ولهما معه مجالساتٌ وخلوات. وانتفعوا بالحبيب انتفاعاً تامًّا، ظاهراً وباطناً، وهما على جانب من سعة الصدر والاحتمال، وبذل المال، وإكرام الوافد عليهما، ولهما معرفةٌ بالعلم بالله، خصوصاً فنَّ الفقه، مع صيانةٍ وديانةٍ، ومشاركة في غيره. وخصوصاً ولدُ الفقيه، أحمد، فإنه تفنَّنَ في كثير من العلم، وأتقن منه قدرا صالحاً. ولهما: نُبذٌ، ومصنفاتٌ مختصراتٌ، في غاية الجودة، نفع الله بهما. وذلك ببركات الحبيبِ، نفع الله به، وأعاد علينا من بركاته، آمين»، اهـ. وعسى أن نذكر فيما يأتي، ترجمةَ العارف بالله، الشيخ أحمد بن عبد القادر باعشن، وشيخه، ومن أخذ عنه.

[الظروف التي أحاطت بالمؤلف زمنَ تأليف هذا الكتاب]

وعندي رسالة في ترجمة أحَد فقهاء المشايخ أهل الرباط، وأحسبها من تأليف الشيخ أحمد بن عمر، أو غيره من عشيرته. وهي غير حاضرةٍ الآن. فإنَّا حرزْنَا هذا التاريخ بالبلاد الملايوية، أيام حرْب الأُمَم الكبير، فبعُدَ عنا كثيرٌ من المظانّ، والفوائد التاريخية، التي يحسُن إلحاقها بهذا المجموع، فعسى أن يعينَ الله على إلحاقنا لها بالجزء الثالث، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

[عَودٌ الى الوصف]

ثم: **حِصْن باجرف**، في جانبي الوادي، وأنت منحدِر. **والحسُوسة**، بفتح فضم فسكون. **وسِيْدِه**، بكسر فسكون، لآل العمودي. **وقَرن باحكيم**، وآل بركات، وآل بامعدان. وآل باحكيم من نوَّح. وهو في الجانب الغربي. وفي الجانب الشرقي: **حصن باقُعْر**، للباقُعْر، من المراشدة. و«قُعْر»: بضم فسكون. ثم **العَرْض**، بالجانب الغربي. فيه: المشايخ، وعسكر القعيطي. **وشَرْق**، بفتح فسكون، واسمُها القديم: ذي شرْق. فيها: آل محيمود، وآل باسَودان، وآل الذبياني، وغيرهم.

الـخُرَيْبة

ثم بلد الخريبة؛ أكبر بلدان الوادي، وموضع سُوقه، ومَثابةُ القوافل الواردة إليه، وهي بالجانب الغربي. وخط طولها: ١٨- ٢٠ - ٤٨. أي: ثمان وأربعون درجةً، وعشرون دقيقةً، وثلاثون ثانيةً. والعرض: ٣٠- ٦ - ١٥. أي: خمس عشرة درجةً، وست دقائق، وثلاثون ثانيةً.

[تحرير قبلة الخريبة]

ويمكن تحرير القبلة فيها: بأن يتحين يوم ثلاثين مَي، أي: الموافق لثمانٍ من نجم الإكليل، أو يوم ١٨ جُولَي، الموافق ٥ من نجم البلْدِة. فيراقب الشمسَ ذلك اليوم، فإذا كانت الساعةُ ١٢ نصفَ النهار وزيادة ٤٧ دقيقةً، و٢١ ثانية. أي: نحو ثلث دقيقة. فليستقبلْ عينَ الشمس، فإنها تلك الساعة فوقَ الكعبة تماماً، وظل الشاخص المضبوطُ متوجهٌ إليها. ولكن يلزمُ ضبط الساعة ضبطاً محكماً على الزوال، لا على الغروب، بواسطة المِزْوَلة، جمعُها: مزَاوِل، وهي التي تُعرَف بها الساعات الشمسية الحقيقية بواسطة ظلِّ الشاخصِ، وهو قضيبٌ من حديدٍ أو نحاسٍ أو خشبٍ، يُقام في ثقبِ لوحٍ من خشبٍ، غالباً، مستدير، ويكون القضيبُ متجهاً إلى القطبين، ويقسم مواقعَ ظله إلى أربعة وعشرين قسماً متساوياً، علامةً على الأربعة والعشرين ساعةً.

ولكيفية صنعِها قواعدُ/ تطلَبُ من فنّ علمِ الميقات، وتوجد معروضةً للبيع [١٣٨/أ] في مكة ومصر، وغيرها. ويكون طولُ النهار الأطول في السنة لبلد الخريبة: ١٢ ساعةً، و٥٣ دقيقةً. وأقصر يوم فيها في السنة: ١١ ساعةً، و ١٧ دقيقةً. ولا بأس أن يعتبر بذلكَ سائرُ بلدان دوعن، إلى منعطف الوادي، بجَزْع الصمّ، فالغالب عدمُ التفاوت بينها في ذلك. وإن كان؛ فهو جزئيٌ لا يحسّ.

والخريبة واقعةٌ في الإقليم الثاني، باعتبار تقسيم الأرض إلى ٢٤ إقليماً، كل إقليمٍ يكون الفرق بينه وبين ما يليه اختلافُ الزمن نصف ساعة. فتنقسم الأرض بهذا الاعتبار إلى أربعة وعشرين إقليماً: **فالإقليم الأول**: يبتدئ من خط الإستواء، أي من حيث يكونُ الليل والنهار معتدلينِ طول أيام السنة، إلى عَرْض ١٥- ٣٤ – ٨. أي: عرض ثمان درج، وأربع وثلاثين دقيقةً، وخمس عشرة ثانيةً. **والإقليم الثاني**: يبتدئ من نهاية الإقليم الأول المذكور، وينتهي في عرض: ٣٠- ٤٤ – ١٦. أي: عرض ست عشرة درجةً، وأربع وأربعين دقيقةً، وثلاثين ثانيةً. والفرق بين الإقليم الأول والثاني: نصف ساعةٍ. وبلد تريم داخلٌ في الإقليم الثاني، لأن عرضها: ٥٦ – ٢ –١٦. أي: ست عشرة درجةً، ودقيقتين، وست خمسين ثانيةً.

واعلم أن التفاوُتَ في الزمن بين البلدان الواقعة ما بين خط الإستواء إلى عرض ٥؛ يكون: لكل درجةٍ، تزيد في العَرْض: دقيقة، وخمس وعشرون ثانية. ومن عرض ٥ إلى عرض ١٠: تكون الزيادة لكل درجةٍ: ثلاثٌ ونصف. ومن عرض ١٠ إلى عرض ١٥: ثلاث دقائق، و٣٢ ثانية. ومن عرض ١٥ إلى ٢٠: يكون الفرقُ للدرجة: ثلاث دقائق، و٣٩ ثانية. كتبْنا هذا لينتفعَ به أهل الجهة الحضرميةِ في تعيين الزّمَن على وجه الإجمال، وأما على وجه التفصيل والتحقيق؛ فله أعمالٌ أخرى، تطلب من المؤلفات الخاصة.

❊ ❊ ❊

الخريبة، بضم ففتح فسكون، تصغير خِرْبة. وقد ظنّ بعض سياح الإفرنج أنها سُمّيت بذلك لأنها كانت عاصمةَ الخوارج، فلما أخربت سُمّيت الخريبة. وهذا ظنٌّ لا مستندَ له صريحٌ، ولعله أخذه من قول القاضي مسعود السابق: «الأيمن: مدينة

الخريبة. والأيسر: مدينة الدُّوفة». مع الذي ذكره أبو محمد، الحسن بن أحمد الهمداني، في هذا الصدد، وهو قوله في كتابه «صفة جزيرة العرب» [ص٨٧]: «وأما موضعُ الإمام الذي يأمر الاباضية وينْهَى، ففي مدينة دوعن». اهـ. نقله عنه ياقوت في «المعجم» [٢/ ٤٨٤]، ولكن تحرَّف لفظ «الإباضية»، فصار «الإمامية»! والصوابُ: ما في «صفة جزيرة العرب»، وإمامُ الإباضية كان بمدينة دَوعن.

ولكن لا دليلَ على أن تلك المدينةَ هي الخريبةُ، فلعلها قرية الصَّدِف، وهي بجَزْع الصدف، وهو بعْدَ بُضَة إلى آخر مَال القُرْحة. ومحل قرية الصّدف على قارَتين على منقطع الجبل الفاصل بين وادي دوعن والأيسر، فالمصعِد إلى الأيسر بالطريق: يجعلُهما على يمينه. وإلى الأيمن: على يساره. وهما مستقبلتانِ الشمالَ، والجبلُ خلفَهما، ولا تزالان تُعرَفان بالصدِف. ويقال: إنه كان هناك قريتان على كل قارة قرية.

وكيفما كان الحال؛ فليس على بلد الخريبةِ أيُّ غضاضةٍ إذا صحَّ أنه تسلطَ فيها الإباضية مدةً قصيرةً، ثم أبادهم الله. وقد ذكر الهمدانيُّ بلَدَين كانتا بدوعن، ولا يعلم مكانهما اليوم، وهما: شَرَن، وذُو صبح. ولما ذكر منازل تُجِيب، من كندة، بالكَسْر، وغيره. قال [ص٨٨]: «وإباضَتُهم قليلةٌ. وأكثر ذلك في الصدف، لأنهم دخَلُوا في حمير». اهـ. فدلت كلمته هذه على أن الصّدِف كثُر منهم الإباضية، وأن سبب ذلك: دخولهم في حمير، فنِحْلة الإباضية إذن كانت أعمَّ أو أكثرَ في حمير منها في الصَّدِف.

والعبرة فيما ذكرنا: أن الصدف كانت قبيلةً مباركة، وفدَ منهم عدةٌ على رسُول الله ﷺ، وكان منهم: جعشم الخير بن جليبة بن سَاجي بن موْهَب الصّدِفي، من أهل بيعة الرضوان، بايع تحتَ الشجرة، وكساه النبيُّ ﷺ قميصَه ونعلَيه، وأعطاه من شعره[1].

---

(١) ينظر: الاستيعاب: ١/ ٢٧٧؛ الإصابة: ٢/ ٢٠٤.

وكان منهم رجالٌ اشتهروا في فتوح الإسلام، واشتهر منهم عدد غير قليلٍ في صدر الإسلام، وكان فيهم عدَدٌ، ولهم بطونٌ مشهورة. مثل: بطن أبوذ. وبطن حُرَيم، بضم ففتح فسكون. وبطن الأُجْذوم، بضم فسكون. وبطن أيدَعان بن حُرَيم. وبطن جشم. وبطن وُعَيل، وغيرهم. فلما دخَلت عليهم نحلة الإباضية، والعياذ بالله، انطفأت أنوارهم، واندرست أخبارهم، وخملُوا وذلُّوا وقلوا، ولم تبقَ/ منهم إلا بقايا [/١٣٩] قليلةٌ، لا تعرِفُ لها نسباً ولا حسباً. وقد كانت منازلهم من نواحي سَدْبة، ومَنْوَب، وفي قرى دوعن، والحيق، فذهبَ ذلك كله، والله وارثُ الأرضِ ومن عليها.

تاريخها:

دخلت الخريبة كغيرها من بلدان حضرموت في الإسلام من أول الأمر، وتوالت ولاة الخلفاء الراشدين ومن بعدَهم على حضرموت. ثم بعد وفاة رسول الله ﷺ ارتدَّ من ارتدّ من كندة ومن تبعهم، وثبتَ على الإسلام أكثرُهم. ثم جاءت نِحْلة الإباضية آخِرَ مُلكِ بني مروان، فاستولى الخوارجُ عليها، وكان رئيسهم من بني شيطان، وهو عبد الله بن يحيى الأعور الكندي، ووقعت حروب شديدة بينهم وبين بني مروان، ثم بينهم وبين بني العباس، غُلِبوا فيها وقتلوا.

وبقي بقيةٌ من الإباضية معتصمةٌ بوادي دوعن والأيسر وجبالها، فكانوا إذا أحسّوا غفلة من ملوك الإسلام وثبوا بأهل حضرموت، فتأتيهم جيوش الإسلام تخضِعُهم، ثم لا يلبثوا أن يعودوا، وأصيبَ أهل حضرموت بملاحِمَ، قتلوا فيها قتلاً ذريعاً، حتى بقَرُوا بطون الحبَالى، وقتلت الأجنة في الأرحام، وجرى عليهم من جيش عبد الملك بن عطية السعدي الهوازِني، ثم أخيه، ثم من جيش مَعْن بن زائدةَ، ثم من جيش أبي يُعْفِر الحواليّ، ما هو مشهورٌ. ولكن بقيت لهم بقايا، حتى جاءهم الطوفان، فخرج عليهم الصليحي بجيوشِه فمزّقهم كل ممزقٍ.

وأحسب أن النقباءَ من بني ذبيان، من همدان، الذين بقُوا إلى ما بعد الدولة الكثيريةِ في عددٍ من المصانع، إنما هم من بقيّة أمرائِه، وسمعتُ سيدي وشيخي يقول: إن البرْشَة، الموضع المعروف أسفلَ من بلد هَدُون، سمّي بذلك، لأن جيشَ معنٍ برشَ الخوارجَ هناك. ومعنى برش، بلغة حضرموت: استأصل.

وقال أبو محمدٍ، الطيبُ بامخرمة، في كتاب «النسبة» [ص ٢٤٨]: «والخريبة أيضاً: مدينةٌ بوادي دوعان الأيمن. ولما استولى الفقيه الصالح، الورع الزاهد، العالم العامل، عفيف الدين، عبد الله بن محمد بن عثمان بن محمد بن عثمان العمودي النوَّحي، على وادي دوعن، سكن رأسَ الخريبة، وأقام لهم الشريعةَ، وأحيى السنة، وأطفأ البدعة. ولكن لم يوافقْ ذلك هواهم، فحاربوه وأخرجوه، وانتقل إلى ذمار، وتوفي بها في سنة ٨٤٠. كذا وُجِد بخط بعض الفضلاء»، اهـ.

قلتُ: إنه أخذ الخريبة ودوعن جميعَه سنة ٨٣٦، وأجرى العدل، وأخذ منهم الزكاةَ، ثم جمع له فارسُ بن سليمان وأحلافُه جيشاً، فهاجموه في سنة ٨٣٨. وبعد أن انكسَر أنصارُه وتفرقوا، حصره الجيشُ المهاجم في دار، وكان قد بقي مع جماعة من تلاميذه فيها. ومنهم: الشيخُ العالم الصالح بابقي. قال: «فكان الأعداء يحفُرون علينا جانبَ البيت، وكنا في خوفٍ شديد. وكان الشيخ عبد الله بن محمد غيرَ منزعجٍ، ولا خائفٍ، ثم خرَجُوا بأمانٍ، وأحسب أنهم أحرقوا كتبه».

وتداول الخريبة بعد ذلك ولاةٌ متعددون، من جملتهم: آل با يحيى بدعج، فهاجم الخريبَة بلْحُمار، والي صيف، في سنة ٨٩٠، وقتل آل بايحيى بدعج، هكذا قال في «تاريخ شنبل» [ص ٢٠٣]، ويدل اسم بلحُمار هذا: على أنه من تجيب، كما سيأتي شرح ذلك عند ذكر صيف. وفي سنة ٩٠١: أخذ آل فارس الخريبة، وأعطوها بني علي بن فارس. ثم جرت حوادثُ بعد ذلك، تأتي في الحروبِ الواقعة بين العمودي والكثيري.

[أعلامها]

وظهر في بلد الخريبة فقهاء انقطعت أخبارهم، واندرست آثارهم لفقد من يعتني بتراجمهم وبها ظهر الشيخ العالم الصوفي المعتقد علي بن عبد الله باراس، الظفَري، السيباني. تلميذ العارف بالله الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس، العلوي الحسيني. ولذريته بالخريبة مقامٌ، ولهم وجاهةٌ عندَ قبائل نوَّح.

وأما أهل القرن الماضي من متأخريهم: فقد ذكر جدي بعضَهم في «معجمه»، وكذلك الشيخ محمد بن أحمد بن عبد الله باشُمَيل في «ترجمة حياته». فذكر جدّي: أنه أخذ عن الشيخ العلامة المعمَّر، أحمد بن سعيد باحنشل، وولده الفقيه الواعظ محمد بن أحمد، وعن الشيخ العلامة عمر باجسير، قرأ عليه في «تيسير الأصول»، وحصة في «البخاري»، وحصة في «مسلم»/ . [١٤٠/]

[الشيخ عبد الله باسودان]

وأما أشهر مشاهيرها، وشمس بهجتها ونورها، والزاهي عصره بها على سائر عصورها، فهو الشيخ الإمام، علم الإسلام، خاتمة العلماء المحققين، وسلمانُ أهل البيت الطاهرين، الشيخ عبد الله بن أحمد بن عبد الله باسَودان، الكندي الدوعني، ثم الخريبي بلداً، الشافعي مذهباً، والعلوي طريقةً ومشرباً. كان من أهل العلم والعمل، والتعلم والدعوة إلى الله، والعبادة والزهد، والشهرة بذلكَ، معظّماً، محترماً، معتقداً، مقصوداً من سائر النواحي لأخذ العلم عنه. وأقبل الله بقلوبِ أهل بلده على محبته، ومساعدة طلبة العلم الوافدين إلى الخريبة لطلب العلم. فكانوا يواسُونهم، ويقومون بنفقاتهم، ولهم في ذلك آثار محمودة، وأخبار زكية الأرَج، رفيعةُ الدرج.

فكانت بلدُ الخريبة في زمنه مثابةَ طلاب العلم من النواحي، وكعبة المستفيدين

والسائلين، وكانت غرف المسجدِ الجامع، ومدرسة الشيخ عبد الله باسودان، مملوءةً بالطلبة، لا تخلو عن تدريسٍ ومطالعةٍ، ومباحثة واستفادة وإفادة. وأكثر من أدركناهم من أهل العلم والفضل، أخذوا عنه وعن ولده، العلامة الفقيه، محمد بن أحمد[1]. ولو اعتنَى أحدٌ من أهل عصرِه بجمع تراجمهم، لاقتضى ذلك مجلداً.

ترجمه الحبيب الإمام، ركن الإسلام، الفقيه المسند الصوفي، العارف بالله، السيد الشريف، شيخنا وشيخ مشايخنا، عيدروس بن عمر بن عيدروس الحبشي، العلوي الحسيني، في «عقد اليواقيت الجوهرية» [١/ ٧٣٢-٧٥٨].

وقد بسط الشيخُ عبد الله أخذَه، وذكر مشايخَه، في «حدائق الأرواح»، وفي «فيض الأسرار» في مناقب شيخه الإمام العارف عمر بن عبد الرحمن بن عمر بن عبد الرحمن البار، العلوي الحسيني، وهو في مجلدين.

وقرأ عليه جدّي في الفقه: «فتح الوهّاب»، ونصف «المنهاج». وكان رفيقاه في الطلب والمطالعة: الحبيب زين بن شيخ بن زين بن عبد الله بن زين بن علوي الحبشي، نزيل ثبي، كان عالماً فاضلاً مجتهداً في التحصيل، وكان يذهب كلّ ليلة إلى ما حول بلده ثبي من البَوادي يعلمهم، ثم يعود إلى غرفته، فيعكف على المطالعة إلى الفجر، وتوفي قبل أن ينتشر علمُه، حتى كان الإمام الفقيه، الصوفي المسند، المحدث الحبيب، السيد الشريف، عبد الله بن الحسين بلفقيه، العلوي الحسيني، يقول: لو كان كُتِب للناس خيرٌ؛ لعاش زين بن شيخ. لما تفرّس فيه من النجابة.

وثاني رفيقَي سيدي الجدّ: هو الحبيب الصالح صافي السريرة، عيدروس بن أحمد بن شهاب الدين، السيد الشريف العلوي الحسيني.

---

(١) خطأ طباعي أو سبق قلم. صوابه: محمد بن عبد الله بن أحمد. (مصحح).

كان هؤلاء الثلاثة يجتمعون على المطالعة والدرس بالخريبة وتريم عند أشياخهم، رحمهم الله جميعاً، وقدس أرواحهم. والحبيب عيدروس؛ هو والد السيد الشريف الفاضل، عبد الرحمن بن عيدروس، الموجود الآن بفكَلوغن، توفي الحبيب عيدروس بتريم سنة ١٢٩٠.

ومما قرأه سيدي الجد على الشيخ عبد الله باسودان: «فتح الجواد شرح الإرشاد»، و«الأربعين الأصل» للغزالي، وحصة وافرة من «صحيحي البخاري ومسلم»، وسمع بقراءة غيره كتباً جمةً.

ولما كبر إخوانه: عمر، وزين، وجعفر، أخذهم معه إلى الخريبة للتعلّم. كما أن سيدي العم حسن بن عبد الله رحلَ إليها في زمَن الشيخ محمد، أو زمن الشيخ أبي بكر. ومما قرأه سيدي الجد على الشيخ العلامة محمد بن الشيخ عبد الله باسودان: «فتح الجواد»، و«لب اللباب مختصر فتح الوهاب» لأبي فضل، وقرأ عليه جملةً من كتب النحو.

وكان الحبيب الإمام الجامع، والذي ملأت أنواره العيونَ وأوصافه المسامع، العارف العابد، الداعي القدوة، السيد الشريف، عبد الله بن الحسين بن طاهر، قال بيتاً يوصي به الجدَّ، وأشار على الشيخ عبد الله باسودان أن يكلمها قصيدةً، ففعل ذلك، ومطلعها:

يا بن طَه إن شئتَ أن لا تُضَاهى ... فانتهِض راقياً إلى علياها
واتخِذْ درْسَك العلومَ غذاءً ... ودواءً للنفْسِ من أدْواهَا

إلى آخرها. وأخبار الشيخ عبد الله باسودان، وما وقع له، لا يتسع لها هذا المحل، فرحمه الله رحمةً واسعةً، فلقد أحيى الله به مواتَ العلمِ، ونفع به الناسَ، ولا سيما السادة العلويين. توفي سحرَ سابع جمادى الأولى، سنة ١٢٦٦. وتوفي

ولده الشيخُ محمد في شهر شوال، سنة ١٢٨١. وله ولولده الشيخ محمد مؤلفاتٌ ورسائل وفتاوى، لم يطبع شيء منهَا/ . نتصِلُ به من طريق شيخنا الحبيب طاهر بن [١٤١/] عمر الحداد، الآنف الذكر، وغيره ممن أدركناه وأخذنا عنه. ثم ابنه الشيخ العلامة محمد، وابنه الشيخ الفقيه أبو بكر.

[الحبيب حسين الأصقع بن أحمد البار]

وممن أدركناه بها، من أهل العلم بها: السيدُ الشريف الفقيه، حسين بن أحمد الأصقع البار، العلوي الحسيني. كان فقيهاً حسَن التدريس، باذلا نفسه للمترددين إليه من طلبة العلم الغرباء. توفي سنة ١٣٤٧.

[الحبيب عمر بن أحمد الجيلاني]

ومن أهل الصلاح والعبادة، والاستغراق في الله، والذهول عما سواه: الحبيب الصالح، العابد الزاهد العالم، عمر بن عبد الله[١] الجيلاني. كان من تلاميذ الشيخ عبد الله باسودان، وابنه الشيخ محمد، وكان رفيقَ شيخنا الحبيب طاهر بن عمر الحداد في الطلب. ولم يزل من صغره مقبلاً بكليته على العبادة والذكر، حتى ذهل عما سواهما. ومع ذلك فلم يزلْ طلبة العلم الغرباء يتردّدون إليه لأخذِ العلم عنه، فكان يقرر لهم تقريراً حسناً، وهو حاضرُ الذهن في التدريس، وما يعتاده من وظائف العبادة والجماعات، والدروس في أوقاتها، لا يخل بشيء منها، ولكنه غائبٌ عما سوى ذلك. حتى إنه يسأل الطلبةَ الذين يترددون إليه للدرس كلَّ يومٍ: من هم؟ ومن أين جاءوا؟ فيخبروه، فإذا جاءوا في اليوم الثاني سألهم. وله في هذا وقائع غريبة. وضعَ مرةً يده على قلبي، إبّان الصغر، يدعو لي، فأحسستُ لها برداً دخل قلبي، وانتشر في سائر بدني.

---

(١) لعله سبق قلم، وصوابه: عمر بن أحمد. (مصحح).

[السادة آل علوي البار؛ بالخريبة]

ومن بيوت الخير والصلاح فيها: بيتُ السادة آل علوي بن عمر بن عبد الرحمن البار.

منهم: أخونا السيد الشريف، والعلم المنيف، حامد بن علوي بن عبد الله البار، العلوي الحسيني. كان معدومَ النظير في بلد الخريبة، بل في الوادي كله، في الاهتمام بنشر العلم، والدعوة إلى الله، ونفع الناس، والإقبال بالكلية على الخير وأعماله، وعقد الدروس للتعلم والتعليم، وتكثير سوادها، وجمع إخوانه وأبنائه والمتعلقين به عليها، ورتّبَ الشيخ الفقيه المستقيم، محمد بن محمد بن أحمد بن سعيد باحنشل، مدرساً، فكان يجتمع للدرس جمعٌ لا بأس به. ثم بنى رباطاً قريباً من داره، وجعل فيه مدرساً بعد وفاة الشيخ محمد. ثم قام بالتدريس فيه ابنه النجيب مصطفى بن حامد. وأخباره كلها جميلةٌ مستحسنةٌ، ولولا أنه لا تستحسَنُ الإطالة في ترجمة الحيّ، لبسطتُ القول في ذلك.

أما الشيخ محمد بن محمد؛ فقد طلب العلم بمصر، على الشيخ محمد الإنبابي وغيره، ولم يزل طولَ عمره متجرداً لنشر العلم، مكثَ مدةً بالمكلا، ثم بقية عمره ببلاده الخريبة، رحمه الله تعالى.

وجدّهم السيد الشريف، علوي بن [عمر بن][1] عبد الرحمن، كان سيداً صالحاً، ذا كرمٍ ومروةٍ وحشمةٍ وجاهٍ، توفي بالخريبة، ونقل إلى القرين، فدفن بقبة والده. ووالدهم السيد الشريف، علوي؛ كان ذا عزلةٍ وصلاح وورعٍ، وله أورادٌ ونسك، وتعفف ومروة، توفي بالخريبة. ومن فضلائهم: أحمد بن عبد الله بن محمد

(١) ما بين القوسين زيادة ضرورية، لا يستقيم السياق بدونها. (مصحح).

الأكبر بن علوي بن الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار، يلقب بالساكت. كان من أهل الفضل والنسك.

ومن السادة آل البار: السيد الشريف، محمد بن سالم بن عيدروس بن عبد الرحمن ابن عمر بن عبد الرحمن البـار، كان فقيـهاً محدثاً نبيـهاً، ذا فهم ثاقبٍ، وحـافظة قوية، يأخذ نفسَه بالأخذ بالحديث، أخذ عن علماء اليـمن وغيـرهم، تـوفي بالخريـبة سنة ١٢٨١.

ومن فضلائهم: السيد الشريف، علي بن الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار، ترجم له في «فيض الأسرار»، توفي بالخريبة سنة ١٢٠٠. والسيد الشريف، أحمد بن عبد الرحمن، أخي الحبيب عمر البار، ترجم له في «فيض الأسرار».

[السيد علي بن محمد باهارون]

ومن أهل الخريبة: السيد الشريف الصوفي، علي بن محمد بن عبد الله المكّي ابن عقيل بن أبي بكر بن علي بن هرون بن حسن بن علي بن محمد جمل الليل باهارون جمل الليل، العلوي الحسيني. ذكره الحبيب محمد بن زين بن سميط في «بهجة الفؤاد» [«بهجة»: ص ١٥٠]، ولم يرفع نسبه. أخذ عنه الحبيبُ عمر البار، وكان من أهل المجاهدات والخلوات، بلغَنا أنه أخذ في ذلك نحو اثني عشر سنةً، وأخذ عن الشيخ العارف علي بن عبد الله باراس، صاحب الخريبة. كان من المشهورين بذكر الله.

قال: «وأخبرني [المخبر هو الحبيب عمر البار]، أنه صنفَ كتاباً في الحقائق، ولما عُرِض على سيدي عبد الله الحداد، قال: ادفنوه معه في قبره، بعدَ النظر فيه. شفقةً على أن يعثر عليه من ليسَ من أهله، فيعثر، ومن عثَر في ذا تكسَّر». اهـ.

[/١٤٢] وقد/ رأيتُ في مكاتبةٍ من الحبيب عبد الله لتلميذه الشيخ محمد بن ياسين باقيس، قال فيها [٣٦١/٢]: «وعظّم الله الأجر، وأحسن العزاء، للجميع، في السيد البقية، الصفي المستهتر بذكر الله، علي بن محمد باهارون»، اهـ. ولم يعقب هذا السيد من جهة الذكور، والعقِبُ لوالده من أخيه هارون. وأما عمّه أحمد فعقبُه بجزائر القمُر، ولم نعلم تاريخ وفاته. وأما والده فقد توفي بالخريبة سنةَ ١٠٨١.

[السادة آل الجفري بالخريبة]

ومن أهلها: السيد الفاضل، العالم الصدر الكامل، أحمد بن عبد الله، المتوفّى بالخريبة سنة ١٠١٥، بن أحمد، المعروف بالحجْري، بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن علوي الخوّاص الجفري. ترجمه في «بهجة الفؤاد» [ص٣٠٦]. وكان الحبيب عبد الله بن علوي الحداد ينزل عنده في زيارته لدوعن، وكان ذا فضائل عديدة، وسيرة سديدة، وأفعال حميدة، ذا كفاءة وصدارة وتدبير. ولما جاءت جنودُ الإمام المتوكل على الله، إسماعيل بن القاسم بن محمد، المتوفّى سنة ١٠٨٧، بقيادة أحمد ابن الحسَن بن الإمام القاسم بن محمد، وقد صار إماماً في سنة ١٠٨٧، بعد وفاة الإمام المتوكل على الله، ولقِّب بالإمام المهدي لدين الله، وتوفي سنة ١٠٩٢؛ قام السيد أحمد الجفري المترجم قياماً حسناً في تسديد أمور كثيرة، وتوسط بين ولاة الأمور، ووثق به الطرفان. وله ذكرٌ في «سيرة الإمام المتوكل على الله» [«تحفة الأسماع»: ٧٧٢/٢]، وقد سفر في إصلاح الأحوال، وكان انفصال الجنود من اليمن في سنة ١٠٦٩، ووصلت حضرموت سنة ١٠٧٠. وللحبيب عبد الله الحداد إليه مكاتباتٌ تتعلق بذلك [١٠٣/١، ٢٠٦، ٢٧٤، ٢٧٤].

توفي بالخريبة سنة ١٠٧٣، وقد ذكر في «الشجرة»: أن له بقية ذريةٍ بمكة.

ومنهم: السيد الشريف، أبو بكر بن أحمد بن علي بن عبد الله بن أحمد الحجري الجفري، كان من أهل الفضل والنسك والعبادة، أخذ عن القطب الحبيب عبد الله الحداد، ترجمه في «بهجة الفؤاد» [ص١٥٨]، توفي سنة ١١٥٦ . ومنهم: السيد الشريف، عبد الله بن الحسين بن محمد بن عبد الله بن أحمد الحجري الجفري، وكان من أهل العلم.

وممن ولد بها وتوفي بالمدينة: السيد الشريف، عمر بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن عبد الله بن أحمد الحجري الجفري، توفي سنة ١٢٨٩. ذكره في «عقد اليواقيت الجوهرية» [٧٢٩/١]، وفي «فهرست الفهارس»، للحافظ المحدث المسند، السيد الشريف، عبد الحي الكتاني الإدريسي الفاسي [٣٩٠/١]، وفي «معجم الشيوخ» [ص ١٥٣] للحافظ عبد الحفيظ الفهري الفاسي. وهو ممن أخذَ عنه شيخنا واستجازه، وكان من أهل العلم والصلاح، أخذ عن الحبيب شيخ الجفري، صاحب مليبار، وله سندٌ عالٍ، وترجمه في «الشجرة» [«الفرائد»: ٦٦٨/٢]، فبالغ في الثناء عليه جدًّا.

[الحبيب حمزة بن حسين العطاس]

ومنهم: السيد الشريف حمزة بن حسين بن عمر بن عبد الرحمن العطاس، كان فاضلاً عالما ناسكاً جليلاً، أخذ عن والده، والشيخ علي باراس، والحبيب أحمد ابن زين الحبشي، ذكره في «فيض الأسرار»، توفي بالخريبة سنة ١٢١١ . وحفيده الثالث: أحمد بن محمد بن حسن بن عبد الله بن حمزة المذكور، كان فاضلاً معتقَداً، له أحوال مشهورة، وله زاوية ببتاوي مشهورة، توفي بعَمْد، ودفن بقبة الحبيب صالح ابن عبد الله العطاس.

أما سكانها: فمن السادات الأشراف آل البار، وآل باصادق، وآل العيدروس، وآل باهرون جمل الليل، وآل الجفري، وآل العطاس: آل محسن، وآل حمزة. وآل الصافي. **وفيها من المشايخ**: آل باراس، وآل باسودان. **ومن السكان**: آل باقادر، وآل باديك، وآل باصمد، وآل باخَيْضر، وآل باعبيد، وآل بابقي، وآل بادويلان، وآل باسالم، وآل بامسعود، وآل عبد الباسط باجنيد، وآل باعيسى، وآل بدعج، وآل باحويرث، وآل بَحْوَل، والباخريبة، والباعظَيْم، وغيرهم.

* * *

ثم بالجانب القبلي، شماليَّ الخريبة: ذي بحُور، فيه: آل العمودي، وآل بَصْعر.

ويليه: حصن باعباد. وحصن الشّعَيْب.

[الرشيد]

ثم بلد الرشيد؛ وإمارتها للخامعَة من سَيبان، لبيت باصُرّة منهم. وهو نائب القعيطي على دوعن، وكانت بينه وبين بعض قبائل الوادي من القُثَم، والمشايخ آل باجعيفر، حروبٌ ووقائع، أرهقوه فيها، واستولى القثم على حصن يسمى بَلْحُلوق، يشرف على الرشيد، وهو حصينٌ، به بئر، فآذوه بذلك.

ثم لما جاء القعيطي للاستيلاء على دوعن، تقدم إليه ورشحَ نفسه للنيابة، وقام في حروب القعيطي مع أمراء الوادي من المشايخ آل العمودي بالتدبير والرأي والمكيدة، ثم وثق به القعيطي، وأرجع الأمر كله إليه،/ فدبره بحزم ومصابرة، وتم له [/١٤٣] قهر خصومه وإجلائهم، والقضاء على بعضهم قضاءً تاماً. وكان أول اتصاله بالقعيطي سنة ١٣١٦، أول ما عزم على الاستيلاء على دوعن، ولا تزال النيابةُ في الإمارة في هذا

البيتِ إلى وقت تأليف هذا التاريخ، في سنة ١٣٦٠. والمتصدر في ذلك، هو المقدَّم عمر بن أحمد (بَحْمَد) بن سعيد باصرّة. و«سَعَيد» بفتحتين فسكون، و«صُرَّة» بضم ففتح الراء المشددة. صار مقدماً على قبيلته بعد جدّه سعيد.

[آل باصُرّه، ووقعة شَعْفور]

ولهم مع خصومهم حكايات ليس هذا محلها. ومن أشهرها: وقْعَة شعفور؛ وهي وقعةٌ خدع فيها الخامعة، وغشّهم رجلٌ من آل برَّبيعة، على أن يقرب لهم خصومهم من القُثَم إلى صَيْقَة شعفور، فوقَ الخريبة، وكان الغادر قد واطأ القُثَم على أن يأتيهم بالخامعة، وأخذ جُعلاً من الفريقين.

وكان القُثَم قد سبقُوا إلى الأماكن العالية، وثار الحرب بين الفريقين، وأظهر الخامعة من ضروب الصّبر والشجاعة مالا يزال حديثَ الناس، ولكن تمكن منهم العدو بعلو أمكنته عليهم، فقُتِلوا جميعاً، وكانوا من مشاهيرهم. تحدّث المقدم عمر ابن أحمد باصرة بحديثٍ عجيبٍ، فيه عبرةٌ، نسوقه لأجلِها.

قال: إن رجلا مسكيناً من بعض القرى السفلى في وادي دوعن، أراد أن يزوج بنته، ويولم على زواجِهما، فتعب على جمع مبلغٍ من الدراهم قليلٍ، وأصْعَد إلى سوق الخريبة، فاشترى بعض حاجاتٍ لبنته، ورأساً من الغنم، وانحدر به في الوادي يريد قريتَه، فرآه أهل حصْن بلحُلوق، وهم من الخامعة حينئذٍ، فخرجوا إليه ونهبوا ما معه، فنزل بذلك المسكين أمرٌ عظيم: كيف يرجعُ إلى بلده؟ وكيف يزوِّج بنته، ولم يبقَ بيده شيء؟ فقصَد في الحال إلى القُوَيرة، إلى الحبيب أحمد بن محمد المحضار، وشكى إليه حاله، فلما رأى ما نزل به، وما هو فيه من الكَرْب، خرج به معه مصعداً إلى الرشيدِ راجلاً، في حرٍّ شديدٍ، وقتَ الظهيرة.

قال المقدَّم: سمعتُ صوت الحبيب ينادي تحت المصنعة بالرشيد، فخرجتُ مسرعاً، واستقبلته، وألححتُ عليه في الطلوعِ وأخذ راحةٍ، فأبَى، وطلب مني أن أخبرجدِّي المقدم سَعَيد بوصُوله، وألحَّ في ذلك، فنبهتُ جدّي من قيلولته، فجاء إليه. فشرح له ما وقعَ، وكان ذلك المسكينُ معه، فخرج معه جدّي وأنا معهما، وأخذ ينادي بأهل الحصن، وهو يسبهم على ما فعلوا. فأجابوه: بأنهم قد ذبحُوا الرأسَ الغنم، والأشياء الأخرى باقية. وجاءوا بها. فأرجعَها إلى صاحبِها، وعوَّضَه عن الرأس بقيمتِه. فقال الحبيب أحمد: يا سَعَيد؛ أنه يوشك أن يسلبكُم هذا الحصنَ عدوٌّ لكم، ثم يأتي حادث آخر من البندَر، ويهدم هذا الحصن، بعد أن تنصروا على عدوّكم، أو كما قال.

قال المقدّم: فلم تطل المدة، حتى أخذه القُثَم، فكان ذلك شديدَ الوقع على جدّي. حتى قال لي: يا عمر؛ إني لا أبقَى كثيراً بعد هذا الحادث، فقد وقع ما قالَه الحبيب، ولا أحسب أني أدرِك آخر الأمر. ثم جاء القعيطي من البندر، ومِلْنا إلى جانبه، وجرى في الحصن وشأنه كلّ ما قاله»، اهـ.

قلتُ: وهذا من الإلهامِ الذي يلقيه الله في قلوبِ أهل الإيمان والنور.

ومن دَهاء المقدم عمر بَحْمد: ما فعله عند إغارة البوادي، الذين جلبهم آل العمودي، وكانوا أغاروا على الرباط والخريبة ورِحَاب، وقبضوا في كل بلدٍ جانباً منها، وأخذوا يحاربون عسكر القعَيطي ليخرجوهم منها، واشتد الأمر، وأشرفوا على النصر، وكان المقدَّم في بلد الرشيد، فأمر بالتنوير، فأشعل أهلُ بلده النيران والمشاعلَ، يبشرون بانتصار العسكر. فكانت هذه المكيدة سببَ النصر، لظن من في أعلَى الوادي من العدوّ: أن أصحابهم الذين بأسْفلِ الوادي قد انكسَرُوا، وظن من بأسْفَله أن أصحابهم بأعلاه قد انكسَرُوا، فكان ذلك سبباً في قوة عزائم العسكر على

المطَاولة، ووهن الأعداء والإرجاف بهم، حتى انهزموا. وقد كانت الحملاتُ التي وجّهها آل العمودي على دوعن لاسترداده: ثلاثاً، فما نُصِروا في شيء منها، وبقي الوادي بيد السلطان القعيطي إلى اليوم.

[ولاية بن دغار الكندي]

وقد كان في الرشيد: بن دغّار الكندي، وكان والياً في دوعن، ولعله كانت بيده بلادٌ أخرى، ثم أخرجه آل دوعَن وتغلبوا، واستعانوا بسلطان تريم، فأعانه بجيش، وسار معه، فلم يظفروا بشيء. هكذا ذكره مجملاً السيدُ الشريف أحمد بن/ عبد الله شَنبل، في حوادث سنة ٧٦٢ قال [ص ١٣٠]: «وفيها وصل ابن [/١٤٤] الدغّار مستصرخاً بابن يماني بن مسعود، على أهل دَوعن، فسار بالعَسكر، فلم يظفروا فيها».

[فقهاء الرشيد]

ويحتمل أنه كان في بلد الرشيد فقهاءُ لم تدوّن أخبارُهم، فإن دوعن كان يسمَّى وادي الفقهاء، وقد ذكر الشيخ محمد بن ياسين باقيس في «نبذته» المشار إليها، عدداً من فقهاء آل العمودي، الذين أخذوا عن الحبيب عبد الله الحداد، فكيف بمن سبقَ منهم، أو من غيرهم، كبيوت الفقهاء المشهورين بالفقه، وإن اندرسَتْ أخبار أفرادهم! مثل: آل باجنيد، وآل باشيخ، وآل باحويرث، وغيرهم.

[الفقيه أحمد بازَرْعه، و«تاريخه»]

وممن بلغنا خبره من أهل الرشيد: الشيخ الفقيه العلامة أحمد بن عبد الله بازرعة أحسبه من أهل القرن العاشر له مختصر فتاوي الشيخ ابن حجر، سماه «سمط الدرر»، وله غيره. وله: «التاريخ» الذي بلغنا خبرَه ولم نرَه. أخبرني شيخُنا: أنه يوجد

عند بعض المشايخ آل العمودي من آل باداهية، سكان بلد قيدون، وقد التمستُ إعارته من صاحبه الذي سمّاه، وكانت بيننا معرفةٌ ومجالسة، فرأيته امتعضَ حين ذكرتُه له، وأنكَر وجوده بصورةٍ من لم يعجِبْه علمي بذلك. ثم لما عدتُ إلى شيخنا بحريضة؛ أخبرته بجوابِه، فسكتَ. ثم قال: بلى؛ إنه عنده. إنا قد جئنا إلى بيته، وأبوه لا يزال حيًّا، أنا والأخ حامد بن الحبيب أحمد المحضار، وأحضَروا التاريخ المذكور، وقُرئَ لنا منه حصّة. ومرّت سنين بعد ذلك؛ فلما كنتُ ببلاد جاوه، أخبرني الشيخُ الفاضل محمد باياسين العمودي: أن فلاناً، من صغار بيت ذلك الرجل، قال: إن عندنا «تاريخ بازرعة»، وإن الحبيب علوي بن طاهر أرادَ أن يستعيره من جدّي فلان، ولكنا حوّلناه من دارِه إلى دار جدّي فلان!. فكان ذلك تصديقاً لما أخبرني به شيخُنا!.

وكنا نسمع ذوي الأسنان من آل العمودي، يذكرون أخباراً عن أبي دجَانة وبلْحُمار، وهم يقولون[1]: بلحُمَير، وباعَشْرة، قبائل كانت تناوئهم. ولا مصدرَ لها إلا هذا التاريخُ وشبهه، لقدم العهدِ، وغلبة الأمية، ولولا خوفُ التحريف والزيادة والنقص، لأثبتنا بعضَ ذلك، وكأن ذلكَ «التاريخ» فيه بسطٌ وتفصيلٌ عن حوادث وادي دوعن، والله ولي العلم. وبِها، عدا آل باصرَّة وأبناءِ عمهم: السادة الأشراف آل الحبشي، وآل العطاس. والمشايخ آل بازرعة. وآل باغَفَّار، بتشديد الفاء، والباعَوم، وباعفيف، وآل باجبير، وغيرهم.

[السادة آل الحبشي بالرشيد]

والسادة آل الحبشي أهل الرشيد؛ يرجع نسبهم إلى محمد بن علوي بن أبي بكر الحبشي، الجد الجامع للسادات آل الحبشي. وكان جدُّهم: عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد المذكور، فاضلاً فقيهاً، علامةً صالحاً ناسكاً، توفي

---

(١) في الأصل: (يقول) وهو خطأ طباعي والصواب: ما تم إثباته. (مصحح).

بالرشيد سنة ١٠٤٨، وضريحه بها مشهور. وابنه: عبد الله بن عبد الرحمن؛ كان عالماً عاملاً، فقيهاً ذكياً، توفي بتريم سنةَ ١٠٩٣.

ومن فضلائهم: شيخ بن عبد الرحمن بن شيخ بن عبد الرحمن بن عبد الله؛ كان عالماً عاملاً، من كبار الدعاة إلى الله، وأوليائه الأخيار. أخذ عن الحبيب عمر البار، ذكَره في «فيض الأسرار»، وفي «بهجة الفؤاد» [ص١٤٨]، توفي بالرّشيد سنة ١١٧٢.

وممن أدركناه منهم: السيد الشريف، سالم بن محمد بن عبد الرحمن بن شيخ، المترجَم قبله. ترجمهُ الحبيب فقيه البلاد الحضرمية، الصوفي العالم العامل، السيد الشريف، عبد الرحمن بن محمد المشهور، العلوي الحسيني في «الشجرة»، فقال [«الفرائد»: ٣/ ٧٠٢]: «كان إماماً فاضلاً، وعالماً عاملاً ناسكاً، ذكياً نبيهاً، حريصاً على اكتساب الفضائل والفواضل، شغل نفسه بالتعليم والإفتاء والتدريس، آمراً بالمعروفِ ناهياً عن المنكر، ذابًّا عن الشريعة المطهرة بلسانه وقلمه، ذا أخلاق رضيةٍ، وشمائل مرضيةٍ، زاهداً قانعاً منقشفاً، ذا حسن ظنٍّ وافرٍ، ورأي حاضرٍ. ولد بالرشيد سنة ١٢٥١، وتوفي في ٢١ ربيع الأول سنة ١٣٢٩، ببلد الرشيد»، اهـ بزيادة بيانٍ.

ومنهم: العالم العامل، الزاهد القانع، المتقشف الشهيد، السيد الشريف، عمر ابن حسين بن عبد الرحمن بن شيخ. كان آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، مطاعاً عند أهل بلده، معتقداً. كان مبالغاً في التقشف، يقتصر على أكل الخبز بلا إدامٍ، وقد يأدمُه بالمخيضِ من اللبن الحامض الذي قد نُزِعَ زبدُه. وقد دعَا أهل بلده إلى ترك العوائدِ التي كلفَتْ أهل دوعن وحملتهم الأثقال، وشتت بهم فيما وراء البحار، فأجابوه إلى ذلك. وكان للمقدّم عمر بن أحمد باصرة فيه اعتقادٌ حسَنٌ، وله عنده وجاهة.

[/١٤٥] ثم كان من قدر الله: أن/ دخلَ عليه شابٌ من آل باصرة، وهو قاعد أو ساجدٌ في مسجده، فطعنه في عنقه، فمكث يومين ثم ماتَ شهيداً، فقيداً محزوناً عليه. ومع ذلك فلم يبلغنا أن صوتاً ارتفع من أهل دوعن بالإنكارِ والتشنيعِ لفقد أهل الدينِ والصدق، القوالين بالحق، وغلبة الدهان والنفاق على الناس، إلا أنه بلغَنا أن المقدّم نفسَه جزع لهذا العمل، وحزن حزناً شديداً، وعَظُم عليه الأمر، وكان قد عميَ، وطلب القصاصَ من القاتل، وعارضه في ذلك بعضُ أهل بيته، فلم ينفذ له أمرٌ، وسيقفُ الخصمان بين يدي الملك العدل، فيقضي بينهم بحكمِه، وهو العزيز الحكيم.

وبالرشيد: العارفُ بالله، الشيخ يوسُف بَحْر النُّور، لعله من أهل القرن الثامن.

[عُوْرَة]

ثم يأتي بالجانب الشرقي: عُورَهْ، بضم فسكون ففتح. وبأعلاها، على صخورٍ بأعلى قارةٍ فوقها: مصْنَعة عُورة، وهي ملك آل باصرة. وكانت قبلُ بيدِ المشايخ آل باجيعفر، ثم صارت للقُثَم، ثم بعد استيلاء القعيطي على الوادي: بلغَنا أنه وهبَها لولد باصرة، قدمه إليه. وقال: إنا سميناه عوض بن عمر باسمك يا سلطان، ومرادنا له هدية منك. فقيل: إنه أهدى له هذه المصنَعة، شاع هذا الحديث وسمعناه في حينه، والله أعلم بالواقع. وقد بنى فيها المقدَّم عمر بَحْمَد، وزاد وقوّى، وصارت دار الملك، فالناسُ يختلفون إليها بين شاكٍ ومشكوٌ منه، ومسترفِدٍ، واشتهرَتْ بعد الخمول، وسبحان من يصرف الليل والنهار.

وفي عورة: آل باشنفر، ومعهم غيرهم. وفي المصْنعة: آل المقدَّم.

وجنوبيَّها: قَبر مولَى الدلق، مشهور بالصلاح.

[القُرَيْن]

ثم القرين؛ بضم ففتح فسكون. بالجانب الشرقي، ولها: شعب غُوالة، به غيلٌ. ولها ذكر في الحروب بين الكثيري والعمودي، وكانت في العهد الأخير بيدِ إحدى العشائر العمودية، وهم آل محمد باعمر. وصالحَ القعيطي بعد نزوله إلى دوعن، ثم انتقض الصلح، وقام الحرب، ورمى القعيطي مصنعتَه بالمدفع، حتى رعبوا، فأخلوها وجَلَوا. ثم جهز ابنُ واليها، المسمى الشيخ محمد، فيما أتذكر، ودخل البلد بمن معه من البادية، ومكثوا يومين أو أكثر، ثم غلبوا وانهزموا. وكان هذا قد أظهر شجاعةً وتقدّم أمامَ القوم المغيرَة في شوارع البلد بمُخَشّبٍ يضرب به سِدَدَ الديار ليفتحوها لهم.

والمخَشّب: كهيئة الفأس، إلا أنه أضخمُ منه، يستعمل لتشقيق الخشب العظام.

وبها من السكان؛ من السادة الأشراف: آل البار، وآل بافقيه، وآل الحبشي، وآل ابن شيخان. ومن غيرهم: آل باقتادة، وكانوا من ولاتها قديماً. وآل باحمدون، وآل باخريبة، وآل باعامر، وآل باكحيل، وآل باشنيني، وآل باهميم، وآل باحَجْري، وغيرهم.

[أعلام القرين]

وكان بها من أهل العلم والصلاح، من المتأخرين: الشيخ العارف الصالح، محمد ابن أحمد بامشموس، من تلاميذ الحبيب عمر العطاس، وتلميذه الشيخ علي باراس.

[السادة آل البار في القرين]

والسيد الشريف، الحبيب عمر بن عبد الرحمن بن عمر بن محمد البار، كان من أكمل العلماء العاملين، والأئمة المحققين، والأولياء المجتهدين. شهد له

بالوراثة النبوية مشايخُ عصره، وكان شديد الزهد، عظيم الورع، أمّاراً بالمعروف، نهّاءً عن المنكر، مهتماً بأمور المسلمين، ناشر الدعوة إلى الله، نفع الله به أهل وادي دوعن، وترك ذرية صالحةً، ظهر فيهم جماعة من العلماء العاملين، وأهل السخاء والجود والمعروف. ولد بالقرين سنة ١٠٩٩، وتوفي بالخريبة، ودفن بالقرين من وادي دوعن سنةَ ١١٥٨. وقبر بجانب قبر والده. ترجم له في «فيض الأسرار»، و«بهجة الفؤاد» [ص١٤٨]، وأفرده بالترجمة أخونا المرحوم، الفاضل العالم، السيد الشريف، محمد بن عبد الله بن محمد البار، في مجلدٍ.

ومنهم: والده السيد الشريف عبد الرحمن، كان فاضلاً، توفي بالقرين سنة ١١١٢.

ومنهم: السيد الشريف، طه بن عمر، كان إماماً ناسكاً، مهيباً عالماً، وهو مصنف كتاب «طب القلوب»، وكان جيد الخطّ حسَنه، حصّل كتباً كثيرةً بقلمه، له ترجمةٌ في «عقد اليواقيت»، في الجزء الأول (صفحة ١٢١، وما بعدها) [٣١٦/١، ٥٢٢]، وفيها ذكر مشايخه، وهم عددٌ، منهم: والده، والحبيب عمر الجلاجلي، وأخوه الحبيب عيدروس، والحبيب أحمد بن الحسن الحداد، والحبيب حامد بن عمر، والحبيب عمر بن سميط، وغيرهم من أهل حضرموت والحجاز واليمن، توفي بالقرين.

ومنهم: السيد الشريف، أبو بكر بن عمر بن عبد الرحمن. كان ذا فهمٍ ثاقبٍ، ورأيٍ صائبٍ، أماراً بالمعروفِ، نهاءً عن المنكر. توفي باللُّحَيّة باليمن، ودفن بقرب قبر الزّيلعي، ترجم له في «فيض الأسرار».

[/١٤٦] ومنهم: السيد الشريف، حسن بن عمر، كان من أهل الخير والصلاح،/ والفضل والنجدة والسماح، توفي بالطائف. ترجم له في «فيض الأسرار».

ومنهم: السيد الشريف، شيخ بن عمر، كان فاضلاً، ذا خلق بهيٍّ، وسمت

سَنيٌّ، توفي بالقرين سنة ١١٩٧. ترجم له في «فيض الأسرار». ومنهم: السيد الشريف، عبد الرحمن بن عمر. كان صالحاً. ترجم له في «فيض الأسرار». ومنهم: السيد الشريف، سالم بن عبد الرحمن. كان ذا صلاح ونسكٍ، وعبادة وسمت وخلقٍ.

ومنهم: السيد الشريف، عمر بن عبد الرحمن، المعروف بصاحب جَلاجِل. ولد ببلد القرين من الوادي الأيمن دوعن سنةَ ١١٦٠. كان من العلماء العاملين، والأولياء الكاملين، وانتفع به جم غفير، من أجلهم الشيخ عبد الله بن أحمد باسودان، الذي ملأ وادي دوعن وغيره علماً وعملاً ودعوةً إلى الله. أخذ عن مشايخَ كثيرين، ورحل لطلب العلم إلى حضرموت واليمن والحرمين، وجد واجتهد، ودأبَ في طلب الفضائلِ، حتى حَمِد سُراه، وأدرك من ذلك مناه. ولم يزل على المنهج المحمود، تنهل من مورده الوفود، حتى عزمَ إلى الحج، ومرض في طريقه، وتوفي بسَاحل البحر، بمكان يقال له جلاجِل، قريباً من جدة، سنة ١٢١١. وقد أطال في ترجمته تلميذُه الشيخ عبد الله ابن أحمد باسودان الكندي، في «فيض الأسرار»، وهو في مجلدين، شرح به أسانيد شيخِه، وترجمَ فأجاد وأطاب، وأورد من مناقبه العجب العجاب.

ومنهم: السيد الشريف، محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن عبد الرحمن، أخو المذكور قبله. كان جليلاً ذا سيرة مرضية، وأخلاق زكية، توفي بجدّة ١١٩٩. ترجمه في «فيض الأسرار». ومنهم: السيد الشريف، عيدروس بن عبد الرحمن، أخو المذكورَينِ قبله. كان عالماً عاملاً، ذا اجتهادٍ وجدٌ، كثير التردد إلى العلماء للأخذ عنهم، ترجمه في «فيض الأسرار»، وفي «عقد اليواقيت»، في الجزء الأول (صفحة ١٢٣) [١/٥٢٢، ومواضع أخرى]. ذكر من أشياخه: الحبيب عبد الله بن عبد الرحمن بلفقيه[1]، والحبيب جعفر بن أحمد الحبشي، والحبيب علي بن شيخ بن شهاب، والحبيب أحمد بن الحسن الحداد، والحبيب حامد بن عمر، وغيرهم. توفي سنة ١٢٢٥.

---

(١) الاسم مقلوب، وإنما هو: عبد الرحمن بن عبد الله. (مصحح).

وابنه: السيد الشريف، عبد الله بن عيدروس. كان عالماً متفنناً في العلوم، ناسكاً، أخذ عن والده وعمّه الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار الجلاجلي، الآنف الذكر، واستجاز من شيخ وادي الأحقاف، الحبيب عمر بن سقاف، ومن الحبيب عمر بن أحمد بن الحسن [ابن] القطب الحبيب عبد الله الحداد، ومن الحبيب عبد الرحمن بن حامد بن عمر حامد، والسيد علي بن عبد البَرّ الونائي الحسني. ترجمه الشيخ عبد الله باسودان في «حدائق الأرواح»، وترجمه الحبيب محمد بن عبد الله بن محمد البار في «مناقب جدِّه الحبيب عمر البار» الأكبر، توفي الحبيب عبد الله سنة ١٢٥٥.

وهو من أشياخ جدّي الحبيب عبد الله بن طه، ذكره في «كتابه» وقال: «إنه أخذَ عنه، وعن أخيه العالم العامل، السيد الشريف، سالم بن عبد الله[1]. وقرأ عليهما في جملةٍ من كتب الفقه والحديث. وقرأ على السيد سالم خاصّة الكتاب المسمى بـ«بلوغ المرام في أدلة الأحكام»، للإمام الحافظ الشيخ أحمد بن حجر العسقلاني. توفي بالخريبة، وهو مترجم في «مناقب الحبيب عمر البار».

ومنهم: ابنه السيد الشريف، أحمد بن عبد الله بن عيدروس، المذكور قبله، ذكرتُه في «الخلاصة الشافية بالأسانيد العالية»، عند ذكر مشايخ شيخِنا الحبيب أحمد بن الحسن العطاس، فقلتُ: «ومن مشايخه أيضاً: السيد المسند، المحدث الفقيه الصالح، أحمد بن عبد الله بن عيدروس البار. أخذ عن الشيخ عبد الله بن أحمد باسودان، وابنه الشيخ محمد. وبزبيد: عن السيد محمد بن عبد الرحمن بن سليمان الأهدل، والسيد طاهر الأنباري المتوفى سنة ١٢٥٨، والشيخ إبراهيم المزجاجي. وسمع على العلماء المصريين: الشيخ عثمان الدمياطي، والشيخ أحمد الدمياطي، والشيخ علي السروري، وكانت قرأته عليه. وسمع دروس الشيخ عبد الله سراج.

(١) لعله سبق قلم، والصواب: سالم بن عيدروس. (مصحح).

وقرأ «الأوائل العجلونية» على الشيخ المسند المحدث، عبد الرحمن بن محمد ابن عبد الرحمن الكزبري الدمشقي، وأسمعه الحديث المسلسل بالأولية، وشابكه وصافحه. وأخذ أيضاً: عن المحدث المسند، محمد بن علي العمراني، عن الشيخ أحمد بن محمد قاطن. وأخذ، أعني الحبيب أحمد البار، بعدَ رجوعه من الحرمين عن جماعة من السادة العلويين، كالحبيب أحمد بن عمر بن سميط، والحبيب حسن/ بن صالح البحر، والحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر، والحبيب عبد الله بن [١٤٧/١] عمر بن يحيى، وأخذ عنه بمكة أيضاً. وعن السيد عبد الله بن حسين بلفقيه، وأخذ عن العلامة المحدث مسند مكة، الشيخ عمر بن عبد الرسول العطار»، اهـ.

وأخذ عن غيرهم، كالشيخ عبد الله بن سعد بن سُمَير، والشيخ العلامة المعمر أحمد بن سعيد باحَنْشَل، والشيخ العلامة سعيد بن محمد باعِشن، وغيرهم.

ولد بالقرين سنة ١٢٣٢، وتوفي لتسع عشرة ليلة خلتْ من شهر محرم سنة ١٣١١، وقد أجازَ لأهل عصره بطلبٍ من شيخنا.

وأما علومُه وأعماله وفضائله، فقد ذكرها تلميذُه ابن أخيه السيد الشريف الحبيب حسين بن محمد بن عبد الله، ابن أخيه، في «ترجمته» له، وأبسط من ذلك في «مناقب الحبيب عمر البار»، فقد شنف مؤلفه السيد الشريف، محمد بن عبد الله، بفضائله المسامعَ. وأتى فيها بما يروق المطالع والسامع، وترجمه شقيقي في خاتمة «قرة النواظر» [١/ ٦٣٢-٦٣٨]، وفي هذه المراجع كفاية لمن أراد تأليف طبقاتٍ.

ولا محل للإطالة في التراجم، لأن كتابنا هذا تاريخاً شَامِلا، يجدُ فيه المطالع تراجمَ الذين أنعم الله عليهم من أهل الدين، والعلم والعمل والتقوى، وأخبار المحرومين من أهل الجهل والظلم، والقتل والإفساد في الأرض، ففيه ذكر أهل

الجنة وأهل النار، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورى: ٨].

وبالجملة؛ فقد كان من أهل العلم والعمل، والمثابرة على العبادة والتدريس، يجلس لذلك من البكرة إلى الظهر، في غرفَةِ مسجدهم المعمورَة بالتدريس، ويأتون إليه الطلبة من كل بلاد، وكان الحبيب أحمد المحضار يسوقُ أولادَه وأحفادَه إلى درسه، فكان يجيء منهم كلَّ يومٍ نحو خمسة عشر نفراً، وكان إقراؤه لكل طالبٍ في فنَّي الفقه والنحو. وقد يكثُر الطلبة، فيأمر ابن أخيه بالتدريس لبعضهم، ورتّب القراءة في «صحيح البخاري» كلَّ يومٍ، ثم خصّصه بيوم الجمعة.

وخلفَه في إقامة هذه المدارس، وإحياءِ معهدها فلا داثر ولا دارس، ابن أخيه المذكور، السيد الشريف، الفقيه العلامة، الحبيب حسين بن محمد بن عبد الله البار، كان فقيهاً نحوياً، ذكيًّا كريماً، ذا عقلٍ وافر، وفهمٍ حاضر، وشعر جيّد رصين، وتمييزٍ بين الأمور. طلب العلم بدَوعن واليمن، وتعاطى أسباب التجارة في الحديدة مع إخوته: عبد الله وعبد الرحمن، فنمت تجارتُهم، وكان قد عاد إلى بلده، ثم تناقصَت الأسباب بعد ذلك، فاستقبل دهره بالصبر والتحمل، وتفرغ للعلم والعمل.

وكان ذا رأيٍ في الحوادث، حسَن القول في تسديدها، اجتمع أهلُ دوعن مرةً لحادثة في بطْن الوادي، وحضر رؤساء الوادي وأعيانُه، وطُلِب إليه، فتكلم في ذلك الأمر. فلما سكتَ؛ قام المقدَّم سالم بن محمد بامسدُوس، رئيس قبائل الديِّن، وقال: أيها السامعون من سادة ومشايخ وقبائل، لا نريد أحداً يتكلم في هذا الأمر إلا هذا السيد. وكان قد أعجبه كلامه. ولقبائل الديِّن ومن كان في الغرْبِ عنهم من قبائل آل بِلعُبَيد، في ترصيف الكلام صنعةٌ معروفةٌ، يتباهون بها. وكان مواظباً على قيام الليل، وله أورادٌ يديمها، شغوفٌ بمذاكرة العلم وقراءة كتبه، ترجمه في «الشجرة» [«الفرائد»: ٣/٥٨٧]، وترجمه ابن أخيه في «مناقب الحبيب عمر البار» الأكبر.

وأما أخذه: فقد لقي الشيخ عبد الله باسودان، وأخذ عن ابنه محمد، وعن عمه المسند السيد الشريف، الحبيب أحمد بن عبد الله البار، الآنف الذكر، وبه انتفاعه. وعن الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر، والحبيب حسن بن صالح البحر، والحبيب محسن بن علوي السقاف، وعن السيد محمد بن أحمد بن عبد الباري الأهدل، شارح «المتممة»، والشيخ محمد سعيد باعشن[١]، وهو عن الشيخ عبد الله الشرقاوي.

ولد بالقرين سنة ١٢٥١، وتوفي سنة ١٣٣١، وترك ذرية مباركةً، لهم مروءةٌ، وحشمةٌ، وسيرة. منهم: السيد الشريف الفاضل، حامد بن حسين. من أهل السعي الصالح، في المنافع والمصالح، على سيرة أهله. أخذ عن والده، وعن الحبيب عمر أحمد، الآتي ذكره، وله إجازة من الحبيب أحمد بن عبد الله، وغيره.

ومنهم: السيد الشريف، عمر بن أحمد بن عبد الله، الآنف الذكر. كان عالماً عاملاً، فقيهاً نحوياً، ناسكاً ورعاً، محبًّا للعزلة، منقطعاً إلى التعليم والتدريس، منقبضاً عن مداخلة أبناء الدنيا. ذا سيرةٍ حسنةٍ، وسمت بهيٍّ، وجلالة/ وهيبة، [١٤٨/أ] معتقداً محترماً. أخذ عن والده، وعن الحبيب حسين بن محمد، وقرأ عليه الكثير من الكتب، منها: «تفسير الطبري»، و«المغني» في النحو، وغير ذلك من الكتب. وقام بدروس غرفتهم. وقرأ بعض المؤلفات على شيخِنا أيام جلوسه بالقويرة. وكان ذا فهمٍ وإدراك وتحقيقٍ، توفي سنة.......[٢].

وابنه: أحمد بن عمر، طالب علمٍ، على سيرة أهله، قائم بدروسهم.

ومنهم السيد الشريف، محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله، الذي تقدم ذكره مراراً، ألف «مناقب كبرى» للحبيب عمر بن عبد الرحمن البار، وترجم فيها لفضلاء

---

(١) الاسم هنا مقلوب، والصواب: سعيد بن محمد. (مصحح).
(٢) بياض في الأصل. وفي «إتحاف المستفيد»: أن وفاته سنة ١٣٣٩هـ. (مصحح).

ذريته. كان ذا فضلٍ وعلم، وسيرة وسمت، وله شعرٌ وإنشاء، وخط حسَنٌ، وبيننا وبينه مشاعراتٌ. انتفع بعمّه الحبيب حسين الآنف الذكر، وأخذ عن علماء عصره، واستفاد منهم واستجاز. كالحبيب طاهر بن عمر، والحبيب محمد بن طاهر، والحبيب صالح ابن عبد الله، آل الحداد، وأخذ عن الحبيب عمر بن أحمد البار، المترجم آنفاً. ثم تفرغ للتدريس بغرفتهم، بعد أن ترك الأسبابَ، على عادة أسلافه.

توفي في شهر محرم سنة ١٣٤٨.

وكان له ولد يسمّى بهاشم، له فضلٌ وأدب، اندرجَ قبله.

وابنه: حُسَين فاضلاً، بلغني أنه أستاذٌ في مدرَسة الشيخ محمد بازرعة بعدن.

[السادة آل بافقيه، بالقرين]

ومن فضلاء السادة الأشراف آل بافقيه في القرين: السيد الشريف، أحمد المثنى بن أحمد بن علي بن حسين بن أبي بكر بن حسين بن عبد الله بن محمد بن علي بن أحمد بن عبد الله الأعْيَن بافقيه. كان فاضلاً مشاركاً، عندي مجلدٌ من نسْخِه، أجازَه الكزبري وغيره. وكان شجاعاً مشهوراً، ثبت مع الحبيب العلامة خاتمة المحققين، والمنافح عن شريعة سيد المرسلين، السيد الشريف عبد الله بن عمر ابن يحيى، حينما أرسلت الحكومة الهولندية شرطَتها للقبض عليه، فامتنع، وأحاط جندُها بالبيت، وارفَضَّ العرب الذي كانوا عنده، ولم يبق إلا هذا السيد، ولم تقدم الشرطة على الهجوم عليهما، وبعد أيام تمكنا من التخلّص ليلاً إلى سفينة شراعية. فذهبا إلى فليمبانغ (فليمبان)، في قصة طويلةٍ.

وأسباب ذلك: صدعُ الحبيب عبد الله بالحق في «فتاويه» التي سئل عنها، فرأت الحكومة الهولندية لذلك العهدِ، أنّ فيها ما يشعر بانكار حقوقِ سيطرتها، وبعض

تلك الفتاوي موجودة في «فتاويه». توفي السيد أحمد المذكور بجدّة سنة ١٢٧٧ .

وابنه: عمر بن أحمد؛ كان من أهل الفضل، والأخذ عن علماء الوقت وصلحائه، وكان ذا حظ حسن، صحبَ ابن أخته، شيخنا الحبيب محمد بن طاهر الحداد، ثم جلس في الهند بكلكتَّا سنيناً، وعاد إلى بلده القِرّين، ودخل جاوه ثانياً، وتوفي بالشحر سنة ١٣٥٧ . وله «معجم» ترجم فيه للعلماء الذين أخذ عنهم، وكان قد كتب لأخينا البَدر الزاهر، والبحر الزاخر، بالمكارم والمفاخر، الحبيب علوي بن محمد بن طاهر: أنه سيرسله إليه لأنظُر فيه، ثم لم يقدر له ذلك، مات وقد بلغ التسعين أو زادَ.

وقد رأيتُ أن أذكر أسماء مشايخه المذكورين في «معجمه» المشار إليه، كما عدَّدهم في كتابه، فيكون ذلك تذكرةً لمن أراد أن يجمع طبقاتٍ لفضلاء حضرموت، أو غيرهم، مع ذكر بلدانهم: (١) الحبيب محمد بن عبد الله بن عمر بن يحيى العلوي، بالمسيلة. (٢) الحبيب أحمد بن عبد الله بن عيدروس البار العلوي، بالقرين. (٣) الحبيب عبد الرحمن بن محمد المشهور العلوي، بتريم. (٤) الحبيب علي بن محمد الحبشي العلوي، بسيون. (٥) الحبيب أحمد بن الحسن العطاس العلوي، بحريضة. (٦) الحبيب عبد الله بن علوي بن حسن العطاس العلوي، بحريضة. (٧) الحبيب حسين بن محمد البار العلوي، بالقرين. (٨) الحبيب عمر بن صالح العطاس العلوي، بعَمْد. (٩) الشيخ يوسف بن إسمعيل النبهاني، ببيروت. (١٠) الحبيب شيخ ابن عيدروس بن محمد العيدروس العلوي، بتريم. (١١) الحبيب حسن بن سقاف السقاف العلوي، صاحب قِرْسي. (١٢) الحبيب عمر الجفري العلوي، صاحب سماراغ. (١٣) الحبيب محمد بن عيدروس الحبشي العلوي، بجاوة. (١٤) الحبيب عمر بن هادون العطاس العلوي، بالمشهد. (١٥) الحبيب عمر بن حسن الحداد، بالحاوي تريم. (١٦) الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي، بالغرفة. (١٧) الحبيب

عبد الله بن حسن البحر العلوي، بذي أصبح (وعبْدِ الله، بكسر الدال). (١٨) الحبيب عبد القادر بن أحمد الحداد العلوي، بالحاوي تريم. (١٩) الحبيب عبد القادر بن أحمد ابن طاهر العلوي، بالمسيلة. (٢٠) الحبيب عبد الله بن محمد بن حسين الحبشي العلوي، صاحب مكة. (٢١)/ السيد أحمد زيني دحلان، مفتي مكة. (٢٣) الشيخ عبد الحميد الداغستاني، مؤلف «حاشية التحفة». (٢٤) الشيخ محمد راضي المكي. (٢٥) الشيخ علي المحلّاوي، ثم المكي. (٢٦) الحبيب سالم بن أحمد العطاس الحريضي، مفتي جهور، ببلاد الملايو. (٢٧) السيد بكري شطا المكي. (٢٨) السيد عمر بن محمد شَطا المكي. (٢٩) الحبيب الحسين بن محمد الحبشي العلوي المكي، والده من سيون، وولد باللِّيث، وتديّر مكة. (٣٠) الحبيب طاهر بن عمر بن أبي بكر الحداد العلوي، بقيدون. (٣١) الحبيب محمد بن طاهر بن عمر الحداد العلوي، من قيدون، توفي ودفن بتقّل، بجاوة. (٣٢) الحبيب عبد القادر بن محمد بافقيه العلوي، بقيدون. (٣٣) الشيخ محمد بن أحمد بن سعيد باحنشل، بالخريبة. (٣٤) الشيخ أبو بكر بن عبد الله باسودان، بالخريبة. (٣٥) الشيخ عمر بن أحمد بن عبد الله باسودان، بالخريبة. (٣٦) الشيخ أحمد بن عبد الله بلخير، بغيل بلْخَير. (٣٧) الحبيب زين بن أحمد خرِدْ العلوي، ببُضَه. (٣٨) الحبيب سالم بن محمد بن عبد الرحمن الحبشي، بالرَّشيد. (٣٩) الحبيب عيدروس بن حسين العيدروس العلوي، بالحزم، وتوفي بحيدرآباد. (٤٠) الحبيب أبو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب الدين العلوي، بتريم، توفي بحيدرآباد. (٤١) الشيخ أحمد بن محمد بن محمد بن حمزة ظافر الدين، في الطريقة الشاذلية، ومسند الحديث المسلسل، وهو بالمدينة. (٤٢) السيد عبد الحميد ابن السيد عثمان القادري الحسني الخراساني، اجتمع به في سيلان. (٤٣) الحبيب شيخان بن علي السقاف العلوي، بالمكلا، وأصله من سيون. (٤٤) الحبيب عبد الله

[١٤٩/]

ابن أبو بكر بن طالب العطاس العلوي، بحريضة، ومات بتريم. (٤٥) الحبيب محمد ابن صالح العطاس العلوي، بعمْد.

(٤٦) الحبيب محمد بن أحمد بن عبد الله العطاس العلوي، بعَمْد. (٤٧) الحبيب محمد بن أحمد بن شيخ بن محسن بن أحمد بن علوي المثنى بن علوي المساوَى العلوي، بعَمْد. (٤٨) الحبيب أحمد بن محمد الكاف العلوي، بتريم. (٤٩) الحبيب أحمد بن محمد الكاف العلوي، بعَمْد. (٥٠) الحبيب أحمد بن طه السقاف العلوي، بسيون.

(٥١) الحبيب عبد الله [بن] محسن بن علوي السقاف العلوي، بسيون. (٥٢) الحبيب عبد القادر بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن قِطْبان العلوي، بسيون. (٥٣) الحبيب عبد القادر بن علوي السقاف العلوي، بطُوبان جاوة، وهو من أهل سيون.

(٥٤) الحبيب سقاف بن محمد الجفري العلوي، بشِيَانجُور، جاوة. (٥٥) الحبيب أبو بكر بن عمر بن يحيى العلوي، بسُرَبَاية، وهو من أهل المسيلة. (٥٦) الحبيب عبد الله بن محسن العطاس العلوي، ببوقور، جاوة، وهو من أهل حريضة.

(٥٧) الحبيب عبد الله بن علوي العيدروس العلوي، بتريم. قال: «وختمنا المجموع بأعظم مشايخي: الحبيب أحمد بن محمد المحضار العلوي، وسهونا عن ذكر الشيخ علي باحسين، صاحب القويرة، والحبيب علوي خرد العلوي، صاحب بضَه»، اهـ.

[القُوَيرة]

ثم تأتي القُويرَة، تصغير قَارة. وتنسب إلى حَلْبون، القرية التي بجانبها، فيقال: قارة حلبون. وقد اشتُهِرت بالحبيب «السيد الفاضل، العارف بالله، الإمام الحلاحل، ذي المعارف الإلهية، والعبارات البهية الشهيّة، المنوعة بلسان التفرقة ولسان

الجمعية، بقية السادة الأبرار، أحمد بن محمد المحضار ابن الشيخ أبي بكر بن سالم». هكذا ترجمهُ بقية السلف، وفخر الخلف، الإمام الفقيه، الصوفي المحدث، المسند العارف بالله، الحبيب عيدروس بن عمر، في «عقد اليواقيت» [١/ ٧٢١].

وترجمه الحبيب عبد الرحمن المشهور في «الشجرة» فقال [«الفرائد»: ٢/ ٣٧٤]: «كان من السادة الأخيار، والعلماء العاملين الأنوار، فاق أهل زمانه في الاجتهاد والعبادة والأسرار، له الصيت الشاسع، والجاه الواسع، والكرم الفائض، والسان المنطلق في النصح والمواعظ، والحظ الأوفر من العبادة. مضت له سنين عديدة خمسينَ سنةً يتلُو كل يومٍ ختمةً من القرآن. وكانت سيما الصلاحِ عليه لائحة، وأنوار البهاء عليه غادية ورائحة»، إلى آخر ما ذكره.

وقد سمعنا من شيخِنا كثيراً من أخباره، ولذكرها محلٌ آخر.

وترجمهُ شقيقي، العلامة الفقيه الصوفي، الشاعر الناثر، الواعظ الناصح، والساعي في منافع الخلق والمصالح، السيد الشريف، عبد الله بن طاهر، في خاتمة كتاب «قرة النواظر بمناقب العارف بالله الحبيب محمد بن طاهر»/ فأطال. [/ ١٥٠] وقال [١/ ٥١٣-٥٣٠]: «ولد سنة ١٢١٧ ببلد الرشيد، من وادي دوعن، وتردد إلى الحرمين الشريفين، وجاور بها سنوات، وحج حجاتٍ. وأخذ عن كثيرين، فممن أخذ عنهم: الحبيب عمر بن أبي بكر الحداد، والحبيب الحسن بن صالح البحر، والحبيب عبد الله بن الحسين بن طاهر، والحبيب عبد الله بن عمر بن يحيى، والحبيب هادون بن هود العطاس، والشيخ عبد الله بن أحمد باسودان، والحبيب عمر بن عبد الله الجفري المدني (سبق ذكره)، والحبيب أحمد بن عبد الله بافقيه، والشيخ عبد الرحمن (بن محمد) الكُزبَري، والسيد أحمد بن إدريس (الحسني) المغربي، والسيد عبد الرحمن ابن سليمان الأهدل. وخرج لزيارة أسلافه بحضرموت سنة ١٢٩٢.

توفي بالقويرة ليلة الخميس وسبع من شهر صفر سنة ١٣٠٤».

وولده: السيد الشريف، حامد بن أحمد، ترجمه في «الشجرة»، فقال [«الفرائد»: ٣٧٩/٢]: «كان سيداً فاضلاً، نبيهاً فقيهاً، متواضعاً كريماً، قام بمقام والده من بعده. ذا خلقٍ حسن، وحُسن ظن تام. ولد بالقويرة سنة ١٢٤٩، وتوفي بها سنة ١٣١٨».

وابنه: الحبيب الجليل الكبير، محمد بن أحمد، أجملتُ ترجمته في كتاب «خلاصة الطبقات» الذي لم يتمَّ إلى الآن. فقلتُ: «كان حبراً باهراً، وبحراً زاخراً، وصدراً دونه الصدور، ومقدَّماً لا تقطع دونه الأمور، قويَّ الحافظة، حاضر الذهن، سريع الجواب، صائب البديهة، قويَّ العارضة، حاضر الحجة، كريماً لا يرى للمال قدراً، ولا يلجُ له قلباً ولا صدراً، حسن المحاضرة كأنما يغرف من بَحْر، بهي المنظر كأنما هو البَدْر، لطيف المعاشرة، حسَن الأخلاق، عظيم الجلالة، ذائع الصيت، كبير القدر، مقصوداً محفوداً ممدَّحاً، وفضائله عظيمةٌ لا يتسع لها هذا المحل لشرحها. ولد سنة ١٢٨٠، وتوفي ليلة الثلاثاء، الساعة الخامسة من أول الليل، في ٢١ من شوال سنة ١٣٤٤.

وعلى قيد الحياة ابنه: مصطفى بن أحمد؛ قام بمقام أهله، لم يزل بيته مثابةً للأضياف، يتلقاهم بصدر رحبٍ، ووجْهٍ طلق، ويكرمهم بالنزُل إكرامَ من لا يخاف الفقر، له الإنشاءُ المستعذَب، على نمَط والده بل أغرب، وهو ذو جلالةٍ ووجاهةٍ، وكلامٍ مسموع، وشفاعة مقبولة، كريماً لا يبقي على شيء، حتى ثيابه الحسنة التي يهديها له أصدقاؤه ومحبوه، قلما تمكثُ عليه إلا قليلاً، ثم يذهب بها الطلاب، فيلبس عوضاً عنها إزاراً من الكارَهْ مصبوغاً. وأحاديثه في هذا المعنى كثيرة، وقد جُبِل على ذلك، ويسّره الله له، وقد تكون له بادرةٌ في القول لا تضرّ إن شاء الله، وإن كان لا يحتملها من لا يعرفُ طبعه.

ومنهم: السيد الشريف، عبد الله بن هادون بن أحمد المحضار. كان شريفاً فقيهاً نبيهاً، رحل لطلب العلم إلى الجامع الأزهر بمصر، توفي سنة ١٣٥٩ بعدَ عمر طويل. وكان حسَن السيرة، متمسكاً بالعلم، منقبضاً عن الناس، مبالغاً فيما يتعلق بالطهارة.

وللكل ذريةٌ مباركون، وفقهم الله للعلم والعمل، والاستمساك بالدين، والاقتداء بسيد المرسلين، ﷺ أجمعين، على منهاج سلفهم السابقين.

ومنهم: أخونا الفاضل، الصدر الحلاحل، ذو الخلق الرحب، والعقل الوافر، والكياسة المحمودة، والكرم الفائض، علوي بن محمد بن أحمد المحضار، تربَّى بوالده، وقرأ عليه فأكثر. وله إنشاء مقبولٌ، ووعظ وشعر. محبٌ للعلم والمطالعة في كتبه، مائلٌ إلى أهله، محمود السيرة، محبَّباً إلى الناس، كريم المعاشرة والمخالقة لهم، صبوراً عليهم وعلى خشونة الجهال منهم، محتملاً لبوادرهم، دائباً في إصلاح ذات بينهم. **وبالجملة**؛ فهو ممن يغتبط به في هذا الزمان، زاده الله من فضله، وثبّته عليه، آمين.

[بقية سكان القويرة]

وبها: الشيخ علي، من آل باحسين، خَدين الحبيب أحمد المحضار وجليسه، وهو من أهل التلاوة والعبادة والصلاح. وقد ترجم الطيب بن أحمد بامخرمة لرجلٍ منهم أو اثنين، فعَسى أن نذكرهم جميعاً في باب آخر، والله ولي التوفيق.

وفي القويرة من السكان: الباجِبَع، بكسر ففتح. والباحاوي، والباطرفي.

[حلبون]

ثم يأتي بجانب القويرة الشمالي: حَلْبون. ويسكنها آل باقيس، وينسبون إلى كندة، ومن الناس من يقول: إنهم من الشّاعثة، أي من ذرية الأشعَث بن قيس.

وهو بعيدٌ لأن الأشعَث بن قيس تحوّل إلى الكُوفة، وانقَطع فيها، ذكرَ/ ابن رَسْته [١٥١/١] وغيره من المؤرخين[١] ذلكَ، قال: «وأقطع الأشعثَ الكنديَّ، وكندةَ، من ناحية جهينة إلى بني أود»، اهـ. أي: فهذا الموضع هو محلّتهم، ثم ذكر جبانة كندة هناك، فلعلهم من ذرية عمّه، أو غيره من عشيرته. وأما أَوْد؛ فهم من مذْحِج، ومع ذلك فلهم بقيةٌ كثيرة بنَجد مذْحِج، ويقال: سَرُو مذحج، وهذا يبين لك أنه ينبغي التحرّي عند ذكر القبائل الناقلة في فتُوح الإسلام. فلا نحكم بأنّ قبيلةَ كذا نقلتْ من بلادها، ولم يبق منهم أحد، إلا إذا كان هناكَ أمرٌ بيّنٌ، فإن المؤرخَ ابن خلدون ذكر نزوحَ بعضِ قبائل العرب إلى الفتوح، وأنهم لم يبق منهم أحدٌ بمنازلهم، مع أن الواقعَ خلافُ ذلك، وسيمرّ بك من كانَ منهم بأذَرْبيجَان، والشّام، وبرْقَة، ممن ذهب إلى الغزو والفتوحِ، ثم قطن بتلك الجهات.

[الشيخ فارس باقيس]

وجدّهم المشهور بالولاية: هو الشيخُ فارس باقيس. كانت له زاوية وأصحاب، وإذا خرج إلى حضرموت للزيارةِ خرج معه عددٌ جم من أصحابه ومريديه، وأحسب أنه في القرن العاشر، وله مناقب، ولم أقف عليها.

وذكر في «تاريخ شنبل»، في سنة ٩١٥ [ص٢١٧]: قدومَ الشيخ أبو بكر باقيس لزيارة قبر النبي هود، صلواتُ الله عليه، ومعه ٣٠٠ نفر من دَوعن.

[الشيخ محمد بن ياسين باقيس]

ومن ذريته: الشيخ محمد بن يس (ياسين) باقيس. كانَ فقيهاً صوفياً، مسلّكاً مرشداً، انتشرت طريقته إلى اليمن، ذكر ذلك شيخ اليمن وعالمها، وفقيهها ومسندها،

---

(١) كاليعقوبي في «البلدان»: ص ١٤٩. (مصحح).

السيد عبد الرحمن بن سليمان الأهدل، في كتابه «النفس اليماني في إجازة بني الشوكاني» [ص٢٤٦-٢٤٧]، فقال في ترجمة الشيخ العلامة الولي محمد بن الحسين ابن إبراهيم الأسلافي ما لفظُه: «ولما برع في العلوم، استأذن والدَه في الارتحال إلى مدينة زبيد، ليأخذ من علمائها، ويستجيزَ منهم. ويأخذ الطريقة عن الشيخ الولي الكبير أحمد بن حسن الموقري، الآخذ عن شيخه الولي الكبير محمد يس باقيس، الآخذ عن السيد الولي عبد الله بن علوي الحداد باعلوي، نفعنا الله بالجميع، فأذن له. فلما وصل إلى زبيد، نزل على الشيخ الولي أحمد بن حسن المذكور، وأكرمه إكراماً عظيماً، وأتاه علماء البلد إلى منزل الشيخ المذكور، ووقعت بينهم وبين المذكور إفاداتٌ واستفادات، ومذاكرات ومراجعات»، اهـ.

وذكر في «عقد اليواقيت»، في الجزء الثاني، في (الصفحة ٦٧ وما بعدها)، قال [٢/ ٨٦٤]: «وأما الشيخ، أحد الأعلام الظاهرين بالتسليك، الداعين إلى سبيل مرضاة مولاهم المليك، جمال الدين، محمد بن يس باقيس، فأخذَ في بدايته عن السيد العارف بالله عبد الرحمن بن محمد البار، قرأ عليه، وتربى وتخرج أيضاً بالشيخ محمد بن أحمد بامَشْموس، فلازمهما إلى أن توفيا، ورحل في حياتهما إلى كعبة القصاد، الشيخ عبد الله الحداد، ولم يزل يتردد عليه، ويأخذ عنه قراءةً وسماعاً، ولبساً وتلقيناً، إلى أن توفي سيدنا الحبيب عبد الله. ثم انتصب لنفع العباد، والدعاء إلى سبيل الرشاد، فانتفع به، وأخذ عنه كثيرون. منهم الحبيب سقاف بن محمد السقاف، والحبيب عمر بن عبد الرحمن البار الأخير، وعمه الحسن بن عمر البار، وشيخ مشايخنا الشيخ عبد الله بن أحمد بافارس باقيس، وغيرهم. توفي الشيخ محمد يوم السبت منتصفَ شهر شوال، سنة ١١٨٣».

[«نبذة في التراجم» للشيخ محمد باقيس]

وممن أخذ عنه أيضاً: جدنا، السيد الشريف، الحبيب طه بن عمر بن علوي الحداد. وقد ألف الشيخُ محمد «نبذةً» بطلبه، في مناقب الحبيب عبد الله الحداد، لو تمت لظهر بها كثير من الشئون التي لم يذكرها الحبيب محمد بن زين بن سميط في كتابه «غاية القصد والمراد في مناقب القطب الحبيب عبد الله الحداد»، وكتابِه «بهجة الفؤاد».

وقد تركَ كثيراً ممن أخذَ عن الحبيب عبد الله الحداد، كالشيخ محمد بن يس باقيس، لأنه لم يذكر إلا من ماتَ منهم، هكذا قال الحبيبُ علوي بن أحمد بن الحسن ابن عبد الله الحداد. قال: «إنه جمع فيه (أي «بهجة الفؤاد») أسماءَ البعض ممن ماتَ وقد أخذ عن سيدنا القطب الغوث الشيخ عبد الله بن علوي الحداد علوي، ومَن هُم في الحياة حالَ التأليف لم يذكرْهم»، اهـ. **أقول**: وهذا اعتذار حسن، ولكن ترتّب على ذلك أن اندرست أخبارُهم، وجُهل أمرهم، إلا من شاء الله منهم، وربما غاب عنه بعضُ من قد ماتَ منهم، لأنه اتصل بالحبيب عبد الله آخر عمره، ومع ذلك فقد حَفِظَ وجمع ما لم يأتِ أحدٌ بمثله، فجزاه الله خير الجزاء. وقد ترجم في أول «النبذة» المذكورة لجدنا طه، وقد سبق نقلُ ذلك عند ذكر فضلاء الرباط. وللشيخ محمد «كتاباتٌ» لم يأت بعدَه من يجمعُها ويؤلف أشتاتَها، وفيها فوائدُ/ تاريخية كثيرة، وله [/١٥٢] «مؤلف في مناقب الشيخ الصوفي العارف عمر بن عبد القادر العمودي».

[الشيخ عبد الله بن فارس باقيس]

ومن فضلاء آل فارس باقيس: الشيخ الآتي ذكرُه في «عقد اليواقيت»، في الجزء الثاني (صفحة ٣٨)، عند تعديد مشايخ الشيخ عبد الله باسودان، قال [١/ ٧٥٠-٧٥٢]: «ومن مشايخه: الشيخ العارف بالله، المستهتر بذكر الله، عبد الله بن أحمد بافارس

باقيس. قال في ترجمته: «ولزم آخرعمره بيتَه، مع إشغال الوقت بنوافل الطاعات، وقراءة الكتب النافعة، من الحديث والتفسير والفقه والرقائق. قرأتُ عليه كتباً عديدةً من هذه الفنون، كثيراً من المختصراتِ والمطوّلات، الفقهية والحديثية، وأمهات كتب القوم، كالإحياء، والرسالة، والعوارف، وغيرها، وسمعتها عليه كذلك. وقد لازمته من أول التعلم، وقرأتُ عليه، وانتفعت به، ولبستُ منه، إلى أن توفي.

وكان الشيخ عبد الله بافارس قد تربّى وسلك الطريقَ، وتأدب بخاتمة المسلّكين، وصفوةِ العارفين، الشيخ محمد بن يس باقيس، وانتفعَ به، ولازمه مدة حياته، وأذن له في التدريس، لا سيما في كتب الرقائق، وألبسه الخرقة، ولقنه الذكر مراراً، وأخذ عن سيدنا الغوث الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار، وعن سيدنا الإمام الحبيب حسن بن سيدنا الحبيب عبد الله الحداد، وأخذ عن جماعة من علماءِ اليمن، لا سيما من مدينة زبيد، وله بهم اختلاط وانتفاعٌ، وأخذ بالحرمين عن السيد الإمام مشيِّخ باعبود»، اهـ المراد.

[حُوَيبةْ]

ثم تأتي بالجانب الغربي من وادي دوعن: **حُوَيبة**. محل اختطّه السيد الشريف، حسين بن حامد المحضار، وزير السلطان غالب بن عوض القعيطي.

[رِحَاب]

ثم: رحاب، بالجانب الشرقي. فيها السادة الأشراف آل الحبشي، وآل الجفري. ومن غيرهم: آل باعبد الله، والباشماخ، وآل باجنيد، وآل بامشموس، وآل الباداود، وآل باعربي، وآل بابراهم، وغيرهم. وبها ضريح الشيخ ناجَهْ، مشهور بالصلاح، وكانت

له زاوية ومقصد للزوّار، ولا نعلم من تاريخه شيئاً، إلا أنّ في «تاريخ» السيد الشريف أحمد شنبل العلوي، في حوادث سنة ٧٨٣، قال [ص ١٤٣]: «وفيها: توفي الرجل الصالح، يوسف بن أحمد باناجية»، هكذا بزيادة ياء. وآل باناجَة، أو ناجية: عشيرةٌ من دوعن، ولهم بقيةٌ بالحجاز. وفي بلد الرشيد: ضريحُ أحد الصالحين، المشهور بلَقبِ بَحْر النور، واسمه يوسف، فلعله هو الذي ذكرَه شنبل، ولعل لهما ترجمةً لم نطلعْ عليها. وذكر سيدي الجد من أشياخه: الشيخ عبد الله بن عمر باناجَةْ.

[هَدُونْ]

ثم: هدون، بالجانب الشرقي. وبها: آل باشيخ، وآل باجنيد، وآل باخَشْوَين، والباسْماعيل، وآل باوارث، وباعبيد، والباصَفّار، وآل عماري، وآل باضَاوي، وآل جَرْوان، وغيرهم. وبها قبرٌ مشهور، يقال: إنه قبر نبيّ الله هادون بن نبي الله هود، وتقام له زيارةٌ سنوية في ليلة النصف من شعبان.

وقد ذكر أبو محمد الهمْداني: أن هَدُون كانت من منازل كندة. وفي «مكاتبات سيدي الحبيب عبد الله الحداد» [٢/١٧٨]، جوابٌ لمكاتبةٍ وسؤالٍ من محمد بن عمر باشيخ الدّوعني، قال فيه: «وأما الشيخ صاحب الدِّلْق، المدفون قريباً من بلد عُورَهْ، فالذي نسمع: أنه باشيخ، وهو في وقتِ الشيخ سعيد بن عيسى، ومعاصريه. وأهلُ باشيخ الذي بعُورَهْ ونواحيها ذريتُه، إن كانت له ذريةٌ، أو هم أقاربُه»، اهـ. ويأتي للباشَيخ ذكر في الحوادث، مما يدل على أنهم كانوا كثيراً، ولعلهم كانوا يحملون السلاحَ كسائر أهل الجهة لذلك العهد، إلا من تفقَّر، أي: صار من الفقراء الصوفية.

[الشيخ أحمد باعثمان]

ومن فضلاء هدون وعلمائها: الشيخُ العلامة المحقق، أحمد بن عثمان بن

محمد باعثمان. أخذ عن مشايخ الحجاز وغيرهم، كالشيخ محمد صالح بن إبراهيم الرئيس الزُّبَيري الزمزمي المكي، والشيخ عمر بن عبد الكريم بن عبد الرسول العطار. وكان فقيهاً مدرساً، انتفع به الناسُ، وكان يلقي درساً في أحد مساجد جدّة، وبها توفي. ولم نجد من ترجمه، إلا أن الإمامَ الفقيه، المحدث الصوفي، الحبيب عبد الله ابن أحمد البار[1]، السالف ذكره فيما كتبه على «الرسالة العجلونية» في أوائل كتب الحديث، فقال: «هذه رسالةٌ في أوائل الكتب الحديثية، للإمام إسماعيل العجلوني. وقد سمعْناها على شيخنا الإمام عبد الرحمن الكزبري، نحن وجماعةٌ من أهل مكة، منهم شيخُنا الشيخ أحمد الدمياطي، والشيخ علي السَّرَوي، والشيخ محمد سعيد قدسي، والأَصْنَاء (أي: / الإخوان، جمع صِنْو) محمد بن محمد بن سالم، وأحمد بافقيه، والشيخ أحمد بن عثمان، والشيخ عمر باكَيْلة. وأجاز لنا شيخنا المذكور إجازةً عامة، وشبك بأيدينا عند وصُولنا إلى المسلسل بالتشبيك، ثم قرأ الحديثَ، وسمعنا منه الحديثَ المسلسل بالأولية أوّلَ ما لقيناه، نفعنا الله به وبعلومه»، اهـ [/١٥٣]

وذكره سيدي الجدُّ في جملة مشايخه.

[الشيخ عمر باعثمان]

ومنهم: أخوه، الشيخ عمر بن محمد بن عثمان. كان فقيهاً محققاً، له في المسائلِ التي يُسْأل عنها فتاوَى تحقيقٍ، وأبحاثٌ دقيقة. مكث بقيدون مدةً، باستدعاء شيخنا الإمام، بدر العبّاد، وفخر الزهاد، الراكع السجاد، ذي الثَّفِنات، السيد الشريف، الحبيب طاهر بن عمر الحداد، لإقامة الدروس، وقد أخذ عنه شيخُنا الإمام الحبيب محمد بن الحبيب طاهر. وممن أخذ عن الشيخ عمر وتفقّه به: الشيخ عبد الرحمن باشيخ.

ذكر مجيزنا، السيد الشريف، العلامة المسند، الحبيب محمد بن سالم السري،

---

(١) الاسم هاهنا مقلوب، ولعله من خطأ الطباعة، والصواب: أحمد بن عبد الله. (مصحح).

العلوي الحسيني، في «ثبته»: أن الشيخ أخذ عن الشيخ عبد الرحمن الكُزبري، والشيخ عمر العطار، والسيد الإمام مفتي اليمن، وبركته ومسنده، عبد الرحمن بن سليمان الأهدل. وقد زرتُه في بيته سنةَ ١٣١٧، وعمره إذ ذاكَ كما أخبرني: اثنانِ وتسعون سنةً، واستجزته فأجازني، توفي بهدون قبلَ سنة ١٣٢٠.

[الشيخ عبد الرحمن باشيخ]

ومن فقهائها: الشيخُ العلامة المحقق، عبد الرحمن بن أحمد بن عمر باشيخ، الدوعني الهدوني. كان هذا الشيخُ من أهل الملكة الفقهية، له اطلاعٌ على النصوص، وعنده حفظٌ لمظانها غريب، يكثر الترددَ إلى زنجبار ونواحيها، وله بها محبّونَ، وإلى الحجازِ، يحجّ بالأجرة، فيستعين بها على زمانه. وعنده مجموعةٌ من الكتب القلمية، عديمة النظير، فيها عددٌ من فتاوَى فقهاء حضرموت واليمن، كـ«فتاوى بامخرمة»، و«باشراحيل»، و«بايزيد»، و«الحبّاني»، وغيرهم. وقد استعارها بعضُهم من ابنه الفاضل الشيخ أحمد، ثم أنكرَه فيها، وكتب إليَّ وأنا بجاوة، يشكو إليَّ عملَه، وبلغني بعد ذلك أنه وقعَتْ بينهما دعوَى عند والي دوعن، ولم أدر هل ردَّها إليه أم لا؟ وكان من الصّدَف الغربية: أن ذلك المستعيرَ، أو المغير، أخبرني، وقد اجتمعتُ به في جاوة: أن لديه ثمانياً وعشرين مجلداً من فتاوى العلماء، فعجبتُ كيف وصلتْ إليه؟ ثم لم يطُلِ الزمنُ حتى وصل إليَّ كتابُ الشيخ أحمد يشكُوه، ويطلب مني مراجعته!. والزمانُ أبو العجائب.

وكان الشيخ عبد الرحمن، أيامَ إقامته ببلده، يجعل درساً كلَّ يومٍ في بيته، في موضعٍ متّسع أعده لذلك، ويأتي إليه الراغبون في الطلب والاستماع، ممن حواليه من القرَى. ثم عيّنَ مفتياً بالمكلا على عهد السلطان غالب بن السلطان عوض بن عمر القعيطي، وتولى القضاءَ مرةً أو مرتين، ثم عزل نفسَه. وله مع فقهاء عصره مراجعاتٌ في مسائلَ. منها: مسئلة في النذر، وقد جمع فيها رسالة ملأها بالنقُول والأدلة.

[مسألة الشفعة وذيولها]

ومنها: مسألة الشّفْعة، اشتهرت ببلدان حضرموت قضيتُها، وكان القاضي عبد الله بن سعيد باجنيد قد حكمَ فيها. فرفع المحكومُ عليه استفتاءً في المسألة إلى الشيخ عبد الرحمن، فأجاب ببطلان حكم القاضي المذكور، وغلّطه في النقل والفهم في تلك المسئلة، وأورد في جوابه أدلةً واضحةً.

ووافقه على فتواه وصحّحَها: قاضي سيون، الفقيه السيد الشريف عبد الله بن حسين بن محسن السقاف، العلوي الحسيني، والعلامة المحقق، الشيخ فضل بن عبد الله ابن عمر عرفان بارجَا، والفقيه الذكي، الشيخ محمد بن محمد بلخَير، وقاضي زنجبار، السيد الشريف، أحمد بن أبي بكر بن عبد الله بن سميط العلوي الحسيني، والفقيه الشيخ محمد النّجْدي الشرقاوي الشافعي، بالأزهر بمصر، مفتي الشافعية بمصر المحميّة.

فألف القاضي عبد الله باجنيد المذكور «رسالةً» ردَّ بها عليهم، في نحو كراسةٍ ونصفٍ، سماها «نَصيحة الأخيار بالسّيف المجرّد البتار في الرّد على من قالَ بعدم ثبوت الشُّفْعة على الإطلاق فيما في دوعَن من ديار»، واعتمد فيها على عباراتٍ مبهمةٍ، ونقولاتٍ متعددة، وزوَّقها تزويقاً، وروَّجها عند والي أمر دَوعن ومن يليه، وحازت شهرة وقبولاً، واعتبرت سدًّا للبابِ، وفصلا في الخطاب.

وكان من المصادفات: أن جاءَ في تلك الأيام السيد الشريف، الفاضل المشارك الأديب، مألف أهل العلم، حليف الفضل، حسن بن عبد الله بن عبد الرحمن الكَاف، العلوي الحسيني، ومعه أخوه عبد الرحمن، وجماعةٌ من أولادهم، وألحوا عليَّ أن أرافقهم في زياراتهم لأعلَى دوعن، وكان ذلك سنة ١٣٣٨ فرافقتُهم. وجاؤوا إلى المصنَعة، وأنا معهم/. [/١٥٤]

فلما كان المساءُ بعد السَّمَر، تحدث الصدرُ المفخَّم، السيد الشريف، الفاضل أبو بكر بن حسين بن حامد المحضار، العلوي الحسيني، معنا، هو والشجاعُ الألمعي عوَض بن المقدَّم عمر بَحْمد باصرَّهْ، عن هذه المسئلة. وذكرا «رسالة القاضي باجنيد» بصورة الإكبار والإعظام، وعرضَاها علي وعلى أخينا الحلاحل، جامع الفضائل، ومحاسن الشمائل، السيد الشريف، الحبيب حامد بن علوي البار، وعلى السيد الشريف حسَن، فكلنا أنكرَها وفنَّدها. فقال السيدُ الشريف: إنا نحبّ أن نرى ردًّا عليها، إذا كان ممكناً، أو كما قالَ، وسلمها إليَّ، فرددتُ عليها برسالةٍ في عدّة كراريس.

[حاصل فتوى باشيخ وتأييداتها]

وقد بين الشيخُ عبد الرحمن في «فتواه»: أنه لا شفعةَ فيما يقسَمُ إجباراً، وإن تلك الدارَ لا يمكن قسمتُها إجباراً. وبعد أن بيّنَ معنى ذلك مبسوطاً، قال: «هذا ما قرّره لنا شيوخنا، ومنهم فقيه النفس، العلامة الشيخ عمر بن عثمان، عليه رحمة الكريم المنان». ثم أطال في إيراد النصوص، وقال: «إن ديار دوعن مما كان السقفُ مشتملٌ على جميع ساحتها، لا شفعةَ فيها، مع اختلاف أبنيتها. وإن المنظور إليه في الديار المذكورة والمقصود منها: قسمة منازلها، وهي المعاقيبُ، والبيوتُ، والفواصل، والأجنحة، لا أرضُها الحاملة لها»، اهـ باختصار.

[١] ونقل السيد الشريف، القاضي عبد الله بن حسين، مثل هذا القول في ديار حضرموت جميعها، عن جدّهم العلامة السيد طه بن عمر الصافي السقاف، والشيخِ عبد الله سِرَاج[1]، وأيده بالنقل عن الأذْرَعي.

[٢] وقال الشيخ فضل: «ما أجابَ به الأجلّ الأفضل، العلامة، حامل لواء الشريعة، والقائم بين العباد للنفع، الشيخ الفقيه الأوحد، عبد الرحمن بن أحمد

---

(١) هو باجمال، ت ١٠٣٣هـ. (مصحح).

باشيخ، متع الله بحياته، من عدم ثبوت الشفعةِ لعدم الإجبار في قسْمة الدار، هو الوجهُ الذي ليس عليه غبار»، الخ.

[٣] وقال الشيخ محمّد بن محمد: «ما أجاب به الشيخُ العلامة، الحبر البحر الفهامة، الحقيق بقول القائل:

إذا قالت حذامِ فصَدّقوها ... فإن القول ما قالت حَذامِ

الشيخ عبد الرحمن بن أحمد باشيخ، من عدم ثبوت الشفعة لعَدم الإجبار، في قسمة دار آل الصافي، المذكورة، هو الحق والصواب»، إلى آخره.

[تقاريظ رسالة المؤلف «ضوء القريحة»]

فلما كتبت «الرسالة» المتقدم ذكرها، تلقاها علماءُ ذلك الوقت بالقبول، وأطالوا في تقريظها.

[١] فقال الشيخ عبد الرحمن المترجَم: «يقول الفقير إلى مولاه، عبد الرحمن ابن أحمد باشيخ: بعد كتابةِ ما كتبتُه على المسألة المشروحة في هذه الأوراق، والاستدلال عليها بالدلائل الواضحة الصحيحة بالاتفاق، فبرزت في حلة الكمال، ناطقة بقوله تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾[يونس: ٣٢]، وذلك بتوفيق الله الذي ألهم وعلّم، وكشف الأمر المبهم. ثم إن ذلك الرجلَ تعامى عن قبول الحق، وغلبت عليه سَورةُ الحمق، فكتب على كتابتي عباراتٍ ساقطةً، تحامقاً ومغالطة، فتنزهتُ عن مجاراته، لعلمي بأنه لا يعترفُ بهفواته، ولا يترك الإصرار على قبيح زلاته.

وحيث إن الحق لا يعدَم نصيراً، وصولته تقهر مأموراً وأميراً، وصغيراً وكبيراً، قيض الله من يقوّضُ خيام اعتراضاتِ ذلك المبطِل، فحققَ قول القائل: إذا جاءَ نهر الله بطَلَ نهر مَعقِل. وذلك هو العلَمُ المفرد، والعلامة الأوحد، من يسطو بسيف لسانه،

فيفري من الباطل أديم زوره وبهتانه، الحسام الحاد، في عنق من حاد، سيدنا الحبيب العلوي بن طاهر الحداد. فإنه، حفظه الله، وأبقاه كوكباً للإرشاد، وغوثاً للعباد، ألفَ رسالةً في الردّ على ذلك القاضي، فكانت في رد مفترياته كالسيف الماضي»، إلى آخره.

[٢] وكتب شيخُنا، العلامة الفقيه، الصوفي الورع، الزاهد الناسك، أبو بكر بن أحمد بن عبد الله الخطيب التريمي، تقريظاً استطردَ فيه إلى ذكر أخذي عنه، رغبةً في تدوين ذلك، فأحببتُ تحقيق رغبته بتخليد ذلكَ في هذا الموضع، وذلك من تمام ترجمة الشيخ عبد الرحمن، لأن تقويةَ ما قلناه هو في الحقيقةِ تقويةٌ لما قاله من قبل.

وهذا هو/ : [١٥٥/أ]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾

«والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله، وآله وصحبه الهداة، والسالكين سبيلهم من الأئمة الدعاة، السائرين بسيرته، والمنتهجين سبيله في سلوك محجّته، القائمين بتبيين شريعتِه، وتفصيل ما أجمل من أحكامه وملته.

أما بعدُ؛ فقد أوقفَني بعضُ السادة على هذه الرسالة، وأطلعني على هذه العُجالة، التي طلعت في سماء تحقيق موضوعها كالهالة، وصيَّرت الناسَ عليها عالة، فرأيتها بديعةَ الوضع، عظيمة النفع، رشيقَة المبنى، غزيرة المعنى. جمع مؤلفها حفظه الله تعالى من كثرة النقول، من المعقول والمنقول، عن الأئمة الفحول، وجامعي الفروع والأصول، ما يبهت الناظر، ويسر الخاطر، ويرجع الطَّرْفَ عنها وهو حاسر، وأودعها من الدلائل والبرهان، والشواهد والبيان، ما حيَّر الأذهان، وأفحم الخصم وكل ذي شنآن، وضمنها من الحجج ما يزيل الشك، ويدفع الإفك،

ويزيل الخطأ، ويكشف الغطا، حتى برزت في حلة التحقيق، ومناهل التدقيق، كبيرة الخطر، يانعة الزهر والثمر، جالية للكدر، نقية الجيب، مزيلةً للشك والريب، بريئةً من العيب. وأردف ذلكَ من كثرة النظائر والأشباه، ما تعنو لحقيقته الوجُوه والجباه، وتنطق بحسنه اللسن والأفواه، ويحقّ أن يقالَ فيها وفي مؤلفها تحصيناً لها من عينِ الشناة: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾[الكهف: ٣٩]. فهي بحمد الله في موضوعها كافيةٌ جامعة، وللمسترشد منها نافعة، وفي وجه خصمها دافعة، ولمنازعها قاطعة، وللباطل زاهقة دامغة، بل نقذفُ بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق.

كيف لا!، ومؤلفها السيدُ السند، والكهف المعتمد، ذو الفهم الثاقب، والرأي الصائب، رضيع ألبانِ العلوم، الجامع للمنطوق والمفهوم، الكوكبُ الوقاد، المشرقةُ شمسُ علومه في الحاضر والباد، الداعي إلى طريق الرشاد، علوي بن طاهر بن عبد الله الحداد، أعلى الله كعبَه، وأكمل سعده، وجعله لكشْفِ المعضلات أعظم عدَّة.

ولقد كان عهدي بهذا السيدِ في عنفوان شبابه، وإبان طلبِه، عاكفاً على طلب العلم وتحصيله، ومدْمناً على مطالعة كتبِه في بكَرِه وأصيله. قرأ على العبد الفقير في صِغَره طرفاً صالحاً في مبادئ العلوم، أيام زيارتي وعكُوفي في حضرة سيدي الإمامُ الجليل، القانت الخاشع، والناسك الخاضع المتواضع، أعبَدِ أهل زمانه، باتفاق أهل قُطرِه وأوانه، شيخنا كعبَةَ القصَّاد، طاهر بن عمر بن أبي بكر الحداد، وابنه السيد العارف الأمجد، محمد بن طاهر الحداد. ثم جدَّ، أعني السيد علوي المذكور، بعْدُ في الطلب، حتى نالَ غاية الأرَب، فلذلك أظهره الله الآنَ بدراً مشرقاً، وجعله طودَ علمٍ محقَّقاً، لا سيما في الدعوة إلى الله، وإلى سلوك سبيل خاصته وأولياه، فسبحان من منحه على صغر سنه، ما تقدم به على أذكياء عصره، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

ولعمري! ما الذي ألجأ المعترضَ إلى مخالفة النصوص الصريحة، والنقول الواضحة الصحيحة، التي لا تقبل التأويل، ولا يجد المخالفُ إلى غيرها من سبيل، وما الذي أدّاه إلى اختراع هذه الطريقة، التي هي كما حكاهُ عنه صاحب هذه «الرسالة»: إنه المعتبرُ في مكان القسمَةِ جبراً، حتى تثبت الشفعةُ الأرض فقطْ دون تابعِها!!. فهذا قولٌ مختَرَعٌ، وطريق مبتدَع، لم يقُمْ عليه دليل، ولا يساعده نقل ولا تعليل، وأما ما نقله شاهداً لمدَّعاه، من عبارة «المغني»، فذلك لا يسمنُ ولا من جوعٍ يغني. وأما كلامُ أهل الحواشي الذي جعله مستنداً وتقويةً للطريقة التي ابتكرَها، فهو بعدَ فرْضِ تسليمِ كونه شاهداً له؛ لا يقاوم صريحَ المنقول، عن الأئمة الفحول، من الشيخين ومن قبلَهما ومن بعدَهما.

على أنهم ذكروا: أن من الضوابط المعتبرة، والقواعد المحررة: أنه متى أمكنَ الجمعُ بين ما ظاهرُه التنافي من عباراتهم، وجبَ المصير إليه. ويصير الأمر بذلك متفقاً عليه. ولو أنه في محاولته وتطلبه لوجود دليلٍ على الأخذ بالشفعة في المسئلة المتنازع فيها، جنح ومالَ تقليداً لقول أبي العباس ابن سُرَيج، الموافق للقول القديم، الموافق للإمام أبي حنيفة: أنه لا يشترطُ أن يكونَ منقسماً، لسلم من التكلفات/ [١٥٦/أ] البعيدة، والتوهمات الغير المفيدة، التي تؤولُ بصاحبها إلى الابتداع، والتقوُّلِ في دين الله بما لم ينزل به سلطاناً. اللهم أرنا الحق حقًّا وارزقنا اتباعَه، وأرنا الباطلَ باطلاً وارزقنا اجتنابَه، ولا تجعل الأمر مشتبهاً علينا فنتبعَ الهوى، وصلى الله على سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلم، والحمدُلله رب العالمين».

[٣] وللشيخ العلامة ذي التحقيق، والداخل إلى أبوابه من كل طريق، لطيفِ الإشارة، ورائق العبارة، الشيخ فضل بن عبد الله بن عمر عرفان بارَجا، تقريظٌ ناقشَ فيه القاضي باجنيد مناقشةً شافيةً، بعد أن ناظره فيها مكافحةً عند اجتماعهما في

تريم تلكَ السنة. وكان القاضي المذكور خرج بصحبة السيد الشريف، حسين بن حامد، ليتحصَّل على تأيِيدٍ لحكمه من علماء سيون وتريم، وكاد أن يشوِّش أفهامهم بأوهامه.

ولكن وردتْ عليهم رسالتُنا وهو لا يزالُ بسيون، فأعرضوا عنه، ومنهم من جادلَه فأفحمَه، وانتهت القضيةُ باستدعاء الوالي المقدَّم عمر بَحْمد باصرَّه للشيخ عبد الرحمن باشيخ من المكلا، وتنصيبه قاضياً. فأبطل حكْمَ القاضي باجنيد، وعادتْ الحقوقُ إلى أربابها، وهذا التقريضُ المشارُ إليه. قال بعد الخطبة:

«أما بعد؛ فقد اطلعت على الرسالة المسماة «ضَوء القريحة»، فوجدتُها قوية البنيان، ثابتة القواعد والأركان، واضحة الدلائل والبرهان، حرّرها مؤلفها بالدليل والتعليل، وسلك فيها أقوم سبيل، نشر فيها من أسنة النصوص القواطع، بواتر لوامع، استأصلَ بها شأفة المعارض، ونقض ما به يعارض ويناقض، حل عن مسألتها عرى المشكلات، وذلل ما صعب منها بأوضح العبارات، فجزاه الله عن المسلمين خيراً، ولا زال لحلّ المعضلات ذخْراً. وكيف لا؛ وهو من معدن الرسالة والنبوة خرج، وعلى منهج الفتوة سار ودرج، السيد الشريف، والعلم المنيف، الجامع للعِلْمين، والحاوي للشرفَين، ذي المجد الشّاهر، والعنصُر الطاهر، سليل الأمجاد، وخليفة الأجداد، علوي بن طاهر الحداد، لازالت رايةُ سعدِه خافقة، وأنوار علومه شارقة.

وقد اطلعتُ على ما كتبه أخونا الفاضل، الشيخ القاضي عبد الله باجنيد، واستوعبته، فوجدت في عبارتّه من قلاقَة اللفظ وتنافره، وعدم الصناعة فيه، والسلوك على القوانين النحوية، مما يخل بالمعنى، ما يفهمه الفَطنُ من أول نظرة. وقد بلغَ بي العجبُ منتهاه، لما أعرف سابقاً من حدّة فهمه، ورسوخه في فنّه، ولعل عذرَه ضعْفُ القوى، أو مقابلةُ هوًى!. وحاصلُ ما بنى عليه جوابَه، واعتقد صوابه: أن ما شُرِط

لثبوت الشفعة في العقار، من كونه قابلاً للانقسام جبْراً، بأن يكون تعديلاً، أو إفرازاً، خاصٌ بالأرضِ، دون ما عليها من الثوابتِ بناءً أو شجراً، وهو بناءٌ على غير أساس.

وقد استدلّ لمدَّعاه: بمسئلة ثبوتِ الشفْعَة لمالك العُشر في دارٍ، على صاحب التسعة الأعشار، لكونه مجبراً على القسمة.

فنقول له: أنتَ مسلّمٌ أن مالكَ العشر مجبرٌ على القسمة، وكل مجبَرٍ على القسمة تثبتُ له الشفعة، وأنّ صاحب التسعة الأعشَار لا تثبت له الشفعة، لكونه غير مجبَرٍ، (بالبناء للمفعول)، على القسمة، بل مجبِرٌ (بالبناء للفاعل) لصَاحب العُشْر عليها. فهل أنت مسلّمٌ لشرط الإجبار الذي صرّحُوا به من أنه لا بدَّ في قسمة الإجبار من قطع العلائق، لأن علة الإجبار دفع ضرر المشاركة؟. كما صرحوا به في باب القسمة، الذي حوَّلوا عليه في باب الشفعة. فإن سلَّم؛ كانَ قوله: «وهل يمكن قسمةُ ما فيها من بناءٍ مع توابعه مع قطع العلائق في نحْو درجٍ إجباراً!»، مما ليس له معنى، وسقط استدلاله بذلك.

وإن لم يسلم؛ كان مكابرةً ظاهرةً، لتظافر النصوص الصريحة، والنقول الصحيحة، على اشتراط قطع العلائق، وأنّ ثبوت الشفعة في العقار فرعُ ثبوتِ قسمته على وجه الإجبار، كما تراها في «الرسالة» المذكورة، فقد كفانا مؤلفُها، متع الله به، مؤنةَ النقل.

وأما مسئلة النخلة: فهي دليلٌ صريح عليه لا له.

وأما عبارة المغني: فلا تصلح دليلاً لمدَّعاهُ أيضاً، لأنها لدفع توهّمٍ يرِدُ على قول «المنهاج»: «وكل ما لو قُسِمَ بطلت منفعته المقصودة كحمامٍ، ورَحًى». هو: أن عبارته تُوهِمُ ثبوتَ الشفعة في المنقول، ولفظ «الرَّحَى» يطلق على الحجَر، وهو منقول؛ والمنقول/ لا تثبت فيه الشفعةُ إلا تبعاً، فنبه الشيخُ على أن المراد [/١٥٧]

به موضِعُه لا نفْسَ الحجر، فلا يتوهم، فيكون المرادُ بإمكان الانقسام، المفهومِ من كلامه: إمكانُه في المحلِّ لا في الآلاتِ، كحَجرِ الطاحون، فإنه لا يمكن قسمته حجرين. أي: فإنه لا يمكن أن يكون مراداً حتى يرِدَ عليه. ومما يدل على ذلك: ما نقله آخر (التنبيه) عن السبكي، من قوله: «ومن المعلوم أن الحجرَ ليس مراداً»، الخ. وهذا لا يدل على أن شرطَ الشفعة، الذي هو الانقسامُ جبراً، لا يشترط في التابعِ للأرض، فإن عباراتهم مصرّحةٌ باشتراطِهِ تصريحاً لا يقبل التأويل. فيكون موردُ كلامِ «المنهاج» على المحلّ حتى يسْلَم من التوهّم.

أما قسمةُ الأرض مع ما بِها من حمام، ورحًى وغيره. فقد ذكرُوها مفصلةً، على اختلاف أنواعها مع ذكر الحالة التي تثبت فيها الشفعة. كما نقلها هذا الجهبذ الهمام، واعتنى في تخليصها وتحصيلها هذا الإمام، في «رسالته».

وهذا الذي ذكرتُه، هو الذي ينبغي حملُ كلام «المغني» عليه، وإن أوهمَ غيرَه فليس مراداً، بل هو الذي يلزم أن يقالَ، جمعاً بينه وبين كلامِهم. لأنه إذا أمكنَ الحملُ والتأليف بين ما ظَاهرُه التناقضُ، فضلاً عن التوهم؛ لزمَ ذلك، كما في فتاوى شيخنا «بغية المسترشدين». وبالجملة، فما بعدَ ما نقله وحرّره هذا السيدُ في «رسالته» كلامٌ، وإذا طلعَ الصباح، بطل المصباح، فهو النص الصريح، والقول الصريح، الذي يجب اعتماده، ويجب على ولاة الأمر إنفاذُه. وعلى أخينا الأجلَ الأفضل، عبدالله باجنيد، المسارعة بالرجوع إليه، عند اطّلاعِه عليه، كما هو الظن به، والأليق بجنابه، ولا يزيده الرجوعُ إلى الحقِّ إلا شرفاً ورفعةً. وأستغفر الله لما تحرّكَ فيه البنان، ونطقَ به اللسان، من كل ما ليسَ لوجهه الكريم، وأسأله الصفحَ والعفوَ عني، إنه الجواد الحليم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم».

[٤] وقال فقيه البلاد الحضرمية ومفتيها، والكاشف عن أسرار الغوامض

ومعانيها، حامل راية التحقيق، ومبدي الغرائب بلطيف البحث والتدقيق، السيد الشريف، محمد بن حامد بن عمر السقاف، العلوي الحسيني، والمتوفّى بعدَ أداء الحج سنة ١٣٣٩، في أثناء تقريظه: «حصل الاجتماع في بلد قَيذُون، التي هي من أحسن البقاع، بآل الحداد، السادة القادة، الحائزين لشرف السيادة، وأخبروني بالنزاع، فيما شاع وذاع، في قضية شُفْعة بيت الصافي، التي حكمُها على أدنى طلبة العلم غير خافي، من عدم صحة الشفعة في ذلك البيت، لأمورٍ وأسباب كثيرة، ذكرها جميعَها أحدُ المفتين بهذا الناد، بل هو من أجَلّهم، إن لم يكن أجلَّهم، المعنيُّ بهذا: علوي بن طاهر الحداد. فقد أفاد في هذا الباب وأجاد، واستوعب المراد. ومثّله في حكمها مفتي زنجبار، أحمد بن أبي بكر بن سمُيطٍ عالي المقدار، وهي مسئلةٌ واضحٌ حكمُها لصغار الطلبة فضلاً عن الكبار، وحيث كانت بهذا الحال، لا نحتاج لتطويل المقال»، إلى أن قال: «وما كنتُ أظنّ أن يختلفَ في هذه المسئلة اثنان».

[٥] وقال الفقيه المحقق، السيد الشريف، محسن بن جعفر بن علوي بونُمَي، العلوي الحسيني، تخرّج بالشيخ العلامة الفقيه الداعي محمد بن سِلْم، وأخذ عن غيره، وولي القضاءَ برهةً بالمكلاّ، في تقريظِه بعد الخطبة: «وبعدُ؛ فلطالما تكلمَ الناسُ، على اختلافهم في الإيجاز والإطناب، والمساواة والإسهاب، في مسئلة السيد الصافي، المبحوث فيها عن ثبوتِ الشفعة وعدمِها، فمن مصحِّحٍ ومن مبطلٍ، ومن مقرضٍ ومن منتقِد. فلم يشفُوا ولم يبرئوا عليلاً، غير العالم العلامة، والأوحد الفهامة، شيخنا الأستاذ، والمفتي الملاذ، الشيخ عبد الرحمن بن أحمد بن عمر باشيخ، فإنه صفّى بواضح النقولِ مسئلةَ الصافي، وأبَان ما انبهمَ فيها بالبرهان الكافي. ثم عززه الندب الأديب، والشهم اللوذعي الأديب، العلامة ذو[1] الفهم الوقاد، والفهامة

[1] في الأصل: ذي. ولعله خطأ طباعي. (مصحح).

حليف الفضل والعلم والإرشاد، سيدي الحبيب علوي بن طاهر الحداد. فرفع من مجاريها كدورات الخبْط، وكشف ما أشكل من عويصها بأتم البيانِ والضَبْط، وأنار حِنْدِسَ الآراء المشتَجِرة، بـ«ضوء قريحته» المنوَّرة، فأتى البيتَ من بابه، وردَّ المعترض خاسئاً بتَبابه، بمسنون الحجج الباترة، وتجريد النصوص الشاهرة. فلله درُّه من همام، فلقَ هام المعترضِ بهاته السهام.

وكيف لا! وهو العلم/ الذي يهتدَى به في بهيم الليال، وناشر علمِ شريعة مولى بلال، كثر الله من أمثاله في العباد، ومتّع بحياته المسلمين الحاضر منهم والباد، بجاه سيدنا محمد شفيع يوم التناد، وعلى آله وصحبه أولي النجدة والرشاد. [/١٥٨]

حرِّر في سلخِ رجَب من عام ١٣٣٠».

وممن قرضَها غيرُ هؤلاء:

[٦] السيدُ الشريف، العلم المنيف، الفقيه المتفنن الجامع، ذي الاطلاع الواسع، الحبيب أحمد بن أبي بكر بن عبد الله بن سُمَيط، وقد أطالَ في نحو ثلاث صفحاتٍ، ومن فوائده في ذلك قوله: «ومثلُ ذلكَ: ما وقعَ في سنة ١٢٩٩، في قضية شفعةٍ، لعلها في تاربة، أفتى بها من أفتَى، فرفعت إلى سيدي العلامة، شيخنا عبد الله ابن محمد بن جعفر الحبشي، فأفتى بخلاف ما أفتاه المفتي الأول، وأذعنَ للحقّ، ولم يصرَّ على ما قال. ومثلها: قضيةٌ رفعَتْ إلى سيدي وشيخنا العلامة صافي بن شيخ، الذي كان قاضياً بسيون، المتوفى لعلّه سنة ١٣٠١، فردَّ على من أفتى فيهَا وبين الصوابَ، فأذعن من أفتى سابقاً، ورجعَ إلى الحق، ولا أحفظُ أصحابَ تلك القضايا لطولِ العهد. ومثلُ ذلك: وقعَ للشيخ عبد الله بايوسف، لما كان قاضياً بشبام، فظهر له صوابُها، فردَّ على من أخطأ فيها، وهم أجلاء، أفاضلُ، علماء، فأذعنوا للحق».

وممن قرضها:

[٧] الشيخ الفقيه، العلامة الناسك، محمد بن أحمد الخطيب التريمي، فكان مما قاله:

«وبعدُ؛ فقد أطلعني السيد المفضال، حسنة الأيام والليال، الكاشف بفهمه الثاقب الصائبِ عويصَ الإشكال، الغني عن الترجمة والوصفِ بما يظهره من بديع علومه، وغرائب فهومه، أمَنْ أن يعزَّزَ بثان، وليس الخبر كالعيان، القائم بالدعوة إلى الله بالبنان واللسان، في جميع العباد والبلاد، وارث وسلالة السادة الأمجاد، علوي بن طاهر بن عبد الله الحداد، على رسالته المسماة بـ«ضَوء القريحة» في مسألة الشفعة، [التي] سئل عنها العلامةَ الشيخ، وجيه الدنيا والدين، عبد الرحمن بن أحمد باشيخ».

إلى أن قال: «وهي رسالةٌ محرّرةٌ مقررة، غزيرة المعاني، قوية المباني. عمَد مؤلفُها إلى تكثير الأدلة بالعبارات الجلية، من كلام أئمتنا الشافعية، المتقدمين على الشيخَينِ، والشيخينِ، ومن بعدَهم من المعتمدين في الفتوى. فلو قرَعَتْ عبارة «البيان» و«الروضة» و«القُوت» سمع أدنى فاهمٍ للعلم، لعرف أن الحقَّ في هذه المسئلة عدَمُ ثبوت الشفعة، الناشيءُ عن عدم الإجبار، نظراً لعدَم قسمة الدار بدون اشتراكٍ يبقَى. وقد أغنَى هذا السيدُ، كثر الله في المسلمين أمثاله، المطلعَ على «رسالته» عن المراجعة لما عساهُ أن لا يطلع عليه، لعدم الموادِّ التي نقلَ عنها هذا الحبرُ، فقد طلعَتْ هذه «الرسالة» في سماء التحقيق بدراً منيراً، ليس عليه غبارٌ، ولا يدركه المحاق».

***

وقد توفي الشيخ عبد الرحمن باشيخ في حدود سنة ١٣٤٠.

وأما ابنه: أحمد بن عبد الرحمن. فإنه كان مستقيمَ السيرة والعقيدة، سهْلَ

الخلق، شدَا طرفاً من العلم، وجعلناه مراقباً لدَينا في رباط العلم الشريف بقيدون، سنيناً، ثم رجع إلى شئونه الخاصة بعد وفاةِ والده، وما زالت صلاتنا به حسنةً، إلى أن توفي في شهر ذي الحجة من سنة ١٣٥٩، بالوَهْط.

وترك ابناً نجيباً اسمُه: [عبد الرحمن][1]، قيلَ لي: إنه صار أستاذاً في مدرسة الشيخ المرحوم محمد بن عمر بازَرْعة، بعدَن، بارك الله فيه، وعمر به منزلهم وبإخوانه.

ومن علماء آل باشيخ: الشيخ عبد الله باشيخ، ذكره سيدي الجدّ، ولم أجد له ترجمةً.

عَودٌ إلى الوصْفِ

ثم تأتي بالجانب الشرقي: خسُوفِر، بضمتين فسكون فكسر الفاء. وبها: آل بَغْلف، بفتح الباء وسكون الغين وفتح اللام، ولعله أصله: أبا الأغْلَف، فخُفِّف. الباتياه، والبامانع، وباسنبل.

ثم: حصن الـجَبُوب، بفتح الجيم فضم الباء. وفيه: القُثَم.

و: قويرة الخزَب، أي: الخزَف. فيها: آل بامَليح بفتح فسكون. والبامعوضة، وآل باحمدَين، وآل سنبل، وآل باشماخ، وبن حميد، كلاهما بالجانب الشرقي. وبالجانب القبلي: البرشة، بفتح الباء وسكون الراء، لبن خالد العمودي، وفيها بادحيدوح.

[غيل بلخير]

ثم: غَيلُ بلْخَير، لآل بلْخَير، مشايخُ كان فيهم أهل علمٍ وصَلاحٍ ونسكٍ.

---

(١) في الأصل: حسين. وهو سبق قلم، وما أثبت هو الصواب. (مصحح).

منهم: الشيخ الصالح الناسك، أحمد/ بن عبد الله بلخير، كان من أهل الإقبال [/١٥٩] على العمل الصالح، له اتصال تام بالحبيب أحمد بن عبد الله البار، وشيخنا، وهو من طبقتهم. و: الشيخ محمد بن سالم بلخير، كان ذا فقهٍ وصلاحٍ، وغيرةٍ حسنة. صحبَ شيخَنا، وأخذ عنه، وتردد عليه، وجمع شيئاً من كلامه. و: الشيخ محمد بن محمد بن حسن بلخير، حفظ القرآنَ، و«الإرشَاد»، و«الألفيّة»، وطلب العلم ببلده، وبمصر بالجامع الأزهر. وكان فقيهاً نحوياً، يتردد إلى سنغفُورة، ويقوم فيها ببعض الدروس.

وابنه: محمد بن محمد بن محمد، حفظ القرآنَ، وطلب العلم عند أبيه، واعتنى به.

و: الشيخ محمد بن عمر، طلب العلم بمكة، وأخذ عن مفتي الشافعية، السيد أحمد زيني دحلان، وكان من جملة من أرسلهم للدعوَة إلى الله إلى جبال الحجاز وبواديها، وكان يحفظ غرائبَ عن قبيلة بني فَهْم، وفصاحتهم، وبقاءِ شيء من الإعراب في كلامهم. ومنهم غير هؤلاء.

* * *

ثم: ظاهر. فيه البابطين، والبازيع، والبانوير. وهو بالجانب القبلي، وهم من نوَّح.

ثم: عرض باسويد. فيه: آل باسويد.

ثم: مطرُوح. فيه: المشايخ آل باجمال، والقُشَم، وآل عفيف، وباسويد، وباجنيد، وبانبيه، وباوادي، والحدَد.

[الجبيل]

ثم: الـجُبَيل؛ بالجانب القبلي. وفيه من السادة الأشراف: آل الحداد، وآل الشيخ بو بكر، وآل جمل الليل. ومن غيرهم: آل بابحير، وآل باجنيد، وآل بافنَع، وآل معُوظَة،

وآل باقَـضُوض، والبَـصْفَر، والباجَـنـدُوح، والبـاعراقي، وآل بابريجة، وعندهم شعب نُمَير، بضم ففتح. ولهم غَيل يسمى مأنَاة، باسم أحد القدماء.

ومن الفقهاء الذين كانوا به: الشيخ أحمد بن علي بابحير، له «فتاوى»، في مجلد، أكثرُها يتعلق بأحكام العُهْدة. وقد وقفتُ على «إجازة» منه للشيخ بو بكر بن عمر بن عمر بن محمد بن علي بن أبي بكر بن عبد الرحيم بن أبي بكر بن عثمان بن عمر بن محمد بن الشيخ الكبير سعيد بن عيسى العمودي، وهو جد العلامة الصوفي الصالح عبد الله بن عثمان بن أبي بكر، تلميذ الإمام الحبيب عبد الله بن علوي الحداد، ذكر فيها مشايخَه، وهي مع كتبي ببلدي قيدون، وليست حاضرةً عند تبييض هذا التاريخ.

[قارة بافنَعْ]

وشرقي الجبيل: قارة بافَـنَع، وهي أقربُ إلى ضمير سَاقية بُضَه، بنَى عليها عبد الله بافنَعْ مصْنَعة، ثم خرِبتْ. وكان عبد الله المذكور قد اكتسبَ مالاً بالهند، فسمت نفسُه إلى الإمارة، ثم تشتت ثروتُه، وضعف أمرُه.

ثم: حصْن باعَبد الصَّمد. به: السادة الأشراف آل خرد، وآل باشَويَه.

[بُضَة]

ثم: بضة؛ التي نقلت إليها زاوية الشيخ العمودي ،كانت أولاً بقيدون، وكان أول من نقلها الشيخ عثمان بن أحمد (ويعرف بأحمد الأخير، للتميز بينه وبين جدّه) بن محمد بن عثمان بن أحمد (القديم) بن محمد بن عثمان بن عمر (ويعرف بمَولَى خَضَم) بن محمد بن الشيخ الكبير سعيد بن عيسى. وكانت الزاوية قبل ذلك بقيدون، وكان والياً عليها الشيخُ العَلامة، الصالح الشهير، عمر بن أحمد، أخوه. ثم جرَتْ أمور ألجأت الشيخَ عمر إلى التخلّي عنها، ووليها بعده أخوه عثمان المذكور.

وقال السيد الشريف، الحبر العلامة، المؤرخ الصوفي، محيي الدين، عبد القادر ابن شيخ بن عبد الله العيدروس، في «النور السافر عن أخبار أهل القرن العاشر»، في ترجمته [ص ٣٦١]: «وحُكيَ: أن الشيخ عمر، رضي الله عنه، بلغَ رتبة القطبية. وكان قد ولي المشيخة ببلاده قيدون بعد أبيه، على طريقة سلفه، فلما آل الأمر في ذلك إلى سفك الدماءِ ونحوه، ورجُوع تلك المرتبة إلى قوانين المُلْكِ، تركَ ذلك، وعزل نفسه، زهداً فيها، ورغبةً فيما عندَ الله من الثواب. وكان في زمنه يسوسُ الخلقَ إلى قوانين الشرع الشريف، ولا يحابي في الحق القويَّ على الضعيف، فكرهته العامة لذلك، وعزموا على أن يقتلوه، ويولوا مكانه أخاه عثمان، فأخبره بذلك، فقال: ما يحتاج إلى هذا، وتركهم وما يريدون. وعزمَ إلى مكة المشرفة، فلما قفلَ منها، ماتَ بالقُنفُذة، وقبرُه بها مشهورٌ، وعليه بناءٌ عظيم، رحمه الله تعالى». اهـ.

وأما الشيخ العلامة محمد سِرَاج باجمَّال، في كتابه «الدر الفاخر في تراجم أهل القرن العاشر» [ص١١٨-١٩٩]، فإنه ذكر كلاماً في ترجمة الشيخ عثمان، تحدّث به: أنه أخذ مدةً يتردد في عزل أخيه، وخرج إلى حضرموت للزيارة والاستشارة، وأن القائمين مع الشيخِ عثمان على الشيخ عمر: هم بقية آل العمودي، من حملَة السلاح. وأما «تاريخ» السيد الشريف، أحمد/ شنبل، فليس فيه ذكرٌ لشيء من ذلكَ، [١/ ١٦٠] ولم يتعرض لذلك أبو سَنْجَلة. ولكن ذكر الشيخُ سالم بن حميد [١/ ١٧٠]، فيما نقله عن «تاريخ» السيد الشريف الطيب بافقيه، العلوي الحسيني الشحري [ص ١٩٨]، في حوادث شهر شعبان سنة ٩٣٧، قوله: «وفي الثاني والعشرين من شهر شعبان: خلع الشيخ عمر بن الشيخ أحمد العمودي نفسَه من ولاية الحصون التي تحتَ نظره، منها: صيف، وبضه. وتولى عِوضَه أخوه عثمان ذلكَ، بعد أن ظهر من عثمانَ تشويشٌ وتعصيبٌ على أخيه عمر، وهو الذي أفضَى بالشيخ عمر إلى الانخلاعِ».

ومما تقدم؛ يُفهَم أن بعضاً من آل العموديّ قد عاد إلى حمل السلاحِ بعد الشيخ سعيد بن عيسى، ولم يبقَ كلُّهم على طريقة المتصوفة والفقهاء، وإنهم كانت لهم حصونٌ، منها: صيف، وبضَه. والظاهر؛ إن الحصنَ الذي لهم بصِيْف، هو حصنٌ بقَرْن غشَام، لا حصن صيف نفسِها، لأنه كان لواليها ذي الحمار، وإن هذه الحصون تحتَ ولاية المقدَّم منهم لولاية الزاوية، وهو يجعل فيها حرساً من البادية فيما يظهر. وربما أن حصُونَهم هذه كانت محترمةً، فلا يتعرض لها السلاطينُ ولا البوادي.

وقد ذُكِر عن الشيخ عمر بن أحمد: أنه شفع عند السلطان بدْر في بعض وقائعَ. وإنما صارح آل العمودي السلطانَ بدر بالخصومة والحرب، بعد انخلاعِ الشيخ عمر عن المقام، وليس في التاريخ ذكرٌ لوجود حصونٍ لهم من قبل، ولم يذكر أحدٌ من أهله أنهم أغارُوا عليها، أو بنوها من بعد، مع أنهم على قاعِدة الفقهاء وأهل التصوف.

والذي يتبادر إلى الفهم: أنها بقيةٌ مما تركه الشيخ عبد الله بن محمد بن عثمان ابن محمد بن عثمان بن محمد بن عمر مولَى خَضَم بن محمد بن الشيخ سعيد بن عيسى، وهو المعروف بالذَّماري (ظهر لنا بالسَّبْر: أن سلسلةَ نسبِه على ما ذكَرْنا). وكان قد استولى على الأيمن جميعِه، سنة ٨٣٦، ثم ثار عليه أهلُ دوعن، وكرهُوه، لإقامته الشريعةَ، ومحوه البدعةَ، فاستقدموا فارسَ بن سليمان، وقبائله، فحاربوه حتى أخرجوه سنة ٨٣٨، وهاجر هو إلى ذمَار، وتوفي بها سنة ٨٤٠، ذكر ذلك السيدُ الشريف أحمد شنبل العلوي في «تاريخه» [ص ١٧٥].

ويحتمَلُ: أن تكون تلك الحصونُ مع بضَه، وحصن صِيف، كانت إرثاً من أجدادهم السابقين قبلَ الشيخ سعيد، أو من قبيلته، لأنه من البعيد أن يقومَ أولئك الصوفيةُ أهل التبتل للعبادة والنسكِ بالاستيلاء على الحصون، وإخراج أهلها منها.

وقوله في «النور السافر» في ترجمة الشيخ عبد الرحمن بن عمر بن أحمد ووالده [ص ٣٦١]: «وكان صاحبُ الترجمة وأبوه هذا، يكرَهان ما يفعله بنو عمِّهم من حمل السلاح ونحوه، وكانا ينكرانِ عليهم أشدَّ الإنكار». يظهر أن المراد ببني عمهم: عشيرة الشيخ عبد الله الذّماري، أو آل أبي بكر بن عثمان بن عمر بن مولَى خضَم وحدهم، أو مع غيرهم من بقية آل العمودي.

وقد كان الشيخ الكبير سعيدُ بن عيسى يتردّد إلى الوادي الأيسر، وإلى الدُّوفَة، وله مسجدٌ بها مشهورٌ، باقٍ إلى الآن، ويقال: إنه على بناء الشيخ، ولعله قد جُدِّد من بعده، والله أعلم. حتى أنه توفي بالدُّوفَة، ونُقل إلى قيدون، فدفن فيها. كما أن حفيده؛ الشيخ عمر بن محمد بن سعيد، مولَى خضم، توفي في حياة جدّه الشيخ سعيد، ودفن بأعلى وادي الأيسر، مما يدل على أنه كان قد سكن هناك في قريةٍ أو حصن، وأن الشيخ سعيد ومن اتصلَ به كانوا يترددون إلى الدُّوفَة، والوادي الأيسر، ولا يخافون سطْوَة الخوارج الإباضية، مع المخالفة الشديدة بينهم في المذهب. أما في الوادي الأيمن: فقد بقوا إلى زمَن الشيخ عبد الله العمودي الذِّماري، المذكور آنفاً.

وغَيلُ مِراهْ، المشهور بحنكة الوادي الأيسر، ينسب إلى الشيخ أبي بكر بن عثمان بن عمر مولَى خَضَم، وهو الذي أخرجَه وعمره، وهذا أمر مشهورٌ مستفيضٌ متواترٌ بين الناس من أهل ذلك الوادي، وبقيت لذريته أملاكٌ، حتى إن الشيخ العلامة الصوفي الصالح عبد الله بن عثمان العمودي، تلميذ الحبيب عبد الله الحداد، كانت له أملاكٌ بذلك الغيل، وله هناك مسجدٌ، ورأيتُ في بعض الكتب التي كان نسخَها ابنُه العلامة العامل، الشيخ سعيد بن عبد الله: أنه قابلَها في ذلك المسجد مع بعض فضلاءِ قومه. والشيخ عبد الله المذكور، من ذرية الشيخ أبي بكر بن عثمان. ولعل غيول جِيْح، بجانب الدُّوفة، مما أخرجها كلَّها أو بعضَها الشيخُ سعيد أو بعضُ أحفاده، كما هو

مشهورٌ عنهم إخراجُ غيلِ البُوَيرِدةْ بشِعب قيدون، وغيلٍ قريب من بلد صُبَيخ، وغيل مِيِنهْ.

وقد كان الشيخ محمد بن محمد بامعبد الدَّوعني، الذي تنسب إليه عَين بامعبد، له يدٌ في/ إخراج الغُيول، كما هو مذكورٌ في ترجمته. وهذا يشبه ما ذكرَه [/١٦١] المحدِّثون في ترجمة عبد الله بن عامر بن كُرَيز: أنه ولد على عهد النبيِّ ﷺ وأتيَ به إليه وهو صغيرٌ، فقال: «هذا أشبهنا»، وجعل يتفلُ عليه ويعوِّذُه، فجعل يبتلع ريقَ النبيِّ ﷺ، فقال النبيُّ ﷺ: «إنه لمسْقِيٌّ» [«المستدرك» ٤/ ٧٨]، وكان لا يعالجُ أرضاً إلا ظهرَ له الماءُ، حكاهُ ابن عبد البرّ [«الاستيعاب» ٣/ ٩٣٢].

على أن نِحْلةَ الخوارج عادَتْ إلى الظهور في بلدة الدُّوفَة وغيرها من بلدان الوادي الأيسر، جاءوا بها من جاوَة (كفَى الله الأمةَ شرُورَهم، آمين)، كما وعدها ذلك على لسان نبيه محمد ﷺ: أنهم «لا يزالون يخرجون في الأمة قرناً بعد قرنٍ، كُلَّما خرجَ قرنٌ منهم»، أي: من الخوارج، «قُطِعَ»، أي: دُمِّر من أصلِه، «وأُهْلِكَ»، كرَّر ذلك ﷺ نحوَ عشرين مرةً، «حتَّى يخرُجَ آخرُ قرنٍ منهَا مع المسيحِ الدجال» [ابن ماجه: ١٧٤].

وأهلُ العلم يتخوّفون أن يكونوا هؤلاء الخوارجُ الذين ظهروا في جاوةَ وحضرموت هُم قرنُ الخوارجِ الأخير، الذي يكون معه، لتقاربِ الأمور، واضطراب الأحوال، وعموم الحروب العظيمةِ التي يغلُب على الظن أنها أوائلُ الحروبِ والملاحم التي تكون قبل خروجِ الدجّال، على أن بعضهم قد تبعَ مسيح الهندِ بعد أن صار خارجيًا، ولكن مسيح الهند ليس هو الدجَّال الأكبر الأخير، والدجالون الذين يخرجون قبلَ الساعة كثير عدَدُهم، فنسأل الله أن يحفظَنا وجميعَ أمة محمد ﷺ من شرُور الخوارجِ والدجَّالين، وفتنَتِهم، وشُبَهِهم، وشكوكهم، وأن يثبّتنا على الإيمان والإسلام، ربنا لا تزغْ قلوبنا بعدَ إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

❊ ❊ ❊

ولم نقفْ على اسم أولِ من تولى حضْنَ بضَه المذكور آنفاً، والذي صار بعد ذلك مقرًّا للزاوية، ولا على ترتيب الولاة، إلا الذين بعدَ الشيخ عثمان بن أحمد. ولكنَّ السيد الشريف أحمد شنبل قال في «تاريخه» في حوادث سنة ٨٦٥ [ص ١٩٠]: «وفيها: توفي الشيخ صاحب بضة، أبو بكر بن عبد القادر بن سعيد أبا عيسى»، اهـ.

وكان آل العمودي يعرَفُون في الزمن القديم بآل أبا عيسى. فبين أبي بكر هذا، وبين خروج وادي دَوعن من يد الشيخ عبد الله الذَّماري: سبعةٌ وعشرون سنةً. وبينه وبين ولاية الشيخِ عثمان بن أحمد، بعد خلع الشيخ عمر أخيه، ونقل الزاوية إلى بضه: نحوُ ٧٢ سنةً. والله أعلم كيف كان الحال، فإن تاريخَ الجهة الدوعنية، وولاتها، وحوادثها، وفقهائها، وصلحائها، قد أهمل إهمالاً غريباً. وقد تنكر الحال بينه وبين السلطان بدْر بعد ذلك بمدةٍ يسيرةٍ، وأخذ يستولي على القرَى المضافة إلى مملكة السلطان بدْر، ودامت الحروب والمكايدة بينهم إلى خروجِ جنود الإمام المتوكل على الله إسماعيل، في سنة ١٠٧٠.

ثم لما وقع الخلافُ بين الحكومة الكثيرية وعسكَرِها من يافع، وجاذبوهم الحبلَ، أخذ العموديُّ يساعدهم على إعادة الأمنِ، وقمع سَوْرة العسكر، ولما اختلفوا أخذَ يساعد بعضَهم على بعضٍ، تبعاً لبُعده عن العسكر، أو اجتماعه معهم، وسيأتي ذكر ذلك مفرَّقاً أثناء تاريخ السنين، إن شاء الله تعالى.

* * *

وبِضَه؛ بكسر الباء وفتح الضاد، ومنهم من يجعلها ظاءً مُشالةً، وعلى كلٍّ: فيظهر أنه مرتجلٌ، أو من ألفاظِ اللغة الحضرمية القديمة، إذ لا يتبينُ له اشتقاقٌ. وقد يقال: إنه اشتُقّ من بَضِّ الماءُ، إذا خرج قليلاً ثم خفف، فإن بها عين يستقون منها،

ولا تكفي إلا بعض أهل البلد. والبلد واقعةٌ في عَرْض جبلٍ يستقبلُ الشمالَ، مجرى الوادي يمُرّ وادي دوعن شرقيَّه، ومفضَى وادي صَر من غربيِّه.

***

[وُلاة بضة]

وأما وُلاتها؛ فليس عندنا نقلٌ بأسمائهم، والغالبُ: أنها بالوراثة، والوالي بها الآن: هو الشيخ عبد الله بن صالح بن عبد الله بن صالح بن محمد بن حسين بن محمد ابن مطهّر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عمر مولى خَضَم بن محمد، بن الشيخ الكبير، العارف بالله الشهير، سعيد بن عيسى بن أحمد العمودي. وهم بيتُ كرمٍ وضيافةٍ، وكانوا في القديم من بيوت العلم والصلاح، ولهم أخلاقٌ محمودة، وكانت بلدُ بضَه هذه ملجأً لمن أصيبَ/ بجَورٍ من سلاطينِ آل كثير، من الكُبَراء والضعفاء. [/ ١٦٢]

فقد أوَى إليها الشيخُ العارف بالله، معروف بن عبد الله باجمّال، مع أصحابه ومريديه، حين اتهمه السلطان بذر بالممالأَة عليه، وقصَده بالأذى. ولجأ إليها الحبيبُ السيد الشريف، ذو المظهر العظيم، والصيت الواسع، الحسينُ بن الشيخ العارف بالله، السيدِ الشريف، أبي بكر بن سالم، العلوي الحسيني. ولجأ إليها السيدُ الشريف، العالم الجليل الجواد، زين العابدين بن مصطفى العيدروس، العلوي الحسيني، سنة ١١١٨، بسبب تلكَ الحوادث المشئومةِ التي وقعت بحضرموت.

وكان ولاتها يكرمون من وفَد عليهم من هؤلاء، ويحترمونهم. فقد بلغَنا: أن الشيخ عثمان بن أحمد، والي بضَه، قام بنفقة الشيخ معروف ومريديه لما هاجَروا إلى بضه. فأطعَمهم في السنة الأولى: الدُّخن، وفي السنة الثانية: الذّرة. وفي السنة الثالثة: البر. فقال له في ذلك الشيخ معروف، فقال: إنا نريدُ أن نترقَّى في إكرامهم، لا أن ننزلَ، أو كما قال.

ولما ورد الحبيب الحسينُ بن أبي بكر، المتقدم ذكره، نزل في بيتٍ بها مدةً، ثم سافر إلى الحرمين في قصةٍ له طويلة. ثم جاء بعده: السيد الشريف، الفاضل الصالح، عمر بن عبد الله بن عمر بن عبد الرحمن بن عقيل بن الإمام عبد الرحمن السقاف، العلوي الحسيني، وهو جد أكثر السادة آل باعقيل، نزل بهذه الدار، وصاهر عند بعض آل العمودي، فذريته بها وبقيدون.

[قدوم الإمام الحداد إلى بضه]

ولما جاء الحبيب عبد الله الحداد لزيارة دوعن، ثم جاء إلى بضه، نزل عند السيد عمر المذكور، بالدار المذكورة، ذكر ذلك الشيخ العارف بالله محمد بن ياسين باقيس، في «نبذته» التي كتبها بالتماس من جدّنا الحبيب العالم العامل، طه بن عمر الحداد.

[نقلٌ عَزيزٌ عن «نبذة التراجم» لباقيس]

وقد استحسنتُ إيرادَ ما يتعلق منها ببلد بُضَه وبفضلاء المشايخ آل العمودي، وليس كل المذكورين فيها من أهل بضَه. وفي هذه «النبذة» التصريحُ بنسبهم على ما يقوله السادة الأشراف العلويون، وهو مخالفٌ لما يقوله المؤرخون، وسيأتي بسطُ القولينِ ومستنِدهما في بابه. قال: «قال (الحبيبُ عبد الله الحداد): فزرنا الشيخ العارف بالله معروف باجمال مُؤذّن، بضَرْفُون، ومَن في تربته، وطلعنا بضة، واجتمعنا فيها بكثيرٍ من أهل الفضلِ من آل العمودي، وغيرهم.

منهم: السيد عمر باعقيل باعلوي وزوجته الصالحة بنينة.

ومن آل العمودي: الشيخ عبد القادر، والشيخ مطهَّر، والشيخ عبد الرحمن، والشيخ سعيد، أولاد الشيخ الكبير الشهير عبد الله بن عبد الرحمن بُويِستّ، وهو والي منصب آل العمودي، أعني: الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن. وسُمّي بويستّ: لأن له

في كل يد ستُّ أصابع، لأنه شبيهٌ بعبد الله بن عبد الرحمن بن سيدنا أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، لأنه جدُّهم، وينسبون إليه، على ما ذكره بعضُ سادتنا آل أبي علوي، نفع الله بهم، في بعض مكاشفاته، ولا تكون إلا حقيقةً، لأن الكشْفَ الصادقَ إخبارٌ عن عينِ اليقين، وهو حقٌّ وصدقٌ، وقد أمر ﷺ بالأخْذِ بأقوال الصالحينَ، في الأثر المرويِّ عنه ﷺ، وهذا منه.

واجتمع به، فيها، حسين باعفيف، رجل معلمٌ للقرآن وحافظه، وحادِي مُجيد.

واجتمع بمولانا الحبيبِ من أهل الفضل من آل العمودي أيضاً: الشيخ الكبير، الزاهد الكريم المحتجب، محمد باعمر، الملقب الغزّالي، وكان على جانب كبير من الصلاحِ وتركِ الدنيا، والاحتفال بها، وكثير الإنفاق في وجوه الخير، مقصوداً بالزيارة، وقد اجتمع بالحبيب عمر العطاس، وأخذ عنه. سار له إلى بلده حريضة، وانتفع بـه، وله كـراماتٌ يحفظها أصحـابه والملازمون له، وله مكاشفـاتٌ بأشياء ستحدثُ فوُجِدت كما قالَ، رضي الله عنه. وقد ترجم له الفقيهُ النبيه الأجلّ، عمر ابن أحمد العمودي، ترجمةً مختصرةً، وذكر فيها أحواله وصفاتِه، رضي الله عنهما.

وممن اجتمع بالحبيب أيضاً من آل العمودي: الشيخ الصالح، عبد الرحمن باعثمان، وأخوه الصالح الشيخ عمر، وأخوه الشيخ الورع محمد، والد الفقيه عبد الله بامحمد، تلميذ مولانا الحبيب، والشيخ سعيد باعثمان، والد الشيخ الكبير، عبد الله ابن سعيد، تلميذ الحبيب أيضاً وغيره هؤلاء من صلحاء آل العمودي. وكذلك الشيخ الصالح، محب أهل البيت، والباذل لهم ماله وحالَه، محمد باعلي باحَشْوان.

ويقول الحبيب: حصَل لنا رَيَاض (أي: مكْثٌ بطُمَأنينة) في بضَه، وانتفع بنا ناسٌ كثير من أهلها، وانتفعنا بهم أيضاً.

وأما الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بوسِتّ: فلم يجتمع بالحبيب، ولا طلب الاجتماع به، ويقول: إني/ لستُ أهلاً للاجتماع بالحبيب عبد الله، ولا أقدر على [١٦٣/أ] مشاهدته. وذلك تواضعاً منه، مع جلالته، واعترافاً منه بمرتبة الحبيب وجلالة قدرِه، وعلو منزلته، فإنه لا يعرف الرجال إلا الرجال، ولا يعرف الولي إلا الولي.

وقد وقع هذا لكثير من الصالحين، لم يجتمعوا بعضهم ببعضٍ لمقاصد حسنةٍ، بل لفوائدَ رأوها في ذلك لأنفسهم خاصةً، أو لغيرهم عامةً. كما وقع للسيد العارف عمر بن عبد الرحمن العطاس (من) عَدم اجتماعه بالسيد الجليل أحمد حبشي، وقال: رأيتُ عليه شعاعاً من نور. وكذلك سيدي الحبيب العارف بالله، وجيه الدين، عبد الرحمن بن عمر البار، باعلوي، نفع الله به، لما زار تريم، لم يجتمع بالسيد الملامِتيّ، محمد بن أبي بكر العيدروس، نفع الله به. فقيل له في ذلك، فقال: هيبةً منه.

وهذا لا ينكره إلا من لا يعرف مقاصدَ أهل الله، نفع الله بهم، فإنهم، نفع الله بهم، أعطاهم الله بصائرَ يعرفون بها صوابَ ما يفعلون وما يتركون.

وأما الحبيبُ، فلم يطلب الاجتماعَ بالشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بوستّ، لكون الشيخ عبد الله نازلاً في الحصن، وكان عادةُ الحبيب لا يطلَعُ حصناً أبداً (أي: البتّة). وبلغنا: أن الشيخ عبد الله قال لبعض أولاده، وأظنه الشيخ عبد القادر: إن ذكرني الحبيبُ فسلم عليه، واطلب لي منه الدعاء. فلم يذكره الحبيبُ حتى رجعَ من الزيارة، وسار من بضَه قدْرَ ثلثِ يومٍ، قريباً من قيدون، والشيخ عبد القادر في صحبة الحبيبِ مودّعاً له إلى قيدون. فقال له الحبيب: كيف والدك يا عبد القادر؟ قال: بخيرٍ، يسلم عليكَ، ويطلب الدعاءَ منك. فقال الحبيب: وعليه وعليكَ السلامُ، لَو ذكرتَ لنا هذا ونحنُ في البلاد لاجتمعنا به، ولكن القلوبَ كافية، أو كلاماً نحو هذا.

والظاهر: أن نزول الحبيب في مدة إقامته في بضَه في بيت السيد عمر باعقيل، ويتردد عليه آل العمودي إلى بيت السيد عمر، وهو كذلك يتردد إلى بيوتِ آل العموديّ لأجل جبر وضيافة وتبركٍ بقدُومه، والتملي للثْمِ أياديه، وتقبيل ثرى أقدامه، وتراب مواطئه. وعقَد منهم الحبيبُ على بنتينِ صِغار، واحدة طلّقها صغيرة، والثانية أراد الدخولَ بها فماتت قبل الدخول، في عقد الحبيب، بعد مدة طويلة، لأن الحبيبَ نوى الدخول بها في حالٍ ثاني. **والحاصل**: أن الحبيب، نفع الله به، حصلت له محبةٌ كاملة صادقة عند آل العمودي أهْل بضَه خاصةً، وغيرهم عامة.

[الصلة بين السادة العلويين وآل العمودي]

وقد (كان) آل العمودي وسادتنا آل باعلوي متّحِدِينَ من سابق الزمان، ببركات اتصال سيدنا الفقيه، القطب الكبير الغوث، الشيخ الأكبر المقدَّم، جمال الدين، وبركة المسلمين، محمد بن علي علوي، والشيخ الكبير العارف بالله، سعيد ابن عيسى، حسًا ومعنى، نفع الله بهما.

وحصلت لآل العمودي خيراتٌ كثيرة مباركةٌ، ظاهرة وباطنة، وحصل لهم حسنُ عقيدةٍ أكيدة، ومصاهرة مؤبّدة لا تنقطع، لقوله ﷺ: «كل نسَبٍ وصِهْرٍ ينقطعُ يوم القيامة، إلا نسَبي وصِهْري» [«مسند أحمد»: ٣١/٢٥٨]، الحديثَ أو معناه.

وحصلت لهم منه اقتباساتٌ من علومه، واستمداداتٌ من أسراره وفهومه، وأخذ عنه العلمَ الظاهر والباطنَ، شريعةً وطريقةً وحقيقةً وسلوكاً، غالبُ مشايخهم وصُلَحائهم وعلمائهم وصوفيتهم ودولتهم، بل ليسَ يذكَرُ عن واحدٍ منهم أنه أخذ عن غير الحبيبِ إلا نادراً، أو شيئاً من فن الفقه أخذوهُ عن فقهاء الجهة، حيثُ أن الحبيب لم يكن متظاهراً بالإقراء فيه، لكونه مشغولاً بما هو أهمّ، وبعلوم نافعةٍ مهمة عَزيزةٍ، لم يقُم بالتدريس لها وإظهار أسرارها والانتفاع بها وبيان مشكلاتها غيرُه، نفع الله به في الدنيا والآخرة.

[تلاميذ الإمام الحداد من آل العمودي]

ولنذكر جملةً ممن أخذَ عن الحبيب من آل العمودي، الذي علمنا به، أو عاصرناه، ونذكر ذلك على سبيلِ الاختصار جدًّا، ولو فصلنا وطوّلنا، لاحتاجَ إلى مجلدٍ، وفي ذكر القليلِ المبارك خيرٌ كثيرٌ لمن فَهم.

فممّن أخذ عن مولانا الحبيبِ من آل العمودي، وانتفع به، وليس منه خرقةَ الصوفية: الشيخ عبد القادر بن الشيخ عبد الرحمن أبوستّ، والد الشيخ يس الموجُود الآنَ. والشيخُ عبد القادر هذا رجلٌ صالح، عالم عامل، له اعتناءٌ بالعلمِ، خصوصاً علمُ الطريقِ، وقد صنّفَ فيه شيئا من الكتبِ، لازم الحبيبَ ملازمةً تامة مع أدب وافرٍ.

وكذلك الشيخ الولي الصالح، المشهور العابد، السائح في الجبال والبراري، يعبد الله من عند قَلْتٍ إلى عند قَلْتٍ، (القَلْتُ: هو الماء العِدُّ الدائمُ،/ يكون في رؤوسِ الأودية غالباً)، يتنقّل على عادة السياحين السابقين: الشيخ مطهّر بن عبد الله ابن عبد الرحمن، أخذ عن الحبيب أيضاً. [/١٦٤]

وكذلك أخذ عن الحبيب: الشيخُ الكبير الولي، الوالي لمنصب آل العمودي، المصلح فيما استرعاه، الناظر إلى رعيته بعين الشفقة والرحمة، لم تر رعيته في حال ولايته إلا كل خير وعافية، وأمان وسكون وبركات، رضي الله عنه، ورحمه رحمة الأبرار، الشيخُ سعيدُ بن عبد الله بن عبد الرحمن. أخذ هذا الشيخ سعيد عن سيدي الحبيب عبد الله، وألبسَه وولاّه هذا المنصبَ، وسيأتي سبب توليه إياه في ذكر زيارة سيدنا الحبيب الثانية إلى دوعن.

وممن أخذ عن سيدي الحبيب عبد الله، وانتفع به علماً وعملاً وحالاً وذوقاً وكشفاً واطلاعاً: الشيخ الأجل الأكمل، الفقيه الصوفي، العلامة العامل، العارف بالله، الجامع بين علم الشريعة، وسلوك الطريقة، وشهود الحقيقة، عامر الأوقات وحافظها،

والشحيح عليها أن تفوتَ في غير مرضاة الله، بقية السلف الصالح، ووارث علومهم، الشيخ المنيب الأواه، المثابر على رضا مولاه، في صباحه ومساه، بل في جميع أوقاته وأنفاسه، عبد الله بن عثمان العمودي، ساكن الدُّوفة، أطال الله بقاءه، ونفع به، آمين. أخذ عن سيدي الحبيب أخذا محققا علما وطريقة وتلقينا وإلباسا وتردد لزيارة تريم مرات كثيرة بنية صالحة وعقيدة أكيدة راسخة وقدم صدق وقرأ عليه وأجازه بالإقراء في علوم الشريعة والطريقة وفي التلقين وإلباس الخرقة نفع الله بهما.

وممن أخذ عن سيدي الحبيب عبد الله، نفع الله به، أيضاً، من آل العمودي: الفقيه النبيه، الحافظ المتقن، الناسك السالك، الشهيد بموت الغربة، الحافظ للقرآن، والملازم للتلاوة والأوراد، وإحياء الأوقات، بأنواع الطاعات، الفقيه عبد الله بن محمد بن عثمان». وهنا ذكر الشيخ محمد بن يس الشيخ عبد الله بن سعيد وقد قدمنا نقل ذلك عند ذكر بلد الرباط.

ثم قال: «ومنهم: الفقيه الصالح، محب السادة، الفاني في محبتهم، الباذل ماله وحاله في خدمتهم، اللطيف النظيف العفيف، الفقيه الورع المتقشف، عبد الله بن عبد الرحمن باطَويل. ساكن صُبَيخ، بوادي الأيسر. كان هذا الفقيه رجلاً عاقلاً، عالماً عاملاً، عارفاً بالله، محبًّا للسادة آل علوي، ومقصداً لهم، ينزلون بيتَه، ويكرمهم غاية الإكرام، ويقوم بخدمتهم أتم القيام. ومن جملة محبته لهم، يقول: لو أراد واحدٌ من آل باعلوي أن يسوِّدني ويبيعَني، امتثلتُ له. وذلك عن صدقٍ منه. وكان عالماً عاملاً، حافظاً للقرآن، عامراً أوقاته بأنواع الخير، وباذلاً نفسه في نفع المسلمين.

أخذَ هذا الفقيه عن سيدي الحبيب، ولقنه الذكر، وألبسه الخرقة، أعني القُبْعَ المعروف، ولم يطلب من الحبيب شيئاً من اللباس استصغاراً لنفسِه. حتى قال له الحبيب: قد أعطيناكَ شيئاً من لباسنا يا فقيه عبد الله! قال: لا. قال: ولم لا تطلبُ ذلك

منّا؟ أو استحيتَ أن تطلب ذلك منّا؟ وقال له الحبيب: لا يمنعك الحياء عن طلب الفضائل، فإن ذلك ليس بحياءٍ محمود، وإنما هو جبنٌ، لأن الحياءَ لا يأتي إلا بخيرٍ، كما في الحديثِ. فعند ذلك طلب من الحبيبِ، وأعطاه شيئاً من لباساته الشريفة، نفع الله به، ما أحسنه من معلّمٍ، وما أرحمه وأشفقه بأصحابه خاصةً، وبالناس عامةً، رضي الله عنه ونفع به آمين»[1].

ثم ذكر الشيخ محمد بن يس: الشيخَ عمر بن أحمد، وابنه أحمد بن عمر، وقد تقدم نقلُ ذلك عند ذكر بلد الرباط.

[الكلام على النسبة العمودية]

وأما ما ذكره الشيخ محمد بن يس، عن الحبيب عبد الله الحداد، عند ذكر الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله أبو ستّ، وانتساب آل العمودي إلى سيدنا أبي بكر الصديق، وقوله: «على ما ذكره بعض سادتنا آل أبي علوي نفع الله بهم»، فمراده بالبعضِ المذكور: السيدُ الشريف، أستاذ الفقهاء والمتكلمين، وإمام الزهاد الورعين، أحد الأولياء المعتقدين، عبد الرحمن بن علي بن أبي بكر السكران بن عبد الرحمن السقاف. له كتابٌ فيه «الوقائع التي وقعَت له في اليقظة والمنام»، وما بينهما وهي اطلاعاتٌ روحية، تتمثل لهم فيها المعاني والأرواح، ذكر فيه: أنه اجتمع بروح الشيخ الكبير/ سعيد بن عيسى، وسأله عن نسبه، فذكر له سلسلةَ نسبه إلى أبي بكر الصديق، [/١٦٥] رضي الله عنه. والقصة أطول مما ذكرنا، وقد رأيناها بقلم بعضِ أشياخ آل العمودي. وكان الشيخ سعيد بن الشيخ عبد الله بن عثمان العمودي، صاحب الدَّولة، يعتمد هذه النسبةَ، ويوصل نسبه بها.

---

[1] انتهى المنقول من نبذة الشيخ محمد بن ياسين باقيس. (مصحح).

وكذلك الشيخ عبد الرحمن بن عثمان بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان ابن أحمد الأخير بن محمد بن عثمان بن أحمد القديم بن محمد بن عثمان بن عمر ابن محمد بن الشيخ العارف سعيد بن عيسى العمودي. وهكذا كتبها على مصْحَفه: سعيدُ بن عيسى بن أحمد بن سعيد بن شعبان بن عيسى بن داود بن محمد بن أبي بكر ابن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الإمام أبي بكر الصديق.

وعقّبه بقوله: «منقولا من «مكاشفات» وجيه الدين، العارف بالله، عبد الرحمن ابن علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن السقاف». ونقل هذه الواقعة مبسوطةً غيرُه من آل العمودي. ومن معاصرينا: الفقيه الصالح، الشيخ عبد الله بن عمر بن عبد الله باجماح العمودي، في «المناقب» التي ألفها للشيخ سعيد بن عيسى العمودي. وقد بلغني: أن بعضَ الخلفِ الطالح، عاتبه، وحمله على حذفها منها.

وقوله في الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن: «وسُمّي أبو ست لأن له في كل يدٍ ستّ أصابع، لأنه شبيهٌ بعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق». اهـ. إنما أشار بِه إلى واقعة أخرى منقولة عن السيد الشريف عبد الرحمن بن علي المذكور. وهي مذكورة في «المناقب الكبرى في أحوال الشيخ سعيد»، وهي عزيزة الوجود، وقد بقيت منها بقيةٌ في بلد بضة، وفيها غرائب، وأهل حضرموت قد يستعملونَ لفظَة «أبو» بمعنى: «ذو»، أي: صاحب.

وقد نقل الشيخ عبد الرحمن بن عثمان، الآنف الذكر، تلك الواقعة، وكتبها في مصحفه، ومنه نقلتها، وهي: «وذكر الشريف عبد الرحمن بن علي: أن عبد الله ابن عبد الرحمن بن الإمام أبي بكر الصديق، كانت له ستّ أصابع، السادسة على صُورة الإبهام، تليها. وكان ذا فراسةٍ، وفهمٍ في الأمور، كان إذا دخل البلد لا يستطيع أحدٌ من أهل البلد أن يكذبَ، خشية أن يعرِفه، ويسمع كذبه بفراسته، وكان يقول

له والده عبد الرحمن: سيخرج من صلبك ولدٌ اسمه كاسمك، وصورته كصورتك، والله إني أنظرُ إلى أصبعه الزائدة تتحَرك عند حركتك، وتكون له فراسة كفراستك، وفهمٌ كفهمك، ووالله لولا أنه في غرّة كل موجود، ليس كمثله شيء، لقلتُ إنك هو، وهو أنت. وكان الشيخ محمد بن عمر باعفيف، يقول لشيخه الشيخ عبد الرحمن: يا سيدي، أهو قد ظهر؟ فيقول: لا. إلا أنه قريبُ الظهور». انتهى.

والحبيبُ السيد الشريف، عبد الرحمن بن علي، المنسوب إليه هذه الواقعة الكشفية الروحية، ولد سنة ٨٥٠، وتوفي سنة ٩٢٣. وقد تحققت بولادة الموعود به، الشيخ المعمّر، عبد الله بن عبد الرحمن المذكور، في أواخر القرن العاشر، وتوفي سنة ١٠٧٢ [(١)]. وكان له في كل يدٍ ستّ أصابع، الزائدة على صُورة الإبهام، تليها. وهذه الحكاية من أغرب ما يروى!

والشيخ عبد الرحمن بن عثمان بن عبد الرحمن، الذي نقلنا من «مُصْحَفه» هذه الحكايةَ، هو ابن أخ الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبو ستّ، أخذ عن الحبيب.

والشيخ محمد بن عمر باعفيف، هو من سكّان بضه، على ما أظن، ولا تزال لهم بقية بها.

* * *

وقد كاتبَ الشيخُ عبد الله أبو سِتّ، الحبيبَ عبد الله الحداد بعد ذلك، فأجابه، ووصّاه بالرعية خيراً، وبالبحث عن أحوال نوّابه في القرى، والتشديد على الرعيّة في إقامة الجمعة، وحذره من دعوة المظلوم. ولما زار الحبيب عبد الله الزيارةَ الثانية، سنة

---

(١) سيأتي النقل عن كتاب «النفثات الرحمانية» لبلفقيه: أنه توفي في ١٣ ربيع الأول سنة ١٠٧٥هـ. (مصحح).

١٠٧٤، كان الشيخ عبد الله قد توفي[1]! وحضر الحبيبُ ببلدهم، فأقام في منصبهم الشيخَ سعيد ابنَه، بعد المشاورة والرضى.

وهو، أعني الشيخ سعيد، هو الذي لقي الشريفَ الإمام أحمد بن الحسن، الملقب بسَيْل الليل، إلى الصَّدارة بحَجْر، ومرَّ معه بجيشِه على ريدة الدِّين، فشِعاب السوط، وقيدون، فشِعاب العَبْر، حتى نزلوا من باعقبة بالجِزْع، وانحدروا إلى الهجرين، فجنَّبهم عن واديي دوعن الأيسر، حتى لا تنال أهلَها معرّةُ الجيش. وكان ذلك والشيخ عبد الله أبو ستّ لا يزال حيًّا.

وبلغَنا: أنه مكث في الولاية خمسين سنةً، وكان عادلاً حازماً، منع البادية من رَعْي إبلهم في بطْن الوادي، فيقال: إن العلوبَ الموجودة به إنما نشأت وكبرت في زمنه، وكانت قبل ذلك معرّضةً للقطع والرّعي والتشذيب من البوادي، وإن الغيثَ والخصب استمرَّ مدة ولايته/ . [/١٦٦]

وترجَمهُ الإمام المسند، المحدث الصوفي الفقيه، السيد الشريف، عبد الله ابن أحمد بلفقيه، العلوي الحسيني، في شرح منظومته في العقائد المسماة «النفثات الرحمانية» [ص ٣٦٧]، عند ذكر مشايخه، فقال: «ومنهم: الشيخ الفاضل، المتبحّر الكامل، الوالي العادل، العالم الكبير، العلامة الشهير المعمَّر، الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن العمودي، نفع الله به. ألبسني الخرقةَ، وأذنَ لي إذناً مطلقاً في إلباسها، وأجاز لي بما تجوز له وعنه روايته، وكتبَ ذلك بخطه.

وكان وصول اللباس والإجازَة من بلد بضَه إلى بلدي تريم، يومَ السبت وأربع وعشرين من شهر جمادى الأولى، سنة ثنتين وسبعين، بتقديم السين، والألف، وتوفي ليلة السبت ثالث عشر ربيع الأول سنة خمسٍ وسبعين بعد الألف». انتهى.

وهو الذي ساعد جيشَ الإمام المتوكل على الله إسماعيل، حين أرسله لتأديب السلطان بدر بن عبد الله بن عمر بن بدر أبي طويرق بن عبد الله بن جعفر، وعلى ذلك الجيشِ الشريفَ أحمد بن الحسن بن القاسم، وقد صار إماماً بعد ذلك. وأرسل الشيخُ عبد الله ولدَه سعيدَ بن عبد الله إلى الصّدارة بحَجْر، فتلقاه، ومرَّ به في رَيدة الدّيْن، وشعاب قيدون والعبر، حتى خرج به في باعَقْبة، وهي عقبةٌ قبليَّ لبِهْ، بجَزْع الوادي، على مسافة ساعتين من الهجرين، إلى آخر ما سيأتي. ولذلك قام القاضي الحيمي بأمر الإمام وقائده بتقرير الحال بين الكثيري والعمودي، فيما يتنازعان عليه من قرى دوعن والأيسر، فتَمَّ للعمودي الاستيلاءُ عليهما بعد ذلكَ، وكَفَّ الكثيري عن منازعته في شيء منها.

وأما والده عبد الرحمن: فلم أر من تَرْجَمه.

وأما جدّه عبد الله بن عثمان: فقد ذكره السيدُ الشريف يوسف بن عابد الإدريسيُّ الحسني المغربي الفاسي، في «رحلته» الصغيرة، قال [ص ١١١]: «فدخلتُ بضَه، وأقمت عند الشيخ عبد الله بن عثمان بن أحمد، وجابرَني غايةَ المجابرة، وزوَّجني بنت الفقيه عبد الله با عفيف، اسمها مريم بنت عبد الله. وأقامني وأقامَها، إلى أن كتب الله رجُوعي إلى بيتي في حضرموت بأرض مَرْيَمة، وكانت تلك السنة حارةً في حضرموت، وهي سنة ستة وتسعين في القرن العاشر». انتهى. أي: سنة ٩٩٦.

ومن علمائها المعمَّرين:

عالي الإسناد، العالم الصالح، الشيخ عبد الله بن حسن العمودي، باطِيْرَان، أخذ عن مسند اليمن السيد عبد الرحمن بن سليمان الأهدل، توفي هذا الشيخُ في حدود سنة ١٣٣٠. وهو غير الشيخ العارف بالله، حسن بن عبد الله العمودي، صاحب الرّباط،

ذكرَه في «عقد اليواقيت» في (الجزء الأول) [١/٥١٩، ٥٥٣]، أخذ عنه الإمام الكبير، والعلم الشهير، العلامة الفقيه، الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، والمقاوم للظلم وأهله، السيدُ الشريف، الحبيب عبد الله بن عمر بن يحيى. وأحسب أن عندي شيئاً من ترجمة هذا الشيخ، ولكنها غير حاضرةٍ الآن، وقد سبق اعتذارنا عن فقد أمثالِ ذلك.

ومن المشار إليهم بالصلاح والنور، والمحبين لأهل البيت: الشيخ أحمد بن حسين، من آل محمد بن سعيد، أهل الدِّرْع.

[المناصب المتأخرين من آل العمودي]

وكان القائمَ بمنصب الزاوية: الشيخُ صالح بن عبد الله بن صالح بن محمد ابن حسين بن محمد بن مطهَّر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله. من أهل الخلُق الحسَن، والسخاء، والمحبة لأهل البيت، وقد توفي في حدود سنة ١٣٢٢.

وتولى بعده: ابنُه الشيخ عبد الله بن صالح. وقد بلغنا عنه أنه لم يزلْ على مذهب أهل السنة والجماعة، وطريقة سلفه، في مجانبة أهل البدع، مع شدة محاولة الخوارج والنواصِب لتغيير عقيدته، فما قدروا على صرفه عن طريقته، ولا إدخال كدَرٍ في عقيدته، ثبتنا الله جميعاً على الحق، وجعلنا من أهله في الدنيا والآخرة، آمين.

[الشيخ معروف باجمال]

ومن فضلاء بضه وصلحائها: العارف بالله، الصالح المشهور، الشيخ معروف ابن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد مؤذِّن بن عبد الله بن محمد بن أحمد جَمَّال، الصَّدِفي. ولد بشبام، ليلة الجمعة، حادي عشر شهر رمضان سنة ٨٩٣، وتوفي ليلة السبت، خامس عشر صفر سنة ٩٦٩، ببضَه، بعد أن هاجر إليها. أفردت ترجمته بالتصنيف. قال في «النور السافر» [ص ٣٧٠]: «وكان الشيخ معروف من المشايخ

المشهورين، والأساتذة الكبارِ المذكورينَ بتربية المريدين، وتخريج السالكين.

وكان ذا جاه عظيمٍ، وقبول عند الخاص والعام. وسبب خروجه من بلده إلى دوعان: أنه كان وُشيَ به إلى السلطان بدر الكثيري، في أشياء، منها: فرْطُ اعتقاد الناس فيه، وامتثالهم لأوامره ونواهيه! فأمر بنفيه من البلاد، بعد الإشهار بإهانتِه بين العباد/ ، [١٦٧/أ] فنودي عليه: هذا معبودكم يا أهل شبام. وجعل في عنقه حبلاً، وطاف به بين الأنام.

ومن غريب الاتفاق: أن السلطان أمر بعض أمرائه أن يتولى فعل ذلك منه بنفسه، وكان ذلك الشخصُ من معتقدي الشيخ المذكور، فتوقف لذلك، فأرسل إليه الشيخ معروفٌ قدَّس الله سره: أن افعلْ ما أمرْتَ به»، إلخ ما ساقه.

هكذا قال صاحب «النور». وقال غيره: إن السلطان بدر اتهمه بأمرٍ هو بريءٌ منه، بأنه يمالئُ عليه عليَّ بن عمر بن جعفر الكثيري، وكان قد خرج عليه. فانتقل الشيخُ إلى العقَّاد، قريب من شبام، ثم إلى بضه، فأكرمه صاحبها الشيخ عثمان بن أحمد، وأنفق عليه وعلى مريديه إلى أن توفي. وما نقص مقامُ الشيخ معروف بما فعله بدر، ولكن عدَّ ذلك من سيئات فاعله.

وكان من قدر الله: أن تلك البلدة التي آوَتِ الشيخ معروف، كانت هي البلدة التي قاومتْ السلطان بدر، وجاذبته الحبل حتى انتزعَتْ من يده قرى دوعن والأيسر، مع شدة صراعه، وتكرر تجهيزه عليها وحَصْرها، حتى قطعَ نخلها، وعاد يطلب الصلحَ من العمودي، والله ولي المتقين.

ومنهم: الفقيه الصوفي، الشيخ محمد بن عمر باجمال. وكان من جملة أصحاب الشيخ معروف باجمال، وواسطةَ سِلْكهم، والمشار إليه، ومعوَّلُ الشيخ معروفٍ عليه.

توفي ببضه، يوم الأحد، رابع عشر جمادى الأولى سنةَ ٩٦٥. ذكره في «النور السافر»، وباسنجله في «تاريخه» [ص ١١٠].

[الشيخ علي بن عمر باعفيف]

ومنهم، على ما سيأتي: العلامة الفقيه، الشيخ علي بن عمر باعفيف، وهو من أشياخ الفقيه عمر بن أبي بكر بانقيب. والغالب على الظن: أنه من آل باعفيف أهل بَضَهْ، كأخيه السابق ذكره، وهو الشيخ محمد بن عمر باعفيف، تلميذ وجيه الدين، السيد الشريف العارف بالله، عبد الرحمن بن علي بن أبي بكر ابن السقاف. وقد أخذ عن الفقيه عليٍّ المذكور: الفقيهُ عمر بن أبي بكر بانقيب.

وأما الفقيهُ أحمد بن سالم بانقيب، المتوفَّى بعدَن، سنة ٩١٠. فقد أخذ الفقه والحديث والتفسير عن الشيخ العلامة الإمام، محمد بن أحمد بافضل، وتصدَّر للفتوى والتدريس بعدَن، حتى توفي بها.

وفي دوعن: آل عفيف، وقد يقال: بَلْعَفيف، وهم مشهورونَ بالهجرين. وفي بضه وغيرها: آل باعفيف. فيتبادر إلى الفَهْم أنهم قبيلةٌ واحدة، ولكن أخلافَهم الآن يدَّعون أن آل باعَفيف غير آل بلْعَفيف، أو آل العفيف، والله أعلم بالحقيقة.

والشيخ عليٌّ، المذكورُ، مذكورٌ في إجازةِ الشيخ محمد باجَرْفيل للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بافَضل. فذكر: حصُولَ الإجازة له عن الفقيه محمد بن مسعود باشكيل، عن الفقيه عمر بن أبي بكر بانقيب، عن الفقيه علي بن عمر باعفيف، بسنده. وأحسب أن باعفيف المذكُور أخذ عن فقهاءِ العمُوديِّين، وربما كان له مشايخُ غيرهم، والله أعلم.

[السادة آل خرد في بضه]

ومن فضلائها، فضلاء السادة آل خرد العلويين الحسينين، وصلحائهم.

وخِرْد، بكسرتين: من أودية عَقْرون، وهو وادٍ يصبّ إلى وادي الأيسَر، وبه إلى الآن موضعٌ معروفٌ، محل متعبَّدٍ وخلوة، تنسب إلى جدِّهم السيد الشريف، علوي خرد بن محمد، توفي سنة ٨٧٠. كان كثير الاجتهاد في العبادات، في الجبال والخلوات والفلوات، أثنى عليه في كتاب «الغُرر».

وأما أول من نقلَ من أجدادهم من تريم، فهو: زينُ بن أبي بكر بن زين بن محمد ابن علي بن زين بن علي بن علوي خرد. ويظهر أن زيناً المذكور خرجَ من تريم في أيام فوضى العسكر، بعد سنة ١١١٧.

وفي تلك السنةِ وما قاربَها، كانت أكثر مهَاجرة من هاجرَ عنها من السادة الأشراف العلويين، وغيرهم، فإن والدَه توفِّي بتريم سنة ١١٠١، ونقلَ هو إلى هينن، ثم نقل ابنه عبد الله إلى الخريبة، وابنه محمد إلى مليبار، وله ذريةٌ هناك. واستقرَّ من بعدَهم ببُضَه، وهم أهل خمولٍ وفضلٍ، وصلاح وتعفّف.

ومنهم: السيد الشريف الجليل، المشهور بالصلاح، علوي بن سالم بن زين ابن أبي بكر. وكان من أهل التقشّف والنسك، حجّ ماشياً ثلاثين حجةً، ولم ينَمْ ليلاً خمسين سنةً. وأخباره مشهورة، توفي سنة ١٢٩٧، وعاش عمراً طويلاً، مئةً وخمسين سنةً، على ما قيلَ، وقيل: أقل. وأما ابنه: محمد بن علوي فقد عمر أيضا وقيل أنه بلغ أكثر من ١٢٥ سنة وهو من أهل السيرة والتعفف والخمول.

ومنهم: السيد الشريف، أحمد بن زين، المتقدم ذكره. كان من أهل الفضل والنسك، والعبادة والصلاح. وقد حكى لنا حفيدُه، شيخنا الحبيب، السيد الشريف،

[١٦٨/] العابد الذاكر، الصالح الناسك،/ عبدالرحمن بن محمد بن أحمد المذكور، أخباراً حسنة عنه. وكان هو، أعني الحبيبَ عبدالرحمن، من أهل الزهد والخمول والصلاح، والتجرد للعبادة وذكر الله. أدركَ الحبيب العارف بالله، والداعي إليه، الإمام الشهير، الحسن بن صالح البحر الجفري، العلوي الحسيني، وأخذ أخذاً تاماً عن الحبيب العارف بالله، أبي بكر بن عبدالله العطاس، العلوي الحسيني. وطلب العلم في الخريبة، فأخذ عن الشيخ محمد بن عبدالله باسودان، وأخذ عن والده، وجده، والسيد الشريف أبي بكر بن حسين خرِد، والسيد الشريف علوي بن سالم خرد. توفي ببلاد الماء سنة ١٣٣٧، وقد بلغَ التسعين أو نافَ عليها. وله حكاياتٌ عجيبة، وعنده انصرافٌ تام عن الناس، وغفلة عن شؤونهم، وإقبالٌ عجيب على العبادة والذكر، وأعمال الخير.

ومنهم: السيد الشريف، الحبيب زين بن أحمد المذكور. طلب العلم بالخريبة ومكة، وكان مستقيماً، له سمتٌ وإقبالٌ، وسيرة وصلاح، معتقدا عند الناس، عاملاً بعلمه، داعياً إلى الله، ناصحاً واعظاً. أخذنا عنه، وله مشاركة حسنة في الفقه والنحو والتصوف، توفي في أول العقدِ من سنة ١٣٣٠.

ومنهم: ابنه، أحمد بن زين. كان من أهل الفضل والصلاح، والسيرة الحسنة، على منهاج أبيه، ناشراً للتعليم ببلده، توفي ببضه في شهر المحرَّم سنة ١٣٥٢.

ومنهم: محمد بن شيخنا عبدالرحمن، المذكور آنفاً. حفظَ في شبيبته بعض المختصرات، وتعلق بطلب العلم، ومكث ببلاد كَلانْتَن من أرض الملايو مدةً طويلة، ثم رجع إلى بلده، وعاد، وتوفي بكلانتَن. وكان له ابن اسمُه: أحمد بن محمد، طلب العلم بتريم، وانتفع، وسافر إلى كلانتن للمطالبة بحظّه في تركه والده، ومكث بها مدةً، ثم توفي بها شابًا، في محرم الحرام سنة ١٣٥٢.

وبقي له أخ اسمه: عبد الرحمن، بتلك البلاد.

ومنهم: السيد الشريف، أبو بكر بن حسين بن محمد بن عبد الله بن زين. كان ببضَه، وهو من أهل الفضل والورع والنسك.

ولأجداد هؤلاء مناقبُ جمةٌ، عسى أن تأتي في موضع آخر.

[السادة آل العطاس في بضه]

ومن السادة آل العطاس، آل محمد بن حسين بن جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين بن الحبيب عمر العطاس، العلوي الحسيني: السيد الشريف، محمد ابن [حسين بن][1] الحبيب القدوة جعفر المذكور. كان من أهل الفضل والخير والتواضع، توفي ببضَه سنة ١٢٩٦.

وابنه: السيد الشريف، جعفر بن محمد. ترجمهُ في «الشجرة»، فقال: «كان شريفاً فاضلاً، ناسكاً فقيهاً، حسَن الأخلاق، له تعلقٌ بالعلماء والصلحاء». اهـ.

وله ذريةٌ صالحة، لهم سمتٌ وسيرة حسنة. منهم: كريم الأخلاق، عليّ. مكثَ مدّةً بالبَالي، من جزائر جاوة، ثم عاد إلى بلده، وتوفي بها سنة ١٣١٠هـ.

وأخوه: الحسين، له تعففٌ، وسيرةٌ، وخلقٌ.

وطلبَ العلم منهم: عبْدِ الله، بكسر الدال. و: عُمر[2]. وانتفعا، باركَ الله فيهم.

ولجدهم الحبيب جعفر بن محمد بن علي ترجمةٌ في (الجزء الثاني) من «عقد اليواقيت» [٢/ ٨٨٣]، سنذكر منها ما تيسّر عند ذكر بلدة صُبَيخ، بالوادي الأيسر.

---

(١) ما بين الأقواس لم يرد في الأصل، ولا يستقيم النسب إلا بإضافته. (مصحح).

(٢) عبد الله، وعمر، هما أبناء جعفر بن محمد بن حسين. وعلي المذكور قبلهما هو عمهما. (مصحح).

ومنهم: الفقيه الفاضل، محمد بن سالم. طلب العلم بمكة، فتفقّه، وعانى التجارة ببلاد آشي، ثم عاد إلى بلده، وبلغني أنه الآن قائمٌ بوظيفة القضاء.

ومنهم: السيد الشريف، حسين بن حامد بن عمر بن حامد بن محسن بن محمد ابن علي بن الحسين بن عمر العطاس. وهو من أهل الفضل والنسك، والسمت والصبر، والخلق الحسَن. صحب شيخنا القدوة، الإمام العارف بالله، الحبيب محمد ابن طاهر الحداد، سفراً وحضراً، وانتفع به. ولا يزال حيًّا إلى الآن، وقد بلغ عمراً.

وكان له أولادٌ، فقدموا على الله في سنَة الحمى العامّة، التي وقعت بوادي دوعن والأيسر، سنة ١٣٣٤، وسنة ١٣٣٥، فصبر واحتسب، ثم عوضه الله عنهم ذريةً أخرى، بارك الله فيهم.

***

وفي بضَه سكان مختلفة العشائر، لأنها كانت موضعَ أمنٍ وعدلٍ، أيام حركات القبائل الضنِّية، في السلطنة البدرية الطويريقية. ففيها من عشائر العموديين: آل مطهر، وآل محمد بن سعيد، ويعرفون بأهل الدِّرع، وآل الأعسم، وآل باطِيْران، وآل بايس، وآل أحمد بن محمد، آل بايوَنّي، نسبة إلى بلد يُوَن، وآل الحريبي، ونقل إليها بعد خروج القعيطي إلى دوعن بعضُ بيوت من آل العمودي آخرين.

ومن السادة الأشراف: آل خرد، وآل العطاس، ودار من آل باعقيل.

ومن غيرهم: آل باطرفي، وآل باوهّاب، وآل بُوجَير، وآل باعبدون، وآل المقدَّم، من القُثَم. وآل بن زَقْر، ومنهم في بلد الرباط. وآل باصلَيْب، وآل الذبياني، وآل حَـمُّوْه، بفتح فتشديد فسكون. والباشحَم (آل أبي الأشحَم)، والباعِشْرة، بكسر فسكون/ [١٦٩/] . وآل باعفيف، وآل باشويّه، وغيرهم.

***

عَودٌ إلى الوصف:

ويقابل بضَه من الجانب الشرقي: حصن القُفل، على قارةٍ، وهو لآل بن خالد العمودي. وبجانبه: شعب ظَرْفون، وفيه غيل ضعيف، يجتمع مع ماء المطر في جوابي هناكَ، ينتفع أهل بلد بضه بالسقي منها. وبسفح الشعب الجنوبي: مقبرة بضه، وبها ضريح الشيخِ العارف بالله، معروف باجمال.

وبغربي بضَه الجنوبي: يخرج وادي صَر، وله مجرى خاص، ويسقى منه جانبٌ من نخلها وجروبها، والجانب الآخر على وادي دوعن.

[بلاد الماء]

ثم تأتي بالجانب الغربي: بلاد الماء، ويقال لها بلاد الخرْشَع. والـخَرْشَع، بفتح فسكون ففتح، هو: الحجَر الرّخو، الذي يربُو عند مخارج العيون من الجبال. وهذه كلمة حضرميةٌ، ولم يذكر صاحب «القاموس» هذا المعنى، ولكنه قال: «الخرْشَعة: قُنّة صغيرة من الجبل، جمعُه: خرْشَع، وخراشِع». اهـ.

ويسيل إليها: ذَا مِلَه، بكسر الميم وفتح اللام، فهو مصدَّرٌ بـ«ذي»، كوادي (ذي عِبِه)، بكسر العين والباء، جنوبي قارة المحضار، به غيلٌ، وقد ساق السيد الشريف حسين بن حامد المحضار جانباً منه إلى جانب القويرة، فانتفع به أهلُها انتفاعاً عظيماً، وكانوا قبل ذلك في تعبٍ، يستقون الماء من داخلِ الوادي، وهو على مسافة، وقد فاتنا أن نذكر هذا في موضعه.

وببلاد الماء غيل يقال له: شَاجي ومَاجي! وأصلُ هذا الاسم قبلَ تحريفه: سَاجي وما أجي، لأن هذا الغيلَ يخرج من ثقْبٍ في الجبل، فقد يستمر جريانه السنةَ،

والأكثر والأقل، وقد ينقطع الصبح ويأتي عشيةً، وقد يأتي إليه من يريد الاستقاء وهو يجري، فيضع فم قربته تحتَه فينقطع فجأةً، ثم قد يجيء بعد ساعةٍ، أو يومٍ، أو أيامٍ، من غير ضابط. وقد ذكر ياقوت الحموي شبيهاً لذلك، وذكر أهل علم تقويم البلدان (الجغرافيا) والسياحون: نوافِر تكون في بلاد النرويج، بشمال الأرض، وهي مثل الآبار، يخرج منها الماء في بعض الأوقات مندفعاً إلى الجو علوًّا بقوةٍ وعنفٍ، كالمنارة، ثم يخمد، ثم يعودُ في أوقات غير محدودة.

وقد تديّر هذه القرية شيخُنا الحبيبُ عبد الرحمن بن محمد خرد، وقد سبق ذكره في بلد بضه مع عشيرته. وبها: السادة الأشراف آل بروم. وحاكمها: من آل محمد بن سعيد، آل القُحُوم. وبها من السكان: آل بن جَحْلان. وباشَرف، والباحميد، وبلَّزوف، بفتح فتشديد اللام الثلاث الأفخاذ من الحالكة. والباقازي، والباربَيْع، وغيرهم.

[خديش]

ثم قرية خِدَيش، بكسر ففتح فسكون. بها السادةُ الأشراف آل بروم، والباعطية، والباحطاب.

[قرن ماجد]

وبالجانب الشرقي: قرن ماجد. حاكمُها: القحوم، من آل محمد بن سعيد. ومن سكانها: البانوير، والباريَّان، بتشديد الياء.

[جدفرة خِدَيْش]

وتحت قرية خديش: جِذْفِرة خِدَيش. والجِذْفرة، بلغة أهل حضرموت: منبَسِطٌ من الأرض من الطين الحرِّ الصلب، وكانت دائرةً، فقام بعمارتها السيدُ

الشريف، أبو بكر بن حسين بن حامد المحضار، ابتدأ ذلك في عهد والده، واستمرَّ الآن في عمارتها، وأجرى لها ساقيةً حفرها وأنفق على ذلك نفقاتٍ جزيلةً، وسيكون منها مالٌ جزيل، ومزارع خصبةٌ، وحدائق نخل باسقة، فينتفع بها الناس: المالك، والعامل، والمزارع (وهو النِّشير بلغة حضرموت)، والفقراء والمساكين من زكاتها، والحيوانات من قصبها، والطير مما تلتقطه من حبوبها. ورحم الله القائل:

لقد غرَسُـوا حتـى أكَلْنـا وإنّنَا   لنغرِسُ حتى يأكلَ الناسُ بعدنا

فعمّر الله المعمِّرين، ودمر المدمرين.

* * *

ومجرى الوادي الأعظم يأتي شرقيَّ بضه ومزارعها ونخلها، ثم يستمر إلى الشمال، فيلتقي مع وادي صر، بعد مجاوزة أطيان بضه. وتأتي في الجانب الغربي: مزارع بلاد الماء. ثم بعد ذلك تأتي بالجانب الشرقي: ساقية القُرْحة، بضم فسكون. وهي تمتد نحو ساعة ونصف، وهي تسقي تلك الأطيان الشرقية إلى ما يقارب ملتقى الواديين، دوعن والأيسر، وليس في هذه المسافة قرّى.

وعند منتهى الجبل الفاصل بين الواديين، في جبهته المستقبلة للشمال: قارَتان، بهما خرائبُ، تسمى الصّدِف. وهذا الجَزْع من بلاد الماء إلى هذا الموضع، يقال له: جَزْعُ الصدِف. وهو اسم قبيلة تقدمَ ذكرها، وسيأتي أيضاً. والشعابُ التي بالجانب الشرقي فوق ساقية القُرْحة: تسمى المراوي. والمرواة/ بلغتهم: الشيء [/ ١٧٠] التافه، ومن كلامهم: وفيه توريةٌ بالشعاب المذكورة: المراوي ما تَسْقي القُرْحَة. وأما الشعاب التي بالجانب الغربي، بعدَ ذا مِله، ويقال تِـمْله، فهي: حاليل، يسيل هو وذامله إلى أطيان القُرْحة، وهم يقولون: أموالها، يسمون الطينَ مالاً. وحِجْل، أي:

حَقل بالعربية الفصيحة. ثم: المصَانع، والعرَقَة، بفتحتين. وشعب السيّد، والأوسط، وشُوَاطه. وبعده قرية كُوكِه، بضم فسكون فكسر. وهي للبلاغيث، وهم آل بابلْغَيث، فخذ من الحالكة، وبعد ذلك بقليل، يأتي بالجانب الشرقي: حصنٌ لهم، وهناك يجتمع ماء الواديين: دَوعن، والأيسر.

وانقضى الكلام على وادي دوعن.

[وديان وادي دوعن، الثلاثة]

ولكنّا نذكرُ هنا بياناً لا يخلو من فوائدَ، أدلى بها إلينا بعضُ الإخوان، قال: وادي دوعن يحتوي على ثلاثة وديان كبار، تصب فيه، غير الشعابِ الصغيرة.

[١] **وادي مَنْوَةْ**؛ مخرجُه شرقيَّ رباط باعشن، فروعُه تُقاسِم وادي عَقْرون، من أودية الوادي الأيسر، ولِبنة بازْشَيد، وهو أصغر شعاب دوعن. وباديتُه: من الزّي، وفخذٌ من القُتَم، يقال له: آل مِرْضَاح، وقسمٌ من قبائل السموح.

[٢] **وادي حَمُوضَهْ**؛ أكبر وديانِ دَوعن، مخرجه شرقيَّ قُرْحة باحميش. يقال: إن فيه ثلاثمئة وستين فَرْعَةً، (هذا من قبيل المبالغة في سعته، والصحيحُ: أن شُعَبه الكبيرةَ: سبعٌ)، وفروعه تُقاسِم رؤوسَ حَجْر، وصَيق السُّموح. وفي شعابه باديةٌ من نوَّح، والسموح. وفيه غياضٌ، وغَيل باحْكُوم.

[٣] وادي النَّبِي؛ الواقع قبليَّ قُرْحة باحميش. فروعُه مقاسمةٌ لشَراقي ريدة الديِّن، وحُسُر حَجْر (بضمتين، جمع حَسْر، وهي دكادكُ وجبالٌ متواضعة). وفيها: الموضع المسمى بالمجْرَى، لآل عمر بن سليمان، أفخذ من الديِّن، عزْوَتهم إلى كندَة، ويجمعهم: اسم اليَاس. وهم: باسويدان، وبابريره، نحو مائتي نفر. وشروجُهم

طيبةُ الطينةِ، صالحةٌ للزراعة. والبَاجُوف، والمحرقة، وبعض حصُونٍ يقال لها: الشّراقي. وعندَهم بعضُ مشايخ يقال لهم: الباعشن.

وبأسفل وادي النبي: شرجُ الغُوَيْل، بضم ففتح فسكون، للقُثَم، لباوَقّاش منهم، بتشديد القاف. وباديةُ وادي النبي أفخُذٌ من القُثَم، يجمعهم اسم: آل علي بامِسَلَّم، بكسر الميم ففتح فتشديد اللام المفتوحة، لا يزيدون على مئة نفْسٍ. وهم: باوقّاش، وبن جريد، وباست، وباجبير، وآل مبارك.

ووادي النّبي أقصَرُ أودية دوعن الثلاثة، ويجتمع مع وادي حموضة: ما بين القُرْحة، ورباط باعشن، وتجتمع الثلاثةُ تحتَ رباط باعشن.

* * *

الوادي الأيسر

الوادي الأيسر

يحتوي الوادي الأيسر على ثلاثة وديان كبار:

[١] وادي مِراهْ؛ بكسر الميم. وفروعه تقاسم حويرة، وحيبره، ووادي العين، من جانبه الجنوبي والشمالي. وفيه من الفروع الكبارِ خمسةٌ، أكبرهنّ: الزُّرُب، بضمتين. ثم شَظْي، بفتح فسكون. ثم شِرْهِيِه، بكسر فسكون فكسر الهاء والياء. ثم دِكِه، بكسرتين. ثم عَزْتَن، بفتح فسكون ففتح، والكل يصب في غيل مراه، وهو غيل كبير، فيه ماء كثير ونخل ومالٌ (أطيان)، عمَره الشيخ أبو بكر بن عثمان بن عمر مولى خَضَم بن محمد بن الشيخ سعيد بن عيسى العمودي. وإليه ينسب الشيخ العلامةُ الصوفي الفقيه، عبد الله بن عثمان العمودي، كما سيأتي رفع نسبه.

وهو للمشايخ آل العمودي: آل باموسى، وآل باعبود. ومخرجه عند الحيد الجزيل، وهو جبلٌ مرتفع عليه قرية للمشايخ آل محمد بن سعيد، وآل باموسى، وعندهم باصبَّان. وعسَلُ هذه القرية أجودُ العسل، له شهرةٌ عند أهل الخبرة.

والوادي المذكور يخلف ساقية مال الجزيل (أي: أطيانه). وهذا المالُ يقابل المقبرة التي بها الشيخ عمر مولى خَضَم. وخضَم: هو شعبٌ قريب المقبرة المذكورة، وهوبفتحَتين. وليس بوادي مِراهْ حصونٌ ولا شروج، وأكثر باديته من الحالكة وقد يحله أناس من الزي والحامديين في أوقات خاصةً.

[٢] وادي عَقْرون؛ بفتح فسكون فضم الراء. وهو غربي وادي مِرْاه. وفروعه تقاسمُ رؤوسَ وادي حَجْر، وأرض السّموح، وشروج البارْشَيد، من نوَّخ. ويقع بين وادي مِراهْ، ووادي مَنْوه.

ويحتوي على عدةٍ فروعٍ كبيرة تصبّ فيه. وهن: مِعْبِر، بكسر الميم والباء وسكون العين، بينهما. وتِغْبِرِه، بكسر فسكون فكسر الباء والراء. وخِرِد، بكسرتين. وظَلْهَم، بفتح فسكون ففتح. وله/ فروع صغار أخرى. [١٧١/]

وباديته: من الزّي الخامعة، والمراشدة، والحامديين، والسموح.

وفي فروعه شروجٌ قليلة للسمُوح، والزّي.

وفي باطن وادي عقرون: غياضٌ، بها ماء غزير، ونخل، وأطيان مفرّقةٌ بين القبائل وبين المشايخ آل العمودي آل باعبود، وغيرهم. وللسادة آل الجفري وآل العطاس، سكان حُوفْه. وللخامعة، والمراشدة، والحالكة، والسموح، والحامديين، والباراس. وثمرها كثيرٌ مشهور.

وسكانها، والقُوّام على حرْثها: من الحجُور، والصبيان. وأما مُلّاك المال فلا يأتون إلا وقت جدادِ الخريف، لأن تلك الغياضَ وخيمةٌ، وهواؤها غير جيدٍ.

وأسماء الغياض المذكورة: حُمْحَار، بضم فسكون. ومَعبر، وتَغْبره، والحارض، ومغماض. وبأسفل الوادي: شرج باصمد. سكانه من الحامديين. وفيه عقبتانِ إلى طريق المقَد، في معبر وتغبره، ويجتمع سيلُه مع سيل وادي مِرْاه بعد ضَمير مال الجزيل.

[٣] وادي حَنْبح؛ فروعه مقاسمةٌ لدِكِه، الذي يصب إلى مِراه، وشماليّه: يقاسمُ وادي غيضَة عين. وفي رأسِه: شرج حَنْبح، حوطة الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار، وبه علوبٌ كثيرة، وقفَها على البادية، وفيه مالٌ (أطيان) لآل صَافي السقاف، وآل الجفري، وآل باصرة، وللمشايخ آل العمودي، والحالكة أهل حُوفَه. وفي مخرجه خمسة غُيول، لأهل بلد الدُّوفة، بها نخل ومالٌ غير قليل. وهي: غيل حَنْبح، والكرسي، والسمرة، ورضُومه، واللومية.

ومخرج وادي حَيْح: عند قرية الدوفة. وإنما قدمنا ذكره هنا لمناسبةِ ذكر الأودية.

وفي وادي مِراهْ: الخليف، منازل للمشايخ الباعبود، وهم مشايخ الزِّي، والعكابرة، وبني حسن، لهم عندهم جاهة واحترام.

* * *

وإذا انحدرتَ من قرية الحيد: كان أمامَكَ المسجدُ، والدار، والجابية، التي أقيمت لزوار ضريح الشيخ عمر مولى خَضَم. وخلف ذلك: القبةُ المقامة على قبره. وعن يمينك: مَال الجزيل، ثم مجرى الوادي، وهو غير المجرى الذي يمر به سَيل وادي مِراهْ، فإن بينهما مالُ الجزيل. وفوق مجرى وادي مراه، عند منعطفه في الجبل: غارٌ فسيحٌ مضيء، مرتفعُ السقف، يقال له: وَبْره، بفتح فسكون. وهو من المواضع التي كان يتعبدُ بها سيدي الجد، ويمكثُ فيها أياماً.

[صورة قبر ينسب لأحد الأنبياء]

وهناك صورة قبرٍ، يقال: إنه قبر نبي. وهذه المواضعُ كالتي بوادي فَيْل، وفي ناحية بَوْر، وفي وادي عشْنَب، يوجد نظيرُها في البلاد الإسلاميةِ، كالمغرب، ومصر، وأكثرُها في الشام. ولا توجد أحاديثُ مرويةٌ في ذلك، ولا أخبار صحيحةٌ، وأكثر العلماءِ ينكر صحةَ ذلك.

وقد ذكر السيد الشريف، يوسف بن عابد الحسني، في «رحلته» [ص ٨٨]: أنه وصلَ في طريقه إلى قريةٍ فيها شباكٌ من حديد، وقال أهلُ هذه القرية: هذا قبرٌ قديم، ولرُبّما قالوا: هذا قبر النبي خالد بن سنان، الذي بعث لقومه بعد عيسى ابن مريم، على نبينا وعليهم الصلاة والسلام. ووقعت فيه مراجعة بيني وبين علماء المكان، إلى أن قلتُ لهم: إنني سمعتُ ممن أخذْنا عنهم العلمَ في مدينة فاس: أن الأنبياء عليهم السلام قبورُهم غير ظاهرةِ الأثر، إلا قبر نبينا محمد عليه الصلاة والسلام».

إلى آخر ما ذكره، وللحفاظ: ابن حجر، والسيوطي، وابن تيمية، في هذه المسئلة كلامٌ مشهور.

❊ ❊ ❊

ثم ينحدر مجرى الوادي في الجانب الغربي وبالجانب الشرقي نخل أهل بلد حوفه وساقية احجالهم وأطيانهم إلى آخر أطيان قرية ضري وعند رأس ساقيتهم وضميرهم مواضع واسعة فيها نخل جم.

[عرض آل بِلْحُمَر]

ثم يأتي: عَرْض البِلْحُمَر، من قبائل سَيبان. وفي بيتهمْ رئاسةُ الحالكة منهُم. وهو مستقبلٌ للشمالِ، وبينه وبين بلد حُوفَة: مَسيلُ شعب الصَّيْقة. وينزل فيها عقبةٌ إلى الوادي. وفي العَرْض: بيتٌ من السادة آل العطاس.

[حُوْفَه]

ثم: حُوفَهْ. في عَرْض الجبل، تتجه إلى الجنوب وإلى الغرب.

وفيها من السادة الأشراف: آل صافي، وآل الجفري، وآل باصرة. ومن المشايخ: آل باموسى. ومن غيرهم: الباحبَيْل، والبابقي، وآل بوزينة، وآل باشَاعر، وآل بن سُوَيد، وآل بامخيَّر، وآل بارُوَيح، وآل بامعلِّم، وآل بلخِرَم، بكسر الخاء وفتح الراء (آل أبي الأخرم) من الحالكة. والباطرفي، والباعَوض. وسيأتي ذكر من نقل منهم من قارَة الدّخان. وكان النفوذ قديماً في بلد حُوفه، على ما يقال: لقبيلةٍ تعرف بآل بامسعود، لا تزال منهم بقية بريْدَة الديِّن، وفي الأملاك مشترياتٌ منهم. ثم تولّاها برهةً: آل علي بن فارس، بمساعدة صاحب تَوْلبه، ثم صار أمرها لآل محمد ابن سعيد، وقد يعارضهم في ذلك بلْحُمَر.

[من أعلام حوفه]

وليس عندنا علم بفضلائها السابقين. **وقد** أدركنا من المشايخ آل باموسى أناساً أهلَ خيرٍ، وأخلاق حسنة. **ومنهم**: الفاضل الصالح، المستهتر بذكر الله، ذي النور/ اللائح، والعمل الرابح، الشيخ أحمد بن عبد الله مطْهُوش باموسى العمودي. [/ ١٧٢] كان من تلاميذ سيدي الجدّ، رحمه الله تعالى. **وكان** من أهل الفضل بها: السيد الشريف أحمد بن محمد بن أحمد بن صالح بن عبد الله بن عبد الرحمن مولى العرشة الجفري. **وابنه**: محمد بن أحمد، كان فاضلاً متفقهاً، ذا نسكٍ وسيرة حسنة، خطيباً بجامعها. **ومنهم**: السيد الشريف محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد المذكور في نسب من قبله كان فاضلا حاديا غيورا توفي سنة ١٣٥٢.

* * *

ويشرب أهل حوفه من ماءٍ يقال له: الـمِلِـح، بكسر الميم واللام. لملوحةٍ فيه، وهو كالبير القريبة، ينزل إليها بدرجٍ. ثم قام سيدي الجدّ في حفر بئرٍ تحت البلد، وأتم البناءَ عليها مع حوضِها، وتشييده بالنورة، وبنى بجانبه مصلّى. ثم وقع نزاعٌ من بعضِهم، فدعى الله فغَار ماؤُها، هكذا أخبرنَا أهلُ السن من المشايخ آل باموسى عن آبائهم. وبقيت ساحاتٌ لسيدي الجد، رحمه الله تعالى، بجانبه، بعناها فيما بعدُ لبعض المشايخ. ثم قام سيدي الجد في عمارة المطْرَة، وهي حوضٌ كبير، نحو أربعين مطيرةً، تسعةٌ وأربعون ذراعاً مربعاً، تمتلئ من السيل، وينتفعون بمائها مدّةً، وهي قريبٌ من البير بينهما الطريق.

[ضَرْي]

ثم تأتي بالجانبي الشرقي: قرية ضَرْي، بفتح فسكون. وبينها وبين حُوفة مسافةٌ

قصيرة. بها: آل الرباكي، وآل بالبيد، والباوزير، والباجيل، والباسلم، والبايماني، والبايسر، والباداود. ويظهر أن الإمارة فيها وفي تَوْلبه كانت لآل بايحيى. ويقال: آل بابقي. وهي قبيلة كانت ذات إمارة في دوعن والأيسر، ويقال: إن آل بايُسْر منهم. ثم حالَت بهم الأحوال، ودالت دولتهم، فهاجمهم بدر بوطُوَيرق، كما سيأتي.

وكان بها من العلماء: الفقيه المعمّر، العلامة أبو بكر بن أحمد باحميد، أخذ عنه سيدي الجدّ في الفقهِ وغيرِه. وهو أخذَ عن العلامة المتفنّن، الفقيه الصوفي الناسك، الشيخ سعيد بن عبد الله بن عثمان العمودي. وأخذ عنه أيضاً شيخُنا الإمام العارف بالله، الحبيب طاهر بن عمر الحداد.

ويحكَى: أنّ الحبيب أحمد بن محمد المحضار جاءَ مرةً إلى ضَرْي، وزار الشيخَ وهو في آخر عمره، وقد وهنَتْ قُواه، وظهر عليه الضّعف، فاستأذنه أن يقرأ عليه شيئاً يسيراً بقصد التبرك، فأذن له، فابتدأ كأنه يقرأ من الكتابِ، فقال: «**فَصلٌ**: في الخجَاعَة»! فحميَ الفقيهُ ونشِطَ، وجلسَ معتدلاً، وابتدأ يقرّر. فقال: نعم؛ وهي عشرةُ أقسامٍ، أحدها: اللينُ في الكلام، وهو عندنا، والتسعة الباقية عندكم يا أهل دَوْعن، وهي: كذا، وكذا. فعدّد تسعة أمورٍ مما يلامُ عليه أهل دَوعن، لا محلّ لذكرها. وبعد انقضاء هذا المزحِ، عاد الحبيبُ أحمد، فقرأ قراءةً صحيحةً؛ وكأنها أرادَ أن يثير همتَه بمَزْحه أولاً. **والخجاعة**: كلمةٌ حضرمية، محرفة عن الخجَاءَة، بالهمز. وهُم إنما يعنُونَ بها لينَ الكلامِ وفاحشَه، ولها معانٍ أخر، هم لا يقصدونها.

ومنهم: الشيخ حسن بايماني. كان فقيهاً عارفاً بعلم النحوِ، إلا أنه لا يقدر على استعماله عند قراءته في الكتبِ، لعدم تعويده نفسَه. وكان خيِّراً، حسَن الخلُق، بيننا وبينه معرفة ومودة رحمه الله تعالى.

[تَوْلَبه]

ثم: قرية تولَبه. وهي بسفح الجبل، تستقبل الشمالَ والشرق، وبجانبها شعبٌ. وفيه غيلٌ، يغرسون فيه بعض البقول. وفيها من السادة الأشراف: دارٌ من آل باعقيل السقاف. وولاتها: المشايخ آل محمد بن سعيد. ومن غيرهم: آل باقادر، وآل باقروان، وآل بايونس، وآل بازيد، وآل باحيدان، قبيلة واحدة. وآل بادعم، وغيرهم.

وكانت قرى ليسر في يد أمرائها من قبائلها الأولين، مثل: آل باعُوَيدين، وابن الدوفة، وبايسر، وبايحيى، والبافقيه آل بابقي. ثم ظهر آل علي بن فارس من آل عامر، وحاولوا الاستيلاء عليها، فاستولوا على عدة قرى، مثل حريضة، والخريبة، وصيف، ثم تولبه، في إبّان ظهور السلطان بدر أبي طويرق بالبنادق، ولم تكن معروفةً في البلاد الحضرمية، وأعانه الترك بخمسة وعشرين منهم.

فلما أخذ آل علي بن فارس آل عامر تَولبه وحوفه، في رمضان سنة ٩٣٥، بموالاةِ صاحب (لعله صاحبها) بايمين لهم، ونقضوا الصلح الذي بينهم وبين السلطان بدر، فعزم في أول شوال من الشحر إلى حضرموت، ثم إلى دوعن، وحصر تولبه حتى أذعن أهلها بتسليمها، وخرجوا منها على يد الشيخ عمر بن أحمد العمودي. وتسلمها السلطان، وبقي آل بايحيى على أموالهم بشفاعته.

ثم حصرها الشيخ عثمان بن أحمد العمودي سنة ٩٣٨، وأدرك السلطان بدر/ [١٧٣/أ] فأنقذها، وتوالت المغاورات بينهم بعد ذلك. ودخل فيها سليمان بن أبي بكر باهبري، وعبد الله بن علي بن الدوفة، كما سيأتي.

[فتنة الحالكة في دوعن]

وفي العهد الأخير، والى بعض آل محمد بن سعيد المقدّم عمر بخَمَد باصره،

والي القعيطي على دوعن، وترددوا إليه، ولكنهم لم يستقدموا عسكراً من عنده، وأغضوا النظر عن مداخلته في بعض دعاوي بين الأهالي، فكانوا يذهبون إليه إلى المصنعة. فامتعض لذلك المقدّم بلْحُمر، وهو رئيس الحالكة، وهم أكثر مَن في الوادي الأيسر من القبائل، وأسرُّوا ذلك في أنفسهم.

حتى وقعت قضيةٌ سيأتي شرحها، بين آل باهبري أهل جرَيف، وبعض الخنابشة؛ فاغتنم الفرصة بلحمر، واستصرخ قبائلَ الحالكة، وعسكَر تحت جحي الخنابشة، ومنع سرْحَهم، وتعرض له، على خلاف القواعد الجارية بينهم، وطال الحصار، فاستنجدوا بالمقدم عمر بحْمَد باصره، فأعانهم بعسكر، وكانت حركتهم ليست موجهةً ضد الخنابشة فقط، بل موجه ضد القعيطي، وآذوا كل من رأوا منه ميلاً إليه، أو رأوا منه كراهةً لتلك الفتنة التي أثاروها. وانبثّوا في قرى الوادي، من أعلاه إلى قيدون، يغرّمون الأهالي، ويكلفونهم أقواتَ قومهم.

وضوى إلى المقدم بلحمر طُلّاب القوت والدراهم من شُذّاذ القبائل، وأعانه على إجراء الضرائب أعيانُ القرى، ليحجزوا لأنفسهم بعضَها، وأشيْعَت الكرامات له، وأنه يكلم الشيخ سعيد بن عيسى العمودي في قبره، ويشاوره في أموره. ويتحدثون بأنه: قام لله، وبالقدرة كلامه يتم. وينشدون قول الحبيب علي بن حسن العطاس شاهداً لهم في غير موضعه:

* من قام لله بالقدرة كلامُه يتمّ *

وكثرت المراثي التي فيها التبشير، وبعض المرائي طويلة، كأنما هي مقاماتٌ!. ومنهم من سمع الجنَّ تتكلم بالأشعار وهو نائمٌ عند رأسه، فأصبح يحفظها وينشرها في الناس، وكانوا في مجالسهم وأسمائهم لساناً واحداً، يذمون السادةَ الأشراف،

ويزعمون أنهم موالون للقعيطي. قالوا هذا؛ لأنهم نصحوهم، وحذّروهم عاقبةَ الفتنة، وكان ذلك سنة ١٣٢٨.

وكان الوالي في تولبه، لذلك العهد: الشيخ أحمد بن حسين بن محمد بن سعيد العمودي، البطلُ المغوار. وكان هؤلاء قد عقدُوا النيةَ على قتله، ودبروا الأمر في خفيةٍ، وكان هو آمناً من جهتهم، ففاجأته جنودُهم على غرّةٍ ليلاً، وأخذوا يحفُرون جدارَ المصنعة، لينسفوها بالباروت، إلى الموضع الذي ثقبوه، وفي كل كيس فتيلة مشتعلة، فنزل إلى ذلك الموضع، فكلما رموا كيساً لقفَه وأطفأ فتيلَه، حتى أضاء النهار، وضاربهم إلى الساعة العاشرة منه. فلما خفّت حميتهم، خرج على غفلةٍ منهم، ونجا بنفسه إلى الشعب، ورقَى العقبةَ إلى الجبل إلى وادي دوعن، ووافى إلى مصنعة عُورَة ظهراً، وعلى رأسه وبدنه غُبار المعركة. وبقي هناك مدةً، حتى أغار المقدّم وانكسروا، فرجع إلى بلده.

[قصة العمودية الشجاعة]

وهذه الأسرة معروفة بالبطولة؛ حتى إن عقيلةً من عقائلهم كسَرت جيشاً بأكمله، من تحت هذه المصْنَعة، وقتلت قائده. ولا بأس بذكر قصة هذه العقيلة، التي زادت على الرجال، وقاومت الأبطال.

كان أحد آل خالد، وأظن أنه: حسن بن خالد، قد واطأ قوماً من البادية على مهاجمة هذه المصنعة، في يومٍ عيَّنه لهم. لأنه علم أن أهلها سيذهبون إلى الحيد الجزيل، لحضور عرسٍ عند إخوانهم آل محمد بن سعيد هناك. فلما كان ذلك اليوم المعلوم؛ هجَم بجيشه يريد امتلاكَ المصنعة، وليس فيها إلا هذه العقيلة، بنت أبيها حقًّا، وعندها عبدٌ لهم، به العروق (العرْق المديني) في رجليه كلتيهما، لا يقدر على القيام، فضلاً عن القتال. فقربتْ إليه البنادق والرصاص والباروت، وأمرته أن يستمرَّ

في حشو كل ما استطاعَ منها، قائلةً له: إني لا أحسِن حشْوَها، ولكن سأحامي، حتى يدرك أسيادك. وجعلت تأخذها وترمي القومَ، تارةً من هذه الناحية، وتارةً من الأخرى، لتوهمهم أن في المصنعة حماةً.

ووصلت القومُ إلى جدار المصنعة، وأخذوا يحفرون، فرمتهم برَحًى كانت عندها، فدمغت أحدَهم فمات، وتقهقروا. وأخذ الشيخ حسن بن خالد يذمّرُهم، واستقدم يحمل المخَشَّب، وأخذ يضرب به سدة المصْنَعة، فأشرفَتْ عليه من المرداة فوق السدة، ورمته ببندق، فشقّ بطنه شقًّا، من أعلاه إلى أسفله، وخر صريعاً، وخارت عزائمُ القوم، وأخذوا يتسللون لِواذاً.

[/ ١٧٤] وجاء/ الصريخُ إلى رجالها، فجاءوا مسرعينَ لا ليدفعوا القومَ عن بلدهم، ولكن ليضَعُوا تاجَ النصر على رأس هذه الشجاعة، ذات المحاماة والثبات.

* * *

ثم: شرج آل بَعْسَر (آل أبي الأعْسَر)، من الحالكة.

ثم: حصْن بن العَمْر الخلَيْسي باسعد، من الحالكة.

ثم: دار باجَحْرز. فيه: آل باجحزر، بالجانب الغربي.

ثم: جَحْي باخطيب. فيه: آل باخطيب.

ثم: المشْقَعة، بفتح فسكون ففتح، بالجانب القبلي. بها: المشايخ آل باوزير.

وقبلها بمسافةٍ، تبتدئ ساقيةُ الجِذْفرة، ويقال: جِذْفرة الزّنْجي، التي أحياها شيخنا الإمام، علم الأعلام، وركنُ الإسلام، الجواد الذي عفّى على الأجواد، وفاض جودُه فيضانَ السيل في الواد، الحبيب محمد بن طاهر الحداد، العلوي الحسيني.

ثم: حصن بُقْشان: بالجانب الغربي. ويقابله بالجانب الشرقي: خَيلة، حصونٌ لهم. وبينهما نخلُهم، وهم من الحالكة، من آل بانِخَر، بكسر النون وفتح الخاء.

[جِذْفِرة الزنجي]

ثم: الجذفِرة، المذكورة آنفاً. وهي من الطين الجيّد الصالح للزراعة، ولا يعلم سبب تسميتها بجِذْفرة الزنجي. وقد انخفضَ مجرى السيل عنها انخفاضاً كبيراً، كسائر ما بقي من الطين الذي يمكن زرْعُه وغرسُه، في وادي دوعن والأيسر، كما سيأتي شرح ذلك في موضعه. ولم يكن لهذه الجذفرة مُلّاك معروفونَ، إلا ادعاءً، وادّعاها بعضُهم، ليس بيده ما يؤيدُها، لا يدٌ ثابتة، ولا شاهد. فلما عزمَ الحبيب على عمارتها، أرضَى من ادّعى، وابتدأ في حفْرِ ساقيةٍ لها، واعترضه في ذلك بعض الحسَدة بأمورٍ مشوِّشة، لم تؤثر شيئاً. وتكلم آخرونَ: بأن الموضع الذي تعمل فيه الساقيةَ منخفضٌ، فلا يمكن جرْيُ الماء إلى الجذفِرة، وهي مرتفعةٌ. تثبيطاً منهم للهمم.

مع أن شيخنا الحبيب محمّد قد استعان بالعارفين بهندسة المياهِ، وقياس الارتفاع والانخفاض، واستقدم السيد الشريفَ، الفاضل الألمعي، عمر بن عقيل بن عمر بن يحيى، من المسيلة، فقاسَ الموضع، وأبدى رأيه. واشترى شيخُنا المذكور داراً ببلدة صُبَيخ، وصار يمكث بها مدةً طويلة، وتزوج عند المشايخ آل باطويل. ومكثنا معه هناكَ أشهراً، وكنا نقرأ عنده في «الإقناع» وغيره، أنا وأخي عبد الله، وابنه علوي. وسار مرة إلى حضرموت وأمرنا بالبقاء هناك إلى رجوعه.

وقد توفي قبل تمامها، وترك ديوناً كثيرةً، تزيد على ستين ألفاً من الريالاتِ، فأوفى والدُه، سيدي الحبيب طاهر شيئاً منها ببيعِ ممتلكاتٍ أخرى، وبقي الأكثر.

وكان الرجاءُ في هذه الجذفِرة، ولكن كان هناك عائقان:

أحدهما: أنها تحتاج إلى عملٍ ونفقةٍ.

ثانيهما: أن الناسَ هناك بما طُبِعوا عليه من الجمود، وقصر النظر، لا يصدقون أن هذه الجدفرةَ ستصير مالاً، (والمال، بلغتهم: هي الجروبُ التي تزرع. وكانت العرَبُ تسمي الإبلَ: مالاً. وهؤلاء يقولون: مالٌ، ونخلٌ. أو: ذَبْر وتَبْر. ويعنون بالذَّبر، والمال، والحِجِل، بكسر الحاء والجيم، كلها: المواضعَ التي يمكن أن تزرعَ. وبالتَّبر: النخْلَ، والعلوب). فهم لا يرغبون في شرائها، ولا أهل الدَّين يرغبون في الاستعاضَة بها عن ديونهم.

فاهتمت بالأمر والدتُه، عقيلةُ العقائل، السيدَة التقية الصالحة، اهتماماً عظيماً. وكانت تدعو الله ليلاً ونهاراً، أن لا يميتَها حتى تقرَّ عينها بوفاء دين ابنها. فنتلَتْ من بلدها القِرَين إلى صُبَيخ، لتكون قريباً من مركز العمَل في الساقية، وساعدها بالقيام بما يقتضيه الحالُ في إجـرائه، أخي عبد الله. وهو من الصادقيـن في محبّة الحبيب محمدٍ، ومن تلاميذه الموفينَ بعهده. فبقيَ العملُ يجري متقطعاً بصورةٍ ضعيفة؛ ولكنها نجحَتْ بالاستمرار، ولم يبق لإنجاز ذلك إلا ما لا يذكَر من الجهد.

فارتأى الحاضر من أبنائه: أن يسرع بإنجاز الأمر، بأن يعرَض على المقدَّم بَخمد باصرّه نصفُ الجِذْفره، في سبيل إتمام العمل. وإيفاء أهل الدَّين، ببيعهم قطعاً منها. فكانت فرصةً له لم يكن يحلُم بها، ربما أنه كان حينئذٍ كغيره من الناس، لا ينظرون إليها بنظر اعتبارٍ ولا إكبارٍ.

فقام بذلك، وأنجز العمل في أيام قليلةٍ. وانتقلَ إلى صُبَيخ واستدعى أهل المساحة، وأخرجوا ما يلزم للبُدَاد والأسوام. (والبُدّ، عندهم: هو الجدولُ، والساقية الصغيـرةُ، المتفرعة عن الكبيـرة. والأسوام: هي الحـواجزُ التي تجـعل لكل قطعة لتحبِسَ الماء، وتكون طريقاً للمرور. واحدُها: سَوم، بفتح فسكون الواو. والعرب

تسميه: الجذْر، بضم فسكون. جمعه: جُذُر، بضمتين. ويقال له: الجدّ، بضم فتشديد. والمسَنّاة، بضم ففتح فتشديد النون. و: الأعْضاد).

وما بقي/ عرَضوه على أهل الدَّين، وبذلوه لهم، على أن المطيرة بأربعين [١٧٥/أ] ريالاً. فأخذوه، ومنهم الكاره. ولكنهم يقولونَ في أنفسهم: إن ثمن المطيرة ليسَ في الحقيقة إلا عشُره، فكأننا صولحنا على رُبعِ حقّنا، وهم لا يعلمون ما يكنّه الغيبُ، ولا يدرون ما خبأه الله في تربتها من زكاءٍ ونماءٍ وطيبٍ، وما كان يخطرُ بقلب أحدٍ منهم، بل ولا غيرهم، أن أثمانها سترتفع إلى الغاية التي لا فوقها.

ثم كان عاقبة الأمر: أنّ من أخذ منها ندِمَ، ومن تركها ندم. من أخذَ: ندمَ أن لا يكون قد ازداد! ومن ترك: ندمَ أن لا يكون قد أخذَ. وما باعَ أحدٌ منها إلا وودَّ أنه استقالَ، لأن المشتري لا يلبث أن يعطَى فيما اشتراه القيمة مضاعفةً إلى ضعفين، فثلاثة، وقد تبلغ ستةَ أضعافٍ.

وذلك لأن النخل الذي غُرِس بها، جاء على هيئة ليس لها نظيرٌ في وادي دَوعن والأيسر، بل وادي حضرموت جميعِه، في عُظم جذوعه، وبُسوق فروعه، وطول سَعفه، ودوام خضرته. حتى لقد ترى النخلة التي فاتت اليدَ وأطول منها، وهي منتظمةٌ سعفاً أخضرَ، من أسفلها إلى أعلاها، مع زكاءِ ثمرها وحسنِه. وكانوا يغرسون شجر القطنية، من العتر، والعماني، والمغربي، فيجودُ، ولا يزال يطعِمُ السنةَ فأكثر من سيلٍ موسمٍ واحد من المواسم. وقد انتفعَ بها أهلُ تلك البلاد، وزادت بها أرزاقُهم، وكانوا من قبل ذلك كارهين.

وكانت حركته رضي الله عنه في عمارة هذه الجدفرة؛ سبباً لتيقّظ بعض الناسِ للعمارة، فقام أناسٌ في عمارة جِدفرة جبُولة. وقد تقدم ذكر عمارة جِذفرة خِدَيش. وبقيت جَدافر كثيرةٌ متتالية إلى أسفلِ حضرموت، هيأ الله من يقوم بعمارَتها، ليستقرَّ

أهلُ البلاد الحضرمية في بلادِهم، فإن الجزائر الشرقيةَ التي أكثروا من التردد إليها في المئة سنةِ الأخيرة، كادت أن تلفِظَهم، وتكاثرت فيها أممٌ أخرى، دفعتهم عن أسباب المعاشِ، ونشأ بين أهلها العصبية الحسَبية، والبُغْضُ للناقلة العربية. مما يخشى معَه إن تحولتْ الأحوالُ: أن يبادَر إلى منعهم من دخولها، ونفيهم عنها. ولله عاقبة الأمور.

صُبَيخ

هذه الجدفرة الآنفة الذكر واقعة في الجانب الغربي للوادي. ومجرى الوادي بالجانب الشرقي ويتصل بها من الشمال ساقية بلد صبيخ وشروجها ونخلها ومالها.

وقد تقدم أن الهمْدانيّ قال: «وشَزن، وذوصبح: مدينتان بدَوعن». ولا يبعد أن يكون مراده بـ«ذي صبح»: صُبيخ هذه. وقد تحرّف اسمُها من النساخ. وأما حَذْف «ذو» من أولها، فإنما هو كحذفهم «ذو» قبلَ شرْق، فلا يقال لها الآن إلا: «شَرْق»، وكان اسمها: «ذا شَرْق». وكان ولاتها: آل بايُسْر. ثم استولاها السلطان بدر بوطويرق، فأخربها، كعادته فيما أخربه من الحصون. ثم أذن لصاحبها في بنائها، فبناها، ثم لم يلبث أن تابع الشيخ عثمان بن أحمد العمودي.

وفي صبيخ: ضريح الشيخ محمد أبا برك بن عثمان بن محمد بن أحمد القديم ابن محمد بن عثمان بن عمر مولى خَضم بن الشيخ سعيد بن عيسى العمودي. وذكر السيد الشريف أحمد شنبل في «تاريخه» [ص ١٨٣] في حوادثَ سنة ٨٥٥: وفاة الشيخ عثمان. فكتب أخي على هامشه حين طالعَه: «لعله عثمان بن محمد»، إلى آخر ما تقدم.

ثم ملكها الشيخ حسن بن محمد بن مطهر العمودي. وكان والياً غشوماً، له حكاياتٌ في الغشم لا يزال الناس يتناقلونها. منها: أنه كان يحتّمُ على كل من مرَّ

تحت بلده أن ينكّسَ بندقه، وأن يحل عُكْفَته، (والعكفة: هي عقْصُ شعر الرأس وربطُه)، إهانةً له. فإن لم يفعل رماهُ بالبندق.

وكان بعض القبائل يسير مرةً في العَطْف، بمجرى الوادي، ويسمونها: الرَّحَبة، بعيداً عن البلد، فلما وصل تجاه المصنعة رآه الشيخُ المذكور واضعاً بندقه على كتفه، ورابطاً عكْفَته. فرآه، فناداه من المصنعة: يارجُل، انقُض العكفة، ودلِّ البندقية بيدك. فأجابه: بأني منذ كنتُ لم أفعلْ هذا لأحدٍ، وأبى. وكان للشيخ بُنْدُقٌ اسمُه الخوش، بفتح فسكون. فقال للقبيلي: استلم الخوش. ورماه طفَفاً، أي رمياً غير محكمٍ، عمداً منه، وقد كان رامياً، قلَّما يخطئ، فأصابت الرصاصةُ صخرةً بجانبه.

ورأى القبيلي مخرجَ الدخان، وكان رامياً/ ، فرماهُ، فأصاب عمامَته، (دِسْمَاله؛ [١٧٦/أ] والدُّسْمال: نوعٌ من العمائم الحريرية، كانت تجلَبُ من الهند). فأعجِبَ الشيخُ من رميه، فدعاه أن يطلع إليه، فطلب منه أن يتعهّد له بالذمة، وهم يقولون: يشِلّه في وجْهه؛ ففعلَ. فلما طلعَ إليه، سأله: كيف لم تمتثل الأمرَ؟ قال: أمرتني بما لم أفعلْه لأحدٍ طولَ عمري. قال: وكيف ضربتني نَصَفاً؟ (بفتح النون والصاد، وهو ضدّ: الطَفَف)، حتى لقد أصبتَ دِسْمالي، فهل تريد قتلي؟ فقال: هذا نِيبٌ وحَظٌّ، وكنت أريدُ أن تصيبكَ الرصاصة بين عينيك. فأعجبتْه شجاعته وصرامته، فأعطاه جائزةً.

ووقع لقبيلي آخر: أنه مرَّ على سَوم ساقية صُبَيْخ، فناداه أن ينفُشَ شعرَه، ويدلَّ بندقه، فنزل هذا بقفزةٍ واحدة إلى بطن الساقية، حيث لا يراه الشيخ. قائلاً: غفر الله لمن غوّطها. أي: عمقها. وكان الأكثرُ يمتثلُ أمره. وكان عندما يعلّم أولاده رمْيَ الرصاص يضَع المكْتَب (هو الأشْفي، وهي: آلةٌ حديدية يخرَزُ بها) في أذنه، فإن أصاب الغرَض رفعه، وإن أخطأ نخسَه به، وكان قاسياً.

ومن الحكايات العجيبة التي تحكى في شأنه: أن ثلاثة نفر، من بعض قرى جزْعِ الصّدِف، ذهبوا إلى الجبل يحتطبون، فلما نزلُوا في العقبة عند رجوعهم، وكان الوقت ظهراً. قال بعضُهم لرفقائه: تعالوا لنتمنّى، فتمنى أحدُهم أن يسافر إلى الهند ويصير شاووشاً على حسن بن محمد بن مطهّر. فضحكَ لذلك رُفَقاه. ودارت الأيام دورَها، فلما أخرج من بلده، باستيلاءِ آل محمد بن سعيد، وولاة تَولبَة، عليه، سافر إلى الهند، وكان ذلك المتمنّي قد سافر قبلَه، وصار عسكرياً عند ملك حيدرآباد، وترقى حتى صار شاووشاً. فلما قدم الشيخ حسَن، بعدما أُخرجَ عن بلده إلى الهند، طلب الدخول في الجندية، فقُبِل طلبه، وكتبوه في جملة عسكرِ هذا الشاووش، وتحت أمره! فسبحان من بيده تصريف الأمور.

وكان من قصته: أنه أسر بعض الرَّعايا المنسوبين إلى آل محمد بن سعيد، وولاة تَولبه، فجمعوا جيشاً لمهاجمته، بعد أن خاطبوه، فامتنع من إطلاقِه. وكان من الصُّدَف: أن سيدي الجد، رحمه الله تعالى، كان مُصعِداً إلى أعلى الوادي الأيسر، فلقي المشايخَ بها، مع جيشهم، قاصدين الهجوم على صُبَيخ، وعلى مصْنَعة الشيخ حسن المذكور. فبعد أن سلّمُوا عليه، وصافحوه، سألهم: ما هذا الجمع؟ فأخبروه: أنهم يريدون الهجومَ، لأن والي صُبَيخ فعل برعيَّتهم وفعلَ. فقال: لا، ارجعُوا الآن، وسأذهب إليه وأراجعه في الأمر. فرجع الجدُّ إلى صُبيخ، وجاء إلى مصنعة الشيخ، وجلس معه، وخاطبه في الأمر، ووعَظه ونصحه، وتلا عليه الآياتِ والأحاديثَ الناهية عن ظلم العباد، فأبى أشدَّ الإباء. وقال كالمستهزئ: إن كان شيء من الريالات مثل عمامتك هذه أطلقتُه. فتقاولا، وقال له سيدي الجد: سيخرج هذا الأسير بإذن الله، وستخرج من هذه المصنعة وأنتَ راغم.

وخرج مغاضباً له، فلما وصلَ عند أساس المصنعة، قال ما معناه: عسى أن

يأتي الله بنيانها من حَبْل النَّدْوَة. فكان ذلك. (والعـادة في ديار حضرمـوت: أنهم يحفرون للأساسِ إلى أن تظهر الندوة. وهي: الطينُ المبلول. فيبنون الأساسَ من الحجَر، سافاً بعد سافٍ. وهم يسمون السَّاف: حبْلاً).

ورجعَ مصعِداً، فوصل إلى تَولبه، عند آل محمد بن سعيد. وأخبرهم بإبائه، ودعا لهم بالنصر، وبشرهم به، فقدموا بجيشهم، واحتلوا جانب البلد الجنوبي. وأخذوا البيوت التي تصاقِبُ المصنعة، وحاربوه. وكان مشهوراً بجودة الرمي، فخذله الله. فلم يأت بنافعةٍ، وحصروه أشهراً، حتى ألقى الله الرعْبَ في قلبه، فاستسلمَ وطلب الأمان، وخرج مدحوراً، وتسلم المصنعة آل محمد بن سعيد، وصاروا ولاةَ البلد بعده، ولم يقتَل منهم ولا من جيشهم أحدٌ. وأما الأسيرُ؛ فإنه بعد مدةٍ يسيرةٍ، تمكن من التدلي من محبسِه بحبلٍ إلى جهة ديار المشايخ آل باشنم، ولم يشعر أهله إلا بقدومه بغتةً سالماً.

[عادة أسر الرعايا]

وأسْرُ الرَّعايا وحبسُهم كان عملاً جارياً في تلك الأزمنة، ووقعت للسّاعين في إطلاقهم من السّادة العلويين حكاياتٌ عجيبة. كالذي وقعَ للحبيب الإمام العارف بالله، والداعي إليه، الحسن بن صالح البحر، مع الشيخ حسين، صاحب ذي بحُور.

والذي وقع للحبيب الداعي إلى الله، هادون بن هود العطاس، مع المشايخ أهل خشَامر، لما أسرُوا بعض أهل الخريبة. ومع بن محمد بن شيخ، لما أسر الشيخ العلامة، المسند الشهير، المعمَّر أحمد بن سعيد باحنشل، وعذّبه. ومع المشايخ أهل سِيدِهْ لما أسرُوا بعض أهل الرباط. ولما أسر بعضُهم، لا أحفظ اسمه الآن، طفلًا رضيعاً، وتولهت عليه أمه، وطلب/ أن يفدَى بخمسمئة ريال. ومـا وقعَ [١٧٧/أ] لسيدي الجدّ مع المشايخ أهل صِيف، لما أسرُوا الشيخ دحمان بادَغْشَر العمودي،

من أهل قيدون. وغير ذلك مما لا يحصى، وعسى أن نتمكن من إيرادِ شيء من ذلك، لترى كيف ينصر الله المهتدين، ويخذل المعتدين، وما ربك بظلام للعبيد.

أما الشيخ محمد أبا بِرِك، بكسر الباء والراء: فلم أقف على ترجمته، ولكني أحسب أنه هو الذي أخرجَ الغيل الذي بين صُبَيخ والجدفرة، وله شعبٌ وشرْجٌ، وفيه نخل، والله أعلم بالحقيقة.

وفيها أيضاً: ضريحُ الحبيب جعفر بن محمد العطاس، من آل علي بن الحسين ابن عمر. ترجمهُ الشيخ عبد الله بن أحمد باسودان في «فيض الأسرار»، ونقل ذلك عنه في «عقد اليواقيت» [٢/٨٨٣]، ووصفه بقوله: «العارف بالله تعالى، الجامع للأحوال والمقامات، والأخلاق والأنفاس، الحبيب جعفر بن محمد بن علي ابن الشيخ الحسين ابن عمر العطاس». قال: «وأخذ سيدنا جعفر في طلب العلوم عن أبيه، وعمه أحمد ابن علي، وأخذ الطريقة، ولبس، وتلقّن، وصافح، وتأدب، وتربى، وتخرج، وتسلّك، وتهذبَ، عن شيخه الإمام علي بن حسن بن عبد الله بن حسين بن عمر العطاس، فأحسن تربيته وتأديبه، وتحليته وتهذيبه. واجتمع بالسيد العارف بالله جعفر بن أحمد بن زين الحبشي، بعد استئذان شيخه عليٍّ المذكور في الاجتماع به، وطلب الإلباس وتلقين الذكر والمصافحة، فاجتمعَ به وألبسه الخرقة ولقنه الذكر، وأجازه في كل ما يصح ويجوز له ومنه، في كل علم معلوم، منطوق ومفهوم، أو منثورٍ ومنظوم، فيرويه عنه ويقريه طالبيه، إجازة عامةً تامة. وتفقه سيدنا الإمام جعفر بن محمد العطاس، بشَيخه الحبيب علي بن حسن، وبعمه الحبيب أحمد بن علي». اهـ.

وقد ذكر بعدَ هذا: أخْذَ شيوخه، وسندَهم العلميَّ، وقد أفرد ترجمةَ الحبيب جعفر المذكور بالتصنيف: تلميذُه العلامة الفقيه، الصوفي الزاهد، الشيخ أحمد ابن محمد باشُمَيل. وهو مدفونٌ تحت البلد، وبجانبه مسجدٌ ينسب إليه، وبه غرفة

واسعة، كنا نطالع فيها ليلا أيامَ صحبتنا لشيخِنا الحبيب محمد بن طاهر، الآنف الذكر.

أخبر السيدُ الصالح أحمد بن محمد الصافي الجفري، الحادي، وكان كثير التردد إلى شيخنا الحبيب محمد، ويمكث عنده أياماً يحدو لَه، قال: أشرفَ الحبيب محمد بن طاهر ليلاً من داره بصُبَيخ، وأنا عنده، فرأى السراج في غرفة المسجد. فقال: هذا علوي يطالع، وسيكون عالم قيدون. فلما دخلتُ جاوة، واجتمعت بالحبيب محمد بن أحمد المحضار، السابقة ترجمته عند ذكر القويرة، قال لي بعدما واجهته: بلغَني أن الحبيب محمد بن طاهر قالَ كذا وكذا، وقلتُ أنا: إنه عالم حضرموت كلّها، لا قيدون وحدَها. فنسألُ الله أن يحقِّقَ لنا ما تفرَّسُوا، وينفعَنا بما علّموا وغرَسُوا.

[أعلام صبيخ]

ومن فضلائها: الشيخ الصالح، الفقيه الورع، العفيف عبد الله بن عبد الرحمن باطويل العمودي. وقد تقدم ذكره في ما نقلناه من نبذَةِ الشيخ الفقيه الصوفي، محمد ابن يس باقيس، عند ذكر بلد بضه، فارجع إليه.

ومنهم: أحد أجداد آل المخشَّب. ولا يحضرني ذكره الآن، ولكني اطلعتُ منذ سنين على مكتوب له من أحد أحفاد الحبيب عبد الله بن علوي الحداد، عند الشيخ الفاضل، السنِّي، المقاوم للخوارج وأهل البدع، محمد بن أحمد المخشَّب العمودي، أيده الله تعالى.

ومن فضلائها: العلامة الفقيه المحقق، الشيخ أحمد بن محمد العمودي. عدَّه سيدي الجد من أشياخه، وقد أخذ عنه أيضاً شيخنا الإمام الراكع السجاد، قيدُوم

العباد، طاهر بن عمر الحداد. وكان يذهب بزادِهِ إلى صُبَيخ، فيمكث بها المدد الطويلة للقراءة عليه، والأخذ عنه. والشيخ أحمد المذكور أخذ عن الشيخ العلامة المتفنن، سعيد بن عبد الله بن عثمان العمودي.

وقد ذكرته في «الخلاصة الشافية»، في سياق ذكر أشياخ الحبيب طاهر، فقلتُ: «وبواسطته صار بيني وبين القطب الحبيب عبد الله الحداد ثلاثة في الرؤية والأخذ. فإني رأيت سيدي الحبيب طاهر وأخذتُ عنه، وهو رأي شيخَيه: أحمد بن محمد العمودي، والفقيه الزاهد أبا بكر بن أحمد باحميد، وأخذ عنهما، وهما رأيا شيخهما العلامة العابد المتفنّن، سعيد بن الشيخ عبد الله بن عثمان العمودي، وأخذا عنه، وهو رأي سيدنا الحبيب عبد الله بن علوي، وأخذ عنه». اهـ. وخلَّف ضنائن من الكتب، استعارها بعضُهم ثم عدَّها رأس مالٍ له، ولم يرجعها إلى الآن، وهو معروف/. [١٧٨/]

ومن فضلائها: الشيخ الفقيه، الصالح المستقيم، أحمد بن قاسم بن عبد الله ابن محمد بن سعيد العمودي. كان والدُه والي صُبَيخ وما والاها، وانصرف هو عن طريقتهم إلى طلب العلمِ، توفيقاً من الله، وهدايةً له، إذ لم يكن في بلده من يحدُوه لذلك، أو يرغّبه فيه. فكان يأتي بزاده إلى قيدون، ويجلس عند الشيخ الفاضل، الصالح الورع، محمد بن أحمد بازْبَيد العمودي، ويقرأ عند شيخنا الفقيه الصوفي، الزاهد العابد، عبد الله بن أبي بكر المرحّم الخطيب، وكان يدرِّس في مسجد العموديّين صباحاً وظهراً، وصارت بيننا وبين هذا الشيخ ألفةٌ وصحبة، وكنا نطالع معاً أيام كنا بصُبَيخ، عندما ذهب شيخنا الحبيب محمد إلى سيون وتريم.

وعزَف عن الزواج ليتفرغ لطلب العلمِ، ثم سافر إلى مكة لطلب العلم بها، ورجع بعد سنتين أو أكثر، وتزوج بعد رجوعه، واقتنى كتباً، وأصابته حمى سنة ١٣٣٤ فتوفي رحمه الله تعالى. وأوصى بكتبه لرباط العلم الشريف، الذي أنشأناه

بلد قيدون، فعبث الوصي بها، وأخذ يبيعها، ثم علمنا وتداركنا ما بقيَ، فحملناه إلى خزائن الرباط، نفع الله به المستفيدين، وأجرى أجره له دائماً إلى يوم الدين، وكان حسَن الخط، بعيداً عن الدنايا وعن الحسد والملاحاة، صبوراً، كافًّا لسانه عن الناس، رحمه الله رحمة الأبرار.

ومنهم: الطالب المتعطش للعلم، الحريص على التحصيل والفهم، الشيخ سعيد بن أحمد باصقر العمودي. كان صادق النية في الطلب، منصرفاً همُّه إلى التعلم، قدم علينا إلى قيدون، واستقر بالرباط، وكان يتردد ويطيل المكثَ، وكنا مغتبطين به لما نرى عليه من مخايل النجابة، وصدق التوجه، وحسن النية، فأصيب بحمى سنة ١٣٣٤، فتوفي إلى رحمة الله تعالى. وأخبرني والدُه: أنه كان يقول في مرضه: هل يمكنني أن أرى حبيبي فلاناً، وحبيبي فلاناً، يعنيني ويعني أخي. وترك امرأته حاملاً، فولدت ولداً ذكراً، سموه محمد بن سعيد، جعله الله من السعداء في الدنيا والآخرة، آمين.

ذكرُ حمَّى سنة ١٣٣٤

ألـحّت هذه الحمى على أهل صُبَيخ حتى كادت أن تعمَّهم، وأحسب أن ذلك بسبب وجود عيون ماءٍ فيها. وقد سبقَ هذه الحمى تلفُ الأثمار، وسجف سَبُول الزرع، (السَّبُـول: هـو السنبـل). وهذه العـلامة، وهي: سجْـفُ الثمر، ذكـر نظيـرَها المؤرخ السيد الشريف، أحمد شنبل، في «تاريخه». وصار عقبها حمى شديدة قتّالة، والعياذ بالله، حتى عدِمَت العصافير، فما عدنا نرى عصفوراً منها، فلا أدري: أماتت، أم رحـلت؟ أما شجر الدُّجْر الأسود، المعروف بالماش، فلم يفسُد ثمره، ولعله إنما أزهرَ بعد أن ذهبت شدّة الوخَم، وترك القصب في الجروب فلم يحصده أحد.

وكنتُ مع بضعة نفرٍ من البلد، منهم: الأخ الماجد الفاضل، عبد الرحمن بن محمد بن طاهر الحداد، والشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن الشيخ عمر، والشيخ دحمان باقادر بن الشيخ عمر، ونفران آخران من أهل البلد، لا همَّ لنا إلا التنقُل من هذه الدار إلى الأخرى لتجهيز الموتى، وكان لهذين الشيخينِ عملٌ يذكر، وجهد جهيد في الحفر، وحثّ من لا يزال صحيحاً على المعاونة.

وقد أخرج أنحو الساعة السابعة صباحا ثم لا أرجع إلا العشاءَ، وهم كذلك. فلا نكاد نواري ميتاً، حتى ينادَى بموتٍ آخر. وخفّت الأصواتُ، فلا نائحةَ ولا صائحٌ، وكنا نذهب بالجنائز سكوتاً، حتى لا نزعج المرضى في بيوتهم. وكانت عادةُ أهل بلدنا يودّعونها بالتسبيح، برفع الصوت. وطلبنا دواء الكِينَا من تريم، فأرسله إلينا أخونا الفقيه الفاضل، الحبيب الحسن بن عبد الله الكاف العلوي، مرِضَ الرسول أثناء الطريق ولم يبلغ إلينا إلا بعد ثلاثة أشهر بعد أن خفت الحمى.

واستصرخ بنا السيد الشريف، حسين بن حامد المحضار، وزير السلطان القعيطي، وكان إذ ذاكَ بالقويرة، أن نرسل إليه سَنا، وهو الورق المعروف لاسهال البطن، فأرسلنا إليه مبلغاً منه، إذ كنا قد استعدَدْنا به، إلهاماً من الله قبلَ الحمَّى، وطلبنا منه الكينا فأرسل إلينا منها مرةً أو مرتين، وتقطعت الطرق. وقد عددتُ الموتى ببلدنا قيدون، فكنتُ/ [١٧٩/أ] أعدّ، حتى بلغوا أكثر من أربعمئة وخمسين، ثم مللتُ، فتركت ذلك.

وكانت سَورةُ الحمى بالوادي الأيسر، وبضَه، وقيدون. وهي أخفُّ بدَوعن، وبقية الوديان. وأما أهل الرَّيدة والسيطان، فالموتُ بها قليلٌ. فدلَّ ذلك على أن مصدرَها وخَمٌ، وأكثر ما يجري مثل هذا بعدَ سيول الصَّيف، وعلامة فساد الهواء: فسادُ الزرع أو النخلِ، ولم تكن تلك الحمَّياتُ نوعاً واحداً، بل كانت أنواعاً، ومنها ما لم تفِدْ فيه الكينا، ومنها ما لا يمكثُ صاحبه أكثرَ من أربعة أيام، ومنها ما يصحُّ

منه المريض ثم تعود فتقضي عليه في مدةٍ قريبة، وقد يُغشَى عليه فلا يفيق، بل يتصل ذلك بالاحتضار والنزْع، وليس لها مقدماتٌ، بل تبغَتُ صاحبها، ومنهم من استمرت به وحدثت له أعراضٌ أخرَى فمات، ومنهم من شُفي وأحسَّ بالنشاط، فخرج من بيته ومشَى، ولم يعد إلا محموماً، ولا مهلةَ، بل يموت عاجلاً، ومنهم من مات جوعاً وعطشاً، لمباغتة الحمَّى لأهل البيت كلهم، ولا يدخل عليهم داخل.

ومن ذلك: أن السيد الشريف، علوي بن أحمد جمل الليل العلوي، كان له معارف من بلد صبيخ، فجاء إلى بيتهم، ودقّ بابهم، وصاح بهم، فلم يجبه أحد. فتلطفَ حتى فتح غَلَق السدّة، وطلع إليهم، فوجدهم مرضى، منهم المفيق، ومنهم المغمى عليه، ومنهم لا يزال محموماً، والكل لا يقدرون على الكلام ولا الحركة، فدار في البيت، حتى وقع على أقاليد بيتِ مَؤونتهم، فأخذ منه دُجْراً وطبخه، وسقاهم منه، ولم يطُل الأمر، حتى قدَروا على الحركة ثم الكلام، وإذا هُمْ قد مرّتْ بهم أيام عديدة لم يذوقوا طعاماً ولا شراباً، عافانا الله وإياكم جميعاً من جهد البلاء، آمين.

وعدمَتْ الأكفان لكثرة الموتى، وانقطاع القوافل، فصارت الأكفان من الثياب الخلقة، والبراكيل السوداء. وماتت خادمٌ لنا، فلم نجد لها إلا عمامةً وجبةً، كفناها بها، وأرسلنا إلى سوق الخريبة في الكَارة البيضاء، فلم يجد من يحملها، ولم تصل إلا بعد أن خفّت سَورةُ الحمَّى بعد مدةٍ.

ووقعَ أن بعض الموتى جُهلَ موتهم، فلم يعلم الأولُ ولا الآخر منهم، فلم يورِّث بعضُهم بعضاً. فنسأل الله من فضله وكرمه أن يدفعَ عنّا، وعن أمة محمدٍ ﷺ، الأوبئة والأسقام، والأوجاع والآلام، ويديمَ لنا ولهم عافيته وسلامته، آمين.

وتكرّر هذه الحمّيات والأوبئة في حضرموت، كما ذكر ذلك في حوادث السنين في «تاريخ» السيد الشريف أحمد شنبل، يدل على أن هواءَ حضرموت ليس

بجيِّدٍ، وهذا معقولٌ، لوقوعها بين جبالٍ محيطة بها، وإنما يجودُ بسبب الجفاف، فإذا كثُرَت الأمطار، ومعنى الكثرة: أن تكون أكثر من المعتاد، تكاثفت البخاراتُ، وفسد الهواء. ويدلك على ما ذكرنا: فسادُ هواء الأماكن التي بها الماءُ والرطوبة، مثل: حَجْر، وسَاهْ، وغيظة عَين، وغَيل مِراهْ، وغياض عَقْرون. ويغلب على الظن أنه لو نزلت بها أمطارٌ مستمرة، كما تنزل في الهند أو في جاوه، وجزائرها، لصارتْ أوبأَ أرضِ الله، ولماتَ أهلها من الوخَم. ولو انقطعَتْ الأمطار عن جاوة، أو بلاد الملايو، كما تنقطع عن حضرموت، لاحترقت، لأنها تحت خطِّ الاستواء، فالله عز وجل يدفَعُ عنهم ذلك بتوالي الأمطار، وجرَيان الأنهار، وتكاثف الأشجار، فسبحانَ مدبِّر هذا الملك بالعلمِ المحيط، والحكمة الباهرة.

عَودٌ إلى الكلام على صُبَيخ:

وكنّا في غيبة شيخنا الحبيب محمد، نخرج كل يوم إلى بيتِ السيد الشريف الفاضل، حامد بن محسن بن حامد، فنطالع معه، وكان حسن الخط، له مجموعاتٌ كتبها، وكان شحيحاً على كتبه شحًّا تجاوز الحدّ، حتى يغارُ أن يمسّها أحد بيده. وكنا بحرص الطلب ذلك العهد، والرغبة على الاطلاع، نحب أن نراها، فلم يستنزله عن تمنعه إلا الأخ علوي بن محمد، بسجَاحة أخلاقه، ولطف مدخله، والقبول الذي جعله الله له في القلوب من صغره.

وكان السيد حامد المذكور، حسنَ السيرة، مستقيماً، منعزلاً، حديداً حدةً لا يضر بها أحداً، لم نسمع منه على طول مجالستنا معه اغتياباً لأحدٍ، كافًّا للسانه ويده، مشتغلاً عن الناس، وقد ترك ذرية ذكوراً بارك الله فيهم. وقد كان شيخُنا الحبيب محمد، وصاه أن لا يكون جلوسُنا أولَ النهار إلا في بيته، حتى لا تضيع أوقاتنا، فلم نختلط في تلك المدة، وهي نحو ثلاثة أشهر، بأحدٍ من أهل البلد، إلا الشيخ أحمد ابن قاسم، المتقدمة ترجمته، والسيد الشريف المذكور.

أما المدة/ التي كان شيخنا الحبيب محمد بصُبَيخ، فقلَّما نخرج أيضاً من [١٨٠/ أ] البيت إلا إلى مسجد الحبيب جعفر، أو نذهب معَه إذا ذهب لمحلٍّ آخر، فإنه أصْعَد مرةً لزيارة الشيخ عمر مولى خَضَم، ومكث بحُوفَه يوماً أو يومينِ لإصلاحِ بين أناسٍ. وسارَ مرة إلى بلد الدُّوفَة لزيارة أيضاً. وكان يتخوف علينا من الاختلاط بالعامة، أن يسريَ إلينا شيء مما هم عليه، فرحم الله الجميع برحمته الواسعة.

وكان من أعيان صبيخ: الشيخ عبد القادر باصَقر العمودي، كان ظاهر بالحشمة والمروة، وواسع الصدر، مضيافاً، ذا مشورةٍ ومشاركة في الأمور، وله خطٌّ حسن، لا نظير له، يشغَل الناظر حسنه عن قراءته، سمْحَ النفس، ذا فهم وتمييز. ومن آل باصقر: الشيخ عثمان باصَقر، كان في أواسط القرن الثالث عشر، كان مثرياً، حسَن التدبير للأمور المعاشية، ذافكرةٍ صائبةٍ، ومروة وإحسانٍ.

[سكان صبيخ]

وفيها من السكان؛ من السادة الأشراف: دارٌ من آل علي بن حسين بن عمر العطاس، وهم أبناء السيد حامد بن محسن. ودارٌ من آل بو بكر بن حسَن بن الحبيب علي بن الحسن العطاس. وفيها من المشايخ: آل محمد بن سعيد، وآل باصَقر، وآل باطويل، وآل بو بكر، وآل المخشَّب، وآل باعُمر، وآل باشِنْم. ومن غيرهم: البايُسر، والباكُوَّاسة، وآل مذْهِش، وغيرهم.

وآل باكُوّاسه؛ يقال: إن أصلَهم من قارة الدّخَان، تحولوا إلى صُبَيخ وإلى حُوفة. وإن باحرزي وبابكُور: من الباعويدين، حكام الدُّوفة قديماً. وكذلك بايُسر. وأما باكُلْكَا: فقد جاء من أعلى وادي عمْد، ولا تزال لهم بقيةٌ هناك.

ومن آل العمودي هؤلاء، أناس محبون للخير، لهم فطرةٌ زكية. وحسبُكَ دلالةً

هذا: أن آل باصقر وآل باطويل، تصدَّقُوا على رباط العلم الشريف بقيدون بنخلٍ في شعب قيدون، ثم إنهم وافقوا على بذْلِ ربع حصتهم في ماء غيل بُوَيْرِدة للشرب، مع أنهم لا ينالهم منه نفعاً إلا ثواب الآخرة.

ولم يكتفوا بهذا؛ بل قالوا لأخي: أنت مطلق التصرّف في بقية حصتنا في الماء، إذا احتاج إليها الناس للشرب، ولا تعبأ بانقطاع زراعة الغيل. وإذا قابلتَ هذا بامتناع بعْضِ من يشرب من ذلك الماء، وينتفع به ليلاً ونهاراً من زيادة حصة الشربِ إلا بمطاولةٍ ومداورةٍ ومداراةٍ، وقد لا يجدي ذلك فيه شيئاً، تبيَّن لك أن الناس معادن، وسيأتي شرْحُ هذا عند ذكر غيل قيدون.

وقد بلغَنا أن بعض القادمينَ من أهل البلد من جَاوة، كان قد أصيب بمرَضِ الخارجية والبدعة، وأعانه بعضُ كبراء هذه النحلة، فشرع ينشُرها في هذه البلدِ، وينجّسُها بأقذارها، وتعليم صغارها، وقاهم الله شرَّها، وثبتهم على السنة والجماعة، إنه قريب مجيب.

[جِرَيف]

ثم تأتي جِرَيف، بكسر ففتح فسكون. وفيها من السادة الأشراف: آل باصرّة. ومن غيرهم: آل باهَبْري، وآل بابقَي، والبلَّحْمَر، بفتح فتشديد اللام، وغيرهم.

الدُّوفَة

ثم الدّوفة؛ بالجانب الشرقي. وهي بضَم الدال وسكون الواو، وهو اسمٌ مرتجلٌ، أو مشتق من بعْضِ اللغات القديمة. ولا يحتمل أن يكون مشتقًا من الدَّوف، وهو خلطُ الشيء بماءٍ أو نحوه، لتفاهة المعنَى. وقد تقدم في الكلام على بلد

(الخريبة): ما نقله الطيب بامخرمة عن القاضي مسعود، وقد قلنا: إن ذلك لا يدلّ على أنها كانَتْ مربَض الإباضية الخوارج، ولم يذكرها الهمداني.

وكانت البلدة القديمة على قارة المحوّقَة، تحت دُقْم المحَوّقة، بضم الميم وفتح الحاء وتشديد [الواو][1]، بها خرائبُ، ثم تحول أهلها إلى الدوفة الموجودة، اليوم ولا نعلم سبباً ذلك. ولعل بعض ملوك الإسلام أخربَها عندما كانت وكْراً للخوارجِ كلاب النار، وذلك أمرٌ معقول، ومن المستبعد أن لا تجوسَ خلالها جيوشُهم، ويتبّروا ما عملوا منها تتبيراً، مع ما صنعوه بغيرها.

وكان أهل قارة المحَوّقَة أهل شرٍّ وقسوةٍ، فإنهم أحرقوا البلدةَ التي كانت على قارة الدّخان، ولا ندري باسمها القديم. وهي بلدةٌ كبيرة، خرج أهلها ليلةً من الليالي إلى أموالهم بالناحية الأخرى، ليسقوها من السيل، وحالَ بينهم وبين بلدهم، فجاء أهل المحَوّقة وكانوا يترقبون ذلك، فهجموا على البلد يحملون القصَب/ والسعف، [١٨١/] فأحرقوا ديارَها، وليس فيها إلا النساء والصبيان. ونقلَ من بقيَ من أهلها إلى حُوفَة، المتقدم ذكرها. ومنهم: آل بازينة، وآل باكَسْرِي، وآل بامعلم، وآل باسعيد، وآل باذَوِيل، وآل باكُوَّاسة، بضم فتشديد الواو.

وسكان الدوفة؛ من السادة الأشراف: آل مقيبل وآل باصرة وآل باحسن. ومن المشايخ: آل العمودي آل سعيد وآل مِشَعَّب، بكسر ففتح فتشديد [العين][2]. وآل بَحْمَد العمودي. وفي بلد قيدون قبيلة يقال لهم: آل بَحْمَد اللّغة، فالفرقُ بين القبيلتين هذا اللقبُ. ومن غيرهم: الباهُمام. وآل بامَقْعَين، بفتح فسكون ففتح فسكون، كأنه تثنيةُ مَقْع، و«المقْعُ»: هو أشدُّ الشرب.

---

(١) في الأصل: الدال. ولعله سبق قلم، أو خطأ طباعي، والصواب ما بين القوسين. (مصحح).

(٢) في الأصل: الدال. ولعله سبق قلم، أو خطأ طباعي، والصواب ما بين القوسين. (مصحح).

والباوهّاب، وهم من آل بامَقْعَين، كانوا قديماً بهينَن، ثم نقلوا عنها بسببِ بعض الحوادثِ مع سبع قبائل أخرى، تفرقوا في القرى. والست القبائل الباقية: آل بالَعْمَش بالعَرْسمة، وباحطاب بخِدَيش، وبن جَحْلان ببلاد الماء، وباجمعان بخديش، وباريان بقَرْن ماجد، وبلّعْجم بعرض باهَيْثم.

وبقيـة سكان الدوفة: آل باظفـاري. وباخْضَر. وباعُبَـاد، بضـم ففتـح. وباحكم. وباصهي. وآل البِحَيْث، من آل باجْعَيفر. وآل باسَبْعَيـن، تثنيـة سَبْع، بفتـح السيـن. والباطَويل، حالكة.

وقريبٌ من غيل المسَمَّرة، بضم ففتح فتشديد [الميم]: مسجدٌ على أسطواناتٍ، منسوب للشيخ سعيد بن عيسى العمودي. ويقال: إنه كذلك من زمنه لم يجدّد.

[الشيخ أحمد بن عبد الرحيم العمودي]

وكان به الشيخ العلامة، الصوفي العابد الزاهد، أحمد بن عبد الرحيم العمودي. كان متجرداً للتعليم، والاشتغال بالعبادة، مع تلامذته، فيه، وفي غرفةٍ بجانبه. ولم أقف على سلسلة نسبه. وكان ذا جدٍّ وإقبالٍ تامٍ، وتحصيل للكتبِ، وكان ينسخُها بيده، وقد وقفتُ على بعضها، وقلما ينقطُ كتابه، ولكنه واضحٌ لمن كان متمرِّناً على قراءة الكتابِ الغير منقوط، وقد استولت الأرضة على كتبه، وتفرق الأكثر منها بأيدي الناس. ورأيتُ بقلمه: «الإحياء» المختصر، في أربعة أجزاءٍ بقلمه، فلا أدري أهو اختصَره، أم هو لغيره نسخه؟

وكان مستجابَ الدعوة؛ آذته قبيلةٌ من آل العمودي، من أهل الدوفة، معروفةٌ، فدعى الله عليهم، فاستجاب له، فلم يزالوا يُعرَفون بالشر وقلة الخير إلى اليوم؛ وسَلط الله عليهم القبائل، فصاروا رعيّةً لهم، حتى إنهم لا يمكنهم تزويجُ أحدٍ من

بناتهم إلا بإذنهم، ولهم عليهم حقوقٌ وعادات مهينةٌ مذلّة، وقد تحرروا من ذلك بعد استيلاء القعَيطي على الوادي، ولكنهم لم يتحرَّرُوا من شرور أنفسهم. وقد ورد في بعض الروايات: «أنه قد يتوارد أهل البيت الواحد في النار، الواحدَ بعد الآخر، وقد يتوارد أهلُ البيت الواحد في الجنة، الواحدَ بعد الآخر». وفي أثرٍ: «إني إذا لعنتُ، بلغت لعنتي السابعَ من الولد»، نعوذ بالله من نِقَمه.

❊ ❊ ❊

وكما أوذي الشيخ أحمد؛ أوذي من بعدِه الشيخُ العلامة، عبد الله بن عثمان العمودي، فقتلوا أخته، وأحدَ أقربائه. ولما كتب لشيخه الإمام الحبيب عبد الله الحداد، أجابه بقوله: «وذكرتم ما حصل من القتلِ على قريبكم، وابن كريمتك: عثمان باعلي، وعبد الله بن عثمان بن أحمد، وأن القاتل من المؤذينَ المشهورين بالأذية والشرّ للمسلمين، وأنه قُتلَ أيضاً، فالله يعظم لكم الأجر فيهما، ويخلفهما بخلفٍ صالحٍ، ويجعل لهما شهادةً وجزاء يلقيانه عند الله، وقد كفى الله المؤذيَ بما أصيب به من القتل، وحسبه الله». اهـ. ومن أجل الفئة المؤذية، وأشباهها، امتنع الحبيب عبد الله أن يشير على الشيخ عبد الله بن عثمان بتولي القضاء.

وقال جواباً على الفقيه الفاضل، الشيخ عبد الله بن محمد بن عثمان العمودي، ما لفظه: «وأهل الزمان كما ترون، أهل فتنة وشقاقٍ، وضياع للحقوقِ، وتعدٍّ للحدود، فإذا وَليهم من لا يشبههم ويناسبهم، وقع البلاء، وتحرّجت الأمور عليه. والرجلُ الصالح كالجوهرة الثمينة، وأهل الزمان كحاملي الأحجارِ والأقذار، قصداً منهم لكسرها أو تلويثِها». اهـ.

❊ ❊ ❊

ولم نقف على ترجمةٍ مطولة للشيخ أحمد بن عبد الرحيم، ولا شيوخه، ولا للآخذين عنه، مع كثرتهم، وربما كان في كتُبه التي تقاسمتها الأيدي ما يفيدُ ذلك. وعسى الله أن يأذن بنشرها، وكشف سرِّها، إلا أنه مشهورٌ عنه كثرة ما نسخَ من الكتب. وكلما نسخَ كتاباً قرأه مع تلامذته، حتى لقد قيلَ: إنه نسخَ من «التحفة» أربعين نسخةً. وقرأها مع تلامذته أربعين مرةً.

[الشيخ عبد الله بن طاهر]

ومن المشهورين بالصلاح والتصوف: الشيخ عبد الله بن طاهر، ذكر في سياق حكايات في «الجوهر الشفاف» وغيره/ . وهو من معاصري الإمام، سيدنا عبد الرحمن السقاف، وله بمقبرة الدوفة قبرٌ يزار، ولكنا لم نقف له على ترجمة. [/ ١٨٢]

[الشيخ عبد الله بن عثمان العمودي]

قال جمال الدين، العارف بالله، السيد الشريف، محمد بن زين بن علوي ابن سميط، العلوي الحسيني، في كتابه «بهجة الفؤاد» [ص ٢٤٥]: «ومنهم: الشيخ الصالح، الفقيه الجامع، الورع المتفنن، عبد الله بن عثمان العمودي، صاحب الأيسر، من قرية يقال لها الدُّوفَة. كان عبداً صالحاً،مخبتاً منيباً، قانتا خاشعاً، جامعاً لعلمي الشريعة وعلوم المعاملة، التي بها سلوك الطريقة إلى الحقيقة، ولعمري هي علوم الكتاب والسنة، وكذا كان جامعاً لعلوم العربية والفلكِ، وغير ذلك، مع استقامة تامةٍ، وعبارة كاملةٍ، وتثبت ونيةٍ، وصدق وإخلاصٍ. وكان منتسباً إلى سيدنا الشيخ عبد الله الحداد، أخذ عنه أخذاً تامًّا، وتعلق بجنابه الشريف تعلقاً خاصاً وعاماً، ولبس منه، وأظنه تلقن الذكْرَ، كالذي قبله. وكان محققا جدًّا في الفقه، ومشاركاً في سائر علوم الإيمان والإسلام، وحصّل «إحياء علوم الدين» بيده وخطّه، كما سمعتُ عنه.

وله نظر حسَنٌ، و«نبذة» في علوم شتى. وكان صاحبَ تلاوة للقرآن، إلى أن مات وهو على ذلك، رحمه الله تعالى.

وكان كثير البحث والطلب لحقائق العلم، وكثير السؤال لسيدي عبد الله، وفي «النفائس العلوية» التي جمعها سيدي أحمد (أي: أحمد بن زين الحبشي) بإشارته، وكذلك الشيخ عبد الله المقدم ذكره (أي: عبد الله بن سعيد العمودي)، ولسيدي إليهما مكاتباتٌ ومراسلات». اهـ. وقد تقدم عند ذكر بلد بضَه تلك الأوصاف التي وصفَه بها الشيخ العارف بالله، محمد بن يس باقيس. وكان متصدراً للتدريس في بلده الدوفة، ويختلف إلى قيدون، وكان حسنَ الخط، قليل الغلط، نسخ كتباً عدةً، وعندي بعض الرسائل بخطه. وكان متفنّناً في العلوم، وقد نسخ «التحفة» ثم ذهب إلى قيدون فقرأها هناك، وقابلها، مما يدل على أنه كان في زمَنه من يعتني بذلك فيها.

وكان ناسكاً، معمور الأوقاتِ بأعمال القرُبات، وطالما همَّ بترك الاشتغال بالتدريس ليتفرغ للعبادةِ وجمع الهمِّ على الله، فنهاه شيخه الحبيب عبد الله الحداد، وقال له في بعض كتبه: «وأما ما تجده من الضيق والتشتت حالة الدرْس في الكتب الفقهية، ومن الجمعية عند الأخذِ في كتب الصوفية، فذلك قد يجدُه بعض من المتعلقين بالطريق، فلا تدع التدريس في كتب الفقه من أجل ذلك، لما فيها من النفع العام، واحتياج الخاص والعام، ولكن خذْ فيها باقتصادٍ، ولا تكثِر من المطالعة والدرس في حالة الاستثقال والملل». اهـ.



وكان من أولاده: سعيد، العلامة المتفنن. وستأتي ترجمته. و: محمد، أحسبه أخذ أيضاً عن الحبيب عبد الله الحداد. و: عمر، وربما كان له غيرهم.

وقد أفردَ ترجمته بالتصنيف، العلامة الزاهد الفقيه، أحمد بن محمد باشميل،

في «شرح المرثية» التي رثاه بها الحبيب علي بن حسن العطاس، وهو من الآخذين عنه، وقد كاد يستوعب ذكرَهم الشيخ أحمد المذكور في «شرحه».

وكان شيخه الحبيب عبد الله الحداد يقول: «إنه أبو ذَرِّ زَمانه»، أو: «إن فيه مثلاً من أبي ذَر»، وكلامه هذه كان عندي، أحسبه بقلم ابنه الشيخ سعيد، ولم يحضرني حال الكتابة الآن، وإنما هذا الذي أوردته خلاصَة المعنى، والكلام أبسط من ذلك. ورأيتُ بقلمه في آخر بعض الرسائل ما لفظه: «فرغ من خط هذه النبذة المباركة يوم الثلاثاء، سادس عشر رجب الحرام، أحد شهور العام الثامن وثمانين بعد الألف، من هجرة الحبيب ﷺ، وكان ذلك بمسجد الشيخ عبد الله بن طاهر بالدُّوفة، عمر الله ربوعها بالإسلام، وسائر بلاد الإسلام». اهـ.

وأما نسبه، فهو: عبد الله بن عثمان بن أبي بكر بن عمر بن عمر بن محمد بن علي بن أبي بكر بن عبد الرحيم بن أبي بكر بن عثمان بن عمر بن محمد بن الشيخ الكبير سعيد بن عيسى العمودي.

وكان يألف مسجد الشيخ عبد الله بن طاهر بالدوفة، ومسجد الشيخ سعيد بن عيسى بغيل المسَمَّرة، ورأيتُ بعض ما نسَخه ابنه سعيد، ذكر أنه نسخه بمسجد غَيل المسمَّرة المذكور، ويقرب أن تكون مدة صحبته واتصاله بالحبيب عبد الله الحداد فوق الخمسين سنةً. ومن جملة الآخذين عنه: الحبيب علوي بن الحبيب عبد الله الحداد، والحبيب علي بن حسن العطاس، وابنه سعيد، وغيرهم.

[/ ١٨٣] وكان أبوه عثمان، وجده أبوبكر، وأحسب أن جده/ عمر، أيضاً، من العلماء، وقد تقدمت الإشارة إلى الإجازَتين من الفقيه أحمد بن علي بابحير، والفقيه أحمد باحويرث، لجده الشيخ أبي بكر.

وذكر السيد الشريف يوسف بن عابد بعضَ عشيرته من أهل قيدون، وسيأتي ذكر ذلك. توفي الشيخ عبد الله المذكور سنة ١١٤٣.

* * *

ومن فضلائها: الشيخ الفقيه العارف بالله، عبد الله بن عمر باعُبَاد، بضم العين وتخفيف الباء. أخذ عن القطب الإمام الحبيب عمر العطاس، وعن الشيخ الكبير علي بن عبد الله باراس، وله «كتابٌ» في مناقبهما، نقل عنه الحبيب علي بن حسن في «القرطاس». **ومنهم**: الفقيه عبد الله بن محمد بامَقْعَين. كان في عصر الشيخ علي باراس، قتله أحد عشيرته ظلماً.

[الشيخ سعيد بن عبد الله العمودي]

ومن علمائها: الشيخ العلامة الفقيه الصوفي، المتفننُ الدائب في اكتساب العلوم، والمقبل على المنطوق منها والمفهوم، المتجرد للعلم والعبادة، والمتحلي بالقناعة والزهادة، سعيد بن الشيخ عبد الله بن عثمان. تفقه بأبيه، وأخذ عن الحبيب عبد الله، وجوَّد النَّسْخ فأتقنه، ونسخ بقلمه الفوائد والضنائن، وكان خطه جامعاً للحُسْن والوضوح والأناقة. ورحل مرّتين أو أكثر في حياة شيخيه إلى الحجاز للحج، ولطلب العلم، وإلى اليمن. فأخذ عن مشايخ الحجاز، منهم الشيخ أحمد بن محمد الأسدي، وأخذ عن مشايخ اليمن بزبيد، والضَّحَي، والمراوعة.

ونسخ من الرسائل والمنظوماتِ مختلفَ الفنون، من نحوٍ، وصرف، ومعانٍ، وبيانٍ، وبديعٍ، وتاريخٍ، ومنطقٍ، ومساحةٍ، وحسابٍ، وجبرٍ ومقابلة، وذلك ما لا يعرف الناس اليوم حتى اسمها. وكان عندي مجموعٌ له ضخمٌ بقلمه، وكنت ضنيناً به، ثم عاثت فيه الأَرَضة لغفلةٍ من القيِّم الذي وضعناه على كتب الرباط، حتى

لقد أكلت جزأ من «الإمداد شرح الإرشاد»، والجزء الثاني من «الروضة»، وهما من الكتب الضنينة، التي تكاد أن تكون معدومةً. وعندي الآن: «مجموع مؤلفات الحبيب عبد الله الحداد»، أكثره بقلمه، وقلم والده. ووقفتُ إبان الصّغر على مجموعٍ له آخر، ذكر فيه بعضَ ما قرأه على الحبيب عبد الله الحداد.

ولما توفي والده، خلفه في نشر العلم، وإقامة المدارس، وانتفع به الناس. وكان من أهل الجد والاقبالِ على العبادة، بكنهِ الهمّة، حتى أنه يطول القيام في الصلاة مدّة نصف جزء من القرآن، وكان يطيل الركوع والسجود، ويكثر من النوافل، وترجمهُ الشيخ العلامة أحمد بن محمد باشميل.

وعندي له في بعضِ مجاميعي: «ترجمة» حافلة، ولا يمكن استحضَارها، ولا نقلُ شيء منها، مع حدوث هذه الحرب، وكوننا نبيّضُ هذا التاريخ مع الطبع، فلا يمكن الانتظار، مع طول المسافة، وإبطاء الكتب ذهاباً ورجوعاً، وفيما ذكرنا كفايةٌ، وقد تقدم ذكرُ اتصالنا به عند ذكر بلدَي ضَرْي، وصُبَيخ.

وذكر في «المجموع»: أن والده وضعَ، بطلبٍ منه، يدَه على صدره سحَر ليلة الخميس، سادس شعبان سنة ١١٤٢، لضيقٍ حصل معه، ثم قرأ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾، و﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾، و﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾، و﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾، و﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾، كما وضع الحبيب عبد الله بن علوي يدَه على صدره، وأجازه في ذلك كما أجازه، وهذا يستفاد منه التاريخ.

[عود الى الوصف]

ثم يأتي بالجانب الشرقي: وادي حَيْح، بفتح فسكون. وقد سبق وصفه.

ثم تأتي بالجانب القبلي: الجديدة. فيها: آل باحاذق، وآل باغزال، وآل

بايعشوت. ولبعض أهل هذه القرية تهورٌ في دعوى رؤية الهلال، وقد زعموا رؤيته مرةً، فطلع صباح ذلك اليوم من الشرق قبلَ الشمس. وهي قصةٌ مشهورة، وقد قبلهم أحدُ القضاة المشهورين، وأكبرَها عليه جميعُ أهل الدين، وتبعه فأفْطَر النساءُ وأشباه النساء من الرجال.

ثم: عَرْض باقار. فيه: آل باقار، قبائل ينتمون إلى آل بني حسن. وقيل: كان في هينن قبيلةٌ تسمى آل باقار.

ثم: جَحْي الخنابشة، بالشقّ القبلي. فيه: السادة الأشراف آل مقبيل، والخنابشة، والباجنيد، وآل بن خَيِّل، بفتح فتشديد الياء. وآل بو منذر، ويقال: إن أصلهم من هينن، ومنهم في الساحل. وآل باحفظ الله. وفوق جحي الخنابشة: شعب تَعْقُوب، وغيل يعقوب، وحصن خَازُوق.

وحصن باشجيرة، في الجانب الشرقي.

ثم: حصن الصاكِّين بشد الكاف المفتوحة فسكون الياء.

[جدفرة يبولة]

وتقابله: جِذْفرة يِبُوله، بالجانب الشرقي. وفوقَها: حصن يبوله، للخنابشة. ولها ستة شِعاب، تسمى يَبْيَل، بفتح الياء والباء وسكون الياء الثانية. وهناك عينٌ صغيرة تسمى عين يبوله. وجِذْفرة يبوله هذه، كانت تسقَى من شعابها فقط، وكانت ملكاً للخنابشة، والباظفاري، والباحسن/ . ثم إن سعد بن عبد الله الخنبشي، وكانت [/ ١٨٤] له صلاتٌ بالمقدَّم عمر بحمد باصره، أشار له أن يحدِثَ لها ساقيةً من الوادي الكبير، وأن يسخر أهل العرسمة، والدوفة، والجديدة، للعمل فيها، ففعلَ، وأجّر على العمل في بعضها، فتم إحياؤها جميعاً، وعادت جروباً وحِيضَان (أحواض) نخل.

[جَحْي الخنابشة]

ويقال: إن أصل الخنابشة من حوالي ريدَة المعارَّة، وإن بها أناساً يسمَّون آل باخنبش. ويقال للخنابشة: آل باحماحم. وهم: (١) آل سعد. (٢) وآل حمد. ولكل منهم مقدَّم (رئيس). وكانت الحرب بين الحالكة من سَيبان، والسلطان القعيطي، بسبب حصر الحالكة لهذه القرية، المسماة بالجَحْي، وسنذكر بقية القضية بالاختصار عند ذكر العرسمة.

وفي هذه القرية: بيتٌ من آل باجنيد، وكان في بيت آل باجنيد قضاةٌ، وفي مواليهم. فإنّ لهم على ما يقالُ: موالٍ نُسِبو إليهم، وأحسب أن الشيخ أحمد بن محمد باشميل ابتدأ في طلب العلم على واحدٍ منهم، قال: «ولما سألني عن الكتاب الذي أحضرتُه معي، قلت له: إنه «شرح الرحبية» للشيخ العلامة رضي الدين، أبي بكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن يحيى أبي العباس السِّبْتي، بكسر السين وسكون الباء. فصَاحَ قائلاً: حيَّة من جُبُوبها. فقلتُ له في ذلك؟ فقال: إنه منكُم». وقوله: «حيَّة من جبُوبها»: مثلٌ حضرمي، يعنون أن ضلْعَها وميلَها إلى جبُوبها، أي: الأرض التي بها جُحْرها.

وقد ترجم الطيبُ بامخرمَة لأبي بكر هذا [«القلادة»: ٦/ ٢٣٤]، ولأخيه محمد [«القلادة»: ٦/ ٧٤]، ولجدهم الأعلى أحمد بن محمد [«القلادة»: ٥/ ٣٥٩]، ونسَبه إلى أوس بن ضمعَج.

وأما آل باشميل فسيأتي ذكر نسبهم.

[القاضي عبد الله باجنيد]

ومن أهل العصر: الفقيه القاضي، عبد الله بن سعيد باجنيد. كان جيد الخط،

طلب الفقه بمكة وغيرها، وعنده شيء من علم النحو، إلا أنه لا يحسُنُ التعبيرَ، لضعفه في الإنشاء، ولهذا جاء بعباراتٍ قلقَةٍ في «رسالته في الشفعة»، أنكرناها عليه، وأنكرها عليه غيرنا. وأول من سعى في توليته القضاء، شيخُنا الحبيب محمد بن طاهر، ثم استمر بعد ذلك، وجرت له مع قضاة عصره منازعاتٌ ومجادلات عنيفة، وشاع نقْضُ أحكامه، فكان إذا حكمَ على أحدٍ بحكْمٍ شكى إلى المقدَّم عمر بحمد باصرّه، فيستدعي قاضياً آخر، فلا يلبث أن يحكم بنقْضِ حكم عبد الله باجنيد، لعلَلٍ وأخطاء تقعُ في حكمه، ولا تحصى تلك الوقائع فإنها كثيرةٌ. ولذلك عدل في آخر أمرِه إلى أن يصلحَ بين المتخاصِمين، بعد توهيمٍ وتهويلٍ على الممتنع منهما. وله عدة وقائع في قبول هلال العيدِ، تركَ فيها التحرّي، فأنكر عليه ذلك علماءُ الجهة وخطأوه.

ومن قضاياه: تلك المسئلةُ التي مرَّ ذكرُها في ترجمة الشيخ عبد الرحمن بن أحمد باشيخ، عند ذكر بلد هَدُون، فراجعها إن شئتَ. وهي التي ردَدْنا عليه فيها، وأبطل حكمه، كما مرَّ. وذكرنا معارضةَ فقهاء سيون وتريم له، ومجادلة الشيخ العلامة فضل بن عبد الله عرفان له، وإفحامه، في مجلس مشهور. وكان يصعُب عليه الرجوع، حتى إنه مكث مدةً يشيع هذه المسئلة عند معارفه، ويزعم أنه على الحقّ، وأن من رد عليه لم يصنعْ شيئاً. وقد كسب ثروة يبالغُ بعضهم فيها، وكان يعطي الدَّين بربحٍ، ويجعلُ له صيغةَ إجارةٍ، ويفتي بجواز ذلك، وتبعه في هذه الفعلة غيرُه، حتى من بعض السادة الأشراف، نعوذ بالله.

وله ولدٌ نجيب ذكي، طلب الفروعَ الفقهية عند أبيه، ثم سافر إلى مصر إلى الأزهر، فمكث هناك مدةً، وتفقه، وعاد فتولى القضاء بالمكلا، ولم نتحقّق حاله ولا سيرته، ولكن بلغنا عنه أيام كان بمصر أنه كان رزيناً، لم تستخفَّه بعضُ أهواء أهل الزيغ، فنسأل الله أن يأخذ بيده إلى طريق الحقّ، وسبيل العدل، وإيَّانا، آمين.

[العَرْسَمة]

ثم: بلَد العرسمة، بالجانب القبلي. وحولها شعابٌ، منها: ذَلُّوت، بفتح فضم اللام المشددة فسكون. وشعب الغُبَيرا، وشعب الكُحَيلاء، وشعب الأَوْسَط: يسقي العرسمة، وحِجِلَ الجحي. ولها ساقية من الوادي، لا يزال السيل يكسِرها، فلذلك يضرب بها المثلُ: للرجلِ الذي تتواردُ عليه الأمراض.

وفي العرسمة: الأَحْلاف، كانوا يداً واحدةً على الخنابشة، وكان بينهم قتالٌ. ويقال لهم: المرادفة، وكانوا يحملون السلاح، وهكذا كان أهلُ حضرموت، كلُّهم يحملون السلاح، ثم تركه المتَفقِّرُون، أي: الذين صاروا فقراء، بمعنى: صوفية. ثم عمَّ تركُه أهلَ الحرث، والحِرَف، وسكان القرى الذين/ ليس لهم عصبية قبائلية. [/١٨٥] والأحلافُ خمسُ قبائل: بالَغمش، أصله من هينن. وباشُمَيل من العَبْر، وبازَعزُوع، وباخشَب، وباجِخَيف. وبها أيضاً: باحسن، وبارضوان، وباعثمان، وباعَقِيل، بفتح فكسر فسكون. ومنهم أيضاً في حُوفة، يقال: إنهم من آل باكُلَيب. وقيل: إن القبائلَ الثلاث: من البن ربيعة.

وفيها: المشايخ آل باوزير. وكان بها: الباحُمادي، وباكافور، وبامثيلة.

ويشرب أهل العرسمة من غيل ذَلُّوت فوقَ البلد، بالغرب الجنوبي، يخرج من كهفٍ تحتَ صيقة ذلُّوت، إذا أخصبت السنةُ فاضَ، وملأ جوابيه العليا والسفلى، ثم يعود فيقل ماؤه. فإن أبطأت الأمطار، وأزمَنت السنة، بقي قدرٌ لا يكفي جميع أهل البلد. ويقال: إنه كان في أسفل شعب ذلوت غيل كبير يسقي جروب ذَلّوت، يسمى: غيل مِزَيْقُوَة، بكسرٍ ففتحٍ فسكون الياء فضَمّ القاف ففتح الواو، ثم حدث له حادثٌ فانقطع.

استيلاءُ السلطان القعَيطيّ على الأيسَر

قد سبق قريباً بعضُ ما أدّى إلى ذلك. وقلنا: إن السبب الأصليَّ: هو امتعاض قبيلة الحالكة من المقدَّم عمر بخمَد باصره، بسبب تنفيذ أوامره في بعض الوقائع والشكاوي. وشاركهم في هذا الامتعاضِ بعضُ آل العمودي. فلما وقعت مسئلة: باهَبْري السيباني، وباشْجَيرة الخنبشي؛ سارع مقدم آل بِلْحُمَر (الحمْران)، وهو رئيس قبيلة الحالكة، وهم قسمٌ كبير من سَيْبان، فأدخل نفسه في الأمر، وانتهى ذلك بحَضْره لجحي الخنابشة، وإرسال المقدم عمر بخمَد باصرّه عسكراً لإعانتهم، وهجومهم على معسكر بِلحُمَر تحت الجحي، وانهزام عسكره انهزاماً مخزياً، ثم حصر العرسمة، وضربها بالمدفع، وتسليمها، بل تسليم وادي الأيسَر جميعه للقعيطي.

[قصة باهبري وبلحمر]

وكانت القصة: أن أحد آل باشِجَيرة، من الخنابشة، صاهر بعض آل باهبري، أهل جِرَيف، على بنتٍ لهم. وكان لآل باهبري فوق جريف غَـبَرَةٌ خاصّة بهم، (والمراد بالغَبَرة، بفتحاتٍ: عينٌ قليلة الماء، كأن اسمها مأخوذ من الغَبَـر، وهو بقية الماء)، فكانوا يمنعون الناس منها.

فجاء صهرهم باشِجَيرة المذكور، ليستقي منها، مُدِلّاً بحصة زوجته فيها، فخاصَمه آل باهبري، وتدافعوا وتضاربوا، وأصابه حَجرٌ في رأسه، فغُشِي عليه، وحمل إلى بيته، وكان أخوه في صُبَيخ، فبلغه الخبر مبالغاً فيه: أن أخاه قُتل، فجاء يعدو لينصُرَ أخاه، ويثأر به، ومرّ في سفحِ الجبل على إحدى المضَالع (واحدتُها: مَضْلَعة، وهي حاجز من حجارة، يبنى على الجرْب، أو حوض النخل، أو جانب السّاقية، ليحجزها عن الانهيار، ويمنع ماءَها وطينها)، فانهارت به، فسقط، وأصابته بعض الحجارة، فقيل: إنه مات. وقيل: أوهنته، وبه رمقٌ، فرماه أحدُ آل باهبري، فقتله.

فلصق به الثأر، وبلغ الصريخُ للخنابشة، فأقبلوا هاجمين على جِرَيف، ولكنهم وجدوا آل باهبري قد تحصنوا في بيوتهم، وأخذوا يرمونهم منها، فرأوا أن الرجوع أولى، وإنهم إنما يعرضون أنفسهم لخصُومهم. ولكن أصيب منهم غلامٌ بامَـحْلَقة، بفتح فسكون ففتح، ومعناه: أنهم يدْعُون للغلام الذي لم يبلغ الحلم منهم، ولم يحمل السلاح، قَزعةً وسَطَ رأسه بعد حلقِ ما حولها. وقتلُه ممنوعٌ عندهم، ومن قتله فقد فعلَ العيب، وعليه في عُرفِهم حكمٌ غليظ، وهو أن يسلّم ابنُه لأبِ الغلام المقتول، وقبيلتِه، ليذبحوه، وعند ذلك يطهرُ من العيبِ. وهم قلَّما يذْبحو له إذا فعل، ولكن يعتبر تسليمُه إرضاءً لهم، ثم يأذنون له في العَود إلى أهله. وخاف باهبري من هجوم الخنابشة على دياره، أو أخذ الثأر منه، فطلب نقيلةً من المقدم عمر بلحُمَر، فأعطاه ابنه.

وفي عرف القبائل: أنّ من وضع نقيلةً عند أحدٍ فقد أجارَه، فإن قتله خصومُه وجبَ عليه أن يقتلَ منهم رجلاً، وبذلك يكون قد قام بحقّ الجوار، وغسَل ما أصابه من العار. ولكن من عادتهم أيضاً: أن المقدَّم، أي: رئيس القبيلة، لا ينقِّل، بضم ففتح فتشديد القاف المكسورة، أي لا يضع نَقِيلةً عند أحدٍ. فخالف المقدَّم بلحُمَر هذه القاعدة. فعَدَّها الخنابشة عدواناً عليهم، فخابروا جماعةً من رؤساء القبائلِ ليأتوا معهم لمراجعة المقدَّم المذكور. وساروا في حشدٍ، حتى حطّوا تحت عَرْض البلحُمَر، وطلعوا إليه مع بعض الرؤساء، وطلبوا منه أن ينزل إلى محطتهم للمراجعة في الأمر.

وقـام الخنـابشة بالنفَقة والضيـافة. حتى قيل: إنهم مكـثُوا نحـو شهـر هناكَ، يذبحون كل يوم رأسيـن من الغنم، وصابـروه، رجـاءَ أن يـرجع عما فعله/ [١٨٦/أ]. لأنهم يعلمون أن إخفَار المقدَّم سيجر عليهم حرباً مع الحالكة كلهم، فخابَ أملهم.

وانتهى الأمر بإصرار المقدَّم بلحُمَر على الإباءِ، وامتنع عن إرجاع نقيلتِه التي عند آل باهبري. وتمادى الحال، والقلوبُ مَغيظَة.

ثم كان من الصدف التي نكأت الجرح، وأثارت الحرب: أن أحد آل باهبري وكان جسيماً قويًا شجاعاً، انحدر لزيارة الشيخ سعيد بن عيسى العمودي، إلى قيدون، ومرّ في الطريق في الوادي تحت الجحْي، فلقي هناك شيخاً مسنًا من الخنابشة، هو جد الغلام بامحلَقة، القتيل، فصافحه باهبري، وضغط على يده حتى كاد يحطمها، فلم يظهر الخنبشي الشيخ اكتراثاً لذلك، وفتح مخابرة مع باهبري، وسأله: أين يريد؟ ومتى يرجع؟ فقال: أريد زيارة الشيخ سعيد، وسأرجع عشيةً. وما كان يظن أن أحداً يجرؤ عليه، مع أن معه ابن المقدم بلْحُمر خفيراً ونقيلةً، وكان قد استصحبه معه. وعاد الشيخ الخنبشي إلى بيته، وهو يحرق الأرَمَ، ويقضِمُ الجمر، مغيظاً محنقاً، واستدعى ابنيه، فقال لهما: إني قد حلفتُ بطلاق أمكم ثلاثاً، إن لم تقتلوا فلاناً باهبري هذا اليوم. فراجعوه، فقال لهم: ليس عندي إلا ما قلته. فخرجوا، واستصحبوا ثالثاً من قومهم، جعلوه عيناً لهم، وكمنوا.

فلم يطل الأمر حتى أقبل باهبري، ومعه ابن المقدَّم بلحُمَر، فرماه الخنبشيان معاً ببندقين، فأخطآه، ورماهما فأخطأهما، وحمل كلٌ على الآخر بالجنَابي، (هي نوع من الخناجِر، كانت توضع على الجنب، فنسبت إليه، فقيل: جَنْبِية). فبدر باهبري إلى أحد الأخوين، وأهوى عليه بجنبيته، ولكن هذا بادر واستقدم حتى لا تناله الجنبيّة، فهوت الجنبية خلفَه، وأصابه ساعد باهبري على أمّ رأسه فغُشي عليه من قوة الضَّربة، وأقبل أخوه على باهبري، ولكن باهبري هربَ راجعاً في الوادي، ولو استمرّ لانفلت منهم، لكنه عاد إلى جهة العرسمة. وسبب ذلك: أن الخنبشيّ الثالث أثار عندَه توهماتٍ وخيالاتٍ، لأنه أخذ يصيحُ به، ويوهمه أن أناساً أمامه،

وأناساً خلفه، مكمنين له!. وأدركه الخنبشيّ، وتشاولا بالسلاح، وحاول باهبري أن يطعنَه، فأمسك يده بكلتا يديه، ومكثا يتصاولان كل واحدٍ منهما يريد قتل الآخر، حتى تعب كلٌ منهما تعباً شديداً، وهما يريان الموت عياناً، وقام المغشيُّ عليه، فأخبره الخنبشي الثالث، الذي هو بمنزلة العين لهما، وقال له: أدرك أخاك. فجاء فوجدهما في صراعهما، فدار من خلف باهبري وهو لا يشعر، فطعنه طعنةً قاتلة، ولشدة الموقف لم يشعر بها باهبري، ولم يطُلِ الأمر حتى خرَّ ميتاً.

وعظُمَ الأمر على المقدّم بلحُمَر، ورأى أنه قد لحقه عارٌ عظيم بقتل باهبري، ومعه ابنه، فصاح في الحالكة، فجاءه من كل أوبٍ، فعسكرَ بهم تحت الجحْي، وقطع داخله وخارجه، ومنع سوارحهم عن المرْعَى، وذلك عندهم مخالفاً لعادة القبائل، فإن من حطَّ منهم بقومه على الآخر، ليس له أن يمنعَ السارحة ولا الرواعي، وإنما يحصُر الرجال فقط. وراسل الخنابشةُ أناساً من بقية القبائل ليراجعوا المقدَّم بلحُمَر، ليسمحَ لسوارحهم بالخروج، فأبى، وضاق الخنابشة بالحصْر، ورأوا أنه لا بدَّ لهم من الاستعانة بالمقدَّم عمر بحْمَد باصرّه، وأنه ليس للمقدَّم عُمَر إلا المقدَّم عمر! فذهب رجلان من رؤسائهم مع صحبٍ لهم من طريق الجبل، حتى هبطا إلى دوعن، ووصلا إلى عُورَة، واجتمعا بالمقدّم، وطلبا معونته، ولم يعلم أحدٌ ماذا قام بينهم من الشروط.

وقام الحالكة ومن معهم بإرجافٍ شديد بين أهل قرى وادي الأيسَر، وقالوا لهم: إن الخنابشة ذهبوا إلى باصرّه ليأتوا بالعسكر، وإذا أخذوا الوادي الأيسر فسيحلّون العسكر في ديارهم، كما فعلوا بأهل دوعن، وأنتم لا بد لكم من الخروج كل يوم إلى أموالكم ونخلكم، وسيبقى العسكر خالين بنسائكم وبناتكم في بيوتكم، وكرروا هذا الكلام وأشباهَه على مسامعهم، حتى أثاروا حميتهم، وصار عندهم بمنزلة الحقيقة الواقعة.

فلما كان شهر ربيع الأول؛ جئتُ مع شيخنا إلى المشهد، وجلسنا مع السيد الفاضل، العاقل الحليم، المصلح المنصب، أحمد بن عمر بن هادون العطاس، العلوي الحسيني. فسأله عن حال وادي دوعن ووادي الأيسَر، فأخبر بما وقع فيه من التحزب وبَوادي الفتنة، فانزعج، وخاف على الناس عواقبَ ذلك. وسأله: ألم تجتمع بالمقدّم بلْحُمَر؟ فقال: بل ذهبت إليه، وباحثته بالأمر، وحاولت صرفه عن القيام بحربٍ، فلم يقبل.

وبعد مـدةٍ، جاء/ شيخُنا إلى قيدون، وكان أهلها قد داخَلوا المقدّم بلحُمَر، [١٨٧/أ] وجمعوا له مبالغ من الريالات، وساعدوه على وضع غراماتٍ على بعض أهل البلد، وتهديدهم بوضع جند في بيوتهم، فتكلم معهم بعد صلاة الصبح، وبعد صلاة العصر، ينهاهم عن فتح باب شرٍّ على أنفسهم. ولكن وجدهم في غيهم يعمهون.

فأصعدَ إلى العرسمة، وكنتُ معه، وظل بها وبات، واجتمع مع المقدّم بلحُمَر وقبائله، وطال الحديث، وذهبوا بأنفسهم مذهباً بعيداً، واشتطّوا في المطالبِ. ورأيتُ أهلَ العرسمة عندهم من الحدّة والحمية ما لا حدّ له، وكلُّ كلامهم يدور حولَ ما تقدم: أن القعيطي إنما يريد أن يضع العسكر في بيوتنا، فوق معَاويرنا (ويعنون بالمعاوير: النساء). وبهذا السبب: قام أهل الأيسر بنفقات البادية التي انجالتْ إلى قرى الوادي الأيسَر، مع أنهم ليسوا برجال حربٍ، وقد انفضّوا عندما حمل عليهم العسكر مع الخنابشة، انفضاضاً معيباً، مع أن العسكر لم يكونوا إلا نحو ستين رجلاً.

وأحدث الخنابشة حصوناً ثلاثةً، حصنوا بها بلدهم، وأحدث بلحُمَر حِصْنين حول العرسمة، واستمرت المراماة بينهم، ثم حمل العسكر والخنابشة على حصن بلحُمَر، المسمى القاهرة، فهرب المرتَّبون فيه، وأسلموه. ثم هجموا على حصنٍ آخر فوقَه، يسمى الكِحَيلا. ثم أخذوا يهاجمون أطراف العرسمة، وأحضروا المدفع، فأحدث ثقوباً في بعض الجدران، ولكن صوته أحدث للبوادي رعباً. ثم هجم

العسكر على البلد هجمةً واحدةً، وطار الحالكة ومن انضمّ إليهم، ولم يحاموا عن البلد، ولم يصَب أحدٌ منهم ولا من العسكر، وكانوا قد التقوا مرةً في جِذفرة يبولة، وظلوا يترامون بالبنادق، ولم يقتل منهم أحد، فهم إنما يقاتلون قتالَ تعذير.

وفي مدة الحربِ التي دامت نحو تسعة أشهر، لم يقتل من الفريقين إلا نحو اثني عشر رجلاً. وسُلّمَ الوادي الأيسر جميعُه للقعيطي، وذهبت الأحلامُ والمنامات التي رآها الناس للمقدّم بلحمر، ومكالمة الشيخ سعيد له، وقصائد الجنّ، كلها أدراجَ الرياح، وصار الحكْمُ للمدفع والبندق، ورجال الحملات، وأسلموا الأهالي بعدَ أن مصوهم مصًا، واستنفذوا مدَّخراتهم. ولما استولى المقدم باصرّه، جعل على أهل وادي ليسَر أربعين ألف ريالٍ، يسلمونها بدلاً عن نفقاتِ الحرب، وفرقها على أهل القرى، فجاءت ضغثاً على إبَّالة، وتعبوا تعباً شديداً، وباعوا في الحصول على الدراهم أموالهم ونخيلهم. وتبع ذلك مطالبُ أخرى، ليس لها نهاية، كادت تُودِي بهم إلى الفقر المدقع والبؤس.

وكانت هذه عاقبة الحرب التي نهاهم عنها السادة الأشراف، فعادوهم واتهموهم بموالاة القعيطي، وكنا من جملة المتَّهمِينَ عندهم، ولقد كنا نشعرُ بما سيجرّونه من البلاء على الرعيّة، وأنهم يفتحونَ بحركتهم تلك باباً لا يقدرون على سدّه. ذلك بما علمناهُ من التجربة والخبرة، وما ذكره ابن خلدون في «مقدمته»: أن البوادي لا تقدر على مقاومة الدُّوَل الثابتة، ذات الموارد والعساكر، وأن البدويَّ لا يقدر على الثبات في الحصون، ولا المطاولة في الحرب، وقصارى همّه: الرجوع إلى باديته وصُرومِه، ومراعي إبله وغنمه، وما يسببه استيلاؤهم من انتشار الفوضى، لأنهم غالباً لا يحسنونَ إقامة النظام، ولا إعادة الأمن، ولا تدبير الدولة.

وقد رأينا تلك الأيام: ضُعفاءَ القبائل الذين لا يقدرون على الدفاع عن أنفسهم،

يهاجمون أهالي القرَى في بيوتهم، ويتهددونَهم، لينتزعوا منهم شيئاً من المال، ولا ينهاهم أحدٌ، وكان كل من حملَ بندقاً فهو حاكمٌ بأمره، وليس هناك مصدر حلٍّ ولا عقْدٍ، ولا من يسمع أمراً ولا نهياً، ولا يجد المظلومُ له مشتكى.

وبالجملة؛ فشَرُّ الحكومات، حكومَةُ البوادي الفوضوية.

[الشيخ أحمد باشميل]

وكان من بلد العرسمة: الفقيه المحقق، الصوفي الزاهد، القاضي العادل، محمد بن أحمد باشميل الأزدي، هكذا نسَب نفسه في «الكتاب» الذي ألفه في كيفية طلبه للعلم، وذكر فيه مشايخَه، وقال: إن جدَّه الأعلى جاء من العَبْر وما حواليه، وكان من القبيلة التي تسمى الـمَعَظَّة، بفتح الميم والعين وتشديد الظاء، وتجند عند الشيخ عثمان بن أحمد العمودي، الذي تولى زاوية الشيخ العمودي سنة ٩٣٧، وجعله راتباً في الدُّوفة. وكان هذا الشيخ قد ولدته أمه لسبعة أشهر من حملها، وخاف والده موته، لما يرى من ضعفه. وجاء الحبيبُ العارف بالله علي بن حسن العطاس، فحمله والده إليه ليباركَ عليه، ويدعو له/ ، فلما أقبل به قال الحبيب علي: [/١٨٨]

أقبَلْ حِمَدْ بن محمّد بالنَّقَطْ والمسُوحْ

فقال والده: ولكن حاله ضعيف، نريد منك الدعاء له.

فقال:

عَظيـمْ حَالُه لو تَـدرونْ ذَرْيُه ينُوحْ
يقرأ ويدرَى من المولى يقَعْ له فتُوحْ

فحقق الله ما قاله، وبارك الله فيه وأنشأه نشأة حسنةً.

ولما ترعرع، أقبلَ على طلب العلم بحرصٍ ورغبة، ونية صادقة، على بعض

علماء الجهة، حتى اجتمع ببعض أبناء إمام قطر الأحقاف، الحبيب عمر بن سقاف السقاف، فحثه على الخروج إلى حضرموت لطلب العلم، فخرج معه ونزل في بيت الحبيب عمر بن سقاف، وأقبل على الطلب بجدٍّ، ورباه شيخه المذكور تربيةً دينية، ظهرت عليه آثارها. ومن جملة ما خاطبه به من قصيدة قوله:

بَاشْمَيل اشتمِلْ معْنَا ودُرْ حيث درْنَا

فإنهـم قَالـوا المحبُوبْ فينـا ومنَّا

ولما رجع إلى بلده، أقبل على المطالعة والتحصيل، ونشر العلم والتأليف، وتردد على علماء جهته، وأخذ أخذا تاماً عن العلامة المتفنن، السيد الشريف، الحبيب عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن عيسى بن محمد بن الحبيب أحمد بن محمد الحبشي، صاحب الشعب، وهو أحد أجدادي من جهة الأم، وانتفع به، ونظم فيه قصيدةً ضمنها مناقبه، وشرحَها، وقد اختصر ذلك «الشرح» العلامة أخي عبد الله.

وللشيخ أحمد المذكور نحو أربعين مؤلفاً، كلها غريبةٌ في بابها، وله فتاوَى نافعةٌ في مجلد، سماها «الفتاوي المثبتة من الأوراق المشتّتة». ومن مؤلفاته: «شرح للرحبية»، و«شرح العمريطية» في الفقه، في مجلدين. و«شرح» مرثية الحبيب علي ابن حسن العطاس في الشيخ عبد الله بن عثمان العمودي، ترجم فيه الشيخ عبد الله، وذكر تلاميذَه. و«شرح» لقصيدة الحبيب علي أيضاً الميمية، التي أولها:

يقُولْ بو مرْيَم تهذْرَم بالغِنَا يَا هميمْ

و«شرح» قصيدته التي أولها:

إذَا دخَلْ في السنِّ الآدَمي شَدّ

و«شرح» قصيدته هو في شيخه الحبيب جعفر بن محمد العطاس، ترجمه

فيها، و«شرح» قصيدة الوصية للحبيب عبد الله بن علوي الحداد، وهي التي أوصى بها تلميذه الشيخ عبد الله بن عثمان العمودي، أولها:

وَصيّتي لك يـا ذا الفَضْلِ والأدبِ   إن شئْتَ أن تسلُكَ العالي من الرتَبِ

و«مناقب» الحبيب عبد الله بن أبي بكر مقيبل، السيد الشريف، العلوي الحسيني. و«رسالة في القاف الأعرابية»، ويسميها القافَ اليابسة، ناقش فيها الشيخ ابن حجر في قوله ببطلان الصلاة بها، ونقل فيها نقولاتٍ اعتمدَها. و«شرح» منظومة الشيخ عبد الله بن أحمد باسودان في النكاح، وهو شرح مفيدٌ. وألّف «ترجمة لنفسه»، وبدوّ أمره، ذكر فيها مشايخه، وكيفية أخذه عنهم. وقد ذكر أن مؤلفاته نحو أربعين مؤلفاً، منها «مؤلفٌ في مناقب العموديين»، وقد فُقِد أكثر مؤلفاته.

[مآسي الكتب في حضرموت]

وإنما تفقدُ المؤلفات إذا استولى عليها أحدُ البخلاء بها، وهو غير متأهلٍ لحفظها، ولا نسْخِها، فإذا ماتَ أهملها خلَفُه، وتركوها للأرضَة. وقد بلغَنا أن بعض أهل الدُّوفة كان يخرج في الحين بعد الحينِ، الزنبيلَ بعد الزنبيل، من أوراق الكتب الخطية، التي قد عاثَتْ فيها الأرضَةُ والفأر، فيضعها فوق كومِ الزبْل، وهم يسمونها: عَدانة الدِّمان، حتى فنيت الخزائنُ التي صارت إليه. وقد تداركنا من عند بعض العجائز بها جزءاً من «شرح التنبيه» لأبي بكر الأزْرَق، وكراريس أخرى.

وتركَ آل العمودي، أهلُ قيدون، خزانة الشيخ عبد الله بن محمد الذَّماري العمودي عشراتِ السنين، لا يدخلُها منهم داخلٌ، حتى أكلتها الأرضَةُ والفيران، واتخذتها مسكناً، وبالت وذرقَتْ عليها، فلبّدتْ ما بقي من الكراريس، ولصق بعضُها ببعضٍ، من تركم أبوالها عليها. وترك آل العمودي، أهل الشُّعْبة، خزائن

الشيخ عمر بن أحمد العمودي حتى أكلتها الأرضة، وعاثَتْ فيها الفيران، ولم يبق منها إلا كراريسُ، وبعض مجلداتٍ من كتب ناقصةٍ.

وتركَ السادة الأشراف آل يحيى مكتبتهم بالمسيلة، مدةً غير طويلة، ولكنها كانت كافية لعبَث الأرَضة فيها/ ، وفُقِدت منها كتب جليلة. وقد كنت كتبتُ للمرحوم، [/ ١٨٩] السيد الشريف، محمد بن عقيل بن يحيى: أن يُعنَى بها، ويوصي من عشيرته من يقوم بحفظها. وأخبرتُه: أن الأرضة ابتدأت تعيثُ فيها، فكتب إليَّ ينكر إضاعتها، ثم بعد أشهرٍ، بعدَما تحقق لديه الأمر، كتب إليَّ يصدقني، ويظهر أسفه لما جرَى.

وتركَ أوصياءُ الحبيب عبد الله بن علوي بن حسن العطاس، السيد الشريف، صاحب حريضة، كتبه، حتى عاثتْ فيها الأرضَة. جئنا مرةً إلى حريضة للزيارة ومعاهدة الإخوان، وزرنا مدرسَته في بعض العشايا، وفي أثناء المجلس قمتُ، فأخذت بعض الكتب من الرفّ، فلما فتحته تناثر عليَّ دوداً.

وتركْنا مرةً بعض المراقبين على رباط العلم الشريف، فغفِلَ عن تفقّد بعض الكتب، فلم يشعر إلا بعد ما أتَتْ على بعض الكتُب الخطية المهمة.

وبالجملة؛ فالحرب الضروسُ قائمةٌ بين الكتب والأرضَة، يعاون هذه الجاهلون من الناس، والغافلون والباخلون بالكتُب، ولو لا أن الله أظهَر صناعة الطبع في هذه الزمان، لذهبت البقية الباقية من كتب الإسلامِ طعاماً لها.

ولا سبيلَ إلى حفظ الكتب المهمّة، إلا تكثير نُسَخها، وتفريقها في خزائن متعددةٍ، فإذا تلفتْ نسخة وُجدَتْ أخرى، وينبغي لكل من كان لدَيه كتبٌ ألفَها أسلافُه، أن لا يبخلَ بها ويسجنها في بيته، فإن ذلك سبيلٌ إلى تلفها. بل يبادر إلى نشرها، بتكثير نُسَخها، وتسييرها في الآفاقِ، إلى أهل العلم، وبذلها لمن أراد نَسخها، فذلك

هو السببُ الوثيق لبقائها، بإذن الله. ومازلت أعجبُ من بعض الناس، الذين يكتمون مؤلفات سلفهِم عن الناس، مع أنها فخرٌ لهم في الدنيا، وأجر لهم في الآخرة، إذا انتفع بها الناس، ومَا كُتم فقد عُدِم، والكتْمُ أخو العُدْم. وكان شيخنا يقول: إن العلماء السابقينَ كانوا ينشرون كتبهم بإرسالها إلى الآفاق، وإهدائها للراغبين فيها، أو كما قال.

＊＊＊

وكان الشيخ أحمد باشميل مبتلًى بالفقر، ضعيفَ الحال، ولكنه متَحلٍّ بالعفاف والقناعة والصبر، وقد ينفد مدَّخرُه من الحب، فيقتصرون على أكل الحتي. وله في ذلك وقائعُ غريبةٌ، منها: أن بعض جيرانه كان يرسل إليه كل يوم شيئاً من الروبة، وهي اللبن الحامض بعد نزع زُبدِه، فيثرد فيها طعامَه، فجعل ذلك الجار ذات يوم في الروبة سمْناً، ظانًّا إن عنده طعاماً، ولكن الشيخ أحمد وأهله خلطوا معه الحتِي وأكلُوه! ومزْجُ الحتي بالسَّمْن مستغربٌ، لا يفعله أحد هناكَ، كما لا تمزج به الفواكه المجففة!

ولما تولى القضاءَ، تولاه حسبةً لله، فإذا استُدعيَ إلى بلدٍ قريب أو بعيدٍ، كوادي عمْد أو غيره، حمل معه زادَه، ولا يأكل عند أحدٍ، ولا يقبل ضيافةً ولا هديةً، حتى يُمْضيَ الحكمَ، ولا يأخذ من المتحاكمين شيئاً، إلا أم خمسٍ، أي: أقل من ثلث درهم، أجرةَ الكتابة، وهو من آخر قضاة العدل بدَوْعن، إن لم يكن آخِرَهم، فجاء بعده قضاةٌ هم شرُّ القضاة، تأثلوا من القضاء ثرواتٍ، وانتحلوا الهدايا والرشوات، وضجت من تلاعبهم بأحكامِ الله الأرض والسموات.

ومما وقع له: أن الإمام الكبير، العارف بالله، والداعي إلى سبيله، الحبيب حسن بن صالح البحر، السيد الشريف، جاء مرةً إلى العرسمة، ودخل يزور ضريح

الحبيب عبد الله بن أبي بكر مقيبل، وكان معه جمع زهاء مئة وخمسين رجلاً، فجاء ابنه الشيخ محمد بن أحمد إلى أبيه، فأخبره بوصول الحبيب، وقال: ربما أنه ينزل عندنا، وليس عندنا في البيت لا بُرّ، ولا ذرة، ولا تمر، ولا شيء من الطعام يمكن تقديمُه له، وليس في المحل فرش، فهل نقترضُ لذلك، ونستعير فراشاً؟. فقال: لا. إن أراد النزول عندنا على ما نحنُ عليه فذاكَ، ولن نتكلف. ولبس ثيابه، وخرج، فوجد الحبيب ومن معه أثناء قراءةِ يس. فلما دعا الحبيب وختم، دنا منه وسلم عليه، فقال: من أنت؟ قال: أنا محبكم أحمد باشميل، فسُرَّ به الحبيب، وتلقاه بالترحابِ، وقد كان رفيقَه أيام الطلب في صغرهما.

فقال الشيخ: يا حبيب [حسن][1]، تفضل عندنا. قال: نعم.

فسارا، وخلفهما الجمعُ، حتى وصلوا دارَه، فدخلوا إلى طاقٍ أمامَه وَصَر، (الطاق: منزلٌ أرضي، يجعل أمامَه فسحةٌ لتجفيفِ التمر وغيره، وهو المعروفُ بالجزن، ويسميه أهل أسفل الوادي: حِيْوَه)، فامتلأ بالناسِ، وبقي بعضُهم في الوَصَر، ونظر الحبيب حسن، فلم ير إلا حصيراً مفروشاً، فوقه سَحقُ شملةٍ، وبجانبه رحْلٌ عليه كتابٌ (الرَّحْلُ، بفتحِ فسكون: هو كرسيُّ الكتاب)، فتأثر لذلك، وألقى قصيدةً على البداهة أولها/ : [/١٩٠]

يهناكْ يا احمَدْ مقَامَ الزاهدينَ الكرامْ

ومَضى فيها، حتى قال:

بشْراكْ بالفَوز في الدنيا ويوم المقَامْ

هَذا المرامُ الذي مـا مثلهُ من مَرامْ

---

(١) في الأصل: أحمد، وهو خطأ طباعي. (مصحح).

فرفع الشيخ أحمد صوته قائلاً: بشَرَكَ الله بالخير، وبكى؛ ورفع الناس أصواتهم معه بالتبشير على عَادتهم في ذلك. ثم إن أهل البلد أخذوا أتباع الحبيب إلى بيوتهم، وتركوه وخادمَه ليكون ضيفَ الشيخ أحمد، وجلسا متربِّعينِ يتذاكران أيامَ طلبهما العلمَ، وشيوخهما، ورفاقهما، واستغرقا في ذلك.

قال الراوي، وهو ابنه الشيخُ محمد: كنت جالساً قريباً منهما، وأنا على مثل الجمر، وأقول: إن والدي غير مبالٍ: سيقولُ الناس تركوا الحبيب حسَن وخادمه بلا غداء. وجعلتُ أنادي والدي بصوتٍ خافتٍ، المرةَ بعد المرة، أنبهه ليأمرني بما يفضّ المشكل، فكان يعرضُ عني، وهو مقبلٌ على حديثه، والنهار يمضي، والساعات تنطوي، والدار خالية، فلم أصبر، وجعلتُ أناديه مذكِّراً له، حتى أكثرتُ عليه، فزبرني، وقال: مالك؟ اصمُتْ! فسكتُّ على مضضٍ.

وإذا منادٍ عند باب الدار، فقمتُ إليه، فإذا هو عبدُ الشيخ عثمان باصَقْر، صاحب صُبَيخ، يسوق حماراً محمّلاً جرابينِ، أحدهما من طحين الذرَة الخمير، والآخر من البر، ومعه رأسٌ من الغنم، وملءَ صُمارٍ من السمن، (الصُّمار: وعاءٌ من الأديم المبشُور، يوضع فيه السمن). فاستلمت ذلك منه، ودخلتُ إلى والدي، فأسررتُ إليه ذلك. وقلتُ له: إنا سنصنع من ذلك غداء للحبيب، وما بقي نفعل فيه كذا وكذا. فقال: لا؛ بل اصنعه جميعَه، إن هذا غداء الحبيب حسن بن صالح قد يسره الله. قال: فصنعناه كله، والذي زاد من الطعام فرقْناه.

وكتب إليه الشيخ عثمان المذكور مرةً يقول: «صدر إليكَ مع مَزْودٍ مزودٌ وفي باطنه مزْوَد، بعد أن تخليهما أرجِعْهما مع مزْوَد». فأشكلَ عليه الكتابُ، ثم سأل الخادم: ما اسمك؟ قال: مزْوَد. فقال: انحلّ الإشكالُ. وكان الشيخ عثمانُ أرسل إليه بمزْودٍ كبير من جلدِ وَعلٍ، وجعلَ فيه مزْوداً آخر ملأه دُجْراً، وملأ ما بقي من المزْوَد

الكبير حبّا، (الحبُّ، إذا أطلق عند أهل حضرموت، فهو: حَبّ الذرة، ويقولون: الطَّعام، يعنون: الذرة).

وأخذ الشيخُ أحمد عن علماءِ الحرم، منهم: الشيخ العلامة، محمد صالح الرئيس، الزمزمي المكي، وغيره. وللشيخ أحمد ابنان:

[١] محمد؛ كان فقيهاً متصوفاً، تفقّه بوالده وغيره.

[٢] وعبدالله؛ كان فقيهاً، تفقه بوالده وغيرِه، قرأ عليه الحبيب العلامة القاضي عبدالرحمن بن عيسى بن محمد بن عبدالرحمن بن عمر الحبشي. وكان ذكياً حازماً، عارفاً بأهل زمانه، تولى القضاء بالوادي الأيسر، وله في ذلك حكاياتٌ، لا يزال الناس يروونها. ومكث مدةً بمكة يطلب العلم، وكان رفيقاه في الطلب: الشيخ عبدالله بن محمد القحوم العمودي، بن محمد بن سعيد، والي قرن ماجد، والجمعدار عبدالله بن علي العولقي. وأدركا نصيبهما، ولم يتفقها مثله، وكلهم صاروا ذوي شهرةٍ.

ومما وقع لهم: أنهم كانوا يطالعون معاً، فسمع شيخُهم أحدَهم يقول للباقين: هذه ريح طيبة تؤذِنُ بالمطر. فتنظّر شيخُهم، فرأى السماءَ مُصْحيةً، ثم لم يمْضِ إلا وقتٌ قصير حتى نشأ السحاب، فقال بعضُهم: هذا السحابُ قد سُحق، أي تلائم، واستوى، وسيمطر الآنَ، فنزلت المطر. فجاءهم، وقال: بماذا عرفتم؟ هذا علمٌ ما علمتكم إياه!. فقالوا له: عرفناه بالتجربة. ومعرفة أحوال الجو وجفاف الجوّ ورطوبته والرياح الدالة على المطر، والسحاب المتهيّئ لأن يمطر وغيره، مما يعرفه أهل حضرموت، ولا سيما أعلى الوادي، حيث لا توجد المساني، ولا سيما البوادي منهم، ولهم في ذلك تجارب صادقة.

[عقبة حِلَيَّة]

وتأتي في الشق الشرقي، تجاه العرْسَمة: عقبة حِلَيـه، بكسر ففتح فتشديد الياء. تتفرع عنها طرق: المكلا، ووادي عين، وغيرهما.

وبعد العرسمة: تأتي حصون متفرقة. فيأتي: حصنُ الرِّيْضة، للبابلغيث، من الحالكة، تجاه قارة الدّخان. ولهم حصنٌ فوق ساقية الطَّفَلة، بفتحتين، أسفل من قارة الدخان.

[قارة الدخان]

تأتي في الجانب الشرقي: قارة الدخان. وهي قارة منفصلةٌ قليلاً عن الجبل الشرقي، بجانب عقبة حِليّة الشمالي، وفي جوانبها وأعلاها: أساساتُ ديارٍ، تدل على أنها كانت بلداً/ كبيرةً، وفي أسفلها جوابي عديدة لخزن الماء، ممتدة مسافةً [١٩١] ليست بالقليل، حتى وجدوا في ساقية الطفلة جانباً منها، وقيل: إنهم وجدوا أيضاً نحو سبعين دبّةً مملوءة قُطُباً (بضمتين، واحدتها: قُطْبة. وهي: شوكة مثلثةٌ، كالحسَك، تكون من شجرةٍ تسبحُ على الأرض، لها ورقٌ دِقاق. ويسميها أهل مسفلة حضرموت: النُّعَيْمَى)، وهذا الشوكُ يعدونه لحمايةِ بلادهم وحصونهم، فإذا خافوا عدُوًّا بثوه في طريقه، فيعوقه.

وكان سكانها أهل عتُوٍّ وقوة، وكانوا يعشُرُون من مرَّ بهم. وكان هناك عِلبٌ يقال له علب القبَّان؛ والقبَّان: ميزان كبير مشهور، كانوا يزنُون به البضائعَ المارّة بهم.

والمستفاضُ: أنهم هلكوا بسبب غارَة أهل قارة المحَوّقَة عليهم، كما سبق. ونقل منهم إلى حوفة: آل بازينة، وآل باكَسْري، وآل بامعلم، وآل باسعيد، وآل بادويل، وآل باكُوَّاسة. ويدل ما بقي من الآثار على مرور مئاتٍ من السنين على دمارها.

***

وبالجانب القبلي، سفح الجبل: كُوْكه، بضم فسكون. لآل وَغْوع، منهم.

وبعدها بقليلٍ: يلتقي مجرى الوادي الأيسر، ومجرى وادي دوعن، كما سبق.

[فَيْل]

ثم: مخرج وادي فيل، بالجانب الشرقي.

وفي وادي فيل: قريةُ فَيل. فيها: المشايخ آل العمودي، آل فقيه، والباصمَد، والباجماح. وأخدامُهم: آل باربُود. وكان هؤلاء المشايخ قد وقعَ عليهم عدوان وبغي، وظلم شديد، أيام ثورة الحالكة مع المقدم بلحُمَر، من أحد البلاغيث. فقسَرهم على مطالب مالية، وهجم بيوتهم، وأخذ فرُشَهم وآلاتهم، حتى قلَع المراهي (جمع مَرْهَى، وهي: كالرَّحى، إلا أنها مستطيلة، يرهى، أي: يسحق عليها الحب بحَجرٍ آخر، يُمسَك باليدين، ويرهيأ به على الحجر الأسفل، ويسمى: العَالي. مأخوذة من رَهْياً، أي: اضطربَ ومالَ، لأن الذي يطحن عليها يضطرب أماماً وخلفاً. أو: من رَحى، فهي المرْحَى، فقلبت الحاءُ هاءً)، فضلاً عما أخذ من حبوبهم وتمرهم، وما أكرههم على بذله من الدراهم. **وبالجملة**؛ فقد عسفَهم عسفاً شديداً، وضيق عليهم، ولم يجدوا من آل العمودي من يدفَعُ عنهم، أو ينكر تلك الفظائع، لاستيلاء البوادي في تلك الأيام على الوادي، وميل أغلب العامة منهم إليهم.

وكنا خرجنا في تلك الأيام إلى سيوون وتريم، فصحبَنا منهم ثلاثةُ نفرٍ، يريدون الاجتماع بشيخنا، عسى أن يجدوا عنده ما ينفّس عنهم، بشفاعةٍ أو مراجعة. وقد كادوا ييئسون من الفرج. ولم تطل المدة حتى أهلك الله عدوَّهم، فقد خرج يوماً مع جماعة من آل البلحُمَر في نزهةٍ لهم، فبينما هم جلوسٌ وهو يعبث ببندقٍ، فلتتْ منه رصاصة، فأصابت أحد شبابهم، فقضت عليه، فانتصب ذلك الظالم المخذولُ،

وقد أبلى من فعلتِه منتظراً القتلَ، فرماه أحدُهم ببندقٍ فقتله، وفرج الله عن أهل فَيل.

ولهم في واديهم: غيلٌ يزرعون عليه بعضَ الخضروات.

[من أعلام فيل]

ومنها: الشيخ أحمد بن عبد الله العمودي، يعرف بالأغَيْبر. كان في زمَن بدر بو طويرق، وله واقعةٌ معه، وكان معروفاً بالصلاح.

وفي موضع هناك: قبرَا حنظل وحنيظلة، يزعمون أنهما نبيانِ. والواجبُ: هو الإيمان برسل الله إجمالاً، وإثباتُ ما ليس بثابتٍ شرعاً خطَرٌ، كإنكار الثابت، والورعُ سبيلُ المتقين.

[الشيخ عبد الله باجماح العمودي]

ومن أهلها: الشيخ الفقيه الصالح، عبد الله بن عمر بن عبد الله باجُمَّاح العمودي. وجُمَّاح، بضم وتشديد. طلبَ العلم بالهند بحيدرآباد، عند الشيخ الفقيه النحوي، عمر بن سعيد بن أحمد الخطيب باراسين القيذُوني، ثم دخل جاوة، فتخرج بالعلامة الفقيه، السيد الشريف، أحمد بن طه السقاف العلوي، وأتقن ربع العبادات من الفقه فجوَّده، وتمكن منه. وكان حسَن التدريس فيما سواه، وشارك في سائر الأقسام الفقهية، من معاملاتٍ وغيرها، وازداد على الأيام فهماً، وما وقعَ في بعض كتبه من ضَعف العبارة، أو إيهامها، فإنما جاءه من قصُوره في العلوم العربية، من نحوٍ وغيره، لا من عدم فهمه لفنّ الفقه، وتقريرُه في دروسِه عذبٌ مقبول.

وكان يتردد إلى جاوة، وتزوجَ فيها، ووُلد له أولاد، ثم لما حدثت فتنة المبتدعة فيها، اضطرب حاله، فجعل يعرِفُ وينكِر، ويلتوي ثم يستوي، ومعارفه من المبتدعة يُسمِعونه ما يقارب مزاجَه، مع معاندة دهره له، واحتياجه إليهم. فكان لسانُ حاله ينشد قولَ الإمام الشافعي، رحمه الله تعالى:

[١٩٢/١] وأنزلني طُولُ النوَى دارَ غربَةٍ ... إذا شئتُ صاحبتُ امرأ لا أشاكِلُهُ/

أحَامِقُه حتى يقَالُ: سجيةٌ ... ولوكان ذا عقْلٍ لكنت أعاقِلُهُ

وقول أبي الطيب:

ومن نكد الدنيا على المرء أن يرى ... عَدُوًّا له ما مِنْ صداقته بُدُّ

وعقَب عليه بعضُ السادة الأشراف، وعرَف بعضُهم عذرَه وأحب له النجاة، فلما كان آخر دخولٍ له إلى جاوة، سمع منهم ما لم يبقِ له صبراً. فقد مرَّ بنا مع رجوعه، فجرى حديثٌ معه، لوحتُ له ببعضِ ما يقولونه، فقال: إنهم يقولون أعظمَ من هذا، إنهم يتكلمون في الشيخ ابن حجرٍ، وفلان، وفلان، وجعل يعظّمُ ذلك القولَ الذي صدر منهم. ففهمتُ من ذلك: أنهم لم يكونوا يظهرون له من عقائدهم إلا ما يحتمِلُه، ولم يكشفوا له عيبة سرّهم كلها!.

وله مؤلفاتٌ مطبوعة، منها: «عمدة الطالبين»، و«إعانة المبتدئين»، كلاهما في الفقه. «كشف غطاء تمويه الجواب»، ردَّ به على بعض العلماء الجاويين، مبيناً وجوب الزكاة في أوراق النَّوط، و«رسالة في مسئلة الخلع»، و«في مسئلة الطلاق الثلاث».

وكنت قد أفتيتُ في مسئلةٍ بعد فتوَى سبقت من ثلاثة من المتجهّدينَ، ونعني بهم: المدعين للاجتهاد، كما يقال: المتعالم، والمتعاقل، لمن يتظاهر بالعلم والعقلِ مع فقدهما. ولما وصلَ إلى جاوةَ في مرّته الأخيرة، عرضتُ عليه الجوابات، فألف «رسالته»، وصوّبَ ما أفتيتُ به، فشقّ ذلك على معارفه منهم، ووقع بينه وبينهم أقاويلُ ومنافراتٌ. وكان قد تولى القضاء برهةً، واعترضه بعض طلبة العلم، فعزل نفسَه. ثم قدم على الله بعدَ مدةٍ من خروجه الأخير، ببلاده، رحمه الله تعالى.

وكنت قد ترجمته فيما جمعتُه من تراجم لبعض العموديين، فأخبرني أخي: أنه قرأها عليه، فجعل يبكي. وأما السؤالُ وجَوابي عليه، فقد نشر في «مجلة الرابطة العلوية» في (الجزء الثاني) من (المجلد الثاني)[1]، فليراجعه من أراده.

* * *

وهناك شعبٌ يقال له: فِيِبْل، بكسرتين فسكون. يلحق بفَيل.

ثم يأتي بالجانب القبلي: حصْن بن الزّنُو، من البانِخَر، من الحالكة.

ثم بالجانب الشرقي: حصن بُو حْسَن، منهم.

وبجانبه في سفح الجبل: غَبرة باسْمَيح، عين ماء صغيرة، عليها نخل.

ثم: المشرقي، بالجانب الشرقي. به: حصون آل باجعيفر، من الحالكة. وتنزل بجانبه: عقبة المشرقي، ومنها يذهب إلى وادي العين، والمكلا، وغيرها.

ثم يأتي بالجانب القبلي، بعد حصن بن الزنو: شعب خذُوف، وهو شعب كبير، يسيل إلى ساقية بلد صِيْف، وبه غيلٌ، فيه نخلٌ، ويزرع عليه بعضُ الخضروات، ويستقي منه الناس للشرب.

[صِيْـف]

ويقابل حصن بو حْسَن، من الجانب القبلي: بلدُ صِيْف، سمعتُ شيخَنا يقول: «إنها سُمِّيت باسم أحدِ قدماء حمير». وارتفاعها: ٩٣٥ متراً. وكان الارتفاعُ عند ذي عِبَه بأعلى دوعن: ١٠٨٠، فقدْرُ الانخفاض في الوادي من حِذا ذي عِبه إلى صيف: ١٣٥ متراً. والارتفاعُ بشبام: ٧٢٥، فالفرق بينه وبين ما تقدم: ٣٤٥ متراً. وبسيون:

(١) عدد ذي القعدة لسنة ١٣٤٧هـ: ص ٧١-٧٤.

٧١٥. وبتريم: ٦٨٥. فيبلغ الانحدار من ذي عبه إلى تريم: ٣٤٥ متراً. وبقُعْمَه: ٥٧٥، فمبلغ الانحدار في الوادي إليها: ٣٩٥ متراً.

أما ضبط العرض والطول، وسمت القبلة بصيف، على وجه التقريب: فعَرْضُ صيف: ٦- ١٩- ١٥، أي: خمس عشرة دقيقةً، وست ثواني. وأما طولها: فهو ٥٠ - ٢٢ - ٤٨، أي: ثمان وأربعون درجةً، واثنان وعشرون دقيقةً، وخمسون ثانيةً. فالفرق بين طولها وطول مكة: ٠- ٣٠- ٣٦، أي: ست وثلاثون درجةً، وثلاثون ثانيةً.

فمن أراد معرفة سمْتِ القبلة بها، فليراقب يوم ٨ في نجْم الإكليل، وهو يوافق: ٣٠ مَيْ، أو: ٥ في نجم البلْدِة، وهو يوافق: ١٨ جُولَي. فإذا كانت الساعة ١٢ وسبع وأربعين دقيقةً، و٣٢ ثانيةً، أي: نصف دقيقةٍ، بزيادة ثانيتين. ولا بأس باسقاطهما، فإن الشمْسَ تلك الساعة على سمْتِ القبلة، وظل الشاخصِ الموجُود يكون متجهاً إليها، ولكن لا بد من أن يتحرّى ضبط الساعَة قبل ذلك بأيامٍ، على الزوال الحقيقي.

[تاريخ صيف]

وكان لآل العمودي في زمن الشيخ عمر بن أحمد العمودي، ومَن بعده، حصنٌ بصيف. وواليها بلْحُمار، وتولاها آل علي بن فارس، ثم بدر بوطويرق، ثم آل العمودي، ثم صارت إلى آل محمد بن سعيد منهم، ثم إلى السلطان القعيطي، وهي الآن بيده.

وفي إحدى تُـرَبها: الشيـخ أحمد باعثمـان العمودي، لا نـعلم له ترجـمةً، ولكن أهل قيدون وصيف/ وما والاهما يحلِفُون على قبره، وإذا حكَمتْ لهم طواغيتهم بحكمٍ فيه يمينٌ، وأرادوا تغليظَها، جعلوها على قبرِه، وصيغتها عندهم هكذا: والله، وهذا ولي الله. والحلف بغير الله حرام، فإن قصدَ تعظيمه كتعظيمِ الله كان كفراً بَواحاً، كما هو معلومٌ حتى للمبتدئين في طلب العلم، وهم يعتقدون: أن الحلفَ به وعلى قبره يسرِعُ بهلاك الكاذب. وكذلك عقيدتهم في الحلفِ بغَيره من الصالحين.

[/١٩٣]

ومنهم: من لو طلبتَ منه يميناً بالله، لأعطاك ما شئتَ من يمينِ غمُوسٍ، تغمسه في نار جهنم، ولا تهتز له شعرةٌ. ولو طالبتَه بيمينٍ على هذا القبر، لامتنع، لأنه يخافُ أن ينتقم منه. وهم يصرّحون بهذا، من غير مواربةٍ، ولا مجازٍ، ولا تأويل.

ومن تردد منهُم إلى جاوة، وأصيب بداء البدعة، وهي مخلوطةٌ باستخفاف بالدين، وسب لأئمته، واحتقارٍ لهم، وطعنٍ فيهم، تحولَ هذا الاعتقادُ الباطلُ الذي كانوا يعتقدونه في الحلفِ، إلى هاويةٍ أخرى، وهي استحلالُ شهادة الزور، بل التكالُبُ عليها. ومنهم: من لا عملَ له إلا انتظارُ من يؤجره لذلك، حتى ضجّت محاكم هولندة، بسرباية ونواحيها، منهم. وصرح بعضُ حكّامهم: بأنا لا نعتمدُ الآن على شهادات هؤلاء العرب، وإنما نعتمد في الفصل بينهم القرائنَ، وما ينتجه البحث.

ووقعت دعاوَى بين بعض الناس، وامتدت وتعددت، فكان أحد هؤلاء الشهود يجيءُ فيشهد عند الحاكم في كل قضيةٍ، حتى قال له الحاكم ما معناه: هل أنتَ في كل وقتٍ عند هؤلاء الناس! فلا تغيبُ عنكَ شاذة ولا فاذّة!. ولهم هناك قريةٌ معروفةٌ عندهم، أنها مملوءةٌ بشهود الزور، يقصدُهم لذلك من لا دينَ له.

[أعلام صيف]

ومن فضلائها: السيد الفقيه، محمد بن علوي بن أحمد بن عبد الله بن محمد ابن عقيل بن علي بن أحمد بن علي بن السيد العلامة عقيل بن محمد باحسن جمل الليل، الشريف العلوي الحسيني. طلب العلم بمكّة، ثم صار فيها قاضياً بالليث، أو القنفذة. وخرجَ إلى بلده صيف مرةً أو مرتين، وتوفي بالمحل الذي ذكرناه.

ومنهم: السيد الفاضل، المحصل المشارك، حسَن الأخلاق، الشريف محمد ابن أحمد بن علوي، المتقدم ذكره. طلب العلم باليمن، أو بمكة. وخرج إلى بلده

مراتٍ، وانتفع بأخي، وأخذ عنه أيام كانَ بصِيْف. وتوفي بالليث، في حدود سنة ١٣٥٩ . كان يسافر إليها. كان له بها زوجةٌ من أهل الليث، وترك ابناً له هناك.

وكان فيها الفاضل الصالح، عبد الله بادغيش، طلب العلمَ، وخالط العلماء والصلحاءَ، وكانوا يقصِدُون عنده. وله صحبة مع الأخيار مشهورة.

***

ثم يأتي بجانب صيف، بالجانب الغربي: شعب الصَّيْق، يسقي أموال الهَرَمة، بفتحاتٍ، وبعْضَ نخلٍ، وبه غيلٌ، فيه نخلٌ. ويزرع عليه خضروات، وأكثره لأهل صيف.

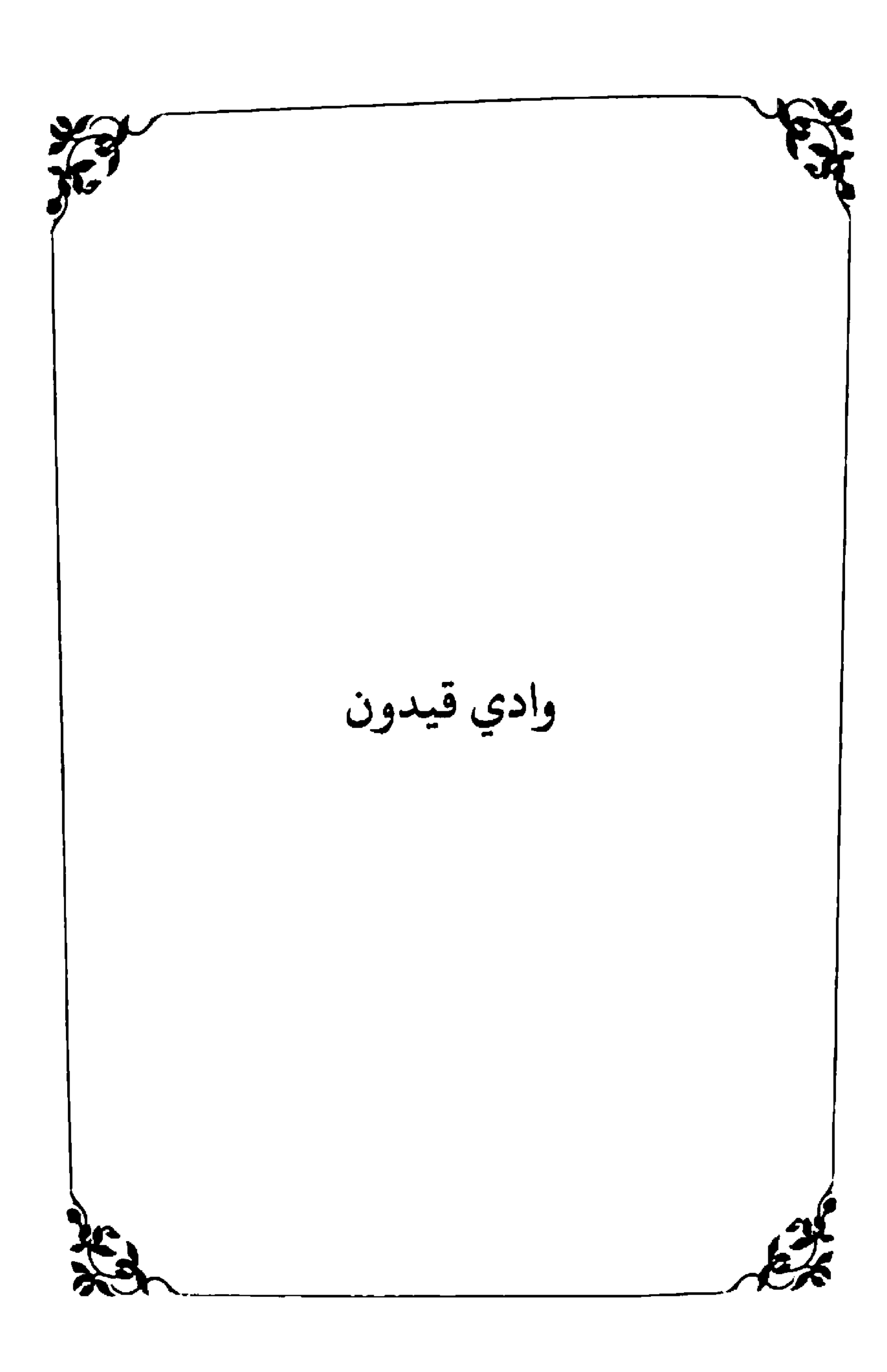
وتحت صيف: مالٌ ونخلٌ لهم.

ثم: الوادي، مجرى الماء.

وبالجانب الشرقي: مالٌ لهم.

ثم يأتي من الجانب الشرقي: أحجال، أو كما يقولون: أموال: يقَعان، والخِلّين، والجِذْفرة. وهي مواضع بها جروب متسعة، لها ثلاث سواقي، وأكثرها لأهل قيدون. وهي تحت الجبل الشرقي.

وهو يقابل وادي قيدون من الناحية الشرقية، فإنّ وادي قيدون: يأتي من الجنوب إلى الشمال، ثم ينحرف إلى الشرق، فيلتقي مع وادي دَوعن تجاه مَال الخلّين.



وادي قيدون

وادي قَيدُون

نبتدئ الآن في وصف وادي قيدون:

تسير الطريق من صيف إلى الشمال في أولها، ثم تنحرف مغرِّبةً، فتمر أولاً بمَجْرى شعب الصِّيق، وفوقها حصنٌ أحدثَه القعيطي لعسكره. ثم تمر بساقية الهَرَمة، وعن يسارك: الجبل، وعن يمينك: جروبُ الهرَمَة، وهي لأهل صيف. وبالجبل عن يسارِكَ، فوق الهرمة: قرنٌ أسود، يقابل قرن غشَام.

ثم يأتي بناءٌ صغير، به ضريح الشيخ عبد الله بن محمد بن عثمان العمودي، يعرف بالقَديم، ذكر السيد الشريف شنبل: أنه توفي سنة ٨١٣. ولعله: بن عثمان بن عمر مولى خضَم بن محمد سعيد بن عيسى. وربما كان ساكناً في قرن السُّوَيدا.

وقرْنُ السويدَا: يتبادر أنه هو البلَدُ القديمة، وإنه لم تكن بقَيدون إلا حصونٌ، فإن النخلَ المسمى السُّوَيدا، وهو نخلُ أهل قيدون، تحتَه. ومن عادة أهل هذه الجهة: أنهم يغرسون النخلَ تحت البلد،/ ويتركون ما بعُدَ للزُرُوع. وفيه: آثار [/١٩٤] خراباتٍ، وأعلاه فيه اتساعٌ نوعاً، وساحته مملوءةٌ بالقُطُب المنشور، كانوا يحترسون به من أعدائهم، وقد وُجِدَت هناك زيَار مملوءةً منه.

[النقوش القديمة التي على الأحجار]

وكانت تصعد بجانبه عقبةٌ إلى الرَّكَب الأعلى للجبل. والرَّكَب، بفتحتين: هو دائرٌ كالمطاف، يدور بالجبل، يصلح طريقاً للقوافل، وهو الرِّيعُ.

وقد تُرِكت هذه العقبة من أزمنةٍ متطاولة، ولا شك أنها كانت منذ زمن الدولة الحميرية، بل لعلها من زمن عادٍ، أو دولة حضرموت، التي هي أقدم من عادٍ. فإنا وجدنا حَيْد الجبل (جدارَه) مملوءً بالكتابات الحميرية، وقد ظننتُ أن تلك الكتابات لا أهميةَ لها، لأني قرأتُ بعضها فإذا هو (مر مزرد).

وفي المواضع المتسعة منه، فوق قيدون شرقاً، جنوباً عنها، بناياتٌ صغيرة مطلية بالنورة، كالتي تسمى السّقايات، وليست بها، وعليها كتابات. وبجانبها كتابة بالمسند كالطغراء ليس على القاعدة المعروفة وقد قرأت بعضها ولم نفهم المقصود منه إلا لفظ (ورمت)، وهي بالحميرية، بمعنى: وقفت، أي: الوقف المشهور، كما هو في «القاموس» و«شرحه»، وربما أنها مأخوذة من الإرم. ووضعت يدي داخلَها، فإذا هي مملوءةٌ طيناً دقيقاً ناعماً، ولم نبحث عما وراء ذلك. وغلبَ على ظننا: أن البناياتِ هذه هي من الآياتِ التي كان نبي الله هود عليه الصلاة والسلام قد نعَاها على قومه، كما حكى الله عنه بقوله: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴾ [الشعراء: ١٢٨].

ولما بحثْنا، وجدنا لها أمثالاً في مثلِ هذا الموضع في بعض جبال الجزْع، فوق الصفا، قريباً من قيدون. وقيل لنا: إنها موجودة في بعض الجبال، في أواسط الوادي بحضرموت، والله ولي العلم.

وأما الكتابة؛ فتبادر إلى فهمي أن المسافرين من الأمَم القَديمة، إذا وصلوا هناك بعد صعود العقبة، جلسوا يستريحون في ظل الجبل، منتظرين وصول الجمال، فإنهم أسرع منها في الصعود. ويُمضون ذلك الوقت في النقش والكتابة، فيكتبون أسماءَهم وما شاكل ذلك، مما لا يهم. وتوجد كتابات في الأحجار في الطريق الذي يمر شراقيَّ ريدة الدين، ذاهباً إلى حَجْر، في الجول، ولا أحسبه إلا نظير ما ذكرنا.

***

ومما يحكى: أنه كان لأهل حصن قرْنِ السُّوَيدا، خصومٌ يترصدون لأهله، فلما كان ذات يومٍ جاع الرامي المرتَّب في الحصن، وليس عنده شيء يؤكل، فخرج منه إلى علوبٍ تحته يلتقط له من دَومِها (نَبقها)، فبادر الخصْمُ المترصِّدُ إلى الحصن، فدخله وأغلقه، وارتقى إلى سطحه يصيح معلناً باستيلائه عليه، فجعلَ الرامي الأول يناديه قائلاً له: لا تكثّر! الذي أخرجني سيخرجك، يعني به: الجوع.

[عَودٌ الى الوصف]

ثم تستمر بك الطريقُ مغرِّباً، مع ساقية قيدون، تحت الجبل الجنوبي، حتى تصل البلد. وهذه هي طريقُ من جاء من وادي دوعن، أو الأيسر، أو المكلا.

أما الآتي من أسفل الوادي، أي: من حضرموت والهجرين، وما كان في جهتهما، فطريقه من ناحية الجبل الشمالي لوادي قيدون. فتصْعَد من الوادي الأكبر، أو ما يسمونه الرَّحَبة، متجهاً إلى الجنوب الغربي، وتارةً إلى الغرب الجنوبي، إلى مال (جروب) تُسمَى العُقْدة، ثم إلى الجنوب، وهي مال متسع، حتى تصل إلى ساقيته، فتقطعها وتقطع مجرَى وادي قيدون عرضاً، سائراً إلى الجنوب، فتسير في سواقي لتصريف المياه، تسمى: منكَى باهامل، إلى سَومِ الساقية التي تسقي مال البلد ونخلها.

قَـيْـدُون

وعَرضها: ٤٢ – ١٩ – ١٥، أي: خمس عشرة درجةً، وتسع عشرة دقيقةً، واثنان وأربعون ثانيةً. وطولها: ٢٣-٢٢ – ٤٨، أي: ثمان وأربعون درجة واثنان وعشرون دقيقة وثلاث وعشرون ثانية.

[سمت القبلة لبلد قيدون]

ومن أراد معرفة سمْتِ القبلة: فليراقب يوم ٨ في نجم الإكليل، على حساب أهل شبام، وهو يوافق: ٣٠ في مَيْ. أو يراقب يـوم ٥ في نجم البلْدِة، وهو يوافق ١٨

جولي، وقتَ الاستواء بمكة،فإن الشمس في ذلك اليوم تكون على سمت القبلة في جميع الدنيا. ولما كان وقت الاستواء في مكة يتأخر عن وقت الاستواء في قيدون، فينبغي معرفة مقدار الفرق بينهما، وذلك: بمقدار فرق الطولين بينهما. وطول مكة: ٣٠- ٠ - ٣٦، أي: ست وثلاثون درجةً، وثلاثون دقيقةً. فمقدار الفرق: ٥-١١. فيزيد طول قيدون على طول مكة، أي بُعدها عنها إلى ناحية الشرق: ٢٣- ٥٢- ١١، أي: إحدى عشرة درجةً، واثنان وخمسون دقيقةً، وثلاث وعشرون ثانيةً.

[/١٩٥] وهذا هو مقدار/ فوق الطولين، وهذه الدرجُ وكسورُها: درجٌ قوسية، أي: تابعة لمقدارِ أبعاد الأرض ومساحتها، كما تقدم في الفصول أول هذا التاريخ، فلا بد من تحويلها إلى زمنٍ نجميٍّ، فتكون مقدارَ: ٤٣٣ - ٢٩ - ٤٧، أي: سبع وأربعون دقيقةً، وتسع وعشرون ثانيةً، وأربعمئة وثلاث وثلاثون جزأ من الثانيةِ، وهي نحو نصف ثانية. فبهذا المقدارِ يتأخر زوالُ بلد قيدون عن مكة.

فمن راقبَ ذلك اليوم المعلومَ، فلينتظر، حتى إذا مضى بعد الاستواء سبعٌ وأربعون دقيقةً ونصف تقريباً، فلينظر، فإن الشمْسَ ذلك الوقت على سمْتِ القبلة. وإن أقام شاخصاً مستقيماً، موازياً للشمس حينئذٍ، كان ظله إلى سمْتِ القبلة تماماً. وأطولُ أيام السنة فيها: اثنا عشرة ساعةً، وأربع وخمسون دقيقةً. وأقصرها: إحدى عشرة ساعةً، و١٧ دقيقةً، أو زيادة نحو نصف دقيقة على ذلك.

وهي في الإقليم الثاني من أقاليم الساعات، ومعنى ذلك: أنهم قسّموا الأرض إلى أربعة وعشرين قسماً، يكون الفرقُ بين كل قسمٍ وآخر في الوقت: بمقدار نصف ساعة. والإقليم الأول ينتهي عند العرض: ١٥ ثانيةً، و٣٤ دقيقةً، وثمان درجٍ، من العَرض الشمالي، وبه يبتدئ الإقليم الثاني، وينتهي عند ٣٠ ثانيةً، و٤٤ دقيقةً، و١٦ درجةً، من العرض الشمالي.

❊ ❊ ❊

فأول ما ترى: الكريفَ الجديد، وهو عبارة عن صهريج كبير، مربع، عميق، مطلي بالنورة، يمتلئ من السّاقية إذا جاء السيل. وفوقه: قرن، يسمى قرْن آل باعشرة، كانت لهم حصونٌ به، وكانوا أهل عدَدٍ وعزٍّ، وبينهم وبين آل العمودي منافسَة، لما كثر هؤلاء وظهروا بالعلم والشهرة. ويقال: إنهم كَلّوا، أي فنُوا، ولم يبق منهم أحدٌ. ولكني أظن: أن آل باعشرة الذين ببضَه، من بقاياهم، نقلوا إليها عند اجتياح السلطان بدر بوطويرق لقَيدون، وانتهاكها بالعساكر، وكثرة الضرائب، والإثقال على أهلها، وإخرابه الكريفَ القديم، وغير ذلك من الأعمال الشنيعة، التي هي من جملة ما انتقدوه.

والبلدُ تمتدُّ في سفح الجبل الجنوبي من الشرق إلى الغرب. وسكانها: نحو ثلاثة ألفٍ. وكانت من قبلُ صغيرةً بيوتُها، على قُوَرٍ متاليةٍ، ولم يكن فيها في زمن الشيخ سعيد بئارٌ ولا كريف، وإنما كانوا يشربون من جوابي أعدّوها، تمتلئ من شعابٍ صغيرةٍ تسمّى: شجون الجوابي، جمع شِجْن، بكسر فسكون، وهو الشعب الصغير. ولا يزال يوجد في بعض الديار القائمَة على مجاري هذه الشعاب جوابي، وقد اتخذوها الآن مخازن للقصَب، وهم يقولون: سِرِيْن، واحدتها: سِرِهْ، بكسرتين.

[كَرِيف قيدون القديم]

وأما كريفها القديم؛ فهو في غربيها، عمقُه نحو ست قاماتٍ. وسعة أعلاه: مئة مطيرة. وسعة أسفله: خمسون مطيرة. وهو مطلي بالنورة بإحكام، وقد مضت له مئاتُ السنين على ذلك. وكان العارف بالله، الصالح الشهير، أبو بكر بن عبد الله العيدروس، العلَويُّ الحسيني العدني، صاحب الشهرة والصيت، أشار على عامر بن عبد الوهاب الطّاهري الحميري، وقد سبق ذكره: أن يقوم بإصلاحه.

فيقال: إنه أنفق عليه حملَ ذهَب، وليس ذلك ببعيدٍ، فإنه عملٌ عظيم، وصناعة

محكمة، وكان له صدقاتٌ ومساعدات عظيمة في إصلاح وادي ثِبي، وتجديد عدة مساجد في تريم، وغيرها من المصالح العامة.

وكان يكل القيام بهذه الأعمال، وإنجازها ومراقبتها، والإنفاق عليها، إلى السيد الشريف، محمد بن أحمد بن حسن بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن الفقيه أحمد بن عبد الرحمن بن علوي عم الفقيه ابن الإمام محمد صاحب مرباط.

وهو من أقربائنا، نجتمع معه في الجدّ الجامع لنا وله أحمد بن محمد بن عبد الله.

«كان عالماً عاملاً، ذا همة علية، ونفس أبية، ونسك وعبادة، جواداً ماجداً، سخياً زكياً، تولى عمارة جامع تريم، وإصلاح مجاري مسيل وادي ثبي. وهو مشهورٌ. ترجمه في «المشرع» [١/ ٣٣١] و«السناء الباهر» [ص ٣٩١]، وغيرهما. توفي بعدن سنة ٩٥٣». هكذا ترجمه في «الشجرة» [«الفرائد»: ٣/ ٨٤٨].

وقال في «المشرع الروي» [١/ ٣٣١]: «وكان كريماً جواداً، عظيماً، يحب الفقراء والمساكين، والعلماء العاملين، والأولياء العارفين، وكان يكرمهم إكراماً عظيماً، ويسدي إليهم معروفاً جسيماً، وكان مقبول الشفاعة عند الملوك، وكان عامر بن عبد الوهاب، ملك اليمن، يكرمه ويحترمه، وكان يعطيه أموالاً، ينفقها على المستحقين. وفوَّض إليه عمارة أشياء كثيرة، منها: مدينة تريم، وأرسل معه مالاً كثيراً لذلك.

منها: عمارة مسجد الجامع، فجدد عمارته جميعها، وعمره أحسن عمارةٍ، وكذلك فوَّض إليه عمارة مجاري سيل ثبي المشهور». اهـ.

※ ※ ※

[١٩٦/ا] وكان/ هذا الكريفُ ذا نفعٍ عظيم لأهل البلد، إذا امتلأ كفَاهم أكثر من سنة، ثم كثر أهل البلد، وتوسعوا في استعماله للغرس والبناء، فكان يكفيهم أقلَّ من

ذلك. وقد تنقطع الأمطار فيعظُم تضرّرهم، فإنهم أهل حرثٍ وعملٍ في أموالهم، فيضطر أحدهم إلى الذهاب إلى العيونِ التي على مسافةِ ساعةٍ، وأقلّ وأكثر، لاستقاء الماء. وكانوا يسمون أيام انقطاعِ الماء من الكريف: أيام المظامئ.

وكان الناسُ الذين عندهم ماءٌ في جوابيهم، يحرصون عليه أشدّ الحرص، وحالهم في الشدة والبلاءِ، كحال أهل وادي عمَقِين، التي سبق وصفها. وقال الإمام العارف بالله، الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس، العلوي الحسيني: عمَقِين، عمَى بيقين.

ثم انتدب ثلاثةٌ من السادة آل باعقيل، لم تبلغنا أسماؤهم، إلى حفر بئرٍ في طرف البلد، ليستقي منها الناس إذا انقطعت الأمطار، ونفد ماء الكريف، ويبست أوشال المياه القريبة. فعملوا فيها، وخدموها بأيديهم، ابتغاء ثواب الله، حتى كملت، وماهَتْ على عمق مئة قامةٍ، بماء عذبٍ، فانتفع بها الناسُ، وتسمى: بئر السادة. وهي ذات أربعة أرْشيةٍ، وهم يسمونَ الرِّشاء: زَانة. ثم حفرت بئرٌ أخرى، وسميت: بئر آل باطوق. وهم قبيلةٌ من المشايخ آل العمودي، أهل قيدون، وعمقُها: نحو مئة قامةٍ، وخمس قاماتٍ. وحفرت بئر أخرى بجانب المسجد، وهي سبعون قامةً، ثم حفَر الشيخ عمر بن سعيد باداهية العمودي بئراً أخرى، وبلغ عمق: مئة قامةٍ وعشراً. وابتدأ الإمام العارف بالله، شيخنا الحبيب محمد بن طاهر الحداد، في حفر بئر غربيَّ البلد، وتوفي قبل تمامها، فوقف العمل فيها. فاتسع الناس بهذه الأبثار، ولكن منفعتها مقصورةٌ على أهل القوّة القادرين على النزع، مع ثقل رِشَائها، وخشونته، فإنهم يصنعونه من لحاءِ سعَف النَّوس، وهم يسمونه: الشطئ. وهو كصغار النخل، ينبت حول الماء الدائم في أعالي الأودية ومضايقها، فيقطعون سعَفه، ويأخذون لحاءها، ثم يمرّونه حبالاً، ويثنّونها ويثلثونها. والشطئ قد يؤخذ من سعَف صغار النخل المعتاد، ولكنه أخشنُ من ذاك.

[متاعب استقاء الماء في قيدُون]

واستقاءُ الماء في هذه البلدِ أمرٌ متعب، يأخذ جهداً وهمّا، فأهلُ العمل والكد من أهلها، وهم الأكثر، يسرحون صباحاً إلى حرثهم، فيعملون إلى الظهر، ثم يعودون. فمنهم من يقصد إلى إحدى البئار مع رفاقٍ له، فينزعون من الماء ما يكفيهم لبقية يومِهم، إلى مثله من الغد. ومنهم من يعود إلى بيته، فيستريح قليلاً، ثم يعود إلى الاستقاء. وذلك عملٌ شاق، وتراهم عند النزع يقومون وينحنون، ويميلون يميناً وشمالاً، يمد أحدُهم يمينَه للرشاء، فيجذبه بكل قوته، في سرعةٍ، حتى تتكركر عضَلُ بدنه، ويرسلُه وقد عوَّض عنها يدَه اليسرى، جاذبا بها، وبقية رفقائه كذلك، فترى أيديهم تتواردُ في سرعةٍ عليه، تكاد تفوتُ لمحَ البصر، كأنها سهامٌ تتوارد على غرَضٍ، وترى العرقَ يسيل من عُروضهم، كأشد ما يكونُ. وعندما يبتدئون يقولون: هيب! هيب! وهي من كلماتِ الأصوات، تدلّ على النزْع، ويكررونها، ويتلاعبونَ بها بألسنتهم، بالزيادة والنقص، ثم تستحيل أصواتُهم إلى صوتٍ غير مفهومٍ، وهمهمةٍ، وغمغمةٍ، وضَبْحٍ، وأنواعٍ من الأصوات الغريبة، فتكون لهم ضجة عظيمة.

فأما إذا امتلأت البئرُ بالمستقين، وأعملوا الأربعة الأرْشية؛ فلا تسل عن الصعقات والزعقاتِ، والهمهمة، وأنواع الألفاظ المقتضبَة، من: هيب! زيب! وكأنهم يهجون بها للإستعانة بها على العمل الشاق ولضبط حركات أيديهم في تواليها بسرعة وترتيب على الرشاء والذين لم يجدوا سبقا يضعون أرشيتهم لتكون علامة على تقدمهم على من يأتي بعدهم. وهذه البئار وإن نفعت الناس؛ فإنها لم تكن كافيةً لجميع أهل البلد، لأن منهم من لا يستطيع النزعَ لضعف يديه، أو رطوبة راحته، فإن النزعَ الشديدَ، والنتْر مع الإمساكِ بحبلِ الرّشاء الخشِن، يحتاج إلى راحةٍ جافة غليظةٍ، قد تعودت الكدَّ، ذات عجَرٍ مما نبتَ فيها من السلع، وآثار المحَل، وخشونةٍ

تفوق خشونة الرشاء، فهؤلاء يستعدّون بحميرٍ يجلبون عليها الماءَ من أوشالِ العيون المحيطة بالبلدِ، وأشهرها: الرِّشِة، غربيَّ البلد، جنوبياً، يبعد أعلى شِعْبها نحو ساعةٍ.

[عَين الرِّشِهْ]

وهي عينُ ماءٍ كانت تصبّ من سقف كهفٍ منفصلٍ عن أرضه، فكان ماؤُها غزيراً، فاعتنى به الأولون، وجعلوا له جوابي متتالية من أعلى الشعب إلى الحضيض. وهي جوابي محكمَةٌ، وإذا نزلت الأمطار كثُر ماء العين، وإذا احتبستْ قلَّ/ فلا [١/١٩٧] يتجاوز الجابيةَ العليا. فكانوا يسْرون للسبقِ إلى الماء من نصف الليل!

ولهم حكاياتٌ يتناقلونها: عمّن وجدَ عفريتاً يثِبُ في سلسلة يجرها، ويرمي بالقبس والشرر والشهب. وأم الصبيان ذات الحِلْقان، والتلوّن. واللبَن الذي يشخَب به ثديها، فيصيب لحي الإنسان فيعوجّ. فكأن سيرهم في ظلام الليل الدامس في تلك الطريق الخالية، والشعب المتداني المظلم، يولّد لديهم أخيلةً يطول الحديثُ عنها، والله أعلم بالحقيقة! ثم نبتَ على طول السنين حجر مائي يسمونه الرَّشأ، يربو من سقفه، ممتداً إلى أسفل، ويتكون شيئاً فشيئاً، والطريّ منه يكون مثل عَجينة الطباشير، ثم يشتد حتى يصير خَرْشعاً، أي: حجراً رخوا مائيًّا، ثم يقسو، فلم يزل يدنو من أرض الكهف، وهي حجرية أيضاً، فلصق بها. فيقال: إن ماء العين نقصّ بسبب ذلك، وأنه اتخذ لنفسه مخارجَ ومنافذ إلى بطْنِ الشعب، فضاع فيه، ويستدلون على ذلك: بما يظهر فيه من الغُدْران.

[عَينُ شعب شَصَر]

ومن تلك الأوشال: عينُ شِعْب شَصَر، بفتحتين. وهو بالشمال الشرقي، به عينٌ بها وشَلٌ من ماءٍ، تزيد وتقصر. وقد اعتنى بإخراجه في عَنْمٍ، وهو الجدْول

الصغير، وطَلاه بالنورة، وعمل له جابيتين: الشيخ الراغب في الثواب، عيسى بن عبد الله باسكْران العمودي، وأنفق على ذلك، وقام بكثير من الأعمال في ذلك ولداه: أحمد، وأبو بكر، رحمهم الله جميعاً وغفر لهم.

وعلى بعد نحو عشر دقائق من البلد: وشَلٌ من ماءٍ في سفح الجبل الجنوبي، غرباً. أثارَه الشيخ محمد، ويقال له: ناصر، ابن عثمان بن محمد باعبد القادر العمودي، حتى أخرجه إلى جابية صنعَها، وانتفع بذلك الناسُ، رحمه الله وأثابه.

[كهف الـجُوَه]

وفوق البلد: كهفٌ عظيم، مرتفعُ السقف، أفْيَح. يقال له: الـجُوَه، بضم ففتح. وأهل بلاد الملايو يقولون: القُوَه، بضم القاف الأعرابية وفتح الواو. بمعنى: الكهف، فهو من تقارب اللغات. ويقطر من سقفِ الكهف ماءٌ من مواضع متعددة. ويقال له: القاطِر. والمحلّة التي تليه من البلد، يقال لها: جُور القاطر. والجور، بضم فسكون، بمعنى: المحلّة، أو الحارة.

وقد جعل لها طُلَّاب الأجر والثواب، ومحبو النفع للناس، زياراً، تحت كل قاطرٍ زيرٌ، بلغت نحو ٢٥ زيراً، وكان الماءُ كثيراً، وفي أيام الأمطار يسيلُ ما زاد منه إلى الشعْب، ويمكث كذلك مدةً، ثم قلَّ في الزمن الأخير، فمن الناس من ينسِبُ قلته إلى كبْر الأرْشية الحجَرية، التي تولدت متدلية من السقف، وقسْوتها، فلم تدع للماء منفذاً. ومنهم من يسندُ ذلك إلى استيلاء بعضِ الأيدي العاتية عليه، فأصابه شُؤمها.

وهذا الموضع قلَّما يستقي منه الرجال، وإنما يتركه أهل البلد للنساءِ والأرامل.

[عينُ الجريرات]

وفوقه، في الرَّكَب، وهو الدائر الأول، المطيف بالجبل: عُوينةٌ صغيرة، تبضُّ

بماءٍ لا يكاد يرى، وضعَ له الأولون جِراراً ليجتمع فيها، ويسمى الجِرَيرات، جمع جِرَيْرة، وهي: الجرَّةُ، مصغَّرةً. فيرقبُ هذا الموضع ضعيفاتٌ من النساء العفيفات، ذوات الصيانة، ممن لا رجالَ لهنّ، فإذا كان نصف الليل أو ثلثه، صعدت إحداهنَّ إلى ذلك الموضع العالي، فملأت قربتها، وخرجت بها تنحَطُّ من التعب، ولكنها مسرورةٌ، كأنما تحمل في قربتها ذهباً أحمرَ. ترى أنها إذا ادَّخرت ذلك الماء في زِيْر بيتها، فقد قرَّت عينُها بوجودِ ما يكفيها لشربها، وطبْخِ طعامها، ولوضوئها.

[عبرةٌ للمعتبرين]

فليعرفْ أهلُ الأقطار، ذات الأنهار والأمطار، وأهلُ البلدان ذات العيون، والمياه الحاضرة، السهلة التناول، نعمةَ الله عليهم، فيما قرَّبه لهم، وسهّله من ذلك، إذا عرفوا ما شرَحْناه، على أننا إنما أشرنا إلى بعْضٍ ما كان يعانيه أهلُ هذه البلد من قلة الماءِ، وعُسْر الحصول عليه. وقد كان الحبيب محمد بن أحمد المحضَار يقول: دخلنا مرةً إلى قيدون، فعطشنا، وخرجنا منها عِطاشاً، ولم نجد الماءَ إلا ببلد صيف. ولقد كان الضَيف ينزل ساحتنا، فلا يهمّنا شيء مثل الاهتمامِ بإيجاد الماء الكافي له، ولبهائمه. ومن أين يجد الإنسانُ في كلّ وقتٍ ينزلُ به الأضيافُ أربعةً من الأخدام الأجْلادِ يُنزِلون له الماءَ من بئر عميقةٍ، مئة قامةٍ، وازدادَ عشراً!

وليعلَمْ أهل بلد قيدُون، ما مرَّ بأسلافهم من الشدائد، وما قاسُوه من الأنكاد، وضياع الأوقات في طلب الماء، ولا يستخفّوا بنعمة الله التي منَّ بها عليهم، فوفَّق من اختصّه من عباده فخدَمهم، وهم كارهون، وتعِبَ من أجلهم وهم مريحون، وسَهِر وهم نائمون، وتحققَ عندهم بسَعْيه ما كانوا به يكذّبون، وفضّلهم الله على يده بهذه المزية على آبائهم/ السابقين، وجعلها رحمةً منه وآيةً للعالمين، وليستديموا [١/١٩٨]

هذه النعمةَ بمعرفة قدْرها، وتوفية شكرها، والقيام بأمرها، فإن الشكر داعيةُ المزيد، وعلامةُ الله فيمن يريد.

جَلبُ ماءِ غيل بُوَيردَةْ إلى قيدُون

هذا عملٌ عظيم، ونفعٌ كبير، ومأثرةٌ من المآثر الخوالد، وفضلٌ عمَّ نفعُه المولودَ والوالد، والمقيم والوارد. قام به ثلاثةُ نفرٍ:

(١) أخي العلامة، عبد الله بن طاهر. وهو صاحبُ الفكر، في إنجاز هذا الأمر، والعزم عليه، والعمل فيه بنفسه، ولسانه، وقلمه، وهمته، والتعب فيه، والكدِّ ليلا ونهاراً، والمثابرة على إنجازه، بتحمل المشاقّ، وترك الراحةِ، حتى أتمه[1].

(٢) الحبيبُ العامل العالم، أبو المراحم والمكارِم، والجودِ الذي عطَّل به اسم حاتم، والأخلاق التي كأنها على وجْه الدهرِ مبَاسمٌ بواسِم، ذو المجدِ الباهر، والنسب الطاهر، المملوء بالمفاخر، علوي بن محمد بن طاهر الحداد، العلوي الحسيني. أخونا في الله، في الصغر، والشباب، والكهولة، والشيخوخة، ورفيقنا في الطلب، ومساعدنا فيما قُمنا فيه من الأمور النافعةِ لعامة المسلمينَ، فإنه هو الذي قام بالجدِّ في تحصيل النفقاتِ لهذا العمل المهم الثقيل، التي لا تكاد تقومُ به إلا حكومةٌ ذات خزائنَ وأجنادٍ، وآلاتٍ وأعتاد.

(٣) الجواد الذي سبق أقرانَه، فلم يلحقوا غبارَه، ووضع أعلامه على منهج الكرَم وخلد آثاره، الباذل بنفس سخية، وهمة علية وأريحية، ورغبة صادقة وصلاح نية، الشيخ أحمد بن عبد الله بن سعيد باسلامة، المتوفي ببتاوي، والمدفون بها. فإنه التزم بنفقة هذا العمل، وهي نفقة جليلة، تجبن دونها نفوسٌ لا تعرف قدْرَ الفضيلة، وقد وفَّى بما التزم، ونال من الله، إن شاء الله، من الثواب الكريمِ فوق ما يتوهَّم.

---

(١) تقدمت ترجمة العلامة عبد الله بن طاهر الحداد، في مقدمة الكتاب، عقب ترجمة أخيه المؤلف.

[غَيلُ البُوَيردَةْ]

وهذا الغيلُ جُلِب من مسافةٍ تقرُب من أربعة أميال، فهو عمل كبير، لا يقوم به الأفراد، وإنما جرى هذا مجرَى الحوادث الخارجة عن المعتاد، فينبغي أن نذكُر شيئاً من تاريخه هنا، فإنه حقيق بذلك.

غيل البُوَيرِدَة؛ بضم الباء وفتح الواو وسكون الياء. تصغيرُ الباردة. والباردة: صفةٌ لمحذوفٍ، وهو العينُ، أو الهِمَة، بكسر ففتحٍ، لبرودَة مائها. وينسب إخراج هذا الغيلِ إلى الشيخ الكبير الشهير، محمد بن عثمان العمودي. يخرج ماؤه في جدولٍ إلى جابيةٍ أعدّت له، تمتلئ في اليوم والليلة ستَّ مراتٍ، كلما امتلأت فتحوها، ويسمونها فتحة. وكل فتحةٍ مقسومةٌ إلى أربعةٍ وعشرين قيراطاً، ويتبع كل قيراط قسماً من الطين والنخل، وقد تداولته الأيدي، ونخله حسَنٌ، يتغالون في ثمنه، ويزرعون عليه البرَّ والدخنَ، وأنواع من الأفاويه، كالشُّبْرِم، والزُّمُوتِةْ (النانْخَة)، والشّمار، والبصَل، وغير ذلك. وبلغ ثمنُ القيراط: ثلاثمئة ريالٍ، وقد ينقص عن ذلك ويزيدُ، بحسب الرغبة. فجميع قواريطه: ١٤٤ قيراطاً، ثمنها على ما ذُكر، يبلغ: ٤٣٢٠٠.

* * *

وكان أول من عزم على جلب ماء الغيل إلى بلد قيدون: هو شيخنا الإمام ذي الهمة العالية، والعزمة النافذة، الحبيب محمد بن طاهر الحداد، وشاع عزمه على ذلك، وتحدث به الناس، وتكلم هو في مبلغ ثمن الغيل كله، وكان ينوي شراء الغيل كله، وتحويل مائه إلى قيدون للشرب، وإجرائه في قصَب. ورغبت إحدى العَقائل في المساهمة في الخير، وهي زُبَيدة زمانها، وسَفانة أقرانها، ذات النية الصالحة، والرغبة في التجارة الرابحة، رقية بنت سعيد نُعُوم، زوجة الشيخ الموفق للخير عبد الله بن سعيد باسلامة، ووالدَة الشيخ أحمد باسلامة المذكور، وإخوانه. وكان قد تقدمَ منهم تبرعٌ بإصلاح خللٍ حدث في كريف قيدون.

ثم كتب إليها شيخنا الحبيبُ محمد بن طاهر مكتوباً يخبرها فيه بعزّة الماء في بلد قيدون، وقال: «واشترح خاطرنا أن نجري ماءً من مكانٍ بينه وبين البلد قدْرُ مشي ساعةٍ ونصفٍ، وسنجعلها لكم، مثل عين زُبَيدة بمكة»، وذلك في ١٢ جمادى الآخرة سنة ١٣١٢. فلما قرئ عليها كتابه، شرح الله صدرها لذلك، وكتبت على نفسها حجةً شرعية، وأوصت إلى ابنها الشيخ أحمد بتنفيذ ذلك، وعينت له ستة عشر ألف روبية، وتوفي شيخنا قبل أن يتفرغ للعمل، ولكن أمر ذلك قد شاعَ بين الناس، وهم يعدونه كأضغاث/ الأحلام. [١٩٩/]

فلما كان سنة ١٣٣٧؛ وكان أخي عبد الله بجاوة يومئذٍ، أخبره أخونا الحبيب علوي بن محمد، عن الشيخ أحمد باسلامة: أنه راغبٌ في الوفاء بما التزمته والدته، وطلب منه أن يكون هو القائم بهذا العمل الكبير، فشرح له أخي الحالَ، من أن ذلك القدْرَ الذي التزمته لا يكفي لانجازِ العمل، وذهبَا معاً إلى الشيخ أحمد باسلامة، وعرَّفاه حقيقة الأمر. وأن أخانا علوي سيَسْعى عند أهل الخير والبر في التبرُّع بما يتمم العمل. فقال: «إن هذا أمر قد التزمت به الوالدة للحبيب محمد، ولا أريد أن يشاركنا أحدٌ فيه، فإنْ وفَّى ما عينته لانجاز العمل فذاك، وإلا فسأتممه من مالي». فكان حريصاً على التفرد بإنجاز الأمر، غيرَ مشارَكٍ فيه، ووفاءً بما كان منهم من الوعد لشيخنا الحبيب محمد، ومبادرةً إلى الثواب، ورغبةً في حسن المآب. وقد فعل، وأنجز ما وعَد، تقبل الله منها ومنه، وغفر لهما.

ولما عاد أخي من سفره سنة ١٣٣٨؛ اجتمعَ في بندر المكلا بالسيد الشريف، والعلم المنيف، ذي القدر الخطير، والصيت الشهير، حسين بن حامد بن أحمد المحضار، العلوي الحسيني، وزير السلطان غالب، والسلطان عمر من بعده، فذكر له شيئاً من الحديث المتقدم، فارتاح لذلك، ووعد بالمساعدة المعنوية، وتذليل الصعابِ، عند خروجه إلى الوادي.

وشاع الحديث في البلد، فمن مصدق ومن مكذب، ووقعت المخابرة مع من تصلح مخابرتهم من أعيان الوادي، ومن ترجى مقالتهم في إصلاح الأمر، لأن الغيل مشترك بين عددٍ عديدٍ من الناس من أهل البلد وغيرها. كالمشايخ أهل صُبَيْخ. وكان أول من استشير وأخبر بذلك، هو أخونا ومساعدنا في دعوة الخير والإصلاح، وشريكنا فيما كان من ثواب مأمول وأرباح، ذو الفطرة الزكية، والهمة العلية، والصدق والعمل والنية، السيد الشريف، الحبيب حامد بن علوي بن عبد الله البار، العلوي الحسيني، فكان مجيباً لأول دعوة، ومعيناً بفكره وماله، ولسانه وبيانه، على عادته في قيامه معنا القيامَ المؤزَّر، في بناء رباط العلم الشريف، كما سيأتي.

ثم إنّ السيد الشريف، حسين بن حامد، المذكور، خرج من المكلا، وجاء إلى قيدون سنة ١٣٣٩، وكان قد أرسل مخبراً بقدومه، فتلقيناه في الناس، ولما صافحه أخي، قال له: إنا جئنا للوفاء بالوعد وتحصيل الماء. وأجرى هو الحديثَ عندما اجتمع أهلُ البلد عندَه، وكنا حاضرين، في صلاح البلد، وإجراء ماء الغيل إليها. فقالوا: لو علمنا أنه سيجري إليها لبذلنا جميعَ ما نملكه من الغيل، ولساعدنا بكل ما نقدر عليه، ولكن إجراءه من المستحيلات، لبعد المسافة، واعتراض الشعاب، إلى آخر ما قيل.

ثم إن السيد الشريف، الوزير المذكور، جمع أعيان البلد عنده مرةً أخرى، وحضرنا، وتكلم وشرح لهم الموضوع، وحسَّنه، وأكبره، وعظّم فائدته، فقبل الحاضرون كلامه، ورضُوه، وإن كان استبعادُ نجاز ذلك لم يزايل أفكارَهم، لطول المسافة، وما يعترضُه من سفوح الجبل، ونشوزها وأغوارها، ومسايل الشعاب، ووادي ظليفة والرِّشِة، فضلاً عن كونه عملاً عظيماً، لم يعمل أحدٌ نظيرَه، ولا ما يقاربه، في وادي حضرموت، فيما سلف. وكان هناك بعض الحسدة للمشاريع

الخيرية، يرقبون فرصة للكلام، وتعكير المجلس، وقد فهم ذلك حضرةُ السيد الوزير، فمسك بيده دفّة المجلس، وأخذ يدير المشاوَرة بحذقٍ ولطف، وضاق بذلك البعضُ، فبدرت منه بادرةٌ، أجابه بمثلها، وانتهى الأمر بانحسامه وإيلامه.

ثم افتتح القولَ مع أهل البلد، في كيفية الحصول على مقدارٍ من الماء الكافي، واستقبل المحاورة في ذلك بقوله: إلى كم ينقسم ماء الغيل؟ قالوا: ينقسم إلى ستّ فتحاتٍ. فقال: إن عندي رأياً إذا وافقتم عليه كان مفيداً للحصول على الماء الكافي لشربكم، مع بقاء أمر الغيل كما هو. وهو أن نجعله منقسماً إلى ثمان فتحاتٍ، فتبقى الست على ما كانت عليه، وتكون الفتحتانِ المزادتانِ لماء الشرب.

فهلّل المجلسُ لهذا الرأي البديع المنير، وكان فيه قطعاً للمشاكل، وحسما لمواد التمنّع، وقطعاً لعرض النزاع. وحُرّرت صيغةُ النذر والتبرُّر والتبرع بذلك، وأمضى عليها الجميع والحمد لله. فحصل بما ذكر مقدارٌ كبير من المطلوبِ، وإن لم يكن كافياً، ولذلك مسّت الحاجة لشراء حصصٍ/ أخرى أضيفت إليه. [/٢٠٠]

* * *

وما ذكرتُه من جريان الأمر على الموافقة والاجتماعِ من أهل البلد، لم يكن مانعاً من حصول التهويش من كثير منهم بالأذى بالكلام. فمنهم من يقولُ: هذا أمرٌ لن يتمَّ، واحلقوا لحيتي هذه إن تمَّ. وقال الآخر: إن السابقين أهلُ نياتٍ صالحة، وقد حفروا البئار، وبنوا الكرُف، وإذا جاء ماء الغيل فسيعرض الناسُ عنها، وينقطع ثوابهم، فمجيء ماء الغيل إلى البلد لن يكونَ. وقال الآخر: إن الناس يتعبون على تحصيل الماءِ، ولهم بذلك ثوابٌ، والآن سينقطع!. وقال آخرُ، وكان سميناً عظيم البطن، كالجرّة العظيمة: إن صلحَ هذا فابقرُوا بطني، وخذوا شحْمَها فاذهبوا به

الغَنْم، أي مجرى الماء. وبلغ الأمر إلى مداخلة النساء! فكن يحلفْنَ بقُصَصهنّ: أن هذا الأمر لن يتمّ، وإلا فلتحلق تلك القُصَص. وملئوا بهذه الأقوال أسمارهم وأنديتهم، ونقلوها إلى البلدان الأخرى، وشُهِر بعضُهم بتولي كِبْر الأمر وتكثيره، وتوشيته وتكريره، فكان الذمّ والنكير هِجِّيراهُ أينما حلّ، وحيثما ارتحل، يقسم بالله جهْدَ يمينه: إن هذا الأمرَ لن يكون، ولن يتمّ. متألّياً على الله، ومتجرئا على غيبه. قائلًا: إن الشيخ سعيد لا يريدُه، ولا الصالحون، فلن يكون أبداً. ويعني بالشيخ سعيد: الشيخَ سعيد بن عيسى العموديَّ، الصالحَ المشهور المقبور بقيدون.

[واقعة حال تبين تأثير الخرافة على الناس]

وهذا الكلام عظيمُ الخطر، إذا صدَّقه أهل ذلك المحل، فإنه يدعو إلى إسراعِهم فيما يدَّعون إليه من الإضرار والأذى. وقد وقعتْ لنا قبلَ ذلك قضيةٌ، لقينا بسببها تعباً شديداً، توسل فيها الخصوم بكلامٍ نحو ما ذكر. وهي تتعلق برباط العلم الشريف، ومحل ذكرها هناكَ، ولكنا نذكرها هنّا للمناسبة:

لما ابتدأنا في عمارة الرباط؛ عارضَنا في ذلك من عارض، وتألب معه أغلبُ أهل البلد، وصاروا كلهم ألسنةً ضدنا، حتى كادوا يهيّجُون الوادي جميعَه. ودخل في ذلك من له مكانةٌ عند الناس ووجاهة، وبلغَنا عن بعض أهل العلم كلاماً ما كنا نظنُّ صدورَه من مثله، وقدَّمُونا للمحاكمة عند والي دوعن في ذلك الوقت، ولم يأت أولئك الخصومُ بشيء يليق بذي عقلٍ سماعَه، لا شرعاً ولا عادةً. ولكن ظواهرَ الأمر: تدل على ميلٍ إلى الجانب الآخر، وممالأةٍ له شديدةٍ، وتنكّر. ولم يبق معنا إلا شيخنا الحبيبُ أحمد بن الحسن العطاس، وأخونا الحبيب حامد بن علوي البار. وبقيةُ أهل الوادي: إما كافٌّ نفسَه، وهو الأقل. وإما موالٍ للخصُوم بمالٍ أو قالٍ أو جاهٍ.

وطال انتظارنا لفَصل القضية وانجازها، حتى جلستُ يوماً مع بعض إخواننا من السادة آل المحضَار، فأسرُّوا إليّ: أن الوالي ممالئٌ في الباطن للخصوم، وموافقٌ لهم، وكان لهم اطلاعٌ على باطنِ الأمر. فأخبرتُ شيخنا بذلك، فشَقَّ عليه الحال، وركبَ حالّا متوجهاً إليه مع جماعةٍ، وكنتُ معه، ثم بدا له فرجعَ من أثناء الطريق، وأظهر عتبه عليه، وشاع في الوادي أنه حصلتْ بينه وبين الوالي وقفةٌ، فانزعج لذلكَ، وأرسل ولدَه إلى القُوَيرة عند شيخِنا، يتعهّد له بفصل القضية، إلى آخر ما وقع.

والمقصُود: أنا بحثنا عن سبب العارض الذي عرض له في ذلك، فوجدنا الخصوم قد استعانوا برجُلٍ اسمه محمد عبد الرّبّ، له اتصالٌ به، وتردد إليه. أخذ يخوّفه من التدخل في القضية، والفصل فيها، ويحسّن إليه أن يترك أهل العدوان وشأنهم. قائلاً له: إن هذا الرباط لا يريده الشيخ سعيد، واحذر لا تصيبك لَوْحة منه. ولم يزل يكرر عليه ذلك، حتى وقَر في ذهنه: أن الشيخ سعيد له بالمرصاد، سيوجّه إليه لَوْحة كبيرة إن أقام حكْمَ الشرع، ومنع الظالم، ونصر المظلوم، وأيد الحق.

وظهر لنا أن سبب تباطُئه، حتى تعرضَ لعتَب شيخنا، هو ما يلقيه إليه ذلك الوسواس. ولولا أن لشيخنا عنده مكانة راسخة، ومنزلة سامية، لساءت العاقبة. **واللَّوْحَة**، بفتح اللام وسكون الواو: يريدون بها نقْمةَ الوليّ! فأنّى؟ وكيفَ؟ تصلح أمورُ الناس بسيرة ولاةٍ، لا تمييز عندهم بين الحق والباطل، والعدل والجور، والظالم والمظلوم، إلا بمثل هذه الوساوس؟ وتخيَّل كيف يكون حالُك إذا وُكِلْتَ إليهم!، فالله المستعان، وإليه المشتكى.

[واقعة أخرى]

ووقعتْ لرجلٍ من عشيرتنا قضيةٌ أخرى. لولا عناية من الله لطفَتْ عن الأفهام، لتعبَ منها، وربما اضطرَّ إلى دعاوي/ ، وأقوال، وبحثٍ فيها، يؤدي إلى [/٢٠١]

[عدم] حياءٍ، وسقُوط حشمةٍ ومروةٍ، ولكن الله سلّم. كانت له زوجةٌ من بعض العشائر حملة السلاحِ، وتوفيتْ، وتركت أطفالاً، ورأى أنه لا يكون أحْنَى عليهم من خالتهم، فخطبها إلى أمها وإخوتها، فرضوا وعقدوا نكاحهما، وتمالأ سائرُ عشيرتها ممن ليس بوليٍّ لها، فتوسّلوا ببعض نسائهم، حتى أخذَها إلى بعض بيوتهم، وأرسلوا رجلاً منهم ليقوم بالإيناس والإبْسَاس عند الوالي، قبل ذلك، واجتهد صاحبُنا، حتى استردَّ زوجته التي لم يدخُلْ بها بعدُ إلى بيت أهلها، وجاء نحو عشرين رجلًا مسلحين، منهم، حين سمعوا بذلك، وأدركنا عند صاحبنا لنصِلَ جناحه، ونكون معه، ووقع بيننا وبينهم كلامٌ وإغلاظٌ.

فكان من عناية الله: أن الوالي رأى رؤيا، كفى الله بها شرّهم، وما بيتوه من أمرهم. رأى في منامه: أن رجلاً جاء إليه وهو في حصنه، يدعوه لملاقاة شيخنا خارجَ الحصن، فلما جاءَ، وجده راكبا فرسَه، ومعه فرس جنيبٌ، أمره بركوبه، ثم سارا معاً إلى البلدِ التي وقعت فيها القضية، ووصفها الوالي بصِفَتها، ووصف الدارَ وموقعَها، وصفتها ومنازلها. قال: فلما دخلنا إليها، وجدنا فلاناً، وذكر اسم صاحبنا، فجلس الحبيبُ، (يعنى به: شيخَنا)، فقرأ خطبة النكاح، ثم عقد له بتلك المرأة.

فلما أصبح الصباح استدعَى بالرجل المشار إليه، فقرعه وأنبه. وقال: إنما جئتني بداهيةٍ. فاخرج عني، ولا تعد إليَّ. وأرسل امرأً يكفّ عدوان المعتدين، فانخنَسُوا، ثم ندموا واعتذروا لصاحبنا عن إساءتهم، ولولا عناية الله به، لنالَه أذى وأمورٌ منهم، يعرق لها الجبين.

❊ ❊ ❊

واعلَم؛ أن مثل هذه الحكاية التي حكيتُها، يجريها الله إصلاحاً لحال العالم، وعنايةً بمن شاء من عباده، إذا قلَّ العدلُ، وكثُر الجهل.

واعتبرْ ذلك بقوله تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ [المائدة: ٩٧]. فإن المفسرينَ قالوا: كان الناسُ كلهم فيهم ملوكٌ، يدفع بعضهم عن بعضٍ، ولم يكن في العرب ملوك كذلك، فجعل الله لهم البيت الحرام مكانَ أمْنٍ، فكان الرجلُ منهم يلقَى قاتلَ أبيه فلا يتعرّضُ له، والشهر الحرام زمن أمن. والهديُ، وقلائدُ الهدي، سببُ أمنٍ حيثما كانوا. فهذا جعلٌ كَونيٌّ، صلُحَ به أمرُهم، ودُفع به شرّ بعضهم عن بعضٍ، في بعض الأمكنة والأزمنة، وإن كانوا على أمر جاهليةٍ وكفرٍ، والله بصير بالعباد.

[واقعة مماثلة لما سبق جرت في بلاد الحبشة]

جئتُ إلى هرَر، سنة ١٣٣٨، بصحبة الحبيب الأواه الأواب، السيد الشريف حامد بن علوي البار، المتقدم ذكره آنفاً، والشيخ الأمثل، حميد الأخلاق، وطيّب الأعراق، عمر بن أحمد بازرعة. ومكثنا بها أياماً، وحكى لنا بعضُ أهلها حكايةً تشبه ما وقعَ لأهل بلدنا، وقد حكيتها لهم، لعلهم يعقلون، فلم يفعلوا.

هذه البلدُ من بلدان الإسلام القديمة، وجدْنا بها بعضَ أهل الفضل والعلم، وأهلَ العبادة والنسك، وحفاظ القرآن، وهي واقعةٌ في سفح جبلٍ، ذات طريق ضيقةٍ متعرجةٍ، تذكّر ببلدان دوعن، يحيط بها إلى مسافةٍ بعيدة بساتينُ البن والقات والوَرْس، جبالها خضرة نضرة. وكان موردُهم من عينِ ماءٍ تبعُد عنهم نحو ساعةٍ، وأكثرُهم لهم جوارٍ ينقلن الماء إلى البيوت في جِرارٍ، كما يفعل أهل ريف مصر. فظهَر فيها رجلٌ تاجر من أهل الخير والصدقة، يسمى بالحاج إبراهيم، فأراد أن يجريَ الماء من العين المذكورة، في قصبِ الحديد، إلى البلد، ليعتق أهلها من التعب والكد، وأحضر القصبَ الحديد بتكاليف ونفقاتٍ كثيرة، لوعورة الطرق، وقلة الظهر.

وابتدأ في العمل، فأثار الشيطانُ بعض الحسدة، واستتبع أهل البلد، وهيَّجهم عليه، كما فعل صاحبُ بلدنا حين هيّجهم، فأخذوا يعترضون عليه، ويذمّون، ويقبّحون عمله، بأنه يريد قطع الثواب عنّا، لأننا نتعبُ على الحصول على الماء، وجلبه إلى البيوت، فإذا قرَّبه إلى البلد انقطع عنّا الثوابُ! أما الحاج إبراهيم فاستمر في عمله ولم يعبأ بهم.

وكان من الصُدَف: أن ملك الحبشة، وهو الذي أخرجته إيطاليا من مملكته، جاء إلى هرَر، وبات بها، واجتمع أهل البلد، وحزموا أمرهم على الشكوى إليه من الحاج إبراهيم. فأصبحوا من الساعة السابعة صباحاً أمام قصره، في ميدانٍ واسع هناك، وأخذوا يضجون بالشكوى، فأشرف عليهم وقد ظنَّ/ أنه وقع عليهم ظلمٌ عامٌ [/٢٠٢] من عاملِه. فاستفهمهم، فبسطوا له شكواهم، فاستغربها، ولم يفهم لها وجهاً.

فسألهم: هل أكرهكم الحاج إبراهيم على نفقةٍ؟ قالوا: لا. قال: هل أكرهكم على العمَل؟ قالوا: لا. قال: هل ماء العينِ ملكُ أحدٍ منكم فاغتصبه؟ قالوا: لا. قال: هل أراد أن يضعَ القصب في سنانِ أحدٍ منكم أو ملكٍ له؟ قالوا: لا. فانتهرهم! وقال لهم ما معناه: رجلٌ يتعب نفسه وينفقُ ماله في مصلحتكم، ولا يكلفكم شيئاً، تجتمعون كلكم على الشكوى منه!! اذهبوا، لولا إنه لم يسبقْ لأحدٍ من الملوك أنه حبسَ أهل بلدةٍ بأجمعِهم لحبستكُم.

[عود إلى ذكر خبر بناء الرباط]

ثم كان الابتداءُ في العمل يوم الخميس فاتحةَ شعبان، سنة ١٣٤٠، في احتفالٍ، وابتدئ في عمارة كَريفٍ طولُه ٢٤ ذراعاً، في عرض مثلها، وعمق أربعة أذرعٍ ونصفٍ، ليجتمع الماء المتصدَّق به للبلد فيه، ثم يجري إلى العَثْم، أي الجدول.

وتم بناءُ العَتْم بالأحجار من الغيل إلى قيدون، في سنتين، فبلغ طولُه أربعة عشر ألف ذراعٍ. وكان أشدَّ ما كان فيه مجاري الشعابِ، فإن العمل فيها اقتضى أياماً ونفقاتٍ، ففي بعض المواضع: جُعِل له بناءٌ مرتفعٌ يمر ماء السيلِ فوق الجدول، وفي بعضها يمرّ الجدولُ فوق دعائم بينها فتحتاتٍ جُعِلت لمرور السيل، وتسمى جِراراً، جمع جرَّة. وهذه المواضعُ تكرر الإصلاحُ فيها، لما تحدثه السيول من التدمير. ثم جرى العملُ في تمليطِه، وتسييجه بالنورة. وأهل بلدنا يقولون: في محْضِه بالنّورة. في مدة ثلاث سنين، إلى ثلثي المسافة، فكان الذي استغرقَه من النورة: خمسةَ وسبعينَ ألفِ قهَاول، عن ثلاثمئة ألف صَاعٍ.

وما زال أهل البلد في أمرٍ مَريجٍ، فأخذوا يقولون: إن مال باسلامة ضائع، وأما السيد فلا يبالي شيئاً ما دام يجد سكباجاً لطعامه. وهم يسمونه: صَانَّه، بالمد وتشديد النون، كلمةٌ هندية. ورأى آخرُ الكريفَ الأول، السابق ذكره، وقد امتلأ ماءً، فهو يطفح، فقال: هذا سيساعد في غسل خُلقَان أمهاتِ الغَيل!. ولما كمُل بناء العَتْم بالأحجار، قالوا: لقد بناه بالأحجار، فمن أين يأتي له بالنورَة؟ لو أرادَ أن يطليه بالطين لما كفَاه ترابُ قيدون. واستمروا في هذا وأشباهه، وكفوا أيديهم وألسنَتهم عن المعاونة البتّة، كأن هذا العمل إنما صُنعَ لضُرّهم لا لخيرهم ونفعهم!

وكل هذه الضوضاء لم تثْنِ عزْمَ أخي،ولم يلقِ لها بالاً، بل استمرّ في العمل بعزمٍ وقوةٍ واستمرار، وقد حكى هو فيما كتبَه في مناقب شيخنا الحبيب محمد بن طاهر، المسمى بـ«قرة النواظر»: أن السيد الشريف، والعلَم المنيف، حسين بن حامد المحضار، السابق ذكره، أرسل أحد الصُناع الماهرين من الشّحر لإتمام عمارةٍ قام بها في القويرة، وأمره بالوصول إليه، لعله يستعين برأيه، فلما جاء إلى قيدون، وجده في محلّ العمل بالغيل. فقال له أخي: ماذا رأيتَ يا معلم؟ وما رأيك في العمارة؟

فقال: يا حبيب! منذ خرجتُ من البلد (قيدون) وأنا أتفقد مجاري الماء، لعلي أعثر فيها على رملٍ ليكون خلطاً لنورَةِ العتم، فما رأيت شيئاً، وإذا كان الرملُ غير موجودٍ، فكيف بالنورة!. وأقول لك كما قال بعضُ السادة للجمعدار عبد الله بن عمر القعيطي، لما طاف به عمارتَه في حصن بن عيَّاش: هذه العمارةُ تحتاج إلى ثلاثة خصالٍ: مالِ قارون، وصبر أيوب، وعُمْر نوح.

فقلنا له: معنا واحِدة جمعتْ لنا الخصالَ الثلاثَ، إن شاء الله، وهي نية الحبيب محمد بن طاهر، وهمته. فانصرف متحيراً مما رأى». اهـ.

وإنما ابتدأ أهل البلدِ يصدقون بإمكان وصول الماء إلى البلد؛ بعد تمام ثلثَي المسافة، ووصول الماء إلى الجابية المعدَّة له هناك، وأخذوا ينتفعُون به، ولما وصل العتْمُ إلى ضاحية البلد، جعلت له جابية يجتمعُ فيها الماء، ثم يرسَل منها إلى الكريفِ الذي جُعل له في نفسِ البلد، ومنها أجريَ الماء إلى الكريف، في جبُوحِ خزَفٍ مسافةَ ألف ذراع. والجبُوح، جمع جُبْح: خزَفٌ يصنَع مجوفاً مستديراً، ويركَّب بعضه في بعضٍ، ويلْحَم بنورةٍ قد دُقّ معها قطنٌ مع سليطٍ، فتتألفُ من تلك الجبوحِ قصبةٌ مجوَّفةٌ يجريِ الماء إلى باطنها إلى المحل المطلوب.

[الاحتفال بتمام العمل في العتم]

ومما ذكره أيضاً: أنه وصلَ في آخر جمادى الأولى سنة ١٣٤٦، السيد الفاضل، العالم العلامة، بقية السلف، عبد الله بن محمد بن عقيل العطاس، والسيد الكامل الناسك، عبد الرحمن بن جنيد بن عمر الجنيد، ومعهم جملةٌ من السادة، فخرجْنا نطوف بهم/ الجابية التي في ضاحية البلد، والعمال يكمِلون طلاءَ قاعها [١٠٣/١] بالنّورة الإفرنجية (الإسمَنْت)، فلما وقفنا عليها، قال الحبيبُ عبد الله بن محمد المذكور: أما أنا، فلا أزَايل هذا المحلَّ حتى أرى الماء في هذه الجابية، وجلس على

شفيرها، والعمال وسطها، على آخر العمل. ولم يكن من عزمنا إجراءُ الماء تلك الليلة، إلا إني وجدتُ كلامه بقوّة، وعرفتُ أنه ما عزَم وجزمَ بما قالَ، إلا لانشراحِ وجدَه في صدره، لأنه من أهل النور.

فقلتُ: رتب الفاتحة ويس وتبارك، واقرأ معها راتب جدّك الحبيب عمر، كعادة سلفكَ عندما يريدون إطلاق الإذن للناسِ في الورود على ماءِ جابية المشْهَد. وقد كان ماءٌ مدّخرٌ في الجابية التي جعلناها في ثلثي الطريق، وقد سبق ذكرُها. فأرسلتُ خادماً ليرسلَ الماء منها، ففعل، ولم نكد نكملْ قراءة ما ذُكر، حتى وصل الماءُ، فتوضأنا منه، وصلينا المغرب هناكَ، وكان هذا أول تجربةٍ لوصوله».

***

«ولما كان يوم الخميس؛ وهو الخامس عشر من رجب، سنة ١٣٤٦: أعددْنا ضيافةً للاحتفال بإجراء الماء من الغيلِ إلى البلد. فذبحنا ثوراً، وعدةً من الغنم، وطبخنا أربعة أكياس من الرز، واجتمع الناسُ، ونشرت الراياتُ، وقرئ المولد النبوي، وأنشدت المدائح النبوية، وأعلن الناس بحمد الله وشكره، يخالط ضَجّاتِ الناس خريرُ الماء يصبُّ في الكريف، والبنادقُ تضرب من أطراف البلد، وزغاريد النساء (صَلَقهنّ). فكان يوماً مشهوداً، وعيداً معدوداً. وحضر سيدنا العلامة الداعي إلى الله أحمد بن زين بن أحمد خرد، العلوي الحسيني، المتوفى في شهر محرم سنة ١٣٥٤، فوعظ الناس، وقمتُ بعده، فحمدتُ الله على ما أولى وأعان، وحثثت أهل البلد على معرفة قدْر هذه النعمة التي منَّ الله بها عليهم، وأن يقيّدُوها بالشكر والإقبالِ على الله، والتزام طاعته، واتباع السلف الصالح». انتهى ما قاله أخي في «قرة النواظر»، بعضه بلفظِه، وبعضه بمعناهُ، مع زيادة.

[قصيدة الحبيب أحمد مشهور الحداد في افتتاح العتم]

وأنشدَت قصائدُ نظمت في المواضيع، وقيلت مقاطيعُ عامية على الزامل المشهور عندهم. ذكر شيئاً من ذلك في «قرة النواظر». ومنها: قصيدة غرّاء، أنشأها الألمعي الأديب، واللوذعي الفاضل الأريب، أحمد المشهور بن طه بن علي بن سيدنا الجد عبد الله الهدار الحداد، العلوي الحسيني، مطلعها:

* لمعَتْ خوافِقُ أنسِنا المتجَدِّدِ *

قالَ فيها:

عملٌ من الخيراتِ مقصُودٌ به ... وجْهَ الإلـه ونفـعَ أمّـةِ أحمـدِ
وعلى جَبينِ الدّهرِ أصبحَ غرّةً ... تبـدُو بِـه كالكَوكـبِ المتوَقّدِ
فتحٌ به قيـدُونُ أخصبَتِ الرُّبَى ... رَوِيَـتْ وقالَ لسـانُ حالتها قَدِ
من بعْدِ ما مرَّتْ بها حِقَبُ الظمأ ... عادَتْ فجَاشَتْ بالزُّلالِ المزبِدِ
فلتبتَهـجْ قيـدونُ ولتهنـأ بمـا ... قد أودِعَتْ من خيرها المتجَدّدِ
فيها حياةُ الرُّوحِ والأجسَامِ منْ ... وِرْدٍ وصـرْحٍ للعُلـومِ مشـيّدِ
فانهضْ لمعهَدِ علمِها ورِبَاطها ... ومعينِ مورِدهـا الـهنيِّ الأبْردِ
تلقَ المعـارفَ يانعـاتٍ ثمرُهَا ... متـدلـيـاتٍ دانيـاتٍ لليَـدِ
والمـاءَ فياضاً وقـد كانوا علَى ... تحصيله صَالي العذابِ الأنكَدِ
يسْقُونَ مـن أغْـوارِ آبَـارٍ على ... مئـةٍ ونيّـفٍ قامَـةٍ أو أزْيَـدِ
يدلُونَ بالجهدِ الشديدِ دِلاءَهم ... فيهَا وتطلُـعُ بالنّزيـحِ المجْهدِ
يقْـوَى عليه الأقويـاءُ وكلُّ ذي ... ضَعفٍ فراوٍ إن تمكّن أو صَدِي
حتّى أفيضَ عليهمُ الغيلُ الذي ... أدنَتْـه هـمـةُ مـاجـدٍ مـتـفرّدِ

المصْلحِ العَانـي بإحيَاء العلا ومَآثرِ المجْدِ الكَريمِ المرْشـدِ
أعني عفيفَ الدّينِ عبْدَ الله مَن طمَحتْ به نفْـسٌ لأرفَعِ مقْعَدِ
فسعَى وأدركَ مـا أرادَ بجُهْدِه وعلُوِّ همتِـه وحُسْـنِ المقْصَدِ
وحميدِ سيرَته وصـادقِ جِدِّه وروَى حَديثَ صَحِيحِها بالمسْنَدِ
ولقـد أقـولُ ولا أبَالـغُ أنـه حَـازَ الوِراثةَ للمَقامِ الأحمديّ
إيهاً عفيفَ الدين جَدُّك قَدْ وفى بالطّالع الميمُونِ سَعْدِ الأسْعُدِ
فلقَدْ فسَحْتَ بما أُتِيتَ من الندى بالانـتـفَـاعِ لمتْهـمٍ ولمنْجِدِ
وبلغْتَ مجهُـودَ الأكَارمِ آخذاً فيـه بشَـأْوِ خَلائـقٍ لـم تجهَـدِ
بينَا الشدائدُ في الرُّقيِّ إلى العُلا قعدَتْ بكل ضعيفِ عزْمٍ قعْددِ
حسِبَ انّ ذاكَ من المحَالِ فقدرأى عزْماً يهـدّ ذرَى الجبالِ الوُطَدِ
وعلَـى يديـكَ تحققَـتْ بنيابَـةٍ نياتُ مرشِـدِكَ الحبيبِ محمَدِ
بِحِمَى عمُودِالدّينِ شيخِ القُطْروالـ حَـدّادِ طاهـرِ الإمَـامِ المفْـرَدِ
بتعاضـد من خير إخْـوانٍ على سبل المكارمِ والتقَى والسّؤدُدِ
نزلَـوا غيوثاً للبـلاد وأصبَحُوا أمْنَ الورَى من كلّ خَطْبٍ أسْوَدِ
وغَدتْ بهم تلكَ البلادُ خمائلاً للوارديـنَ وكـعْبَـةً للقُصَّـدِ
ما بيـنَ داعٍ للعبَادِ إلـى الهدَى سَـاعٍ لإحيـاءِ العلـومِ مجَـدِّدِ
ببيـانـه وبـنـانه ولـسـانـه كالنجْمِ بـل كالبدر لاحَ لمهتَدِ
مثل ابـنِ طاهـرِ العزيـزِ نَظيرُه علـويِّ الحبـر العَليـمِ الأوحَدِ
ومبشّـرٍ يحدو إلى عمَل التّقَى والصّبْـر بالنصْـرِ العَزيـزِ مُؤيَّدِ
يسقي الوفُودَ بطيبِ أخْلاقٍ كما يسْدي جزيْلَ الرِّفْدِ للمُسْترفِدِ

كَابْن الجمالِ محمّدٍ ربِّ النَّدَى والفَضْلِ علَويِّ الحليْمِ الأرْشَدِ
تعلُو بِهِ الهِمَمُ العَوالي فهو عُلْـ ويٌّ لذلكَ في اسْمِه والمحْتِدِ
من نسْلِ حَدادِ القلُوبِ وغيرهم مـن آل طَـه كَـمْ إمـامٍ أصْيَـدِ
كالحامِد البَار الجَواد المقتِفِي أثـرَ الخيَـارِ بمَصْـدرٍ وبمَـوردِ
زاكي الشَّمائلِ والصِّفاتِ وكَمْ لَه من مَشهدٍ في الصَّالحاتِ ومِنْ يَدِ
وأولي السّعادة من محبيهِمْ فهُمْ منهُمْ ومن يدخُلْ حماهم يَسْعدِ
وأبو سَلامةَ أحمدٌ حمِدَ السُّرَى عنْدَ الصباح ومن سَرَى فليَحْمَدِ
يهنأ بِما أولاه في الدّنيا وفي الأُ خْرَى بنُـزْلٍ في الجنَـانِ ممهَّدِ
تلك المكارمُ لا تَزال على المدَى تتْلَـى بذكْـرٍ فـي الأنَـام مخلَّدِ
يحيَى بها بعْد الممات من ابتنَى أركَـانـهـا وكـأنّـه لَـم يُفْقَـدِ
تنمُو فضائـلُ عَامريهَا مَا جرَى نفْعٌ بها ولهمْ كفضلِ المقْتَدي
شُكْراً بني وَطني على النِّعَم التي سيقَتْ من المولَى إليكُم تَزْدَدِ
وارْعَوا لها حقًّا وصُونوهَا لكُمْ مـن أن تلُمَّ بهـا ضـرورَةُ معْتَدِ

/ وهي أطولُ مما ذكرنا. [/٢٠٥]

وقد أطلنا في ذكْر هذا العملِ لأنه عملٌ عظيمٌ، في بلدٍ مفقُودٍ بها كلُّ شيء يحتاج إليه في إصلاح ذلكَ، حتى الرّملُ والنورة، وقد جُلب السكّر للنّورة والإسْمَنت من جَاوة! ولا يوجَدُ في سوقها إلا المهمُّ من الحاجاتِ.

***

[مكرُمَة بن لادن]

وهذه تعليقة في شكر معالي الشيخ محمد بن لادن، أسكنه الله فسيح جنانه، بقلم السيد جعفر بن عبد الله الحداد: «وبعد مدة ٣٧ سنة على تأسيس العتم؛ أي في عام ١٣٨٣هـ كان السيد العمُّ الفاضلُ محمدُ بن عبد الرحمن ابن العلامة محمّد ابن الإمام العلامة طاهر بن عمر الحداد، موظفاً لدى مؤسسة بن لادن، وفي أحد الأيام قابل معالي الشيخ محمد بن عوض بن لادن، يرحمهم الله. وأخبره أن الوالدَ عبد الله ابن طاهر الحداد أقامَ عتم بقيدون من مدة طويلة، وأسَّسه بالحجارة والنورة، لقلة الإمكانيات في ذلك الوقت، من مسافة ٥ كيلومتر. ويحتاج الى مواسير. وبتوفيق من الله وفضله، ثم ما تربط الشيخ بن لادن بالوالد من الصلات والصداقة. أعطى تعليماته للمسئولين بمكتبه بإجراء اللازم، وإرسالها الى قيدون، وبعد وصُولها قيدون، قام بعض أهل قيدون بتركيبها فوق العتم المذكور. ولم يكلفهم أي جهد أو مشقة. لأن العتم أسِّس وقام أولاً بالنيات الحسنة، ثم بفضل من الله ثم بطريقة هندسية ممتازة، وتصميم قوي، وتوازن محكم، بالرغم من قلة الإمكانيات في ذلك الوقت، وإن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء.

وبعد أن انتهوا من تركيبها، قدموا طلباً لمعالي الشيخ محمد بن لادن بإعطائهم النظارة عليها، ولما علمنا بذلك، قدمنا طلبنا إلى معالي الشيخ محمد بن لادن، لإعطائنا النظارة، لتكون تابعة لما قبلها. لأن النظارةَ الأصل من المؤسس عبد الله بن طاهر الحداد يرحمه الله، لأولاده مصطفى وجعفر. وبعد فترة اتصل بي مدير مكتب بن لادن، الشيخُ أحمد بامفلح، رحمه الله. وطلب مني الحضور الى مكتبه لمقابلة معالي الشيخ محمد بن لادن، وفعلاً قابلتُه وشرحتُ ما قام به الوالد، فأعطى تعليماته إلى مدير مكتبه بإعطائنا النظارة، بعدَ تصديقها من الجهات الرسمية. وفعلا سلَّموا لنا النظارة مصدقة من الجهات الرسمية، وأمر مدير مكتبه: إذا احتاجوا الى مصاريف مادية أعطوهم.

فاللهمَّ نسألك بمعاقد العز من عرشك، ومنتهى الرحمة من كتابك، وباسمك العظيم الأعظم، وجَدِّك الأعلى، وكلماتِك التاماتِ كلها، التي لا يجاوزهنّ برٌّ ولا فاجرٌ، أن تصلي على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد ووصحبه وسلم. وهنا ندعو لمعالي الشيخ محمد بن لادن، ومن سعَى إليه، السيد محمد ابن عبد الرحمن الحداد، وللسابقين ممن أسَّس وتصدق وتعاون، وكل من ساعد وقام في هذا المشروع، أن يسبلَ الله عليهم جميعاً العفْو والغفران، وأن يجعل ذلك في ميزانِ حسناتهم، وأن يجعل قبورهم روضة من رياض الجنة، إنه سميعُ الدعاء. والحمدُلله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات».

تتمة: ولما أن الكريف المسمّى (كريف الشِّفِه)، الذي يصب ماء العتم فيه، تركَه أهل البلاد، وحولوا ماء العتم إلى (كريف عبد الوهاب)، فقد تعطل الكريف، وأصبح غير صالح. فبإذن الله سيقوم النظَّار مصطفى وجعفر ابنا عبد الله بن طاهر الحداد، بتجديده، وتعميره، وعمل بئر ارتوازي، وخزان بماطور، يرفع الماء الى رباط العلم، ودار طلب الرباط، ولمن يحتاج. نطلب من الله يبلغنا، ويوفقنا للعمل الصالح، إنه سميع الدعاء (جعفر بن عبد الله الحداد. ٢ محرم ١٤٣٨هـ).

[نهاية مشروع العتم]

وكل مطَّلعٍ على حال البلد: يقطعُ بأن هذا العمل إنما تَمّ بالعزم والحرص والصبر، وبذل الجهد، وبركة النية الصالحة، ولولا ذلك لم تكف لإنجازه أضعاف أضعاف ما أنفق فيه من الدراهم، مع مقاطعة أهل البلد، وابتعادهم عن التنشيط للقائم فيه، فضلاً عن المعاونة. ولم يبدأوا ببذل معونتهم بالأيدي ونحوها، إلا بعد ما دنَا من البلد، وذهبت استحالةُ وصولِهِ من عقولهم، ولم تذهب إلا بعد ما رأوا الماء قد دنَا منهم، وشربوا منه، واستقوا لغرسهم الذي يغرسونَ، وتحقق لديهم كذبُ أولئك الذين أقسَمُوا بالله جَهْدَ أيمانهم إنهم لصادقون، وإن ماء الغيل لن يصلَ أبداً إلى بلد قيدون، فالحمدُلله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبمعونته تسهل الشدائد والصعوبات، أبطل بأمره أُحدوثَةَ المبطلين، وأكذَب بقُدرته إقسَام المقْسِمين والمتألّين، من المتجَرّئين على غيبه والمتكهنين، والله ولي المتقين، ورحمتُه قريبٌ من المحسنين.

قَديمُها

لا يُعلَم عن قديمِها إلا أنها كانت قريةً يحكمُها والٍ اسمه عبد الله بن راشد، ولا نعلم من أي القبائل هو، ولكنه لا يعدو أن يكونَ من حِمْير، أو الصَدِف، أو كندة، فهذه القبائل الثلاث كانتْ موجودةً في واديَي دوعن والأيسر، وما والاهما. وقراهما مفرقةٌ بينهم، وقد تنقرض بعض القبائل فتخلفُها قبيلةٌ أخرى.

وقد تقدم ذكر عددٍ من القبائل القديمة التي كانت لها إمارةٌ كآل باقي، وآل بايحيى، وآل بافقيه، وآل باعويدين، وبايسر، وبن ريس. وبدوعن: بايحيى، وبذَعَج، وبَجْوَد (با أَجْوَد)، ومنهم بقيةٌ يقال لهم: آل بابكور، وغيرهم. وكان في جِرَيف: آل بامنصور، ثم صاهَر إليهم آل باهبري، الذي كانوا بفُرضم، قرية قد خربَت بأعلى الأيسَر، ثم حاربهم آل باهبري، وأجلوهم عن البلد، واستولوا على أموالهم، وهاجر هؤلاء إلى وادي مَور باليمن، وجعلوا ما كان بيدهم من الصدقات إلى آل بَاحمَر. وكان آل باحَـمَر بتَرْمل من أعلى وادي عَمْد، فنقلوا إلى جِرَيف في زمن بامنصور، بعد أن أخذوا منه ساحاتٍ واسعةً لدورهم ومساكنهم، قبل أن يتمّ عليهم ما تم.

وبالجملة؛ فقد كانت القرى بدوعن والأيسَر معمورةً بقبائل أخرى، قد

انقرضت، أو بقيت لها بقايا قليلةٌ ذليلة، وكان سلطان قيدون المذكور في زمَن الشيخ سعيد بن عيسى، أي في القرن السابع، وقد اندرسَت آثارهم وأخبارهم، وسبحان وارثِ الأرض ومن عليها.

* * *

وأخبرني الشيخ المعمّر، عبد الله بن صالح باداهية العمودي: أن مسجد العموديّين المعروف في شمالي بلد قيدون، قديمُ العهد، وأنه ليس منسوباً إلى آل العمودي، الذين هم ذرية الشيخ سعيد العمودي، ولكنها قبيلةٌ أقدم من ذلك تدعى بالعَمُوديين.

فإن صحّ ذلك؛ فهو من اتفاقِ الأسماء، وتكون تلك القبيلة هي قبيلة الشيخ سعيدِ الأصلية، ثم انقرضَتْ، ولم يبقَ منهم أحدٌ إلا ذريته، أو بقي منهم أناسٌ تجدّد لهم اسمٌ آخر، أو اندمجوا في آل العمُودي الذين من ذريته، أو رحلوا إلى بلد آخر.

كما أنه يوجَد بريدة الجوهيين التي هي من منازل قبيلة الصدف المشهورة، المذكورة في الفتوحات الإسلامية: قبيلةٌ من آل العمودي، وبقيةٌ من الصَدِف لا يزال هذا الاسمُ يطلق عليهم، كما أن قريةَ الصدف التي سبق ذكرُها، الواقعة في الجبل الفاصل بين الأيسَر ودوعن، المشْرِف على مال الطفلة والقرحة، كانت معمورةً بقومٍ من الجوهيين، وتقارب الجوهيين والصدِف، يتبادر معه: أنهم إنما كانوا قبيلاً منهم، كما كان الجوهيون في قرية فرْضم، بأعلى الأيسَر، مقابلة الحيد الجزيل، وكان معهم فيها آل باهبري، وهي الآن خراب. والمشهورُ اليوم: إن العموديين أينما كَانوا، ينتسبون إلى الشيخ الكبير سعيد بن عيسى العمودي، أينما كانوا، حتى الموجودين منهم بأطراف اليمن، كالذين بالحمراء وغيرها/ . [٢٠٦/أ]

ولما أظهر الله الشيخ سعيد بن عيسى العمودي بالمعرفة والولاية، واشتهر بالصلاح؛ قصده المريدون والزوارُ من القرى والبوادي، وبارك الله في ذريته، فما زالَ عددُهم يكثر، حتى غلبوا على بلدِ قيدون، وصار إليهم أغلبُ أموالها ونخلها، من أيدي سكانها الآخرينَ الذين رحلوا عنها، أو انقرضوا وقلّتْ أعدادهم، ولا تزال بعضُ الأحجال والنخلِ يعرفُ إلى اليوم بأسماء ملاكه الأقدمين.

واشتهرت زاوية الشيخ سعيد في بلد قيدون، وسِيقَت إليها النذور وزكاة البوادي. ولا نعلم: هل كان أهل القرى يرسلون إليها شيئاً من زكاتهم، أم لا؟ كما أنا لا ندري متى تأسس أخْذُ الزكاة باسم الزاوية، إلا ما ذكره أهل التاريخ: أن الشيخ عبد الله بن محمد العمودي الذماري، لما تولى الوادي، أخذ الزكاة من أهله، حتى لقد أمر الأمير بَحْرَق، أحد أمرائه، أن يحرق نخل الممتنعين.

قال: «فدخلني شكٌّ في جوازِ ما أمرني به، من إحراق نخلهم، فرأيتُ النبيَّ ﷺ تلك الليلة في المنام، وهو يتلو قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الحشر: ٥]، قال: فزال بذلك ما وقع بقلبي من الشك».

وكانت الزاوية بقيدون بنيَتْ على قرنٍ هناك، وقد اندرسَ أثرها. وبلغَنا: أنها كانت تذبح بها الذبائحُ للأضياف، فتسيل دماؤها حتى تصب في ساقية البلد، مما يدل على كثرة الأضياف، وسعة الوارد. وذكر في «السناء الباهر»: أنه كان في زمن الشيخ عمر بن أحمد بن محمد، الآتي ذكره، ستون من حفَظة القرآن، وأربعون من طلبة العلم، منقطعين لذلك، ينفق عليهم من وارد الزاوية، وكانت لهم غرفٌ محيطة بالمسجد الجامع، يسكنونها، وسيأتي ذكر ذلك. ولم يبق لهذه الزاوية الآن أثرٌ، ولكن توجد دار بأعلى ذلك القرن، يسكنها بعض آل العمودي، وفيها موضعٌ أرضيٌّ

منقوشٌ في ساريته: أنه منزل الشيخ سعيد، أو زاويته، لا أدري أيهما مكتوبٌ، فقد طال عهدي به، رأيته إبّان الصِّغَر، وسمعت بعضَ المعمَّرين من آل العمودي يذكر ذلك، ولم أر أحداً يهتم برؤية ذلك الموضع، ولا زيارته.

تحويلُ الزّاويَة

حُوِّلَت الزاويةُ إلى بضَهْ، بعد انعزالِ الشيخ عمر بن أحمد بن محمد عنهم، واستيلاء أخيه الشيخ عثمان عليها، وحملِه السلاحَ، وتحصنه في مصنَعة بضَه، كما سبق ذلك عند ذكر بضه. ولا ندري هل كان الشيخ عثمان يستعين بمال الزكاة والنذور على حربه للكثيري؟ أم يخصصه للأضياف وطلبة العلم وحفظة القرآن؟ كما كان أخوه وأبوه يفعلانِ ذلك. وقد ذكر المؤرخون قيامَه بنفقة الشيخ الكبير معروف باجمال ومريديه، حين هاجر إلى بضه، فهذا يدل على أنه ينفقُ منها عليهم.

ولا ندري من أي وجهٍ كان يتحصّل على نفقات العساكر؟ ولم ينقل إلينا أنهم كانوا يأخذون ضرائب من الأهالي، وقد كان يجهّز الجيوش على الكثيري، فما ذكروا من أين ينفق عليها؟ ومورد الزاوية محدُودٌ فيما ذكرنا. إذ كان المتبادَر أنهم كانوا يجرُون في أعمالهم على منهاجِ الشّرع لا على منهاج الملك والاستيلاء على الأموال من غير مواردها الشرعية. ولكنّ عزْلَ الشيخ عمر بن أحمدَ نفسَه، وهو الفقيه الورع، وتقاسمَ الشيخ عثمان البلدان مع آل عامر، وبذل بعضها طعمةً لهم أو لغيرهم، يدل على أن الأمر على خلاف المتبادَر، والله أعلم بالحقيقة.

خَرابُ قَيدُون

ثم هتَك السلطان بدر بو طويرق قيدُون، وأخربها بالهجوم عليها المرة بعد المرّة، وكثرة الضرائب، والأعمال الشنيعة من عساكره، فتفرق سكانُها، وأخلوا البلد، حتى لم يبق بها إلا ستةُ بيوتٍ. فلما رأى ذلك بدر ضاق منها وتركها.

وكان بدءُ ذلك: أنه كان في بندر الشحر جماعةٌ من الإفرنج تجاراً، بأمانٍ من السلطان بدر بو طويرق، ثم فتكَ بهم في ضُحَى يوم الأحد، لخمسٍ مضينَ من رمضان سنة ٩٤٤، ومعه أشرافُ الجوف، مقدَّمهم الشريف ناصر بن أحمد بن محمد بن الحسن، وكان قد أرسلَ إليهم ليغير بِهم على حيريج، فأخذَها، ثم فتكَ بالإفرنج المذكورين، في التاريخ/ المذكور. [/٢٠٧]

وقتل منهم ذلك اليوم نحو ثلاثين رجلاً، وحُصِر القبطان (الكَبْتَن) في بيتٍ في حافة القرية، ومعه نحو ستين رجلاً من كبارهم، من ضَحْوة ذاك اليوم إلى قرب العصر، فطلبوا الأمان، فآمنهم على أرواحِهم، واستولى على جميع أموالهم، وعبيدِهم، وعروض تجارتهم، ونقودهم، و١٤ من سفنهم، وتمكن ثمانيةٌ من الهرَب في إحدى برشهم، ثم أخذَ الأسرى معه إلى حضرموت.

ووصل غُرابان من أغربَة الإفرنج، كانوا يتخطّفون الناسَ بهما على باب المندب، فجاءوا إلى الشحر ليقضُوا بها أيام هيَجان البحر، فاصطلح السلطان بدر مع أسرى الإفرنج، وفكّ قيودهم في يوم الأحد ٢٢ شوال من سنة ٩٤٤. واستقدم الإفرنجَ الذين في الغرابين، فأخذهم معه يستعين بهم على حرب أهل الأودية العليا، وحرب العمودي، فحصَر الأحْرُوم، ورمى السُّور بالمدافع، وأخرب مواضعَ، ودخلها بالعسكر، ووقع القتال فيها مراراً، قتل فيها جماعة من الفريقين، وصار الأمر إلى طلب أهل البلد الذمة، فأذموهم، وخرجوا بأهليهم وأثقالهم، واستولى عليها. وكان ذلك سبباً لدمارها. وكان قبطان الإفرنج قد قتل تحتها، قتله أهل الأحروم.

ثم سار بهم في المحرم سنة ٩٤٥، إلى قيدون، فدخَلها ولم يصدهم أحد عنها، لكونها حوطةً. ثم سار إلى بضَه، وحصَرها، ووقعت ملاحمة فوق ساقية بضه، وقتل من أهل المحطة جماعةٌ بالبنادق، وانتقضت محطتهم.

وعاد في اليوم الثاني من ربيع الأول إلى قيدون، فدخلها، ومكث بها نحو أسبوع، ثم تقدم إلى بضه، فحصَرها، وحسم موارها، وقطع نخيلها. وامتنع بها العمودي، فعاد السلطان بدر إلى سيون، بعد أن استولى على الأحروم، وعنَق، ووادي عمْد، والخريبة، والقرين، وذي شرْق، وقرن باحكيم، وجميع الوادي. وعاد الإفرنج معه. ثم لم يلبث أن انتقضَت عليه الأطراف، من أهل المسفلة، وآل عامر بالسُّور، وأهل عنَق، وحريضة، وبقي يتردّد بين أعلى الوادي وأسفله لتسديد الأمور.

ووقعت حوادث كثيرة سنشرحها في مواضعها.

فلما كانت سنة ٩٤٨: احتلف آل عامر، أهل الكَسْر والسور، وأهل المسفلة، والشيخ عثمان العمودي، على مقاومة السلطان بدر، فهجم على قيدون ليلاً، ونهبها نهباً ذريعاً، وفعل عسكره فيها أفعالاً قبيحة، وخرج النساء والصبيان هراباً إلى المساجد، يعوذون بها من القوم المفسدين. ودخل من النساء والصبيان جماعاتٌ إلى جامع قيدون وقتَ الفجر، وإمامه القاضي الفقيه، الصالح الزاهد العابد، عبد الله ابن بشير، يريد أن يصلي الفجر، فلما دخلوا من الباب صَاحوا في وجْهه ووَلْولُوا، فانزعجَ، وشهِقَ، ومات فجأةً في مقامه، رحمه الله تعالى.

وأدركَ المقدّم عمر بن سليمان باهبري، وأصحابه، وسيبان، فدخلوا قيدون ليلاً، وأخرجوا الشيخَ عبد الله بن أحمد العمودي، وأخاه محمداً من الحصن، وشحنوه بالرجال، والطعام، والماء. وجعلوا فيه نقيباً: سند الخولاني، وأخرب السلطان بدر كريف قيدون. وذكروا: أنه كان يريدُ أن يخرب البلدَ جميعها، وينقل أهلها إلى صِيف، وحصَر حصْنَها، وأطال المكث بها.

ووصل إليه حينئذٍ الشريفُ ناصر بن أحمد بن الحسين، في نحو خمسةٍ وعشرين فارساً، أكثرهم من قبيلة الخرْقان، وكان السلطان بدر قد أرسلَ إليه، وجاء

معه بصغارِ أولاده ليختنهم، فلم يتأتَّ له ذلك، لاشتغال السلطان بحرب العمودي.

وجاء قاصدٌ روميٌّ من الباشا، صاحب زبيد، بعد نهب قيدون. وقيل: إنه جاء بدراهم له، قدْرَ ألف شرفي عدني، في عشرة أكياسٍ، ورجع القاصدُ الروميُّ بعد أن مكثَ ثلاثة أيامٍ، ومعه جملة من المنهوبات.

ولما وصل الشريف ناصر؛ تلقاه السلطان بدر خارج البلد، وخلع عليه خلعةً عظيمة، ودخلوا في زفٍّ عظيم، وكان نقيبُ الحصن المذكور آنفاً صديقاً للشريف ناصر، كان قد جعله نقيباً له في هيْنَن، لما أقطعه إياها السلطان من قبلُ. فخرج ليواجهَ الشريف ناصر، فقيل: إنه خلع عليه تلك الخلعة التي كسَاه إياها السلطان، وأصبح الصباح، فأظهرَ أن الماء قلَّ في الحصن، وسلمه للسلطان بدر، فطلع فيه رُماته. ورجع السلطان، والشريف ناصر، والقاصد الرومي، إلى هينن.

وحاول السلطان التغلبَ على العمودي، أو عقد صلحٍ معه، فلم يتم شيء من ذلك، واستمر الحال إلى سنة ٩٤٩، فخرجت قيدون من الضَرائب والمصادرات، وأثقال الدولة ومطالبها، وهرب سكانها إلى بضَهْ وصِيف.

وفي شهر رمضان من/ هذه السنة: وصل السلطان إلى سَوط بلْعُبَيد، وريدة الديْن، وراود القبائل ليساعدوه على حرب العمودي، فلم يظفر منهم بشيء؛ فرجع إلى وادي عمْد، وكاتب آل سعيد باعيسى: بأن يأخذوا قيدُون لتكون حوطةً، ويخربوا حصنَها، فنقل تجارُها إلى صيف، وما بقي فيها من الفقراء إلا ستةُ بيوت. وقد أصلحَ خرابَ كريف قيدون أحدُ المحسنين من المشايخ آل أحمد، بعد إخرابه بمدةٍ طويلة، ثم عاد الناس إلى قيدُون، بعد موت بدر، وضَعُف سلطنة خلفائه. [٢٠٨/]

عمارَة قيدُون بعْدَ الخرَاب

كان نصيبُ هذا البلد خيراً من نصيب عدد من القرى التي أخربَتْ في حضرموت على أيدي أولئك الذين كانوا فيها، يتصاولون ويتغاوَرُون، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١]. فإنّ أكثر تلك القرى استمَرّ خرابُها. أما قيدون؛ فقد عادت إليها العمارة، ورجعَ أهلها شيئاً فشيئاً، ولا سيما بعد خروج الزيدية إلى حضرموت. فإن سَوْرة الغاراتِ قد انحسمَتْ بخروجهم، فلما ضعُفَت سيطرتُهم، جاءت فوضى عمت أعلى الوادي وأسفله.

وما كان حظ قيدون منها إلا غاراتٌ قليلة من بعض أمراء آل العمودي، وأتباعهم من البوادي، ثم انقطعت بتجديدِ العهُود على البوادي: أن تكون حوطةً، لا تُغزَى ولا يغزَى منها، ومن دخلها كان آمناً. وكتبت عليهم بذلك خطوطٌ، أمضوه فيها. وقيل: إن ذاك وقع على يد المنصب الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ عمر بن عبد القادر العمودي، وحفيده محمد بن عبد الله، وذلك من نحو مئة وسبعين سنة.

شُهرَتُها العِلْمية

كان لها شهرةٌ علمية في القرن التاسع، قضى عليها السلطان بدر في أواسط القرن العاشر، حين نهبَها وشرَّد أهلها، وتفرق المشايخُ والتلاميذ عنها شذَر مذَر. على أنه بقي شعارُ التفقه وطلبِ العلم ببضَه في تلك السنين، حتى لقد بلغنا أن بدراً أرسل مرةً وفداً إلى بضَه، يسعى في الصلح، فأمر الشيخُ عثمان بن أحمد: أن يجمعوا من أنواع الحبوب من البرّ، والذرة، والدخن، ويرموها في الدرَج الذي سيصْعَده الوفدُ، فلما جاءوا أحسّوا بذلك تحت أرجلهم، ولما دخلوا المنزلَ وجدوا طلبةَ العلم

يقرءون ويتباحثون، فرجعُوا إلى بذر، وقالوا: إنهم لا يضرّهم الحصَار، فإن الزائد من الحبوب مذْريّ في الدرج، وهم غير منزعجينَ من وجود محطّة الجيشِ تحت بلدهِم، بل هم مشغولون بالدرس والبحثِ. وبلغَنا: أنه لما جاء الحبيب، القطب الكبير الشهير، أبو بكر بن القطب عبد الله بن أبي بكر العيدروس، العلوي الحسيني، زائراً، تلقاه ثلاثمئةِ لابس قميصٍ، وكان لا يلبسُ القميصَ إلا عالم أو متعلم.

وكان لأهل البلد عبيدٌ يكفونهم مئونة الحرث.

ووقفتُ على كتابٍ في الحديث اسمه «التناقيح على المصابيح» في مجلدين، وقد كتبت عليه صيغةُ وقفٍ غاب عني الآن تاريخها، يقول واقفها الصّنعاني ما معناه: «إنه لما كان البلد المشهور الميمون، قيدون، معروفاً بأنه معهدٌ من معاهد العلم والطالبين له»، إلى آخر ما أطالَ به في هذا المعنى، ومدح وأثنى، «فقد وقفتُ هذا الكتابَ عليه، ليقرأ في شهر رجب، وشعبان، ورمضان».

[من مشاهير أعلام قيدون]

وأشهر علمائها: هو الشيخ عبد الله بن محمد الذّماري العمودي، ثم من تلاه من عشيرتِه، إلى زمن الشيخ عمر بن أحمد بن محمد، كما سيأتي ذكر ذلك.

ولكن انمحت تلك الشهرةُ بخرابها، ثم عادت على ضعفٍ فيما بعدُ، بظهور علماءَ بها في فتراتٍ، مع غلبة الأمية والبداوة، وإلى ذلك الإشارة بقول الحبيب علي ابن الحسن العطاس، في «مرثيته» التي رثى بها الشيخ عبد الله بن عثمان العمودي:

* لأنها [أي: قيدون] بالعلم معمورة كذا لازالها *

وكان آخر من ظهر فيها من آل العمودي، بمظهرٍ ديني صوفيٍّ علمي، هو: الشيخ عمر بن عبد القادر العمودي، تلميذ الحبيب عبد الله بن علوي الحداد، ومن

معه من تلاميذ الحبيب من العموديين أهل قيدون. ورأيتُ في بعض «مكاتباته» للشيخ/ عبدالله بن عثمان ما لفظه: «وذكرتُم أن معكم تحصيلاً في «التحفة» [٢٠٩/] المباركة، داوموا عليه، وأصلحوا النية فيه، وفي جميع ما تتعاطَونه من العلم والعمل، فإنه لا ينفعُ عند الله إلا الخالص»، الخ. وفي أخرى: «وذكرتُم أنكم أكملتم تحصيلَ «التحفة»، وتقصدون الوصولَ إلى قيدون للقراءة والمقابلة».

وقال الحبيب زكي الأنفاس، ومنوّر الأغلاس، علي بن حسن العطاس، في (الحكاية الخامسة والخمسين) من كتابه «القرطاس»: إن الشيخ محمد بن الفقيه الشيخ عبد الكبير باقيس، من آل زاهر باقيس، بوادي عمْد، قال لأخيه الشيخ الفقيه عبد الكبير بن عبد الكبير: «يا عبد الكبير؛ ما يمكن أنّا ندخر هذه الكتب مثلما تدّخِر العجوزُ الحليّ، فإذا بدَتْ واجبةٌ (أي: وليمة عُرس) لصغيرةٍ من النساء استعارته منها. والذي أراه من الرأي: أنك إما أن تتدَرَّك بالحرث، وتتكلف بالبيت، وتحفظ ما كان لنا، وأنا أعزم إلى بلد قيدُون لطلب العلم الشريف. أو تعزم أنتَ، وأنا أتكلف بذلك»! فقال عبد الكبير: «بل أنا أعزم لذلكَ، وأنت تبقى». فاتفقَ رأيهم السديد على ذلك. وكانوا في خَلاء بلد زاهر، فقال الشيخ محمد لصِنْوه الشيخ عبد الكبير: «سِرْ من هنا، واعبر على الحبيب عمر بن عبد الرحمن، وأعلِمْه بذلك، وشاوِرْه فيه، وامتثل ما يقوله لك». فقال الفقيه عبد الكبير: «فأتيتُ إلى سيدي عمر، وأعلمتُه»، فقال: «ذلك صواب».

والشاهد فيما ذكرنا: أن بلد قيدون كانت مقصودةً لطلب العلم.

[من أوقاف طلبة العلم في قيدون]

وكان الطلبة يجدون معونةً من غلَّة جرُوب في حِجْل صِيْف، تسمى جرُوب الدَّرَسة (بفتحاتٍ، جمع: دَارِس). ولا نعلم من تصدقَ بها!. ثم جرتْ عليها حوادثُ

كادت تمحَقُها، بسبب أعمالِ من يتولاها، فقد أخرب السيلُ بعض تلك الجروب. فعاقدوا أحدَ أهل صِيف عقْدَ مناشرةٍ، ويقال: مفاخَذة، أيضاً. وهي كما في «بغية المسترشدين» [ص ١٦٣]: «أن يدفع الأرضَ الدامرةَ لمن يعمرُها، ويقوِّم أسوامَها، ويرد مكَاسِرها، ويحرثها، بحيث تستعدّ للزراعة بجزءٍ منها. وفي صحّة ذلك خلافٌ».

والمقصود هنا: أنهم خابروه على ترديد ما خرِبَ منها، وإصلاحه، بنصف الجروب جميعِها، فعمرها، وكان يحرثُها، ويؤدي نصفَ الغلة للصدقة، وصار نصف الأرضِ المذكورَةِ ملكاً له. ثم وقعَ بينه وبين من يتولاه مغاضبةٌ، على ما يقال، فنازعه، وانتهى النزاعُ بقسمةِ عين الأرض نصفَين: بين الفخيذ، والوقف.

ثم أعطى المتولي نصْفَ الجروب التي للوقف إلى عاملٍ آخر يحرثها بنصف الثمر، فنقَص حاصلُ الوقف بأعماله هذه إلى نصفِ ما كان.

وأدركتُ الشيوخَ يلومون ذلك المتولّي على عمله، وكانوا يقولون: إنه أضاعَ على الوقفِ الرقبةَ، والثمَر. ثم تولاها في زماننا من تلاعبَ بغلّتها، ثم باع بعضَها. وبيعُ الأوقافِ وجعلُها أملاكاً شائعٌ في هذه الجهةِ إلى حدّ الاستهتار.

ومنها: ما استولى عليه بعضُ القبائل، أو ذوي الوجاهة، وتصرفوا فيه كما يتصرفون في أملاكهم، فإذا مات أحدُهم اقتسمَ ذلك ورثتُه كما يقتسمون تركتَه، بل منهم من قسّم ما استولاه من الأوقاف، وكانت ضخمةً، بين أبنائه قبل موته! ولا تجد لهؤلاءِ ناهياً ولا زاجراً، وولاة الأمور مساعدون لهم، أو ساكتون عنهم. ومن شكى إليهم قاموا معه قياماً ضعيفاً، ثم خذلوه، حتى يصير خدُّه الأسفلَ، ويكون جزاؤه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: أن يعادَى ويهانَ، ويسلَّطَ عليه السفهاء، ويدُ الأمراء وأعوانُهم معهم، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وهذه الأوقاف ذاتِ مقاديرَ عظيمةٍ، تبلغ قيمتها مئاتُ الألوف، وقد نبهنا، نحن وغيرُنا، بعضَ ولاة الأمر إلى عددٍ كثير من الأوقافِ التي تملكها الظالمون، أو باعُوها، أو جعلوها أموالاً خالصةً من أموالهم، حتى كادت تندرِسَ وتُنْسى، فكانوا يردّون ردًّا ضعيفاً، ولا يظهر عليهم نشاط وميلٌ لقمعهم، وردِّ الحق إلى مستقره، وإنما يظهر منهم أنهم وجدوا مدخلًا يدخلون به عليهم يكونَ سبباً لأخذ رشوةٍ منهم، فلا خوف ولا تقوى ولا غضَب لله، وإنما كلُّ الأمر هو الرشوةُ، فإذا جاء بها أحدُهم أعرضوا عنه، وأبقوه على ما هو عليه.

ومنهم: من يعدُ بأن يردع الظالم، ثم ما أسرع أن ينسى وعْدَه، ويتغافل عنه.

وقد أطلتُ النظر في حال هؤلاء الولاة والأمراء، فوجدتهم لا يفهَمُون من معنى الإمارة الحقيقيّ شيئاً، ولا يرون أنفسهم مكلَّفين بإزالة الظلم، وإقامة العدلِ، ولا يعتقدون أن الله أوجب عليهم واجباتٍ، وكلفهم/ بها، وسيسألهم عنها، [/٢١٠] وإنما محطّ نظَرِ أحدهم، وغايتُه: ما يتحصل عليه من الرعية، بأي وجهٍ، ولو أيّدَ الباطلَ، وخذل الحقّ، وأعان المفسدَ في الأرض، فإنا لله وإنا إليه راجعونَ على انطماسِ معالم الدينِ، ومراسم العدل.

[انقطاع غلال وقف طلبة العلم]

وكان لطلبة العلم الغرباء غرفٌ حولَ المسجد الجامع، وينفَقُ عليهم من غَلّة هذا الوقف، وحصلت فتراتٌ انقطعَ فيها التعلمُ والتعليم، فلا ندري كيف كان حال تلك الغلة؟ وأين كانت تصرف؟

والذي نعلمه، منذ عهد أشياخ مشايخنا، كالحبيب الفقيه الصالح أحمد بن عبد الله باعقيل، ومن كان في زمنه: أنهم كانوا يعطون المشتغلين بالفقه شيئاً منها، يصرفون ما بقي خبزاً في مجلس الدرسِ عشيةً في فاضلة المسجد.

وفي زمن شيخنا الحبيب طاهر بن عمر الحداد: كان النَّشيرُ يأتي بالغَلّة، فيتحادث فيها مع شيخنا، الشيخ عبد الله بن أبي بكر المرحِّم الخطيب، فيصرفون شيئاً للظاهرين بالعلم، ويودعون الباقي عند بعض المشايخ، فيعمل منه خبزاً للدرس عشية، الذي صار يقام في العَرْض. وذلك الدرس إنما هو عبارةٌ عن عمارَةِ وقتٍ، وأكثر من يحضرُه من العامة، إنما ينتظرون مجيء الخبز، وأعينُهم طول مدة الدرس إلى الطريقِ، يراعون إقبالَ من يحمل الخبز، ولا يفهمون ما يقرأه القارئ، ولا يلقون له بالاً. وكان شيخنا عبد الله المذكور، بعد ذلك، قد يأمر بإحضار الخبز إلى مجلس درسه صباحاً، بمسجد العموديّين، وكان مجيءُ طلبة العلم الغرباء قد انقطع هذه المدة كلها، ثم جاء بعض الغرباء في آخر زمنه، فأجرى لهم النفقةَ منه، لأن الوقفَ وقفُهم، هكذا كان الحال! أما اليومَ؛ فكما قيل: جاء السيلُ فطَمَّ على القُرَى.

[الحركة العلمية وأعلامها في قيدون]

واشتهر في نهضتهم العلمية التي استمرت بقيدون قبل خرابها، نحو مئة وستين سنةً: الشيخُ محمد بن عثمان، وابنه أحمد، ويعرف بأحمد القديم. ومحمد ابن أحمد القديم، وله: «فتاوى». وهو الذي وسّع جامع قيدون، واستقدم له الصُّنّاع من صنعاء وغيرها، وجعل له محراباً منقوشاً بآية الكرسي، وآية: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥]، بالخط الكوفي، على هيئةٍ جميلة، وجعل قبةً لطيفة على قبر الشيخ سعيد، وذلك سنة ٨٠٣، وتوفي، على ما في «تاريخ» السيد الشريف أحمد شنبل، العلوي الحسيني [ص ١٦٣]: سنة ٨١٩. وفي حفظي: أنه توفي سنة ٨٠٨، فلعلهما اثنانِ اتفقَا في الاسم.

والشيخ عبد الله بن محمد بن عثمان بن محمد بن عثمان، المعروف بالذَّماري، المتوفى سنة ٨٤٠، بذَمار. والشيخ عثمان بن محمد بن عثمان بن أحمد القديم،

المتوفى سنة ٩٠٠. والشيخ عمر بن أحمد الأخير بن محمد بن عثمان بن أحمد القديم، توفي بالقنفُذة راجعاً من الحجّ، لعله سنة ٩٤٠ [١].

ثم تلا ذلك خراب قيدون، بعدَما اجتاحتها جيوشُ السلطان بدر، ونهبت ديارها، وأثقلت كواهلَ سكانها بالضرائب والمطالب. ولعله في تلك المدة وقعَ ما يحكى: أن أهل قيدون أضَاعوا يوم الجمعة، ولم يعلموا أي يومٍ هو! حتى أرسلوا إلى أهل صِيْف يسألونهم. وأن الأمية عمّت، حتى كان أحدُهم إذا جاءه كتابٌ من رفيقه، يخرج من قيدون إلى طريق الخاطِر (أي: المسافر، ويعنون بها الطريق التي تمرّ بالجزْع إلى صِيف)، حتى يمر به كاتبٌ، فيقرأ له كتابه. وقيل إن بعضهم قال: إن ذلك سيكون، عندما رأى إعراضهم عن التعلم، والله أعلمُ أيَّ ذلك كان.

ثم تراجعت الحالةُ العلمية فيها، بتراجع عُمرانها، على تقطعٍ وضعف، ولم ينقل إلينا أن أحداً اشتهر بها بعد ذلك، كشهرة مشايخها المتقدمين.

ولم نجد ذكراً لأحدٍ من فضلائها في تلك الفترة، إلا أن السيد العالم العارف بالله، يوسف بن عابد الإدريسي، الحسني المغربي، ذكر في «رحلته الصغيرة» ما لفظه [ص ١١١]: «فسِرتُ من بيتي إلى قيدون، لزيارة الشيخ سعيد بن عيسى العمودي. وكان في طريقي قرية تسمى مَنْوَب، فزوجوني بنتاً لهم اسمها عزيزة بنت عبد الله بن عمر بن فاضل، فأقمتُ معها مدة ولا حملت. وتوجهتُ إلى قيدون، وأقمتُ فيها ما شاء الله، وكان بلغهم خبري، فلما جئتُ قيدون قرأوا عليَّ «عقيدةً» من عقائد السنوسي، وكان الذي يقرأها: علي بن أحمد بن عمر بن عمر، وهو حي إلى سنة ١٠٣٦، وزوّجني كريمته مريم بنت عمر. وحملت عني مالها من الحقوق، ثم طلقتها وهي راغبةٌ في زواجي، لما رأيتُ عندهم من الدنيا، ويدي خاليةٌ من

---

(١) في كتاب «السناء الباهر»: أنه توفي سنة ٩٤٧هـ. (مصحح).

ذلك. فدخلت بضه، وأقمتُ عند الشيخ عبد الله بن عثمان بن أحمد، وجابرني غايةَ المجابرة، وزوجني بنت الفقيه عبد الله/ باعفيف، اسمها مريم بنت عبد الله. وأقامني [/٢١١] وأقامها، إلى أن كتب الله رجوعي إلى بيتي في حضرموت، وهي سنة ٩٦، من القرن العاشر». اهـ.

وأغاث الله هذه البلاد في تلك الفترة، بالعلامة الفقيه المتبحر السيد الشريف أبي بكر بن محمد بن علي بن أحمد بن عبد الله بن الإمام محمد صاحب عيديد، عرف كسَلفه ببافقيه، فأحيى بها الدروس، وأروى بماء معينه القلوب والنفوس.

ثم وجدنا ذكراً لبعض الفقهاء بها، أكثرهم من تلاميذ قطب الدعوة والإرشاد، الحبيب عبد الله بن علوي بن الحداد، السيد الشريف العلوي الحسيني. في جوابات الحبيب المذكور لأحد تلامذته، والذين ذكرهم الشيخ محمد بن يس في «نبذته» التي ألفها بطلب من جدِّنا الحبيب طه بن عمر؛ وهو: الشيخ الفقيه النبيه، الحافظ المتقن، الناسك السالك، الشهيد بموت الغربة، الحافظ للقرآن، الملازم للتلاوة والأوراد، وإحياء الأوقات بأنواع الطاعات، الفقيه عبد الله بن محمد بن عثمان.

وقد تقدم ذكرُه في جملة فضلاء بضه. فمنها: قوله في مكاتبةٍ له [١/٤٣٣]: «وذكرتم وفاة الفقيه البقية، محمد بامعلم، وقد بلغنا ذلك من قبل، فالله تعالى يدخله برحمته في عباده الصالحين. وهو كما ذكرتم كان قائماً بوظيفة التدريس والحكم ببلدة قيدون المباركة، وأنه وقع لكم كما وقع لغيركم: أنه لا يصلح لذلك من بعض الوجوه، أو أكثرها، إلا الفقيهُ العفيف عبد الله بن عثمان، فذلك كذلك. ولكن [هو] ممن نشير به، ولا نشير عليه. وهي عادة الأخيار مع الأخيار، في أمثال هذه المراتب المخْطِرة، التي هي كالصفاء الزلال، لا تثبت عليه إلا أقدام الكمّل من الرجال.

وأهل الزمان، كما ترونَ، أهل فتنة وشقاقٍ، وضياع للحقوق، وتعدٍّ للحدود، فإذا وليهم من لا يشبهُهم ويناسبهم، وقع البلاء، وتحرّجتْ الأمورُ عليه وعليهم. والرجل الصالح كالجوهرة الثمينة، وأهل الزمان كحاملي الأحجار والأقذار، قصداً منهم، لكسرها أو تلويثها، فانظر بعد ذلك الذي يشيرُ بما يكون في الحالِ بهذه المثابة. فالله يوفق من يحبّ، ويثبتنا وإياكم على الجادّة المشرقة، المضيئة بأنوار شمسِ الكتاب والسنة النبوية، الناطق صاحبها بالهدى والصواب».

ومن أخرى إليه [٢/٣٣١]: «وذكرتم في كتابكم، من أجلِ الفقيهين: عبد الله ابن عثمان، وعبد الله باوجيه، من أجل الترغيب في القيام بوظيفة القضاء بقيدون المباركة. وما وقع من المحاورة من الشيخ الأكرم حسن، ومنكم، معَهما في ذلك. وقد سبق إليكم في الكتاب السابق منا في ذلك ما فيه الكفاية. ومن جهة عبد الله باوجيه، زدنا ذاكرناه في ذلك، وبقي معه التردد في ذلك، لأن المقام هذا فيه من الإشكالِ ما لا يخفى على مثلكم. وعسى الله يشرح صدرَه لذلك، ويختار ما فيه الخيرة للجميع»، اهـ.

فهؤلاء فقيهان كانا في ذلك العصر بقيدون: الفقيه البقيّة محمد بامعلم، والفقيه عبد الله باوجيه. وكان بها غيرهم من الآخذين عن الحبيب عبد الله الحداد، مثل: الشيخ عمر بن عبد القادر العمودي، والشيخ محمد بن عبد الله العمودي، والشيخ عثمان بن محمد العمودي. وستأتي الإشارة إلى شيء من تراجمهم.

وذكر الحبيب الواسع الأنفاس، والآتي منها بما يعلو على الياقوت والألماس، الحبيب علي بن حسن العطاس، منهم: الفقيه الصوفي المنوّر، عبد الله بن الشيخ الصالح محمد باطويل العمودي. وآل باطويل كانت لهم بقيةٌ بقيدون، وإنما نقلوا إلى صُبَيخ بعد ذلك.

وكان جدنا العلامة المؤرّخ، الداعي إلى الله، الحبيب عيسى بن محمد بن أحمد بن محمد بن علوي بن أبي بكر الحبشي، يتردد إليها في ذلك العصر، وانتفع به أناسٌ من أهلها في دينهم. وممن صحبه: الفقيه العلامة، السيد الشريف، الصوفي الصفي اللطيف، عبد الله بن علوي باعقيل السقاف العلوي الحسيني، والسيد الفقيه الصالح، العارف بالله، أبو بكر بن محمد بن أبي بكر بن محمد بافقيه العلوي الحسيني، حفيد العلامة السابق ذكره.

ثم جاء من بعدهم: ابنه العالم الشهيد.

ثم بعد ذلك بزمنٍ قليل، أنهض الله همة جدّنا العلامة المتفنن، عبد الرحمن ابن عمر بن محمد بن عيسى بن محمد الحبشي، السيد الشريف، العلوي الحسيني، للرحلة لطلب العلمِ إلى الحجاز ثم اليمن، فمكث هناك أكثر من سبع سنين، ورجع بعلم جم، وتصدر للتدريس، وتولى القضاء بقيدون، وقد تعين عليه، وكادت البلد بعده أن تخلوَ من أحدٍ يوسَمُ بالعلم/ . [/ ٢١٢]

فهاجر إلى قيدون: السيدُ الشريف، العلامة العابد الناسك، الحبيب عمر ابن أبي بكر بن علي بن علوي بن الحبيب قطب الإرشاد عبد الله بن علوي الحداد. فعُمِّرَت منازلُ العلم به، وبابنيه: أبي بكر وعلوي. وتلاهم شيخُنا الحبيب طاهر بن عمر، ثم ابنه جمال الدين محمد. وعاصر الحبيبَ عُمر: جدُّنا السيد الشريف، الفقيه الورع، القاضي عيسى بن محمد بن عبد الرحمن الحبشي، المذكور آنفاً. رحل في طلب العلم إلى مكة، هو وأخوه حامد، وأخذوا عن الشيخ محمد بن صالح الريس، والشيخ عمر بن عبد الكريم بن عبد الرسول العطار، وأهل طبقتهم.

وعاد جدنا عيسى إلى قيدون بعد وفاة أخيه حامد بمكة، وتولى القضاء، وعمر الدروس. وأخذ عنه: والدي، وشيخنا الحبيب طاهر بن عمر الحداد، وابنه شيخنا الحبيب

محمد، والسيد الشريف العالم الصالح، الحبيب أحمد بن عبد الله باعقيل السقاف، العلوي الحسيني. وفي طبقتهم: الشيخ أحمد بن سعيد بن الشيخ عمر بن آل سعيد بن عبد القادر العمودي.

وتصدّر الحبيبُ أحمد بن عبد الله المذكور للتدريس، وأخذ عنه: والدي، وشيخنا الفقيه الصالح، عبد الله بن أبي بكر المرحَّم الخطيب.

وكان شيخنا الحبيب طاهر بن عمر الحداد، يلقي درساً ضحْوةَ النهار بالمسجد، وأخذ عنه: خالنا القاضي عبد الرحمن بن جدنا عيسى، المذكور آنفاً. ثم اقتصر الحبيبُ طاهر، بعد تجرده للعبادة، على إلقاء درسٍ بعد صلاة الصبح للعامة. وأما شيخنا عبد الله بن أبي بكر، المذكور، فكان يلقي درسين بمسجد العمودي بعدَ صلاتي الصبح والظهر. وكان الفقيه النحوي الفرضي، عمر بن سعيد بن أحمد باراسين الخطيب، يلقي درساً في بيته، وأحياناً في المسجد، إلا أنها لا تستمر لكثرة أسفاره.

* * *

وقد نقل إلى بلد قيدون من بضَه، في أواخر المئة الثالثة عشرة: الشيخ الفقيه، الصالح المتواضع، أحمد بن سعيد العمودي، من آل أحمد، أهل بضَه. طلب العلم بتريم وغيرها، فأقبل عليه أهل البلد، وأحبوه والتفوا حوله، وعمروا مدارسه، وابتنى بيتاً بقيدون، ساعدوه في بنائه، وأدركهم المللُ بعْد.

* * *

وكانت العادة في بلدنا: أن يساعدوا من أراد البناءَ بحَمْل اللَّبِن على دوابهم إلى محل البناء، إذا طُلِب ذلك منهم. فكان الشيخ يخرج إلى السوق، ومقاعدُهم به، وبغيره، فيقول لمن لقيه منهم: أيش غُدْوَة؟ يعني: هل ترسل الدابّة بكرَة؟ فكانوا

ينعِمُون له بإرسالها. فلما ملّوا صاروا يجيبونه على قوله: أيش غدْوَة؟ باسم اليوم، فيقولون: غُدوَة سبْت، أو أحد، وهكذا!

وكان كتَب أيام إقبالهم للحبيبِ المسربل بالأنوار، أحمد بن محمد المحضار، يخبره بعمارة الدروس، وإقبال أهل بلد قيدون على حضور مجالس التدريس، وأن الذي ابتدأوا في حفظ «الزبد» من الأطفال فقط: أربعون طفلاً. فأجابه الحبيب أحمد، وأظهر له الفرح بذلك، وقال له ما معناه: «ولكن لا تغترّ بهذا، فإنما مثلُهم كما عرْق البصَل»، ليس له زَجّ، (أي: لا ساق له)، بل هو طبقاتٌ رقيقة مترادفة، فكلما يبسَتْ واحدةٌ التوَتْ وسقطتْ، حتى ييبس الكلّ ويطير. وقد انتهى الحال: أنهم لم يعودوا يحضرون الدرْس، فجعل يخرُج إلى مقعدٍ لهم بجانبِ الكريف، يسمى المطَاف، فيدرّس لهم، وسار معهم للقَنْص إلى الجبل يتألّفُهم، ثم نصَب، فسافر إلى الحرمين، ومكث بالمدينة مدةً، وتوفي بها، رحمه الله تعالى. فقد كان من المحبين لنشر العلم، والدعوة إلى الخير، لولا أنه وجدَ قوماً لاهيةً قلوبهم.

وما وقعَ له معهم من الإقبال ثم الملل والإعراض؛ هو من طباع العامّة أينما كانوا، فإذا حلَّ بينهم صاحبُ العلْمِ والفضلِ أقبلوا عليه برهةً، وتركُوا أشغالهم، ثم لا يلبثُون أن يمَلُّوا، ويعودوا لديدَنهم القديم، وقلَّ من يثبتُ منهم. قال الحبيب عمر ابن عبد الرحمن العيدروس: «إذا صاح الصيَّاح خرجَ الناس كلهم، ولكن لا يطلع العقَبة إلا القليل». وقال الشاعر:

لكل إلى شَأوِ العُلا وَثَباتُ ... ولكنْ قليلٌ في الرّجالِ ثباتُ

قال شيخُنا: لما سار شيخنا السيد أحمد زيني دحلان إلى المدينة، وكنا معه في جمعٍ من تلاميذه، أقبل أهل المدينة عليه، وعلى حضور دروسه إقبالاً عظيماً. فجاء السيد الملْياني، فقال: يا سيد أحمد، لا تغتر بما تراه، فإنهم سيتركونك بعد. فأجابه

السيد أحمد كالرادّ عليه. قال شيخُنا: ولكن الواقع صدّقَ ما قاله السيد الملْياني، فلم يبق معه بعد إلا تلاميذه الذين/ جاءوا معه من مكة. [/٢١٣]

جاء الحبيب أحمد بن محمد المحضار مرةً إلى قيدون، فصلى بها الجمعة، فالتمسَ منه شيخُنا الحبيب طاهر بن عمر الحداد أن يذكّر الناسَ بعد الصلاة. فقال له: وماذا تريد أن أقولَه لأهل قيدون! قالَ ذلك كالمعتذِر. فألحّ عليه. فقامَ، وقال: «يا أهلَ قيدُون، إن طاهر التمَس مني أن أذاكر، وأنا لو أعطاني رجُل أم سِتّ (نحوُ ثلث دِرْهم) لما نسيتها طولَ عمري، ولو علمني مسئلةً لما خرجتُ من باب المسجِد إلا وقد نسيتها»، ثم جلس، وكانت تلك مذاكرته، وفيها عبرةٌ، وأيّ عبرة.

شِعَارُ الباديةِ فيهَا

من دخلَ هذه البلدةَ كان أول ما يفْجَؤه فيها: ظهورُ شعار البادية بها، وقعَ هذا منذُ رحل عنها الشيخ عُمَر بن أحمد العمودي، وأخربها السلطان بدْر، وعاد آلُ العمودي إلى حمل السلاح. وكل من ذكرنا من العلماء لم يكنْ لأحدٍ منهم فيها من الأثَر ما يحوِّلها عن شعارها، بل هذا الشعار هو المستطيرُ المنتشر في جميع قرى الوادي الأيسَر، وبعض قرى دوعن، وحيث يكثر عنصر القبائل، أو آل العمودي.

وشعار البادية، المشار إليه: هو كشفُ البدن، والاقتصارُ على إزارٍ يستر ما بين السرَّة والركبة، عند المتحفظينَ، ودون ذلك عند غيرهم. وقلّما ترى فيهم من يستر سائِر بدنِه بقميصٍ أو جبةٍ، بخلاف أهل بلدان: الخريبة، والرباط، والرشيد، والقرين، وما والاها، في الغالب. ويربطون في الحِقْو فوق السُّرَّة: جَنْبِيةً، وهي نوعٌ من الخناجر، قلَّما يضعها أحدُهم إلا عند منامه.

وأكثرُهم يقتني بندقاً يستعمله في القنص، والأعياد، والأعراس. والمثلُ الأعلى

الذي يقصدونه ويجعلونه نصب أعينهم: هو التشبهُ بالبدو، في زِيِّهم، وحركاتهم. وكلما ازداد أحدُهم في ذلك رأى أن له فضلاً بذلك على سائر أقرانِه.

ويرجع ذلك إلى كثرة تردّد أهل البادية إليها، لزيارة الشيخ سعيد، ولما لهم من الغلَبِ عليهم والعزّ، حتى أن ذوي الجاه والقدْر من أهل البلد،إنما حصل لهم ذلك لاحترام إحدى قبائل البادية لهم، أو استنادهم إليها. والضعفاءُ منهم؛ هم الذين لا مستندَ لهم. فهذا سببٌ أول، للصُوقِ شعار البادية فيها، وعدَم تأثير ما ذكرنا من العلماءِ في تحسين حال أهلها.

* * *

وما ذكرنا عن الأعراب (القبائل)، ليس خاصًا بهذه البلدة، بل هو عام في حضرموت جميعِها، فكل ذوي الإمارة، والمنصِب البدوي، والوجاهة المستندة إلى الأعراب، مصدَرُ ما لديهم من العزِّ من هؤلاء الأعراب، فلسنا نعني المنصِبَ المؤسَّس على الكرم، وإطعام الطعام، وإغاثة اللهيف، والدعوة إلى الخير، والإصلاح، وقد تستحيل الأمور. وأما العربُ الذين بسائر القرى، فهم كالأسرى، لا يقدرون عن الدفاع عن أنفسهم، وقد قضى عليهم قانونُ الجبْتِ والطاغوت: أن يكونوا من طبقة الفَرْث. والمراد بالفرْث: البهائم. فليس لدمائهم قوَدٌ، ولا قصاصٌ، ولا حرمةٌ، وهذا القانونُ هو الذي يؤمن به الأعراب، ويعتقدونه، ويقاتلون عليه.

والسبب الثاني: هو حرفةُ الحراثة. فإنها تشغلُ أهلها عن طلبِ العلم، وتذهب بأفكارهم بعيداً عن التأمل في المعقُولاتِ، ودقائق العلوم والمفاهيم. وذلك مما تصدأ له الأذهانُ، وتغلُظ. فذلك مانعٌ أكبرُ. وقد قال أبو تمام، حبيبُ بن أوسٍ:

أرضُ الفلاحَـةِ لو أتاها جَرْولٌ ... ابـنُ الحطيئَـةِ لانثَنَـى حرَّاثـا

تَصْدأ بها الألبابُ بعد صَفائها ... وتـردّ ذُكـرانَ العقُـول إناثـا

تَرَدّد أهلِ البوادي إليهَا

قيـدون؛ هي مثـابةُ أهلِ بَـوادي الديْـن، والمشاجِر، والبِلْعُبَيـد، وما والاهم. ولا سيَّما في فصل الخرف، وهو موسمُ نزول الأمطار، وهو إحدَى وتسعون يوماً، أولها: من دخول نجم النعَام، الموافق لأول يومٍ في جُولَي، أو ثانيه، على الخلاف الآتي شرحُه.

تأتي هذه القبائل يتلو بعضها بعضاً، زائرةً للشيخ سعيد، تطلب الغيْثَ لبلادها. والعادة: أنهم/ يصِلُـون إلى رأس الجـبل المشرِف عـلى قيـدون، عشيـة الخميـس، [/٢١٤] فإذا أشرفوا عليها هلَّلُوا، يقولون: عمُوم! عمُوم! يا شيخ سعيد! يا شيخ سعيد! ثم ينزلون العقَبة يزمِّلون، بالزاي المعجمة، أي: يرتجزون. قال في «شرح القاموس»: «والزَّمَل، محرّكَةً: الرَّجَز. وسمعتُ ثقيفاً وهُذَيلاً يتزاملون، أي: يتراجزون». اهـ. ويقال له: الزَّمْل، والزامِل. ولهم في زَملهم أشطرٌ رصينة، يصِفُون فيها سيرهم، وبُعد شُقّتهم، وأنهم جاءوا إليك أيها الشيخُ سعيد يبتغون السيلَ والغيثَ، فبلادُهم مسْنِتة، وعارٌ عليكَ إذا رجعنا بلا كرامةٍ. وأشعارُهم تدورُ حول هذا المعنى.

وكـل طـائفةٍ منهـم تحـرص على أن يكـون معهـا شاعرٌ ينظـم لها الزوامـل، فيذهبون إلى ضريح الشيخ سعيد، ويدورون بتابوتِه، وبما عنده من التوابيت، وهم يزمّلون. ومنهم من يأتي بآنية السمْن، ويسمّونها: صُمْرة، واحدها: صُمار، فيصبّونها على التابوت. وقد يثِبُ أحدُهم إلى أعلاه، ليتمكن من صبّه. وأما ما يأتون به من النذور، من غنمٍ، أو نقدٍ، أو حبوبٍ، فإنهم يسلمونها للخطيب، أي القائم من قبيلة آل باراسين، وهم خطباءُ مسجدِ الجامع، وإليهم تساق النذور. ويذهبُ منهم رسلٌ، يبعثهم القائم المذكور إلى البوادي، فيجمعون له حصةً من العَشُور، أي: الزكاة، وما

لديهم من نذور، فإذا قضَوا الزيارة، دخلوا إلى المسجد، وهم يزمّلون، وطلعوا منارته، فإذا علَوها، صاحُوا بقولهم: عَمُوم! عمُوم! يا شيخ سعيد!

ولا يزالون على هـذا الدّيْدَن طـولَ ليـلة الجمعةِ ويومهـا، قلمـا يرقُدون أو يستريحون، ويعودون إلى بلادِهم يوم السبت، والخطيبُ القائمُ المذكور، يضيِّفُهم ليلةَ ورُودهم.

وإذا مرّتْ لهم سنين ولم يغاثوا، أو توهّموا أن الشيخ سعيد عاتبٌ عليهم، فإنهم يأتون بعقيرةٍ. والمراد بها: بقرة، أو جمل. يأتون بها يزفّونها بزاملهم، حتى إذا وصَلوا إلى الباب الموصِل إلى ضريح الشيخ، عقروها، ونحروها، وهم يصيحُون باسم الشيخ سعيد، قائلين: يا شيخ سعيد! بَخْرَك! مع نحْرِها أو ذبحها. ويعنون بقولهم: بخْرَك! نطلبُ بخرك. وبخْرَك، معناه عندهم: بخْرُ برهانِه، والبرهانُ: هو التصرفُ، والتأثير، والكرامات. ثم يتركونها، فيتكالبُ عليها من ضَرِيَ بأكلها، فيجرُّونها إلى بعض الدور، ويوصدون الباب، ثم يعملون فيها شِفَارهم بسرعةٍ، يبادر بعضهم بعضاً، مع ضجّةٍ وتهديدٍ وهريرٍ، ثم يخرجون ركضاً، منهم المسرورُ لأنه أخذ منها قطعةً جزْلةً، ومنهم المتبرّمُ، والغاضب، والمحروم. والنصيبُ الأكبر لبعضِ كبراء أهل البلد، وإذا كثر، طبخُوه وجفّفُوه، وكنزوه للأيام المقبلة.

وقد يأتي القبائلُ بعدةٍ من العقائر. وهم يقولون: العَقَير، بفتحتين على التخفيف. والمراد بها: تلك القرابينُ. كما فعلَ ذلك قبيلة الزّي، حين غُلبوا مراراً في حربهم مع الحالكة، وقد تقدمت الإشارة إليه، فإنهم جاءوا بعدّةٍ منها، يطلبون بها النصرَ من الشيخ سعيدٍ على أعدائهم! وهذه العقّائر (القرابين)، مما أهلَّ به لغير الله، فهي مَيْتةٌ، حَرامٌ أكلُها، والانتفاعُ بها، قالَ الله تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المائدة: ٣]، ونصَّ على ذلك العلماءُ في كتب الفقه، لا يخفى على طالب علمٍ.

الزِّيارَة

تقام كل سنةٍ في رجب زيارتانِ للشيخ سعيد؛ **إحداهما**: ثالثَ جمعة في رجب، وتسعى جمعة آل بن يَزِيد، يأتي إليها ذرية الشيخ محمد بن يزيد، صاحب خَميلة ابن يزيد، في حنكَة وادي عمْد، وكأنها قديمةُ العهد، ولا يحضرها إلا عددٌ قليل من البلدان القريبة، يتبركون بحضورها، وبقراءة المولد في المسجد ليلةَ الجمعة، وصبيحة يومها. **وثانيتهما**: تسمى زيارة العبيد. ويقال: إنها حادثةٌ، وإن العبيد كانوا يأتون في الزيارة الأولى، فأخروا إلى هذه الجمعة منعاً للتشويش.

والعبيدُ هؤلاء، هم: الزنوجُ من مماليكَ وأحرار، يتجمعون من القرى، ويدخلون إلى البلد بالمزمار، والنفير، وجذعٍ يعبدونه، يطلقون عليه اسمَ جدّهم. وقد رأينا في أخبار الرّحالين من الإفرنج: أن الـزنُوجَ يعبدون جذعاً، وقد رأينا صوراً لعبادتهم.

ويجتمع النـاس لحضور هـذه الزيارة مـن القرى القريـبة والبعـيدة، وتأتي البـوادي، وتجعـل مسافةً مـن شوارع البـلد/ دكاكينُ للبضائع المجـلوبة من الهند وعدن، وغيرهما. ومحلاتٌ أخرى للإبل، والبقر، والحمير المعروضة للبيع. وفي أمكنةٍ أخرى: يوجد الشعَث، والمراد به: قطعٌ منسوجة من الشعر، متينةٌ غليظة. يقال لها: مخَالي، واحدتها: مِـخْلاة. وهي ما كانت فتقةً واحدة (أي: لفْقَة)، فإن كانت لفْقَتين (فتْقَتين)، فهو جشير، جمعُه: جَشْر. وكلها تسْتَعملُ فراشاً. والجلُود، والقرظ، والملح، وأنواعاً من الحبوب المجلوبة.

[٢١٥]

وتختلط القبائل وبينَها العداواتُ والأوتار، فلا يتعرض أحدٌ لعدوّه، احتراماً للبلد، لأنها حوطةٌ، ويبتدئ ورودُ الناس إلى البلدِ من يوم الخميس، فيأتي أهل دوعن والأيسر، فيظلون جنوبيَّ بلد صيف بالمخْمَل المسمى خذُوف. وقد استعدّوا بالخبز

والكعك. وتجيء البادية بالأغنام يجلبونها، فتروحُ، تأخذها الرّفاق، وتتقاسمها حصصاً. وكل فرقةٍ قد امتازت عن غيرها بمحلٍّ أعدّته من الحجارة، يسمى مِضْباة، يضْبُون (أي: يشْوُون) عليه اللحْمَ، ويأكلون معه من الخبزِ الذي أعدوه.

ثم يرتحلون إلى قيدون، وقد خرج أكثر أهلُ البلد، ولا سيما النساء والأطفال، فيقومون على جانبي الساقية، وفيها تمرّ الطريقُ، ينظرون إلى الواردين، حتى إذا كان آخر العشية؛ جاء أهل الخابَّة يلعبون ويرقصون على طاسَةٍ يضربونها، وأناشيد خشنةٍ تشابه حركاتهم، وهم يخبّون، أي يسرعون في مشيهم، ولذلك سموْها الخابّة (بالمدّ وتشديد الباء)، وأهلها من سكان الهجرين.

ويدخل العبيد ضحْوةَ يوم الجمعة في زفّتهم، وقد أحاط بهم الغوغاءُ، فيصِلُون قبة الشيخ سعيد، والإمام يخطب، فتمتلئ جوانب المسجد بضجيجِ مزاميرهم، ونفْرِهم وطبولهم، ولغَطِهم برطَانتهم، وضرْبهم التوابيتَ، فلا يسمعُ خطبةَ الخطيبِ، ولا قراءةَ الإمامِ، إلا مَن دنا. وتمتلئ شوارع السوق بالنساء والرجال، في زحامٍ، يتضاغطون، يموج بعضهم في بعضٍ، ويصدر عن ذلك أمورٌ يندَى لها الجبين، وتضحك لها الشياطين. والنساءُ مزيناتٌ، يستترون بشقَة وبرْقُعٍ، تبدو منه المحَاجر، وترْمَى منها النصالُ وتسَلّ الخناجِر، ويظهِر المتبرجاتُ منهنّ، وهن الأكثر، من أعناقهنّ، ونحُورهنّ، وأذرعتهن، وأسْوُقهنّ، ما يستجلبْنَ به نظر الرجال إليهنّ، وتتبع الفساقِ لهنّ، ويقع مع شدة الزحام، وتضاغط الأجسام، ما لا يعبَّر عنه.

[إنكار المؤلف تلْكَ الأفعال]

وهذا المنكَر الذي يغضَبُ الله على فاعله، إنما حدثَ منذ سبعين سنةً، أو نحوها. وما كان النساءُ يأتينَ لهذه الزيارة، ولا يخرجْنَ إلى الأسواق بهذه الصفة.

وقد قام في منعه شيخُنا الحبيب الطاهر بن عمر الحداد، فعُورِضَ من بعضهم، وكاد الأمر يفضي إلى تعب شديدٍ. وذوو العقائدِ الزائغة من الجهلاء والحمقَى، يعتقدون أن بحْرَ الشيخ سعيد يحمِلُ إثمهم، ويسكتُ لهم على ذلك، موهماً لهم صحتَه: من يبيعُ دينه بعرَضٍ من الدنيا قليل. ويسعى في بقاء الحالِ على ما هو عليه: من اجتمع له الجاهُ ونفوذ الكلمة، والجهل والبعدُ عن الدين، والجفاء عن الإسلام.

وقد رُفع إلى الحبيب عبد الله بن علوي الحداد خبر اجتماع نساءٍ في محل قريبٍ من محلّ الرجال، في الواسِط، قريةٌ من أعمال الشحْر، بحيث تسمعُ أصواتُهن، فشدّد في ذلك. فكيف بمثل ما يقَع في هذه الزيارة، وهو اختلاطٌ، وتضاغطٌ، تتلاحَم فيه الأجسام، وتتدافع الأعضاء.

***

وأكثر المتَّسِمين بالعلمِ تجبنُ نفوسهم من إنكارِ ذلك، خوفاً من أن يرميهم العوامُّ والمتظاهرون بالتعالمِ والصلاح بفساد العقيدة، لأنهم لا يقرُّون بحل الزّنا والفسقِ للزناةِ والفساق في زيارة الشيخ سعيد، مع أن بحْرَه يسَع! وعندهم: أن بحره ينسخُ الشريعة الإسلامية، ويمحو حكم القرآن، ويرد نهيَ الله، ويحل ما حرمَ الله. ومن صدَّق قول الله، ورسوله ﷺ، وكتابَه العزيزَ، في حرْمة الزّنا والفسقِ هنالكَ، فهو زائغ العقيدة. فهل سمعْتَ بجهلٍ أغلظَ من هذا الجهل؟.

وهل كانت الجاهلية التي كان عليها العربُ قبل الإسلام إلا دونَ هذه الجاهلية! لأن أولئك لم يكن عندهم دينٌ محفوظ، ولا قرآنٌ يتلى، وإنما كانوا في فترةٍ من الرسُل، بخلاف هؤلاء. وليعْلَم كلُّ من وقف على كتابنا هذا: أنّ من كذَّب بحَرف واحدٍ من القرآن كفَر، فكيف بمن يكذّبُ بآياتٍ منه كثيرةٍ، وقد أخبرنا الله فيه:

أنه لا يغفِرُ أحدٌ الذنوبَ إلا الله تعالى: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

وأنه لا يحمل أحدٌ/ ذنبَ غيره كائناً من كان، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]. وقال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [العنكبوت: ١٢]. وقال تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ﴾ [فاطر: ١٨]. وقال تعالى في أمر الزنا: ﴿وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۞ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ۞ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠]. فمن كذَّبَ بما دلتْ عليه هذه الآياتُ، ممن له إسلامٌ صحيحٌ، فقد ارتدَّ، وطلقت منه زوجته، وصار ماله فيئاً لمصالح المسلمين، ومن كان من صِغَرِهِ مُصرًّا على هذا الاعتقاد، فهو على غَير ملةِ الإسْلام، وعليه إذا أرادَ أن يعود مسلماً: أن يشهَد أنْ لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً رسولُ الله، ويُؤْمنَ بالقرآن، وما جاءَ به ﷺ، ومن كفَر فإنَّ الله غنيٌّ عن العالمينَ.

[٢١٦/]

❊ ❊ ❊

ومنهم من يقول: (بُصْر الشيخ سعيد). يعني: أن الأمرَ راجعٌ إليه، إن أراد أن يغير ذلك الفسق أو يبقيه. فرَدّوا إليه الأمر، والنهي، والشرع، والقدرة، التغيير.

ومنهم من يقول: (لو ما بغاه الشيخ سعيد ما وقع). وهذه الكلمةُ كالتي قبلها، تعود إلى الكُفر بالله، وتكذيبِ الرسل والشرائع، ومعارضة أمر الله وحكمه. وقد نعى الله على المشركين مثل هذا القول، مع أنهم أرجَعوه إليه عز وجل، لتضمنه تكذيب الرسل والكتب المنزلة، ومحو الدين، فإن رسُلَ الله دعتهم إلى عبادة الله وحده، وأن لا يحرموا شيئاً لم يحرّمه الله، فاحتجوا بأنه لو أراد الله لما فعلنا شيئاً من ذلك، فردوا أمر الله وشرعه وما جاءتهم به الرسل بقولهم المذكور في قوله تعالى:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النحل: ٣٥]. يعنُون به: أن الله قادر على أن يمنعنا عن هذا الفعل، فلما تركنا عليه كان ذلك دليلا على أنه يحبه ويرضاه.

وهو مثل قول هؤلاء: (بُصَر الشيخ سعيد). أي: أن الشيخ سعيد قادر على إزالة الفسْقِ المذكور، فتركُه له مع قدرته على إزالته دليلٌ على محبته له ورضَاه. فجعلوه مع اعتقادهم أنه من الصالحين، محباً للزنا والزناة، والفسق والفساق، وراضياً بذلك.

وكان قول المشركين أدل على الفهم من قولهم، لأن أولئك ردوا الأمر والتغيير إلى الخالق، وأما هؤلاء فردوه إلى المخلوق، ساء ما يحكمون، وساء ما يتوهمون، وسينكشف لهم الغطاء يوم القيامة، ويظهر لهم ما لم يحتسبوه، ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾[الزمر: ٤٧].

واعلَم؛ أنا سمعنا هذه الكلمة منهم مراراً وتكراراً، عند ذكر كل منكر يقع في هذه البلدة، من السرقات، والظلم، وغير ذلك، ونسخوا بقولهم هذا الشرعَ، ومحوه، فنسخُوا مشروعيةَ الموعظة، والنصيحة، والتعليم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحلال، والحرام، والفرْض والمندوب، وأحكام الحدود والجنايات، بل سائر أحكام الشرع، بل لاحاجةَ مع قولهم هذا إلى إرسالِ الرسل، ولا إنزالِ الكتب، ولو تنصَّر الناس، أو صارُوا يهوداً، أو عبدُوا الأوثانَ، لما وجب نصحُهم ولا تنبيهُهم، بل ولا حاجة لذلك عندهم!. ومع أن ما ذكرتُه هنا من ضروريات الدين، فلا بدع أن ترى من يشكّ فيه في هذا الزمان، الذي عادوا فيه إلى الجاهلية الأولى، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

بناءُ الرِّباط

كان أولَ رباط بنيَ بحضرموت في العهد الأخير، ليكون معهدا للعلم، ومثابةً للمتعلمين، ومورداً للطالبين، هو رباطُ تريم. قام بعمارتِه السيد الفاضل، الجامع للفضائل، ذو الهمة العلية، والنفس الأبية، الحبيبُ عبد القادر بن أحمد الحداد، مع من عاونه. فعورضوا في ذلك معارضةً شديدة، بإنكار قاس، وتبديع، وتجريح، وصياح في المساجد، ولكن كان التغيير. ذلك؛ أن الله نفع بذلك الرباط نفعاً لم يعهد نظيره لمعهد آخر بهذه الجهات، كما سيأتي تفصيل شيء من ذلك...[1].

مع أن بعضَ معارضيه كان لهم فضلٌ وصلاحٌ وشهرة، وللناس فيهم اعتقاد، وبهم ثقة، ولكن ما شاءَ الله لا ما شاء/ الناس، وقد يخصّ الله بفضله من هو في [٢١٧/أ] نفسه، وعند الناس ليس بأفضلهم، مؤثراً له على من يراه الناس أفضل منه وأولى، و﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

وأقام الحبيبُ العارف بالله، والداعي إلى سبيل الله، الإمام العلامة، الجامع لما يملأ القلوب من الفضل والعيون والمسامع، علي بن محمد بن حسين الحبشي، الحسيني العلوي، بسيون (سيوون)، رباطه المشهور، وعورض في ذلك، معارضة طمتها الشهرة التي نشرها له مولاه.

وعزم شيخنا العارف بالله، بدر الواد، وقيدوم الأجواد، ومنهل الوراد، الحبيب الإمام محمد بن طاهر بن عمر الحداد، العلوي الحسيني، على بناء رباط في بلد قيدون، وتحدث بذلك، وترددت به الأخبار، ثم توفي قبل ذلك.

ولكن لم يُمحَ بوفاته الأثرُ الذي كان لعزْمه المبارك. فإنَّ السيد المثري الشهير،

---

(١) كلمة غير واضحة.

عمر بن علوي بن محمد باعقيل، العلوي الحسيني، الذي أثرى في بندر سربايه من البلاد الجاوية، وماتَ بها، أرسل بعد ذلك بسنين، للشيخ الفقيه عمر بن سعيد الخطيب باراسين، وكان بالهندِ، فجاء إلى جاوة، ومكثَ عنده مدة، وحادثه في بناء رباط ببلد قيدون، وبرز عزمه، وعينوا المحلَّ الذي ينبغي أن يقام فيه، وتحدثوا بشرائه، وجاء المسَافرون فبثّوا الخبر بالبلد، وتحدثَ به الناس.

وأذكُر أني كنت يوماً في مسجد الجامع، فجاء السيد المرحوم عبد الله بن حسن بن علوي، ابن أخي السيد عمر المذكور، وتحدث إليَّ بما عزم عليه عمه. وأنه لم يبقَ إلا وصول الشيخ عمر لإتمام ذلك. فقلت له ما معناه: إن صحَّ ما تقول، أو لم يصح، فإن الرباطَ لابد أن يبنى كيفَما كان الحال. فعجبَ من طالبِ علم فقير، يخرجُ منه هذا القولُ بلهجة المتحدي، وجعل يقول لي، وهو لا يزال في عجبه مما قلته: من الذي سيبنيه غيره؟ فقلت له: هو ما أقول لك.

ولم أدر ما الذي أخرج ذلك القول مني، إلا أن يكون شعور خفي، مع ثقتي بأن الله سيأتي بمَن يتمّ على يده هذا الأمر الذي نواه شيخنا من قبل. ومضت الأيامُ، وتوفي الحبيبُ عمر بن علوي، المثري المذكور، قبل أن ينجِز شيئاً.

[الأسباب الداعية الى بناء الرباط]

يحيط بقيدون من الجانب الغربي، والجانب الغربي الجنوبي: أهلُ بوادٍ في مسافة أيام، يكثِرُون التردد إليها، فإذا كان فيها معهد علمي، كان مُعيناً على ثباتهم على اسْـم الإسلام، والانـتسـاب إليـه، وإن كانوا خِلـواً من عقائده وأعمالِه، وقد استـبدلوا الجبت والطـاغوت بأحكامه. وإنما بقُـوا على هذا الانتسـابِ لعـدم من يستجرّهم إلى دينٍ سواه، ولو وُجد لم يكن عندَهم ما يمنعهم عن اتباعِه، لا من معرفةٍ، ولا تربيةٍ، ولا مخالطةٍ لأهله، ولا ثباتٍ على شيء من عقائده وأركانه، فإنهم

قد استدبرُوه جملةً، إلا أفرادٌ لا ينبني على مثلهم حكمٌ. وعلى هذا أكثر البوادي بجهات حضرموت الباقية.

حتى لقد قال الحبيب عبد الله بن علوي الحداد: «إنا لا نقطعُ بإسلام أهل بوادي حضرموت، ولا نجدُ منهم ما يدلّ على إسلامهم إلا محبتهم للصالحين». اهـ. وكلامه رضي الله عنه يفهم ان أهلَ زمانه منهم كانوا يحبون الصالحين، لما هم عليه من الدّين، وتلك محبةٌ دينية لا شكّ فيها، ولكن أكثر أهل البوادي اليوم لا يعقلون لمثل هذه المحبة معنًى، وإنما يعظّمون من اشتهر عندَهم بأنه يكرِمُ ويلُوح، فالحاملُ لهم على تعظيمهم: الرغبةُ في الكرامة، والرّهبة من اللَّوحة.

سمعتُ سيدي وشيخي وعمي، الحبيب العارف بالله، العالم العامل، العابد الزاهد، صالحَ بن عبد الله الحداد، يقول: جاء جماعةٌ من البادية للزيارة، وجاءوا إلى العَرْض عشية، وأخذ الأخُ محمد يعلمهم، (مراده به: شيخنا محمد بن طاهر)، فلما ذكر لهم البعثَ، قال أحد شبّانهم: من التفّتْ عليه الصروف ما عاد يثور! أي: لا يعُود يقوم. ومراده بالصّروف، جمع صَرْف، وهي: الأحجارُ الرقاق التي تسدُّ بها اللحُود. قال: فقال له شيوخه: هه! اسكُت! ما أحد يكذّب بكلام الصالحين. فكان عمّي إذا حدثَ بهذه القضية يقول ما معناه: انظر! فما هنا ربٌّ، و لانبيٌّ، ولا قرآن، وإنما غاية اعتقادهم: ماحَد يكذّب بكلام الصالحين!

فبوادٍ قد عادتْ إلى مثل هذه الجاهلية، ما أحقَّها بدعوة دينية، يصرخ بها [بينهم][1] تهزّهم هزًّا. ولا يكون ذلك إلا بكثرة الدعاة إلى الله، ولن يوجَدوا بغير تعليم.

---

(١) بياض في الأصل، وما بين القوسين كلمة مقترحة.

كان شيخُنا الحبيب محمد بن طاهر إذا نظر إلى أخي عبد الله وإليّ، يقول: إنا نرجو أن تكونوا دعاةً إلى الله. وكان رحمه الله ينوي/ أن يخصص الجدفرة التي كان [١/٢١٨] يعمرها بصُبَيخ، وتقدم ذكرها، لطلبة العلم، ولولا أنه كان مشغولاً بمعاناة الأضياف، والواردين لمختلف المقاصدِ، وإصلاح الفتن التي تثور حيناً بعد حين بوادي دوعن، لتمّ له بإذن الله ما لا يتم لغيره، لما له من الجاه، ونفوذِ الكلمة، وأُبهة السيادة، وهالة الرئاسة.

[الأذايا التي عاناها المؤلف وأخوه في بناء الرباط]

ولما لقينا ما لقينا قبلَ ذلك من الأذى، والمعارضة، في نشر العلم في المسجد والدرس فيه، وجمعِ الطلبة عليه، ما يطولُ شرحه، ولابدَّ من الإلماع إلى شيء منه، ليكون مقدمةً لما لحقه، والله يتولى الصالحين.

[١] كانت حولَ المسجد غرفٌ خالية، استحوذَ على أقاليدها رجالٌ ليسُوا بطالبي علم فيحتاجون إليها لوضْع كتبهم، ومطالعة دروسهم، ونسخ الفوائد، وانتظار أوقات درسٍ أو جماعة، وربما مرَّ على أحدهم عشرُ سنين فأكثر لا يطرق فيها الغرفة، ولكنّا تحصلنا إبانَ الطلب على إحداهن، ثم نقلنَا إلى أخرى، ثم أردنَا إلقاء درس لبعض الطالبين، فطلبنا مفتاح أكبر الغرف، فتحصلنا عليه بعد وسائط، وأقمنا فيها خزانةً بمساعدة بعض رفقائنا من آل العمودي، وابتدأنا في إلقاء الدرس بعد صلاة الظهر إلى العشاء، إلى الساعة الرابعة (العاشرة) ليلا، وذلك في حدود سنة ١٣١٧هـ. وسُرَّ بذلك شيخنا الحبيب طاهر بن عمر، وأجرى للدرس الليلي قهوةً يصنعها أحدُ الحاضرين، وكان شيخنا يمرّ علينا الساعةَ العاشرة بعد قضاء أوراده، فنرجعُ بعد أن يزور الشيخ سعيد على عادته.

ولما عدتُ من سفري إلى زنجبار سنة ١٣٢٢، احتجْنا إلى غرفةٍ بجانب هذه، كان إقليدها بيد رجلٍ ألوَى نفورٍ، قلما يأتي إليها، ووسط له أخي أحد وجهاء العشيرة، فامتنع، وتفوه بكلام اشتملَ على كبرٍ وحسدٍ وتحقيرٍ، فلم يؤلمنا منعُه، مع عدم استحقاقه، كما آلمنا قولُه، وتألم لذلك بعضُ قومه، ووصلته كلماتٌ. وانتهى الأمر بتسليمِه الإقليد!

[٢] ولما ابتدأتُ في إلقاء الدروس بالمسجد، أوذيتُ، وأذيَ طلبةُ العلم بما يطولُ شرحه. وكنت قد اعتنيت بجمعهم وتألفهم، وجلبتُ لهم ما يسرُّهم من الدفاترِ والأزُر، وساعدَني على ذلك السيدان النجيبان، الكريمان الفاضلان، القمرانِ النيران، حامد بن علوي البار، وحسنُ بن عبد الله الكاف.

فكان بعضُ المخذولين الصَّادّين، يجمع أبناء المكتب (العُلمة) ويعلمهم أراجيزَ، ويقيمُهم حولنا يرتجزون، فعطّل علينا الدرس، وشغلَ الطلبة عن الاستماع للتقرير، ثم كان يعترضُهم، ويتهددهم بالإيقاع بهم إن لم يمتنعوا من حضور الدرس، ومن لم يمتنعْ منهم تهدّد أباه، ومن لم يمكنه أن يهدّد أباه سلطَ عليه بعضَ أقرانه من غوغاء البلدِ ليؤذُوه ويعيّروه. وكان منارُ التعيير بطلبِ العلم لا يزالُ ظاهراً. ومنذ صِغري إلى أن بلغتُ الحادية عشرة من السنين، ما أذكر أني رأيت طالب علمٍ يحملُ كتاباً ليذهبَ به إلى مدْرس.

[٣] ولما خرجتُ سنة ١٣١٢ إلى خلع راشد، وأنا غلامٌ، لزيارة جدتي وأعمامي، رأيتُ الغلمانَ من أترابي عندَهم حركة لطلب العلم، فغِرتُ منهم، وابتدأتُ في قراءة المختصرات الصغيرة عند الحبيبِ العلامة عبد الله بن محمد بن أحمد الحبشي، والحبيب العلامة عبد الرحمن بن حسَن الحبشي، وغيرهما.

فلما رجعتُ عدت إلى اللعبِ مع غلمان أهل البلد، ثم مررتُ مرةً بالمسجد، فرأيت كتاباً موضُوعاً عند المطاهِر، على محل مرتفع، ففتحتُه، وأخذتُ أقرأ طرته، فصاح بي صاحبه، وهو يتطهّر في أحد بيوتها. ثم خرج، فسألته:

هل يقرأ درساً فيه؟

وأين يقرأه؟

فدلّني على المسجدِ، المسمّى بمسجد العمودين، وأنّ فيه الشيخ عبد الله بن أبي بكر المرحّم الخطيب. فبكرتُ إليه اليوم الثاني، فوجدتُه قد فرغَ من الدرس، فسألني عن نسبي وعن حاجتي. فأخبرته أني أريد التعلم، فأشرقَ وجهه وتهلل، وأخذ يمدح لي العلم، ويذكُر لي الآيات والأحاديث الواردة في فضله. وذكر لي: أنه

كان يطالع مع والدي إلى هدأة من الليل، وقتما كانا يقرآنِ عند الحبيب العلامة أحمد ابن عبد الله بن علوي باعقيل. وعلى هذا الشيخ قرأتُ المختصراتِ، وما فوقها، إلى أن ختمتُ «المنهاج»، وحفظت عليه المتون. وكنت أرى نحو ثلاثة نفر يأتونَ إليه للقراءة، فكانوا يخبئون كتبهم مخافةَ التعيير.

[٤] ولقد لقيتُ من أترابي ومن هو أسنُّ منهم من التعيير القاذع، والتنقيب، ما يوهنُ أشدَّ الهمم. وكان المتحذلقُ منهم يقول لي: ماذا تريدُ من طلب العلم؟ إنه سيكونُ عليكَ إثمه إذا لم تعمل به، وأنا قد كنتُ من قبلُ مواظباً على السُّنَن ثم....[1]/، [١/ ٢١٩] فخيرٌ لك أن لا تطلبَه حتى لا تتركَ الطلبَ فيما بعد. وقد ألحوا عليَّ حتى عفتُ مجالسهم واللعبَ معهم أوقاتَ الفراغ، وصرفَ الله همتي إلى التشاغل بالمطالعة. حتى عاد شيخُنا الحبيب محمد بن طاهر من بعض أسفاره، ومعَه أخي، وأقام الدروسَ في الكتب الكبيرة، في التفسير، والحديث، والتصوف، ولنا في الفقه، واستقدم شيخَنا، الشيخ العلامة، الفقيه النحوي الصوفيَّ، أبا بكر بن الشيخ العلامة أحمد بن عبد الله الخطيب التريميَّ، ليقيم لنا الدروس، ففقَأنا عيونَ المعيِّرين والمغيِّرين، بحمل الكتب والتجوّل بها من درسٍ إلى درسٍ، على أن ذلك لم يحوّل طباعَ البلدِ، لغلبة شعار البداوة.

[٥] مررتُ بمقعدٍ فيه جماعةٌ في طريقي إلى العَرْض، موضعِ الدرس، عشيةً، أحملُ الكتب التي يقرؤها شيخُنا الحبيب محمد، فما حاذيتُ هؤلاء، قال لي أحدهم بوجه عابسٍ: ما رأينا خيراً من يوم (منذ) رأينا كتبكم هذه. فقال لنَا الرجلُ ما قالته الأممُ لأنبيائها صلواتُ الله عليهم، لما تطيَّروا لما جاؤوهم به من الدين. وانتقلَ الأمر إلى أذًى أعظم، فكان ناظر وقْفِ ماء الطهور يقفلُ الجابية حتى لا يتوضأ من يحضر الدرْس، فكانوا يأتوني وقد ضَاق بهم الوقت، فآمرهم بالتيمّم لحرمة الوقت.

[٦] ثم اشتدَّ الأذى، فكنتُ ليلة ألقي الدرس في المسجد بعدَ المغرب، فرمَاني

(١) كلمة غير واضحة بسبب رداءة التصوير.

بعضُهم بقطعة مدْرةٍ من الجانب المظلم في المسجد، فلو لا لطفُ الله لقضَى عليّ، فإنها وقعتْ في مصراعِ طاقةٍ عظيمةٍ بجانبي، وصارَ لذلك صوتٌ وصدى في أرجاء المسجد، وانزعجَ الحاضرون. ولم نزلْ نقاسي ما نقاسي، وظهرَ لنا أن استمرارنا على الدرس في المسجد أمرٌ متعب، سيؤدي إلى مشاكل. وعادت إلى نفوسنا ذكرى الرباط التي نوى شيخنا بناءها.

[خبر إنشاء (المدرسة الخيرية) بسُرَبايهْ]

ثم سافرتُ إلى جاوة مع أخي، سنة ١٣٢٨، فازداد العزمُ قوةً بالنجاح الذي تمَّ في إنشاء (المدرسة الخيرية) بسربايهْ. ولذلك تاريخٌ، عسى أن يتيسر ذكرُه في موضع من هذا التاريخِ. فقد رأيتُ من يخبط في تاريخها، حتى قالَ: إنها أنشئت سنة ١٣٢٧. والصواب: أنها أنشئت سنة ١٣٢٩، وافتتحتْ يوم الاثنين، رابعَ أو خامسَ عيدِ ذي الحجة من تلك السنة. وسمعتُ بعض الشيوخ، حين جئتُ إلى سربايه سنة ١٣٤١، ينسبُ إلى نفسه العملَ في ذلك. فلقد توليتُ، والحمد لله والمنة له، أكثرَ السعي في ذلك، ولا أذكرُ هذا الرجلَ عمل معنا في شيءٍ. وقد حملني ذلك على شرْحِ تاريخ العمَل في خطبة الاحتفال من تلك السنة، بالمدرَسة المذكورة، ولا يزالُ عددٌ من العاملين معنا من ذوي الأسنان أحياء، وكلما سردتُ جانباً استشهدتُهم على ذلكَ، فصدقوني في ذلك كله.

فأما التذكيرُ والخطَب والوعظُ، في الحث على إنشائها، فقد توليته جميعَه، مع جمعِ الدراهم من إخواننا العرب. وساعدَني الأستاذ الكبير السيد الشريف أحمد بن عبد الله السقاف، على بعض السُّركتيين، وعلى قانونِ الإدارة.

وأخبرني أنه ساعدَه أيضاً: السيد العلامة عبد الله صدقة دحلان. وعمل معنا في القضية: السيدُ الفقيه النشيط، المرحوم حسن بن أحمد بن عمر باعقيل، والرئيسُ البطل، عبد الله بن صالح بن مطلق الكثيري، والسيد الفاضل العامل الغيور، زين بن أحمد بن عقيل، ثم أصفقَ على العمل فيها كبراءُ أهل سربايه، من السادة والمشايخ، كما سنذكر ذلك في محله.

واجتمعَ لها، سنةَ جئنا إلى سُرَبايَة معاً، نحن، وأخونا الحبيب الأواه، حامد بن علوي البار، وأخونا الصدر المصلح، عبد الرحمن بن شيخ الكاف، سنة ١٣٤١، نحو

عشرين ألفاً من الروبيات، ولكنها لم تسلَّم إلا سنة ١٣٤٢، بحضور الحبيب المبجَّل، والتاج المكلَّل، والإمام المفضَّل، محمد بن أحمد المحضار. بل ازدادتْ بيمن نقيبته، وبركة شيبته، إلى خمسين ألفاً، وكان لابنه أخينا علوي بن محمد بن أحمد، في ذلك أثرٌ محمود، وكنتُ قد فتحْتُ ذلك الباب الموصَد، بخطبة كالشُّهُب، في حفلة مشهودة. قال الحبيبُ محمد بعد انتهائي منهَا: هذا كلامٌ يفلّق الصلُوب. والصلوب: جمع صُلب؛ وهي أصول الأشجار العادية الصلبة، المستعصية على الحديد.

والمقصود؛ أن نجاحَ السعي في إنشاء تلك المدرسة قوَّى العزمَ على أن نبني الرباط بقيدون، ويضافُ إلى ذلك ما يخالج قلوبَنا من السعي في نشر العلم، والدعوة إلى الخير، بما نتلوهُ من الآيات والأحاديث في فضْل ذلك، وبما غرسَه الأشياخُ في قلوبنا من الترغيب في ذلك والحثّ عليه. يقوّي ذلك.....[1] التي تلازم طالب العلم الذي لم يخالط عامّة الناس، ولم يخبُر أخلاقهم، فإنهم يظنُّ بهم أنه لن يضروا إذا لم/ ينفعوا، وأنهم سيكونون إلى داعي الخير أقربَ منهم إلى داعي الشر. [/٢٢٠]

[خبر الرجل الأعمى في منَادُو]

ولقد كنتُ في بندر منادو من جزيرة سليب، وكان يتردد إليّ رجلٌ أعمَى، أصله من سيون (سيوون)، لولا أني لا أعلمُ ما بينه وبين الله، لقلتُ: إنه من أهل الكشف المحدَّثين، وذوي الفراسة الصادقين. لأنه أخبَرني بأشياء عن نفسي لا يعلمُ بها أحدٌ، ولا يتوهمها. وقد أخبرَني أن كذا وكذا سيذهب سريعاً بعد رجُوعي إلى بلدي.

فأخبرته بالعزم على بناء الرباط، فقال: إن هذا هو الذي سيدُوم؛ ولكن؛ عليك أن تتبالَه وتتغافَل أمامَ أقرانك وعشيرتك، وتريهم هيئةً بهلولية. قال لي معنى هذا بعبارة أطول مما قلتُه. فقلتُ له: إن طبعي لا يساعدني على غير الصراحة. فقال: إنك ستؤذَى. أو قال: إنهم سيؤذونك.

---

(١) بياض بقدر كلمتين، طمس بسبب رداءة التصوير.

[العودة الى الوطن ١٣٣٠هـ]

رجعنا من سَفرنا إلى جاوة أنا وأخي ختامَ سنة ١٣٢٩، ووصلنا بندر المكلا مفتتحَ سنة ١٣٣٠، وكان العزمُ قوياً عندنا على إنشاء رباط العلم الشريف.

وفي أواسط شوال من تلك السنة، عزَمنا لزيارة حريضة، ومن بوادي ابن راشد من السَلف أحياء وأمواتاً، وفي نيتنا الاستشارةُ في ذلك. وكان معنا الحبيب عبد الرحمن بن محمد الحداد، فمكثنا في حريضَة ثلاثة أيام، في بيت شيخِنا الإمام المؤتمن، شهاب الدين أحمد بن الحسن بن عبد الله العطاس، وعرَضنا عليه الأمر. فقال: همة مباركة، ونية صالحة. وأشار بالاستشارة، وعرْضِ الأمر أيضاً على العارف بالله الإمام الحبيب علي بن محمد الحبشي. ولما تكلمتُ معه في ذلك بحضرة أخي، والحبيب عبد الرحمن، والحبيب عمر ابن محمد مولى خيله، تهلّل وجهه، واستبشَر، ودعا وبشر، ونطق بكلماتٍ في ذلك كالدر المنظوم، قوّى بها العزم، وحثَّ على النهوض، والقيامِ في ذلك. وخص بالدعاء وعمّ.

ورجَعنا من حضرموت عازمين على ابتداء العمل، وأصْعد اخي إلى دوعن، فاجتمع بالحبيب الزكيِّ السريرة، والمسارع إلى الخير على بصيرة، حامد بن علوي ابن عبد الله البار، فتبرعَ بألفِ ريال، بعد أن عرضَ أن يقوم ببناء الرباط، والقيام بأوقاف له ونفقاتٍ، على أن يكون ببلد الخريبة، وننقلَ معاً إليها من قيدون، فاعتذر إليه أخي بما اعتذر. وكان الحبيب المذكور مفتاحاً من مفاتيح الخير، وسنَّ بعمله سنةَ الخير، فكان له بذلك أجرُ من عمل بها إلى يوم الدين. ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾. ثم تبرع بعد ذلك عدد جمّ من الناسِ الراغبين في الخير، بالقليل والكثير، تقبلَ الله منهم أجمعين. فمِن ذلك ما دخل في عمارة الرباط، وهو نحو خمسة آلاف، ومنها ما دخل في شراء بيتين له في سنقفورة، وبيتٍ له في بتاوي.

[المتحصَّل من التبرعات للرباط]

وليس عندي الآن قائمةُ الاكتتابِ لسنقفورة وجاوه، لأثبتها هنا، ولكني أذكر هنا ما تحصل من غيرها، على ما أتذكر الآن:

تبرع الحبيبُ حسن بن عبد الله الكاف بألف ريال، ثم بأربعمئةٍ لإصلاح المطاهر. والشيخ عمر بن سعيد بن أحمد آل دحمان بازرعة وإخوانه بألف روبية، ثم بخمسمئة ريال في بناء المسجد. والشيخ محمد بن عمر بازرعة بألف روبية. والشيخ محمد باصهي بأربعمئة روبية. والسيد محمد بن عمر بن علوي باعقيل بخمسمئة روبية جاوية، أو خمسمئة ريال. وتبرع السلطان الكريم عبد الكريم بن فضل العبدلي بألف روبية. وغير هؤلاء، كما هو مذكورٌ في قوائم الرباط، وحساباتها.

وكان المتحصلُ من المتبرعين بسنقفورة: ٤٥٠٠ ريال، والمتحصّل من سرابايه وبتاوي وغيرهما على يد أخي، والحبيب علوي بن محمد الحداد: ٨١٦٠ روبية. والمحوَّل به إليهم من عندي عندما كنتُ بعدن: ١٧٤٢ روبية جاوية، ثم ٤٤٠٠ روبية يدخل فيها أكثرُ ما فصلته آنفاً.

[شراء بيوت للرباط في سنقفورة وبتاوي]

اشترَى الحبيبُ الفاضل، ذو النية الصالحة، والسرة الحسنة والمبرات، عيسى ابن عبد القادر بن أحمد الحداد بيتين في سنقفورَه باسم الرباط، كان ثمنهما ٦٦٠٠ ريال بوروم، من جملةِ ما ذُكر، وما بقي جعل في بيت بتاوي، الذي اشتراه الشيخ الراغبُ في الخير، والساعي إليه، أحمد بن عبد الله بن سعيد باسلامة.

واشتريَتْ هذه البيوتُ سنة ١٣٣٧، عندما ارتفعتْ أثمان البيوت بتلك البلاد، ثم نزل الحاصلُ منها، ولا سيما الأكبر الذي ببتاوي، حتى لم يعُدْ حاصله يكفي ما للحكومَة. وظهر أنه لا يحصُل للرباط من ذلك إلا شيء يسير، غير كافٍ لحاجيٍّ ولا ضروريٍّ. ولم أسع بعد ذلك مدة مقامي الطويل بالجهاتِ الجاوية في شَأنه، لأن أخي أمتعَ الله به كان قد أمرَني/ لأمرٍ رآه، أن أقْصِر، فأقْصَرْتُ. وشغلَ هـو في سفره [٢٢١/]

مرةً بشأن إجراء ماء الغيل، كما تقدّم، فالله يفتح له باباً من أبواب فضله، وييسّر له من يتصدقُ عليه بما يقوم به، ويتمّ به ما أنشئ من أجله.

❊ ❊ ❊

عَودٌ: ونعود إلى ذكر بعض ما لقينا من الأذى في سبيل إقامته، إذ لا يتسعُ للتفصيل إلا مؤلفٌ خاص، ليكون فيه عبرةٌ للخواص.

التمسَ أخي من الحبيب حامد بن علوي البار، أن يصحبه إلى المقدّم عمر ابن أحمد باصرَّه، نائب القعيطي، فوصَلا إليه، وأخبره بما جدّ عليه العزم من بناء الرباط، ونبهه إلى ما يعتاد أهلُ هذه الجهات من المعاندة والحسَد ومقاومة القائمين في صلاحٍ عام، فأظهرَ الفرح والسرور، وعرضَ عليه أن يسوق (يسَخّر) أهلَ الوادي (يعني: وادي دوعن) ليبنوه في مدةٍ قريبة. فجزّاه أخي خيراً، وقال له: لا أريدُ منك إلا خصلةً واحدة. قال: ماهي؟ قال: دفع المعارضين مهما وُجِدوا. فأنعمَ له بذلك. ثم جرت أمور وأمور، إلى الله مصيرُها، وهو عليمُها وخبيرها.

[اختيار موقع بناء الرباط]

وكان المقصد أن يكون الرباط ملاصقاً لمسجد الجامع، وهناك دُور طمعْنا أن يبيعَنا أهلها، وساومناهم، وشاعَ الحديث، فجاء الشيخُ عبد الله بن عبد الرحمن ابن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الشيخ عمر بن عبد القادر العمودي، وقال: سمعتُ أنكم ساومتم في الدار الفلانية، لتجعلوها رباطاً؛ وأنا أرى أن تجعلوا الرباط في باقُوَير، فإن فيه محلاً واسعاً، وقفه الحبيبُ محمد بن طاهر الحداد على مصالح بئر باداهية، وقد كان مراده بناء الرباط في ذلك المحل.

وانتهى الأمرُ بعد البحث، إلى المداولة مع ناظر الوقْف، وهو الشيخُ عبد الله

ابن عامر باداهية العمودي، فاستأجرنا منه المحل، وتكاتبنا معه وسَلمناه الأجرة، وكنا نستشير في كل هذه الأعمالِ شيخَنا الحبيب أحمد.

وبعدَ أن شاع استئجارنا لهذا المحل، ولم يبق إلا الابتداء في العمل، تحركت عقاربُ الحسَد من كل ناحية. من ناحيةٍ بعض عشيرة الناظر، كأنهم نفِسُوا عليه استلامه دراهم الإجارة، ولعلهم كانوا عتبوا علينا إذ لم نشركْهم في أمرِه. ومن جهة رجلٍ من عشيرتنا (وسنسميه البعضَ)، أغرَوه بنا، مع ما عنده مما لا يخلو عنه أحد، ودخلَ معهم بعض المعاونين على الشر، وبيتوا أمراً بليل. فحضرتُ صبيحة يوم إلى دار المشايخ آل باعبد القادر، لجنازةٍ عندهم، فجاء البعضُ وجلسَ بجانبي، وقال: إن هذا المحل الذي استأجرتموه سأردّه إلى أهل الفضل. يعني: إنه سيرجعُ الحكمَ فيه إلى ما يقوله أهل الفضل، بإثارة نزاعٍ فيه ودعوى. فبينتُ له الموضوع، فأصرَّ. وقال: إني سأرفع الأمر إلى المقدم (يعني: باصره)، وهدّد بأن يمنعه بالعسكر. فقلت له: إن عملك هذا سعاية، وهي كبيرة من الكبائر، فما احتفل بذلك، وتولى جامحاً.

وكان البعضُ يأمل حُلواناً، أو إشرافاً على الأمر، وكان قريبُ الناظر يريد الضغْط عليه، حتى يعطيه شيئاً من دراهم الإجارة، وكان قد أبى.

وكان المعاون على الشر، وهو الثالثُ منهما يرجو أن يكون محامياً (وكيلا في الدعوى). ولو استقبلنا من أمرنا ما استدبرناه لأعطيناهم من لدنَّا شيئا نكسِرُ به شرَهم، وإن كان ذلك سيفتح علينا باباً يعسُر سدّه، لأن نزاعَهم بعد تمام الرباط لن يكونَ له ذلك التأثير، ولكن لفَتنا عن ذلك أننا لم نكن نعلمُ حالَ هذه العصابة، لأنها كانت تعملُ في الخفاء، وإنما ظهر لنا البعضُ، ولما بِنا من الغِرارَة التي لا يسلمُ منها من لا يخالط العامة، ويطلعُ على مقاصدهم الخفية، وحركاتهم ومكائدهم، ولأنه لم يسبقْ لنا تجربة مثل هذه الأمور.

ولما اجتمعتُ بسيدي الحبيب العارف بالله علي بن محمد الحبشي، بعد ذلك، وكان قد بلغه ما جرى، أشار إلى ما ذكر. وبعدُ، فكم من كلبٍ ينبحُ تظن أنه يريد عضًا، وهو إنما يسأل عَظماً، ولا ينفع الندمُ على ما فات، وقد سبقَ ما سبق في حركاتٍ تظهر بها سعادة أقوامٍ وشقاوة آخرين، جعلنا الله من السعداء المحفوظين، آمين.

[رؤيا نبوية للمؤلف]

وقد خرجتُ بعد وعيدِ البعض وأنا أحمل هماً من جهة أنا سنتعرضُ لأمرٍ يخل بمروءتنا، فقد مرَّ ما مر من أعمارنا، ولم نفزعْ فيه أحداً، ولم ندّع على أحدٍ، ولم يدّع علينا أحدٌ. ولأنه ليس لنا ذلك الاتصالُ بالحكومة وعساكرِها، كما.... (١) أن أمثالنا، وهو مع ذلك طريق وعرٌ، يقتضي أخلاقاً وأعمالاً وترددات ومقابلات لا تليقُ بنا.

وما تلبثتُ/ أن كتبت لشيخنا وهو بدوعن، من طريق الحبيب حامد بن علوي، [/ ٢٢٢] فلما كانت تلك الليلة، قبل الفجر، رأيت رؤيا نبويةٍ مبشرة، شحذَت العزم، وكشفت الهمَّ. وأسرعتُ، فكتبت بها لشيخنا، ولولا صحةُ الحديث بصدْق رؤياه ﷺ، و «**أن من رآه فقد رأى الحق**» [متفق عليه]، لما ذكرتُها.

رأيتُ كأني أمامه ﷺ، وهو محتبٍ في موضع قريبٍ من ضريح الشيخ سعيد، وهو أبيضُ مشرّبٌ بحمرة، له جمةٌ سوداء كان مرسلَها، لم أرها تصل كتفيه، أزهرَ اللون، إذا تبسم خرج من أسارير وجهه كشعاع الشمس.

ورأيتُ البعض جلسَ عن يساره، وأخذ يكذبُ عنده بما يسرّه، فجعلت أتلو قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾

---

(١) بياض بقدر كلمتين، طمس بسبب رداءة التصوير.

الآية [التوبة: ٦١]، فلما تولى البعض، قلتُ له: يا رسول الله! إنا عزمنا على بناء رباط للعلم، وإن فلاناً يعارضنا فيه. فرأيته انزعجَ لذلك، قائلاً: آه! كالمستفهم، فأعدتُ كلامي ثانياً. فغضب رسول الله لفعله، وتربد وجهه. وسمعتُ قائلا يقول: سأخرج إلى الساحة (أي: ساحة باقوير، التي عزمنا على بناء الرباط فيها)، أنا ومقْناص.

هذا هو اسمُ المعلّم الذي يبني بالحصى، (أي: الأحجار الكبيرة، تجعل أساساً، وهذه لغة بلدنا). وجاء مقناصٌ عشيةَ ذلك اليوم، وقد أرسلَ إليه أخي، وخرجا معاً من عند ضريح الشيخ، بعدما صليا العصر، وابتدأنا في العمل، وكان في الموضع صُخور عظيمة، فكسرناها باللغْم.

[الشروع في عمارة الرباط]

وكان الابتداءُ في ذلك يوم الخميس، لثلاث من شهر محرم فاتحة سنة ١٣٣١.

وحاول البعضُ أن يجد وجهاً من رجال الحكومة، فما وجدَ، وخنس برهة، ومراجله تغلي، ولم يهدأ التهديد والوعيد، وتقليب الأمور، وتزويرُ مكاتيب على ألسنة أناس من الخاملين في البلد، إلى كُبراء الوادي، يذكُرنا فيها بأنواع من السب وسوء القصد، فكانوا يهملونها، وعلم بعض المكتوب على ألسنتهم ببعض ذلك، فمنهم من جاء وتبرأ منها، ومنهم من أرسل إلينا يكذّب ذلك.

وكان أولُ ما اتخذه الأعداء تكأةً للتشنيع وإطالة اللسان: أنّ أخي خطَر له أن يحفر الحوض المسمّى (حوض حَجْره)، ليجعل منه مطْرةً (أي: مجتمعاً لماء المطر)، لينتفع بها الناس لسقي مواشيهم وغرسهم، وكان أهله قد نزعوا طينَه، وبقيت في جوانبه نخل معلقةٌ على أكوامٍ صغيرة من الطين. وابتدأ، فطلب من بعض الناس نخلاً لهم، فسمحوا به، فقطعه، فأنكر الناس ذلك جهلا منهم بالجائز

والمحرم، وتلقفها الحسدة فجعلوا يكررون على أسماع العوام قولهم: هذا يقطع الخضراء! يعنون بذلك: الشجرة الخضراء، أو النخلة. وهم أنفسهم دائماً يقطعون العلوب لحاجتهم، وأهل دوعن يقطعون النخل ليستعملوا جذوعه لبيوتهم.

وقال السيد السمهوديُّ في «الوفاء بأخبار دار المصطفى» [١/٢٢٧]: «لم يزل أهل المدينة يسقفون بيوتهم بما يقطعون من نخلها». وهي حرَمٌ كمكة، شرفهما الله تعالى. وكذلك قال الإمام الغزالي في «البسيط» و«الوسيط» [٣/٣٥٧-٣٥٨] في حرم مكة: أنه لو قطع منه للحاجة التي يقطع لها الإذخر، كتسقيف البيوت ونحوه، ففيه الخلاف في قطعه للدواء، أي: والأصحُّ: جوازُه. وتبعه على ذلك صاحبُ «الحاوي الصغير» [ص ٢٥٥]، فجوَّز القطع للحاجة مطلقاً»، اهـ. وفي «الصَّحِيحين»: أن النبيَّ ﷺ، لما أخذ موضِعَ مسجده بالمدينة، كان فيه نخل وقبور، فأمر بالنخل فقطع، وبقبور المشركين فنُبِشَتْ [متفق عليه]. فلا شك في جواز ذلك، ولكن قد يكون لبعض الكلمات التي يلفظها أبالِسَة الإنسِ أثرٌ عظيمٌ يستهوي العامة، وإن كانت مخالفة للشرع والعقل.

وبالجملة؛ فقد كان ما ذكرنا أول ما وجد الأعداء به سبيلا للغو وتكدير الصفو، وتعكير الجو، والله عليم بما يفعلون.

[العامة لا يعرفون قدر الجنة!]

وصدرتْ من امرأة كلمة شنيعة، كان لها صدى ودوي بين الناس، وكانت لها نخلةٌ، أرسل إليها أخي لتتصدقَ بها، إن أرادتْ، فأجابته بقولها: لو علقَ لي فلان بكل خوصة من خوصِها جنّة، ما تصدقت بها!. فلما جاء الشيخ القائم بمنصب الشيخ سعيد، وهو الشيخ صالح بن عبد الله بن صالح بن مطهر العمودي، لزيارة جدّه، مع حاشيته، أثناء سنة ١٣٣١، وقد تمت تسوية ساحة الرباط، وتعديلها، جاء إليها ومَن

معه عشيةً، وجلسَ فيها متهلّلاً وجهه. وأخذ يصبّرنا على ما نلاقي، وقال: لا تحزنُوا لما تسمعونه من هؤلاء، فإنهم ما يعرفون الجنة! سمعْنا أن امرأة قالت كذا وكذا.

[/ ٢٢٣] ثم قصّ علينا حكايةً، قال: لما توفي الشيخ أحمد بن بدوي، الشهير بصاحب/ الشُّعْبة، جاء لختمه جموعٌ من البوادي مما حولهم، وحضر السادة أهل عمد، فيهم الحبيبُ محمد بن صالح العطاس، وأخوه الحبيب عمر، والحبيب الفقيه حسين بن أحمد العطاس، فلما انقضى الختم، قام الحبيب محمد يعظهم، ويذكرهم، ويرغبهم في جنة الله، ويرهبهم من ناره، فإذا بين يديه قومٌ طائرةٌ قلوبهم، لا يعقلونَ الوعظ، ولا يفقهون ما يقوله. فكانوا كلما ذاكرهم برهةً قاطعوه بأجمعِهم، صارخينَ بقولهم: عَمُوم! (أي: يكون السيل والمطر عمُوم، أي: عاماً لشعابهم)، واستمروا على ذلك. قال: فقام الحبيب عُمر إلى الحبيب محمد، وقال له ما معناه: يكفي! يكفي! يا أخي لا تتعب نفسك، هؤلاء قوم ما يعرفون الجنة (أي: لا يعرفون قدرها).

* * *

ثم جاء شيخُنا معه جماعة من السادة، والحبيب بدر النادي، وصدر الوادي، مصطفى بن أحمد المحضار، فنادى في أهل البلد بالاجتماع آخر النهار إلى ساحة الرباط، وجاء إليها ومن معه بعد العصر، واجتمع الناس من أهل البلد وغيرهم من الغرباء، فقرأ شيخنا قصّة المولد، وفي أثنائه وعظَ الناس موعظة عظيمة، ونوَّه بالرباط، وقال: «من أعان على هذه العمارة عاونه الله، ومن أصلح أصلحه الله، ومن غير غيَّر الله عليه».

وأمرَني، فقمت فوعظتُ وبينتُ المقصودَ من بناء هذا المعهد، من نشْر العلم، وتبليغ دعوة سيد المرسلين، وإقامة شعائر الإسلام، وكل ذلك فرضٌ واجبٌ على

عامة المسلمين، وحثثتُ على التعاون في ذلك. ثم قرأ شيخُنا الدعاء، وألحقه بدعواتٍ عظيمة، خاصة وعامة. وقام فطاف في اساحة، وتتبع قواعدها، وأساسها، وهو يتلو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، تبركاً بهذه الآية، وبما فيها من الدعاء إلى الله، بتقبُّلِ ذلك العمل، وكرَّر تلاوتها، وكنا نتلوها معه.

***

واشتدت التوشيةُ والنميمة، ودبّت العقاربُ السود، والمكائد الخفية.

فكان البعضُ مع حزبه يهددون من رأوه مائلا إلينا أو مترددا إلى محلنا، ومن لا يجوز عليه التهديد خاطبوه أو كلموا عشيرته، حتى كاد أهلُ البلد (أن يجمِعُوا) على مقاطعتنا، وفيهم الكاره والمستكرَه، وأخذَ في أنواع الإيذاء، مثل تغيير باب، أو حريق، أو تكسير مدر، يريدُ بذلك الإيذاء والشناعة. وكنا أقمنا عريشاً كبيراً من جذوع النخلِ نجلسُ فيه للدرس، ونصَلي، فأشعلوا النار فيه بعد صلاة العشاء.

وأحرقَتْ نخلةٌ لبعضِ أصحابنا وقت العشاء.

ويرصدون هنالك من يصيح معلماً للناس بالحريق، تشيعاً للإيذاء، حتى تيقظتِ الحكومة لحماية الأمن، فأرسلت عسكراً للبحث ومعاقبة المعتدي، وجمع رئيس العسكر أهل البلد، وألزمهم بالخروج من الحادث بالدلالة على الفاعل، أو حلف اليمين ببراءتهم، فما وجد فيهم من يؤدي الشهادة، بل أجمعوا على الكتمان. مع أنهم يتحدثون بينهم بأن الفاعل فلان، والآمر فلان! وصبرنا، فلم نقابل الفعل بمثله، لخروجِ ذلك عن حدُود الشرع، ولأنه سيؤدي إلى ازدياد الشر.

[قضية السيد محمد بن عمر باعقيل]

ثم جمعَ البعضُ نحو ٢٥ شاباً من شبابِ البلد، وخرج بهم إلى محل فوق البلد، وأحضر لهم اللحم والطعام، ودعاهم أن يتقاسموا بالله على أن يقاوموا بناء الرباط، ولا يتركوا أحداً يضع فيه مدرة على أخرى، وظلوا يرتجزون ويرمون ببنادقهم، فوكلنا أمرنا إلى الله، واستعنا به، وهو نعم المعين. ولم تمضِ أربعةُ أيامٍ حتى هوجمتْ دار السيد محمد بن عمر بن علوي باعقيل ليلاً، وسُرقَ منها تمر كثير، كأنما أحضَر السارقون لحمله قافلة! ففهمَ الناس أن تلك المقاسمة في الجبل بين الشبانِ والبعض، لم تكن على بناء الرباط، فقط، بل دخل معها تدبيرُ هذه السرقة، وربما أعقبتها تدابيرُ، وظهرت عصابةُ لصوصٍ عملوا أعمالاً. وتبع ذلك أن سُرقتْ دارُه ودارُ إخوته ثلاثَ مرات، وأخِذ منها الأرز والسلاح والمواشي.

وتعبَ وأوذي منهم أذى بليغاً، وعملوا له مكائدَ وتوهيمات، صارتْ بعد ذلك حقائق، حتى أفضَت به إلى مقاومة الحكومة، وغُلبَ على أمره، وحبسَ مرَّاتٍ، وذهب عليه أكثرُ من مئة وخمسين ألفاً، بل كادتْ ثروته أن تذهبَ كلها.

وقيل: إنه ذهب منها نحو أربعمئة ألف، في تلك الحوادث، وما تلاها من الدعاوي بينه وبين أحَد إخوته، ولا حاجةَ بنا إلى تفصيل ذلك. وإنما نذكرُ ما له تعلقٌ قريبٌ بما نحنُ/ فيه، في فصلٍ يأتي. [/٢٢٤]

***

وكنتُ رأيتُ في تلك الأيام: كأن فريقاً منهم كانوا بمكان مرتفعٍ، يتبجّحون بانتصارهم علينا، فرددتُ عليهم بكلامٍ، ذكرتُ فيه الدّين. فسبّوا الدين!. والتفتُّ، فإذا رسول الله ﷺ يمشي، فمشيتُ خلفه، فلا أدري أهو أشار لي إلى المكلّا، أم

خاطبني بذلك! فقد طال عهدي بتلك الرؤيا. ففهمتُ: أن هؤلاء سيصيبهم أمرٌ يأتي من ناحية المكلَّا. وقد كان ذلك. فإن قضية السيد باعقيل تولاها السلطان غالب بن عوض بن عمر القعيطي نفسُه، وعزل بعضَ المأمورين عن التدخّل فيها، وأرجعها إلى رؤساء العسكَر بأوامر خاصّة أصدرَها إليهم، وأمرهم باحتلال قيدون، حتى يسلّموا اللصوصَ ليحبسُوهم، ثم ليطلعوا بهم إلى المكلا، وتكون محاكمتهم هناك تحت إشرافه. وشاع الخبر، وطار اللصوص هراباً إلى الجبالِ، إلى آخر ما سيأتي.

[شهادات الزور]

والمقصود هنا: أن هذه الحادثةَ وما تلاها، فضّ الله بها حلقَة المتقاسمين على عدم بناء الرباط، وأضرع خدودهم، وأهمتهم أنفسُهم، وعادوا يلتمسون النجاةَ، وكفانا الله شرَّهم، فله الحمد كثيراً، ولم يزل البعضُ يحوكُ وينسج ويقلب الأمور، وكان بتقليبها خبيراً. فوالَى الضغط والإرهاب على ناظر الوقفِ الذي استأجرنا منه، فلا أدري أأخذَ منه إجارة مزورةً قدَّم تاريخها! أم كتبَها هوَ وأشهد عليها!. وكيفما كان الحالُ، فإن الشهود كانوا شهودَ زُورٍ لا محالةَ، لأنهم شهدوا بإجارةٍ لنا، وللبعض معاً، مقدَّمةً على تاريخ إجارتنا الخاصة، وذلك أمرٌ لم يكن قطعاً.

وقد رأيتُ أخي في «قرة النواظر» قال كالمعتذر عنهم: «وبلغ الحالُ ببعض الحاسدين المعارضينَ، إلى أن استغلَّ الناظرَ لوقفِ المحلّ المستأجَر، على أن يؤجّره المحلَّ ثانياً، وأشهد على ذلك أناساً لا علم لهم بما بيننَا وبين الناظر من الإجارة. وحاكى إجارتَنا في كل شيء، وقدَّم تاريخ إجارته على إجارتنا، وجعلنا شركاء في الإجارة، وادّعى أننا أنكرناه من الاشتراك معَنا بغياً عليه».

ولا شك في بطلان الاعتذار عن شهود الزور بقَوله: «لا علم لهم بما بيننا وبين الناظر من الإجارة». من وجوهٍ عديدةٍ، منها: كيف يشهدون بإجارةٍ من الناظر لنَا،

مؤرخةٍ بذلك التاريخ، ولم نستأجر ولم نحضُر ولم نوكّل؟. ومنها: كيف يشهدون بتلك الإجارة في ذلك الزمن المتقدم! وما كان أحدٌ يدري بأن الرباط سيكون في ذلك الموضع؟ وما كنا نحنُ في ذلك الوقت ناوينَ بناءَه هناك! وما كنا عالمين أنه موقوفٌ على مصالح البئر! وإنما كنا نحاولُ شراء دارٍ بجانب المسجد الجامع!

وقد انتشرت شهادة الزور في البلد بعْدَ هذه القضية، وصارت عملةً نافقة، وجرت في ذلك وقائعُ مشهورة للبعض ولغيره، ثم نشرها المسافرون منهم في جاوة، بسربابة، وما حواليها، واقتدى بهم غيرهم، وصار هناك أناسٌ لا عملَ لهم ولا كسبَ إلا انتظار من يستأجرهم لشهادة الزور! وأُخِذت بشهود الزور أموالُ الناس، وحقوقُهم، ونالهم ضيمٌ عظيم.

***

فعلَ البعضُ هذا وكتمَه، واستمر يطالب الحاكمَ بأن يجمع بينَنا ليقيم دعواه، فماطَله، ثم أنعم له، وكانت المحاكمةُ عند شيخنا والمقدَّم، وحضر جمعٌ غير قليلٍ.

وبعد الدعوى والجواب، سعى ساعونَ على الصلح: أن يجعل له شيءٌ، ويتنازل عن دعواه، فأبيتُ كل الإباء، وعرضَتْ لي أنفةٌ، وأما أخي فما كان يردّ ذلك لو وافقتُ. وعرض السادةُ آل علوي البار: أن يسلموا هُم ما يقع عليه الصلح، فلم أوافقْ، فقالوا: سنعمله من أنفسِنا، فأجبتُهم: بأني سأصرحُ أمامَ الناس أنّ هذا أمر ليس مني! هكذا وقعَ؛ ولو كان عندي عقلي الذي هو معي اليومَ، لسعيتُ أنا في ذلك، وقصرتُ النزاع، ولكن كان للشباب دمٌ حار، مع استشعار أن ذلك إغراءٌ للبعضِ بمثل هذه الأعمالِ.

ثم طُولبَ البعضُ بإحضار بيّنته، فطلب مهلةً، ثم حضر ومعه تسعةُ نفر من أهل البلد، فشهدوا بين يدي شيخنا والمقدّم بما ادعاه، فجاء أمرٌ ليس في الحسبان،

ووقع حينئذ ترام بالكلام أحرَّ من الجمر، وحسم شيخنا الحديثَ، بأن وجه طلباً إليَّ وإلى أخي: أن نضعَ الخيرة للبعضِ أن يتنازل عن دعواه، أو يأخذ الساحة ويسلِّم لكم كل ما أنفقتموه عليها. وكان ذلك رأيا حكيماً، وغير ذلك يؤدي إلى مشاكل، ولكنه كان مرًّا ثقيلا علينا يومئذٍ، وحكمتْ عقولنا بأن ذلك هو الفصلُ الحاسم، فرضينا، ولا وقتَ/ للتروّي، فإنما الكلام يداً بيدٍ، من فمٍ إلى أذُن، وحُوّلت الخيرةُ للبعض، [/٢٢٥] فأربكه الله، فاختار الساحة، ولو لم يفعل لما انتهى الإشكال.

وابتدأ الكاتب يكتب ذلكَ لنمضي عليه جميعاً، فأراد أن يكتب: «واختار البعضُ الرباطَ»، فقلت له: لا؛ أما الرباطُ فله أهل سيبنونه، ولكنه اختار الساحة. فكتب كذلك، كما هو الواقع. وعدتُ أنا وأخي ليلاً إلى البلد، لنحضِّر الحسابات، وأظهر الأعداء الشماتة، وصلقَتْ بعضُ نسائهم فرحاً (الصَّلَقُ: صوتٌ رفيع للنساءِ عند الفرح، يسميه العرَب: الغَطْرفة. ويقول أهل مصر: الزَّغْرَدة)، واستاء أهلُنا والمتصلون بنا من تلك الشماتة، وحزنوا.

❊ ❊ ❊

ولا عجبَ أن يصلُقَ أولئك النسوةُ فرحاً بما توهمنَه من سُقوط معهَدِ العلم والدين، وما يرجَى منه مناصرة سيدِ المرسلين، عليه أفضل صلاة المصلين، وأزكى سلام المسلمين، فهن يجريْنَ على عرْقٍ قديم، وقبلهنّ قد خضبْنَ بعضُ نساءِ هذا القطر أيديهنّ، وضربْنَ بالدفوف، فرحاً بموتِ رسول الله ﷺ. حتى قال بعضُ كِندَة، كما رواه ابن قتيبةَ [«عيون الأخبار»: ٢/ ١١٩] عن الكلبي، يخاطبُ الخليفة أبا بكرٍ الصديقَ، رضي الله عنه:

أبـلـغْ أبـا بـكـرٍ إذا مَـا جئتَـه   أنّ البغَـايـا رُمْـنَ أيّ مـــرامِ
أظهَرْنَ من موتِ النبيِّ شَـماتةً   وخـضَـبْـنَ أيديَهـنَّ بالعُـلّامِ

فاقطعْ، هُديتَ، أكفهنّ بصارمٍ كالبرقِ أوْمضَ من متُونِ غَمامِ

قال: «فكتب أبو بكرٍ إلى المهاجرِ، عاملِه، فأخذهنّ وقطع أيديهنّ». اهـ.

والعُلَّام، بضم العين وتشديد اللام: الحنّاء.

***

وعدنا إلى الميعاد، وقدّمنا حساباتنا، فالتزم البعضُ أن يأتي بذلك المقدار من الدراهم نقداً، لا عرُوضَ فيها ولا مهلةٌ. والتزمَ أن يحضر للميعاد بعد أيامٍ. وذهب، فاستعان بأعوانه، وباع بعضُهم قطعةً من ماله، وأعطوه حليَّ نسائِهم، ولم يجتمع له الدراهمُ كلها، بل جاء ببعضها، وبحليٍّ، وطلب المهلةَ في ٣٠٠ ريالٍ.

وكنا، بعد المشاورة مع الحبيب حامد بن علوي البار، قررْنا شراءَ ساحاتٍ أخرى قريباً من الساحة الأولى، وانحدر أخي، ويسرها الله، فاشترى أمكنةً أوسعَ من الساحة المتنازع عليها. وانبثّ الخبر في البلد، وعلم قريبُ الناظرِ، والمحامي، بذلك، فأرسلوا إلى البعضِ بما وقع، وقالوا: لا فائدةَ، الرباط لم يزَلْ، وماذا تعمل بساحةٍ؟ سُقِط في يديه وندم، وطاولَ، وأطلق له الطولُ، فانحدر.

***

وامتدت الأيام؛ وأنا تارةً أكون عند شيخنا في القُوَيرة، وتارةً عند الحبيب حامد بالخريبة، وكان أهل وادي دوعن، كلّهم، بين ساكتٍ، وقائم مع البعض، معلِنٍ أو مستترٍ. ولم يبقَ معَنا إلا شيخُنا، والحبيب حامد. ونحن منتظرون تنفيذَ الحكم، وإلزام المعتدي به، ولكن الأمر أهملَ إهمالاً خارجاً عن الحدِّ، حتى ساءت الظنون، وانتشرت أقاويلُ وطعون، والله عالـم السرِّ وأخفى.

[رؤيا أخرى للمؤلف]

كنتُ في بعض تلك الليالي بدار الحبيب حامد، فسهرتُ، وأقبلتُ على الدعاء. فلما صليت الصبح تغشيتُ بثوبٍ، وكان لا يزال في الوقت بقيةٌ من بردٍ. فأخذتني عيني: فرأيتني أنظرُ الوادي، وقد طلعَت الشمسُ، ووصل ضوءُها إلى أثناء الجبال. ورأيتُ موضعاً، لا أحبُّ ذكر اسمه، عليه سورٌ محكمٌ بالنورَة. ورأيت رسُول الله ﷺ له عمامةٌ وعذبةٌ عن يمينه، مشمِّراً، بيده قدُومٌ يضرب في ذلك السّور ليهدِمَه، وهو كالمغضَب. ورأيت كأني مع شيخنا مقبِلينَ على بلد الخريبة، فقال: هيا نقرأ راتبَ العطاس.

وانتبهتُ؛ فنهضتُ ذاهباً إلى موضعٍ آخر أشرفُ منه على الطريقِ. وقلتُ في نفسي: لعل شيخنا مقبلٌ حقًّا. فلقيني عند البابِ السيدُ صالح بن بو بكر الجفري، خال الحبيب حامد، فقال: مالك؟ أين تريد؟ فأخبرته، وأشرفنا معاً، فقال: نعم؛ ذاك الحبيب أحمد ومن مَعه في النخل. فخرجنا مسرعين، ودخلنا عليه إلى ضريح الشيخ علي باراس. فلم يستقرَّ بنا المجلسُ حتى قالَ: هيا نقرأ الراتب. فقرأناه معه.

ونزل بدار الحبيب حامد فلما خلوت به أخبرته بالرؤيا النبوية، فانزعجَ، وقال: لا! لا! وبادر إلى تأويلها. وقال: إنما معنى التهديمُ للسور: انفراجُ القضية. وفهمتُ أنه انزعجَ، لأنه لا يريد أن يصابَ صاحبُ ذلك الموضع المشَار إليه. وبعد ليٍّ ومطلٍ والتواءٍ/، [٢٢٦/١] واعوجاجٍ واستواء، فُصِلَت القضيةُ، بتنازل البعض عن دعواه تنازلاً تامًّا:

وألقَتْ عصَاها واستقرَّ بها النّوَى ... كما قَرَّ عيناً بالإيابِ المسافرُ

وذكر أخي في «قرة النواظر»: «أن ذلك التنازلَ كان مقابل دراهمِ أعطَيتْ للبعض». وهو ولا شكَّ صادقٌ فيما أخبر به، ولكني لم أطلع على ذلك، فقد أخفَى عني ذلك، وكان خيراً.

[أذايا أخرى]

انتهى هذا النوع من الأذى؛ ولكن جاءت بعدَه، منهُ، ومن أعوانه، أنواعٌ أخرى، نذكرُ بعضَها، متوخّينَ الاختصار. كانت عادة بلدنا: أن يأخذوا الطينَ للمدر والبناءِ من جرُوب الحرْث، أما شراءً له، أو هبةً. وليس هناك موضع آخرُ به طينٌ يصلحُ لذلك. فبلغَنا عن بعض غوغاءِ البلد: أنهم سيمتنعون عن إعطائنا ذلك، وخفنا أن يكون عن ملأ منهم، فاشترينا قطعةً نأخذ منها الطين. وكانت العادة: أن من أرادَ أن يبنيَ، فإنه يجلب المدَر والطينَ على دوابّهم، يساعد بعضُهم بعضاً بذلك، فبلغَنا عن بعضهم: أنهم سيمنعون الماعون. فأعرضْنا عن التماسِ شيءٍ منهم، جملةً كافيةً، وأظهرنا لهم الاستغناءَ عنهم.

واستمر القحطُ الذي ابتدأ قبل ذلكَ، فهلكت أغلبُ الدواب، وجاع أخدام البلدِ لعدمِ من يستخدمُهم، وقلّت الأقوات، فكان ذلك مما صنعه الله لهذا العمل، فإنا دعونا العمالَ إلى جلب الطينِ على رؤوسهم، من القطعة التي أخذناها، وجعلنا أوراقاً صغيرةً لها أرقام، فكل من أتى بمَرْبَشة طين (زنبيل)، أعطِي ورقةً، يحاسَب عليها ببَيْسَة (سنت)، فخرجوا هم ونساؤهم وأولادهم، يجهدون، فلم تمض مدةٌ يسيرةٌ حتى جمعُوا مقداراً عظيماً من الطين. وقال القائل: (إن أهل البلَد امتنعوا أن يجلبوا له الطينَ على ظهُور النَّشَر؛ فأتى بِهِ الله على رؤُوس البشَر).

والنَّشَر، عندهم، هي: البهائم.

وصحَّ عزمُنا على أمرٍ لم يعهدْه أهل البلد، ولم يكن فيهم من عَمِله، وهو أن نمدِّر من البئر، (التمْدير: صنع المدَر). فأمرْنا الخدامينَ بنزع الماءِ من بئرٍ عمقُه مئةٌ وعشرُ قامات، ثم بعد جفافه، ابتدأنا، فبنينا جانباً من الرباط، وانتظرنا بباقيه مجيءَ السيل.

* * *

وكان البعضُ وحزبه، لما طاشت سهامهم، وبطلت مكائدهم، قد دبّروا مكيدةً أخرى. فقد زوَّروا كتباً إلى السلطان غالب بن عوض، على ألسنةِ رؤساء القبائل، والملأ من أهل البلد، ورئيس قبيلة بامَسْدوس، بل زوروا كتباً من عدّة نساء من أهل البلد، مملوءةً بالنواح، والتغَوّث والاستصراخ، لمداركة حالِ البلد، لا تهلك، ويتقاتل أهلها، وتسفك الدماء، وإن ذلك سيكونُ لا محالةَ إن بُنيَ الرباطُ! فلما وصلت الكتبُ إلى السلطان، أجاب أهل البلد على كتابهم، وقال: «وصل كتابكم، وذكرتم........[1]. وكل مبدُوعٍ ممنوعٌ». وأرسل مثل ذلك لأميرِ البلد، الشيخ حسن ابن بدر العمودي. فلما وصلت الكتبُ، انتشرت بها الأخبار، وراح الناس بها وباتوا.

ولم يبلغنا عنها خبرٌ، حتى خرجتُ من الرباط، بعد شروق الشمس، عائداً إلى البيت، فلقيت عند بابه مكافحةً: الشيخَ محمد باصالح باداهية العمودي، وعليه أثر انزعاجٍ. وبعد السلام، وآداب اللقاء، قال لي: ياحبيب علوي! ماذا يقول الناس؟ قلت: وما يقولون؟ قال: أو أنت لا تدري؟ قلت: بماذا؟

[قال]: أوَ ما جاءكم كتاب؟ قالوا: إن لكم كتاب أيضاً. قلتُ له: ما بلغَنا شيء. قال يقولون: إن السلطان غالب منعَ الرباط، وأرسل كتابا لأهل البلد، وكتاباً للشيخ حسن. قلتُ له: ما علمنا بشيءٍ! وكأنه رأى أني لم يظهر عليَّ أثر المفاجأة بهذا الخبر.

فقال: ومالكَ هكذا؟ قلتُ له: وماذا تريد أن أعمل! ما شاء الله كان!. فقال: إن هذا منكر، تمنَع مساجد الله! ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ﴾ [البقرة: ١١٤]. ثم عاد بعد محادثة قصيرة معَه. وارتجّت البلدُ لذلك، وطالت ألسِنةٌ، وشمت أناسٌ، وتطاولتْ أعناقٌ.

---

(١) كذا في الأصل المطبوع، نقط بمقدار كلمة. (مصحح).

فلما كان عشية ذلك اليوم؛ أرسلَ إلينا الشيخ حسَن بالحضور إلى محلٍّ عيَّنه في اليوم الموعود، وأمر، فضُربَت الطاسةُ: يأمر الناس بالحضُور أيضاً. ثم بدا له، فأرسل إلينا في اليوم الثاني: أن لا داعي لحضوركم، ولكني أريد الاجتماعَ بكم خُفيةً. فواعدته بكرةً ليأتي إلى البيت، فجاء إليه، وقد تلفف في صَبيغةٍ حتى لا يعرفه أحد! وما زلتُ أعجب/ من تخوفه ذلك التخوفَ، وهو أمير!. ثم ظهر لي: أنه كان يخاف أن يشيَ به أحدٌ إلى السلطان غالب. [/٢٢٧]

فلما جلسْنا، أخذ يشكوا إليَّ الحال الذي صار إليه، وخوفَه من الله إن أجْرَى ما في كتاب السلطان، وخوفه من السلطان إن لم ينفّذ أمرَه. واستعظمَ منْعَ بناء الرباط والمسجد. وقال: إن ما تبنونه لو كانَ بيتاً مسكناً لكم لما جاز منعُه، فكيف وهو لله ولنفعِ المسلمين والإسلام، وأنا أخاف أن يكون هذا الكتابُ مفتعلاً، ليس من السلطان، ولعل البعْضَ زوّره، ولا يأتي من السلطان أن يأمر بمثل هذا.

وأخرجَ إليَّ الكتاب، وقال: افحَصه، فلعلّه مزوّر. فقرأْتُه، فإذا هو صحيحٌ، وعليه إمضاء السلطان المعروف، ولكن ليس فيه أمرٌ للشيخ حسَن بأن يمنع بناء الرباط، وإنما هو على نحو ما تقدم. ورأيتُ الشيخَ في حيرةٍ عظيمة، فهونت عليه الأمر، وقلتُ له: اجتهدْ أن تؤخّر البتَّ في الجواب على السلطان ثمانيةَ أيامٍ، ولا عليك. قال: وماذا ستعملون؟ فأشرتُ له بشيءٍ مما نريد، فاطمأنّ باله.

ثم خرجَ من عندي للمجتمع. فلما احتفل المجلسُ، قال لهم: إن هذا كتابٌ من السلطان غالب، لكم مشايخَ البلد جميعاً، فاسمعوه. فلما قرئ الكتاب، تكلم الشيخ أحمد باسعيد العسَل باطوق العمودي، وقال: إن السلطانَ يقول في كتابه: «وصل كتابكم». ولم نكن أرسلنا له كتاباً أصلاً، وليس لنا غرَض في منع الرباط، ولا ضرر علينا منه، ولا ندخل في هذا الأمر قط. وتبعه على ذلك الشيخُ سعيد الطيار،

والشيخ أحمد عيسى باسكران العمودي، واشرأبَّ غيرُهم للكلام.

ورأى قريبُ الناظر، وأعوانُ البعض: أن الأمر سيفلِتُ، فسارعوا إلى طلب تأجيلِ البتِّ في الأمر إلى ما بعد خمسةَ عشر يوماً، وكأنهم أرادوا أن يزوِّروا جواباً على لسان أهل البلد، كما زوروا الأصل. وأسرعنا بإرسال كتابٍ إلى السلطان، ووزيره الحبيب حسين، كان له أثرٌ عظيم عندهما، وكتبنا لشيخنا أحمد بالواقع، وجاء إلى البلد، وأصعد إلى دوعن، وعملنا عملاً آخر، فرّقْنا به أهل البلد عن البعض وحزبه، بإذن الله، وذهب سعيهم باطلاً، والحمد لله على تأييده ونصره.

***

ولكن لم ينقطع أذاهُ، وأذى حزبه عنا، وعن الطالبين والمتعلمينَ من أهل البلد، ففرقهم بالتهديد والوعيد لهم ولآبائهم، وتسليط الأطفال من حزبه عليهم. وأما الغرباء؛ فإنما كان يؤذيهم بخفيةٍ، مثل إغراء أناسٍ باستغفالهم، وسرقة كتبهم وثيابهم. وزادت جرأتهم: حتى سرقوا كُتُبَ الرباط، أو بعض كراريسَ أخذت للمطالعة، أو بعض أجزاءٍ من كتاب. وأخذوا قطيفةً من قطف المسجد، ففرشها في داره جهاراً، وأتلفوا مدَراً كنَّا أعددْناه لبناء المسجد، وسكتنا عن كل ذلك، لئلا يقطعنا عن العمل فيما هو أهمُّ من ذلك. ولم ينقطع عن الوعيدِ بإزهاق أرواحنا، وكان يرسل بذلكَ إلى أهل بيتنا، فمكثوا أشهرا عديدة في تخوّفٍ، وكانوا ينزعجون كلما سمعوا صوت بندُقٍ في محل قريب، وكانوا يخفونَ عنَّا ما يصلهم من ذلك. حتى اطّلعْنا على جلية الأمر، فمنعنا اللواتي يرفعْنَ تهديداتِه من المجيء إلى بيتنا.

ولما جاء عمُّنا الحبيبُ صالح بن عبد الله الحداد، من بلد نصاب، شافهه بكلامٍ فيه تهديدٌ ضدَّنا، في قضيةٍ وقعَتْ، نهيناه فيها عن منكرٍ، وأعلنَّا ذلك، وهي: الهجومُ

على محلّ بعضِ ضعفاء أهل البلد، وأخذِ أخشابه. فأخبرَنا عمُّنا بتهديده، ورأيناه منزعجاً، فخفّفنا عنه، وأريناه أنا مستعدّون للصبر في الخفيف، والمقاومة في الثقيل من الأمر، وقد بلغ السيلُ الزبى، وقد انتهت القضية بسلام، وقد رزقَنا الله السلامة والحفْظَ من كيده، ولم يبلغْه مقصداً، فللَّه الحمد والمنة.

* * *

ثم نقصت تلك الأعمالُ، بعدَ سنة ١٣٣٤ نقصاً عظيماً، بعد مجيء الحمَّى الشديدة تلك السنة، فإنها أخذتْ أكثر رؤوس البلد من أهلِ الشر، وقدموا إلى الله بأعمالهم، وأصيب عدد من حزبه بأمورٍ أوهنَتهُم، وشغلتهم، وذلك من عناية الله بالضعفاء من عباده المؤمنين به، والدفاع عنهم، وهو يتولى الصالحين، جعلنا الله منهم، آمين.

* * *

ولما قارب انتهاءُ العمل في جلْبِ الماء إلى الغيل، عاد إلى أذيّة أخي، وأتى بعراقيلَ يمنع بها إتمام ذلك العمل المبرور، والسعي المشكور. وانتهى الأمرُ بدفعِه بواسطة المصلحينَ، فدفعوه بمئتي ريالٍ أعطَوها إياه. وهذه الطريقة؛ وهي دفع الظالم بإعطائِه مالاً، هي الطريقة التي يجري عليها ذوو المناصب في الجهة، إذ لا سبيلَ لهم إلى إغاثة اللّهيف غيرُها، إلا فيما ندر.

* * *

[/٢٢٨] وقد/ حكى الحبيب علي بن حسن العطاس، قضيةً وقعت لبعض ذوي المناصب من المشايخ آل أبي وزير، غريبةً في بابها، أذكرها بمعناها. وكان هو

قد ذكرها في «مكاتبة» مرسَلة منه للنقيب بركات بن محمد القعيطي، صاحب مصنعة حورة، وصاحب الحصن الذي كان بأسفل وادي العين، كان له ولأخيه عمر ابن محمد، ولأحمد وبركات ابني أحمد القعيطي. قال فيها، بعد ما ذكر النهب الواقع من يافع، للضعفاء والمساكين بين تريم وعينات:

«إن العوابثة حاربوا السلطان علي بن بدر الكثيري، ونهبوا بقَر الزّبْدة، فركب إليهم الشيخ سعيد بن عبد الله باوزير، فوجدهم قد أجمعوا على ذبحِها، فدعَا رؤساءهم، وكانوا أربعةً، إلى جانبٍ، وكلمهم في الأمر: بأنكم إذا ذبحتم البقَر، شبع كل منكم شبعةً، وأخرجها.....[1]، فهلمّوا إلى أن نجعل لكم على الزبدة عشرين قرشاً، أنا الضمين بها، وتردّون لهم بقرَهم، ففعلوا.

فلما جاء أجَلُ تسليمها؛ جاء بها الزبدة إليه، إلى السّفِيل، فأبى أن يقبلها. وقال لهم: خذوا دراهمكم، إنا لن أهلك بدوي بعشرين قرشاً. فراجعه الزبدة، فأبى. فقالوا: خذها لنفسك. فقال: لم تَسْخَ نفسي ببدوي، فكيف أسخو بنفسي! خذوها، فلم يأخذوها إلا بعد غضَب. وعلم العوابثة بوصول الزبدة، فجاءوا في اليوم الثاني إليه، ليأخذوا الدراهم، فقال لهم: إن الزبدة جاءوا بالدراهم، وكنا محتاجين، فذهبت علينا في مطلبٍ لنا. فرجعوا. وذهب هو إلى السلطان علي بن بدر وهو بعَنَق، فلما دخل عليه قابله بغضَبٍ وعتابٍ وتأنيبٍ، كأنه ظنّ أن الشيخ إنما ردَّ الدراهم نقضاً لما كان، وسكت عنه الشيخ حتى سكن، ثم خلا به، وأخبره بجليّة الواقع، فقبل منه».

وموضع الغرابة في هذه القضية: تنزه الشيخ، وخوفه على بذْوِه من عواقب أخْذ مال الضعفاء، والفرق العظيمُ بين فعله هذا، وبين ما صارت إليه الحالُ فيما بعد، ولا تكسب كلُّ نفسٍ إلا عليها.

---

(١) نقط بقدر كلمة في الأصل، وضعت مكانها نقط...... (مصحح).

فضلاؤها

لم نجد ذكراً لأحدٍ من فضلائها، قبلَ الشيخ العارف بالله، الصالح المفتوح عليه بالفتح الرباني، سعيد بن عيسى بن أحمد العمودي الصوفي، أحد شيوخ الصوفية في الجهات الدوعنية، وأشهرهم وأقدمهم. وكانت البلدُ قبله خاملةَ الاسم، فلم يذكرها الحسن الهمداني، ولا غيره، وذكرها صاحب «القاموس» فغلط فيها، وجعلها مقابلةً للهجرين، فظنّ أنها هي: خيدون، بالخاء.

فأول من اشتهر بها واشتهرت به، هو الشيخ سعيد. وقد ذكره في «النور السافر» [ص ٣٥٢] استطراداً، وذكره صاحب «المشرع» [١١/٢]، وفي «شرح العينية» [ص١٦٧]، وفي «الجوهر الشفاف» للخطيب، وذكره الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي في «تاريخه» وفي «روض رياحينه» [ص٣٣٥]، والإمام العارف بالله، المسند الحبيب، عيدروس بن عمر الحبشي، العلوي الحسيني، في «العقد» [١١٤٧/٢] و«المنحة» [ص٢٣٢]، وغيرهم من الناقلين عن صاحب «المشرع» في كتبه مثل صاحب «خلاصة الأثر»، وغيره. والشيخ أحمد الشَرَجي صاحب «طبقات الخواص» [ص ١٤٥]. ووقفتُ على مناقب له ألفها أحدُ آل باعكابه، ذكر فيها كراماتٍ له، ولم يتعرض لما سوى ذلك، وخالف من تقدّمه في نقطةٍ لم يذكر لها مستنداً.

وبلغَنا عن «مناقب كبرى» للشيخ سعيد، كانت نسخةٌ منها موجودةٌ عند صاحب المقام ببضّه، وفيها غرائب، وحكاياتٌ لا توافق مشرب الذين صاروا نواصبَ وخوارجَ في زمننا هذا من آل العمودي.

وكان وصول الخرقة إليه من الشيخ العارف بالله، الصوفي، المسلّك الشهير، أبي مدين شعيب بن الحسين التلمساني المغربي، المتوفّى سنة ٥٩٠، وقد ناهز الثمانين.

وذكر أبو العباس، أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرَجي الزبيدي الحنفي، في كتابه «طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص»: أن بين الشيخ أبي مدْيَن المغربي وبينه رجلان، والذي ذكره صاحب «الجوهر الشفاف» و«المشرع الروي» و«النور السافر»، ومَن بعدهم، وذكره باعكابة: أن الرَّجُلين اللذين بينه وبين الشيخ أبي مدين، إنما كانا سفيرَين وواسطتين، وهما: الشيخ عبد الله الصالح، رسول الشيخ عبد الرحمن المقْعَد، وهو، أي المقعد، رسولُ الشيخ أبي مدْيَن.

قال في «النور السافر»/: «وبنو العمودي أهلُ صلاحٍ وولايةٍ، اشتهر منهم [/٢٢٩] جماعة بالعلوم الظاهرة، ومقامات الولاية الفاخرة. ويقالُ: إن نسبهم يرجع إلى أبي بكر الصديق، رضي الله عنه. وأما خرقتهم ترجعُ إلى الشيخ أبي مدين المغربي، رضي الله عنه، فإن جدّهم الشيخ الكبير، والعلم الشهير، تاج العارفين، ومربي المريدين، الشيخ سعيد بن عيسى العمودي، قدس الله روحه، أخذَها عن الشيخ عبد الله الصالح، رسولُ رسولِ الشيخ أبي مدين. فهي كخرقة قطب العارفين، وإمام الأولياء المتمكنين، الشيخ الفقيه محمد بن علي، مقدم التربة.

وحكي: أن الشيخ أبا مدين أرسل تلميذه الشيخ عبد الرحمن المقْعدَ من المغرب، نائباً عنه، وأمره بالذهاب إلى حضرموت. وقال له: إن لنا أصحاباً، سر إليهم، وخذ عليهم عقدَ الحكم. وأخبره: أنه سيموتُ في أثناء الطريق. فكان كذلكَ، ومات بمكة المشرَّفة، ثم أرسل تلميذَه الشيخ عبد الله الصالح، كما أمره شيخُه. وقال له: اذهب إلى حضرموت، تجد فيها الفقيهَ المقدَّم محمد بن علي، يقرأ على الفقيه علي بن أحمد بامروان، وسلاحُه على رجليه موضوعٌ، فاطلبه من عنده، وحكّمه. ثم اذهب إلى قيدون، تجد فيها الشيخ سعيد بن عيسَى العمودي، فحكّمه.

فلما قدم إلى تريم، وجد الفقيه بتلك الصفَة التي ذكرها شيخُه، ففعل ما أمره،

وذهب إلى قيدون، كذلك. وكان الشيخ سعيد أحد كبارِ مشايخ حضرموت، مشهوراً بالولاية الكاملة، والكرامات العظيمة، وكان كاملاً مربياً، مسلِّكاً. وبه انتفع الشيخُ أبو معبد، وغيره. وله في ناحيته ذرية مباركة، وأتباع، وزاوية لهم مشهورة». ثم ذكر أنه توفي سنة ٦٧١، وأما صاحب «طبقات الخواص» فلم يعين سنة وفاته، ولكنه قال: وفاته فيما بين الستين والسبعين وستمئة، والصواب: ما قاله صاحب «النور السافر».

[سند المؤلف في السلسلة العمودية]

وقد اندرس سندُ خرقتهم، فلا يوجد فيهم اليوم من يسندها من طريق آل العمودي وإنما السندُ المشهور الباقي: هو ما كان من طريق السادة الأشراف العلويين، إلى الشيخ سعيد. وأنا أرويها عن شيخنا الحبيب أحمد بن الحسن العطاس، وناولني كتاب «أبواب السعادة وسلاسل السيادة»، للسيد العلامة، المتفنن المتبحر، الفقيه النحوي، اللغوي الصوفي، محمد مرتضى الزبيدي الحسيني. وهو[1] ويرويه عن شيوخه الكثيرين، كالحبيب أحمد بن عبد الله البار، والحبيب أحمد بن محمد المحضار، والسيد أحمد زيني دحلان، والسيد هاشم بن شيخ الحبشي. كلهم عن الكزبري.

ح وأرويه عن الشيخ عمر بن عثمان بن محمد باعثمان، عن الشيخ عبد الرحمن الكزبري الصغير المذكور. ح وعن شيخنا، عن السيد محمد بن عبد الباري الأهدل، والسيد حسن بن عبد الباري الأهدل، والسيد عمر بن حسن الحداد، والشيخ المعمر عبد الله بن حسن العمودي، كلهم: عن السيد المسند عبد الرحمن بن سليمان الأهدل.

كلاهما؛ أعني الكزبريَّ، والسيد عبد الرحمن الأهدل: عن السيد محمد مرتضى.

---

(١) أي: الحبيب أحمد بن حسن العطاس. (مصحح).

وهو قد رفع سنده في كتابِ «أبواب السعادة» المذكور، فقال في (حرف العين): «**العمُودية**: منسوبةٌ إلى القطب الإمام أبي عيسى، سعيد بن عيسى العمودي البكري. أخذتها عن شيخنا السيد العيدروس، (يعني به: السيد عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس)، عن السيد عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه، عن والده، عن الصفي القشاشي، عن أبي المواهب أحمد بن علي بن عبد القدوس الشناوي، عن والده، عن المحقق شهاب الدين أحمد بن محمد بن حجر الشافعي، عن السيد الشريف القطب عبد الله بن شيخ العيدروس، عن عمه أبي بكر بن عبد الله العيدروس، عن والده عبد الله بن أبي بكر، عن والده الإمام الكبير، عن الشهاب أحمد بن محمد العمودي المتوفى سنة ٨٦٥، عن أبيه محمد، عن أبيه عثمان، عن أبيه أحمد، عن أبيه محمد، عن أبيه عثمان، عن أبيه عمر، عن أبيه محمد، عن أبيه القطب صاحب الطريقة، عن الفقيه المقدَّم، مقدم التربة، وقد تقدم إسناده». اهـ.

أقولُ: هكذا ساق الإسنادَ السيدُ محمد مرتضى الزبيدي. ومع إقرارنا بأنه أسنَدُ المتأخرين، **فإن هذا الإسنادَ غلطٌ بلا شكٍّ**. فإن الآخذَ عن الشيخ أحمد بن محمد العمودي: هو السيدُ الشريف أبو بكر بن عبد الله العيدروس بن أبي بكر السكران بن عبد الرحمن السقاف، كما ذكره في «الجزء اللطيف» [ص٤٨٣].

وكان وفاة العارف بالله أبي بكر السكران سنةَ/ ٨٢١، ووفاةُ ابنه الإمام [١/ ٢٣٠] القطب عبد الله العيدروس سنة ٨٦٥، وتوفي الإمام السيد أبو بكر العدني بن عبد الله العيدروس سنة ٩١٤، وهو الذي أخذَ عن الشيخ أحمد بن محمد العمودي.

[سندٌ آخر للخرقة العمودية]

وهناك سندٌ آخر، وهو: أن السيد عبد الله بن أحمد بلفقيه، المذكور في سلسلة السند، أخذ عن الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن العمودي، المكنى أبو ستّ، وهو عن

شيخه باجمال، وعن آبائِه بسندهم، إن صحَّ له سندٌ إليهم. وعن السيد العلامة الفقيه، أبي بكر بن محمد بافقيه، صاحب قيدون، عن الشيخ عبد الله المذكور. والسند إلى السيد أبي بكر مذكورٌ في «عقد اليواقيت» [٢/ ٨٧٦]، فليراجعه من أراده.

وأما قوله: «عن الشيخ سعيد، عن الفقيه المقدم محمد بن علي»، فإن هذه طريقٌ من طرق الإسناد، والطريق المشهورةُ في إسناد هذه الخرقة: عن الشيخ سعيدٍ، عن أبي مدين، وهكذا، ذكرها في «الجزء اللطيف» [ص ٤٨٣].

[قبر الشيخ سعيد في قيدون]

وضريح الشيخ في بلد قيدون، بين التربة والمسجد، وكلاهما منسوبٌ إليه، وعليه قبةٌ لطيفة، يظهر أنها بنيت عليه في السنة التي بنيَ فيها قسمُ المسجد الأوسط، وهذا القسمُ قد جلبوا له الصنَّاع، فيما أظنّ، من صنعاء. ولا يزال محرابه قائماً، تركوه تبركاً، وعلى جوانبه آية النُّور وما يليها بالخط الكوفي.

ثم جُعل لقبره تابوتٌ صغير، في أواسط القرن الثامن، قام بإعداده له أحد آل باشميلة، ولم يحضرني الآن تاريخُ ذلك بالتفصيل، ولا اسم باشميلة، والقائم بمنصب الشيخ في ذلك الوقت، وهو في مجموعٍ مسوَّداتٍ في البلد، لم يمكنني الإتيان بها، للعذر السابق. ثم جعل على التابوت الصغيرِ: تابوتٌ كبير. ومما يلي الغرب عن ضريحه: مربعان خشبيان، عليهما كتابةٌ ضعيفة، لم نستطع قراءتها. والمشهور على الألسنة: أنهما الأحمدان، والعثمانان. أي: أحمد وأحمد، وعثمان وعثمان.

ولعل أحد الأحمدَين؛ هو: الشيخ العارف بالله، أحمد بن عبد الله العمودي، تلميذ الإمام القطب عبد الرحمن السقاف. والآخر: الشيخ الصالح، أحمد بن محمد، والد الشيخ عمر بن أحمد، صاحب الشُّعْبة، ويعرف بأحمد الأخير. فرقاً بينه وبين أحمد بن محمد بن عثمان، ويعرف بالقديم. وربما كان هذا أحدَ الأحمدين، فالله أعلم.

وهو الذي أخذ عنه الإمام أبو بكر العدني العيدروس، والشيخ عبد الله بن أحمد بامخرمة، الفقيه المشهور.

وأما العثمانان؛ فإن فيهم: **عثمان** بن عمر مولَى خَضَم، والد الشيخ محمد بن عثمان. وحفيده **عثمان** بن محمد بن عثمان، جد الشيخ عبد الله الذماري. **وعثمان** بن أحمد القديم. **وعثمان** بن أحمد بن عثمان بن أحمد القديم، الفقيه المشهور، الذي أحيى الفقه بدوعن وحضرموت. **وعثمان** بن أحمد الأخير، أخو الشيخ عمر صاحب الشُّعْبَة، وقد تقدم ذكره.

ودفن جنوبيَّه: الشيخ عمر بن عبد القادر، تلميذ الحبيب عبد الله الحداد. ويليه: ابنُه، الشيخ عبد الرحمن بن عمر، وكلاهما عليه تابوتٌ. ويليهما: تابوتٌ آخر. ولعله للشيخ الصالح، محمد بن عبد الله العمودي، أحد تلاميذ الحبيب الحداد، فإن الحبيب محمد بن زين بن سميط ذكَر [«بهجة»: ص٢٤٣]: أنه قُبِر قريباً من الشيخ سعيد، وبني عليه قبةٌ لطيفة. وسمعنا من يقول: إنه للشيخ عمر بن عبد الرحمن بن عمر بن عبد القادر. وشرقي قبر الشيخ: تابوت لطيف، للشيخ المتنسّك، أحمد بن عبد الرحمن بن عمر بن عبد القادر، وهو الذي أدركَ الحبيب الإمام عمر بن أبي بكر الحداد، وصحبه، وأخذ عنه.

وهناك قبور أخرى.

سيفُ الفَقيه المقدَّم

كان سيفُ الفقيه المقدم، محمد بن علي بن محمد صاحب مرباط بن علي خالع قسم بن علوي بن محمد بن علوي بن عبد الله بن أحمد بن عيسى المهاجر؛ قد صار، كلُّه أو نصفه، إلى صاحبه الشيخ سعيد بن عيسى، وقُبْعُه، وهو تاج الصوفية المتداوَل عندَهم في لباس الخرقة، وأحسب أن عكازَه أيضاً صار إليه مع السيف والقُبْع. فأما القبعُ والعكّاز؛ فهما عند القائم بمنصِب الشيخ سعيد.

وأما السيفُ فلا أدري متى أُلصِقَ بتابوت الشيخ سعيد. ولعله كان موضوعاً في محل بجانب قبر الشيخ، فلما جُعل له التابوت الصغير، ألصق به، ثم لما وضع عليه التابوت الأعلَى، نُقِل السيف فألصق به، وجعل له منفذٌ صغير/ يدخِلُ الناسُ منه [/٢٣١] أصابعَهم، فيلمسونه تبركاً. وهو سيفٌ رقيقٌ، أبيضُ الحديدِ، مكسورٌ نصفين. قيل: إن نصْفَه الآخر كان موضوعاً على قبر سيدنا الفقيه، كسره سيدُنا الفقيه المقدّم بعد ما دخلَ طريقَ الصوفية.

سبَبُ كسْرِه

محل البحث في هذا سيأتي، ولكنه نذكر كلاماً للحبيب علي بن الحسن العطاس في الموضوع، ذكره في كتابه «القرطاس»، نذكر هنا بعضاً منه: «إن الله سبحانه وتعالى أطلعه على أنهم [أي: ذريته] سوف يكثرون بالجهة الحضرمية، ودولتها وقبائلها، وأهل الشوكة فيها، كلهم على غير قانون الشريعة، فإنهم يقتلون البريءَ بالمجرم، ويأخذون مال البريءِ بذنب غيره، حتى رأيتُ أمْرَ السلطنة والقبْولة من المشْقَاص إلى الطَّرِيّة، ومن الساحل إلى مأرب؛ جميعَه مبنيٌّ على نار جهنم، لأنه مخالف قانون الشريعة، وموافقٌ لأمر الجاهلية الجهلاء، فلو حمل السلاحُ أولاد سيدنا الفقيه المقدم في حضرموت، لكان منهم لأنفسهم الهلاك، ولصاروا أعظم ذنباً من غيرهم، كما وقع فيه من خالفَ هدْيَ سيدنا الفقيه المقدم من أولاده وذويه»، اهـ.

سبَبُ مصير ذلكَ إلى الشيخ سعيدٍ

يحتمَلُ أن الفقيه أعطاه ذلكَ عند قرب وفاته، وربما أوصَى له على عادة الصوفية في إعطاء شيءٍ من اللبَاسِ، أو نحوه، للمريد المرشَّح للمشيخة، وحيازة

السرّ، كما فعل شيخُهما الشيخُ عبد الله الصالح في تركته، وهي: سبحة، وعكّاز، وقِدْر، ومِشْعل، وبسطَة، ودِلْق. فخرجت السبحةُ والعكّاز للفقيه المقدم، والقدر والمشعل للشيخ سعيد، والبَسْطة لباحُمْران، والدِّلْق لبَاعَمْرو.

خِزَانةُ آل باعلوي

في «المناقب الكبرى» للشيخ سعيد كلام مبسوطٌ عن الصحبة الواقعة بين الشيخ سعيد والفقيه المقدَّم، والامتزاجِ بينهما، وما دعَا له به الفقيه، وكيف صار إليه السيفُ وما معه. وقد سمعنا من شيوخ آل العمودي شيئاً من ذلك، ولا حاجة بنا لذكره، ولا سيما أن النصْبَ والخارجيةَ قد دبَّ داؤها إلى بعض آل العمودي، وذكر ذلكَ مما يتضررون به، ويزدادون معه شرًّا.

ولكن من المشهور عندهم: تلقيب الشيخِ سعيد بقولهم: (خِزَانة آل باعلوي)، يشيرون بذلك إلى ما صار إليه من تراثِ الفقيه وسرِّه، وما حازه ببركة صُحْبته، حتى قال الحبيب الشهير جعفر بن أحمد بن زين الحبشي، في قصيدةٍ مدَح بها الشيخ:

فيهِ مكنونُ سرِّنا آلِ عَلْوي أخبرَتْنا بذا الثقاتُ شِفَاهَا

إبقَاءُ السيفِ وما معَه عند آل العمُودي إذا تغيَّروا

يخطر ببالِ بعض العلويين: كيفَ يصير الحالُ إذا اجتمع آل العمودي على النصْبِ والخارجية، هل يحسُن إبقاءُ السيفِ والقبع والعكّاز عندَهم؟ أم يطالَبون بتسْليمِه فينقلُ إلى تريم! والذي يتبادَر إلى القلبِ: أنهم لن يجمعوا على الخارجيّة، إن شاء الله، بل سيبقى منهم عدَدٌ كافٍ على مذهب أهل السنة والجماعة، يحفظون هذا التراث، إلى أن يأتي موعودُ الله بقطْعِ عرقِ الخوارج، لما ورد في الحديث في

الخوارجِ: «**كُلَّما خرجَ منهم قرْنٌ قُطعَ، حتى يكون آخرُهم خرُوجاً مع الدجَّال**» [تقدم]، وقد ظهرت في هذا الزمان علاماتُ قربِ خروجه، ولله الأمرُ من قبل ومن بعدُ.

[ذرية الشيخ سعيد العمودي]

وظهر في ذريته فقهاءُ وصُلَحاء لم نسمع أن أحداً اعتنى بتراجمهم، وقد تقدم في ترجمة الشيخ أحمد بن محمد باشميل: أن له مؤلفاً في «تراجم العمُوديين»، ولكنه فُقِد[1]، وإنما بقيتْ بعضُ تراجِمَ في مؤلفاتِ السادة الأشرافِ العلويين فإنهم/ ....[2]. [/ ٢٣٢]

[أعلام قيدون]

[الشيخ عثمان بن محمد العمودي]

.... إلى الشيخ عثمان المذكور، عن طريق مسند حضرموت، الإمام العارف بالله، الحبيب عيدروس، كما ذكره في سلاسل الاتصال، بسنده، إلى الإمام المتفنن، السيد الشريف، محمد بن أبي بكر الشلّي، صاحب «المشرع» و«الجواهر والدرر»، وغيرهما من المؤلفات النافعة، بحق أخذه عن السيد الإمام عقيل بن عمر ابن عبد الله، الشهير بعَمْران، يأخذه عن الشيخين الجليلين، الإمامين العلامتين، زين العابدين وشيخ ابني عبد الله بن شيخ العيدروس، بأخذهما عن الشيخ الإمام محمد ابن عبد الرحمن سراج الدين باجمال.

---

(١) وللشيخ محمد بن علي زَاكِن باحنان (ت ١٣٨٣هـ) وهو معاصِر للمؤلف، كتاب لم يطبعْ بعدُ عن أعلام آل العمودي، عنوانه: «بشرى المتقبين عن مجد العموديين».

(٢) هاهنا يوجد سقط ٣ صفحات، لم يتم العثور عليها، وهي: ص ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، على التوالي. (مصحح).

وله إجازةٌ أجاز بها السيد الشريف زين العابدين المذكور، ذكر فيها الشيخ عثمان صاحبَ الترجمة، نثراً ونظماً، فنقتطف منها ما يأتي، ليكون تكملة لترجمته، قال:

«وبعد؛ فإن العلم بحرٌ زخّار، لا يدرَكُ له قرار، وطود شامخ لا يسلك إلى قُلّتِه ولا يصار، وهو مفتاح خزائن العوارف، ومصباح أرواح المعارف. أنواعُ المطالب فيه محصّلة، وأقسام المقاصد فيه مفصّلة. وهو العلمُ بالأحكام الشرعية، والعبادات القالَبية والقَلْبية. وفائدتُه: امتثال الأوامر واجتناب النواهي. وغايته: انتظام أمر المعاش والمعاد. وقد ورد فيه من الآياتِ والأخبار، ما يحمل من له أدنى نظرٍ إلى كمال وفخار، على استفراغِ الوُسْع في تحصيله مع الإخلاص فيه. لكن لا يوجد كماله، ولم يحْظَ بمناله، وتجلّي جمالِه، إلا من حضَرات الوارثين، وحمى العارفين، لا سيَّما علماء أهل البيت الأطهر، وحائزو سرِّ بضعته الأكبر، الممنوحون منه بما تقصُر الألسنة عن بلوغ مَداه، وتعجز العقولُ عن إدراك غايته وعلاه، وقد عمَّ العالم نفعُهم الواسع، وغيثُهم الهامع. إذ قرنهم الحقُّ بالكتاب الأكبر، وجعل في بقائهما والقيامِ بهما انتظامَ شمل الدين ولا فخر.

وكان دوحَة تلك الشجرة الطيبة، وتاج الطائفة العلوية، ورأس العصابة العيدرُوسية، من فاق أقرانَه علماً وزهداً، وحالاً ومقاماً، ورُشداً وأخلاقاً. حكت أخلاقُه أخلاقَ آبائه الكرام، مصابيح الظلام، السيدُ السند، الولد المولى، زين العابدين علي بن الشيخ القطب الجامع ركن الدين، وغياث المسلمين، عبد الله بن شيخ بن عبد الله بن شيخ بن الشيخ عبد الله العيدروس، قدس الله روحَه، وأرواح بنيه، وآبائه وذويه. فشرفَ الله خاطري، وأقرَّ ناظري، بقراءته عليَّ جميعَ كتاب «الإرشاد»، للإمام شرف الدين، إسمعيل بن أبي بكر المقري، رحمه الله تعالى، وأكثرَ «منهاج النووي، نفع الله به، وبعْضَ منظومتي التي سميتها «هداية العباد بمنظومة الإرشاد»،

و«شرح منظومتي في النكاح»، مع البحث والتحقيق، بمراجعة الكتب المفيدة. وطلب مني الإجازة في ذلك، وفي سائر مقروءاتي وإجازاتي، مما تجوز لي روايتُه، فأجزته في جميع ذلك، لعلمي بأهليته لما هنالك، بشرطه المعتبر عند أهله.

بحقِّ روايتي له، عن الشيخ العلامة، الولي العارف، بإجماع علماء زمنه، شيخي والدي، رحمه الله ونفع به. وعن شيخنا الفقيه، الخبير المحقّق، علي بن علي بايزيد، رحمه الله. وهما أخذا عن جماعة من العلماء المعتبرين، من أجلهم: الشيخ الصالح، عمدة حضرموت عثمان بن محمد العمودي، عن شيخ مشايخ حضرموت، الفقيه عبد الله بلحاج بافضل، عن عمر الفتَى، عن الشيخ المصنِّف، إسماعيل المقري، رحمهم الله ونفع بهم.

فعددتُ ذلك من أعظم نعَمِ الله تعالى عليَّ، إذ ساقني لإقراء هذا السيّد، وأكون على باله، فيلحظني بعين إقباله. أدام الله تعالى علينا خوارق محبتهم، التي بصدقها، إن شاء الله تعالى، ينظمني في سلكهم، ويحشرني في زمرتهم». إلى أن قال: «وكلُّ ما حصل لي إن كان شيءٌ من علم وعملٍ، إنما هو في بركاتهم، وإمدادهم ولحظاتهم».

ثم قال في القصيدة التي أنشأها عند ختم الكتاب المقدم ذكرُه، في عاشر رمضان المعظم، سنة ١٠٠٦، بعد أن أثنى على السيد زين بنحْوِ ما تقدم، قال:

وقَد أجزتُك في كلِّ العلومِ ومَا	قرأتَ عندي تفصيلًا وما جُمِلا
جميعَ «الإرشاد» للمُقري وأكثرَ «مِنـ	ـهاج» النواويْ ومنظومَي الذي فضلا
كما قرأتُ على شيخي الفقِيه ووَا	لِدِيَ الفقيهِ الإمامِ العارف البطلا
وشيخُنا ابنُ يزيدِ مفـرَدٌ علَمٌ	عَن العموديِّ عُثمانَ الولي البَدلا

[/٢٣٦] / . اهـ. وهذه القصيدةُ، وإن كان فيها لحنٌ، فإنما قصَدْنا بإيرادها: ما فيها من الثناء على السيد زين، وصاحب الترجمة، الفقيه عثمان بن محمد العمودي.

[الشيخ أحمد بن عثمان العمودي]

ومنهم: ابن المترجم قبلَه، ترجمه في «النور»، فقال [ص ٣٥٠]: «وفي يوم السبت؛ إحدى عشر شهر المحرم، سنة خمسٍ وستين، [أي: بعد التسعمئة]: توفي الشيخ الكبير، والقدوة الشهير، الولي العارف بالله تعالى، الإمام العلامة، شهاب الدين، أحمد بن الفقيه عثمان بن محمد بن عثمان بن أحمد بن محمد بن عثمان بن عمر بن محمد، ابن الشيخ الكبير الولي المربي، سعيد بن عيسى بن أحمد الشهير بالعمودي، بتعز. وكان من كبار أهل العلم، وأهل الفتيا والتدريس، مع الورع التام، والزهد العظيم، والإقبال على الطاعةِ، وكثرة العبادة، والسلوك على نهج السلف الصالح، ولزوم الخمول، وترك ما لا يعني، والإحسان الدائمِ إلى الفقراء والمحتاجين، والطلبة والملازمين. وكان مع ذلك؛ من أهل الولاية العظيمة، والتصريف النافذ في الوجود. وقيل: إنه كان يعرف اسم الله الأعظم، وكان ينفق من الغيب، وكانت الباشَواتُ تعظّمه، وتخضع لهيبته.

وكان من محفوظاته: «الإرشاد» في الفقه. وكانت تجيء إليه الفتاوى من البلاد البعيدة، فيجيب عنها. وكان وليَ مدرسته بتعز. وكان ينفقُ جميع ما يصير من وقفِها على الفقراء والطلبة، ولا يمسك منه لنفسه شيئاً، ولم يزل على ذلك حتى مات. وبالجملة؛ فإنه كان أوحدَ عصره علماً وصلاحاً، ولم يخلفه بعدَه مثلُه. وكانت ولادته بزبيد، وما وقفتُ على تاريخ مولده، إلا أنه ماتَ وهو ابن خمسين سنةً تقريباً، وبنيت عليه بعد موته قبةٌ عظيمة، رحمه الله تعالى.

[الشيخ عمر بن أحمد العمودي]

ومنهم: الشيخ العلامة، الفقيه الصالح، عمر بن أحمد الأخير بن محمد بن عثمان، إلى آخر النسب. ترجمه في «السنا الباهر» [ص ٣٥٧]، وترجمه في «النور

السافر» [ص ٣٦٠] أثناء ترجمة ابنه الشيخ عبد الرحمن، الآتي ذكره، فقال: «وكان والده الشيخ عمر، نفع الله به، من كبار أهل العلم. وكان يدرس ببلده قيدون، ويفتي بها. وحُكيَ: أنه ارتفع إليه اثنان في دعوى، وكان أحدهما على الحق، والآخر على الباطل، فأشار عليهما الشيخ أن يصطلحا، ستراً للحال، فأبى ذلك الرجل الذي كان مبطِلاً، وقال: لا أرضى إلا بحكم الشرع. فغضبَ الشيخ عند ذلك، وقال: أما إذا كان هكذا، فشهودُ الملاحِف لا يجوزون عندي. وكان ذلك الشخصُ أعطى اثنين، كل واحدٍ ثوباً، حتى يشهدا له، فكاشفه الشيخ بذلك.

وحُكيَ: أنه دخل عدن في زمان الشيخ أبي بكر العيدروس، فأضافه الشيخ، وبالغ في ذلك، فلما رأى الشيخُ كثرةَ ما صنع، خطر في قلبه: إن هذا إسرافٌ. فالتفتَ إليه الشيخ أبو بكر عند ذلك، وقال: أكرمناهم، قالوا إسراف! فقال الشيخ عمر عند ذلك: أستغفر الله. ولم يعلم الحاضرون بشيء من ذلك، حتى حكى لهم الشيخُ عمر بخاطِره الذي خطر له، وكاشفه الشيخ به. وحكَى ولدُه الشيخ عبد الرحمن العمودي، رضي الله عنه: أنه كان في مجلسٍ، وفيه جماعة من أهل الكشف، فصدر من أحدهم سوءُ أدبٍ، فعوقب عليه ذلك الرجلُ بالسلب في الحال.

وحُكيَ: أن الشيخ عمر، رضي الله عنه، بلغ رتبة القطبية. وكان قد ولي المشيخَة ببلاده قيدون، بعد أبيه، على طريقة سلفه، فلما آل الأمرُ في ذلك إلى سفكِ الدماء ونحوه، ورجوع أمْرِ تلك المرتبة إلى قوانين الملْكِ، ترك ذلك، وعزل نفسَه زهداً فيها، ورغبةً فيما عندَ الله من الثواب، وكان في زمنه يسوسُ الخلقَ إلى قوانين الشرع الشريف، ولا يحابي في الحق القويَّ على الضعيف، فكرهته العامة لذلك، وعزموا على أنهم يقتلونه، ويولُّونَ مكانه أخاه عثمان. فأخبره بذلك، فقال: ما يحتاج إلى هذا.

وتركهم وما يريدونَ، وعزم إلى مكة المشرفة. فلما قفل منها، مات بالقنفُذَة، وقبره بها مشهورٌ، وعليه بناء عظيم، رحمه الله تعالى. وقيل: إنه دعا عند ذلك عليهم، أن الله يبتليهم بسبعٍ مثل سبع يوسف، فاستجاب الله ذلك، فمنعوا القطر هذه المدّة، حتى أقحطت الأرض، ولاقى الناس بسبب ذلك شدةً عظيمةً. وكان صاحب الترجمة وأبوه هذا يكرهان ما يفعله بنو عمّهم من حمل السلاح، ونحوه. وكانا ينكران عليهم أشدَّ/ الإنكار، أعاد الله علينا من بركتهما في الدارين، آمين. [/٢٣٧]

وكانت وفاتُه في هذا القرن، ولم أعلم تاريخه، ولهذا لم أترجم له، كما وقع لي في غيره، وقد ذكرت السببَ في ذلك، وإلا فهو حريٌ بأن يذكر على الاستقلال. كيف! وهو أحد من تنزل الرحمة عند ذكره، وهو غنيٌ بفضله وشهرته، عن الإطناب في أمره وترجمته». اهـ. كلام صاحب «النور».

وذكر غيره: أنه كان ينفق من وارد الزاوية على مئةِ متجردٍ، منهم ستون طلبة علم، وأربعون حفظةَ قرآن. وكان يسعى في الإصلاح بين أمراء القرى، فقد تشفع لأمراء تَولبه إلى السلطان بدر، حتى يتركهم على مالهم، ولا إمرةَ لهم.

ولما جاءت الأخبار أن الإفرنجي سيهاجم الشحر: طلع في شهر صفر، سنة ٩٣٤، إلى الشحر، ومعه جماعة من فقهاء قيدون، وجماعة من أولاده وأقاربه، بنية الجهاد. وذلك: أن الإفرنجيَّ وصل إلى المشْقاص في أربعة عشر خَشَبةً، وتخوّف أهل الشحر من وصوله، فصرفه الله عنهم، وكفى الله المؤمنين القتال. ذكر ذلك السيد بافقيه الشحري في «تاريخه» [ص١٨٦]. وحكى: أنه مكث سبع ليالٍ في الجبل المشرف على بلد قيدون، ينتظر منهم التوبة والأوبة، فأقطَعُوه جانب الإعراض، فدعا عليهم بسبع سنين، ثم ذهب إلى بلد الشُّعْبة، وتدبّرها ابنه عبد الرحمن برهةً، ثم ذهب إلى مكة، ومات بها، كما سيأتي.

[مكتبة الشعبة]

وأما كتبهم؛ فبقيت في الشُّعْبة، في موضع يسمى الخزانة. ولهم تنافسٌ مبنيٌ على التسامي بينهم، وعلى اعتقادٍ غير صحيح. وقد عاثَتْ الأرضَةُ في تلك الكتب حتى أتلفتها، ولما جئتُ إلى الشُّعْبة سنة ١٣٢٦، أو ١٣٢٧ : فتحُوها لي، وقام منهم ثلاثةٌ متقاطرون، يأخذ أحدهم الكتابَ فيناوله الآخر، ثمّ يناولنيه الثالثُ. ومما رأيتُه: «حُسن النجوى فيما لأهل اليمن من الفتوى»، جمعه الشيخ عبد الرحمن، الآتية ترجمته. و: كتابٌ في الأذكار. و«شرح البهجة»، بخط جميل، وعليه «تقريرات» الشيخ عبد الله بن الحاج بافضل. و«شرح الدميري على المنهاج»، ولعل الأرضة قد أتلفتْ بعض أجزائه، وهو الذي يقال: إن الشيخَة العالمة الفقيهة، خديجة، بنته، قد نسخته، وقالت في آخره: «ليعذُرْني من وجد فيه سقطاً أو غلطاً، فإني نسخته وأنا مرضعٌ»، أو كما قالت. ويقال: إن ذريته هم من ولده محمد، وإن الشيخ عبد الرحمن ماتَ منقرضاً، والله أعلم بالحقيقة.

[تعقيبٌ]

وقوله: «إن عامة أهل قيدون همّوا بقتل الشيخ عمر»، ليس ببعيد. فإن في طباعهم بعدٌ عن الخير، ومنافرةٌ لأهله، وبغضٌ لهم، لا جرَم استجابَ الله لهم فعمّهم بالقحط سبع سنين، ثم سلط عليهم السلطان بدر ومن معَه من وُحوش البوادي، والإفرنج؛ فأخرجوهم من ديارهم، كما أخرجوا الشيخَ عمر، وأخلوا بلد قيدون منهم، ونهبوا ما عندهم من صامتٍ وناطقٍ، وأذاقوهم العذاب ألواناً، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾.

* * *

وإلى المترجَم ينسب بناء الجانب القبليّ من المسجد الجامع، وقد نقِشَ على إحدى سواريه: سنة ٩٣٩، فهو قد أكملَ بعد هجرته من قيدون. ولعل من جملة ما أنكروه عليه: بناء المسجد، كما أنكروا علينا بناءَ الرباط والمسجد!. فذلك وأشباهُه ما ينكرون!

[الشيخ عبد الرحمن بن عمر العمودي]

ومنهم: ابنُه، الشيخ عبد الرحمن، ترجمه في «النور»، فقال [ص ٣٥٨]: «وفي يوم الجمعة، تاسع عشرين من رجب الحرام، سنة سبع وستين [أي: بعد التسعمئة]: توفي الشيخ الكبير، والولي الشهير، قدوة العارفين، وحجة الله على السالكين، وجيه الدين، عبد الرحمن بن الشيخ عمر ابن الشيخ أحمد بن محمد بن عثمان بن محمد. وهو الذي يلتقي فيه نسبه مع ابن عمه الشيخ أحمد بن عثمان، الذي تقدم ذكره، بمكة المشرفة، ودفن بالمعلاة. وكان من الأولياء الصالحين، والمشايخ العارفين، كثير العبادة والاجتهاد، عظيم الورع والزهد، والمثابرة على الأعمال الصالحة، مع الاشتغال بالعلوم النافعة، لوجه الله تعالى. وكان مشاركاً في كثير من فنونها، وكان يحفظ «الإرشاد» في الفقه.

ومن مشايخه: الشيخ أبو الحسن البكري، والشيخ الحافظ شهاب الدين ابن حجر الهيتمي. وما أحسن قول الشيخ عبد القادر الفاكهي فيه حين ذكر أنه أخذ عن الشيخ ابن حجر: «أخذَ عنه روايةً،/ أخذ شيخ عن شيخ، كما قيل في أخْذ أحمد عن الشافعي». ثم قال: «ولعمري إن شيخَنا العموديَّ هو أجل من أن يقال في حقه بعد انتهائه: تلميذٌ، ويطلق، وإن جلَّ الشيخُ، يعني: ابن حجر. وحسبك بما أشرتُ إليه: التشبيهَ في أخذ أحمد عن الشافعي، فإنه بديع يدريه أهله، إذ فيه توقيرٌ لمنصبِ المشبَّهِ والمشبه به». انتهى. ومن تصانيفه: «حاشية على الإرشاد»، وكان أراد محوَها، فمنعه الشيخُ ابن حجر من ذلك. ومنها: «النور المذْرور». [/٢٣٨]

وكان كثير التعظيم لأهل العلم، مع الخمول المفرط، والتواضع الزائد، والاستقامة، والانقطاع إلى الله تعالى، فلم يتزوج لذلك مدةَ عمره، مقبلاً على الطاعة منذ نشأ. وحكى الفاكهي: أنه سمعه يقول: طلب مني الشيخُ أبو الحسن البكري الحضورَ في الليل ساعةً لاستماع درسه العام، فما وافقته إلا امتثالاً لأمره الأكيد. قال: قلتُ له: ما سمعتَ؟ فقال: وقفتَ ساعةً وأنا مشغولٌ، ولم أدر ما يقول، وإنما وقفت امتثالاً، أي لشغله بالأورادِ التي لا رخصةَ عنده في تركها. وروَى: أنه قدم إلى تريم لزيارة من بها من المشايخ، فاجتمع بالإمام الغزالي في غرفةٍ بداره يقظةً، من طريقِ الكشف، واستجاز منه كتبه، فأجازه بها، فطلب منه الشيخ عبد الرحمن أن يجيزه بها الإجازةَ المذكورة، فأجازَه بذلك. وكانتْ له أحوال فاخرة، وكرامات ظاهرة، قال الفاكهي: «ومناقبه أفردتها برسالة».

قلتُ: وهو الذي طلب من الشيخ ابن حجر أن يشْرح «مختصر الفقيه عبد الله بافضل» في الفقه. جاور بمكة سنيناً، ومات بها، رحمه الله تعالى، وكان لا يقبل من أحد شيئاً. وحكَى: أن الشريف أبو نمَيّ، سلطان مكة، أرسل إليه بمئة دينارٍ، فلم يقبلها، واستحى الرسول أن يردها على الشريف، فبقيت عنده حتى ماتَ الشيخ عبد الرحمن، رضي الله عنه، فأخبر الشريفَ عند ذلك، فأمره بأن يدفعها إلى الشريف عبد الله بن الفقيه، الآتي ذكره.

قال الفاكهي: وسمعتُ من لفظ شيخنا صاحبِ الكرامات الباهرة، والمجاهدات المعلومات الظاهرة، ولي الله، عبد الرحمن العمودي، نفع الله به، يقول: «إن شخصاً من آل العمودي يخرج من مقبرة المعلاة، وهو من السبعين الألف الشافعة»، ولا أعلم في المعلاة من العمُوديّين أجلَّ منه. وإن كان بها عمّه، وآخرون منهم. بل سمعتُ منه أيضاً: ما دلّ دلالة صريحة أنّ أباه الشيخ عمر، المدفون بالقنفذة، من السبعين

الألف الشافعين، ولا يستعظِمُ هذه المنقبةَ عليه وعلى أبيه، إلا جاهل بحالهما ولو من مخالطيه.

ومن أراد الـوقوف على عنـوان مناقـبه ومـراتبه، فليـقف على كتابي: «إرشاد الغني والفقير إلى فضل التقشف والرضا باليسير»، فإني شرحتُ فيه بعض أحواله، وأشرتُ إلى جمع كراماته، الدالة على قطبيته وكماله، بل إن أراد أوسعَ منه فليتطلبه، فربما يعثر عليه، فإني أرجو جمع كتابٍ واسع في كراماته، بعد تتبعها من أهل جهاته، وخصوصياته، ضاماً ذلك إلى ما عندي من كثيرٍ، ولا ينبئك مثل خبير».

ثم ذكر له: نظماً في القهوة، فانظرها في «النور» [ص ٣٦٠].

[الشيخ محمد بن عبد الرحمن العمودي]

ومنهم: العارف بالله محمد بن عبد الرحمن العمودي. هكذا ذكره السيد الشريف محمد بن أبي بكر الشلي، في ترجمة الإمام العارف بالله، السيد الشريف، عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن، المعروف بصاحب الشبيكة. قال [في «المشرع»: ٤٢٩/٢]: «وانتفع بصحبته، وأوصى له بثيابه، وأوصاه أن يقرأ له ثلاث ختماتٍ بعدَ وفاته، ففعل».

[الشيخ محمد بن عبد الرحيم العمودي]

ومنهم: الشيخ محمد بن عبد الرحيم بن محمد بن عثمان بن محمد بن عثمان ابن أحمد القديم. ذكره صاحب «النور» فيمن توفي سنة ٩٨٤ بأحمدآباد. قال [ص ٤٧٠]: «وكان حسن الأخلاق، كريم النفس، كثير التواضع، محبوباً عند الناس، ذا وجاهةٍ عظيمةٍ، وقبول عند الخاص والعام، رحمه الله تعالى».

[الشيخ محمد بن أحمد العمودي]

ومنهم: الشيخ محمد بن أحمد العمودي. تُنقَل عنه فتاوى، ولم أقف على ترجمته. ولعله: محمد بن أحمد القديم بن عثمان، وقد ذكر شنبل وفاته سنة ٨١٩.

[الشيخ عثمان العمودي]

ومنهم عثمان المتوفَّى سنة ٨٥٥. ولعله: ابن المذكور قبله. ذكره شنبل، وقال [ص١٨٣]: «تقدم بعده ابنه محمد»، فلعل المراد به: محمد بابرك، المقبور بصُبَيخ، وقد تقدم ذكره.

وكل هؤلاء لم نقف لهم على ترجمةٍ، فربما أن يكون كلّهم من أهل الفضل، أو بعضهم، والله أعلم/. [/٢٣٩]

[السيد أبو بكر بن محمد بافقيه]

ومنهم: السيد الشريف، أبو بكر بن محمد بن علي بن أحمد بن عبد الله بن الإمام محمد مولى عيديد، العلوي الحسيني. ترجمه صاحب «المشرع»، وقال فيه [«المشرع»: ٢/ ٩٤]: «الشهير كسلفه ببافقيه، صاحب قيدون، المشارك في جميع الفنون، بحر العلم الذي لا ساحل له، وبرّه الذي لا تطوى مراحله، مالك ناصية الفقه وفارس ميدانه، وحائز قصب السبق في حلبة رهانه، أحد مشايخ الإسلام، وأوحد العلماء الأعلام».

ثم ذكر: أنه ولد بتريم، ونشأ بها، وحفظ «الإرشاد» وغيره من المتون والرسائل، وأثنى على حفظه وفهمِه، واشتغل بطلب العلم من صغره، وتفقه على شيخ الجماعة: محمد بن إسماعيل بن فضل بن عبد الله بافضل، وكان أكثر انتفاعه به. وأخذ عن الشيخ عبد الله بن شيخ العيدروس المتوفّى سنة ٩١٩، وعن الإمام زين ابن حسين بن الفقيه عبد الله بلحاج بافضل، المتوفَّى سنة ١٠٢٦.

قال الشلّي: «واعتنى بالإرشاد، وفتح الجواد. ولقد أخبرني بعض تلامذته

الثقات: أنه كان يقرأ عليه «الفتح»، قال: فكنا نرى أنه يحفظه عن ظهر قلب، وكان ينقله بالفاء والواو. وكنا ندأب ليلاً ونهاراً، ونجيء إليه، فنجده يستحضر من كلام المتكلمين عليه من استشكالٍ وجوابٍ، ما لم يطلعْ عليه أحدٌ منّا، مع مطالعتنا شروحه، ومبالغتنا في ذلك. وكان آيةً في استحضار مذهب الإمام الشافعي، وغرائب مسائله».

قال: «ثم ارتحل إلى دوعن، وكان معموراً بالعلماء، فأخذ به عن جماعة، وأقام به برهة. ثم قطن بمدينة قيدون، وقصده الطالبون، وتصدى لنشر العلمِ، وقُصِد بالفتاوى، وكان جامعاً لكثير من الفنون، فأحياها الله به، واشتهرت فتاواه. وكانت له يدٌ في علوم الصوفية، ومواظبة شديدة على السنن النبوية، مع الديانة والشفقة للعامة، والمحافظة على الأوقات، والإقبال على الطاعات، مع حسن السلوك، والانزواء عن أبناء الدنيا، مع النصيحة والجود، ولا سيما للفقراء والغرباء والأيتام. ثم انعزل في داره آخر عمره، حتى توفي بقيدون»، اهـ ملخصاً.

قلتُ وكانت وفاتُه سنة ١٠٥٢ ودفن بالعَرْض، تربةٌ معروفة غربيَّ البلد، وقبره معروفٌ شرقيَّ قبر الحبيب عمر بن أبي بكر الحداد، رحم الله الجميع.

ورأيتُ في بعض التعاليقِ، ما صورته: «العم محمد بن عمر شراحيل، أخذ عن السيد العلامة [أبي بكر بن محمد] بافقيه، عن: الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن العمودي. وعن: محمد بن إسمعيل فضل، وإبراهيم بن جَعْمان، وأحمد الناشري، ومدرِّس مكة، محمد بن عبد العزيز الزمزمي»، اهـ المراد منه، وهذا يفيدُ: أن صاحب «المشرع» لم يستوفِ ذكر شيوخه. ولما جاء إلى قيدون تزوج بنت الرجل الصالح، عبد الله باعلي باراسين. فولدت له ابناً، هو: محمد بن أبي بكر، وبنتين، هما: مريم وعلوية. ولمحمد بن أبي بكر، ابنان: أبو بكر بن محمد، وعلي انقرض. وأمهما: علوية بنت أبي بكر بن عمر بن محمد بن علي بافقيه، من أهل الخريبة.

* * *

وكان من آل بافقيه جماعة بالخريبة، وبقيدون، وكنينة. وبقيت لأهل الخريبة بقيةٌ بالقرين، ويجتمعون في النسب على: علي بن أحمد بن عبد الله الأعْيَن النسَّاخ. فأهل كنينة على: عبد الرحمن بن علي، وأهل الخريبة وقيدون على: محمد بن علي.

فآل عمر بن محمد: بالهند، بالخانقاه، ودلي. وآل عبد الله بن محمد: كانوا بالخريبة، وعورة، وبقيتهم الآن بالقرين. ومنهم: آل علي بن حسين بن عبد الله، بالطريّة باليمن، والمصانع بيافع. وكان أولوهم بالخريبة. ولهم الآن بقيةٌ بالقرين، ومنهم بتَرْناتي، بجزائر الملوك. ومنهم بالقنفذة، من ذرية الإمام المشهور بالولاية والفضل، حسين بن أحمد. وآل حسين بن محمد بن علي: منهم بالهند، ومنهم الذين فتحوا جزائر فِلِيفِيْن[1]، ومَنيلاّ، وبُرنيُو، وصُولو سُنْدَكان، وما حولهما، وأسلم أهلها على أيديهم. وأهل قيدون: إلى المترجم، وهو أبو بكر بن محمد بن علي. ومنهم: آل علي بن محمد ابن علي، بكُولاندي بمليبار، وبآشي سُومَتْرة، والشحر، وفكَلُوغَن بجاوة، وغيرها.

واتصالنا بالمترجَم: من طريق شيخ الجماعة، الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس. فقد زاره إلى بيته، كما ذكره في «القرطاس»، وفي «عقد اليواقيت الجوهرية». وهناك طريق أخرى لم يتحقق لدينا اتصال أسانيد رجالها، من طريق جدّنا الحبيب الإمام العارف بالله، الجامع، أحمد بن زين الحبشي، العلوي الحسيني، فإنه أخذَ عن الشيخ الفقيه الصوفي أحمد بن عبد الله بن عمر بن أحمد باشراحيل. وهو، أعني باشراحيل، وأبوه عبد الله: من الآخذين عن الحبيب عبد الله الحداد/ . [/٢٤٠]

فإن ثبت أخذُ أحمد المذكور عن أبيه عبد الله، وثبت أخذُ عبد الله عن أبيه عمر، تمَّ السندُ بهم إلى المترجَم الإمام أبي بكر بن محمد بافقيه. وقد كان هؤلاء كلهم فقهاءُ صوفيةٌ، أعني الشيخ محمد بن عمر، الآخذ عن المترجم، وأخاه أحمد، وابنه

---

(١) هي الفلبين. (مصحح).

عبد الله بن أحمد، وابنيه عمر وأحمد. ترجمهم الحبيب محمد بن زين بن سميط بترجمةٍ حسنةٍ [«بهجة»: ٢٧٢ - ٢٨٣].

[السيد أبو بكر بن محمد بن أبي بكر بافقيه]

ومنهم: حفيد المترجَم، أبو بكر بن محمد بن أبي بكر بن محمد بافقيه، السيد الشريف، العلوي الحسيني. كان فقيهاً عالماً، كثير الرحلة إلى لقاء الشيوخ. وصفه الحبيب عبد الله الحداد في مكاتبته بقوله [٢/١٥٦، ٢٢١]: «السيد الأجل، الأكرم الأكمل، الفقيه العلامة، الفخر المنور». ونقل الحبيب علي بن حسن في «القرطاس» عن الحبيب عبد الله أيضاً أنه قال فيه: «إنه في مقام الجنيد». وقال في مقدمة «القرطاس»: إنه زاره، قال: «فقال لي: يا علي؛ إني بحمدالله قد عاشرتُ جملةً من الأولياء، منهم: جدك عمر، وتلميذه الشيخ علي باراس، والشيخ محمد بن أحمد بامشموس، والحبيب عبد الله الحداد، والحبيب الحسين بن عمر العطاس، والحبيب عيسى بن محمد الحبشي، والحبيب أحمد بن عمر الهنداون، والحبيب أحمد ابن هاشم، والحبيب أحمد بن زين الحبشي، والشيخ عبد الله بن عثمان العمودي، والشيخ عمر بن عبد القادر العمودي، والحبيب عمر بن عبد الرحمن البار». اهـ. وليس عندنا من ترجمته إلا ما ذكرَه.

[السيد محمد بن أبي بكر بافقيه]

ومنهم: ابنه الشهيد، محمد بن أبي بكر. رحل في طلب العلم، وتفقه، وعاد معه حملٌ من الكتب من طريق البر، ولما وصل إلى سوط المعُوس، أغاروا عليه، فقتلوه، وأخذوا كتبه، وكانوا يحسبون الحملَ بضائع. وذكر في «الشّجرة» تحت اسم ابنه أبي بكر بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر بن محمد: أنه: «قُتِل»، فلا

أدري، كيف قتل ابنه المذكورُ؟ إن صحَّ. وقد بلغَنا: أن الشيخ سعيد بن عبد القادر بن الشيخ عمر باقادر، جمعَ على البدو القاتلينَ، وعاقبهم، والله أعلم بالحقيقة.

[السيد عبد القادر بن محمد بافقيه]

ومن ذريتهم: الحبيب الصالح، المشارك الفاضل، عبد القادر بن محمد بن أبي بكر بن محمد، حفيد أبي بكر الأخير. أخذ عن أهل عصره، كالحبيب عيسى بن محمد الحبشي، والحبيب عمر بن أبي بكر الحداد، والحبيب أبي بكر بن عبد الله العطاس. وزار حضرموت مع شيخنا الحبيب طاهر بن عمر، ولهما مع رفقائهما إجازةٌ من الحبيب محسن بن علوي السقاف. وكان تقياً صالحاً، مواظباً على أعمال التقرب، حتى قال فيه الحبيب أبو بكر العطاس: «من أراد أن ينظر إلى رجلٍ من أهل الجنة، فلينظر إليه»، أو كما قال. وسمعْنا: أنه كان يسميه كبْش الجنة!

وكان كثير التلاوة، مواظباً على الجماعة، لا يتركها كيفما كان الحال، وإذا أتى إليه أحدٌ من أهل البلد ليسْمُر عنده، وحضرت صلاة العشاء في المسجد، قام إليها من غير أن يعلمَهم، بل يقول: سيأتي بشيء من الزنجبيل للقهوة، أو نحو ذلك. ويذهب فيصلي جماعةً، ويعود حاملاً للزنجبيل، وهم لا يشعرون، مع بُعْد داره عنه. وقد لقيتُه مرةً في صغَري، فسألتُه أن يدعوَ لي بأن يفتحَ الله عليَّ في القرآن العظيم، وذلك حين ابتدأتُ في تعلمه، فكان كلما لقيني بعد ذلكَ يقول لي: «الله يفتح عليك في القرآن العظيم». وكان على وجهه أثر النور، وسيما العبادة والنسك، ووقار التقوى، رحمه الله تعالى، ولا أذكر سنة وفاته، ولكنها بعد العَشْر الأوَل من هذا القرن.

[السيد محمد بن عبد القادر بافقيه]

ومنهم: ابنه محمد بن عبد القادر. كان فاضلاً صالحاً، متقشفاً، مواظباً على العبادة والأوراد، منجمعاً عن مخالطة الناس، عامراً لمسجده آناء الليلِ وأطراف

النهار. بنى له في الجبلِ النجديّ، المقابل لبلد قيدون، بمحلٍّ يسمّى الرُّخُوب: بيتاً ومسجداً. أخذ عن الحبيب أحمد بن عبد الله بن علوي باعقيل، ومن عاصره. وحضَر مَوته بالمدينة المنورة، على مشرفها أفضل الصلاة والسلام، كما سيأتي ذكرُ ذلك. توفي سنة ١٣٣٤.

ومما وقع له: أنه كان له علوبٌ تحتَ داره المذكورة، يربيها، ويمنع عنها الإبلَ أن تأكلها، فجاء ذات يوم أحدٌ آل العمودي بناقةٍ له، وأدناها من العلوب ترعاها، وتكسر أغصانها. ورآه السيد، فناداه: أنّ هذه العلوب تعبنا عليها، ولا يحسنُ منك تلفها، وهي لا تزال صغيرة. فقال له: ما يناله فم الناقة ليس لك. فتقاولا، وقال له: والله إني أخذتُك. فقال له العمودي: بل أنا أخذتُك. ومعنى هذا: إني/ بظلمِكَ لي قد [/٢٤١] أخذتُك، أي: سينتقم لي منك المنتقمُ عزَّ وجل. فلما كان ضحْوةَ اليوم الثاني خرجَ بها، فبركَتْ، وماتت حالاً، فأسف عليها صاحبها، حيث لا ينفعه الأسف، وعاد فاعتذرَ للسيد، ولكن بعد فوات الفرصة.

وأخوه: عبد الله، كان صالحاً متقشفاً، حسَن السيرة، طلب العلم بمكة، ولكنه لم يتفقّه، وكان كثيرَ الذكرِ لله.

[السيد عمر بن محمد بافقيه]

ومنهم: عمر بن محمد المذكور. كان طالبَ علمٍ، ذكياً، محبًّا للمطالعة، كنا نجلسُ معه في ابتداءِ الطلب، ونطالع معاً، ثم سافر إلى جاوة، وتوفي في حدود سنة ١٣١٤.

[السيد أبو بكر بن محمد بافقيه]

ومنهم: أبو بكر بن محمد بافقيه. طلب العلم بمكة، وتفقّه، وتفنّن، ودخل جاوة، وسكن الطُّوبان، وتزوج بها، وصارت له ذرية هناك. وهو محبٌّ للمطالعة،

جماعٌ للكتبِ، على حدّةٍ كانت فيه، ونفرةٍ من الناس، حالت بينهم وبين الانتفاع به، ولا يزال حيًّا إلى اليوم.

[السيد حسين بن محمد بافقيه]

ومنهم: حسين بن محمد. طلب العلم بمكة، فأدرك مشاركةً فيه، وحفظ القرآن فجوّده، ثم نقل إلى المكلَّا، وصار إماماً في مسجد الروضة به، وهو على سيرةٍ حسنةٍ، وطبعٍ مستقيم. **وقد سُقْنا تراجمَ هذه العائلة نسَقاً، حتى لا يتشتَّتَ تاريخهم.**

[الشيخ إدريس العمودي]

ومنهم: الشيخ إدريس بن أحمد العمودي. رأيت في بعض التعاليق: «وذكر العلامة الأديب أحمد بن عمر الحكيم، في «أسانيد الطيب بامخرمة»، بروايته عنه، قال: «ذكر العلامة الطيب بن عبد الله بن أحمد بامخرمة: أنه سمع كتاب «الشّفا»، بقراءة الفقيه إدريس بن أحمد العمودي، في مجالس شتّى، آخرُها يوم الاثنين، ست وعشرين في شهر شعبان المبارك، سنة ٩٢٥».

[الشيخ محمد بن عثمان العمودي]

ومنهم: الشيخ محمد بن عثمان العمودي. تلميذ الإمام العلامة الشريف أبي بكر بن محمد بافقيه، ذكره الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار في كتابٍ منه للشيخ العلامة سعيد بن الشيخ العلامة عبد الله بن عثمان العمودي، في شأن الهلال، يقول فيه: «وقد رأينا من نقَل في هذا الشأن، عن هؤلاء وغيرهم، مثل السيد الفاضل أبي بكر بافقيه، وتلميذه محمد بن عثمان».

[الشيخ عمر بن عمر العمودي]

ومنهم: الشيخ عمر بن عمر العمودي. ذكره الشريف يوسف بن عابد في «رحلته»

[ص ١١١]، وأنه قرأ عليه في التوحيد، لما جاء إلى قيدون، وزوّجه أخته، ومكث عندهم مدةً، ثم طلقها مع رغبتهم فيه، لما رأى عندهم من الدنيا، مع خلوّه عن شيءٍ من ذلك.

وأحسب أن الشيخ المذكورَ: هو أحد أجداد الشيخ عبد الله بن عثمان العمودي، صاحب الدُّوفَة. فهو: عمر بن عمر بن محمد بن علي بن أبي بكر بن عبد الرحيم بن أبي بكر بن عثمان بن عمر بن محمد بن الشيخ سعيد العمودي.

[السيد عبد الله بن علوي باعقيل]

ومنهم: عبد الله بن علوي بن أحمد بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن عمر بن عبد الرحمن بن عقيل بن الشيخ عبد الرحمن السقاف. ترجمه أخي في خاتمة «قرة النواظر» [١/٥٦٨]، أثناء ترجمة حفيده أحمد بن عبد الله، الآتي ذكره، فقال فيه: «الشيخ الإمام، قاضي الإسلام، علامة زمانه، ونادرة أوانه، عفيف الدين، عبد الله بن علوي بن أحمد بن أبي بكر. كان فقيها ذكياً، ورعا تقيًّا، محققا مدققاً، على قدم عظيم من الزهد والورع والتقشف. ولد بقيدون، ونشأ بها، وقرأ القرآن.

وأخذ عن القطب النبراس، الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس، وعن الحبيب الإمام عيسى بن محمد الحبشي، والشيخ العلامة عبد الله بن عثمان العمودي. وكانت أقضيته سديدة. وله «فتاوَى» مفيدة لم تدوّن. وانتفع به خلقٌ، منهم سيدي [الجد] العلامة عبد الرحمن بن عمر الحبشي». اهـ.

ولم يذكر في مشايخه: السيد الإمام الحبيب أبي بكر بن محمد بافقيه، ولعله تأخر زمانه عنه، وقد ذكره الحبيب علي في «القرطاس» عرضاً في رواية عنه، فقال: «حكى لي الفقيه العلامة السيد الشريف، الصوفي اللطيف، عبد الله بن علوي باعقيل السقاف، صاحب قيدون». وذكره في «عقد اليواقيت» [٢/٨٦٨] ممن انتفع بجدّنا الحبيب العارف

بالله، عيسى بن محمد الحبشي، ولم يذكره في «القرطاس» في جملة الآخذين عن الحبيب/ عمر العطاس. [/٢٤٢]

[الشيخ محمد بامعلم العمودي]

ومنهم: الفقيه الشيخ، محمد بامعلم العمودي. وصفه الحبيب عبد الله الحداد [«المكاتبات»: ١/ ٤٣٣]: بـ«الفقيه البقية، وأنه كان قائماً بوظيفة التدريس والحكم، ببلدة قيدون المباركة».

[الشيخ عبد الله باوجيه العمودي]

ومنهم: الشيخ عبد الله باوجيه العمودي. ذكره الحبيب عبد الله الحداد في «مكاتباته» [٢/ ٣٣١]، ووصفه بـ«الفقيه»، وكان مرشحاً لوظيفة القضاء في بلد قيدون، بعد وفاة المترجم قبلَه.

[الشيخ عبد الله بن عثمان العمودي]

ومنهم: الشيخ عبد الله بن محمد بن عثمان العمودي. ذكرناه عند ذكر بلد بضَه، ثم ظهر لنا أنه من قيدون. ترجمه الشيخ العارف بالله، محمد بن يس باقيس، في «النبذة» التي كتبها بالتماس جدنا الحبيب طه، بقوله: «الفقيه النبيه، الحافظ المتقن، الناسك السالك، الشهيد بموت الغربة، الحافظ للقرآن، والملازم للتلاوة والأوراد، وإحياء الأوقات بأنواع الطاعات». اهـ.

وله مكاتباتٌ عديدة من شيخه الحبيب عبد الله الحداد [٢/ ٣٣٤-٣٤٣]، وصفه فيها بأوصافٍ جليلة، منها: «الفقيه، الصوفي»، ومن تلك الكتب ما هو مؤرخٌ بسنة ١١٠١، وبسنة ١١١١، وسنة ١١١٢، إلى ١١٢٤، و ١١٢٨. ومن ذلك يعلم الوقتُ الذي كان فيه. ولم أر له ذكراً فيمن جمعَهم الحبيب محمد بن زين بن سميط من الآخذين عن الحبيب عبد الله الحداد، فهو مستدركٌ عليه.

[الشيخ عمر بن عبد القادر العمودي]

ومنهم: الشيـخ الولي الصالح، النـاسك السـالك، العـابد الـزاهد، عمـر بن عبد القادر العمودي، نفع الله به. «كان شيخاً فاضلاً، جليلاً كاملاً، أخذ عن سيدنا الشيخ عبد الله بن علوي الحداد، رضي الله عنه، أخذاً وافياً، ولبس منه الخرقةَ الشريفة الفخرية الفقرية، مدةً طويلة، وتلقن الذكر، ولازمه أكثر حياته، وتردد إليه، منجمعاً بكليته عليه، مع حسـن الأدبِ والمنـوال بين يديه. مـات وعنده جملةٌ من الثياب، فجعلها كلها في أكفانه. وكان قويَّ الاعتقاد فيه، كثير الانطواء.

وكان صاحب مجاهداتٍ ومكابداتٍ، ورياضَات ومشاهدات. وكان ذا قيامٍ وصيامٍ، وسخاء وفتوةٍ، ومروة وإيثار، داعياً إلى الله، خاصًا وعاماً. سمعتُ سيدي أحمد بن زين يقول: إن الشيخ من أساطين الطريقَة الحدادية، في الدعوة إلى الله. وكان صاحب استقامةٍ، وسيرة سديدةٍ رشيدةٍ، وهدى الله به خلائق لا تحصَى من أهل البوادي والقرى المكتنفة بوادي دوعن، وكل مكان جاء إليه دعَا أهله إلى الله، وكان له قبولٌ ووجاهةٌ عند الخاص والعام، وكان عليه نورٌ، يعرفه البر والفاجر. وكان له تعلقٌ ببعض السادة، قبل سيدي عبد الله، قال لي: فرأيت كأني عند قبر الشيخ سعيد ابن عيسى العمودي، وكأن سيدي عبد الله الحداد عنـد قبره، وكـأنه يخاطبه من قبره، ويوصيه، ويقول: الله الله في ابني هذا، اعتنوا به، أو نحو هذا. وكان ذلك سبب تعلقي بسيدي وانتسابي إليه. وكان له تعلق بجميع صالحي زمانه من أهل تريم وغيرهم، وكان يزورهم، ويرد إليهم، ومرجعه إلى شيخه الأكبر. وكان عامراً أوقاته بالطاعات، والأوراد والجماعات.

وكان مقصداً لمن جاء إليه إلى بلدة قيدون، وكان قائماً بالضيافات، وإكرام الوافدينَ لزيارة الشيخ سعيد، وقد اجتمعنا به كثيراً، سيّما في حياة شيخنا عبد الله،

وكذا بعده، عند سيدنا أحمد بن زين بشبام، جاء إلى مكاننا إلى زاوية مسجد ابن أحمد، وحصل لنا معه اجتماع وانتفاع. وذكر لنا في ذلك المجلس: كراماتٍ لسيدنا عبد الله، كتبناها عنه في «المناقب». وكان يعظّم شأن سيدنا عبد الله إلى الغاية القصوى، حتى بلغ من تعظيمه: أنه كان إذا كان صائماً يوم الاثنين والخميس، وكان ذلك ورداً، إذا أعطاه سيدنا قهوةً شربها، وأخذها منه بقصدٍ ونية، وبقي على صيامه. وقد يكون ذلك نسياناً من سيدي عبد الله، ولولا ذلك لما أعطاه. وصاحبُ الحال معذورٌ بحاله، ومسلّمٌ له في أفعاله وأقواله. وجاء في زمن موت سيدي عبد الله، وحضر وفاته، وسافر تلك السنة لحج بيت الله الحرام، وزيارة نبيه عليه السلام. ولد بمدينة قيدون، وبها ماتَ، ودفن قريباً من ضريح الشيخ سعيد بن عيسى العمودي، وعُمل له صندوق». اهـ. هكذا ترجمه الحبيب محمد بن زين بن سميط في «تراجم الآخذين/ عن الحبيب عبد الله الحداد» [«البهجة»: ص٢٣٦]. [/٣ ٢٤٣]

وذكره الحبيب علي بن حسن في «القرطاس»، وذكره في «تائيته» بقوله:

فإني أخذتُ اليدَ من يدِ هؤلاء ... وصحّتْ بحمْد الله فيهم إرادَتي

وزرْنا جماعاتٍ من المقتدَى بهم ... ولاحتْ لنا من نورِهم رُبَّ آيةِ

كمثلِ السَّمِيَّينِ الشّجَاعين نيّـرَي ... سـما المجْدِ أستاذَينِ كلّ إفَادةِ

هما البارُ والمحضَار بن عبد القادر ... فخُذ منّيَ التصريحَ بعْدَ الكنايَةِ

يعني بهما: شجاع الدين، الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار، وشجاع الدين، المحضار عمر بن عبد القادر العمودي. [وذكر أن المترجَم][1]، وذكر في سياق وفاةِ جده الحبيب الحسين بن عمر بن عبد الرحمن العطاس[2]: أن الشيخ عمر المذكور

---

(١) لعلها من سبق القلم. (مصحح).

(٢) في الأصل: الحسين بن عبد الرحمن بن عمرا. وهو خطأ طباعي أو سبق قلم بلا شك. (مصحح).

انزعجَ من بلد قيدون قبل الوفاة، وزاره، وبقي أياماً في الوادي، حتى توفي سيدنا الحسين بن عمر، وحضر ختمَه، فلما فرغوا من قراءة الختوم، ونزلت عليهم السكينة والرحمة الموعودة من الحي القيوم، رتّبَ الشيخ عمر بن عبد القادر الفواتحَ في خلال استمدادِ الدعوات الصالحات من السادات». اهـ.

وذكر: أنه جاء ومعه جمعٌ كثير من أهل السماع، وأهل حضرة الذكر، بجميع الآلات، من الطيرانِ، والقصَب، والمزاهر، والطبول. وزار الشيخ أحمد بن عثمان العمودي بعَنَق، والحبيب عيسى بن محمد الحبشي بخنْفَر، ثم سرح من خنْفَر، وأمر أهل الآلات بتكْييسِها، وجاء إلى نفْحُون، فاستأذن على الحبيب الحسين، فأذن له، فلما لقيه خرَّ على قدمه وهو قائم، وبقي ساعةً، حتى جرت الدموع من عينيه على قدم الحبيب الحسين، ثم رفعَ، وخرَّ على ركبتيه يقبلها، ثم رفع، وقبل صدره، ثم رفع وقبّل عينيه، وجلس الحبيب الحسين، وأمر أهل السماع فسمَعّوا، ثم إنه في آخر المجلس طلبَ منه الإلباسَ، فألبسه عمامته». اهـ.

وقال في «القرطاس» أيضاً: «ولما دار الشيخ عمر بن عبد القادر بن عبد الرحمن العمودي، صاحب قيدون، حضرموت في أوائل زياراته، ودخل هو وأصحابه على سيدنا الحبيب أحمد بن هاشم الحبشي، المذكور، وألبسَهم. وحين أرادوا الخروجَ من عنده: أشار إلى سيدي الشيخ عمر المذكور، وقال: هذا من عباد الرّحمن الذين يمشون على الأرض هوناً، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً، والذين يبيتون لربهم سُجَّداً وقياماً». إلى أن قال: «ثم قال لي الشيخُ عثمان بن الشيخ عبد الرحمن ابن الشيخ محمد بن عبد القادر بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر المكنّى الطيار العمودي: لما أردنا الخروج من عند الحبيب أحمد بن هاشم، بعد أن لبسنا منه نحن والشيخ عمر، وأردنا أن نستودع منه، سأل عني، وقد قبضتُ يده للمصافحة: من

هذا الذي يمْتاس؟ إشارةً إلى انهضام النفس بالتواضع، الذي هو سبب الرفعة عند الله وعند خلقه».

وذكر الحبيب علي في «القرطاس» أيضاً، في ترجمة جدنا العارف بالله، القدوة العالم الصوفي، عيسى بن محمد بن أحمد الحبشي، ما لفظه: «وكان السيد عيسى المذكورُ، من أرباب الأحوال والكرامات، والمعرفة التامة بالله، والاتصاف بجملِ الأوصاف، ولا سيَّما خلُق الإنصاف، الذي هو أشرف خصالِ الأشراف. له أخلاقٌ كريمة، ومواهب عظيمة، داعياً إلى الله على بصيرةٍ من ربه، وله قبولٌ وإقبال، وخير وأفضال، وكرم ودِهْبال. أقبل عليه خلقٌ كثير، ومال إليه جمٌّ غفير، وانتفعوا به وبإشاراته.

وممن انتفع به: الشيخ الكبير عمر بن عبد القادر العمودي، صاحب قيدون. ولقد أشار على والده عبد القادر أن يتركه لله تعالى، ويعذره من كدّ الخلاء، وتعب الحراثة، فامتثل الشيخ عبد القادر رأيَه. ثم إن ابنه عمر المذكور، سلك وجاهدَ، وصحب بعد ذلك الشيخَ القطب الربانيَّ المربي، سيدنا عبد الله بن علوي الحداد، فكان من أمره ما كانَ، وصار إليه ما صارَ من الخيرات والبركات.

واعلم، أنه على يد هذا الشيخ تجددتْ العهودُ من القبائلِ، على حماية حوطة قيدون، على قانونٍ شرعي، وتعهدوا بذلك والتزموا وإن لم يجد من يفهمه ويقوم عليه لأن الذين عاد إليهم الأمر بعده ليسوا من العارفين بأمر الله وحكمه. فتركوا الأمور تجري على العوائد/ الجاهلية. وشرائع القَبْولة الجبتية الطاغوتية، مما أوحت به شياطين الجن إلى إخوانهم من شياطين الإنس، ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]. [/٢٤٤]

[مكاتبة الحبيب عمر البار للشيخ عمر العمودي]

وكان السبب في ذلك: أن محمد باحسين، جمع أوْباشاً من الحالكة، وهجم بهم على قيدون، فآذى أهلها، فاستاء من ذلك الشيخ عمر بن عبد القادر، وعزم على الهجرة من قيدون، فكتب إليه الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار، يقول:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾

«الحمد لله، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. من الأقلّ عمر بن عبد الرحمن البار. إلى حضرة الشيخ البار، النور الباهر، بقية الأكابر، وبركة الأصاغر، سيدي عمر بن عبد القادر، حفظه الله وحفظ به، آمين. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وعلى حاضري حضرتكم الشريفة، المحفوفة بالأسرار والأنوار، والآيات والأذكار».

إلى أن قال ما ملخصه:

«وأنمي إلى شريف علمكم: أنه بلغنا أنكم تشوّشتم مما جرى في البلاد، من أهل البغي والفساد، وكل ما قلتم أو فعلتم من الأمر بالمعروف في محله، وأنتم من أهله، على ما يأذن الله ورسوله، وعلى مثل ما مضى عليه السلف الصالح. وأما أن يؤول هذا الأمر بكم إلى الانزعاج، والانتقال من قيدون إلى غيرها من البلاد، فالذي نراه وإن كان نظرنا قاصراً، وعن شأو مقامكم حاسراً: أن لا تلقوا لهؤلاء بال، وهم أقل وأحقر وأصْغَر من أن يحركوا فيكم شعرة، والرياح ما تحرك الجبال، والحق ما يزيله المحال. وما هُم إلا كالكلب ينبحُ القمر، وكالزجاج يكسر الحجَر، وما يفرّ إلا الحمَط والوَضَر. وقد عرفتم ما كان عليه أسلافكم ومشايخكم، وما يجري بمكة والمدينة وتريم، ولا يتزعزع أكابرها، ولا ترجع العواقب الحسنة إلا لهم، ولا يظعن إلا معاندهم، ونظركم البركة، ورأيكم السديد». اهـ.

باختلاف في بعض الألفاظ مع اتحاد المعنى.

ثم تأدى الحال: أن الشيخ عمر ذهب إلى رَيْدة الديِّن، وأعلن النكير وضجّ، فهاج ذلك قبائل الديِّن والقُثَم، وخرجوا به معهم، وقاموا على قبائل الحالكة، والوالي، وجدَّدُوا العهود وأكدوها.

[مكاتبة أخرى]

ثم وقعت مكاتبة أخرى، في زمن ابنه الشيخ عبد الرحمن بن عمر، أمضى فيها قبائل الديِّن، والقُثَم، والجوهيين، وآل محفوظ، في منافع منهم خاصة وعامة، باستخدام منهم له، وسمع وطاعة ونفع، ولكل من ناله أذى من أهل قيدون كائناً من كان، وباحترام قيدون على حدودها: من سقاية الشيخ عمر من طريق الجزْع، ومن القديم من طريق صيف، ومن عقبة الشيخ على الغرب الشمالي، فمن قتل فيها نفساً قُتل قصاصاً، ومن فعل ما هو دون القتل فلا بد أن يزُولَ من البلد، تخرجه قبيلته، من نفعهم وضرهم، وتكون يدهم واحدةً عليه، وعلى تخريب منزله وزواله، إلى آخر ما احتواه ذلك المسطور. وهو كما ترى منزّهٌ عما جرى عليه مناصب المشايخ، المعروفين بمناصب البَدْو، من اتّباع الجبت والطاغوت، وعادات الجاهلية. ولذلك قال الحبيب أحمد بن محمد المحضار: «إذا مات منصب البدو، بكى عليه الشيطان أربعين يوماً!». اهـ. وذلك لأنه عونَه الأكبر على إحياء الجبت، وتنفيذ الطاغوت، ومحو الشرع، ومعاندة الإسلام.

أعمالُ مناصِب البَدْو الطّاغوتية

هذا استطرادٌ نافع، نورد فيه ما قاله السيد الشريف، العلامة، سالم بن أحمد ابن عمر المحضار، الحبّاني، في كتابه «الكوكب المنير الأزهر في مناقب الأجلّة آل محمد بن عمر، الساكنين بالعراص الحبانية من الجهة الحضرمية».

قال بعد كلامٍ في الكرامات: «ورأيتُ فيما نقل عن الإمام العلامة الفهامة، مفتي الديار الحضرمية، السيد الجليل، حامد بن عمر حامد، العلوي التريمي، أنه قال: «كراماتُ الأولياء على ثلاثة أحوال:

[١] فمن ظهرتْ منهم على يديه كرامةٌ، مع الاستقامة على الشريعة المحمدية، والسير على مقتضاها وأوامرها ونواهيها، فهي كرامة في حقه.

[٢] ومن ظهرت على يده منهم كرامةٌ، مع أنه/ غير لابسٍ لباسَ التقوى، ولكنه يخالط ويمارس، ويعمل عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فهذا من علم الفلسَفة والشعبذَة، والطلاسم والأسحار، [جمع سِحْر]. [٥/ ٢٤٥]

[٣] ومن ظهرت على يده كرامةٌ، وهو مخالف لأحكام الشريعة الأحمدية، في كل أحواله وأقواله وأفعاله، لا يأتمر بأمرها، ولا ينزجر بزجرها، ولا علمٌ ولا عمل. مرتكب لأنواع المعاصي والذنوب والأوزار، مع التكبر والإصرار، وعدم التوبة وقل الاستغفار، فهذا مكر واستدراج من الله تعالى، ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢]، وإن كان هذا الإنسانُ يطير في الهواء، فالذباب أعجب منه! أو يمشي على الماء، فالحوتُ أعجب منه! أو يخطو من المشرق إلى الغرب، فالشيطانُ أعجب منه!». انتهى كلامه رضي الله عنه.

قلتُ[١]: وهذه الصفات، صفاتُ من يزعم في نفسه أنه ولي الله تعالى، من أبناء مشايخ قطرنا، وفي عصرنا. وقد شاهدنا ذلك في جملةٍ منهم، كالباحاج، وآل باعزَب، وباشافعي، وباداس، وآل الشمسي، وآل المعبري، وآل ربيع، وآل ضيف الله، وآل عبد القادر، وغيرهم من أبناء مشايخ القُطر.

(١) القائل هو السيد المحضار. (مصحح).

فقد تحلوا بجميع الرذائل والصفات المذمومة، وقطع الصلاة والزكاة، والتبرج، والفسوق والعصيان، والقتل، والنهب، والظلم، وقطع المواريث، واستحلال ما حرمه الله من أموال الناس، ومحالفة البدْوَان (جمع بدوي) الذين لا يحرمون ما حرمه الله تعالى، ولا يدينون دين الحق، ولا يرقبون في مؤمن إلًّا ولا ذمةً. وغرَّهم اعتقاد هؤلاء فيهم غروراً كبيراً. وأدّاهم ذلك إلى: أن من حشَمَ (أي: خفَر ذمته) هؤلاء المشايخُ، أو كسر جاهَهم، هذا؛ أن من ماتَ ولدُه، أو وقع فيه شيء يكرهه، اعتقدَ أنه كرامةٌ من هؤلاء المشايخ، المتصفين بتلك الصفات.

وبعضُهم، والعياذ بالله، يقتل ولدَه الصغير، أو أخاه أو ابن عمّه، جبراً لخاطر من عرَض بينهم بصُلح، ووقع فيه شيء مما يغير خواطرهم، وهذا أمر نكير، وشأن خطير. قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩]. وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٧]. وقال تعالى: ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ [النور: ٤٠]، قاتلهم الله أنى يؤفكون. وكراماتُ هؤلاء: قبض الحيات، وعقر الإبل، وخيالات من الجن، وأشياء لا يعوَّل عليها، ولا يلتفت إليها، بل هيَ عينُ الكفرِ، والعياذ بالله تعالى».

إلى أن قال: «وقد ابتلى الله تعالى كثيراً من هذه الطوائف بالجاه والحشْمة والمقدار عند طوائف قبائل القطر، منهم أهل الجاه من أبناء سيدنا الشيخ محمد بن عمر، الآتي ذكره، والمقصود نشر فضائل بره، مثل بني عبد المانع، وبني الفقيه علي ابن محمد، وآل عفيف خدَمة الشيخ عبد الله باداس.

فكان من عادَتِهم: إذا عزموا بصلحٍ، أو إصلاح بين طائفتين من القبائل، فحصل عيبٌ من بعضهم في الآخر بقتلٍ، والعياذ بالله، غضب منصبُ تلك الطائفة غضباً شديداً، فإذا استرضاه ذلك العائبُ، وأراد رضاه حقيقةً، أمره ذلك المنصبُ، وحكم عليه بقتل القاتل، فإن لم يقدر على قتله، كأن رحل عن الجهة، أو تمنع عند قبيليٍّ آخر، أمَرَه أن يقتل ولدَه، أو أخاه، أو أباه، أو قريبه من عشيرته. فيمتثل أمره، ويقتل له أحد المذكورين. وقد يقتل الطفلُ الصغير في المهد، والعياذ بالله، والشاب من أولاده، يتغفّله حتى يقتله، ويسمون المقتولَ بغير حقٍّ (نَقَا)، وهو عين الشقاء.

ثم يأتي إلى هذا المنصبِ، الشيطان الرجيم، ويخبره الخبر، فيرضى عنه، ويدعو له بالعِوَض: أن الله يعوِّضك بولدٍ غيره. أوَ لم يعلم ولم يدْرِ أن رسولَ الله ﷺ قال: «من أعانَ على قتل مسلم ولو بشطر كلمةٍ لقيَ الله تعالى يوم القيامة مكتوباً بين عينيه: آيسٌ من رحمة الله» [«مسند أبي يعلى»: ١٠/٣٠٦]، ولا ييأس من رحمة الله إلا القوم الكافرون. سول لهم الشيطانُ، فأملى لهم، واستحوذ عليهم، فأنساهم ذكر الله. وقد نبهتُهم عن ذلك مراراً كثيرةً، فلم ينتهوا، وقالوا: إنا لا نأمرهم بذلك، ولا نطلب منهم، ولكنهم هم يرَون في مناماتهم الأموات يأمرونهم بذلك. فقلتُ لهم: حاشا وكلّا أنّ الأموات يأمرون بما لا يكونُ ولا يقع شرعاً ولا عقلًا ولا نقلًا، بل لا يرون في مناماتهم إلا شياطينَ متمردين، وأنتم سلاطين الشياطين، ورؤسائهم، وقادتهم، وسادتهم، ومشايخهم، وشركاؤهم في هذه المعاصي والأوزار،/ والمصائب [١/٢٤٦] والمثالب». انتهى كلامه، مع إصلاح بعض ألفاظٍ.

وما ذكره هنا، يوجد ما يقاربه في الجهات الحضرمية الأخرى، على اختلاف في عوائدهم الجبتية، وأحوالهم الطاغوتية الجاهلية، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴾، ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾.

عَودٌ إلى تعْديدِ فُضَلاء قَيدوْن

[الشيخ محمد بن عبد الله العمودي]

ومنهم: الشيخ محمد بن عبد الله. ويقال: أنه جد آل باحَالةْ. ترجمة الحبيب محمد بن سميط، فقال: «وكان من أصحاب، بل من خواصّ، الشيخ عمر المذكور. وهو من الآخذين عن سيدنا عبد الله الحداد المذكور، الأخْذَ التامَّ، والملازمين له، والمنطوين والمعتقدين له: الشيخُ الصالح، العابد الناسك الزاهد، محمد بن عبد الله العمودي القيدوني. وكان ذا استقامة وإقبالٍ، وجدٍّ واجتهاد، وتشمير وصدقٍ في جميع أحواله، توفي بقيدون، وقبر قريباً من الشيخ سعيد، وبنيَ عليه قبةٌ لطيفة.

وكذلك في جميع ذلك، الشيخ المنوَّر، المعلم الناسك، عثمان بن محمد العمودي. سمعت سيدي عمر البار يقول: «إن عند عثمان المذكور شيئاً من الكشف. وكان يعلم الصبيان احتساباً، وكان سيدنا عبد الله يباسطه ويؤانسه». اهـ.

وعثمان المذكور توفي بِبِنْعِث، وقبره مشهورٌ يزار، مقصُود بالأنذار.

[السيد عبد الله بن عمر باعقيل]

ومنهم: السيد عبد الله بن عمر باعقيل. ذكره الحبيب علي بن حسن في «القرطاس»، في موضعين، في (الحكاية الخامسة والخمسون بعد المئة)، و(التاسعة والخمسون بعد المئة)، فقال في الأولى منهما: «وأخبرني أيضاً، السيد الشريف، العالم العارف بالله، عبد الله بن عمر باعقيل السقاف، باعلوي، صاحب بضَه، قال: أخبرني خالي، السيد الشريف، عبد الله بن عبد الرحمن بن الشيخ البيتي، باعلوي»، وساق القصة. وقال في الثانية منهما: «قال المؤلف، عفا الله عنه: أخبرني السيد الشريف المنوّر، العارف بالله، عبد الله بن عمر بن عبد الرحمن ابن الشيخ عقيل ابن

الشيخ عبد الرحمن السقاف، باعلوي، قال: لما أردتُ الاستيداع من سيدي الحبيب، الشيخ العارف بالله، قطب زمانه، عبد الله بن علوي الحداد، في بعض زياراتي له، استأذنته في قصد الحجّ لبيت الله الحرام، فسألني عند ذلك: هل حججتَ؟ فقلت: خاطرَك. فقال: تقف. وذكر القصة في تيسر الحج له مع ضيقِ الوقت».

[إشكالان تاريخيان وحلهما]

فنشأ لي فيما ذكرَه إشكالٌ! لأنه نسَبه إلى الجدّ الأعلى، وهو عمر بن عبد الرحمن، وقال في موضعٍ: «أخبرني خالي عبد الله بن عبد الرحمن بن شيخ البيتي».

فالإشكال الأول: أن الحبيب علي بن حسن، ولد سنة ١١٢١، وتوفي سنة ١١٧٦، فهو من أهل أواسط القرن الثاني عشر، وإذا تتبعنا وفيَات آباءِ السيد عبد الله ابن عمر المذكور، وجدنا بوناً شاسعاً. فالحبيب عقيل بن السقاف: توفي سنة ٨٧١. وابنُه، عبد الرحمن: توفي سنة ٩١٠. وابنه، عمر بن عبد الرحمن: توفي سنة ٩٦٧. وابنه، عبد الله بن عمر: لم يذكروا سنةَ وفاته، ولكن أخاه أبو بكر توفي سنة ٩٩٧. فإذن؛ عبد الله بن عمر بن عبد الرحمن: من أهل القرن العاشر قطعاً. فلم يبق إلا أن الذي أدركه الحبيبُ علي بن حسن: إنما هو حفيدُ عبد الله بن عمر بن عبد الله بن عمر ابن عبد الرحمن. فعمر بن عبد الله: هو الذي نزل ببيته الحبيب عبد الله الحداد في بضه، حين زار دوعن سنة ١١٧١، وابنه عبد الله: هو الذي أخذ عنه أيضاً، وأدركه الحبيب علي بن حسن، ولكنه يأتي.

الإشكال الثاني: وهو أنه حكى عنه في الأولى أنه قال: «أخبرني خالي السيد الشريف عبد الله بن عبد الرحمن بن الشيخ البيتي»، فإن قصد بذلك مجازاً فلا إشكالَ، وإن قصد الحقيقةَ عاد الإشكال.

فأسوق لك أمهات آبائه: فجدُّهم الأعلى عقيل بن السّقاف: أمه بنت سالم الجِدَيليّة. وابنه عبد الرحمن: أمه من آل باسلم، من اللِّسْك. وابنه عمر بن عبد الرحمن: أمه الطليعة بنت باشميلة بامرشدين، من اللِّسْك. وابنه عبد الله: أمه من آل جسار وابنه عمر بن عبد الله: أمه علوية بنت محمد بن أحمد بن الجفري، باللِّسْك. وابنه عبد الله ابن عمر: وهو الذي قدّمنا أنه الذي لقي الحبيب علي بن حسن، أمه عمودية، هو وأخوه علوي المنقرض. وأما عمر ومحمد ابنا عبد الله بن عمر بن عبد الله بن عمر ابن عبد الرحمن: فأمهما، وأم أختهما شيخة، عموديةٌ. وشيخة هذه، أم أولاد الحبيب بو بكر بن محمد بن بو بكر بن محمد بافقيه القيدوني.

[حل الإشكالين]

فإذا قوله في السيد عبد الله البيتي: «خالي»، على سبيل المجازِ، لا محالةَ، أو من جهة الرضاع. على أن هناك عبد الله بن عمر بن/ عبد الله بن عمر بن عبد الله [/٢٤٧] ابن عمر بن عبد الرحمن بن عقيل، لا ندري أمه، ولكن من البعيد أن يكون هذا أدركَ الحبيب عبد الله الحداد، فإنه متأخر جدًّا، والموجود من ذريته ببَضّهْ الآن: بينهما أربعة آباء، وهو عمر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله ابن عمر، إلى آخر ما تقدم تكرر فيه عبد الله بن عمر، ثلاث مرات. وهذا الصنيع في التسمية غير مستحسنٍ، ولا محمودِ العاقبة، فإنه مؤدٍّ إلى الاختلاط والإسقاط، فليُحذَر منه.

فالذي ذكره الحبيب علي بن حسن: هو عبد الله بن عمر الثاني، وهو جد أكثر السادة آل باعقيل، بقيدون، وجاوة، والهند، وغيرها.

[السيد عبد الرحمن بن عمر الحبشي]

ومنهم: جدنا عبد الرحمن بن عمر بن محمد، بن الإمام الفقيه الصوفي المؤرّخ، عيسى بن محمد بن أحمد صاحب الشعب بن محمد الحبشي، السيد الشريف، العلوي الحسيني، العلامة الفقيه، المتفنن، العابد الزاهد الصوفي، قاضي قيدون، وجدّ قضَاتها. سافر لطلب العلم إلى الحجاز واليمن، وأطال الرحلة، وأخذ بالحجاز عن الحبيب الكبير الشهير، عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس، وطبقته.

ومكث بها نحو سنةٍ ونصف، ثم رحل إلى زبيد، وأقبل على الطلب والحفظ، وجد واجتهد، ولقي الشيوخ الكبار، بزبيد وما يليها، واختص بالسيد سليمان بن يحيى الأهدل. قال: «ولما وردنا جدّة مع وصولنا إلى الحجاز، سامحونا من رسوم الدخول، ونحوها، لكوننا من السادة العلويين». ولزم بمكة الأشياخَ، ولا سيما الحبيب عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس. وكان مقلاً من المال حينذاكَ، فمكث هناك سنةً ونصفاً، ثم توجه إلى زبيد، وتكفل بنفقته أحدُ المشايخ آل العمودي، من المتاجرين بتلك الناحية. ومكث بزبيد سبع سنين، ثم عاد بعلمٍ جمٍّ، وفرح به المشايخ آل العمودي أهل قيدون، وكان معه شيء من النقد. فقالوا: لا بد له من نخْل يتخرَّفه هو وأولاده من بعد، فاشتروا له بماله حوضَين معروفين بنخل السُّوَيدا، وتتبعوا المشتركين فيها، فاشتروا منهم حصصَهم، حتى خلُصَا له.

ثم طلبوا منه أن يتولى القضاء، وألحوا عليه حتى قبلَ، ولم يزل مرجعاً للطالبين.

وتفقه به الشيخُ أحمد بن محمد باشميل، وأفرد ترجمته بالتأليف، واختصرها أخي، وليست حاضرةً عندي فأذكر مشايخَه. ولكن كان السيد عبد الرحمن بن مصطفى في أواخر عشر الخمسين بعد المئة، وما بعدها، وهو بمكة. وقد قال هو: إن شيخه المذكور كانَ في ذلك الوقت على قدم التجريد، وإنما ذهب إلى مصر

واتسعَ بعدها في سنة ١١٥٨، كما في «تاريخ الجبرتي». وأخذ وانتفع بالحبيب عمر ابن عبد الرحمن البار الأول.

ولم يكن جدُّنا المترجَم يسمح لأحدٍ من أهل البلد أن يهدي إليه شيئاً، حتى كان إذ جاء إليه أحدٌ لا يتركه يضعُ بُنّاً لعمل القهوة، كما هي عادة الجهة: أن الداخل يضعُ بُنّاً، يعتبر كالإكرام لصاحب البيت، يصنعون منه قهوةً، ثم يصنعون قهوةً أخرى من بُنِّ صاحب البيت إن أرادوا. فإذا جاء إليه الداخلُ وطرح جِفلًا، قال له: لا؛ إنا نريد صافياً، وقام فأتى بالصَّافي من عنده. ومن وضع صافياً، قال له: إنما نريد جفلًا، ويأتي به. **والجفَل**: هو البنُّ الذي لم يقشَّر، يحمَّس مع قشره، ويصنع قهوةً. **والصَّافي**: هو مَاقد قد أزيل قشره.

وكان له قيامٌ بالليلِ لا يتركه، وتصنع له قهوةٌ يستعين بها على السهر. ولما حضرته الوفاة بكَى، فقال له تلميذه الشيخ أحمد بن محمد باشميل: لم تبكي؟ ولك فَرَطُ صدقٍ، محمد ﷺ، وآله وأسلافك الصالحون، والله واسع المغفرة. فقال له: إني لا أبكي لشيء مما ذكرتَ، فإني أقدُم على رب كريم، وإنما أتحسَّر على عمر أفنيتُه في طلب أربعة عشر علماً، بقيتْ مخزونةً في صدري، لم يسألني عنها أحدٌ، ولم يتعلمها مني أحد، وإنما يسألوني عن حكم نَخلةٍ، أو قطعةٍ، أو كما قالَ.

واتصالنا به: من طريق خالنا الفقيه القاضي عبد الرحمن بن عيسى، وغيره ممن أخذ عن جدّنا الحبيب عيسى، عن والده، عن جده، إن كان أدركه. وإلا: فعَن خالي، عن الشيخ عبد الله بن أحمد بن محمد باشميل، عن والده، عن جدنا عبد الرحمن المترجَم.

[السيد عيسى بن محمد الحبشي]

ومنهم: حفيدُه، جدنا الحبيب عيسى بن محمد بن عبد الرحمن المذكور. لا أدري هل أدرك جدَّه أم لا! وكان قد رحلَ لطلب العلم مع أخيه حامد إلى مكة،

وطلبا العلم بها، على شيخيهما الشيخ عمر بن عبد الرسول العطار، والشيخ محمد صالح الرّيس الزمزمي. وكان أخوه حامدٌ في غاية من الذكاء والنباهة، فلما يرى صنعةً إلا أتقنها، مع الفهم والإقبال على الطلب، ثم/ مرض بمكةَ وأوصى أخاه [١٢٤٨/١] بسرعةِ الأوبة، وتوفي هناك، رحمه الله تعالى.

وأما أخوهما علوي: فقد أصابه جذبٌ، فأغلقوا عليه محلًا، وتركوه فيه. وكان له أخبار بحوادثَ نائيةٍ وقعت في الهند، أو في غيرها، وتوفي وهو باقٍ على حاله.

ولما رجع جدنا عيسى إلى البلد، تولى القضاءَ، على غاية من الورع والتحرز، ولم يكن يسمح لأحدٍ من المتداعيين أن يخلو به ليناجيَه، وهم يسمعون المناجَاة: بَرْزةَ. وكانوا يعتادونها مع بعض القضاة، فكان يصيح على كل من قال له: تعال لأبْرُزَ بِك، ويرفع صوته بالنكير، حتى يسمع الجيران. ويقول تعالوا إلى فلان، يريد أن يبايعني في ديني. ولا يزال يصيحُ بمثل هذا الكلام، حتى يهرب الطالبُ، ويخزي خزياً شديداً. وكان صديقا حميماً للحبيب العلامة عمر بن الحسن الحداد، وأوصى أن يصليَ عليه، فكان يلهج به ليلةَ وفاته، فكان من عجيب الأمر: أنه جاءَ من محلّه، وكان بعيداً، من غير أن يعلِمَه أحدٌ، إلى البلد حين ماتَ، فصلى عليه، وكانت وفاته سنة ١٢٩٦.

[السيد عبد الرحمن بن عيسى الحبشي]

ومنهم: خالي الفقيه العلامة، القاضي عبد الرحمن بن عيسى المترجَم آنفاً ابن محمد بن الحبيب عبد الرحمن بن عمر الحبشي. قرأ على والده فأكثَر، وأقبل على الجدّ والمطالعة، حتى كان والده يلومُه على كثرة المطالعة، ولا سيّما بالليل، ويتخوف عليه فقد بصره. وأخذ عن شيخنا الحبيب طاهر، والحبيب أحمد بن عبد الله باعقيل، والشيخ عبد الله بن أحمد باشميل، وغيره. وأتقن مراسم القضاء، وما يتعلق به. وله مع أهل زمانه حوادث ومعارضاتٌ، يطول شرحها. وكان صليبَ الرأس،

صعب المراس، لا ينهنَهُ بالوعيد، ولا يزعجه التهديد، ثابتاً رزيناً، قوي البنية. بلغ الثمانين من عمره أو جاوزها، وهو حادّ الذهن. عرضَتْ لنا في قراءتنا عنده مسئلةٌ في الفرائض متعلقةٌ بعلمِ الجبر والمقابلة، فحلها لنا من غير معرفةٍ له بهذا العلم.

وقد أخذنا عنه، واستجَزْنا منه.

[السيد عمر بن عبد الرحمن الحبشي]

ـ وقد نشأ ابنه: عمر بن عبد الرحمن مائلاً إلى الطلبِ، فانتفع بوالده، ومارس معه أعمال القضاء، وتمرّس بها، وقرأ عندي في بعض كتب النحْو، وانتجَب. وعمّر بيتهم بمظهر العلمِ والفقه، وتولى القضاء في بعض الأوقات. وكان محمود السيرة، صبوراً حليماً، بارك الله فيه. وقد سُقنا أهلَ هذا البيتِ نسَقاً، كما هو الأوْلى.

[الشيخ عبد الله باطويل العمودي]

ومنهم: الحاج الفقيه، الصوفي المنور، عبد الله ابن الشيخ الصالح باطويل العمودي. هكذا ترجمه الحبيب علي بن حسن العطاس، وذكر له قصةً.

[السيد أحمد بن عبد الله باعقيل]

ومنهم: السيد الشريف، أحمد بن عبد الله بن علوي بن الفقيه الإمام عبد الله ابن علوي بن أحمد بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن عمر بن عبد الرحمن بن عقيل ابن الشيخ عبد الرحمن السقاف. ترجمه أخي في «قرة النواظر»، فقال [١/ ٥٦٥]: «السيد الجليل، والعلم الحفيل، الفقيه العلامة، حليف الهدى والاستقامة، الحبيب المنيب، شهاب الدين أحمد». وساق نسبه كما ذكرنا، ثم قال: «ولد بقيدون، وحفظ القرآن العظيم، على أبيه الكريم، وأخذ العلم عن الحبيب العارف بالله عمر بن أبي بكر الحداد، والحبيب عيسى بن محمد الحبشي، والشيخ الكبير عبد الله بن أحمد

باسودان، وابنه العلامة محمد، وغيرهم من فقهاء دوعن. وأخذ عن الحبيب العارف بالله عبدالله بن حسين بن طاهر، وعن الحبيب العارف بالله الحسن بن الحسين الحداد، والحبيب محسن بن علوي السقاف، والحبيب أبي بكر بن عبد الله العطاس، وكان يجلُّه ويثني عليه، ويسميه غلام الساعتين [يعني: ساعة الدنيا، وساعة الآخرة].

وحجّ حجة الإسلام [وأخذ عن السيد أحمد زيني دحلان]، ثم حجّ ثانياً سنة ١٣٠٠، وتوفي بالمدينة سنة ١٣٠١، ليلة الثلاثاء، منتصف شعبان. وكان المتولي لتجهيزه الشيخُ محمد بن محمد العزَب، واحتَفَل أهل المدينة لحضور جنازته، وكان بالمسجد النبوي شيخٌ صالح جبرتيٌّ، فرأى تلك الليلةَ كأن جنازةً أدخلت الحرم، وتشاجر الناس في الصلاة عليها، فظهر لهم الحبيب الأعظم ﷺ، وقال للناس: «هذا ولدي، ولا يتولى الصلاةَ عليه غيري»، فصلى عليه.

فلما أصبحَ الشيخُ الجبرتيُّ منتظراً تحقُّقَ رؤياه، منتظراً أولَ جنازةٍ تدخل الحرم النبوي، فكانت جنازةُ صاحب الترجمة، فسأل عنه، فأُخبر أنه من ذريته ﷺ، فحدث الناس برؤياه، وخرجَ مع جنازته، فخرج أهل المدينة لخروجه، لأنه كان معتقداً، وما كان الخروجُ من الحرم من عادته»، اهـ ما ذكره أخي، مع زيادة أحرفٍ. وكان قائماً بالدرس، مواظباً على الجماعة، مرتباً/ أوقاته، مكتسباً لمعاشه بالحرْثِ. [/٢٤٩]

أخذ عنه مشايخنا، وهو من أشياخ والدي، أخبرني بذلك شيخنا الفقيه الصوفي الشيخ عبد الله المرَحَّم الخطيب، كما سبق. وحكَى لنا شيخنا الحبيب طاهر ابن عمر الحداد قصةً فكاهيةً، قال: كنَّا نقرأ عند الشيخ محمد بن[1] عبد الله باسودان، أو على والده، أنا أشك أيهما قاله، قال: فقرَّر لنا معنى الفعْل الماضي، أنه ما مضَى وانقضى، قال: فقالَ الحبيب أحمد: إذَنْ فالقَضُوض فعلٌ ماضي، لأنه قد مضى، فقد

---

[1] في الأصل: محمد بن أحمد بن عبد الله، وهو خطأ طباعي أو سبق قلم. (مصحح).

جُرِش حبُّه، وطُحن، وعُجِن، وخُبز، ووضِع في التنور، ونَضِج، وأُخْرج، فأكِل، فقد مضى وانقضى! فكانت فكاهةً.

والقَضُوض، بفتح القاف فضم: هو الخبزُ الفطير، كأنه لصلابته تتكَسّر أرغفتُه، وتتقَضْقَض، وهو خلافُ الخمير.

[السيد محمد بن أحمد باعقيل]

ومنهم: السيد محمد بن أحمد بن علوي بن عبد الله بن علوي بن الفقيه عبد الله ابن علوي، السابقة ترجمته. كان فاضلاً متّسماً بسمة أهل العلم والفضل. طلبَ العلم، فأدرك، وشاركَ، وتفقّه، وتعانى صنعةَ الشعر المقارَب، ونظَم «المولد الديبعيَّ» نظماً ضعيفاً، على قافية بائيةٍ، وكان يحرص أن تكون هيَ التي تقرأ في المجالسِ ومحاضر الزواج، ونحوه. فكان السيدُ محمد بن عمر بن علي الكَاف، وكان فاضلاً عالماً، شاعراً شعراً محكماً رصيناً، يغضب لذلكَ، ويخرج من المجلس، وكانت بينهما منافسةٌ. سافر إلى جاوة، وسكن بلد الطُّوبان، وأولد بها أولاداً.

وخرج إلى بلده مرتين، وكانت له كتبٌ جاء بها معه، ومنها ما هو من كتُبِ جدّهم الفقيه عبد الله، وكنتُ آلفُه، وأحضر معه كثيراً على المطالعة، وأستعير بعض كتبه، وكان منعزلاً في بيته، لا يخالط أهل بلده، لتباين الطريقَة، فإن همَّه العلمُ، وهمهم الحرْثُ والبداوة، فيا بُعْدَ ما بينهما!

توفي في خروجه المرةَ الثانية، ليلة الخميس، سلخَ محرم الحرام، سنة ١٣٢٧.

[السيد عمر بن علي الكاف]

ومنهم: الحبيب عمر بن علي بن حسين بن علي، المتوفى بالخريبة، بن عبد الله ابن علوي بن عبد الله، المتوفّى سنة ١١٤٠ بالخريبة، بن علوي بن عبد الله المتوفّى

سنة ١٠٧٤ بالخريبة، بن علوي بن أحمد، المتوفَّى سنة ١٠٢٢، بن محمد الكاف ابن أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر الجفْري بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن الفقيه المقدَّم محمد بن علي. انتشرت هذه العائلةُ، في القرن العاشر وما بعدَه، في دوعن، والهجرين، وحَجْر، وكنينة، والجبوب، والخرْبَة بوادي عمد، وببلد عَمْد، وظهر فيهم فضلاءُ، ولا نعلم أحداً منهم الآن بالخريبة، فإنّ من آخرهم السيد المترجم.

وكان فاضلاً صالحاً متنسكاً، مداوماً على الذكر، سافر في أول عمره إلى جاوة، قبل أن تظهرَ مراكب الدخان، واستفاد مالاً عظيماً، ثم ذهبَ. وخرج آخِر عمُره، ومكث ببلد قيدون، وكان متزوجاً عند السادة آل باقيه، ورزق بها بنتاً، تزوجها خالي عبد الرحمن. وكان له من الأولاد الذكور: أحد عشر ابناً. منهُم بجاوة، والتَّيمُور، وسُرَبايَه، والسواحل، وبتاوِي، وبوجُونقوره.

[ابنه: السيد محمد بن عمر الكاف]

من فضَلائهم: السيد محمد بن عمر، الآنف الذكر. كان عالماً فصيحَ الشعر، متشَعّثاً، فيه حدَّةٌ، وكان محمود السيرة، وترك مؤلفاتٍ ومنظوماتٍ، بيعت مع كتبه بعد موته. ويقال: إنها سقطَتْ إلى يد أحد الفضلاء من آل العمودي، أهل قيدون. لا أذكر سنة موته، ولكنها كانت بعد سنة ١٣٣٧.

[السيد أبو بكر بن سالم الكاف]

ومن فضلائهم، الذين فاتنا ذكرهم: أبو بكر بن سالم بن عبد الرحمن المتوفى سنة ١٠٩٨، ابن عبد الله المتوفَّى سنة ١٠٨٤ بالخريبة، بن علوي بن أحمد، إلى آخر النسب. كان شريفاً فاضلاً، ناسكاً فقيهاً، توفي بدوعن.

[الحبيب عمر بن أبي بكر الحداد]

ومنهم السيد الشريف، الحبيب عمر بن أبي بكر بن علي بن علوي بن الحبيب قطب الدعوة والإرشاد عبدالله بن علوي الحداد. ترجمه شيخُ المشايخ الإمام عبدالله بن أحمد باسودان في كتابه «حدائق الأرواح»، فقال: «وأما سادتنا بنو القطب الحداد، معادن الواردات والأوراد، والدعوة والإرشاد، والكرم والجود والإمداد، فقد مرَّ ذكرُ أخذي عن سيدي الإمام الخليفة الإمام أحمد بن حسن بن الشيخ عبدالله الحداد، وولده العارف بالله، الحبيب الجواد، رفيع القدر، عمر بن أحمد.

ومن البقية في العصر: الناشئُ في الطاعة، الحقيق على انفراده أن يكون هو السنةَ والجماعة، الفائق في الاجتهاد في العلم والعمل، المصحُوبَين بالإخلاص لله عز وجل، الحبيبُ عمر بن أبي بكر بن علي بن علوي بن الشيخ عبدالله بن علوي الحداد، باعلوي، نفع الله بهم. فقد حصلَ بيني وبينه كمال التعارف، والزيارة على المعهود/ بين الأَخوين من التآلف، من أوان الطلبِ في وقتٍ قادم، ولم يزل الاتّصالُ [/ ٢٥٠] موصول، وبحبل العروة الوثقى التي لا انفصام لها موثوقٌ غير محلول، بقدرة ذي الحول والقوّة المرجو لنيل كل مأمول». اهـ.

وترجمه أخي في «قرة الناظر»، فقال [١/ ١١٣-١٢٠]: «كان رضي الله عنه من العلماء العاملين، والهداة المهتدين، والعباد المجتهدين، والدعاة إلى رب العالمين. ولد بحاوي تريم، مهبط الخيرات والبركات، سنة خمسٍ وثمانين ومئة وألف، ونشأ بها على أكمل حال، وأحسن وصفٍ وأنعَم بال. سالكاً مسلكَ آبائه الكرام سادات الرجال، من اكتسابِ العلوم ومعانقة الأعمال، تخرج وتأدب بهم، وأخذ عنهم علوم الإسلام، وعمن بقطره من الأعلام. كجده الحبيب الإمام علي بن علوي، كافله لوفَاة والده أبي بكر بعد وجوده بسنةٍ، وكالشيخ الكبير، الحبيب أحمد بن الحسن الحداد،

فقد أدركه وأخذ عنه، وحلّ عليه نظره، واستمدّ منه، وكأعمامه الأجلاء: الحسين وعمر وعلوي أبناء الحبيب أحمد المذكور، وكشيخ وادي الأحقاف، الحبيب عمر ابن سقاف السقاف، والحبيب حامد بن عمر، والحبيب طاهر بن حسين بن طاهر. ورحل إلى الحرمين الشريفين، لأداء النسكين، وزيارة جده سيد الكونين، ﷺ، وذلك سنة العشر بعد المئتين والألف.

ثم أنه رحلَ إلى الحرمين ثانياً سنة ثلاثين ومئتين وألفٍ، ومعه ولده أبو بكر، وأخذ في الرحلتين عن جملة من العلماء الأجلة، كالشيخ عمر بن عبد الكريم العطار، والشيخ محمد صالح الرئيس، والسيد علي بن محمد البيتي المدني، وله منهم إجازاتٌ.

ورحل إلى وادي دوعن، فأخذ به عن جملةٍ من أكابره، منهم الحبيب العارف بالله عمر بن عبد الرحمن البار الجلاجلي، وعقَد الأخوة مع الحبيب صالح بن عبد الله العطاس، عند ضريح الشيخ سعيد العمودي، وقال كل منهما للآخر: أولادُنا أولادكم، وأولادكم أولادنا.

وتأهل بقيدون، وقام بوظيفة الإمامة والتدريس بجامعها، وانتفع به جملة من الأعيان، منهم الحبيب العارف بالله عيسى بن محمد الحبشي، والعلامة أحمد بن عبد الله باعقيل، والحبيب العارف بالله أحمد بن محمد المحضار، وأخذ عنه الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي، والشيخ العلامة أحمد بن عبد الرحمن بن عمر بن عبد القادر العمودي، والشيخ العلامة أحمد بن سعيد بن عبد القادر العمودي المتوفى سنة ١٢٨٧، والشيخ العلامة محمد بن عبد الله بن أحمد[1] باسودان.

(١) في الأصل: محمد بن أحمد بن عبد الله، وهو خطأ طباعي أو سبق قلم. (مصحح).

وكانت وفاته لثمان وعشرينَ من ذي الحجة، سنة ١٢٥٣، بقيدون ودفن بعَرْضها المصُون، وقام أهل قيدون مع ولده الحبيب علوي في نائبة تجهيزه، والقراءة عليه والختْم مقاماً حسناً، وقد شكرهم على ذلك علامة العصر الشيخُ عبد الله بن أحمد باسودان، بقصيدةٍ يقول فيها:

يا أهل قيدونْ طَابتْ عنكمُ الأخبَارْ وقـد نَعِمتُمْ وطبتم بصَفا الأسـرارْ

إلى أن قال:

وقدْ عملتُمْ مع الحدادْ بالإحسَـانْ بحسْبِ ما به يقومُ الأهلُ والجيرانْ

من الأصُولِ القديمة من ولَدْ عدنانْ حيّـاكـم الله وأحيَـى بـكـمُ الآثارْ

وقال فيها، بعد ذكر الشيخ سعيد بن عيسى، والشيخ عمر بن عبد القادر، مشيراً إلى صاحب الترجمة:

ثـم خلفَهُـم على هذا عزيـز القَدْرْ عُمْر أبو علوي مشـرقْ شَبيه البدرْ

دعَا إلى الله في قيدُون طُول الدّهْر من عمْره المارّ في التذكَار والأذكارْ

* * *

ثـم انقضى نحبُـهْ وارتفعَتْ روحُه إلى الرفيقِ العَلي ذي جَلّ سبُّوحُه

وضمّه العَرْض ذي أشرَقَتْ سُوحُه بالنّور قـدْ حلّ فيه السّـادة الأبرار

[زوجته؛ الشريفة علوية بنت محمد بافقيه]

تزوج بقيدون بالشريفة الصالحة، علوية بنت الحبيب العارف بالله محمد ابن أبي بكر بافقيه، وجاءت له بابنين، هما: علوي، وطاهر. وبنتين، هما: خديجة، تزوجها جدّنا الحبيب الهدار عبد الله بن طه، وهي والدة عمي الحبيب العارف بالله،

صالح بن عبد الله. ومُزنة، تزوجها خالُ والدتنا، الحبيب حسن بن عبد الله بن علوي ابن محمد بن أحمد بن محمد بن/ عمر بن الحبيب العلامة العارف بالله عبد الله بن [/٢٥١] عمر باعقيل السقاف. وقد قامت الشريفة علوية المذكورَة بتربية أولادها، بعد وفاة المترجم، أحسن تربيةٍ، وكانت من أهل الصلاح والخير.

توفيت في شهر ذي الحجّة، سنة ١٣٠٢.

[السيد أبو بكر بن عمر الحداد]

وأما ابنه: أبو بكر؛ فقد ولد بحاوي تريم، وأخذ عن والده وغيره من العلماء، ورحل مع والده إلى الحرمين الشريفين في رحلته الثانيةِ سنة ١٢٣٠، وأخذ بها معه عن الشيخ عمر بن عبد الكريم بن عبد الرسول، والشيخ محمد صالح الرئيس، والسيد علي بن محمد البيتي، وغيرهم، وتوفي بمكة المكرمة سنةَ ١٢٣١، رحمه الله تعالى

[السيد علوي بن عمر الحداد]

وأما ابنه: علوي؛ فكان عالماً عاملاً، جامعاً للفضائل، شهير الصيت، حسَن الذكر. ولد بقيدون، لأربعٍ وعشرين من ذي الحجة، سنة ١٢٤٠. وتربى بأبيه، وحفظ القرآن العظيمَ على السيد الجليل محمد بن أحمد باعقيل، وأخذ عن الحبيب محمد ابن عبد الرحمن الحداد، وتفقه على الشيخ عبد الله باسودان، وله إجازة منه، والشيخ سعيد بن محمد باعشن، وأخذ عن الحبيب صالح بن عبد الله العطاس، والحبيب أبي بكر بن عبد الله العطاس، وعن الحبيب عيسى بن محمد الحبشي، وكان بينهما اتحاد كلي، وممازجة تامة، واتصال كامل. ورحل إلى وادي ابن راشد مراتٍ، فأخذ به عن سادات السادات، كسيدنا الحبيب أحمد بن عمر بن سميط، والحبيب الحسن ابن صالح البحر، والحبيب محمد بن أحمد الحبشي، والحبيب عبد الله بن حسين

ابن طاهر، والحبيب الحسن بن الحسين الحداد. ثم حج بيت الله الحرام وتوفي بعد أداء المناسك سنة ١٢٦٦ ودفن بالمعلاة. وكان الحبيب صالح بن عبد الله العطاس يقول: من أراد أن ينظر إلى شباب الجنة؛ فلينظر إلى علوي بن عمر.

وقد ترك ولداً، هو عبد الله. ولد ببلد القرين، ليلة الاثنين، لأربع عشرة ليلةً خلت من ذي القعدة الحرام، سنة ١٢٦٥، وتوفي سنة ١٢٨١. بعد أن طلب العلمَ، وظهرت نجابته وألمعيته، رحمه الله وإيانا، آمين.

[الحبيب طاهر بن عمر الحداد]

وأما شيخنا ومربينا، الحبيبُ طاهر بن عُمَر، العاملُ لا يني ولا يكل، والمجِدّ لا يتوقف ولا يمل، والمقبل على الله لا يلتفِتُ ولا يعدل، فقد خلعَ الله عليه خلعةً من النور، وجلَّله البهاء، وكساه الهيبة، واصطنعه لعبادته، وألهمه إدامة ذكره، وصرفَ همه عما سواه، وجافى جنبه عن مضجعه، فما هو إلا قارئٌ، أو ذاكر، أو مصل، أو ناصحٌ ومعلم، أو مؤدٍّ لحقوق مسلم، فلولا أنه يمشي على الأرضِ مطمئناً، لقال لسانُ حال مشاهده: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾.

ولد بقيدون سنة ١٢٤٩، وتوفي يوم السبت ١٥ من المحرم سنة ١٣١٩، فما علم في مدّة عمره أنه ترك ورداً كان يعتاده، أو صلى في غير جماعةٍ، أو ترك قيام ليلةٍ. نبتَ في الحسب الباذخ، والمجد الراسخ، وبيت العلم والعبادة والمشايخ. فحفظ القرآن على السيد الجليل عبد الله بن علوي باعقيل، وحفظ متن «الزبد» وغيره. وأخذ بقيدون عن أخيه العالم علوي، وعن الحبيب العلامة عيسى بن محمد الحبشي، ورحل معه للقاء المشايخ من أهل البيت الطاهر، وغيرهم، فزار حضرموت.

ولما توفي أخوه؛ رحل هو إلى الواديين الأيسَر والأيمن، وكان يحمل معه زاده،

فأخذ بالوادي الأيسر عن الشيخ الفقيه النحرير، أحمد بن محمد العمودي بصُبَيخ، وعن الفقيه الزاهد العابد أبي بكر بن أحمد باحميد بالبيد في ضَرْي.

وأخذ في الوادي الأيمَن: عن شيخ المشايخ عبد الله بن أحمد باسودان، وابنه محمد في بلد الخريبة، وعن الشيخ العلامة سعيد بن محمد باعشن في الرّباط، وعن الحبيب [أحمد بن عبد الله البار] في القِرَين.

قال: وكان رفيقي أيام طلبي في الخريبة، السيد عمر الجيلاني (ذلك الصالح العالم العابد، الذي سبق ذكره في فضلاء الخريبة)، وكنا في غرفة واحدةٍ في المسجد، وكان ميلنا إلى الأوراد والعبادة، فقد نغفل عن مطالعة الدرس، وكانت القراءة متداولةً بيننا معاشر صغار الطلبة، وهي في «أبي شجاع»، ووصل إليَّ الدَّورُ ولم أطالع، وفتحتُ الكتابَ بين يدي الشيخ، وابتدأت أقرأ في باب الحيض منه، وكانت العبارة: «يخرجُ من الفرج ثلاثة دماءٍ: دمُ الحيض، ودمُ النفاس، ودم الاستحاضة»، حينما لمحت العبارة على غير مطالعة سابقة أردت أن أقرأها (ثلاثةُ دَمادِم)، على وزن جماجِم! ولا تسأل عما سيكون من ضَحِك الطلبة عليَّ!. قال: فلما قلتُ: «يخرج من الفرج ثلاثةُ..»، فقبلَ نطقي بدَمادِم! بدَرني الشيخ عبد الله فقالَ:/ «دِمَاءْ»! [/ ٢٥٢] ووقفَ، ثم قال: «دمُ الحيض». فكأنه أحسَّ بما هجسْتُ به في نفسي، قال: فحبسَني بذلك عن الوقوع في غلطٍ يفتحُ للطلبة باباً للضحك عليَّ.

وكان يذكر تعبه في المطالعة، وما كانوا يستعملونه من مصابيح السّليط، وذلك قبل أن ينتشر الغازُ، وتستعملَ مصابيحُه، وكانوا يسمُّون مصباح السّليط: مَسْرجة. وقد أدركتُ أنا مع أهلي مَسرَجةَ صُفرٍ، على قائمةٍ، ومسرجةَ مَرْمَرٍ، وأخرى بلا قائمةٍ. ثم لما تأهلّ، ورتب أوقاته، نقل شيخه أحمد بن محمد العمودي إلى قيدُون، ثم نقل الشيخ عبد الله بن محمد الفَوارسي الصُّحَاري، المعروف بالمسكَتي، من رباط باعشن، ثم الشيخ عمر بن عثمان من هدون، للقيام بوظائف التدريس.

ورحل إلى وادي ابن راشد؛ فأخذ عن الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر، والحبيب الحسن بن صالح البحر، والحبيب محسن بن علوي السقاف، والحبيب عبد الرحمن بن علي السقاف. وقال له: «أنا شيخك بإذن رباني، وأجزتك في العلم اللدُنّي»، وقد أجازني عنه: مئةً من ﴿رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي * وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي﴾، كلَّ يومٍ. وعن الحبيب الحسن بن الحسين الحداد، وأخذ أيضاً عن الحبيب أحمد بن عبد الرحمن الحداد، وعن الحبيب عمر بن محمد بن زين بن سميط، والحبيب محمد بن عبد الرحمن الحداد، أيام إقامته في قيدون، وعن الحبيب القطب أبي بكر ابن عبد الله العطاس، وقرأ عليه «الأربعين النووية». وكان شيخه الخاصّ في سلوك الطريق، هو الحبيب صالح بن عبد الله العطاس، فإنه كان منجذباً إليه بكليته، وكان يشاوره في أموره، ولما عزم على السفر إلى الهندِ، قال له الحبيب صالح: اجلسْ، وسيأتيك هندُك. فحققَ الله ذلك بسفر شيخنا الحبيب محمدٍ، وجاء بما وسّعَ الله به عليه.

وكان في أول أمره مع سلوكه على قدم التجريد، واتساع الحاشية، وطرُوق الأضيافِ، في الحالة التي يكون عليها مثلُه، من الانقطاع إلى الله، قد تعرض له عوارضُ الإضافة، فكان يقابلها بالتجمّل والصبر، حتى يفرجها الله.

وقد حكى لي في مرض موته بضعَ حكاياتٍ، وأمرني بكتابتها، فمنها ما كتبتُه، وقد نقله أخي في ترجمته في «قرة الناظر» [٤٤٧/١]، ومنها ما تركتُه لخفاءِ بعضها عليَّ حينئذٍ، فإنه رضي الله عنه كان في كلامِه عجلةٌ، وكان مع ذلك مهاباً، فما كنت أستطيعُ مراجعته واستفهامَه، ولا سيّما مع ما هو فيه من المرض.

أخبرَني: أنه كان مرةً مع أهل بيته في المحل المسمَّى الجوَة، ونفد البُنّ الذي كان معهم، ولا بد لهم منه. قال: فلما كانَ وقتُ الظهر، إذا بداعٍ يدعوني، فخرجتُ

إليه، فإذا رجلٌ على هيئة البدوِ، غير معروفِ الشخص، جاءني بمبلغ من البنّ، وأحسب أنه قال مع سلامٍ من شيخه الحبيب صالح.

ولها نظائر؛ منها: ما وقع له عندما نفدَ ما عنده من العسل، فبينما هو في محرابه في المسجد، إذ جاءه رجلٌ، فطلب منه إقليدَ غرفته، فأعطاه إياه، فذهب، ثم عاد به، وسلمه إليه، فلما تفقدها شيخنا الحبيب طاهر، وجده وضع فيها قَرْفَين من العسل أو أكثر، أنا نسيتُ عددها الآن، وأشار شيخنا أنه عرفَ في ذلك الرجل أنه فلانٌ، أحدُ الكبار، من باب التمثيل.

قال: وذهب بعض الزائرين إلى حضرموت، فلما زاروا الحبيب عبد الله بن حسين، سألهم عن المعارف، ولم يذكرني، فلما رجعُوا وقع في نفسي من ذلك. فأخبرني سيدي الحبيب صالح، فقال لي: إن الأفرادَ لا يدخلون تحت دائرة القطب! يشير له بذلك، إلى ما له من رفعة مقامٍ، لا يحتاج معها إلى سؤالِ أحدٍ من الأنام.

ثم يسر الله له الموضعَ المعروف بالشعب، وكان محلا مواتاً، يحل به البدو، وكان لأناسٍ من المشايخ آل العمودي، على عادة أهل هذه الجهاتِ في وضع أيديهم على الموات، فأعطوه إياه، وساعده على غرْسه بالقَخْذ بعضُ أهل البلد، وبارك الله فيه، فانتفع به كثيراً لأهله وضيفه. ثم فتح الله بالخير على يد ابنه شيخنا محمد بن طاهر، وجرى له مددٌ وهباتٌ من بعض من يتعانَى التجارة من أهل دوعن في البلدان الخارجية، وكانوا يتعرفون زيادةَ نعمة الله عليهم بذلك، ويتبركون به. ففرّغ الله قلبَه من همّ المعيشَة بما فتحه له من باب فضلِه، بما يكفيه ويكفي أضيافَه من غير إسرافٍ ولا بذَخٍ، وكل يوم جديدٍ له رزقٌ جديد.

وكان من اعتنائه بالأضياف: يدخر عند بعْضِ المنتسبين مقداراً مما تدعو إليه الحاجةُ إذا كثروا، ليكون معَدًّا مهيأً، من طحينِ البُر، والمسَيْلي، والطَّهَف.

[/ ٢٥٣] ولم يكن/ الأرزُّ موجوداً في ذلك الوقتِ كما هو الآن، فكان ذوو الشهرة المقصودونَ، يلقَى أهلُ بيوتهم عنتاً من كثرة ما يطحنونَ. أخبرني شيخُنا الحبيب أحمد، قال: إنهم ما كانوا يستعملون في ولائمِ الأعراس إلا الثريدَ، وكانوا يخزّنون عجينَ الخمير في أزيارٍ، استعداداً للطارقين.

وكان يتردد أولَ عمره إلى الريْدَة، والسيطان، في بعض الأوقات، يدعوهم إلى الله، وكانوا يحترمونه احتراماً عظيماً، وله عندهم جاهٌ عظيم. وقلما كانوا يخالفون له أمراً، ومتى طلبه أحدٌ منهم الدعاءَ ألزمه بالصّلاة، وطلب أن يبدّو بوجهه، وهم يقولون، إذا أرادوا المعاهدّة على شيءٍ: بدّيتُ بوجهي. وإذا كان في البلدِ، وجاء إليه من يصافحُه من البادية، سأله: هل تصلي؟ فإن قالَ: لا، أمره بالصلاةِ وشدد عليه، حتى يبدّو بوجهه.

***

جاء مرةً بدويٌ من أهل الحيق، وصافحه، وقبل يده، ثم طلب منه الدعاء والكرامَة، وكنا مع جماعةٍ من صغار أبنائِه وغيرهم، جالسينَ عنده، فسأله: هل تصلي؟ فقال: لا. فقال له: صَلِّ صلِّ. فجعل ذلك البدوي يقول: بَيْصَلّي بَيْصَلّي. هكذا يأتي بها على صيغة الغائب، وأهل بلدنا وما والاها وبواديها إنما يقولون: باصَلّي، أي: سأصلي. وقد رأيتُ في ذلك شبهاً لما يستعمله عوامّ مصر والشّام في ذلك، وهذا شاهدٌ عرضَ لنا من شواهدَ كثيرةٍ، دلتنا على تشابهٍ كثير في الألفاظ المستعملة في لغة عوامّ تلك البلاد وبلاد حضرموت. وذلك مصداقٌ لما يحكيه التاريخُ عن كثرةِ من دخل إليها من اليمَن وحضرموتَ، أيام الفتوح في صَدْر الإسلام.

***

وليس لشيخنا الحبيب طاهرٍ مجلسٌ يتحدث فيه بحديثِ أهل الدنيا، وأخبارِهم، وما يقع من حوادثهم، وإنما وقته كله مشغولٌ بالطاعة، ما بين صلاةٍ، وتلاوةٍ، وذكرٍ، وقراءة كتابٍ. وقد كتبتُ كيفية دخولِه وخروجِه، وقيامه في الليل، ونقل ذلك أخي في ترجمته [في «قرة][1] الناظر». وإذا خرج إلى صلاة الظهر، جلس في المسجد لأداء أورادِه، من صلاةٍ وذكرٍ، فلا يعود إلى البيتِ إلا بعد الساعة الحادية عشرة قبل الغروب، وهي الخامسةُ عند من يعُدُّ الساعةَ من الزوالِ. ثم يخرج لصلاة المغرب، فلا يعود إلا بعد الساعة الرابعةِ ليلاً، وهي العاشرةُ على ساعة الزوالِ، وإذا خرج لصلاة الصبحِ مكث في المسجدِ، وقرأ أوراده الصباحيةَ، وصلى أربع ركعات من الضحى بجُزءٍ من القرآن، ويعود قريباً من الساعة الثانية أول النهار.

وكنا نأتي إليه الساعةَ الرابعة نهاراً، أي قبلَ الزوال، فنقرأ في محفوظاتنا، وفي بعض المختصرات. وقرأتُ عليه في «المقدمة الحضرمية»، مع «رسالة المريد». وكنت أقرأ علَيه في مرض مَوته في «مكاتبات» جده الحبيب عبد الله الحداد، فذكر في بعضها أبيات الشيخ ابن الفارض:

تلك الليالي التي أعددْتُ من عمُري ... مع الأحبّة كانَتْ كلّها عرُسَا
لم يحلُ للعَينِ شيءٌ بعْدَ بُعْدِهِمُ ... والقلْبُ مذْ آنسَ التّذْكارَ مَا أنِسَا
يا جَنةً فارَقتْها النفْسُ مكرَهةً ... لولا التأسّي بدارِ الخلْدِ مِتُّ أسَى

فاستعاد قراءتها، ودمعَتْ عيناه.

[عِبرةٌ]

جاء إلى قيدُون الشيخُ الفاضل، الرّزين العاقل، عبد الله بن أبي بكر بن شيخ

(١) ما بين الأقواس سقط من الأصل. وتلك الصفحة من الأصل مسودة لم تراجع. (مصحح).

المشايخ عبد الله باسَودان. وكان سبقَ له اتصالٌ بالسلطان عوض، وابنه السلطان غالب، في قصّةٍ قد نشير إليها فيما يأتي، فأنشد ابنه أحمدُ بقصيدةِ الحبيب عبد الله الحداد، التي مطلعها:

يا راحِلًا إن جئتَ وادي المنحَنَى   فانزِلْ به واعكُفْ علَى كنْزِ الغِنَا

فجعلتْ دموعُ الشيخ تتحادر. فلما خلا المجلسُ، قال ابنه: كيف يا أبَهْ يبكي هذا الشيخُ، مع ما حُكيَ عنه! فقال الحبيب طاهر: إن الرجل الزَّينَ قد يضطرّ إلى ما ليس من بابَتِه، أو كما قال.

* * *

وسألته في مرض موته عن (فلان)، رئيس قبيلة ضخمة، كان معتقِداً مطيعاً لشيخنا الحبيب طاهر، فكان يجامله ويخالقه إذا جاء، لِـمَ يفعل به ذلك مع أنه شأنه شأنُ أهل البداوة؟ ويحكَى عنه كذا. فقال ما معناه: حارس يصرُخ تحت الدار!. وما عرفتُ كُنْهَ هذه الكلمةِ إلا بعد سنين. ولعله لولا ما كساه الله من الجلالة والمهابة، وما وهبه من العزِّ الذي يهبه أحبابه، ثم ما جعلَ الله له من الطاعة في قلوب أولئك، وأمثالهم، من أهل السطوة، لمزق عليه جيرانُه أثوابَه، ورجموا درسَه/ ومحرابه، [/٢٥٤] فإنما يولَعُون بإيذاء أهل الخير، ومظاهر العلم. أما لو جاءَهم بدَويٌ يبول على عقبيه، فلا تسأل عما تراه على وجوههم أمامَه من الخنوع والتذلل.

* * *

وعلى ما لشيخنا من الوجاهة، لم يسلم خادمه بكّار باشراحيل، من أن تسرقه جماعة اللصوص مرّتين، كما سرقوا خادمه باكثير مرةً، فجاء يصرخُ والحبيب في درسه بعد صلاة الصبح، فتألم واستاءَ، ودعَا الله أن يسلط عليهم فلاناً، وقد قبل الله دعاءَه، فكم نالهم منه من أذًى ومساءةً، جزاءً وفاقاً.

ولما قتَل هيثم القُثْمي خادمَه باقتادة، في القرين بدَوعن، عظُمَ عليه ذلك، وتحركت بادية الديِّن، وخاف القُثَم، فلجأوا إلى آل الشيخ عمر باعبد القادر، ليسوُّوا المسألةَ بينهم وبينه. وما كان رضي الله عنه يرضى إلا بإجراء حكم الشرْعِ من قِبَل القاتل، قصاصاً. وكان المشايخ، وهم الواسطة، لا يفهمون أمثالَ هذا الطلب، وإنما يريدون إجراء ذلك على عادَةٍ تقدمت لأمثالهم، ولكنهم لم يجرؤوا على مواجهته بما يدور في أفكارهم، لعرفانهم إنه لا يرضَى بقتل بريء. وجاء تلك الأيام شيخنا الحبيب أحمد، وحضروا، وأجريَ الكلامُ في المجلس، فقال الحبيب أحمد: أما عادة أهل شقِّنا، إذا وقع مثل هذا، فهو أن يسمح المعتدُونَ بثأر قتيلٍ مطلوبٍ لهم عند هؤلاء، أو قبيلة أخرى، أو كما قالَ. فرأيتُ شيخنا الحبيب طاهر، لم يمل إلى ذلك، وأصر على المطالبة بقتلِ القاتل.

وأذكرُ أني مررتُ ببعض المقاعدِ، وهناك كبير القُثَم، يتحادث مع بعضهم، ويلين لهم القولَ، ويمدحُهم مرةً، ويتوسّل أخرى. حتى سمعتُ كبيرَهم يقول له: أما قتلُ هيثم؛ فهذا ما يمكن، ولكن بيضُوا الوجه بقتل غيره. سمعتُ هذا فساءني، ولكني لم أبلغه لشيخنا الحبيب طاهر، مع صغر السن يومئذٍ، ولكني عرفتُ أن هؤلاء يمالئون أولئك الأعرابَ عليه، ويوسعون لهم الطريق.

ولم تمضِ أيامٌ حتى امتثلوا إشارتهم، فقتلوا واحداً منهم، كان يتيماً، عمره ١٦ سنة، على غير ذنبٍ، إلا أنهم استضعفوه فقتلوه، وسقط في أيدي هؤلاء المشايخ بعْدُ، فلم يجرؤ أحدٌ منهم على إخباره، ونمى إليه الخبر، فاستاء وغضِبَ، ونافر بعضَ من شكَّ فيه، واستمر على مقاطعته للقُثَم، وصار في الأمر أخذٌ وردٌّ بينهم وبين قبائله الديِّن.

وصَلينا معه العشاء ليلةً في المسجد، فأبطأ في تشهده الأخير، فلما سلّم أخبرنا: أنه رأى في تشهده من ناوَله رَيفَلَا، وأشار إلى القُثَم.

والرَّيْفَل: نوعٌ من البنادق.

ففهِمْنا أنهم سيصَابون. فلم تمض إلا أيامٌ، أحسبها ثلاثاً، حتى أخرجوا من المنازل، وأصيبوا بالذل الشامل، وطردوا من وادي دوعن، فلم يطأوه إلا بإذنِ نائب القعيطي إلى اليوم، وذلك نحو ٤٤ سنةً، ذلك جزاءُ ما كسبت أيديهم.

[مسألة ترائي الهلال]

وكان، رضي الله عنه، لعظم العلم والصلاح في صدره، يعظِّم أهله من أي طبقة كانَتْ، ويحترمهم وينوه بهم، ولكنه لا يثق بفتاوَى بعض من شاعَ عنه عدَمُ الورع، وكان يخبئ المسائلَ المحتاجةَ إلى تأمل حتى يجيءَ شيخُنا الحبيب أحمد، فيسأله، ويعتمد فتواه. وكان يتحرى في دخول رمضان وخرُوجِه، وإذا لم يطمئنّ إلى صدق الشهر، خرج فصلى العيد مع الناس ظاهراً، وصام باطناً، حتى لا يوحِشَهم، ولا يفتح لهم باب قيلَ وقالَ. وكان يجنح إلى قولِ الحبيب عبد الله الحداد في الهلال: إذا دلت القرائنُ، ومطالع المنازل، والحسابُ القطعيُّ على عدم رؤيته، كان طعناً في صدق الشهود، لما عرف من حال الزمانِ، من المجازفة والجرأة والفَخْر برؤيته، بل كان منهم من يقسمُ بالله قسَماً أنه سيأتي بالعيدِ، أي بالهلال. ومنهم: من يصيح في نساء أهل بلدِه أن يطبخْنَ الهريسَ للغداء يوم العيد، ويلتزم لهنَّ أنه سيأتي بالعيد، أي: سيرى هلاله. ومع هذا كله، فقضاة الزمان يقبلونهم، انتظاراً لثناء النساء عليهم، وأشباه النساء.

وما قاله الحبيب عبد الله كما في «مكاتباته»، هو القول الوسَطُ بين قولَي السبكيِّ والرملي، وهو قولُ الشيخ ابن حجر في «التحفة»، وكم جرّبْنا بعد ذلك على الشهود الغير الثقاتِ، والذين لا يجوز لمؤمنٍ أن يأمنهم على صيامه وفطره، فقد يشهدون برؤية الهلالِ، ثم لا يُرى الليلة الثانيةَ، وقد لا يرى الثالثةَ إلا بجهدٍ، أو في منزلةٍ يُعرَف منها أنه ليس لثلاثٍ، بل هو إما لليلةٍ كمالٍ، أو لليلتينِ.

[أهل الهجرين والهلال]

وكان أهل الهجرين لهم اعتبارٌ في رؤية الهلال، ولكنا جرّبنا عليهم الكذبَ، وقد رأوه مرةً والشمسُ غربَتْ كاسفةً، وكذِبُ هؤلاء الشهود قطعيٌّ.

وخرجتُ مرةً من رباط العلم الشريف بقيدون، فأراني عُمَيران الحدّاد،/ [١/٢٥٥] رحمه الله تعالى، رجلاً، وقال لي: إن هذا فلانُ بن جَبل، ممن يجيء بالهلال، من أهل الهجرين. فنظرتُ فإذا الرجلُ مصابٌ بداء سُلاقِ العين، عافانا الله بمنّه، وجفناهُ أحمران، قد سقط جلُّ أو كلّ شعرهما. فقلتُ لعُمَيران: إن الرجلَ مصابٌ في عينيه. فقال: إن أباه كان يجيءُ به. فعادَ الأمر إلى الوراثة. فهاهُنا وراثةٌ هِرَقْلية، كلما ماتَ هِرَقلُ ظهر هِرَقْلُ. من باب: ﴿وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا﴾، حتى في رؤية الأهلة.

[هلال الشيخ باجنيد]

وفي سنة ١٣١٦: أرسل الفقيه عبد الله بن سعيد باجنيد، القاضي، صاحب الجحْي، بهلال عيدِ شوال، لثمانٍ وعشرين من شهر رمضانَ، شهدُوا به أناسٌ صنْعتهم الشّرْح (الرقص) والغناء، ويقال: إن أكثرهم لا يصلون. وأرسلَ شيخُنا الحبيب طاهر، لخالي، قاضي البلد السابق ذكرُه، فحضَر، وقرئ كتاب القاضي باجنيد. فقال خالي: هذا هلالٌ ما له قبولٌ عندي. وقام فعاد إلى بيته.

وأحاط بالحبيب طاهر كبراءُ البلد، واستدارت الحلقَةُ كلها لحًى، بين بيضاء وشمطاءَ، يضجّون في مسألة الهلال، وليس في كلامهم رائحةٌ من علمٍ، ولكن الأمر كله: إنهم يريدون العيدَ كيفما كان!. كأنّ أنفسَهم تاقت لهريسِه وعصيدِه وشَوْيه!

وتوقف الحبيبُ طاهر، وأرسل رسولاً بكتابٍ للقاضي باجنيد، أوضحَ له فيه ما عنده من إشكال. فأجابه بجوابٍ مطولٍ، أيدَ فيه ما حكم به من صحة رؤية

الهلال، وأعاد له الحبيبُ رسولاً آخر، فأجابه بأطولَ من ذلك. وقد أمر شيخُنا بنقل جوابيه في «سفينته»، لتكون حجّتَه عند الله عليه، وأفطرَ مع الناس. وكان من جملة ما قاله القاضي باجنيد: «أنه قد جيءَ مرةً بالهلال ليلة ٢٥ من شهر رمضان، فقبله قاضي ذلك الزمان. وحكاه عن أبي شكيل». فأعظَم طلبةُ العلم هذه الأحدُوثة، ومن البديهي بطلانُها، والتصديق بمثلها تكذيبٌ لقول الله تعالى: ﴿وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ﴾، وللحديث الصحيح [متفق عليه]: «الشهر هكذا»، أي: ٢٩ و ٣٠. وهذا الحديث من أعظم معجزاته، ﷺ، كما سيأتي.

وغاية ما تؤوِّلَ به هذه القضية: أن قوماً كانوا في قرية بعيدةٍ عن العُمْران، تركوا التعرض لرؤية الأهلة، وأخذوا بإكمال كل شهرٍ ثلاثين يوماً، أو كانوا في سجنٍ، حتى مضتْ لهم سنةٌ أو نحوها، وهم على ذلك، ثم تعرضوا لهلال شوالَ، فرأوه لخمسٍ وعشرينَ من رمضَان في حسابهم، لا في الواقع. وقومٌ هذه غفلتهُم وجهلُهم، ينبغي أن نورد قصّتهم، لتكون دليلاً على تركهم الاهتمامَ بدينهم، لا لتكون دليلاً على قبول شهادةِ من لا شهادةَ له، وإبطال صيامِ أهل التحرّي، بتزوير أهل التحري.

[بدويٌّ يصحِّحُ الرؤية]

وكان قد بات بالبلدِ بدويٌّ، جاء يحطُب، وفي ظنه: أنه سيعود إلى حيِّه قبل العيدِ، فلم يفجَأه إلا تكبيرُ أهل قيدون للعيد!! وضربُ البنادق. فغَدا مبكِّراً من البلد، وطلع العقبة، فلما استوى على أعلاها، نظر إلى الشرْق، فإذا الشهرُ طالعٌ من الشرقِ، قبل طلوع الشمس بمدّة. فأخذ ينادي: يا أهل قيدون، انظروا الشهْر! انظروا الشهْر في المشرق. فسمعَه أهلُ بيوتٍ في طرف البلد مما يليه، فتغافلوا عنه، ومضوا في عيدهم. وقد رُؤيَ طالعاً ذلك اليومَ من الشرق مع الأسفارِ في سيونَ أيضاً.

فلما جاء شيخنا الحبيب أحمدُ إلى قيدون، وحضر مع وصوله عند شيخنا الحبيب طاهر بعضُ أهل تلك اللحَى، عاتبهم، وذكر لهم رؤيته صباحَ اليوم الذي عيّدُوا فيه طالعاً من المشرق في سيون، وغيرها. فنادوا في أهل البلد بضربِ الطاسَة: أن يقضُوا أيضاً يوماً آخر.

❊ ❊ ❊

وكانت هذه القضيةُ وأشباهُها، مما زاد به عدَمُ ثقة المترجَم، قدس الله روحه، بفقهاء الزمان وقضَاتهم. حتى أنه لما مات ابنُه الحبيب محمد، وكان قد ترك دَيناً كثيراً، أرسل إلى شيخنا الحبيب أحمد، وإلى الحبيب حسين بن محمد البار، فجاءوا إلى الرِّشِه، محل نخله، ليشاورَهم. وكان خرج إليها للتخَرُّف. ووافق ذلك مجيءُ السيد البقية حسن بن محمد بن إبراهيم بلفقيه، والحبيب العلامة محمد بن سالم السريِ، ومعهم حاشيةٌ وأبناء، ومكثوا مدةَ نحو نصف شهرٍ. وكنت قارئَ القوم، وكلما احتاجوا إلى بحثِ مسئلةٍ، أرسلوني، فجئتُ بالكتاب المطلوب من البلدِ، من خزانة شيخنا الحبيب محمد، وانعقدت مجالسُ زاهيةٌ زاهرة، بأولئك الشيوخ، ذوي التقى والرسوخ، في تلك الأيام، سقى الله عهدها.

❊ ❊ ❊

وما كان يترك أحداً يذكر مسلماً بغيبةٍ في مجلسه، فإن بدرتْ من أحد جلسَائه كلمةٌ، أسكته حالاً، وأمره بتكرير الاستغفار: (اللهم اغفر لنا وله)، ويكررها هو معه. وما كان ينام من الليل إلا نحو/ ثلاث ساعات. ولا يتعشّى إلا بعد أوبته من [٢٥٦/أ] المسجد ليلاً، كما تقدّم. وكان لا يفتر عن الأذكار، ولا يسامح نفسه بتركِ شيءٍ منها، فلكل خطوةٍ، أو درجٍ يعلوه، أو محل يمر به، ذكر فهو مرتبٌ ذكرَه على الخطوات

والأوقاتِ والمواضع، فلا يتقدم ولا يتأخر، كأنما يزنه بميزانٍ، توفيقاً من الله، ومعونةً له. وكان لاستغراقه في الذكر، قد يحتاج إلى أن يحاولَ من نفسه إجماعَ الفكر، والرجوع بفهمه إلى المخاطَب حتى يفهم عنه. وإذا كان في حديث محدّثه طولٌ، فإنه قد يضربُ فخِذَه بيده المرّةَ بعد المرة، كالذي يصبّرُ نفسه حتى يقْضي كلامَه. وهو يذكر تاراتٍ وبين يديه طعامُه، وكان يعتني بأن يكونَ طعامه مغذّياً، غير قشفٍ، ولكنا أدركناهُ وأكله قليلٌ، لا يناسب عبَالة جسْمه، ورَونق وجْهه.

ولقد بلغ السبعينَ، وما رأينا على وجهه أثر الكِبَر، بل كان يغبطُه على طراوته وبياضِه وتلألئه الشبابُ، مع بهاءٍ ونورٍ وهيبةٍ. قال بعضُهم: نظرتُ إلى جانب المسجد الشرقي، مما يلي ضريح الشيخ سعيد، فرأيت من شباكٍ كانَ هناك النّورَ والاستدارةَ، وأنا بطرف المسجد الآخر. فقلتُ: هذا البدرُ طلع! وجعلتُ أمشي وأدنو من الشباك، فلما قربتُ منه، تبين لي، فإذا الذي كنتُ أظنه البدْرَ: إنما كان وجْهُ الحبيب طاهر!

[مرضُ الحبيب طاهر ووفاته]

ولما مرض كنتُ، والحمدُلله، ممن لازمه في مرضِه، وساهرَه حتى ماتَ، فما كان يترك أوراده من صلاةٍ ولا ذكرٍ، وما كان يشكو ولا يئنّ، وإذا جاءت نوبةُ الألم، جلسَ وألقى برأسه على صدْره من غير أن يشكوَ ولا يتكلمَ، فجعلنَا بيننا مساهَرته بالنوبة، فيضع أحدُنا مرفقيه على فخذيه ويرفع بكفيه رأسَه، فلما كانت الليلةَ الأخيرةَ، رفع رأسه عن يدي، وقال: القبر في العَرْض، وكرّرها. أو قال: حصَل القبر في العَرْض. فظننتُ أنه كلامٌ خرج بغير اختياره، كما يكون من المرضى. فلما توفي صباحاً، واجتمع الناسُ والمشايخُ آل الشيخ عمر، وكبار أهل البلد، أخذوا يتشاورون مع عمّي صالح: أين يكون قبره؟ فمنهم من قال: ندفنه عند الشيخ سعيد.

ومنهم من قال: ندفنه في العرْض. فلما سمعتُ كلامهم واختلافهم، قمتُ إليهم، وأخبرتهم بما كان، فأجمع رأيهم على دفنِه بالعرض. ولما أذن الفجر، استقبل القبلةَ، فصلى، وانطلق عقالُ لسانه، فقرأ بالجهر والترتيلِ على عادته، ثم اضطجعَ، وكان قد ظهر في لسانه بثرٌ في اليومين الأخيرين، أو قبلهما، صعب عليه الكلام معه. وكنتُ قد رجعتُ إلى البيت آخرَ الليل، ليلةَ السبت، وتلك عادتي، أرجع قبل الفجر من مساهرته، وأمكث إلى ثلثِ النهار، ثم أعود إليه. فلما كانت تلك المرة، جاء إليَّ رفيقنا الفاضل، الصالح الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله العمودي، ابن محمد بن سعيد، من أهل تولبة، وقد أراد العودة إلى بلده، فأحب أن يجتمع بي ويودّعني، فقمتُ من منامي الذي كنت أنامُه أولَ النهار، وبعد ذهابه رأيتُ أن الأَولى أن أذهبَ إلى مكان الحبيب مبكّراً، فذهبتُ.

وكان ذلك خيراً؛ فإني حضرتُ احتضارَه ووفاته، وكنت جالساً عند رأسه، حتى قضى ورفعت روحُه الطاهرة. وكان في المجلس عمّي صالح، وابناه: عبد الله وعمر، والحبيب عبد الرحمن بن محمد حفيده، وصالح بن سعيد باضاوي. وحضر ابنه الحبيبُ عمر بحريرةٍ صنعوها له، فجعل ينادي والده، فيجيبه مراراً، حتى قال له: هذه حريرية فخُذْ منها، فأجلسناه، وما كانت تلك عادتُه، وأخذ يريدُ أن يضعَ منها في فمه، فلم يسُغْها، فوضعها وقام يبكي لناحيةٍ، وأضجَعْنا الحبيبَ.

وسأله سائلٌ: ماذا تحسّ؟ قد نسيتُ الآن من هو، فأجابَ بما يفيدُ أنه كالمغمور من شدة المرض. فلما دنت الساعة العاشرة، من ضحى ذلك اليوم، وكنت عند رأسِه، رأيتُ شعر رأسه قد قامَ وانقَضَّ، فنبهتُ من قرُبَ مني إلى ذلك، وعرفنا أنه احتضَر، فأخذ بعضهم يهلّل، فكان يتابعه، وأخذ العرَقُ يتصبب من جبهته، ثم أضاء وجهُه قبل خروج روحه، وسكَن، حتى فاضت نفسُه.

رحمه الله ورضي عنه وأرضاه، فلقد عظمت بفقده الرزية، وطارت لهول الأفئدة، وشعر الناس كافة أن حالَ الناس والبلدِ ستتغير بعدَ فقدِ من كان يستحيى منه، وكان الله يزَعُ به كثيراً من الشر. حتى لقد سمعتُ الشيخ حسن بن بدر العمودي، والي البلد، يقول للحاضرين عنده: أما الآن يا مَن طوَى بِفْقَيْس، وهذه كلمةٌ عامية، يستعملها الصبيان في لعبهم، ومراده: أما الآنَ بعد وفاته، فقد انحلَّ النظامُ، فمن اشتهى شيئا فعله.

ولما كان عند غسله، أشرق وجهُه، حتى لكان الحاضرون/ يتوهّمون أن نوره يسطعُ [/٢٥٧] في الجدرانِ التي حواليه، وذهبت عنه صفرةُ المرض، وعاد غضًا طريًّا، كأنما وجهُه وجه شابٍ صحيحٍ، في ١٥ سنةً. وكان في كفيه حرُوشةٌ من حكة قديمةٍ لزمتهما، كالنوع المسمى بالإكْزيما، فعادا أملسين طريّينِ، ليس بهما أثرٌ، فكان ذلك أمراً غريباً. وقد دفن من يومه عشيةً، وأجفل الناسُ من البلدان لحضور جنازته.

* * *

وابتدأ مرضه قبل وفاته بنحو سنتين، فمكث مدة يقاومه، ثم احتبسَ في البيت نحو أربعة أشهرٍ، ولا يجيب من ساءَله إلا بقوله: إني أجدُ تشويشاً في البطن. واعترته حمَّى آخر الوقت، وكان يخرج منه دمٌ في أوقات مختلفة. وما أخبر بذلك أحداً، وإنما علمنا حين ضعُفَ وعجَز عن غسل موضعه من الأرْض، فكان كتوماً صبوراً، لا يشكو ولا يتأوّه، ولا يئنّ. ولا أحصى ما سمعتُه يذكر قصة الحبيب الولي العلامة، أبي بكر بن محمد بافقيه، فكان يعيدُها على بعض من يسأله عن مرضه.

وقصة الحبيب بو بكر بن محمد بافقيه: أنه مرِضَ، واشتد به المرضُ، فكان يصيح قائلاً: ما مني شيء. يعني: أنه مريضٌ لا يقدر على شيء. فبلغ الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس. فقال: قولوا له: من تعرّضَ للحملات يصْبِر. وذكر ذلك أيضاً

في «القرطاس». وبيّن فيه، عن الحبيب عمر: أنه نزل بلاءٌ، ففدى الناسَ الحبيبُ أبو بكر بنفسه، وسأل الله أن يصيبه ويسلّم الناسَ، فاستجاب له.

***

وقد وقع: أن الحبيب طاهر كان قد مكث في الجُوَه مدةً، على عادته في الخروج إلى الخلاء في بعض السنين، وهو محل فوق البلد. فلما كان أثناءَ الليلِ، سمع الناسُ نداءَه بـ«ياحي ياقيوم»، وابتهاله، فلما أصبحَ، أخبر: أنه أظلّت البلدَ في بعض زُلَف الليل ظلمةُ بلاءٍ، وأنه دعَا الله فرفَعها، ولكن سقط منها شيءٌ قليل. وتحدث بمثل هذا عمي صالح: أنه رأى كالضّباب كاد يغْشي البلدَ، ثم تبدّد.

وأضحى الناسُ، فمات نحو أربعة نفرٍ بمرض الكُبّة، وهو مرضُ الوباء، ويعرف عند بعض أهل العصر بالكُولَيرا، وتخوّف الناسُ، ولكن لم يصب أحداً غير هؤلاء النفر، غير أنه ظهر في حجر، وبعض البنادر، وجهات أخرى مما يلي حَجْر. وارتاع الناسُ، وهربوا منها. ثم بعد ذلك بيسيرٍ، ابتدأ المرضُ في شيخنا الحبيب طاهر، وكلما سئل عن مرضه، يأتي بقصة الحبيب أبي بكر بافقيه، من غير أن يصرحَ، ولكنا كنا نفهم من تعريضِه: أن تحمل ذلك البلاء، ولو رجعَ إلينا شورٌ في الأمرِ، لاخترنا فداءَه، لا بأهل البلدِ، بل بألوفٍ من أمثالهم، ولكن الله يفعل ما يريدُ.

أما كراماته:

فمثله لا يقالُ فيه: (ومن كراماته كذا)، لأنه كله كرامة، وناهيك بالاستقامة، التي هي الكرامة القصوى، التي لا غاية بعدها. وإنما أذكر هنا كرامتينِ مشهورتينِ عند أهل البلد. إحداهما: أنه مرَّ في إحدى رحلاته بالسَّوط، فمر بأحد الشّرُوج، فجاء صاحبه، وقد قحِطُوا، يلح على شيخنا الحبيب طاهر في الدعاء بالغيثِ، فشرط

عليه: أن يقيمَ الصلاةَ. فالتزمَ ذلكَ. فأغيثَ للوقتِ، وانفصل عنه الحبيبُ إلى الرَّيدة، فلما أصبح وشرْجُه قد غدا شربةً واحدةً. قيل له في الصلاة، فقال: قمَرْنا طُوَيهر (صغّره تحبّباً)، يعني: أنه خدعه، ولن يصلي. فلما ارتفعَ زرعُه، أرسل الله عليه آفةً ليليةً، فأصبح المحلّ أجردَ، لم تبق به زرعةٌ. وهذا نوعٌ من آفاتِ الزرع، يعرف عند أهل الجهة: بالسَّراء، بفتح السين، ويزعمون أنه دودٌ يخرج من تحت الأرضِ ليلاً، فيأكل الزرعَ، ويعود فيختفي نهاراً، وأصبح البدويُّ هو المقمور.

والثانية: أنه وجدَ على أهل البلدة موجَدةً شديدةً، لما سُرقَ خادمه بكار باشراحيل، لأنهم لم يتناهوا ولم يقوموا على اللصوص، مع علمهم بهم، لأن عصابتهم تكاد تكونُ معروفةً عند أغلب أهل البلد، ولكن من عادتهم أن يتعصّبوا لأنسبائِهم تعصباً بدويًّا جاهليًّا، ويغضبوا لهم إن عوقبوا. وامتنعت عنهم المطر، وغلت الأسعار، وتعبت بهائمهم، وابتدأ فيها الموَتان.

ومرت السنةُ تلوَ السنة، إلى ثلاثٍ. ومكث الحبيبُ أكثر السنة الثالثة بالرَّشِة عند نخله، وباقيها بالجُوَه، ولا يأتي البلدَ إلا لصلاة الجمعة. وفي أثناء ذلك؛ جاء ابنه شيخُنا الحبيب محمد إليه، وكنتُ حاضراً، فقال له: إن أهل البلد أجمعُوا على الخروج للاستسقاء، وطلبوا مني الخروجَ معهم، فهل أخرج؟. فقال له: اخرج، لا بأسَ. ولكن السماءَ لم تزدَدْ بعد الاستسقاء إلا صَحْواً.

ومسّهم الضر، وتلاقتْ أصواتهم: بأنه ما دام الحبيبُ طاهرٌ مستوحشاً منّا، فلا أملَ/ في السقيا، فأجمعوا أمرَهم على أن يرضوه، فوسَّطُوا إليه واسطةً، وتمّ الأمر على قبولهم، فطلعوا ذات عشيةٍ إليه إلى الجُوَه، وجاءوا معهم بعَقيرةٍ، وهم يزمّلون بأشعارهم، وتلقّاهم، وأقبلوا على يديه وأكتافه يقبلونها، ويطلبون العفْوَ، ومنهم من بكَى. ولما أرادوا أن ينحروا العقيرة، قال لهم: هذه للمساكين، قسموها عليهم. حذراً أن يذبحوها تقرباً إليه. [٢٥٨/]

وكانت تلك الأيامُ أيامَ صيفٍ وسَمُوم، وما يحس الناسّ علاماتٍ للغيث، فبات الحبيبُ تلك الليلة يلحُّ في الدعاء إلى الله في السقيا، ومضى النهار مضْحياً، فلما غربت الشمسُ، وصليت المغرب، والناس في سطوحِ منازلهم، سمعوا صوتاً يرتفع قائلاً: يا كريم! وهذه عادة الجهة، من رأى منهم برقاً صرخَ بأعلى صوته: يا كريم! فيقومُ الناس ويرقبون البرقَ، يطمعون ويخافون، كما قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾. [وهم يقولون بلغَتهم: كَوْرَم، يكَوْرِم. بمعنى قال: يا كريم، عند لمع البرق، على وزن فَوْعلَ، وهو وزن غريبٌ].

ثم عادَ الصوتُ، وتنادى الناسُ، وكانوا في سطوح منازلهم، ولكن لم ير أحدٌ منهم برقاً، وعاد الصوت ثالثاً، وقالوا: إن الصوت من الجُوَه، ولكن لا برق!. ولم ينشب أن لمع البرقُ من الغرب الصّيفي، من ناحيةٍ لا يراها من كان في الجُوَه، وكان لمعه خفيفاً لبعدِه، وتلته ريحٌ شديدةٌ، زعزعَت الأبوابَ، وفي برهةٍ وجيزةٍ رفعته، ثم ألقته على شعاب البلد، مع أن عادةَ هذا الفصل: أن السحابَ إذا جاء من تلك الناحية، فله مجرًى آخر! ولكن الله أراد أن يجعلها آيةً.

وصلى الناس العشاءَ، فلم يطل الوقتُ، حتى سمعوا ضرب البنادق من الغَيْل بأعلى الوادي، إعلاماً بمجيء السيل، فلا تسأل عن فرح الناسِ. وجاء سيلٌ كبير، فسقى أحْجَالهم ونخلهم سقياً هنيئاً، وزكى موسمُه، وأقبلت الأحْجالُ بسبولٍ (سنبل) لم يُر مثله حسناً وكبراً، فلما كاد أن يستويَ، جاء من الجنوب كسْفُ جرادٍ، كاد أن يغطيَ عين الشمس، وألقى نفسه على السبول والزرع، حتى ما كاد ترى سنبلةً إلا وهي حمراءُ، قد غطّاها الجرادُ، وتراكم عليها.

فلا أنسى مجيءَ الشيخ عمر بن عبد القادر الغُلام العمودي، متفزّعاً إلى الحبيب، وكنا جلوساً عنده بعد صلاة الظهر، يصيح: يا حبيب طاهر! الجراد! الجراد!. فقال له

الحبيب: إنه مقدَّم، مقدَّم. وكررها، ويعني بذلك: أنه ممنوعٌ من أكل السنبل، لأن الجملَ إذا أريد منْعَه عن الأكل والعضّ، جُعلتْ له فدامةٌ، وهي شبكةٌ من حبال توضعُ على خرطومه، فلا يستطيع معها فتْحَ فمه. فمكثَ الجراد ساعةً فوق الزرع، ثم تحشحشَ جميعُه فطار، ولم يأكل إلا قطعة مشبوهةً، يقال: إنها صدقةٌ، بيعَتْ! وتركَ الناس أحْجَالهم حتى بلغت أوانها، فحصَدوها وهم مطمئنون، والله المحمودُ على استجابة دعاء صالحي عباده، وهو السميع العليم.

واستبان: أن الذي رفع صوته بـ(يا كريم) ثلاث مراتٍ، إنما كان بأمر الحبيب طاهر، فإنه أمر ابنَه عمر: أن يصيح بذلك اللفظ، بصوته العالي، فتلكأ وخافَ أن يضحك عليه الناسُ، ويرمونه بالجنون، ولكن والدَه كرر عليه، وعزم عليه عزماً مؤكَّداً، فصاح بأمره ثانياً، ثم ثالثاً. وكان يقول لوالده: كيف أصيحُ بذلك، ولا برق! فيعزم عليه أن يفعل، وكان هذا الصنيع آيةً من آيات الله، ومما يلقيه من اليقين في قلوب أوليائه، وهذا أمرٌ شهدناهُ، والحمد لله، فلترْغَم أنوفُ المنكرين.

[من ترجم للحبيب طاهر بن عمر]

ومن أراد زيادةً على ما ذكرناه، فليرجع إلى «قرة الناظر» [١/ ٧٧-١١٢، و٤٤٧؛ ٣/ ٥-٤٥]، فقد ترجمه أخي هناكَ في أكثر من عشر ورقاتٍ. وترجمه السيد الشريف، العلامة المؤرخ المنقّب، عبد الله بن محمد بن حامد بن عمر السقاف، العلوي الحسيني، في تعليقاته على «الأشواق القلبية[1] إلى مواطن السادة العلوية» [ص ١٧١]، وهي رحلةٌ للعلامة الشيخ عبد الله بن محمد بن سالم باكثير، الكندي الزنجباري، إلى حضرموت، طبعت بمصر سنة ١٣٥٨.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: القوية. كما كتب على غلاف الرحلة المذكورة (مصحح).

[أسانيد الحبيب طاهر بن عمر الحداد]

ونتصل بشيخنا المذكور إلى أكثر الأسانيد الموجودة، من طريق شيخيه: الشيخ عبد الله باسودان، وابنه، وغيرهم ممن ذُكر من أشياخه. وبالإجازة العامّة: عنه عن السيد عبد الرحمن بن سليمان الأهدل، وعن الشيخ عبد الله باسودان، عن الشيخ محمد بن سنّة عالياً، لأنه أجاز من أدرك حياته، وكانت وفاته سنة ١١٨٦، وولدَ الشيخُ باسودان سنة ١١٧٨ . فنروي «صحيح البخاري»: عن شيخنا المذكور، عن شيخه الشيخ عبد الله باسودان، عن الشيخ العلامة المعمَّر المسند أبي عبد الله بن محمد بن سنة الفلاني العُمَري الباغني، عن المعمَّر أبي الوفا أحمد بن محمد العَجِل اليمني، بالإجازة عن/ ...[1]. [/٢٥٩]

[الحبيب محمد بن طاهر الحداد]

وأما ابنه: شيخُنا الحبيب محمد بن طاهر. فهو بحقٍّ أعجوبةُ زمانه، كما وصفه بذلك شيخه القطبُ العارف بالله، ركن حضرموت، وسندُها ومسندها، الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي. وكما قال شيخُنا: إن مظهر محمد بن طاهر، ومولد علي بن محمد الحبشي، لا تسعهما حضرموت. وقد سمعت هذه الجملة منه مراراً، وناهيك بها ناهيك.

وقد قرأنا تراجم أسلافنا السادة الأشراف، فما رأينا في تراجمهم من يشبهُه في جمعه للمظاهر المختلفة، مع تلونها بلون العلمِ، والولاية، والوقار، والسمت، والدين.

فهو بذكائه الخارق، وألمعيته المتوقدة، قائمٌ بمظهر الذكاء، وبما صار إليه

(١) يظهر أن النص غير مكتمل، بينما التسلسل الرقمي للصفحات متتابع، مما يدل على أن المراجعة لم تتم لهذه الصفحات الأخيرة التي تم العثور عليها من الكتاب. (مصحح).

من المجد الوراثيّ، والحسب العلميّ، وصيت أجدادِه وجاههم قائمٌ بمظهرِ ذي منصبٍ ضخمٍ، راسخ باذخ. وبعلمه، وتحقيقه، وإجرائه الدروسَ، وقراءته الكتبَ الكبيرةَ، قائم بمظهرِ عالم فقيهٍ لا يبارى. وبمناظرته للفقهاء، واعتراضه على القضاة، ومنازعتهم في أحكامهم بالدليل والتعليل، قائمٌ بمظهر المناظرِ الفحل. وبكرمه، وصدقاته، وبرّه للمساكين، وعنايته بأهل الفضل والعلم، ونفقته في النائبة، ونزله للأضياف، قائمٌ بمظهر الجواد المتخرّق. وبقيامه في النوائب، ولم شعث المتخاصمينَ، وإصلاح ذات البين، وإغاثته للملهوفينَ، ودفعه عن المستضعفين، قائمٌ بمظهر المصلح الساعي في المصالح العامة. وباعتنائه بإحياء الأراضي الداثرة، كجيزة عثْوَر، وجِذْفرة الزنجي، والغَول بوادي حَجْر، في مظهرِ خليفةٍ يعمُر البلادَ، وينفع العباد. وفي سعيه إلى النقابة على العلويينَ، ولم شعثهم، ومساعدة ضعفائهم، وجمع كلمتهم على الحق والسيرة الحسنة، في مظهر زعيمِ أمةٍ يجمع شتاتها، ويحي رفاتها، فهو على منهاج جدّه قصَيٍّ، الذي جمعَ قبائل قريش على حراسة بيتِ الله. وقال فيه القائل:

أبوكُم قصيٌّ كان يدْعَى مجمِّعاً ... بـه جمّـع الله القبائِـلَ مـنْ فهْرِ

وبتذكيره، ووعظه، وبكائه، وخشوعه، وحدوه القلوبَ إلى علام الغيوب، قائمٌ بمظهر الداعي إلى الله. وبمقاومته للظالمينَ، وإخضاعه القبائلَ العاتيةَ، وإرغامهم على تحكيمه، والعدول عن ظلمهم، قائمٌ بمظهر سلطانٍ وصاحب سطوةٍ. وهو مع أهل السلوك والتصوف، وأهل الكشف والبحث في الحقيقة، صوفيٌّ راسخ القدم. جمع الله فيه هذه المظاهرَ التي تكادُ تكون متباينةً، وألف بينها في ذاته وصفاته، وظاهر حاله، مكسوةً جلالةً، وخلعةً دينية إسلاميةً، ومحبةً ألقيتْ عليه، ورعباً أيد به، ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

ولو أردنا الاستدلالَ على صحة ما وصفناه به هنا، لاستلزم إيرادَ أمور تطولُ معها ترجمته طولاً لا يحتمله هذا التأليفُ العام، فمن أراد أن يعلمَ صحة ما ذكرنا، فلينظر مناقبه المسماة بـ«قرة الناظر»، لأخي عافاه الله ونفع به، فقد جمع فيها وأوعَى.

***

ولد رحمه الله تعالى، سنة ١٢٧٣، ونشأ تحت رعاية والده، وكان يقول: إن محمداً لم يتعبني في تربيته. وقرأ القرآن على السيد الشريف الجليل، حسن بن جدنا الصالح الشمْس عبد الله بن علوي باعقيل، فختمه في ستة أشهرٍ، وحفظ بعضاً من «الإرشاد»، و«الألفية»، وقرأ جملةً من الكتب الفقهية والنحوية على والده، وعلى الحبيب العلامة جدّنا عيسى بن محمد الحبشي، والحبيب العلامة أحمد بن عبد الله باعقيل، والشيخ العلامة أحمد بن سعيد العمودي، وشيخنا العلامة الشيخ عبد الله بن أبي بكر المرَخّم باراسين. ومنها: «مختصر بافضل»، و«منهاج النووي»، و«شرح ابن عقيل على الألفية».

وقرأ على الشيخ العلامة، المعمَّر المسند، مجيزنا الشيخ عمر بن عثمان باعثمان، صاحب هَدُون، جملةً صالحةً من الفقه، وأخذ عن الحبيب أحمد بن عبد الله البار، والحبيب عمر بن حسن الحداد.

قرأ على الحبيب أحمد البار: «فتح الوهاب»، و«عوارف المعارف»، و«شرح ابن عقيل على الألفية»، وإذا عرضت مسئلةٌ مشكلةٌ في دروس الحبيبِ، يقول للتلامذة: أخِّروا البحثَ فيها حتى يجيء الحبيبُ محمد. وكانوا يجلسون للمطالعة مع الحبيب محمدٍ إذا جاء إلى القرَين في سطح المخْضَرة، التي يسمونها فَاضِلة المسجد، وهي الموضعُ المعدُّ لدروسِ السادات آل البار، في ليالٍ يطول فيها البحْثُ والنظر، هم والحبيب محمد بن طاهر، ومعهم الحبيب العلامة حسين بن محمد البار.

أخبرني بهذا: السيد العالم الفاضل، صديقنا الحبيب محمد بن عبد الله بن محمد البار، رحم الله الجميعَ، ورفعهم في عليينَ.

وأخذ أيضاً عن الشيخ عبد الله بن محمد المسكتي الفَوارسي، المتقدم ذكره.

* * *

[/ ٢٦٠] وأخذ واستجاز عن الحبيب علي/ بن حسن الحداد، والجد عبد الله بن طه الحداد، والحبيب محمد بن إبراهيم بلفقيه، والحبيب عيدروس بن عمر الحبشي، منه إجازةٌ مكتوبةٌ، وبينهما مكاتباتٌ، وحصل له منه اتصالٌ خاص. والحبيب علي ابن سالم بن الشيخ أبي بكر، والحبيب سالم بن أبي بكر العطاس، والحبيب أحمد ابن حمزة العطاس، والحبيب أحمد بن الحسن العطاس، والحبيب علي بن محمد الحبشي، والحبيب صالح بن محمد الحبشي، والحبيب عبد الله بن محمد الحبشي، والحبيب عبد الله بن عمر بن سميط، والحبيب عبد الله بن حسن البحر والحبيب عمر ابن هادون العطاس، والحبيب محسن بن عمر العطاس، صاحب برُودَة، والحبيب أحمد بن عمر العيدروس، والحبيب عيدروس بن علوي العيدروس، والحبيب محمد بن عبد الله بن عمر بن يحيى، والحبيب عبد الله بن محسن بن علوي السقاف، والحبيب حسين بن أحمد العيدروس، والحبيب عبد الرحمن بن محمد المشهور، والحبيب محمد بن صالح العطاس، والحبيب محمد بن أحمد العطاس، والحبيب زين بن أحمد الخرد. وكل هؤلاء من السادةِ الأشراف العلويينَ، ولبِسَ من بعضهم، وتلقن. وله إجازةٌ مطولة من السيد داود حَجَر القديمي التهامي.

وتردد في نواحي البلاد الحضرمية، كالواديين: دوعن والأيسَر، ووادي عمْد، وزار شبام وسيون وتريم، وغيرها مما حولهما من القرى، مراراً. وكانت تصحبه حاشيةٌ من مريديه وأخدامه، وتتبعه قدورُ الضيافة، يحملها معه، مع الزاد الكافي،

وينفق في كل زورةٍ عدّةَ ألوفٍ، يواسي بها أهل الفضلِ والمحتاجين والسائلينَ، فهو كالربيع أينما نزل أخصَب.

[سفرته إلى الهند ومقاصدها]

وسافر إلى الهند في شبابه، ثم عاد إليه بعدَ ذلك مرتين، وسافر إلى جاوةَ مرتين، وتوفي في المرة الأخيرة. وكان قصدُه من سفره: السعي في الحصول على ما يتمّمُ به الأمور المهمة العظيمة التي وجّه إليها همته، من جهة النظام، ملك حيدرآباد، بالمعاونة بالمالِ، عن قرضٍ أو إعانةٍ. وهي:

(١) إقامة نقابةٍ للسادة العلويين بحضرموت، وقد ابتدأ في ذلك بكتابة سجلٍّ، أمضى عليه كبراءُ الجهة، من السادة الأشراف، وغيرهم من الأمراء.

(٢) بناء رباطَين لطلبة العلم الشريفِ، من أهل البيت، ولغيرهم من سائر الناس.

(٣) تأمين السبُل من أعلى وادي دَوعن، إلى قبر نبي الله هودٍ، صلواتُ الله عليه.

(٤) إجراء ماء الغيل، المعروف بأعلى وادي قيدون، إليها.

(٥) صلاحُ حضرموت، وحفظها من المخلطين.

(٦) شراء أرض الغَول بوادي حَجْر، ووقفها على طلبة العلم.

(٧) بناء مطبخٍ في تريم، يقصده الزوار.

هذا أظهر ما وجه همتَه إليه. وقد أخذ يهيء الأمر لإجراءِ ماء الغيل كما سبقَ، وقد أتمه الله بعد وفاته، كما سبق مبسوطاً. وكذلك تم بناء الرباط. واشترى أرض الغَول، ومات قبل أن يستقر شأنها، وسعى في إصلاحاتٍ بدوعن، أنفق عليها أموالاً، سيأتي ذكر بعضها. وتوسل بالسيد العلامة، الصالح الشهير، فضل بن علوي

ابن سهل مولى الدويلة، إلى السلطان عبد الحميد قديماً، ثم [لما] رأى عدمَ النجاح، كتب لبعض أولي الإمارةِ، يعرض عليه مساعدتَه في الصلاح المنشود.

وهذا صورةُ كتابه إليه نقلته عن «قرة الناظر»، قال: «ولنا نظرٌ في صلاح الوادي جميعِه، ونحب أن نجمعَ قبائل الجهة كلها، وبرُورِها (جمع بَر)، على الصلاح. وقد (صار) غالبهم في اليد، فهل يمكن إذًا راضيناهم، أن يكون الجميعُ تحت أمارتكم؟ بمحابيسَ، أو مرابطةٍ، نحن القائمون عليها، وأنتم مخدُومون، (ما) عليكم إلا نشْرُ الصوت صورةً فقط. فالأمر إليكم. والمقصود بهذا: الأمان من دوعن إلى عينات، وحكْمَنا لن نظهركم، إلا أن رأينا له فصلاً، وقد سقطَت الناس كلها في اليد للصلاح، والسلام». قال في «قرة الناظر»: «وقد برزَ وتمّ كثيرٌ مما نواه، قدِّس سره، وتعلقت به همته العالية، من ذلك: المطبخ في تريم، فقد وفق الله السادة الكرامَ: عبد الرحمن بن شيخ الكاف وإخوانه، لتفريغ دارٍ للأضياف الواردين إلى تريم، وأعدوا لهم ما يلزم من فراشٍ، وماعونٍ، وطعامٍ، وخدَمٍ». اهـ باختصار/ . [٢٦١/]

تحريرُ المستعبَدينَ

حرَّر، رضي الله عنه، عدداً من العشائر الحرّة، التي استعبدها القبائلُ، كما سيأتي ذكر ذلك مختصراً.

مقاوَمتُه للقبائلِ

القبائلُ بالجهة الحضرمية. والمراد بهم: الأعراب، حملة السلاح. وقد تكون لهم منازلُ وقرًى وحصونٌ، هم أهلُ السطوة النافذة، والعز المستطيل، والحكْم فلا يرَد، والجور فلا يرفَع، والقوة فلا تزاحَم. وهم القائمون بتنفيذِ حكم الجبت والطاغوتِ على اختلاف فصوله.

وهم الذين أسسُوا طاغوتَ الفَرْث وجبْتَه، على كافة الحضرميينَ سواهم، وقاموا بتنفيذه عليهم، ومحوهم به من سجلّ الإنسانية، وسجلوا عليهم به: أنهم في حكْم الحيوانِ الذي يباع ويشرى، وأطلقوا عليهم اسم (الفَرْث)، والفرثُ: هو ما يوجد في كرِش الدوابّ من الحشيش الذي أكلته، وابتدأ في التغير والنتَن، ولما يصِرْ رَوثاً. وهم أعظمُ سطوةً من السلاطين، لأن السلطانَ يكون في حدودِ مملكته شخصاً واحداً، أما القبائلُ فكلها سلاطينُ، حتى نساؤهم، فكل منهُم يحكم ويقرّ ويجبُر ويسخّر الناسَ، وينهب، ويمنعهم عن ديارهم وأموالهم، ويقطع الطريقَ، ويبرُك (أي: يستولي على أموالهم غصباً، ويسمى ذلك: برَيْكَة، جمعه: برائِك)، وأكثر أموالهم من هذا الجنس.

***

وإذا تفقدتَ التاريخ وجدت القرى التي بأيدي الموجودين منهم، إنما اغتصبوها وما فيها من مصالحَ من أناسٍ كانوا بها من قبلُ، فهم وآباؤهم من قبلُ يأكلون حراماً في حرامٍ، ومتى كان لقبيليٍّ طلبٌ عند أحدٍ من الفرْث، قدر على استخراجه كما يشاء، وإن كان لأحدٍ من الفرث طلبٌ عندَه فهيهات أن يقدِرَ على فتح فمه. وقد عُطّلت آبارٌ عليها نخلٌ كثير بقيمةٍ عظيمةٍ، بسبب دعوى باطلة من قبيليٍّ في نخلةٍ، أو ربع نخلةٍ، بل في ثمُن نخلةٍ فأقلَّ، فإذا لم يقِرَّ المالكون له بها، حرَجها، أي منعها، فيموت النخلُ جميعُه من ترْكِه عَطَلًا وعدم سقيه، ولا يقدر أحدٌ من المالكين أن يقرُبَ شيئاً من خريفه، فضلا عن أخذه. وإن أقرُّوا له بما طلبَ، كان ذلك مدخلًا لعيثه في النخل والزرع، وتعنته على الخادِم، إلى أن يؤول أمرُها إلى التعطيل والاندراس. وبالجملة؛ إن واديَ حضرموت، جميعَه، حتى وادي كسوه، كان مملوءاً بالنخيلِ، فما زالوا بأهله حتى تشتّتوا وذهب كلّه، وعاد صحاري جرداء، يلمع فيها السرابُ، ويعزف الجان.

***

وقد يهجمون على بعض ديار الفرْثِ، فيحتلونها، وينهبونها، ويعيثون فيها فساداً، ولا يقدر أحدٌ على إخراجهم، وقد يتوسل بعضُ المحتشمين عندَهم ممن يرون لهم في حشمته صلاحاً، كإقامة الصلح بينهم وبين أعدائهم من القبائل الأخرى، فيطيعونه، ويخرجون بعد مراودةٍ وتملقٍ شديدينِ، ومدحٍ لهم ونفخٍ، وفُشارٍ ودُعاءٍ، ووعْدٍ بالكرامة، ومدح لآبائهم من الجبابرة المفسدين في الأرض، وقطاع الطرق، ووصفٍ لهم بالشجاعة ونحوها من الأوصاف، التي لم يقسم الله لهم منها لا قليلاً ولا كثيراً؛ قد يلينون له، فيقدر على ردّ شيء مما نهبوه، إلا فيما ندَر. بل وقلما يصلحون على المستضعف المنهوب بمالٍ آخر للقبيلي، فيخرج من بيته، ويرفع يده عن نهبِ ما بقي من أشيائه. وربما نبسطُ هذا الموضوع مع ذكر الأمثلة في موضع آخر.

***

والمقصود: إن شيخَنا صاحب الترجمة، لم يجْرِ مع هؤلاء القبائل على طريقة ذوي المناصب من السادة والمشايخ، ولكنه بعْدَ بذل النصح والدعوة بالتي هي أحسَنُ، قاتلهم بسلاحِهم، وسلط عليهم جنسَهم عملا بقاعدة: إن الحديد بالحديد يفلح.

ولو غيرُه خطر له أن يقدُم إلى هذا المعترك، لاضطربت أوصالُه فرَقاً من الخاطر، فضلاً عن العمل! ولو جسَر لم يتأتَّ له ذلك، ولكن الله سخر له من ذلك، ما لم يسبق لأحدٍ نظيرُه.

وكان من مقاصده: رفعُ سلطة البدو القبائل، وقهرهم وردعُهم عن الظلم، وعمل ذلك أعمالاً، وجعل هذا الأمر نصْبَ عينيه، وسعى له بقوةٍ. وغايته من ذلك: أن لا يجعل لبدوي على شريفٍ، أو ضعيفٍ، من سبيل، لأن البدوَ والقبائل كانوا في وادي دوعن، بل وسائر جهات حضرموت، هم عنصُر الفوضى، والظلم،

والفتن، وقطع الطرق، وإفساد/ الحرث والنسل، على ممر القرون التي ليس فيها [/ ٢٦٢] سلطانٌ قويٌ يكبَحُ جماحَهم. وكان قد أخذ على جميع قبائلِ جهته عهوداً ومواثيقَ، بالسمع والطاعة، حتى أخذَها على الصَّيعر، والكَرَب، وقبائل الرَّمل، وقبائل حبّان، ونواحيها. وقد رأيتُ رئيسَ (مقدّم) الكَرَب حين استقدمه إلى قيدون لهذا الغرض؛ وكان يعلم أن هذه العهودَ التي تعطيها القبائلُ ليست بذات تأثيرٍ، إذا لم تساعفْها عواملُ أخرى.

* * *

وكنت قد كتبتُ بعض ما وقع له، رضي الله عنه، من الوقائع قديماً، وضمّنها أخي كتابه «قرة النواظر»، وأسوقها الآن بالمعنى لا باللفظ.

[١] وهبَ له أناسٌ عراصاً في ناحية البلد، كانوا كالمتحَجّرين عليها، فسولت لبعض الناس نفسُه أنه يقدر على اجتذابها منه، أو الحصول على دراهم منه، في سبيل قطع النزاع. فعملوا لذلك مظاهرات، واعتَزَوا ببعض البادية، واستمالوا حاكم البلد إلى جانبهم. وهوّلوا معه باجتماعاتٍ يقيمونها في البلد وخارجها، ولكن لم تلن لهم قناته، فعادوا إلى المطالبة بحكْم الشرع، فساعفَهم، فحكم القاضي بأنّ تلك العراص حريمٌ للبلد، فرد على القاضي بالنصُوص، واستفتى العلماءَ، فوافقوا، فسعى حتى عزله، وأقام قاضياً آخر، فنقض حكم الأول، وأراد منازعُوه أن يتحركوا، فأرسل في جمعٍ من القبائل التابعةِ له، فدفع بهم في نحورهم، فانهزموا داخرين. وهذه أول واقعةٍ وقعت له، ثم أراد المنازعون مصافاتِه والقرب منه، فقبلهم، وعفا عنهم.

* * *

[٢] وكان رضي الله عنه قد عمّر موضعاً في أعلى الوادي للغرس، وأجرى له ساقيةً من الوادي الأعظم، وكان قد استفتى العلماءَ بمكة وحضرموت في جواز ذلك. وكان لبعض آل باوجيه العمُودي حقٌ هناكَ، فاشتراه منه، وهو أي باوجيه من شَوائم آل بلغيث، قبيلة من الحالكة. فأحبوا أن يتحَصّلوا على برطيلِ (رَشْوة) في مقابل شراء مالِ شَائمهم، فذهب نفرٌ منهم، وقلعوا صغار النخل المغروسة بالمحلّ المذكور. وظنوا أنه، قدّس سره، سيخافُ منهم، ويرسل إليهم فيسترضيهم، فيطلبون منه حينئذٍ ما يشاءون، على عادة القبائل في عَيْثهم وتثْقيلهم على الناس، وغطرستهم في الوادي، فلم يلبثوا حتى بغتَهم بأمرِ ما كان لهم في حساب. فإنه أرسلَ لجميع أمراء الوادي وقبائله، ليجتمعوا إلى قيدون، وعيَّن لهم عشية يومٍ، وأعد لهم النزُلَ من الرز والغنم والمنازل، وأخبرهم بما دعاهم له.

فأقبلوا طوائفَ، يحملون الأسلحة والعتاد، يرتجزون في زهوٍ ومواكب، وكلما حاذت طائفةٌ منهم منازلَ آل بابلغيث عَشَّرُوا نحوها، ووصل آخر هذه المواكب قبل المغرب، ولم يؤذن العشاء حتى كان كبارُ بابَلْغيث قد وصلوا إلى البلد، يستشفعون إليه، ويحكمونه، فحكم عليهم بعدة ألوفٍ، وحبس نفرَين منهم، وطلب الحاضرون الإسقاطَ عنهم، فأسقط منها ما أسقطَ، وأبقى ألفاً، كتب عليهم به التزاماً يسلمُونه عندما تقعُ منهم غلطةٌ أخرى. ووضع الحديد في رجْلَي النفرين، فمكثا شهرين مسلْسَلَينِ، يرسفانِ في سُوق البلد ومقاعدها، فرأى الناسُ ما لم يكن يخطر لهم ببالٍ، ومن عرف سطْوةَ القبائل بهذه الجهات يومئذٍ، عرف ما في هذه الواقعة من التأييد الربّاني، والسطوة الدينية، والمجد القاهر.

* * *

[٣] وقد كان للقُثَم في وادي دوعن سطوةٌ وعَيثٌ، ولهم به: حصن بلْحلُوق، وحصن عُورة، وجرت بينهم وبين قبيلة الخامعَة حروبٌ ومضارّة، وتعدّى ضرر ذلك إلى كافة الناس حتى تعطلَ مالُ أعلى وادي دوعن سنتين، تمر به السيول ولا يستفيد منها شيئاً، وهم يرمون بالبنادق كل من رأوه، فانقطعت السبيل، ولم تنقطع غاراتهم على بيوت الناس، وسرقاتهم ومطالبهم من الرعايا.

وجرت منهم واقعةٌ، هي من أفحش ما يروَى، ولا أذكر ما أعلمه عنها جميعه، ولكني أشير إلى بعضِه: كان في بلد القِرَين قبيلةٌ يقال لهم آل باقتادة، وهم من قبائل الوادي القدماء، بل كانوا أمراءَ القرين، وبقيت إمارتهم إلى زمن الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس، أميرُها منهم اسمه منصور باجميل باقتادة، حاربته دولةُ ذلك العصر، وحصرته في حصنه، حتى خرج منه مغلوباً، ولم يعد لهم أمرُها إلى الآن، بل صاروا من الرعايا، وامتدت إليهم الأيدي.

* * *

ثم في أواخر العقد الأول من هذا القرن: هجم القُثَم على بيوتهم، وأخرجوا الرجال منها، وخلَوا بالنساء، وضج الناسُ لهذا المنكر، ولم يكن لأحد بهم حيلةٌ، واستغاث الناس بالسادة الأشراف ليراودوهم على الخروج من بيوت/ آل باقتادة، [٢٦٣/١] فلم يقبلوا شفاعة أحد منهم، ولم يفتحوا الأبواب لأحدٍ، ولم يأذنوا له في القربِ منهم، واستمر هذا العمل الشنيعُ الفظيع على أعين الناسِ، ولأن لهم بعض الوجهاء الذين يستندون بجدارهم المنهَار في النار، وبئس القرار.

ثم اجتمع الحبيب أحمد بن حسن العطاس، والحبيب محمد بن طاهر المترجَم، والحبيب حسين بن محمد البار، وأحسب أن معهم الحبيب محمد بن أحمد المحضار،

والحبيب مصطفى، وغيرهم. وأخذوا معهم الحبيب أحمد بن عبد الله البار محمولاً، لما به من المرض، وأقبل هؤلاء، وهم المشار إليهم في الوادي بالعلم والصلاح والنسك والتقوى، بوجوههم المنيرة، التي لو قابلها أوقَحُ الوقحاءِ، وأشد الناس قلةَ حياءٍ، لأعظمَهم، وخجل منهم؛ على القُثم المذكورون، فأبوا أن يقبلوا لهم شفاعةً، ولم تعرَقْ لذلك وجوههم المقدُودة من الحجارة، بل ردّوهم، وأصروا على ما هم عليه.

ثم انقضت المسئلة بإعطاء دراهمَ لهم، وصاروا من المتحرّرينَ، الذين حررهم الحبيب محمد من العبودية، وكتب لهم بذلك سَجْلاً، واستبرأ آل باقتادة نساءَهم، وكان اليومُ الذي ظهرت فيه براءَتهن من الحمْلِ، يوم فرحٍ عندهم، تصدقوا فيه.

***

[٤] واستمر القُثَم في أعمالهم في مواضع أخر، حتى عسَفُوا آل باشنفر الساكنين في عُورة، وجاروا عليهم. وكان من محاسن الصدف: أن عثر الحبيب محمد على خطّ، مكتوبٍ به: إن آل باشنفَر المذكورين قد انتسبوا للحبيب عمر بن أبي بكر الحداد، فخرجوا بذلك عن عبوديتهم للقُثَم.

وعرض الحبيبُ ذلك الخطّ على القُثَم، ومن يتصل بهم من المناصب، وغيرهم، فأبوا الإقرارَ بما فيه، واستمروا على عسف آل باشنفَر، فجمع الحبيبُ قبائلَ وادي دوعن، وسادَتهم، ورؤساء القُثَم، يقدمُهم رئيسُهم بن سَكْران، وأحسب أن اسمه سالم باسَعَيْد بن سكْران (سَعَيد، بفتح السين والعين)، ولم ينتج عن ذلك الاجتماع أمرٌ يحسن السكوتُ عليه، بل تبجّح بن سكران: بأنه لن يطرح قبْوَلته لأحدٍ، وساعده بعضُ المناصب، وصار وعيدٌ وتهديد، وبدرت كلمةٌ من بعضهم، صاح عليه بعدها الحبيبُ بصيحَةٍ، ارتجت لها جوانب القصْر.

وأخذ الحبيب في الاستعداد لحربهم، وكان أراد أن يحاربهم بقبائل الوادي، فرأى منهم تواكلاً، فراسل قبائل الديِّن، ورتب الأمر معهم، وشاع في الوادي: أنه يريد حرب القُثَم، فمَرَّ خادمُه يوماً تحت عُورة، فرآه المقدَّم بن سكْران القُثْمي، فدعاه، وقال له: قل للحبيب محمّد: إنك تشتري رصاصاً وباروداً لأجل الحرْب، معك دراهم، ونحن ما معنا شيء! فلما بلّغه الخادمُ كلامَه، أعطاه ستين ريالاً، وقال له: اذهب بها إليه، وقل له اشتَرِ بها رصاصاً وباروداً، واستعدّ، فإني سأحربك، وسنرى: هل تطرح القَبْولة أم لا؟! ولم تمضِ أيامٌ قلائل، حتى جمع مقدَّم قبائل الديِّن قومَه، فجاء بجَحْفلٍ جرارٍ، وأغار على سرح القُثَم بالسَّوط، فأخذه، وأحاطت قومُه بشروج القُثَم، وحصونهم، وجاء الصريخ يتلو الصريخ إلى دوعن، يستنهضون المقدَّم بن سكران، وأفاق من سكرته، ولاذ بالحبيب محمد بن أحمد المحضار، ليدخل به عليه.

فلما واجهه، أذعن بأن يعدّل، أي: يضع عربوناً للمخارجة في قضية باشنفَر.

فقال له الحبيب محمد: لا بد أن يكون من جملة العربون بندق كذا، وذكر اسم بندق مشهور، أحسبُ أنه يقال له: سلطان، وتحكّمني أحكُمْ عليك بما شئتُ، وتذعن بأنك طرحْتَ القبولة.

فقال المقدم بن سكران: أما هذا فلا.

فقال: اذهب، ولا بد أن تأتي، شئتَ أم أبيتَ.

وارتجّ الوادي للحادث، وعرف المستندون بين سكران، والحاطبون في حياله، أنهم لا يقدرون على أن ينفعوه، ولا قومه بنافعة، واشتد ضغطُ جند قبائل الديِّن على القُثَم بالسوط، حتى لقد عزموا على الهرَب وإخلاء المنازل، وتداركت الرسل إلى بن سكران، يستصرخونه، ولاتَ حين مناصٍ.

وقلقَ لما صار إليه قومه، فعاد ثانياً يستشفع بالحبيب المحضار، وكان الحبيب محمد قد انحدر إلى قيدون، فذهب الحبيب محمد المحضار إلى قيدون، وعرض عليه ما جاء به بن سكران من الرضا بكل ما يطلبه منه. فقال له: سيذهب معك خادمي هذا، فإن سلّم العرابين المطلوبة، وحكّمني، وطرح قبْوَلته فاكتبوا عليه، وائتوني به.

فاجتمعوا ببلد بضة، وجاءوا به إلى الحبيب محمد، فلما قابله، قال له: كيف يا ابن سكران؟ هل طرحْتَ القبْوَلة؟.

فقال: أنا أبو هَيْثم، قبْوَلتي ما أطرحها.

قال: إذن/ فارجعْ من حيث جئتَ. [/٢٦٤]

فاستطرد قائلاً: أمّا لكَ يا حبيب، فقد طرحتها.

فلما أذعن، وحكّم، وسلم العرابين من البنادق المشهورة، فبها سلطان، أرسل الحبيب محمد لقومِ الدّيْن بالعود إلى بلادهم، فنقَضُوا محطاتهم، وعادُوا، وانفتحت أفواهُ المتملقينَ لهم دهَشاً لهذا الحادثِ، وعلموا أنهم إنما كانوا من أمرهم في خيبة وغرورٍ.

❊ ❊ ❊

[٤] وكان فيهم رجلان؛ أحدهما: يسمى بن الزرع، أبيض، أشعر، جسيماً. وثانيهما: بن سويد، قصيراً، أسود، وكانا من أسْرقِ الناس، وأشْطَنِهم. عملوا أعمالاً شنيعةً، حتى لقد تسوروا ليلةً على أحد السادة آل الصافي بالرّباط، حين خلا بعَرُوسه؛ فأخذوا آنيةَ النحاس المعروفة بالطبّال، مملوءةً حليًا من ذهبٍ وفضة. ولهما قصصٌ غير ذلك. وقد رأيتهما حين استقدَمهما الحبيب إلى قيدون في واقعةٍ، واشتد نكيرُه على قومهما، فلم يطل الأمر حتى هجَموا عليهما فقتلوهما، وأراحوا منهما البلادَ والعباد.

❊ ❊ ❊

[٥] كنا معه، وقد أصعد لزيارة الشيخ عمر مولى خَضَم، وعرّج إلى حُوفة، فأصلح بعض الأمور، وانحدر، فلما جاوز بلد ضرّي، جاء إليه الخبر: أن فلاناً من آل بانِخَر، من الحالكة، حرّج الأخدام الذين يعملون في ساقية الجدفرة، وقد سبق ذكرها، فغضب سيدي لذلك، وطلب رسولا ليأتي بجنيد.

وجاء على أثر ذلك ونحن نسير: المقدّم عمر محمد بقشان، وقد علم بالأمر، فعجّلَ ليستدرك القضية، فسمع الحبيبَ يطلب أن يؤتى بالرسُول، فقال له: لا يا حبيب، لقد جئتُ مرضياً لك فيما فعلَه فلان، وهذا بندقي عربوناً. (وهم يقولون عدّالة، وكانت العرب تقول: رَهْناً، وتضرب المثل بقَوس حاطبٍ التي رهنها عند كسْرى على الوفاءِ، بأن العرب لا يفسدون في السود ووفى بذلك)، فأعرض عنه، وقدّم فرسه. ولكن المقدّم أسرعَ، فاعترضها، وعرَّضَ بندُقَه أمامها، مردّداً لكلامه، وقع هذا مراتٍ، ورأى الحبيبُ صدقَه واحتماله، فقبل منه، وسلم بندُقَه، فحمله بعض الحاشية.

وما رأيتُ من رئيس قومٍ احتمالاً وبعْدَ نظرٍ، مثلَ الذي رأيته من المقدّم عمر محمد، وما زلت أعرفُ له ذلك من يومئذٍ. وقد رأيتُ بعدَ ذلك الرجل الذي حرّج الأخدام، يظل قائماً على أهل العمل في الساقية، كالحارس، كانَ ذلك من جملة تأديبه.

* * *

[٦] وقد راود قبيلة القُثَم على أن يهدموا حصن بلْحلُوق، لما ينال الناس من أذاه، وأعطاهم على ذلك مبلغاً من المال كبير، فلما أخذوا المال تلكّأوا عن هدمه، وحان وقت سفرِه الأخيرِ الذي مات فيه، فلم يتأتَّ له استتباعُ الأمر، مع ضيق الوقت، ولكنه قال: إنه سيهدَم. كما قال ذلك من قبل شيخُه الحبيب أحمد المحضار، في

قضيةٍ سبق ذكرُها، وحقق الله قولهما، فقد تم هدمُه على يد بعض السادة، بعدَ وفاة المترجم قدس سره بسنةٍ، في شهر رمضان سنة ١٣١٧.

❋ ❋ ❋

[٧] وكان قبل سفره المشار إليه، قد جمع أهل دوعن جميعاً، من سادةٍ ومشايخ وقبائل، وغيرهم، وحثهم حثًّا شديداً على صلاح الوادي، وتأسيس أمرٍ تجتمع به الكلمة، ويلتئم معه الشمل، وتنحسم الفوضَى، وكان قد رأى أنها ستؤدي بالوادي إلى الخراب، وبأهله إلى الشتات. فحكّمه آل العمودي وقبائلهم في ذلك، فأقام لهم الشيخُ علي بن منصّر العمودي والياً على الخريبة، وقبلوا ذلك، وتعهدوا برعايته، والمحافظة عليه.

وأقام حشداً حافلاً لهم في محل يسمى باقُوَير، تحت بلد الخريبة، ووعظهم موعظةً بليغةً، تقشعر لها الجلود، ويذوب الجلمود. وخصَّ ذوي الشوكة من المشايخ والقبائل من الظلم والعسفِ، وخوَّفهم من عواقبه السيئة، وحذرهم أن ينتقم الله منهم بإخرابِ المنازل، وكسر الشوكة، وذهاب العزة. وقال لهم: إني أرى ما لا ترون. فقال بعضُ سفهائهم: ماذا يرى؟ إنما يرى النساءَ أمامه!

ولكن كانت عاقبةُ أمرهم خُسراً، فإنهم اختلفوا، وخرج بعضُهم عن طاعة القائم، وخالف هو بعض ما التزم به، واتسعت شقة الخلافِ والشقاق، ورفع القائمُ شكواه إلى السلطان غالب بن عوض القعيطي، في حديث سيأتي ذكره. فانتهى الحادثُ بخروج جيش الحكومة القعيطية، واستيلائها على دوعن قريةً بعد أخرى. ثم أقام المقدَّم عمر بن أحمد باصره نائباً عنه. وكان من خبره: أن سيدي سافر بعد تمام ذلك المشروع الذي قرره، كما ذكرنا، فخرج المقدّم مع سيدي الحبيب محمد

مودّعاً له، ماسكاً بركابه، في عقبة الحبل، وهو يحادثه ويأمره وينهاه، فلما عادَ، قال سيدي لأصحابه: إني ألقيتَ إلى هذا الرجُل/ كلاماً، إن اعتمدَه واستمسك به، [/٢٦٥] فسيكون والياً على دوعن.

* * *

[٨] وكان، رضي الله عنه، صادقَ النظر، نافذ الفراسة، حليماً، صادق الإلهام. فإنه لما أراد حفر الساقية إلى جِذْفرة الزنجي، التي أراد إحياءها، وقد سبق ذكرها، وذلك سنة ١٣١٣: استدعى جماعةً من ذوي الخبرةِ، والممارسين للحرْث، واستشارهم في الموضع التي يناسبُ أن تحفر فيه الساقية، فأشار كلٌ بما ظهر له. ولكنه رحمه الله لم يأخذ بشيء من آرائهم، وأمر بحفرها في موضعٍ آخر، فتكلم أناسٌ بأنها لن تصلحَ، ولا يمكن أن يجري فيها السيلُ، لارتفاعها عن مجرى الوادي، وانتشر بين الناس هذا الكلام، حتى صار عندهم كالعقيدة: بأن الحفْرَ فيها مجردُ تعبٍ، لا نجاحَ له.

ولما استمرّ الحفرُ، وعُمّق نحوَ قامتين، ظهرت جوانبُ ساقيتها القديمة، مبنيةً بالحجارة، عليها طبقةٌ سوداء من آثار الماء، فعجِبَ الناسُ لذلك، ولقوة يقينه، وإقدامه على النفقة العظيمة للوصول إلى هذا الأمر المجهولِ تاريخُه عندهم، لا يذكره منهم ذاكر. وبعد وفاته قامت والدته بإتمام العمل في الساقية، وكان أخي هو الساعي والمعاون لها، والمباشر للأعمال، حتى جرى فيها السيل، وبلغ الجدفرة، وكان ذلك هو الشرطَ الذي اشترطه أهل صُبَيْخ في المكاتبة التي كانت بينهم وبين الحبيب محمد، قدس سره. قال أخي في «قرة الناظر»: «ولما بلغنا العمارةَ إلى الحد المشروط على سيدنا الحبيب، قدس سره، وطلبنا من المستفْخِذينَ منه، أهل بلد

صبيخ، القيامَ بما توجه عليهم من إكمال العمارة، فتوانوا، واختلفوا علينا، وتعبنا بمعاناتهم، واقتضى الحالُ جمعي لهم، وطلب إحدى خصلتين منهم:

١ـ إما القيامُ بما توجه عليهم.

٢ـ أو فسخُ الفخيذة التي معهم من سيدنا الحبيب.

وضيقتُ عليهم، واستعنت ببعض رؤساء القبائل، وبعد أخذٍ ورد، ونزاعٍ يطول شرحُه، التزموا القيامَ بما توجه عليهم، ثم لم يفوا بما التزموه، وأخلفوا ما وعدونا به، ورأينا أن لا سبيلَ إلى تمام العمارة إلا بالاستعانة بالمقدّم عمر بن أحمد باصره، ليخاطب أهل صُبَيخ، ويطلب منهم القيامَ بما عليهم، وينذرهم أنه سيقومُ بذلكَ إذا لم يعودوا إلى الوفاء بما التزموه، وتكون الفخيذة له، فخاطبهم وكاتبهم، وكرر عليهم ذلك، فلم يفعلوا. ثم لما يسر الله شراءَ نصفِ مصنعة صُبَيخ من واليها، أرسل جماعة من جنده أتباع القعيطي، فاستلموا المصنعة، وتوطأت بذلك الطريقُ إلى إنجاز العمل». انتهى باختصار.

[صفة الحبيب محمد بن طاهر]

وأما صفته؛ فقال في «القُرة» ما ملخصه: «كان ربْعَ القامة، آدم اللون، عظيم الرأس والجسدِ، أنزعَ، بطيناً، واسع الصدْر والجبين، قوي البنية، تعلوه هيبةٌ ووقارٌ وأنوار، يشعر من قابله بالاضطرار إلى تعظيمه، حسَن السمت، بهيَّ المنظر، وسيم الخلق، كثير البِشر، إذا مشى تكفأ، حسَن الصوت، طيب النغمة، جيّد الإلقاء والقراءة إذا قرأ في الكتابِ، ولا سيما الحديث، آخذٌ بمجامع القلوب، بترسّلٍ وفصاحةٍ وإعرابٍ، وقد تعرضُ له الكلمةُ في إعرابها وجْهانِ، فيأتي بهما». اهـ.

[بعضِ آثار صاحب الترجمة]

وله:

[١] «مكاتباتٌ»، لها خطبٌ غريبةُ النفَس، عذْبة العبارة.

[٢] و«ديوان شعر».

وله وقائعُ صوفيةٌ فخمة، منها: تلك الواقعة التي رأى فيها النبيَّ ﷺ قائماً أمامه إلى جهة يمينه، وهو يصلي الظهر، على الصفة التي رواها المحدثون. قال له: «أنا أنتَ»، أو: «أنت أنا»، وقد رفع سؤالاً عن ذلك إلى الحبيب العارف بالله عيدروس ابن عمر الحبشي، والي الحبيب العارف بالله علي بن محمد الحبشي، والي شيخنا، وأجابوه. وكان الأولُ أبسطَهم جواباً، بكلام متمكنٍ من فنّه، مطلع على خفاياه. وله مناقشةٌ مع الثاني منهم، من جهة كلمةٍ جاءت في إحدى مكاتباته إليه، تُوهِم بأنه، أعني الحبيبَ محمداً داخلٌ في جملة مريديه، وقد أجابه عنها بجوابٍ حافلٍ بالحقائق الصوفية، وأزال الإيهام الغير مقصودِ، وذلك كله في مكاتباتهما، نفعنا الله بهم جميعاً، ولولا كثرةُ الموادّ الأخرى، لانتقينا منها عيوناً، وأرسلنا عيوناً وعيوناً.

وكان لوعظه تأثيرٌ على سامعيه، قلما يخلو مجلسُ وعظه من الباكينَ والخاشعين، وربما بكى هو وزعَق، وله في مجالسه الخاصّة مذكراتٌ، يحدو بها الحاضرين، وله كلامٌ جامع في رَسائله ومكاتباته، جمع منه في «القرّة» قدراً صالحاً، لولا خوفُ الإطالة لذكرناه.

* * *

وأما جودُه؛ فحدثْ عن السحاب الماطر، والبحر الزاخر، تقصده الوفودُ لرجاء معروفِه من أنحاء البلدان، وإذا كان/ بالبلدِ تردّد إليها الناسُ، وأكثروا [٢٦٦/١]

من المجيء لزيارة الشيخ سعيد، وهو المقصودُ، وإذا غاب في بعض أسفاره خفّوا. وقد حكيَ: أن الحبيب حامد بن أحمد المحضار رأى قوماً منحدرين في الوادي إلى قيدون، قاصدين زيارة الشيخ سعيد، أو لبعض حاجاتهم. فأخذ يقول لهم مازحاً: الشيخ سعيد بالهند!. لأنه رضي الله عنه كان بها ذلك الوقت. وترجمتُه تحتملُ بسْطاً أكثر مما ذكرنا، ولكننا اقتصرنا لكثرة المواد الأخرى، وخصصنا بالذكر ما فيه تعلقٌ بالتاريخ العام، وسيأتي بقية لذلك. توفي رحمه الله تعالى، ببندر التَّقَّل، من بنادر الجزيرة الجاوية، في سنة ١٣١٦، وقد زاد على الأربعين سنةً.

[الحبيب علوي بن محمد الحداد]

وترك أولاداً مباركين، أشهرهم: الحبيب علوي بن محمد. طلبَ العلم ببلده قيدون، وأخذ عن والده وجده، وعن والشيخ عبد الله بن أبي بكر الخطيب باراسَين القيدوني، وعن الشيخ أبي بكر بن أحمد بن عبد الله الخطيب التريمي، وانتفع به، وكان يحبه، ويتفرس فيه خيراً. وزار حضرموت مع والده، وهي حافلةٌ ببقية السلف، فحصل له منهم التبركُ والإلباس والإجازةُ.

ثم سافر بعد وفاة والده إلى الحرمين، ثم إلى جاوة، وأخذ أخذاً تامًّا عن الحبيب محمد بن عيدروس الحبشي، وانقطع إليه، وأخذ عن غيره من الفضلاء، وسلك طريقة العلم والعمَل، والسمت الحسن، والسيرة المستقيمة. وأنعَم الله عليه بعقلٍ وافرٍ، وعمل صالحٍ، وصيتٍ حسَنٍ، وفضلٍ، وعلمٍ، وكرَم، وأخلاقٍ لا يرى له فيها نظير، مع الجود، وسخاوة النفْس، والرحمة بالضعفاء، والشفقة على الأرامل والأيتام، والاعتناء بهم، والإنفاق عليهم، وإكرام الضيوف، وبذل المعروف، والمشاركة في الماعون، والقيام في النائبة، وبناء المساجد، وخدمة المصلحة العامة، والاحتمال والصبر، والأمانة المتينة، والابتعاد عن مواضع الشُّبَه، ومداراة ذوي

الأنفس، ومسامحة أولي البوادر، والتغافل عنهم، واحترام ذوي الهيئات، وتعظيم أهل العلم، ومخالقة الناس، والابتعاد عن الشر وأهله، وبذل النصيحة، والقيام بحقوق الأقارب والمعاشرين، وحسن الظن، وصدق التديّن، والانعكاف على ترتيب الأوقات، والميل إلى المطالعة، والرغبة في الاستفادة.

وله: نثرٌ، وشعرٌ حسن مقبول. وله قبولٌ ومحبة في قلوب الناسِ، مع وقارٍ وجلالةٍ، معتقداً، مقصوداً، محفُوداً. وكان استيطانه ببلد بوقُور، وهو بها الآنَ. **وبالجملة**؛ فقد أطلعه الله في هذا العصر بدراً زاهراً، وسحاباً ماطراً، وهو اليوم بقيةُ من يستحيى منه، ويُذكَر به الله، ولولا خوفُ الإطالة لذكرتُ من تفصيل ما أجملتُ، ما يستغرق عدة صفحاتٍ، بل كراريسَ، أطال الله عمره، وشيّد ذكره، ويسر له أمره، وإيانا آمين.

[الحبيب صالح بن عبد الله الحداد]

ومن فضلاء قيدون: الحبيبُ العلَم، العامل الأواه، الذاكر المقبل على مولاه، العارف بالله، السيد الشريف، عمي صالح بن عبد الله بن طه الحداد. ولد ببلد قيدون، وأمه الشريفة الصالحة خديجة بنت الحبيب عمر بن أبي بكر الحداد. وقد سبقت ترجمته. أخذَ عن والده، وعن خاله شيخنا الحبيب طاهر، وتفقه بشيخنا عبد الله بن أبي بكر المرحّم الخطيب باراسين. وكان له ذهنٌ وقاد، وحفظ تام، حتى لقد كاد يحفظ «حاشية الباجوري» على «ابن قاسم»، من تكريره مطالعتها.

وحُبّبت إليه العبادة من صغره، فكان يتلو كلَّ يوم نصْفَ القرآن. وله أذكارٌ يديمها كثيرةٌ، يطيل الصلاةَ، ويمكث في ركوعه وسجوده مدةً طويلة، ولا يصبر معه إلا بعضُ الأفراد، ولا يقضي صلاة التراويحِ في أقل من ساعتين. وفيه انحيازٌ عن مخالطة الناس، لا يترك الطيلسانَ، ولا يسمح أن يذكر أحدٌ بسوء في مجلسِه، وإذا

مرَّ به ما يضحكُه أتبعه بالاستغفار. لم تعرف له صبوةٌ ولا فترةٌ، على وجهه نورٌ وهيبةٌ وجلالة، لا يخلو مجلسه عن ذكرٍ، وقراءة كتابٍ، وكان معتقَداً، مقصوداً، مزوراً.

وله دعواتٌ مستجابة، وللناس فيه في أوديةِ القبلة في نصاب وما والاها إلى وادي دوعن اعتقادٌ، ولهم به تعلقٌ. وكان المقدّم عمر بخْمَد باصره يعظّمه، ويقبل شفاعته.

ونفع الله به أهل بلاد العوالق وما والاها، وأحيى به الإيمان في قلوبهم، وأظهر بها شعار العلم والإسلام والصلاة، وأحبوه واعتقدوه، وأكرمه الله بكراماتٍ، لا يزالون يتحدثون بها. وله أحوالٌ روحية غريبة، وإلهامٌ، وكشفٌ، وتحدّث بالخواطر، لا يبقى عند أشدّ المنكرين[1]/ . [٢٦٧/]

* * *

(١) إلى هنا انتهى ما وجد من هذا الكتاب العظيم النافع، عوّض الله أهل حضرموت عنه بفقد باقيه خيراً، والأمر لله من قبل ومن بعد. وكان الفراغ من تصحيحه وقراءته وضبطه، سحر ليلة الاثنين ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٤٣٤هـ بدلْهي، عاصمة الهند، بجوار المسجد الجامع القديم، المعروف بالمسجد الأحمر، والله المستعان، وعليه التكلان. (مصححه/ محمد أبو بكر عبد الله باذيب).

قائمة المصادر والمراجع

١. ابن أبي عاصم، أحمد بن عمرو، **الآحاد والمثاني**، تحقيق: باسم فيصل أحمد الجوابرة (الرياض: دار الراية، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

٢. ابن الديبع، عبد الرحمن بن علي، **تحفة الزمن في فضائل أهل اليمن**، تحقيق: سيد كسروي حسن، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).

٣. ابن حميد، سالم بن محمد، **العدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة**، تحقيق: عبد الله الحبشي، (صنعاء: مكتبة الإرشاد، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

٤. ابن خرداذبة، عبيد الله بن عبد الله، **المسالك والممالك**، (بيروت: دار صادر، مصورة عن طبعة ليدن الصادرة عام ١٨٨٩م).

٥. ابن سميط، عمر بن أحمد، **الرحلة السميط الى الأراضي الحضرمية**، جمعها: محمد ابن جبران، اعتنى بها: محمد أبو بكر باذيب، (عمان: دار الفتح للدراسات والنشر، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م).

٦. ابن سميط، محمد بن زين، **بهجة الزمان وسلوة الأحزان في ذكر طائفة من الأعيان والأصحاب والأقران**، عني بطبعه: علي بن عيسى الحداد، (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ت).

٧. ابن شهاب، أبو بكر بن علي، **رحلة الأسفار**، قام بنشرها مترجمة إلى اللغة الملايوية: حامد بن أبي بكر بن شهاب (جاكرتا: طبعة خاصة، مصورة عن خط مؤلفها).

٨. ابن عبد البر النمري، يوسف بن عبد الله، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق: علي محمد البجاوي، (بيروت: دار الجيل، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).

٩. ابن عساكر، علي بن الحسن، تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

١٠. ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، عيون الأخبار، تحقيق: محمد الإسكندراني، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط٢، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).

١١. ابن منظور الإفريقي، محمد بن مكرم، مختصر تاريخ دمشق، تحقيق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، (دمشق: دار الفكر، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٤م).

١٢ الآلوسي، أبو الثناء محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت).

١٣ الأزرقي، محمد بن عبد الله، أخبار مكة، (مكة المكرمة: المطبعة الماجدية، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م).

١٤. الأهدل، عبد الرحمن بن سليمان، النفس اليماني والروح الريحاني في إجازة الثلاثة القضاة بني الشوكاني، تحقيق: وليد الربيعي، (الكويت: غراس للنشر، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م).

١٥. باجمال، محمد بن عبد الرحمن، الدر الفاخر في أعيان القرن العاشر، تحقيق: محمد يسلم عبد النور، (تريم: مركز تريم للدراسات والنشر، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م).

١٦. باحسن، عبد الله بن محمد، نشر النفحات المسكية من تاريخ الشحر المحمية، تحقيق: محمد يسلم عبد النور، (اليمن: تريم للدراسات، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م).

١٧. باذيب، محمد أبو بكر، أضواء على حركة طباعة التراث الحضرمي في المهجر ١٨٤٥-٢٠١١م، (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٢م).

١٨. باذيب، محمد أبو بكر، السيد أحمد بن عمر بافقيه من رواد الصحافة العربية في القرن العشرين، (الأردن، دار الفتح للدراسات، ١٤٢٧هـ).

١٩. باذيب، محمد أبو بكر، **جهود فقهاء حضرموت في خدمة المذهب الشافعي**، (الأردن، دار الفتح للدراسات، ١٤٣١هـ).

٢٠. باسنجلة، عبد الله، **العقد الثمين الفاخر في تاريخ القرن العاشر**، تحقيق: عبد الله الحبشي، (صنعاء: مكتبة الإرشاد، ١٤٢٨هـ).

٢١. باشا، إبراهيم رفعت، **مرآة الحرمين**، (القاهرة: دار الكتب المصرية، طبعة مصورة عن الأصل الصادر سنة ١٣٤٤هـ).

٢٢. بافقيه، محمد بن عمر الطيب، **تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر**، تحقيق: عبد الله الحبشي، (بيروت: عالم الكتب، ١٤١٩هـ).

٢٣. باكثير، عبد الله محمد، **الأشواق القوية إلى مواطن السادة العلوية**، (رحلة)، علق عليها: عبد الله بن محمد السقاف، (القاهرة: طبعة خاصة على نفقة الشيخ محمد باشيخ، ١٤٠٥هـ. مصورة عن الأصل المطبوعة سنة ١٣٥٨هـ).

٢٤. بامخرمة، الطيب بن عبد الله، **تاريخ ثغر عدن**، تحقيق: أوسكار لوفغرين، ليدن، هولندا، (مصورة لمكتبة مدبولي، القاهرة، النشرة الثانية، ١٤١١هـ).

٢٥. بامخرمة، عبد الله الطيب، **النسبة إلى المواضع والبلدان**، تحقيق: عبد الله الحبشي، (أبو ظبي: مركز الوثائق والبحوث، ١٤٢٥هـ).

٢٦. بامخرمة، عبد الله الطيب، **قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر**، تحقيق: بو جمعه مكر وخالد زواري، (جدة: دار المنهاج، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م).

٢٧. البتنوني، محمد لبيب، الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديوي مصر سنة ١٣٢٧، (القاهرة: د.ن. طبعة صورة عن الطبعة الأولى الصادرة سنة ١٣٢٨هـ).

٢٨. البخاري، محمد بن إسماعيل، **التاريخ الكبير**، بإشراف: محمد عبد المعيد خان، (حيدر آباد: دائرة المعارف العثمانية. مصورة عن الطبعة الأصلية).

٢٩. البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، اعتنى به: زهير الناصر، (بيروت: دار طوق النجاة، مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ١٤٢٢هـ).

٣٠. البزار، أحمد بن عمرو، مسند البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٩٨٨م -٢٠٠٩م).

٣١. البشاري، محمد بن أحمد، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، (بيروت: دار صادر، مصورة عن طبعة ليدن).

٣٢. البغدادي، إسماعيل باشا، **إيضاح المكنون**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، مصوراً عن الطبعة التركية).

٣٣. البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، اعتنى به: محمد النمر، عثمان ضميرية، سليمان الحرش، (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

٣٤. بلفقيه، عبد الله بن أحمد، **النفثات الرحمانية في شرح المنظومة النورانية في العقيدة القرآنية**، اعتنى به: علي بن حسن بلفقيه، (الأردن: دار النور المبين، ٢٠١٥م).

٣٥. البكري، عبد الله بن عبد العزيز، **معجم ما استعجم**، تحقيق: مصطفى السقا، (عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣، مصورة عن الطبعة المصرية).

٣٦. البيهقي، أحمد بن الحسين، **دلائل النبوة**، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

٣٧. البيهقي، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، (حيدرآباد: مجلس دائرة المعارف النظامية، ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م).

٣٨. الترمذي، محمد بن عيسى، **الجامع الكبير**، تحقيق: بشار عواد معروف، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م).

٣٩. التميمي، أبو حاتم محمد بن حبان، **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، ترتيب: علي بن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

٤٠. الجرموزي، المطهر بن محمد، **تحفة الأسماع والأبصار بما في السيرة المتوكلية من غرائب الأخبار**، تحقيق: عبد الحكيم الهجري، (الأردن: مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م).

٤١. الجندي، محمد بن يوسف، **السلوك في طبقات العلماء والملوك**، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، (صنعاء: مكتبة الإرشاد، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).

٤٢. الجنيد، عبد القادر بن عبد الرحمن، **العقود الجاهزة في تراجم بعض الشخصيات البارزة**، (طبعة خاصة، د.ن، ١٤٢٨هـ).

٤٣. الحاكم، محمد بن عبد الله، **المستدرك على الصحيحين**، اعتنى به: مقبل بن هادي الوادعي، (مصر: دار الحرمين، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

٤٤. الحبشي، أبو بكر بن أحمد، **الدليل المشير إلى فلك أسانيد الاتصال بالحبيب البشير ﷺ**، (طبعة خاصة، توزيع المكتبة المكية، ١٤١٨هـ)

٤٥. الحبشي، أحمد بن زين، **شرح العينية**، (سنغافورة: مطبعة كرجاي، ١٤٠٧هـ).

٤٦. الحبشي، عبد الله محمد، **فهرس بعض المكتبات الخاصة باليمن**، (لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م).

٤٧. الحبشي، عبد الله محمد، **مراجع تاريخ اليمن**، (دمشق: وزارة الثقافة، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م).

٤٨. الحبشي، عبد الله محمد، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن**، (أبو ظبي: المجمع الثقافي، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٠م).

٤٩. الحبشي، عيدروس بن عمر، **عقد اليواقيت الجوهرية وسمط العين الذهبية بذكر طريق السادات العلوية**، اعتنى بتحقيقه محمد أبو بكر باذيب، (الأردن، دار الفتح للدراسات، ١٤٣٠هـ).

٥٠. الحبشي، عيدروس بن عمر، **منحة الفتاح الفاطر في أسانيد الأكابر**، تحقيق عبد الله الحبشي، (أبو ظبي: دار الفقيه، ١٤١٧هـ).

٥١. الحداد، عبد الله بن طاهر، **قرة الناظر في مناقب القطب محمد بن طاهر**، (تريم: دار التراث، ١٤٣٠هـ).

٥٢. الحداد، عبد الله بن علوي، **مكاتبات الإمام الحداد**، (بيروت: دار الحاوي، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م).

٥٣. الحداد، علوي بن طاهر، **نور الأبصار في مناقب عبد الله بن طه الهدار**، (مطبوع على الآلة الكاتبة، غير منشور).

٥٤. الحداد، علوي بن طاهر، **الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها**، (سنغافورة: مطبعة أحمد برس، ١٩٣٩م).

٥٥. الحداد، علوي بن طاهر، **المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى**، تحقيق محمد ضياء شهاب، (جدة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

٥٦. الحداد، علوي بن طاهر، **المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى**، (القاهرة: دار الفكر الحديث، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م).

٥٧. الحداد، علوي بن محمد، **بهجة الخاطر وسرور الفؤاد في مجموع مآثر الحبيب علوي بن محمد بن طاهر الحداد**، (تريم، دار التراث، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م).

٥٨. الحكمي، عمارة بن أبي الحسن، **المفيد في أخبار صنعاء وزبيد**، تحقيق: حسن سليمان محمود، (صنعاء: مكتبة الإرشاد، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م).

٥٩. الخازن، علي بن محمد، لباب التأويل في معاني التنزيل، (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

٦٠. الخزرجي، علي بن الحسن، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، (بيروت: دار صادر، مصورة عن طبعة الهلال، مصر، ١٣٢٩هـ).

٦١. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، تاريخ دار السلام، تحقيق د.بشار معروف، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م).

٦٢. الدمشقي، إسماعيل ابن كثير، البداية والنهاية، (القاهرة: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).

٦٣. الدولابي، محمد بن أحمد، الكنى والأسماء، تحقيق: نظر محمد الفاريابي (بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م).

٦٤. الديلمي، شيرويه بن شهردار، الفردوس بمأثور الخطاب، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

٦٥. الرازي، عبد الرحمن بن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، (صيدا: المكتبة العصرية، د.ت).

٦٦. الرامهرمزي، القاضي أبو محمد الحسن، أمثال الحديث، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد الأعظمي، (بومباي، الدار السلفية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م).

٦٧. الزَّبيدي، محمد مرتضى بن محمد، تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، (بيروت: دار الهداية، د.ت. نسخة رقمية).

٦٨. الزركلي، خير الدين، الأعلام، (بيروت، دار العلم للملايين، ط١٢، ١٩٩٢م).

٦٩. الزمخشري، محمود بن عمرو، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

٧٠. الزهري، محمد بن سعد، **الطبقات الكبير**، تحقيق: علي محمد عمر، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م).

٧١. سارجنت، روبرت، **المؤرخون وكتابة التاريخ الحضرمي**، تعريب سعيد النوبان، (عدن: مطابع جماعة عدن، د.ت).

٧٢. سركيس، يوسف إليان، **معجم المطبوعات العربية والمعربة**، (بيروت، دار صادر، مصورا عن طبعته الأولى الصادرة عام ١٣٤٦هـ).

٧٣. السقاف، عبد الله بن محمد، **تاريخ الشعراء الحضرميين**، (الطائف: مكتبة المعارف، الطائف، مصورة عن طبعة المؤلف الأولى بمصر).

٧٤. السمعاني، عبد الكريم بن محمد، **الأنساب**، تحقيق: عبد الرحمن المعلمي، (حيدرآباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م).

٧٥. السمهودي، علي بن عبد الله، **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى**، تحقيق قاسم السامرائي، (لندن، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢٢/ ٢٠٠١م).

٧٦. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، **الدر المنثور**، (بيروت: دار الفكر، د.ت).

٧٧. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، **رفع شان الحبشان**، تحقيق: صفوان داودي وحسن عبجي، (جدة: دار القبلة للثقافة الإسلامية، ١٤١٦هـ).

٧٨. الشرجي، أحمد بن أحمد، **طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص**، تحقيق عبد الله الحبشي، (جدة: الدار اليمنية للنشر والتوزيع، ١٤٠٦هـ).

٧٩. شكري، علي، **المساحة الجيوديسية**، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م)

٨٠. الشلي، محمد بن أبي بكر، **السنا الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر**، تحقيق: إبراهيم المقحفي، (صنعاء: مكتبة الإرشاد، ١٤٢٥هـ).

٨١. الشلي، محمد بن أبي بكر، **المشرع الروي في مناقب السادة بني علوي**، (جدة: طبعة خاصة، ١٤٠٢هـ).

٨٢. شنبل، أحمد بن عبد الله، **تاريخ حضرموت**، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، (صنعاء: طبعة خاصة على نفقة الوجيه محفوظ شماخ الشبامي، ١٤١٥هـ).

٨٣. الشيباني، أحمد ابن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م).

٨٤. الطبراني، سليمان بن أحمد، **المعجم الأوسط**، تحقيق: طارق عوض الله، (القاهرة: دار الحرمين، د.ت).

٨٥. الطبري، محمد بن جرير، **تاريخ الأمم والملوك**، (بيروت: دار التراث، ط٢، ١٣٨٧هـ).

٨٦. الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (القاهرة: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).

٨٧. العبدي، الحسن بن عرفة، **جزء الحسن بن عرفة**، تحقيق: عبد الرحمن الفريوائي، (الكويت: دار الأقصى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م).

٨٨. العراقي، عبد الرحيم بن الحسين، **محجة القرب إلى محبة العرب**، تحقيق: عبد العزيز ابن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد (الرياض: دار العاصمة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

٨٩. العسقلاني، أحمد بن علي، **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق: مركز هجر للبحوث، (القاهرة: دار هجر، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م).

٩٠. العسقلاني، أحمد بن علي، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، أشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، (بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م).

٩١. العطاس، علي بن حسن، **قلائد الحسان وفرائد اللسان (ديوان شعر)**، اعتنى به: أحمد ابن عمر العطاس، (أبو ظبي: دار الفقيه للنشر والتوزيع، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م).

٩٢. علي جواد الطاهر، **معجم المطبوعات العربية في المملكة العربية السعودية**، بعناية حمد الجاسر، (الرياض: دار اليمامة، ١٤١٧هـ).

٩٣. العمادي، أبو السعود محمد بن محمد، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت).

٩٤. العوتبي، سلمة بن مسلم، **الأنساب**، تحقيق: محمد إحسان النص، (طبعة خاصة: ط٤، د.ت).

٩٥. العيدروس، أبو بكر بن عبد الله، **الجزء اللطيف في التحكيم الشريف**، (بيروت: دار الحاوي، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م).

٩٦. العيدروس، عبد القادر بن شيخ، **النور السافر في أخبار القرن العاشر**، أحمد حالو ومحمود الأرنؤوط وأكرم البوشي (بيروت: دار صادر، ٢٠٠١م).

٩٧. الغزالي، محمد بن محمد، **الوسيط في المذهب**، تحقيق: علي قره داغي، (قطر: شركة دراسات للبحوث والاستشارات المصرية الإسلامية، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م).

٩٨. الفاسي، عبد الحفيظ بن محمد الطاهر، **معجم الشيوخ**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

٩٩. الفاسي، يوسف بن عابد، **رحلة ابن عابد الفاسي من المغرب إلى حضرموت**، تحقيق: إبراهيم السامرائي، وعبد الله الحبشي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م).

١٠٠. فِنْديك، إدوارد، **اكتفاء القنوع بما هو مطبوع**، (القاهرة، ١٣١٣/ ١٨٩٦م، طبعة مصورة عن الأصلية).

١٠١. القرطبي، محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن**، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م).

١٠٢. القزويني، عبد الغفار بن عبد الكريم، **الحاوي الصغير**، تحقيق: صالح اليابس، (الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤٣٠هـ).

١٠٣. القسطلاني، أحمد بن محمد، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، (القاهرة: مصور عن طبعة المطبعة الكبرى الأميرية، ١٣٢٣هـ).

١٠٤. القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، (دمشق: دار الفكر، ١٩٨٧م).

١٠٥. القِنَّوجي، صديق خان بن حسن، فتحُ البيان في مقاصد القرآن، راجعه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).

١٠٦. الكاف، حسن بن عبد الله، و: بافضل، محمد بن عوض، الطرف الشهية المستفادة من الرحلة الى الديار المصرية والحجازية، (تريم: مكتبة تريم الحديثة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م).

١٠٧. الكاف، عمر بن علوي، الفرائد الجوهرية مجموع تراجم رجال الشجرة العلوية، (مخطوط، نسخة خاصة، في ثلاثة أجزاء).

١٠٨. المالكي، محمد بن علوي: فهرست الشيوخ والأسانيد للإمام السيد علوي المالكي، (مكة المكرمة: طبعة خاصة بالمؤلف، ١٤٢٣هـ).

١٠٩. الماوردي، علي بن محمد، النكت والعيون، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).

١١٠. المتقي، علي بن حسام الدين، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: بكري حياني، وصفوة السقا، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).

١١١. المرعشي، شهاب الدين النجفي، الإجازة الكبيرة، أو الطريق والمحجة لثمرة المهجة، اعتنى به: محمود شهاب الدين المرعشي، (قم: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة، ١٤١٤هـ).

١١٢. المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: أسعد داغر، (قم: دار الهجرة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٧م).

١١٣. المشاط، حسن بن محمد، **الثبت الكبير**، تحقيق د. محمد بن عبد الكريم بن عبيد، (لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م).

١١٤. ممدوح، محمود سعيد، **تشنيف الأسماع بشيوخ الإجازة والسماع**، (القاهرة: دار الشباب، د.ت).

١١٥. الموصلي، أحمد بن علي، **مسند أبي يعلى الموصلي**، تحقيق: حسين سليم أسد، (دمشق: دار المأمون للتراث، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

١١٦. الموصلي، أحمد بن علي، **معجم أبي يعلى الموصلي**، تحقيق: إرشاد الحق الأثري، (فيصل آباد: إدارة العلوم الأثرية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

١١٧. النسائي، أحمد بن شعيب، **السنن الكبرى**، بعناية: حسن عبد المنعم شلبي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م).

١١٨. النسفي، عبد الله بن أحمد، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، حققه: يوسف علي بديوي، (بيروت: دار الكلم الطيب، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م).

١١٩. النيسابوري، مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، اعتنى به: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت).

١٢٠. الهمداني، الحسن بن أحمد، **صفة جزيرة العرب**، تحقيق: المستشرق مولر، (هولندا: مطبعة بريل بليدن، ١٣٠١هـ/ ١٨٨٤م).

١٢١. الهمداني، الحسن بن أحمد، **صفة جزيرة العرب**، علق عليه محمد بن علي الأكوع، (صنعاء: مكتبة الإرشاد، ١٤١٠هـ).

١٢٢. الهمداني، الحسن بن أحمد، **الإكليل**، تحقيق: محمد علي الأكوع، جـ٨، (صنعاء: وزارة الثقافة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م).

١٢٣. الهيثمي، علي بن أبي بكر، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، (القاهرة: مكتبة القدسي، طبعة مصورة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).

١٢٤. اليافعي، عبد الله بن أسعد، روض الرياحين في حكايا الصالحين، تحقيق: أديب الجادر وعدنان عبد ربه، (دمشق: دار البشائر، ط٢، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م).

١٢٥. اليعقوبي، أحمد بن واضح، البلدان، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ).

* * *

الفهارس

فهرس الأحاديث النبويّة



فهرس الأعلام

❊ ❊ ❊

فهرس الأقوام والجماعات

❊ ❊ ❊

فهرس المواضع والبلدان

* * *

فهرس دور النشر والطباعة

* * *

فهرس دور العلم والعبادة

❊ ❊ ❊

فهرس خزائن المخطوطات العامة والخاصة

فهرس الكتب والمطبوعات

❋ ❋ ❋

فهرس دور النشر والطباعة

* * *

فهرس دور العلم والعبادة

* * *

فهرس خزائن المخطوطات العامة والخاصة

فهرس الكتب والمطبوعات

* * *

فهرس الألفاظ والمصطلحات المحلية المشروحة

* * *

فهرس المصطلحات العامة وألفاظ الحضارمة

* * *

فهرس المحتويات

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع — الصفحة

الموضوع | الصفحة

الصفحة

الموضوع

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

